

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية  
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي



كُتِبَ: لـ \_\_\_\_\_  
ولـ الأجنبي  
قسم: المقارنة ومقارنة الأديان

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية  
- قسم كُتِبَ -

رقم التسجيل: .....

الرقم التسلسلي: .....

يسوع المسيح من خلال كتاب: Comment Jésus est devenu Dieu  
لفريدريك لونوار-دراسة تحليلية نقدية-

أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه ل.م. د في تخصص: مقارنة الأديان.

إشراف الأستاذ (ة):

د/ بن الموفق شهنار سمية

من إعداد الطالبة:

صونية أوعثماني

أعضاء لجنة المناقشة

الاسم واللقب	الدرجة العلمية	الجامعة الأصلية	الصفة
أ.د/ آسيا شكيرب	أستاذ محاضر	الأمير عبد القادر	رئيساً
أ.د/ بن الموفق شهنار سمية	أستاذ محاضر	الأمير عبد القادر	مقرراً ومشرفاً
د/ يوسف العايب	أستاذ محاضر	الأمير عبد القادر	عضواً مناقشاً
د/ بوساحة بشير	أستاذ محاضر	حمة لخضر الوادري	عضواً مناقشاً
د/ عبد الحفيظ لعمش	أستاذ محاضر	البشير الابراهيمي برج بوعريريج	عضواً مناقشاً

السنة الجامعية: 2023/2022 م الموافق ل: 1443/1444 هـ



# إلى من

إلى من حصدا الأشواك عن دربي، ليمهدا لي طريق العلم، والدي  
الكريمين حفظهما الله وأطال في عمريهما ورزقهما الصحة والعافية.  
إلى أخي العزيز الذي وقف وما زال يقف بجانبني في كل  
مرحلة من مراحل حياتي.

إلى زوجي وأولاده

إلى كل أخواتي وأزواجهن وأولادهن.

إلى زوجي الغالي رفيق الدرب الجميل، أسمى رموز الإخلاص والوفاء.  
إلى كل أساتذتي بجامعة الأمير عبد القادر وخارجها الذين كان لهم  
الفضل في تكويني وفي تطوير قدراتي.

إخلاصاً وعرفاناً للدكتور حايقي أهدي هذا العمل إلى روح ابنه البكر  
رحمه الله وأسكنه فسيح جنانه.

إلى كل من أحبني وشجعني بصدق وتمنى لي النجاح يوماً...

أهديكم جميعاً هذا البحث المتواضع

راجية من الله أن يجد النجاح والقبول.

# شكراً وتقديراً

أسمى عبارات المودة، وأوفر مفردات الثناء لكل أساتذتي الحائزين  
فضل السبق في العلم، الذين كان لهم أثراً في متابعتي،  
والذين كانوا سنداً لي في قسم العقيدة ومقارنته الأديان،  
كلٌ باسمه ومقامه، وكلية أصول الدين التي على رأسها عميدها الدكتور  
عبدلي حفظه الله ونفع به وأدامه ذخراً للجامعة.  
كل الشكر لكل من قدم لي يد العون والنصح والتوجيه  
من قريب أو من بعيد، سائلت المولى العليّ القدير أن يجزيهم عني  
خير الجزاء وأخص بالذكر أساتذتي المشرفين: الدكتور مسعود حايقي  
في السنوات الثلاث الأولى والدكتورة: بن الموفق شهناز فيما تبقى من ذلك،  
لهما مني كل الشكر والتقدير وأسأل الله تعالى أن يجزيهما  
خير ما يجزي به عباده الصالحين.  
كل الشكر للقائمين على مكتبة أحمد عروة، مكتبة العلوم الإنسانية،  
مكتبة الشيوخ، ومكتبة ديالو.  
ربّ أوزعني أن أشكر نعمتك عليّ إذ وفققتني للإتمام هذا العمل  
الذي أروم به وجهك قبل كل شيء، بسطاً منك وقوة من لدنك،  
وصلّ اللهم وسلّم على المبعوث رحمة للعالمين، الحبيب الطيب  
محمد بن عبد الله، عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم،  
وعلى آله وصحبه أجمعين.





مَقْرَأَةٌ  
أَوْ شَرِيحَةٌ  
بِأَرْبَعٍ

بِأَرْبَعٍ

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية



### تمهيد:

بسم الله الرحمن الرحيم والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم  
ومن تبعه بإحسان إلى يوم الدين، أما بعد:

لا شك أنّ المسيحية الأولى عالمياً من حيث عدد معتنقيها إذا يتزايد أتباع هذا الدين بوتيرة كبيرة  
منذ تحوّل بولس إلى المسيحية وحمله على عاتقه مهمة نشر المسيحية خارج نطاق اليهودية، حيث نجح  
هذا الأخير في تغيير مضمون رسالة المسيح وهدم تعاليمها ونجح أيضاً في طمس هوية المسيح ما أدى  
وجود تناقض في فهم شخصه ورسالته والغاية من إرساله.

إنّ البحوث والدراسات الغربية المتعلقة بالمسيح كثيرة جداً، ولعلّ أهمّ أسباب كثرتها وتنوعها  
يكمن في غموض هوية هذا الأخير بالنسبة للغرب المسيحي خاصة بسبب تضارب روايات الأناجيل  
عنه وعن مهمته التي بُعث من أجلها.

المسيح نبيّ من أنبياء بني إسرائيل وُلد من دون والدٍ بيولوجيٍّ لكنّه عاش كغيره من البشر يأكل  
ويشرب وينام ويعلم الناس بحكمة تشبه وتفوق في بعض الأحيان حكمة العديد من أنبياء بني إسرائيل  
الذي بُعث منهم وإليهم، كانت بداية خدمته في بيئة متعدّدة الأعراق والثّقافات والأديان-البيئة  
الرومانية-، في بيئة تؤمن بأنّ البشري يمكن أن يكون إلهًا والإله يمكن أن يتجسّد في هيئة بشر. عاش  
المسيح في البداية حياة عادية كبقية أقرانه بين قومه من اليهود، إلّا أنّ تعامله مع غير اليهود جعله يدقّ  
أبواب الشّهرة، حيث جذبت دعوته وتعاليمه وأفعاله بعضهم ونفّرت منه البعض الآخر، إلّا أنّ رسالته  
وتعاليمه كانت مخالفة لما كان ينتظره اليهود ومخالفة أيضاً لمعتقدات غير اليهود، فقد كان المسيح حاملاً  
لرسالة أخلاقية غايتها إصلاح باطن الفرد كشرطٍ أساسيٍّ من شروط دخول الملكوت السّماوي، وهذا  
ما دفع اليهود إلى التأمّر عليه بحكم أنّهم كانوا في انتظار المخلّص الذي يقيم لهم مملكة أرضية، ويحرّزهم  
من الاستعباد الذي عانوا منه طيلة قرون عديدة، أمّا غير اليهود فكانوا يستغربون ويتعجّبون من رجل  
بسيط مثله استطاع أن يحظى بهذه الشّهرة كلّها ويقوم بأفعال لا يقوم بها -حسب نظرهم- سوى الإله،  
لتكون خاتمة حياته مأساوية وتنتهي بعدها بالصّلب على يد القوّات العسكرية الرومانية بحسب روايات  
الأناجيل.

## مقدمة البحث.

المسيح صُلب، مات وقُبر! لكن حياته لا تنتهي هنا! فحين قام من قبره ظهر بعد ثلاثة أيام من دفنه وقد رآه أتباعه -حسب روايات الأناجيل-، هذا الحدث إضافة إلى أحداثٍ أخرى حصلت معه، جعلتهم يؤمنون بظهوره وحضوره الدائم في نفوسهم، وامتد ذلك التأثير إلى غاية يومنا هذا، حيث أسال المسيح أفلاناً كثيرة وحير عقولاً عديدة عبر مختلف العصور في سبيل التوصل إلى كشف هويته الغامضة، فلقد تطورت في عصرنا الحالي الأبحاث الفردية والجماعية (المؤسسات) التي تنقص أثر المسيح ونشرت الكثير منها واختلفت مناهج وأساليب الباحثين المتبعة في ذلك وكذلك نُظمت محاضرات وندوات وملتقيات عديدة لمناقشة هويته، إذ يتسارع هذا النوع من البحوث بوتيرة كبيرة يعتقد أصحابها أنهم اكتشفوا أموراً مهمة تكشف حقيقة المسيح وهويته ورسالته.

يعتبر "فريدريك لونوار Frédéric Lenoir" أحد هؤلاء الدارسين المهتمين بالمسيح ورسالته وهويته، له كتابات عديدة في المسيحية سواء كانت مقالات أو محاضرات أو كتب، وقد أثار كتابه الذي صدر سنة 2010 المعنون ب: **Comment Jésus est devenu Dieu** "كيف أصبح المسيح إلهاً" ضجة كبيرة في أوروبا خاصة في فرنسا، حيث نظر إلى المسيح نظرةً جديدةً مخالفة للعقيدة المسيحية الموروثة، وصاغها بأسلوب غير معتادٍ ما جعل أتباع الكنيسة الكاثوليكية يسارعون إلى الرد عليه، ومن هنا تظهر أهمية الموضوع فيما يلي:

### أهمية البحث:

- تجدر بنا الإشارة إلى أنّ أهمية دراسة مؤلّف فريدريك لونوار لا تكمن في ندرة الكتب المسيحية أو التقديرات التي تعالج موضوع يسوع بمناهج حديثة، بل في طريقة المؤلّف الجديدة وكيفية معالجته لهذا الموضوع الذي صيغ بأسلوب شيق وبسيط موجه إلى كلّ القراء وعامة الناس الشغوفين بمعرفة شخص يسوع وتاريخ المسيحية، وهو موجه في نفس الوقت إلى المتخصصين أيضاً نظراً إلى عمق أسلوبه وغزارة معلوماته واعتماده على الكتب المسيحية الموثوقة والتي ساهمت في إبراز القيمة العلمية للكتاب.

- لهذه الدراسة أهمية قصوى في عصرنا الحالي بحكم حاجتنا الماسة إلى ما تطرحه من تحليلات واستنتاجات، فالمسيح من أكثر الشخصيات التي تحوز على أتباع كثيرة في العالم، ولهذا وجب الكشف عن حقيقة شخصه ومضمون رسالته، كما أنّ هذا الموضوع يُعتبر موضوعاً جديداً ومستجداً في كلّ عصر خاصة بعد ظهور بعض العلوم التي ساهمت كثيراً في بيان بعض الحقائق مثل علم الآثار

## مقدمة البحث.

والاكتشافات الحديثة كمخطوطات قمران، حيث عاد "المسيح" بعدها إلى الواجهة وأدى بالدارسين إلى حوض بحث جديد عن المسيح بعيداً عن مسيح التاريخ (صورته التقليدية)، كما أنّ الموضوع جد حساسٍ بحكم أنّه يتوغّل بعمقٍ داخل أرضية مُلغمةٍ بمفاهيم وأفكارٍ وجبّ غربلتها وتصحيحها، وذلك بالتعرّض للجوانب التاريخية والدينية والسياسية التي أدت إلى تأليه المسيح وكذلك محاولة مجانستها مع آراء العلماء والمحلّلين للوصول إلى خلاصة حقيقة عن هوية المسيح وأسباب تأليهه.

- أن تُشعر الطالب المتخصّص في الدراسات الدينية بأهمية الموضوع من خلال هذه المساهمة البسيطة في إثراء الرصيد المعرفي وبيان أهمية دراسة لونوار فريدريك في كشف بعض الحقائق من خلال عرضي للموضوع.

- يكشف لنا الموضوع عن بعض الحقائق التاريخية المرتبطة بالواقع السياسي والإيديولوجي للجماعات المسيحية الأولى وكيف أثر ذلك في كتابة الأناجيل وصياغتها النهائية وكذا تقنينها ورسم معالم العقائد المسيحية خاصة المتعلقة بتأليه المسيح.

- التعرف على شخصية جديدة ساهمت في كشف حقيقة "شخصية المسيح" بطريقة جديدة وبأسلوب مختلف ومختصر.

### إشكالية البحث:

نظرًا إلى أهمية موضوع المسيح وكونه قضية الكثير من الدارسين قديمًا وحديثًا بدافع البعد الروحي الذي تحمله رسالته وتأثيره على الكثيرين في العالم، ارتأيت البحث في أحد المؤلفات الغربية الحديثة للفيلسوف الفرنسي فريدريك لونوار لمعرفة موقفه من شخص المسيح، خاصة بعد الاكتشافات الحديثة والتطور العلمي والتكنولوجي الذي تعيشه البشرية وانسياق الكثيرين وراء العلمنة والاحاد وتكذيب الأديان.

كما تجدر الإشارة إلى أنّ الدارسين والمؤمنين بالمسيح يختلفون في تحديد هويته فمنهم من يراه: نبياً، ومنهم من يراه رجلاً حكيماً، أو ملك اليهود المنتظر، ابن الله، وإلهًا، وأيضًا يوجد من يعتبره مجرد أسطورة وشخصية خيالية مختلفة غير موجودة في التاريخ البشري، ولأنّ موضوع المسيح وموقف الغرب المسيحي منه من المواضيع المعقدة نظرًا إلى اختلاف الرؤى، اخترنا من بين الدراسات الغربية الحديثة كتاب فريدريك لونوار كنموذج لدراسته، فجاء التساؤل الرئيسي للبحث كالتالي:

ماهي خصائص يسوع المسيح من خلال كتاب فريديريك لونوار المعنون ب: Comment

(Jésus est devenu Dieu)؟

ويتفرع عن هذا التساؤل العديد من الإشكالات الفرعية أذكرها كما يلي:

- من هو فريديريك لونوار؟ وماهي دواعي تأليف كتابه قيد الدراسة؟
- ما موقف أتباع الكنيسة الكاثوليكية من مؤلف فريديريك لونوار؟ وكيف تلقته؟
- ما هي خطة لونوار ومصادره في بحثه للكشف عن هوية يسوع؟
- من هو يسوع في نظر لونوار؟ وماهي حججه التي اعتمدها وكيف برّر لموقفه؟
- هل كان لونوار موقفاً في دراسته أثناء محاولته الكشف عن هوية يسوع والإجابة عن السؤال الذي ظل يتكرر طيلة قرون: من هو يسوع؟ فجاء عنوان دراستي كما يلي:

[يسوع المسيح من خلال كتاب: Comment Jésus est devenu Dieu- لفريديريك لونوار]

-دراسة تحليلية نقدية-

أهداف الدراسة:

تسعى هذه الدراسة إلى تحقيق مجموعة من الأهداف أبرزها:

- بيان خصائص المسيح التي رسمها فريديريك لونوار في كتابه، وتقييم جوانب دراسته وكذلك مدى اختلافها عن باقي الدراسات الحديثة استناداً إلى أقواله وآراءه.
- تحديد صورة المسيح التي رسمها فريديريك لونوار في كتابه ومدى تطابقها مع النظرة الإسلامية للمسيح عليه السلام.
- التعريف بشخصية مؤثرة ومؤلفه.
- محاولة دراسة المسار التاريخي لتأليه المسيح التي تضمنها كتاب فريديريك لونوار.

منهجية الدراسة:

لقد تمّت معالجة موضوع الدراسة وفقاً لأسلوب التكامل المنهجي من أجل الوصول إلى بيان خصائص المسيح في كتاب فريديريك لونوار، وكذا الحكم على صحّة نظريته من خلال ما توفّر من دراسات سواء غربية أو إسلامية، فمسألة المسيح مسألة دينية إجتماعية وسياسية، لهذا لا ينبغي الإكتفاء بمنهج واحد، بل يجب أن يتعدّى الأمر إلى اعتماد مناهج متعدّدة أبرزها:

## مقدمة البحث.

**المنهج الوصفي:** الذي ساعد في عملية وصف الأحداث الأولى لميلاد المسيح كما صورها الكاتب وبعض مراحل حياته وطريقة انتشار دعوته في قرونها الأولى وما أسفر عنه من نتائج أدت إلى تدخّل الأباطرة في تقنين العقائد المسيحية.

**المنهج التحليلي:** من جهة أخرى تأخذ الدراسة منحى المنهج التحليلي الذي تبرز فيه الذات الباحثة من خلال تحليل أفكار الكاتب وإعادة بنائها لتحقيق الهدف المرجو من اختيار هذه الدراسة، ويعتبر هذا المنهج الغالب على محتوى البحث، فلا يكاد يخلو فصل من فصول الدراسة إلا وحللنا فيه الأفكار المطروحة مع المحافظة على منهج الكاتب في بعض الفصول وإثرائها بالمادة العلمية اللازمة، كتعريف بعض الشخصيات المهمة واستحضار النصوص المقدسة التي أشار إليها الكاتب بالمعنى فقط وكذلك تحليل النتائج التي تمّ التوصل إليها، وذلك بالتركيز على طبيعة يسوع وهويته كما صورها فريدريك لونوار في مؤلفه قيد الدراسة، حيث تمّ تحليل ظروف الجماعة المسيحية الأولى (أتباع يسوع) أثناء حياته وبعده مباشرة وما تلاها من أحداث، في خضمّ سعي تلاميذ يسوع وأتباعه إلى الحفاظ على مضمون رسالة معلّمهم، إلا أنّ اختلاطهم بغير اليهود أدّى إلى انبثاق وتفتّق أفكار ومعتقدات جديدة وبالتالي ظهور انشقاقات داخل الجماعة المسيحية، نتجت عنها فرق وطوائف ساهمت في طمس معالم دعوة يسوع وزيادة حجم الغموض الذي يلفّ شخصيته كما سنرى بين ثنايا البحث.

**المنهج المقارن:** يظهر بتسّتر في جميع الفصول البحث، وذلك بمقارنة بعض الأحداث المذكورة في كتاب لونوار وما تؤمن به الكنيسة الكاثوليكية من جانب ومقارنتها أيضاً باعتقادات المسلمين من جانب آخر وكذلك تقييم بعض الأحداث على أساس معايير دينية صحيحة وسامية.

**المنهج التاريخي:** وهو المنهج المعتمد من طرف الكاتب، فقد ساهم في إبراز دور الأحداث التاريخية المتتابعة في تشكّل العقائد المسيحية، حيث يساعد في القيام بعملية الرصد التاريخي والإيضاح من خلال التتبّع التاريخي لانتشار دعوة المسيح وتمسك التلاميذ الأوائل بتعاليمها وكذا الفرق الكثيرة التي ظهرت بعد نهاية المسيح على الأرض، كما أنّه ساعد في الربط بين شخص يسوع وتقنين العقائد المسيحية من جانب، وبين إظهار مدى ترابط الأحداث وارتباطها بتشكّل العقائد المسيحية من جانب آخر، حيث سيّضح من خلال هذه الدراسة استناداً إلى المنهج التاريخي كيف أنّ القمع والعزل

## مقدمة البحث.

والتعذيب الذي تلقاه أتباع يسوع طيلة القرون الأربعة الأولى لم يمنعهم من التوقف عن أتباعه ونشر دعوته في أغلب أنحاء المعمورة، إذ لم يمت آخر شهيد حسب التاريخ المسيحي إلا بعد أن أرسى قاعدة الإيمان المسيحي، كما وضّح المنهج التاريخي أيضًا دور الأباطرة الرومان في تحويل عقيدة الشهود الأوائل وإقامة مجامع وفرض عقائد تخدم مصالح حكمهم وتقنينها، وكذلك إلزام الجميع بها مع فرض عقوبات على المخالفين، كما بيّن المنهج أيضًا كيفية فرض الأوامر من طرف الأباطرة الرومان من خلال دعوة الجميع إلى التمسك بها بالاعتماد على توظيف حُلم المسيحيين مَطِيَّةً من أجل تحقيق نفوذ سلطتهم وسلب ممتلكاتهم والسيطرة عليهم وعلى بلدانهم.

**المنهج الاستقرائي:** وهو أداتي التي اعتمدها في جمع المادة العلمية وتركيبها وتنسيقها من أجل الوصول إلى النتائج والأهداف المرجوة من البحث.

**المنهج النقدي:** الغاية منه نقد آراء لوناو حول خصائص شخص المسيح استنادًا إلى مجموعة من المصادر المختلفة الغربية والإسلامية.

### الدّراسات السابقة:

لقد تناول الباحثون موضوع يسوع بكثرة قديمًا وحديثًا واعتمد أغلبهم في ذلك على نفس المصادر والمراجع (على رأسها الكتاب المقدّس وأمّهات الكتب التاريخية المسيحية)، حيث اختلفت تلك الدّراسات حسب ميول ومعتقد وكذلك غاية كلّ دارسٍ، فهناك من اهتمّ بالبيئة التي نشأ فيها المسيح، وهناك من اهتم بميلاده ومعجزاته وألوهيته وببشريته، وبعده مناهج، النقديّة منها والتحليلية وكذلك المقارنة..

ورغم كثرة هذه الدّراسات إلا أنّ مسألة "هوية المسيح" من المسائل التي أثّرت بقوة بعد ظهور حركة نقد الكتاب المقدّس واتّجاه الكثير من الباحثين إلى دراسة هوية المسيح والكشف عن سرّه الذي ظلّت الكنيسة تُخفيه طيلة قرونٍ عديدةٍ، فانتشرت بحوثٌ كثيرة في هذا المجال، إلا أنّ موضوع: "يسوع المسيح من خلال كتاب: **Comment Jésus est devenu Dieu** لفريدريك لوناو -دراسة تحليلية نقدية- واعتمادًا على هذا العنوان بالتحديد ووفق النظرة التي أريد أن أدرسها والخطة التي انتهجتها حسب اطلاعي لم أجد ما يُماثلها في مختلف الدّراسات والكتب، مع التنويه إلى وجود دراسات أخرى متفرقة ومقالات استفدت منها كثيرًا.



كما تجدر بي الإشارة إلى أنني حاولت قدر المستطاع خصّ كلّ جزئية وما يتناسب معها من مصادر مسيحية أو إسلامية، وأخرى تخدم الموضوع، ومن بين الدراسات السابقة التي اطلعت عليها واعتمدت على جزئيات منها لكتابة هذا البحث:

دراسة للاهوتي الفرنسي: (Bernard Sesboué) برنارد سيسبويه في كتابه المعنون ب:

### **Christ, Seigneur et fils de Dieu libre réponse à Frederik Lenoir**

والذي كان ردًا على كتاب فريدريك لenoir وفق النظرة الكاثوليكية التي رفضت كتابه واعتبرته هجومًا على العقيدة الموروثة، حيث سعى الكاتب من خلال بحثه إلى الرد على أفكار لenoir وتفنيده أطروحته، وقد ساعدني كتابه في فهم أفكار لenoir بشكل أفضل.

- مقال آخر للصحفي الكاثوليكي: (René Poujol) رونييه بوجول
- كتاب آخر فريدريك لenoir، تحت عنوان "موجز تاريخ الأديان" ترجمه محمد الحداد، كان أيضًا له دور في فهم نظرة الكاتب إلى يسوع ورسالته.
- دراسة للطالب ياسين اليحيوي في مقال له تحت عنوان: المسار التاريخي لتأليه المسيح - قراءة في كتاب بارت إيرمان: كيف أصبح يسوع إلهًا - How Jesus Became God - وقد كانت الغاية من إدراج هذا المطلب في الدراسة هي معرفة الفرق بين دراسة فريدريك لenoir ودراسة بارت إيرمان خاصة أنّهما وظّفا نفس العنوان.

### **المصادر والمراجع:**

هذا بالإضافة إلى العديد من الكتب التاريخية المختلفة والعديد من المصادر والمراجع الأخرى، أمّا عن تحليل صورة المسيح في كتاب لenoir ونقدها واستخراجها من كتاب فريدريك لenoir في المكتبة العربية والإسلامية فإنّي لم أعتز على أيّة دراسة خاصّة بذلك، واستعنتُ بالعديد من الدراسات المختلفة من نقد إسلامي وغربي وتفسير إسلامية لنقد آراء لenoir.

### **الفرق بين دراستي والدراسات السابقة:**

رغم استفادتي من بعض الدراسات السابقة وبعض المصادر والمراجع المتعلقة بالمسيح ووجود تشابه بين عناصر البحث باعتبار هذا الأخير هو محور تلك الدراسات كلّها، إلّا أنّي لاحظت عدم اهتمام



## مقدمة البحث.

المسلمين والعرب بكتاب فريدريك لونوار الذي أثار ضجة في أوساط الغربيين بأروبا بعد نشره كما سنرى في الفصل الأول من هذا البحث، حيث اعتبر الغرب المسيحي كتبه بصفة عامة والكتاب الذي أنا بصدد دراسته كسرًا للعقيدة المسيحية الموروثة، فسارعوا إلى الرد عليه عكس المسلمين رغم وجود تشابه بين أفكار الكاتب ومعتقدات المسلمين بخصوص المسيح عليه السلام.

كما أنّ الدراسات الغربية التي ناقشت كتاب فريدريك لونوار سعت إلى الرد عليه من أجل إثبات ألوهية المسيح، بينما قُمتُ في دراستي بالتركيز على إبراز خصائص المسيح في الكتاب وتصحيح بعض المفاهيم التي أوردها الكاتب خاصة التي تتشابه مع ما يؤمن به المسلمون، كما أنّ أغلب الدراسات المطروحة حول يسوع قديمة، لهذا ارتأيت انتقاء ما استجدّ منها حديثًا، حيث حدثت تطورات جذرية ومعاصرة تضمّنتها الدراسات الخاصة بهوية المسيح، فقد اتّسمت بعضها بالطابع الوصفي والسرد التاريخي بينما اعتمدت المنهج التحليلي والنقدي والتزمت قدر المستطاع سبيل الحيادية والموضوعية، وهناك من قام بتقزيم الجانب اللاهوتي من دراسته على حساب جوانبها الأخرى، بينما تناولها البعض من منظور فلسفي بحت، والحال أنّ بعض الدراسات غلب عليها أسلوب التّميّط والتعميم، حيث يستشهد أصحابها بوقائع تاريخية تنتمي إلى حقبة زمنية معيّنة وتختصّ بمجموعة مسيحية دون الأخرى، ويُرفقون تلك الاستشهادات بتحليلات وإسقاطات مغالطة بسبب الوقوع في فخاخ التعميم، وذلك لأنهم لم يخوضوا بحثًا في الحقائق المسيحية المطموسة، ولم يتطرقوا إلى نقاش الأحداث المهمة التي ساهمت في تأليه المسيح، وهذا ما حفّزني للبحث في هذا الموضوع ومحاولة توسيعه بالقدر المستطاع، وذلك بتسليط الضوء على مميزات دراسة لونوار بصفة عامة وخصائص المسيح في كتابه بصفة خاصة، ونقدها بالاستعانة بالمنظورين الإسلامي والغربي، وتجدر الإشارة إلى أنّي اعتمدت غالبًا الدراسات الحديثة ونادرًا ما أعود إلى كتب التقد المشهورة عند المسلمين.

### صعوبات البحث:

لقد واجهت هذه الدراسة جملةً من الصعوبات، أبرزها:

- قلة الدراسات الإسلامية التي اهتمت بمؤلفات لونوار بصفة عامة وبكتابه (كيف أصبح يسوع إلهاً) بصفة خاصة، مع تسجيل وجود بعض الدراسات بشكل محتشم، بحكم أنها عاجلت فقط خطوطاً عريضة دون التوغّل في تفاصيلها.
- انتماء مجال هذه الدراسة إلى حقل العلوم الإنسانية، وفي مثل هذه الدراسات والعلوم يجد الباحث نفسه في مواجهة صعوبة كبيرة في التحرر من عواطفه والتزام الموضوعية وكذلك اختيار الألفاظ المناسبة الخالية من أيّ انفعال، وعليه حاولت قدر المستطاع الابتعاد عن أي تحيّز أو ميول.
- مشكلة الترجمة وصعوبتها خاصة وأنها تنتمي إلى الحقل الديني، وهو حقل حساس يتطلب الكثير من التركيز، ما دفعني إلى التأكد من الترجمة بالعودة إلى العديد من المصادر للوقوف على صواب الفكرة التي قمت بترجمتها خاصة وأنّ أغلب الأفكار التي ذكرها الكاتب غير موجودة في المصادر العربية، ما دفعني إلى إجراء بحثٍ مطوّلٍ من أجل التدقيق في صحّة الأفكار وتوثيق الأحداث .
- تشابك موضوع دراستي مع مواضيع أخرى تحتاج إلى بحث وتحليل عميقين، ولعل أهمّها نقد النصوص المقدّسة، باعتبارها الأساس التي بنى عليها الكاتب أطروحته.
- صعوبة الوصول إلى العديد من المصادر والمراجع.

### دوافع اختيار الموضوع:

تعددت الأسباب التي جعلتني أخوض غمار هذا البحث، منها ما هو ذاتي ومنها ما هو موضوعي.

### دوافع ذاتية: أذكرها في شكل نقاط كما يلي:

- بعد ظهور وبرز فريدريك لونوار في الساحة العلمية وانتشار مؤلفاته في أنحاء العالم بلغات مختلفة، كنت أتابع باهتمام فتاةً فرنسية عبر قناتها الخاصة في اليوتيوب، تقوم بنشر عناوين كتب وملخصات المؤلفات التي اطلعت عليها، ومن بين الكتب التي أبدت فيها رأيها هو كتاب فريدريك لونوار (كيف أصبح يسوع إلهاً)، وبما أنني متخصصّة في مجال مقارنة الأديان وأميل إلى الدراسات

## مقدمة البحث.

المسيحية، استوقفني المؤلف فبحثت عنه بغية دراسته، كما أنه كان لمشرفي الدكتور حايبي مسعود -ذكره الله بالخير- دور في اختيار هذا الموضوع والثناء عليه لما يحمله الكتاب من قيمة علمية ونقدية باعتباره موضوع العصر الحديث بمناهج علمية حديثة وبجَلَّة جديدة، فانتابني رغبة كبيرة حفزتني إلى السعي من أجل إثراء البحث العلمي والمكتبة الاسلامية عن طريق ترجمة كتاب فريدريك لونوار.

- حَيِّي وشغفي الكبيرين بعلم مقارنة الأديان، وكذلك رغبتني الشديدة في دراسة موضوعاته المختلفة خاصة المتعلقة بالمسيحية والمسيح الذي يعتبر حجرها الأساسي.
- الرغبة في التعامل مع المصادر الأجنبية والاهتمام بمثل هذه المواضيع، خاصة المتعلقة بنقد العقائد المسيحية.

### دوافع موضوعية:

- إنّ الأسباب الموضوعية التي جعلتني أختار هذا الموضوع كثيرة منها ما هو متعلق بالنقد الغربي للعقائد المسيحية بصفة عامة ومنها ما هو خاص بنقد عقيدة "الألوهية" بصفة خاصة.
- هناك دوافع آتية من كون الدراسة تناقش موضوعًا حساسًا بالنسبة للغرب المسيحي يتمثل في هوية المسيح.
- الكشف عن البعد التاريخي لتأليه المسيح استنادًا إلى مجموعة من الحقائق التاريخية التي أوردها لونوار في كتابه ودورها في تصوير يسوع كإله متجسّد.
- تناقش هذه الدراسة موضوعًا حساسًا بالنسبة للأمة العربية الإسلامية باعتبار أنّ المسلمين يعترفون به كنيي ويسعون دائمًا إلى إثبات ذلك بأدلة قرآنية، فكانت هذه الدراسة بمثابة برهان يدعم صحة أقوالهم.
- إبراز القيمة العلمية للكتاب خاصة في مجال مقارنة الأديان، والاستعانة به من أجل الرد على شبهات المسيحيين.
- اكتشاف الأسباب الحقيقية التي أدت إلى ظهور عقيدة التثليث حسب وجهة نظر لونوار.
- الرغبة في تحسين الإنتاج المعرفي وزيادته والحاجة أيضًا إلى فهم هذه الأمور وتفسيرها باعتبار معرفة الدين قائمة على معرفة معتقداته وجوهره.
- كشف النقاب عن بعض الخفايا والدوافع المتعلقة بتأليه المسيح.

### خطة الدراسة:

حاولت رسم خطة لبحثي تتناسب مع الإشكاليات المطروحة أعلاه وجاءت بالشكل الآتي:

- **المقدمة:** عرّفت فيها بموضوع الأطروحة وأهميته وتساؤلات البحث، والأسباب التي دفعتني إلى اختيار هذا النوع من الدراسات، وبيّنت بعدها المنهج الذي سأعتمده في الدراسة، ولكي تكون الإجابة على تساؤلات الدراسة منظمّة وسهلة الفهم، فقد تمّ تجزئة خطة الدراسة إلى خمسة فصولٍ وتمّ تقسيم كل فصل إلى مجموعة من المباحث والمطالب الفرعية، حيث يناقش كل مبحث جانبًا معيّنًا من جوانب الموضوع الرئيسي للفصل:
- **الفصل الأول:** إذ خصّصت الفصل الأول كمدخل تمهيدي يحتوي على ثلاثة مباحث، تناول المبحث الأول التعريف بالكاتب: مولده، نشأته، أهمّ مراحل حياته، مؤلفاته، والجوائز التي تحصّل عليها والتعريف بالكتاب الشكّل الخارجي والداخلي ودواعي تأليفه، أمّا المبحث الثاني فهو عبارة عن دراسة نقدية لكتاب فريدريك لونوار من حيث المنهج والأسلوب والمصادر، كما تناولت دراستين نقديتين لبرنارد سيسوييه ورونو بوجول، ثمّ ناقشت في المبحث الثالث مجموعة مواقف لشخصيات غربية معروفة حول آرائهم بشأن المسيح عليه السلام.
- **الفصل الثاني:** جاء هو الآخر في ثلاثة مباحث: المبحث الأول: ناقشت فيه أدلة وجود المسيح تاريخيًا ونظرة معاصريه إليه مستعرضة أهمّ التّصوّص الإنجيلية التي تبين اختلافات معاصري يسوع حول هويته، وأهم أقوال يسوع عن نفسه وأفعاله التي توضح أكثر نظرة الكاتب إلى يسوع المسيح وموقفه من شخصه، وفي المبحث الثاني بيّنت أدلّة الكاتب على أنّ نبوءات يسوع عبارة عن تكلمة للكتابات اليهودية وأنّ يسوع هو المسيح المنتظر بالنسبة لليهود، وفي المبحث الثالث ناقشت فيه بداية تخطّي الكتابات اليهودية وإطلاق ألقاب الإله على يسوع وكذلك أسباب ظهورها الذي يعتبر بداية الجدل الكريستولوجي.
- **الفصل الثالث:** قسّمته هو الآخر إلى أربعة مباحث، حيث بيّنت في المبحث الأول من الفصل انتشار دعوة المسيح بين الوثنيين وكيفية تلقّيهم لها وكذا الاضطهادات التي عانى منها أتباع المسيح الأوائل في العصر الأول، بعدها ظهور إنجيل يوحنا والكلمة، أمّا المبحث الثاني ففيه ناقشت الجدالات الأولى حول هوية يسوع والتجسّد والاختلافات بين المسيحيين من أصل وثني والمسيحيين من أصل يهودي، بينما في المبحث الثالث ذكرت حسب نظرة الكاتب الفرق الأولى التي انشقت عن الجماعة المسيحية الأولى وتطرقت إلى ظهور تيارات مختلفة واختلافهم حول هويته بحيث أخذت

صورة يسوع تسلك بعداً آخر وفي المبحث الرابع: تطرقت إلى مختلف الاضطهادات التي عاشها المسيحيون في نهاية القرن الثالث.

● **الفصل الرابع:** تناولت في المبحث الأول منه موقف الإمبراطور من الدين الجديد ومساهمته في توحيد أصوات المسيحيين وتركيزه على عقد مجمع نيقية وإدانة أريوس وغيرها من الأحداث المهمة في تلك الفترة، أمّا المبحث الثاني فتناول انتصار الإمبراطور وفرض عقيدة التثليث واعتبارها دين الدولة، كما أتني في المبحث الثالث تناولت قضية نسطور والمذهب النسطوري وفي المبحث الرابع تناولت المعركة الكريستولوجية إلى غاية انعقاد مجمع خلقيدونية، مع ذكر تفاصيل مهمة ساهمت كثيراً في طمس معالم يسوع وهويته الأصلية.

● **الفصل الخامس:** وهو آخر فصل جاء في ثلاثة مباحث، نقدت فيه نظرة لونوار إلى يسوع المسيح من خلال ما صرّح به في خاتمه كتابه وفي ثنايا دراسته، ففي المبحث الأول قمت بنقد قيامة يسوع وحضوره الفعلي، وفي المبحث الثاني نقدت مضمون رسالة المسيح وعالميتها، أما في المبحث الثالث نقدت علاقة المسيح بالله ومكانته عنده.

وفي الأخير تأتي الخاتمة لتشكّل نتائج البحث المتوصّل إليها، حيث كانت في شكل إجابة مباشرة عن التساؤلات التي طرحت من قبل، وذلك بإبراز خصائص يسوع في كتاب فريدريك لونوار وموقف الإسلام منها.

وقد سعيْتُ قدر المستطاع إلى الموازنة بين عدد مباحث الفصول وحجم الصّفحات والتناسق بينها رغم الاختلاف في عدد المباحث بين الفصل الثالث وبقية الفصول بسبب الصّورة المنهجية.

اللّهم وقّقنا لما تحبّه وترضاه، ولك الحمد أوّلاً وآخرًا وأبدًا...



# الفصل الأول: أشراج سرى

- التعريف بالكاتب والكتاب.
- دراسة نقدية لكتاب فريدريك لونوار من حيث المنهج والمحتوى.
- يسوع في ميزان النقد الغربي.



تمهيد:

إنَّ اختلاف نظرة النقاد الغربيين وكذا دارسي الكتاب المقدس وحتى اللاهوتيين تجاه شخص يسوع المسيح أدّى إلى ظهور العديد من الكتابات عنه، وقد كثرت في الآونة الأخيرة بسبب التطورات التي عرفتتها البشرية خاصة بعد ظهور الطباعة ومختلف وسائل التكنولوجيا وكذلك الاكتشافات الأثرية الحديثة -مخطوطات البحر الميت خاصة- التي سهّلت من عمليات البحث والتنقيب وكشف حقائق كثيرة.

كما أنّ التركيز على العقل في تفسير النصوص المقدسة بعد ظهور حركة نقد الكتاب المقدس في الغرب أدّى إلى وضع "المسيح" فوق مشرحة النقاد، حيث أصبح موضوعًا يتناوله الكثير من المفكرين والباحثين المهتمين بالدراسات الدينية والتاريخية، فألّفوا كتبًا كثيرة ونشروا مقالات عديدة حوله وبرزوا من خلالها آراءهم بشقّي الطُرق، وذلك باعتمادهم أدلّة استقوها بعناية شديدة من أجل خدمة أفكارهم ووجهات نظرهم، إذ تجدر بنا الإشارة إلى أنّ أهمّ ما يميّز الدراسات المعاصرة حول المسيح في الغرب هو اهتمام الدارسين بتعاليمه وجوانب حياته الأخلاقية والإنسانية، فاعتبروه معلّمًا ومصالحًا بشريًا استطاع بفضل تعاليمه التغلّب على عقلية اليهود المتحجرة، وتمكّن من تغيير الكثير من القواعد الأخلاقية المنشرة في العالم القديم، حيث أتبعت العديد من الشعوب تعاليمه إلى أن أصبحت دعوته الأكثر انتشارًا في العالم، ولكنّ هويته رغم ذلك بقيت محلّ نقاش وخلافٍ، تمخّض عنها صدام حصل بين من يقول بالوهيته ومن يقول ببشريته.

وقد كان "فريدريك لونوار" من بين المعاصرين الذين حاولوا الكشف عن هوية يسوع عبر كتابه: (Comment Jésus est devenu dieu)، الذي أثار ضجّة إعلامية في العالم الأوروبي خاصة بفرنسا، وعليه كان هذا الفصل بمثابة مدخلٍ للتعريف بالكاتب والكتاب وكذلك التعرف على أسباب التّأليف وكذا دراسة نقدية لمحتوى الكتاب.



## الفصل الأول: مدخل تعهدي

المبحث الأول: التعريف بالكاتب والكتاب.

يرتكز موضوع دراستي بالأساس على كتاب المفكر "فريدريك لونوار" المعنون بـ: ( Comment Jésus est devenu Dieu)، واستخراج خصائص المسيح كما رسمها الكاتب، وبناءً على هذا تقتضي مَيَّ المنهجية العلمية إعطاء نبذة عن حياته العلمية والعملية، واستعراض بطاقة عن الكتاب ودواعي تأليفه، لهذا قمتُ بتقسيم هذا المبحث إلى مطلبين كما يلي:

**المطلب الأول: التعريف بشخصية فريدريك لونوار (Frédéric Lenoir):**

فريدريك لونوار من أكثر الشخصيات المثيرة للجدل في عصرنا الحالي، له آلاف المتابعين حول العالم المهتمين بأفكاره، والذين يُتابعونه عبر قنواته في اليوتيوب وصفحته الرسمية على الفيسبوك، حيث يقوم بنشر العديد من المواضيع الفلسفية والروحية وكذلك قضايا التأمل، إذ يحوز على العديد من الكتب والمؤلفات ذات الصيت العالمي.

فريدريك لونوار فيلسوفٌ وعالم اجتماع، محاضر، كاتب فرنسي، ودكتور بالمدرسة العليا للعلوم الاجتماعية بفرنسا<sup>(1)</sup> وباحث مشارك فيها منذ سنة 1991م، كاتب لأكثر من أربعين مؤلفاً، وساهم مع آخرين في تأليف ثلاث موسوعات، عرفت مؤلفاته انتشاراً واسعاً ونجاحاً باهراً وترجمت إلى أكثر من عشرين لغة<sup>(2)</sup>.

لقد صنّف "لونوار" ضمن قائمة المؤلفين الخمسة عشر الذين حققت مؤلفاتهم أعلى نسبة مبيعات في السنوات الخمسة الأخيرة حسب تصنيف GFK l'obs et de<sup>(3)</sup>.

**نشأته ومولده:**

فريدريك لونوار من مواليد 3 جوان 1962م بتناناريفو (Tananarive) بمدغشقر، في سنة 1964م رجع رفقة والديه إلى فرنسا، ليُقرراً بعد ذلك تنشئته وتربيته مع إخوته الثلاثة بدوردان في إيسون (Dourdan dans l'Essonne).

(1) [https://fr.bibliob.a.org/Fr%C3%A9d%C3%A9ric\\_Lenoir](https://fr.bibliob.a.org/Fr%C3%A9d%C3%A9ric_Lenoir) يوم 2017/09/22 على الساعة 17:30.

(2) [https://fr.bibliob.org/Fr%C3%A9d%C3%A9ric\\_Lenoir](https://fr.bibliob.org/Fr%C3%A9d%C3%A9ric_Lenoir) يوم 2017/09/18 على الساعة 00:20.

(3) <http://bibliobs.nouvelobs.com> يوم 2017/09/24 على الساعة 19:25.



## الفصل الأول: مدخل تعصيدي

والد فريدريك لونوار هو رونييه لونوار (René Lenoir) وزير دولة سابق لشؤون العمل الاجتماعي بفرنسا والمستشار السياسي للرئيس الفرنسي السابق "جاك شيراك" في فترة التسعينات، من مواليد 21 جانفي 1927م بالجزائر، توفي سنة 2017م<sup>(1)</sup> وله العديد من المؤلفات منها:

1. 1974 "Les exclus - Un Français sur dix".
2. 1985 "Le Tiers Monde peut se nourrir".
3. 1991 "Le cerisier d'IGHil".
4. 1995 "Quand l'État disjoncte".
5. 1998 "Repères pour les hommes d'aujourd'hui".
6. 2007 "Brèves de couloir : petit bêtisier du langage d'entreprise".
7. 2010 "ORAGES DÉSIRÉS", Roman historique.

تعرف ابنه فريدريك على الفلسفة بعد أن قام صديقه بتقديم هدية له، تمثلت في كتاب: "مأدبة أفلاطون" (*Le Banquet de Platon*) ولم يتجاوز بعد ثلاثة عشر سنة، ثم تعمق بعدها في فلسفة أبيقور، وأرسطو وغيرهم<sup>(2)</sup>.

أهم مراحل حياة فريدريك لونوار:

من 1970 إلى 1979م "استقراره في باريس":

كان "فريدريك لونوار" طالبًا مضطربًا غير مهيبًا لمزاولة الدراسات الأكاديمية، فقام على إثر ذلك بتغيير الثانوية ثلاث مرّات، إلا أنه اكتشف في مرحلة مراهقته العديد من المؤلفين من بينهم: الكاتب السويسري هيرمان هوس (Hermann HESSE: 1877-1962 م) والرّوسي دوستوفسكي (1821-1881م) اللذان أثرا وأيقظا في نفسه المسائل الوجودية، فبدأ شغفه يميل إلى حوض غمار الفلسفة ولهذا شرع في قراءة "ندوة أفلاطون" كما ذكرنا آنفًا.

من سنة 1980 إلى 1985م:

كان لعالم النفس السويسري كارل غوستاف يونغ (1875-1961 Carl Gustav Jung) الأثر الكبير في رسم مسار "لونوار" الفكري الذي حفّز رغبته في الاطلاع على أساطير وأديان العالم، حيث اهتم في بداية الأمر بعلم التنجيم والروحانيات الشرقية، بالخصوص البوذية التبتية، كما اهتم أيضًا

(1) <https://www.babelio.com/auteur/Rene-Lenoir/114198> يوم 2020/05/28م على الساعة 10:37.

(2) [https://frbibliob.Lenoir\\_\(1927\)](https://frbibliob.Lenoir_(1927)) يوم: 2016/12/20م على الساعة 01:30.

## الفصل الأول: مدخل تمهيدي

بالقبالة<sup>(1)</sup> وتابع على إثر ذلك دروسًا في اللّغة العبرية، فعلى الرّغم من أنّ فريديريك لونوار ليبرالي ومتحرّر جدًّا إلاّ أنّ تربيته الكاثوليكية تركت ذكرى سيّئة في نفسه بدلًا من أن تغرس في عمقه المبادئ والعقيدة، حيث صرّح بأنّ المسيحية لم تعد تهّمّه في مرحلة ما من حياته.

في سن 19 سنة قرأ لأول مرّة الكتاب المقدّس رفقة صديق طفولته عمانوئيل روبيليو (Emmanuel Rouvillois) من مواليد 1961م، الذي أصبح فيما بعد راهبًا تحت اسم الأخ صموئيل (Frère Samuel)، وكان ذلك التحوّل صدمةً كبيرةً بالنّسبة لفريديريك لونوار<sup>(2)</sup>.

بدأ دراسة الفلسفة في جامعة فريبورغ **Fribourg** بسويسرا وإلى جانب ذلك كان يقوم بلقاء الأستاذين: الفيلسوف الدومينيكي ماري (1895 - 1990 **Dominicain Marie**) والدومينيكي فليب (1912 - 2006 **Dominique Philippe**)، حيث بفضلهم سنة 1994م حقّق نشر كتابه: (*Les trois sagesses*)، والفيلسوف التلمودي إيمانويل لبيناس (1906 **Emmanuel Levinas**) - الذي ترك له وصية جميلة في كتابه: *Le Temps de la responsabilité* سنة 1991م. عاش رحلة روحية جعلته يتنقّل إلى الهند حيث أقام فيها، وكذلك أقام داخل الصوامع والأديرة المسيحية الموجودة في فرنسا، ثم تعقب دراساته الفلسفية وأمضى ما يزيد عن ثلاث سنوات في "جمعية القديس يوحنا (la Communauté Saint Jean) التي أسّسها الأب فيليب **le Père Philippe**.

من 1986 إلى 1990م بداية حياته المهنية:

لقد ترك فريديريك لونوار بصمته في العديد من المجالات منها: الدّين، الفلسفة، الأعمال الروائية، الصحافة، المسرح، السينما، ويستضاف أيضًا في العديد من البرامج التلفزيونية...

كانت تُنشر أعماله سواء المكتوبة (مقالات، روايات، كتب) منها أو المسموعة على وسائل التواصل الاجتماعي المختلفة على غرار: قناة التلفزيون، الراديو، اليوتيوب، الفايسبوك، ويجوز على متابعة

(1) القبالة : قبالة (*kabbalah*) علوم باطنية، كانت مخزونة في عقول الحاخامات اليهود وكانت في بدايتها مختصرة على الشعب اليهودي إلاّ أنّ المسيحيين لما وصلت إليهم أعجبوا بمضامين القبالة واعتبروا أنّ الطابع السري لعلوم القبالة هو الذي وقر لليهود المناخ الملائم لبقائهم أحياء، بعد أن انقرضت سائر الشعوب القديمة، نشأ هذا العلم في اسرائيل قبل السيّد المسيح بمئة وخمسين عام، أنظر: عبد المنعم جبري، المسيح عند اليهود والنصارى والمسلمين، (ط3، دار صفحات، دمشق سوريا، 2014م)، ص199.

(2) <https://www.fredericlenoir.com/bio-longue/> يوم: 2016/07/15م على الساعة 01:30

## الفصل الأول: مدخل تعصيدي

كبيرة في العديد من بلدان العالم، حيث ذاع صيته نتيجة أعماله وتأثيره في نفوس الكثيرين بسبب اهتمامه الكبير بالجانب الروحي، ونال على أثر ذلك العديد من الجوائز.

### الحياة المهنية:

بدأ فريدريك لونوار حياته المهنية كمدير لمجموعة من إصدارات دار النشر فيار **Fayard**، نشر ككاتب العديد من الكتب والمقالات وأبدى رأيه في مختلف المباحث والمسائل الفلسفية والروحية<sup>(1)</sup>.

### في سنة 1991م:

قام بتكريس وقته للكتابة واعداد أطروحته الخاصة بالدكتوراه في كلية الدراسات العليا للعلوم الاجتماعية المعنونة بـ: "البوذية في الغرب" (**le bouddhisme en Occident**) التي حصل على تهنئة بإجماع أعضاء لجنة المناقشة<sup>(2)</sup>، وذلك بعد أن قام بالاستقالة من منصبه كرئيس تحرير.

### في سنة 1992م:

بما أنه كان متحمسًا كثيرًا لقضايا البيئة، شارك في تأسيس جمعية: "بيئة بلا حدود" **Hubert** « **Environnement sans frontières** » ونشر سنة 2003م كتاب مع صديقه ( **Reeves** من مواليد 1936م) تحت عنوان: "هلاك الأرض **Mal de terre**" الذي يحذر من التهديدات التي تواجه كوكب الأرض والتحسيس والتوعية خاصة إزاء معاناة الحيوانات، كما دعا إلى وضع قانون يحمي الحيوانات والاعتراف بها ككائن حسّاس بدلاً من التعامل معها "كشيء مادي".

### في سنة 1994م:

أصبح باحثًا مشاركًا في كلية الدراسات العليا والعلوم الاجتماعية مع عالم الاجتماع والفيلسوف إدغار موران (**Egdar Morin** 1921م-2015م) أحد أعمدتها الفكرية الذي يقوم بعرض الواقع الديني بتوظيف منهج متعدّد التخصصات يجمع بين الفلسفة وعلم الاجتماع والتاريخ...

(1) <https://www.fredericlenoir.com/bio-longue/> يوم: 2016/07/15م على الساعة 01:30

(2) <https://www.fredericlenoir.com/bio-longue/> يوم: 2016/08/30م على الساعة 18:00.

## الفصل الأول: مدخل تعصيدي

سنة 1998م (في التلفاز Tv):

شارك على القناة الخامسة في سلسلة وثائقية لمدة خمس ساعات خاصة بظاهرة التدين في العالم: الطوائف، والفرق الدينية، والمثل العليا...

في سنة 2001م:

نشر روايته الأولى وهي رواية أخلاقية عنوانها: "le secret / السر" ثم أتبعها بروايتين تاريخيتين هما: "وعد الملاك la promesse de l'ange" مع الروائية الفرنسية (Violette Cabesos 1969) سنة 2004م وبعدها "رؤى لونا l'Oracle della Luna" 2006م، حيث بيعت منها أكثر من مليون نسخة في حوالي عشرون بلداً<sup>(1)</sup>.

سنة 2004-2013م (في مجال الصحافة Presse):

ترأس مجلة التحرير "عالم الأديان le monde des religions" التي تصدر كل شهرين والتي تقوم بتقديم مقاربة علمانية وثقافية للظاهرة الدينية، بعد أن كان يعمل بانتظام في جريدة وفي مجلة العلوم النفسية أيضاً.

سنة 2008م (على الراديو Radio):

منتج ومنتشط برنامج: (Les racines du ciel) على أمواج France culture وهو برنامج أسبوعي مخصص للروحانيات، تم عرضه لمدة ثمانية سنوات باستضافة الكاتبة والمترجمة ليلي أنفار Leili Anvar (من مواليد 1967م)، حيث كانت الحصة تُبث أسبوعياً كل يوم أحد في الساعة السابعة وخمس دقائق، ليستقبل بعدها ويكرس جهوده من أجل إنشاء جمعية SEVE<sup>(2)</sup>

سنة 2009م (في المسرح Théâtre):

ألّف مسرحية قصيرة بعنوان: "نعمة الإله la bonté divine" بمشاركة لويس ميشال Louis Michel (مواليد 1947م) وإخراج Giraud Roland و Christophe Lidon الذي مثل دور البطولة في المسرحية، حيث تم عرض هذه القطعة لأول مرة في باريس ثم في سويسرا وبلجيكا

(1) <https://www.fredericlenoir.com/bio-longue/> يوم 2016/08/01م على الساعة 23:00

(2) <https://www.fredericlenoir.com/bio-longue/> يوم 2020/05/29م على الساعة 08:15.

## الفصل الأول: مدخل تعصيدي

بشكل متواصل دون انقطاع منذ تأليفها سنة 2009م إلى غاية مارس 2011م ويجري أيضًا تعديلها لعرضها في خمس بلدان أخرى<sup>(1)</sup>. وفي سنة 2012م، قام بتأليف القطعة "عصر النهضة Renaissance"، والتي عُرضت في باريس بمسرح الإليزابيثي أو مسرح عصر النهضة<sup>(2)</sup>، حيث قام بإخراجها Christophe Luthringer.

سنة 2011م (في مجال التضامن):

أصبح راعيًا لجمعية "le pari solidaire"، التي أسسها Aude Messéan من أجل خلق روابط صلة بين الأجيال بغية التضامن من خلال استضافة كبار السن المنعزلين والطلبة ذوي الموارد المنخفضة وتكوين علاقة فيما بينهم، كما أصبح بعد ذلك راعيًا شريكًا في العديد من الجمعيات منها:

On passe à l'acte/ Les magiciennes d'Ôse<sup>(3)</sup>

في سنة 2009-2013م:

نشر العديد من الكتب في الفلسفة الوجودية التي انتشرت على نطاق واسع وبين جمهور كبير من بينها: (Trois maitres de vie : Socrate/ Jésus/ Bouddha) دار النشر (Fayard)، (Petit traité de vie intérieure) دار النشر (Plon)، (L'âme du monde) دار النشر (Nil)، (Du bonheur)، (un voyage philosophique) دار النشر (Fayard)<sup>(4)</sup>.

في سنة 2013م:

قام مع جمعية "30 مليون صديق" بالتركيز على "قضية الحيوان" وتضامن مع 23 مثقف كتبوا بيانًا يطالبون فيه بتعديل المادة 528 من القانون المدني التي تعتبر الحيوانات ثروة مادية، وقام على إثر ذلك بجمع أكثر من 800 000 توقيع، ليُتَّوَج هذا النضال بالاعتراف رسميًا بالحيوان ككائن حي حسّاس بعد اجراء التعديل من طرف الجمعية الوطنية في 2015/10/28م.

(1) <https://www.fredericlenoir.com/bio-longue/> يوم 2016/10/13م على الساعة 22:20.

(2) <https://www.fredericlenoir.com/bio-longue/> يوم 2020/05/29م على الساعة 08:58.

(3) <https://www.fredericlenoir.com/bio-longue/> يوم 2020/05/29م على الساعة 09:30.

(4) <https://www.fredericlenoir.com/bio-longue/> يوم 2016/12/12م على الساعة 23:30.

في سنة 2014م:

قام "فريدريك لونوار" بنشر مقالٍ بشأن البابا فرنسوا<sup>(1)</sup> (François, ) le pape François "le printemps de l'Évangile fayard 2014"، عرض فيه روح الإنجيل الذي لمسه في شخص البابا فرنسوا منذ انتخابه، حيث يخاطب هذا الأخير القلوب يُؤثر في كثيرٍ من الناس سواء مؤمنين أو غير مؤمنين حسب لونوار، وذلك لأنه يرى بأن البابا يعيش ما يقول ويعكس القيم الأساسية لرسالة يسوع المسيح: المحبة، البساطة التواضع والسعادة، فهو يسعى إلى إيقاظ حالة روحية جديدة داخل الكنيسة لتكون شاهدة على أتباع المسيح وأن الله ليس بقاضٍ ولا مدين وأن الحب الذي يحمله أهم من أن يدين الناس، كما يؤكد أن الإنجيل رسالة حياة وسلام للإنسانية، حيث اهتم "البابا فرنسوا" بالمصالح العامة والقضايا الاجتماعية كالتموليات الاقتصادية والأزمات البيئية والظلم الاجتماعي وألقى على إثر ذلك خطابات عديدة<sup>(2)</sup>. وحكاية للأطفال تحت عنوان: cœur de cristal.

في سنة 2015م:

نشر مقالاً تحت عنوان: La Puissance de la joie<sup>(3)</sup>، ونشر أيضاً "بحوث الفلسفة والتأمل مع الأطفال"، إلى جانب ذلك أنشأ مع مارتين روسل آدم (Adam Martine Roussel) جمعية

---

(1) François: البابا فرنسيس (Franciscus) ولد باسم خورخي ماريو بيرجوليو في 17/12/1936م بالأرجنتين، هو بابا الكنيسة الكاثوليكية بالترتيب السادس والستين بعد المائتين ابتداءً من 13 مارس 2013، وبحكم كونه خليفة بطرس وأسقف روما يشغل عدّة مناصب أخرى منها أنه سيّد دولة الفاتيكان ويعدّ أول بابا من العالم الجديد وأمريكا الجنوبية والأرجنتين، كما أنه أول بابا من خارج أوروبا منذ عهد البابا غريغوري الثالث (731-741) كان عضو في الرهبنة اليسوعية، ليكون بذلك أول بابا يسوعي، بحسب البابا على الجناح الإصلاحية في الكنيسة... اختار البابا اسم فرنسيس تأسيساً بالقدّيس "فرنسيس الأسيزي"، أحد معلّمي الكنيسة الجامعة والمدافع عن الفقراء والبساطة والسلام، يتقن البابا اللغات الإسبانية واللاتينية والإيطالية والألمانية والفرنسية والكرانية والإنجليزية تمّ تنصيب البابا بشكل رسمي في ساحة القديس بطرس يوم 19 مارس 2013م وعرف عنه عن الصعيد الشخصي وكذلك كقائد ديني التواضع والعمل على تحقيق العدالة الاجتماعية وتشجيع الحوار والتواصل بين مختلف الخلفيات والثقافات... ووصف بكونه البابا القادر على أحداث تغييرات أنظر: <https://ar.org> يوم 15/08/2017م.

(2) <https://www.amazon.fr/François-printemps-lEvangile-Frédéric-Lenoir> يوم 13/12/2016م على الساعة 15:58.

(3) <https://www.fredericlenoir.com/bio-longue/> يوم 24/09/2017م على الساعة 13:00.



## الفصل الأول: مدخل تعصيدي

(SEVE - Savoir Être et Vivre Ensemble) تحت رعاية المؤسسة الفرنسية، حيث كانت

مهمتها الرئيسية تكوين منشطي ومدربي حلقات الفلسفة والتأمل داخل المدارس<sup>(1)</sup>

في سنة 2017م:

قام لونوار بنشر (**Lettre ouverte aux animaux**) وقام كعادته بإنشاء جمعية (معًا من

أجل الحيوانات **Ensemble pour les Animaux**) والتي تهدف إلى التفكير في العلاقة بين

الإنسان والحيوان والدفاع عنها بالتعاون مع جمعيات أخرى التي لها نفس الهدف. وفي نفس السنة نشر

أيضًا كتابه: **le miracle spinoza**<sup>(2)</sup>

في السينما: أبريل 2019م:

قدم إلى السينما فيلمًا وثائقيًا: [Le cercle des petits philosophes] من إخراج Cécile

Den jean الذي نظم فيه فريدريك لونوار خلال السنة الدراسية ورشات فلسفة والتأمل في قسمين

بباريس وتم عرض الفيلم في سويسرا وبلجيكا وكندا في خريف 2019<sup>(3)</sup>.

إذن من سنة 1987م إلى سنة 2019م نشر لونوار حوالي أربعين مؤلف، موسوعات، مقابلات،

مقالات، روايات. حيث بيع منها ما يتجاوز السبعة ملايين نسخة وترجمت مؤلفاته إلى أكثر من

عشرين لغة وفي سنة 2016م تم تصنيفه من طرف L'Obs établi avec l'institut GFK

كأكثر مفكر فرنسي حققت مؤلفاته أعلى مبيعات في السنوات الخمس الأخيرة<sup>(4)</sup>. ونال العديد من

الجوائز داخل فرنسا وخارجها من بينها:

■ سنة 2004: الجائزة الأوربية للمؤلفي اللغة الفرنسية على كتابه: Les Métamorphoses de

Dieu

■ سنة 2004: جائزة دور الصحافة على روايته: La Promesse de l'ange

■ سنة 2008: جائزة كتاب وحقوق الإنسان: le moment de vérité

(1) <https://www.fredericlenoir.com/bio-longue> يوم 2017/09/24 على الساعة 13:00.

(2) <https://www.fredericlenoir.com/bio-longue/> يوم 2019/04/20 على الساعة 16:30.

(3) <https://www.fredericlenoir.com/bio-longue/> يوم 2020/05/29 على الساعة 10:26.

(4) <https://www.fredericlenoir.com/bio-longue/> يوم 2020/05/29 على الساعة 11:34.

## الفصل الأول: مدخل تعفيدي

- سنة 2010: جائزة Louis Pauwels de la Société des gens de lettres pour Socrate, Jésus, Bouddha.
  - 2011: جائزة Alef على كتابه: Petit Traité de vie intérieure
  - 2012: جائزة القديس أوغسطين: الحوار بين الأديان في منطقة البحر الأبيض المتوسط باعتبارها رئيس تحرير: "عالم الأديان".
  - 2013: جائزة Arturo Carlo Jemolo de Turin لجميع أعماله وكرئيس تحرير مجلة Monde des Religions.
  - أبريل 2013: جائزة التميز الاقتصادي (أفضل مقال اقتصادي) على مقاله: La Guérison du monde
  - نوفمبر 2013: جائزة Bien-être Philips على كتابه: (1) La Guérison du monde
- المطلب الثاني: التعريف بالكتاب.**

يُعدّ كتاب فريدريك لونوار من أهم الكتب التي أثارت ضجّة في العالم الغربي نتيجة عنوانه ومحتواه اللذين يُوحيان إلى أنّه يهاجم المسيحية، رغم إقرار صاحبه بأنّ الغاية من تأليف الكتاب هي التعريف بالمسيح والمسيحية فقط، حيث يتميّز هذا المؤلف بالشمول والوضوح والإيجاز من خلال تتبّعه لمراحل تأليه المسيح منذ ولادته (من القرن الأول للميلاد إلى غاية القرن الخامس وبالتحديد إلى غاية مجمع خلقدونية)، إذ تتمحور فكرة الكتاب الرئيسية حول التتبّع التاريخي لصورة يسوع المرسومة من طرف الجماعات المسيحية الأولى بدءًا من ميلاده، معجزاته، عظاته، صلبه وقيامته. كما بيّن الكاتب دور الجماع المسكونية في إرساء قواعد العقيدة المسيحية خاصة ألوهية المسيح وطبيعته. سأقدّم هنا موجزًا عن أهمّ المعالم التي تعرّض لها فريدريك لونوار في كتابه:

### (كيف أصبح يسوع إلهًا) Comment Jésus est devenu Dieu

أيّ كتاب قيد الدّراسة يخضع للتعريف بشقيّه الخارجي والداخلي، وهنا أبدأ بالعرض الخارجي للكتاب كما يلي:

(1) [https:// bibliob.fr\\_Lenoir](https://bibliob.fr_Lenoir) يوم 2020/06/01 م على الساعة: 19:23.



## الفصل الأول: مدخل تعصيدي

● العنوان الأصلي والكامل للكتاب هو: 'Comment Jésus est devenu Dieu'

● الكاتب: "Frédéric Lenoir" "فريدريك لونوار".

● لغة الكتاب: فرنسية.

● عدد الطبعات: طبعتين.

■ الأولى:

● Editions le livre de Poche.

■ اللغة: فرنسية.

■ عدد الصفحات: 353.

■ سنة النشر: 2010م.

■ الثانية:

● Editions Fayard

● اللغة: فرنسية.

● عدد الصفحات: 328.

● سنة النشر: 2010م<sup>(1)</sup>.

وقد اعتمدت النسخة الثانية كما يلي:

● دار النشر: Fayard.

● بلد النشر: فرنسا.

● سنة النشر: 2010م.

● الطبعة: دون طبعة.

● عدد الصفحات: 328 صفحة.

● عدد المجلدات: مجلد واحد.

● غلاف الكتاب: أسود عليه صورة للمسيح.

---

(1) <http://www.livraddict.com/biblio/book.phpid=45862> يوم: 2016/08/24 م على الساعة 15:30.

## الفصل الأول: مدخل تعصيدي

أما عن الدراسة الداخلية فهي تتمثل في تجزئة الكتاب إلى ثلاث أجزاء وكلّ جزء تتفرّع منه مجموعة من الفصول وكلّ فصل يحتوي على مجموعة من المواضيع كما سنرى في ثنايا البحث.

مصادر ومراجع الكاتب: بالنسبة للمصادر والمراجع التي استعملها الكاتب في كتابه فهي كالتالي:

- AUGIAS Corrado, PESCE Mauro, Enquête sur Jésus, Éditions du Rocher, 2008.
- BOVON François et GEOLTRAIN Pierre (dir), Ecrits apo cryphes chrétiens, tome1, Gallimard, Bibliothèque de la Pléiade, 1997.
- BROWN, Peter, Pouvoir et persuasion dans l'Antiquité tar dive, Seuil, 1998.
- BURNET Régis, Le Nouveau Testament, PUF, coll. Que sais je?, 2004
- CAMELOT Pierre - Thomas, Histoire des conciles cecumé niques, tome 2 : Éphèse et Chalcédoine, 431 et 451, Fayard, 2006.
- CORBIN Alain, Histoire du christianisme, Seuil, 2007; et Les Conciles cecuméniques, le premier millénaire, Desclée, 1999.
- DANIELOU Jean et MARROU Henri, Nouvelle Histoire de l'Église, tome1: Des origines à saint Grégoire le Grand, Seuil, 1963.
- DENTIN Pierre, Les Privilèges des papes devant l'écriture et l'histoire, Cerf, 1995.
- DORE Joseph, LAURET Bernard et SCHMITT Joseph, Chris tologie, Cerf, coll. Initiations, 2003.
- DROBNER, Hubertus, Les Pères de l'Église, Desclée, 1999.
- EHRMAN Bart D, Les Christianismes disparus: la bataille pour les Écritures. Apocryphes, faux et censures, Bayard, coll. Domaine biblique, 2007.
- GEOLTRAIN Pierre et KAESTLI Jean - Daniel, Ecrits cryphes chrétiens, tome 2, Gallimard, Bibliothèque de la Pléiade, 2005.
- GRILLMEIER Aloys, Le Christ dans la tradition chrétienne, De l'âge apostolique au concile de Chalcédoine ( 451 ), Cerf , coll . Cogitatio Fidei, 2003.
- LABOA Juan Maria, Atlas historique de l'Église à travers les conciles, Desclée de Brouwer, 2008.
- LECLANT Jean, Dictionnaire de l'Antiquité, PUF, coll. Quadrige / Dicos poche, 2005.

- LENOIR Frédéric, Le Christ philosophe, Plon, 2007, Points, 2009.
- MAHÉ Jean-Pierre et POIRIER Paul-Hubert, Écrits gnostiques, la bibliothèque de Nag Hammadi, Gallimard, Bibliothèque de la Pléiade, 2008.
- MARAVAL Pierre, Le Christianisme de Constantin à la conquête arabe, PUF, 2007.
- MARGUERAT Daniel, L'Aube du christianisme, Labor et Fides / Bayard, 2008.
- MATTEI Paul, Le Christianisme antique de Jésus à Constantin, Armand Colin, coll. U, 2008.
- MAYEUR Jean - Marie, PIETRI Charles et Luce, VAUCHEZ André, VENARD Marc, Histoire du christianisme, des origines à nos jours, tome 1, Le Nouveau Peuple, Desclée. 2000, tome 2, Naissance d'une chrétienté (250-430), Desclée, 1995.
- MIMOUNI Simon Claude, MARAVAL Pierre, Le Christianisme, des origines à Constantin, PUF, coll. Nouvelle Clio, 2006.
- ORTIZ DE URBINA Ignacio, Histoire des conciles œcuméniques, tome 1, Nicée et Constantinople, 324 et 381, Fayard, 2006.
- PAUL André, La Bible , Nathan, coll . Repères pratiques, 2005.
- PERROT Charles, Jésus, Christ et Seigneur des premiers chrétiens, Desclée, coll. Jésus et Jésus - Christ, vol. 70, 1997.
- REYNIER Chantal, Le Christ au coeur de l'histoire. L'autorité du Nouveau Testament, Bayard / Centurion, 1999.
- ROUCHE Michel, Les Origines du christianisme 30-451 , Hachette , coll . Carré Histoire, 2007.
- SCOPELLO Madeleine, Les Evangiles apocryphes, Plon, coll. Petite bibliothèque des spiritualités, 2007 ; et Les Gnostiques, Cerf, coll. Bref, 1991.
- SESBOUE Bernard, Jésus - Christ dans la tradition de l'Eglise, Desclée, coll. Jésus et Jésus - Christ, vol 17, 1982 .
- TARDIEU Michel , Le Manichéisme , PUF , coll . Que sais- je ? , 1997.
- THERON Michel, Petit lexique des hérésies chrétiennes, Albin Michel, 2005.
- VALLERY - RADOT Maurice, L'Église des premiers siècles, Perrin, 1999.
- VERMES Geza, Dictionnaire des contemporains de Jésus , Bayard , 2008.

## الفصل الأول: مدخل تعبيدي

نلاحظ أن مصادر ومراجع فريدريك لونوار تقريباً حديثة ولكن هذا لا يقلل من جهده ومن القيمة العلمية للكتاب لأنّ جلّ المصادر والمراجع تعود لمتخصّصين مشهورين في الدّراسات المسيحية الدّين أخذوا المعلومة من مصدرها الأصلية، كما أنّ الكاتب أراد أن يخالف أقرانه في أسلوب الكتابة وتبسيط المعلومة ليصل المؤلّف إلى أكبر عدد من القراء الراغبين في معرفة المسيح بأسلوب حديث وشيق وبعيد كل البعد عن التّمطية والتّعقيد، ويجب الإشارة إلى أنّ مصادره تتوافق وتناسب مع موضوع دراسته وحتى مع عنوان الكتاب في حدّ ذاته.

### دواعي تأليف الكتاب:

في حوار صحفي تمّ اجراءه مع فريدريك لونوار بعد صدور مؤلّفه: " **Comment Jésus est devenu dieu** " صرّح فيه بأنّه كان مندهشاً من دخول كتابه لائحة الكتب الثلاثة الأكثر مبيعاً خلال الأسبوع الأوّل من نشره، وقد ردّ ذلك إلى رغبة طائفة من النّاس سواءً المؤمنين أو غيرهم معرفة أصول المسيحية بكل المناهج المتاحة: وصفية كانت، أم تاريخية أم نقدية. كما أكّد أنّ الغاية من تأليف الكتاب ليس التّشكيك في عقيدة المؤمنين المحافظين ولكن غايته كانت توضيح البعد التاريخي للعقائد المسيحية وبيان التطورات التي مرّت بها عبر العصور والأجيال.

يرى "فريدريك لونوار" أنّ العقيدة المسيحية لم تكن نفسها منذ البداية بل طرأت عليها العديد من التّغيرات على مرّ التاريخ. ويؤكد الكاتب مرّة أخرى أنّ النّاس متشوّقين بتعطش لمعرفة هذه التطورات ومراحلها وأسبابها.

أمّا عن سبب تأليفه لهذا الكتاب بهذا الشكل وبهذه الصيغة، يذكر المؤلّف أنّه قبل إصداره لكتابه: "**Comment Jésus est devenu dieu**" قد نشر قبله بثلاثة سنوات أي سنة 2007 كتاب كان عنوانه: "**Le Christ philosophe** "يسوع الفيلسوف" وركّز في هذا المؤلّف على الأخلاق المسيحية باعتبارها الأكثر انتشاراً وتأثيراً في الغرب، حيث تحدّث عن الكرامة والعدالة والحرية التي دعا إليها يسوع والمذكورة في الأناجيل دون الإشارة إلى موقفه من يسوع، وبعد صدور الكتاب تلقّى رسائل عديدة من طرف القراء يستفسرون ويطلبون موقفه من يسوع، ونتيجة هذا حسب إلقاء فريدريك لونوار في ذلك اللّقاء الصحفي قرّر أن يكون السّؤال الذي يبيّن عليه مؤلفه الجديد هو: "من

## الفصل الأول: مدخل تعصيدي

هو يسوع؟". وقد اشتغل عليه مدّة ثلاث سنوات بعد ذلك التاريخ إلى أن خرج إلى النور في سنة 2010م.

كما أشار فريدريك لونوار إلى مسألة مهمّة تتمثّل في أنّ أتباع الدّيانة المسيحية هم الأكثر تفتحًا على النّقد التاريخي لديانتهم أكثر من غيرهم مشيرًا إلى اليهود والمسلمين الذين يرفضون نقد الموروث الدّيني والتّاريخي الخاص بهم عكس المسيحية التي بدأ نقدها مع بزوغها<sup>(1)</sup>. وهو ما يؤكّده مؤلّف كتاب "تاريخ الفكر المسيحي" بقوله: [يمتد تاريخ تطبيق مبادئ كل من النقد الأدبي والنّقد التاريخي، في دراسة مضامين العهد الجديد وفي تناوله كوثيقة تاريخية من القرن الميلادي الثاني إلى أيّامنا]<sup>(2)</sup> وما أكّده أيضًا القس مكرم نجيب راعي الكنيسة الإنجيلية في مصر الجديدة بقوله في مقدّمة كتابه: "أعيدون اختراع شخصية يسوع؟" لصاحبه جي إد كومزوسكي: [هذا يعني بكل وضوح أنّ المعارك التي تحاول تقويض الإيمان المسيحي بكلّ الطرق مازالت قائمة وفاعلة بالمهجوم على شخصية يسوع، وبالتّقد لنصوص العهد الجديد بغية التّيل من مصداقيته، هذه المعارك مازالت قائمة ودائمة من القرن الأوّل حتى الآن]<sup>(3)</sup>.

(1) <https://www.youtube.com/watch?v=EwfgJfKq6TM&t=3s> يوم 2016/08/16م على الساعة 15:30.

(2) برونو فورتّي: الفكر المسيحي المعاصر، تر: عز الدين عناية، (ط1 دار الصفحات، سوريا، 2014م)، ص 45.

(3) جي إد كومزوسكي: أيعيدون شخصية اختراع يسوع، تر: سامي رشدي مرجان، (ط1 مركز مورغان، مصر، 2010م) ص 05.

## الفصل الأول: مدخل تعهدي

المبحث الثاني: دراسة نقدية لكتاب فريدريك لونوار من حيث المنهج والمحتوى.

رغم كثرة الكتابات المؤلفة بشأن يسوع المسيح منذ القرن الأول للميلاد إلى يومنا الحالي، الدفاعية منها والنقدية أيضاً لم تكن المؤمنين به وغير المؤمنين عن قراءتها وإبداء آرائهم فيها، وكحال أيّ كتاب يخالف عقيدة ألوهية المسيح ويشير ضجّة في العالم الغربي، يتسارع حماة الدّين المسيحي إلى الرّد عليه وتفنيد الآراء المخالفة لعقيدتهم حفاظاً على العقيدة الموروثة منذ مجمع نيقية، لذا سنعرض في هذا المبحث دراستين نقديتين للكتاب قيد الدّراسة من طرف شخصيتين متخصصتين، ولكن قبل ذلك نشير إلى مجموعة من الملاحظات التي استخلصناها من الكتاب كما يلي:

**أسلوب الكاتب:** يتميز أسلوب فريدريك لونوار في كتابه قيد الدّراسة بالسهولة والبساطة موجّه لكافة الشّعوفين باكتشاف الحقائق التاريخية وراء تأليه المسيح واتبع على إثر ذلك طريقة التشويق بهدف دفع القراء إلى معرفة حياة يسوع من خلال إجابته عن سؤال ظلّ يتكرّر على مرّ العصور وهو خاصّ بهوية يسوع وطبيعته، حيث نجده يفتتح كتابه بسؤاله الجوهرى (من هو يسوع؟) الذي يُعدّ الإشكالية الرئيسية لبحثه والذي يجيب عليه بتدرّج في كلّ فصل من فصوله، وهو نفس السؤال الذي وجّهه يسوع لتلاميذه قبل أكثر من قرنين<sup>(1)</sup>.

**منهج الكاتب:** حاول الكاتب الإجابة عنه من خلال فحص تاريخيٍّ لأهمّ الأحداث التي رسمها أتباع المسيح بعد صلبه وقيامته أو موته حسب اختلاف الرؤى، لذا منهج الكاتب هو منهج تاريخي وصفي وهو ما أقره نفسه في لقاء صحفى بعد صدور كتابه وما قاله عنه منتقدوه كما سنرى في بقية البحث.

**المعلومات المعرفية:** يحتوي كتاب فريدريك لونوار على كم هائل من المعلومات التاريخية المتعلّقة بالمسار التاريخي لتأليه المسيح وكذلك عن مجموعة من الأحداث المهمّة التي تخفيها الكنيسة وذكره لشخصيات عديدة ساهمت بشكل كبير طمس هوية المسيح.

(1) متى 16: 15: [وَأَنْتُمْ، مَنْ تَقُولُونَ إِنِّي أَنَا؟] أنظر أيضاً: مرقس 8: 29 / لوقا 9: 20.

## الفصل الأول: مدخل تعصيدي

وسأعرض هنا دراستين نقديتين مفصّلتين أولهما للصحفي رونييه بوجول René Pujol<sup>(1)</sup> من خلال مقال له على موقعه الرسمي أين أعرب فيه عن رأيه الشخصى حول مؤلّف فريدريك لونوار، والثاني لـ برنارد سيسبويه: Bernard Sesboué<sup>(2)</sup> من خلال كتابه:

### Christ, seigneur et fils de dieu libre réponse à Frederik Lenoir

وقد اخترت هاتين الشخصيتين لعدّة أسباب أهمّها أنّي أردت أن يكون النّقد صادراً من طرف أتباع الكنيسة الكاثوليكية والسّبب الآخر رغم انتمائهما إلى الكنيسة إلا أنّ موقفهما من الكتاب كان مختلفاً، وهذا إن دلّ على شيء فهو يدلّ على استمرار الاختلاف بين الكاثوليكين.

(1) رونييه بوجول: من مواليد ماي 1948م، يعيش في المنفى بباريس منذ أربعين سنة، من أصول Languedoc (هي مدينة فرنسية قديمة يحدّها من الجنوب إسبانيا والبحر الأبيض المتوسط) ابن الأرض الموحشة الشبه الصحراوية القاحلة، الذي بطبعه يؤثّر على سلوك الفرد، نشأ في عائلة كاثوليكية، ولحد الآن لم ير أنّه وجد سبباً كافياً للتوقف عن الإيمان، كان اهتمامه التمثيل: في سنّ عشرون سنة كان يسيّر مخيمات صيفية وفي الخامسة والأربعين وكيل لجنة الكشافات الفرنسية، ورغبة منه أراد أن يتقاسم مع قرائه جزء من السعادة التي كان يعيشها لما كان صغيراً وعاشقاً للمطالعة بشغف، حيث كان يطلع كل الكتب التي توجه إلى المكتبة التي كانت تملكها خالته الكبيرة، كان يحب معرفة الكائنات وتاريخها وفهم ما يجعلها مازالت حية، ويتساءل إن كان ذلك حفّزه ليكون صحفي؟ نعم هو كذلك منذ 1974م، ولو أعيد به الزمن إلى الوراء لما اختار غيرها (غير مهنة الصحافة)، قضى مسيرته المهنية في الصحافة في مجموعة الصحافة الكاثوليكية BAYARD من سنة 1977م إلى 1988م وفي الجريدة الأسبوعية PELELIN تحت مسمى مؤسس المجلة ثم رئيس التحرير فيها من 1999م إلى 2017م، خلال تلك السنوات العشر وقّع على مئات من الافتتاحيات للتعريف بالمجلة حول الشؤون الحالية والمناقشات المعاصرة، وحالياً أصبح متحرراً ولم يعد حاملاً لتلك المسؤوليات الملقاة على عاتقه وأصبح مراقب مولوع بأخبار العالم والكنيسة الكاثوليكية التي ينتمي إليها، ولهذا فتح هذا الموقع سنة 2009م، في نفس الوقت الذي تخلى عن مهامه كرئيس تحرير في جريدة PELELIN. أنظر: le blog de rené pujol يوم 2017/10/22م على الساعة 22:23 /journaliste, cytoiyane et catho en liberte http://www.renepujol.fr/a-propos

(2) برنارد سيسبويه: من مواليد 1929م بـ La Suze-sur-Sarthe ينحدر من عائلة كاثوليكية متشدّدة، حصل على شهادة البكالوريا بـ lycée Notre-Dame-de-Sainte-Croix بمونس ثمّ ليسانس في الدراسات الكلاسيكية بالسوربون، التحق بالهبة اليسوعية في Laval سنة 1948، رسّم كاهناً سنة 1960م في Saint-Leu-D'esserent، ثمّ ذهب إلى روما سنة 1962م وافتتح المجمع الفاتيكاني الثاني، ثمّ شرع في تحضير دكتوراه عن باسيليد، في سنة 1964م درّس الآداب والعقيدة في كلّية اللاهوت اليسوعية في Fourvière بليون ثمّ أستاذاً بمركز Sèvres بباريس من 1974م إلى 2006م، كان عضواً في اللّجنة اللاهوتية الدّولية، مستشار لأمانة الوحدة المسيحية وفي سنة 2011م حصل على جائزة Cardinal-Grente من الأكاديمية الفرنسية على كل أعماله: يوم 2020/06/02م على الساعة 19:22 https://www.babelio.com/auteur/Bernard-Sesboue/51442



## الفصل الأول: مدخل تمهيدي

المطلب الأول: دراسة نقدية لرونيه بوجول حول مؤلف فريدريك لونوار.

يرى رونه في كتاب فريدريك لونوار "كيف أصبح يسوع إلهًا" إلام صاحبه بالمادة التاريخية لتاريخ الأديان، واعترف بكل موضوعية بأن الأسئلة التي تناولها في كتابه هي أسئلة العديد من الكاثوليك المعاصرين.

حيث يرى أن عبارة "كيف أصبح يسوع إلهًا" استفزازية متعمدة، بقوله: "هذا واضح من خلال الإجابات التي نراها على مواقع الإنترنت منذ نشر الكتاب: يسوع لم يصبح إلهًا، بل هو الله منذ الأزل" لكن هذا اعتقاد المؤمنين به وراثيًا ولكن ماذا بشأن غير المؤمنين به ربنا ومخلصنا؟

يذكر رونه أنه من الصعب منع مؤرخي الأديان من إعادة النظر في القرون الأولى من تاريخ المسيحية والتنقيب في الطرق التي من خلالها تم تقنين العقائد المسيحية، لاسيما عصور المجامع المسكونية الأربعة المشهورة: مجمع نيقية 325م ومجمع القسطنطينية 381م ومجمع أفسس 431م ومجمع خلقدونية 451م، وأرجع ردود الأفعال التي تلقاها لونوار خاصة من طرف أتباع الكنيسة الكاثوليكية إلى المنهج والأسلوب اللذين اتبعهما الكاتب في مؤلفه.

ركّز رونه في نقده الموجه إلى كتاب فريدريك لونوار على الأسئلة التي أثارها هذا الأخير في الصفحات الأخيرة من مؤلفه والمتعلقة بإيمان تلاميذ يسوع والشهود الأوائل لدعوته قبل ظهور الثالوث اللاهوتي وكذا التجسد، حيث يذكر لونوار أنه من السخيف اعتبار بطرس ومقرس ومريم المجدلية غير مؤمنين حقيقيين أو أن إيمانهم كان ناقصًا وغير مكتمل بحكم أنهم لم يعرفوا شيئًا عن فكرة وجود إله واحد له ثلاث أقانيم ولا عن مسيح يجوز على طبيعتين، كما أن إيمان الرسل - حسب لونوار - كما هو مدون في الأناجيل وسفر أعمال الرسل يدور حول فكرتين رئيسيتين:

(1) كان ليسوع علاقة خاصة بالإله، جعلت منه الوسيط الوحيد بين الله والإنسان.

(2) يسوع مات وقام من بين الأموات.

يذهب لونوار من خلال استنتاجه إلى أن هذه الأدلة غير كافية للقول بألوهية يسوع، ولكن حسب رأي رونه هناك أدلة معارضة في مواضع أخرى من كتابه من بينها أقوال بعض تلاميذه حينما رأوا معلمهم يمشي فوق الماء، فليس هناك أدنى شك من أن يسوع هو ابن الله في نظرهم مستشهدًا بما



## الفصل الأول: مدخل تمهيدي

ورد في إنجيل متى: [وَالَّذِينَ فِي السَّفِينَةِ جَاءُوا وَسَجَدُوا لَهُ قَائِلِينَ: بِالْحَقِيقَةِ أَنْتَ ابْنُ اللَّهِ] <sup>(1)</sup> وأيضًا بما قاله قائد المائة يوم علق المسيح على الصليب وما رافقه من معجزات حسب ما ترويهِ الأناجيل: [وَأَمَّا قَائِدُ الْمِئَةِ وَالَّذِينَ مَعَهُ يَحْرُسُونَ يَسُوعَ فَلَمَّا رَأَوْا الزَّلْزَلَةَ وَمَا كَانَ، خَافُوا جِدًّا وَقَالُوا: حَقًّا كَانَ هَذَا ابْنُ اللَّهِ] <sup>(2)</sup>، لكنّ لونيوار يرى أنّ تلاميذ يسوع أكدوا البنوة لا الطبيعة الإلهية ليسوع. ويعقب رونيهِ مرّة أخرى بقوله أنّه لا يمكن أن يتجاهل الفرد فاتحة إنجيل يوحنا: [فِي الْبَدْءِ كَانَ الْكَلِمَةُ، وَالْكَلِمَةُ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ، وَكَانَ الْكَلِمَةُ اللَّهُ... وَالْكَلِمَةُ صَارَ جَسَدًا وَحَلَّ بَيْنَنَا، وَرَأَيْنَا مَجْدَهُ، مَجْدًا كَمَا لَوْحِيدٍ مِنَ الْآبِ، مَمْلُوءٌ نِعْمَةً وَحَقًّا] <sup>(3)</sup>، ولا إقرار يسوع لتلاميذه في نفس الإنجيل بقوله: [الْحَقُّ الْحَقُّ أَقُولُ لَكُمْ: قَبْلَ أَنْ يَكُونَ إِبْرَاهِيمُ أَنَا كَائِنٌ] <sup>(4)</sup>، ويعلق رونيهِ أنّه مهما يكن فإنّ إنجيل يوحنا كتب في وقت مبكر من القرن الثاني وقبل زمنٍ طويلٍ من انعقاد الجامع المسكونية وأيضًا قبل تقنين العقائد المسيحية بصيغتها النهائية، وهذا ما يدلُّ على أنّ الجماعة المسيحية الأولى ذهبت إلى ما هو أبعد من بُنوة المسيح.

يذكر رونيهِ أيضًا في نقده كتاب لونيوار بأنّ الجزء الأكبر من الكتاب يهتم بعلاقة الجامع المتتالية فيما بينها، وبتفسير الخلافات اللاهوتية التي أدت إلى عقد الجامع وكذا تقنين العقائد، أمّا الميزة العظيمة التي تميّز بها مؤلف لونيوار حسب رونيهِ هو سعي الكاتب إلى تتبُّع الحلقات المثيرة في تاريخ الكنيسة وكتاباتها بطريقة رائعة صيغت في أسلوبٍ متاح للقراء بمختلف مستوياتهم الفكرية، حيث يشير إلى أنّ القلّة القليلة جدًّا من المؤمنين من يملك الجرأة لقراءة مثل هذه الأعمال العلمية.

ويبيّن رونيهِ في دراسته أنّ لونيوار في أطروحته اكتفى بمعالجة كيفية تشكُّل العقيدة الكاثوليكية في قرونها الخمسة الأولى وقام بالإشارة إلى دور الأباطرة في الحدّ من الخلافات والنزاعات الدنيوية المثارة في كل مجمّع، وكذلك استنتج بأنّ السياسة المتبعة داخل الجامع من: (حرمان، عنف، اتهام بالهرطقة)، بيّنت بوضوح التعسف الذي مورس داخلها في سبيل تقنين العقائد المسيحية ولولاها لاستمرت

(1) متى 14: 33.

(2) متى 27: 54.

(3) يوحنا 1: 1/1: 14.

(4) يوحنا 8: 58.

## الفصل الأول: مدخل تعقيدي

الجماعات المسيحية تتعايش مع بعضها البعض رغم اختلافها، حيث توصل إلى أن لونوار قام بتسليط الضوء في مؤلفه على أعمال العنف والاضطرابات التي كان لها دور كبير في ظهور الانشقاقات داخل الجماعة المسيحية الأولى والتي أدت إلى انقسامها.

يرى رونييه بأن هناك الكثير لقوله بشأن هذا الكاتب لكنّ المقام لا يتسع لفتح نقاشات طويلة، ولكنّ لا يزال هناك سؤال مهم: كيف للطائفة الكاثوليكية أن تتلقّى مثل هذا الكتاب؟ ستكون هناك ردود أفعال كبيرة لا محالة بغية تنفيذ مثل هذا الكتاب، وسبب ذلك هو عنوانه! وذلك لأنّه بالنسبة للكاثوليك ليس يسوع من أصبح إلهًا بل الإله هو الذي تجسّد في شخص يسوع، وفيما عدا ذلك يصرّح بأنّ لونوار كان صائبًا، بحكم أنّ الكثير من المعاصرين - كاثوليكين كانوا أم يكونوا كذلك - يرون أنّ العقيدة ليست مفهومة، ليس تشكيكًا وإتّما لم يستوعبوا معنى عقيدتهم وهذا من خلال سير آراء مجموعة من الناس، وبالتالي أصبح الإجماع على مفهوم واحد للعقيدة مستحيلًا وبهذا يصبح الحديث عن تفاصيل العقيدة مستحيلًا أيضًا، ولهذا جعل من تلك الملاحظة سؤالًا للمعاصرين الذي يجد في إجاباتهم على سؤال: "من هو يسوع؟" عددًا من بدع القرون الأولى، ويصبح هذا أكبر دليل على أنّ عددًا لا بأس به من المؤمنين بيسوع اليوم ليسوا قادرين على تقديم إجابة مقبولة، يُعرف من خلالها إذ ما كان يسوع هو الإله الذي أصبح إنسانًا أم أنّ الإنسان هو من أصبح إلهًا وهو ما تقرّر في مجمع نيقية.

يطرح رونييه سؤالًا: هل من المحتمل أن تزعم قراءة كتاب فريدريك لونوار إيمان بعض

الكاثوليك؟

ويجيب عنه قائلاً: السؤال ليس عبثي، حيث نجد أنفسنا أمام كتاب موضوعي يعرض أسئلة منطقية يمكن أن تختلج صدر أيّ مؤمن في مرحلة من مراحل حياته، ولا يمكن أن تمرّ دون عواقب، خاصّة وأنّ المؤمن دائمًا ما يحسّ بأن سلطة الكنيسة تراقبه وتواجهه «بإيمان الكنيسة» كما هو موجود منذ الأزل بحسبها، بينما نجد كتاب لونوار يعرض على وجه التحديد النضج البطيء والطويل للعقيدة

## الفصل الأول: مدخل تمهيدي

المسيحية، أمّا عن موقف معظم القساوسة من مثل هذه المؤلفات فبلا شك قريب مما صيغ سنة 438م في قانون تيودوس: "كل واحد يبقى حرّاً في اعتقاداته ما لم يجهر بها"، ولكن هل بات هذا ممكناً<sup>(1)</sup>؟  
ماذا نستخلص؟

يخلص رونييه في نقده كتاب فريدريك لونوار بقوله: قبل كلّ شيء يتعايش اليوم في عالمنا ورثة هذه النزاعات المختلفة: (قبطية، أرثوذكسية، الكاثوليك الشرقيين..) ولا علاقة تربطهم سوى إيمانهم بألوهية يسوع وقيامته، فما كان يراه بعض المسيحيين قديماً مستحيلاً أصبح اليوم ممكناً حتّى وإن كانوا مختلفين فيما بينهم في بعض التفاصيل مثل مسألة انبثاق الروح القدس<sup>(2)</sup>.

بيّنت دراسة رونييه لكتاب فريدريك لونوار تفتّحه على الدّراسات النقّدية المتعلّقة بشخص يسوع المسيح وتقبّله لها رغم نفيها لألوهية المسيح، حيث أقرّ بأهمية الكتاب وقيمته العلمية رغم أنّه كاثوليكي، فهل هكذا يتعامل جميع الكاثوليكين مع المؤلفات التي تنتقد ألوهية المسيح؟ هذا ما سنراه في المطلب الثّاني.

### المطلب الثّاني: دراسة نقّدية لبرنارد سيسبويه حول مؤلّف فريدريك لونوار.

لم تمرّ أشهر قليلة على صدور كتاب فريدريك لونوار، حتّى سارع أتباع الكنيسة الكاثوليكية إلى الرّد عليه، ففي نفس سنّة صدور الكتاب صدر كتاب آخر لبرنارد سيسبويه معنون بـ ( Christ, Seigneur Et Fils De Dieu Libre réponse a Frederik Lenoir) ردّاً على مؤلّفه وسعيّاً لتفنيد آرائه:

حيث يقول في مقدّمة كتابه: (ليس من عادي ولا من ذوقي الخوض في الجدالات والنقاشات الدّينية، إلّا أنّه يجب أنّ أوضّح بأنّ كتاب فريدريك لونوار -أين يعرب فيه عن قناعاته الشّخصية بشأن

(1) <http://www.renepoujol.fr/comment-jesus-est-devenu-dieu-2> كتبه رونييه بوجول يوم 2010/10/09م تحت عنوان: Je vous le dis comme je le pense يوم 2017 /07/15م على الساعة 15:16.

(2) <http://www.renepoujol.fr/comment-jesus-est-devenu-dieu-2> يوم 2017/07/18م على الساعة 18:00.

## الفصل الأول: مدخل تعصيدي

هوية شخص يسوع الناصري، وله الحرية في ذلك - هو كتاب شعبي<sup>(1)</sup> موجّه للعامة ولا أستعمل هذا المصطلح للدلالة على التحقير والازدراء، لكنّ الأسلوب الأدبي الذي وظّفه الكاتب يوضّح كلامي<sup>(2)</sup>.

إذن لماذا يريد سيسبويه الردّ على لونوار؟

لأنّه تلقى حملةً صاحبة تحمّل الأباطرة الرومانيين مسؤولية إصدار قرار تأليه المسيح وتوكّد تدخلهم في قرارات المجامع، حيث أنّ الكنيسة وتحت ضغطهم قرّرت تأليه المسيح بشكل نهائيّ في القرن الرابع للميلاد.

يقرّ سيسبويه بأنّ كتاب لونوار يعكس مستوى جديداً بمضمونه، حيث يرى أنّه بإمكانه تجنّب هذه الضّحة الإعلامية، ويرى أنّه من الضروري إجراء مناقشة بشأن هذا الموضوع المهمّ وأن يقوده كمؤرّخ وكمؤمن:

**كمؤرّخ:** يعتقد أنّ الأطروحة الأساسية للمؤلف ليست قائمة على بيانات موثوقة تدعم البحث في موضوع مهمّ - مثل الذي ناقشه لونوار - والذي يسمح له بالوصول إلى نتائج مؤكّدة وحاسمة، فمنذ العصر الرسولي آمن مسيحيو الكنيسة الأولى بأنّ يسوع الناصري كان ابن الله، إذن هو إله بكلّ ما تحمّله الكلمة من معنى، حيث أكدّ بأنّ إجابته مبنية على ركيزة التاريخ، فعلم الأديان يلزم الباحث التخلّي عن عقيدته وإيمانه ثمّ عرض ملف كل ديانة بكلّ موضوعية وحيادية<sup>(3)</sup>

**كمؤمن:** يرى سيسبويه بأنّ لونوار قدّم كتابه بصورة ترضي أهل زمننا بأسلوبٍ يُلائم السّقف المعرفي الخاصّ بالعصر الحديث، حيث يتناول سرّ المسيح بأسلوبٍ أكثر سهولة وقبول، فهو يعتبر أنّ يسوع فريدريك لونوار شخصٌ مميّز وقائد عظيم ولم يكن أبداً إلهاً، حتّى الجيل الأوّل من المسيحيين لم يعتبره كذلك.

(1) أستعمل الكاتب مصطلح: vulgarisation ويعني هذا الأخير في معاجم اللّغة الفرنسية: من الفعل: vulgariser ويقصد به تبسيط المعرفة التّقنية والعلمية وجعلها في متناول غير المتخصّصين أنظر:

LE ROBERT, ADAGP, Paris, 1997, p1522.

(2) Bernard Sesboué, christe seigneur et fils de dieu (libre réponse à Frédéric Lenoir), Lethielleux, 2010 ; paris p7.

(3) Ibid. p8.

## الفصل الأول: مدخل تمهيدي

فبالنسبة لأيّ مسيحي -حسب سيسبويه- لا يعدّ ذلك عرضاً مبسّطاً وسهلاً من أجل الإيمان المسيحي بل هو إنكار لمركزية يسوع في الديانة المسيحية وكل الأسرار، خاصّة سرّ الثالوث وأنّ الله أحبّ العالم حتى أرسل ابنه الوحيد ليكفّر عن خطايا البشر، وكذا تأكيد علاقة الإنسان بالله من خلال عطايا الرّوح القدس، حيث يرى فريدريك أنّ كلّ هذا ليس له أساس من الصّحة<sup>(1)</sup>.

يعارض سيسبويه أطروحات لونوار بقوله: إذا كان الأمر كذلك أقول له ما قاله بولس عن القيامة: [إِنَّ كَانَ لَنَا فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ فَقَطُّ رَجَاءٌ فِي الْمَسِيحِ، فَإِنَّا أَشَقَى جَمِيعِ النَّاسِ وَلَكِنِ الْآنَ قَدْ قَامَ الْمَسِيحُ مِنَ الْأَمْوَاتِ وَصَارَ بَأَكْثَرِ الرَّاقِدِينَ]<sup>(2)</sup>، وإذا أخذنا بآراء لونوار فلن نكون مُخْلِصِينَ بالمعنى الوارد في العهد الجديد، حيث أنّ تفسير القيامة بالمعنى الذي ذكره لونوار في مؤلّفه يخلو من المصادقية والفعالية.

يوصل سيسبويه دفاعه بالتأكيد على أنّه لا وجود لتعارض بين الإيمان المسيحي والأدلة التاريخية على ألوهية المسيح بقوله: ربّما يقول البعض أنّ مراجعي التاريخية والإيمانية متناقضة! كيف يمكن إعداد تقرير صادق عن التّاريخ وفي الوقت نفسه التأكيدات الكلاسيكية للإيمان المسيحي التقليدي؟ سأجيب أولاً وقبل كلّ شيء بأنّ هناك أرضية نلتقي عليها ألا وهي: "تاريخانية الإيمان". وهذه الأرضية لها مواضيعها:

- بماذا آمن تلاميذ يسوع وماذا أعلنوا بشأن هويته؟
- ماذا قالت الأجيال التّالية في اعترافهم الدينية؟
- ما هو المعنى التاريخي للأزمة الآريوسية؟

ويعترف سيسبويه بأنّه في وقتنا الحالي لا وجود لتاريخ موضوعي محض، فكلّ مؤرّخ يوظّف تصوّراته المسبّقة عندما يقدّم تقاريره عن التّاريخ، ويرى بأنّ الطريقة التي اعتمدها فريدريك لونوار في كتابه تقوم بتسليط الضوء على بيانات معيّنة وإخفاء بيانات أخرى، وبلا شكّ -حسب سيسبويه- يريد إخفاءها بحكم أنّها ليست مهمّة بالنسبة له، وفوق هذا وذاك يستشهد بنصوص مهمّة ولكنّه لا يضعها في سياقها أو أنّه يقوم بتحجيم معناها بطريقة عفا عليها الزمن.

(1) Ibid, P09.

(2) 1 كورنثس 15: 19-20

## الفصل الأول: مدخل تمهيدي

يلتخص سيسبويه -بصفته كاثوليكي- معالم يسوع المسيح التي سيردّ عليها في كتابه بقوله: أطروحة الكاتب تتمثل في أنّ المسيحيين الأوائل لم يعلنوا عن ألوهية المسيح ولم يعترفوا بألوهيته، حيث كانت النتائج التي توصل إليها فريدريك لونوار حول الشهود الأوائل كما يلي:

يسوع إنسان له علاقة خاصة بالإله وهو المسيح والمخلص باعتباره الوسيط الوحيد بين الله والإنسان<sup>(1)</sup>. يسوع مات وقام من بين الأموات وظلّ يظهر لتلاميذه بطريقة غير مرئية. بالنسبة لتلاميذ يسوع كان معلّم مجرد إنسان ولم يعتبروه يومًا إلهًا اتخذ جسد إنسان ولا هو تجسّد لإله إبراهيم وموسى. إذن هذا هو جوهر التاريخ الذي يشهد له الإيمان المسيحي الأوّل حسب لونوار، فهو لا يتضمّن تأكيدًا على لاهوت المسيح مثلما طوّرتة الكنيسة في القرن الثاني بواسطة إنجيل يوحنا وفي وقت لاحق عن طريق إرادة الأباطرة الرومان وفق ما تقرّر في مجمع نيقية واستمرّ ذلك إلى غاية انعقاد مجمع خلقيدونية ليصبح بعدها يسوع الابن الأزلي، مساوٍ للآب المتجسّد في الجوهر، وبتوحيد الطبيعة الإلهية بالبشرية أصبح أقنومًا واحدًا، وقد أشار سيسبويه أنّ لونوار فسر مصطلح الإنجيل "وسيط"<sup>(2)</sup> بعيدًا عن مفهومه اللاهوتي وجعل من يسوع "الوسيط" المختار من طرف الرّب كابن له، مثلما آمن به شهداء المعمودية والتجلي والقيامة، مثلما صرّح بطرس أيضًا في أعمال الرّسل قائلاً: [فَلْيَعْلَمُ يَقِينًا جَمِيعُ بَيْتِ إِسْرَائِيلَ أَنَّ اللَّهَ جَعَلَ يَسُوعَ هَذَا، الَّذِي صَلَبْتُمُوهُ أَنْتُمْ، رَبًّا وَمَسِيحًا]<sup>(3)</sup>، ففي كلّ الأحوال حتّى يوم الصعود بقيت هوية يسوع غامضة تحوم حولها الشكوك في نظر لونوار<sup>(4)</sup>.

من الناحية اللاهوتية يرى سيسبويه أنّ لونوار يُسلم بنوع من الكرستولوجيا التنازلية، أيّ يؤمن بأنّ الإله تبنيّ يسوع لكنّه يرفض الكرستولوجيا التصاعديّة "والكلمة صار جسدًا" أو التجسّد الذي يعتبر الموضوع الأساسي لإنجيل يوحنا، ولكنّ ما يراه سيسبويه في دراسة لونوار مهمّ، وهو التأكيد على أنّ ركيزة الإيمان واضحة في شهادة الرّسل وأنّ يسوع متفرّد بدون أن يكون إله.

(1) Ibid, P11

(2) عبرانيين 24:12 [وَأَلَى وَسِيطِ الْعَهْدِ الْجَدِيدِ، يَسُوعَ، وَإِلَى دَمِ رَشِّ يَتَكَلَّمُ أَفْضَلَ مِنْ هَابِيلَ]، أنظر: غلاطية 3:

19/العبرانيين 8:6/العبرانيين 9: 15.

(3) أعمال الرّسل 2: 36.

(4) Ibid, P13.



## الفصل الأول: مدخل تمهيدي

إذ يقرّ سيسبويه بأنّ سرّ الثالوث ليس له تفسير عقلائيّ، ولا يُمكن عقلنة فكرة التّثليث إلّا بعد التّسليم والاعتراف بأنّ يسوع إله، حيث أشار إلى أنّ الكثيرين اليوم يعتقدون أنّ هذه الطريقة لفهم الرّسالة المسيحية تحوز على العديد من المزايا:

- تجنّب تحمّل عبء هذا المذهب الذي لا يصدّق بأنّ رجلاً من جنسنا يصبح إلهًا<sup>(1)</sup>.
- تسهّل الحوار أكثر مع الإسلام واليهودية اللّتين تفسّران التّثليث على أنّه شكل من أشكال الشّرك والوثنية.
- تجعل المسيحيين أقلّ غرورًا في حوارهم مع أديان آسيا الذين يعترفون بأنّ الغرب يتبعون شريعة يسوع المسيح، لكن يطالبون بالمقابل الاعتراف بشرعية أديانهم بنفس قيمة خلاص شعوبها ومؤسسها، ودراسة لوناوار تُعتبر أكثر عقلائية لأنّها تحرّر العقل من التناقضات المذهبية اللامتناهية التي ينطوي عليها سرّ الثالوث.

### سؤال أكثر من مهمّ:

ذكر لوناوار في مؤلّفه بأنّ يسوع قدّم نفسه كإنسان مثله مثل الآخرين، وبمرافقته وتعامله مع البشر جعلت التلاميذ يتساءلون بشأن هويته بعد أن عرفوه أنّه متفرد<sup>(2)</sup>، لهذا يرى سيسبويه بأنّ الإجابة عن سؤال هوية يسوع عرف تطوّرًا لا يمكن إنكاره، ففي تلك الفترة كان يسوع في مرحلة التّكوين - كان موضوع المستقبل - أيّ أنه كان دائمًا إلهًا وليس بمعنى أنّه سيُصبح إلهًا، وعليه فإنّ الإيمان التّلاميذ بمعلّمهم هو الذي تطوّر من الإيمان بشخصٍ عاديّ إلى الإيمان والاعتراف به كإله.

من جانب آخر شرح لغة اعترافهم، وذلك واضح في تطورات العقائد الجمعية لترجمة تلك الاعترافات بمفاهيم فلسفية يونانية<sup>(3)</sup>، كما أشار سيسبويه في خاتمة مقدّمة كتابه إلى أنّ التّعليم المسيحي المتعلّق بإعلان الله عن تجسّده في شخص يسوع النّاصري بمنهج تربوي يحترم عقول النّاس لم يعد مهمّةً سهلةً منذ أن أصبحت الأسئلة عن هوية المسيح تُتداول في السّاحة العامّة، حيث ردّ ذلك إلى العيب التربوي لبعض التّعاليم المسيحية التي تغفل عن كون الاعتراف بيسوع كابن الإله كان هدفه التّحول إلى غاية قيامته، وبعد القيامة تطوّرت من خلال صياغة العهد الجديد والعبارة "أصبح" يعني بالخصوص

(3) Ibid, P 14.

(1) Ibid, P15.

(2) Ibid, P16.



## الفصل الأول: مدخل تمهيدي

المسيحيين الذين يبحثون عن إيمان عقلائي، بمعنى أنّ يسوع ليس هو مَنْ أصبح إلهًا من خلال استقرارات الكنيسة على مرّ العصور، لكنّه هيّا الطريق للتلاميذ الأوائل ليتعرّفوا عليه من خلال يسوع الناصري الإله المتجسّد، وهناك أمر يجب علينا توضيحه وهو عدم إمكان أيّ أحدٍ أن يدخل في لعبة مفادها أنّ الإنسان هو الإله، كيف أصبح كذلك؟ لا يمكن لأحد أن يصدّق أنّ يسوع منذ البداية كان هو الإله الوحيد، لذلك جاء عنوان كتاب سيسبويه مخالفًا لزميله كيف أصبح يسوع إلهًا.

يجب على المواضيع الثلاثة المطروحة في كتاب فريدريك:

- شهادة العهد الجديد.
  - الاعتراف بالإيمان المسيحي خلال القرنين الثاني والثالث.
  - ما طرحته المجامع من القرن الرابع إلى القرن الخامس من نيقية إلى خلقيدونية.
- وذكر الكاتب أنّه لن يكرّر ما طرحه لونوار، ولكن سيقدّم إضافات كبيرة لمعنى كلّ تلك الأحداث<sup>(1)</sup>. وقد أُلّف كتابًا يحتوي على ثلاثة فصول يتكوّن من مئتي صفحة.

(1)Ibid, P17.

### المبحث الثالث: يسوع في ميزان النقد الغربي.

يعدّ المسيح مركز التاريخ وأكثر الشخصيات تأثيراً في التاريخ البشري ولا تزال فئة كبيرة من الناس تواصل تقسيم التاريخ إلى مرحلتين: قبل الميلاد وبعد الميلاد وليس هذا فقط بل تُصنّف المسيحية على أنّها الديانة الأكثر انتشاراً في العالم، وقد اهتمّ العديد من الباحثين بشخصية "المسيح" منذ فجر المسيحية إلى عصرنا الحالي، حيث كانت جلّ بحوثهم منصبّة حول كشف سرّ هذا الشخص الذي أثار في نفوس البشر وفي حياتهم الروحية والعملية، وعليه سنقوم في هذا المبحث بعرض بعض آراء الباحثين والنقاد حول شخص يسوع بصفة عامّة في المطلب الأول، أمّا في المطلب الثاني فسُنخّصه للكاتب الذي يحمل كتابه نفس عنوان كتاب فريديريك لونوار محلّ هذه الدراسة.

### المطلب الأول: لمحة عامة عن موقف النقاد الغربيين من يسوع المسيح.

لقد اختلفت نظرة الباحثين تجاه شخص المسيح واستشكل على أكثرهم إبراز صفاته وهويته، فالدراسات المكتوبة كثيرة وبرؤى مختلفة، حيث يراه أتباعه والمؤمنون به في صورة السيّد الحامي والشافي الذي مازالت تجري المعجزات باسمه داخل الكنائس، ويراه آخرون مجرد إنسان عادي عاش قبل عشرين قرناً وأثر على المحيطين به، فألفوا عنه قصّة ودافعوا عليه حتى الممات، بعد أن كوّنوا منه شخصية متفردة في التاريخ البشري، كذلك هناك من يراه مجرد شخصية خيالية محضة رسمها الدّين المسيحي الجديد ووظّفها من أجل أن يكون متلائماً مع الظروف السائدة آنذاك وأيضاً من أجل تحقيق مآرب شخصية، كما يوجد من ينظر إليه على أنّه نبيّ يهوديّ جاء لإتمام شريعة موسى.

بسبب الأهميّة التي حظي بها يسوع عبر التاريخ، تناولته العديد من الدراسات التي غالباً ما تقوم بتأجيج خلافات حادّة، وهذا بسبب عدم الإجماع على رأي واحد وعدم الوصول إلى نتيجة واحدة بعد دراستهم لنصوص العهد الجديد، حيث تسبّب سؤال (من هو يسوع؟) في حدوث الكثير من الجدالات والانشقاقات التي بدأت بوادرها تظهر بين التلاميذ أنفسهم ثمّ امتدّت إلى غيرهم واستمرّ الأمر على هذا الحال إلى يومنا الحالي.

كما أنّ الاهتمام الدائم بيسوع المدفوع تارةً بالعواطف وبالمنطقية تارةً أخرى ساهم في إنتاج بحوث مطوّلة ومكثّفة نقبت في المصادر القديمة التي تناولت سيرته وتعاليمه وعلى رأسها "العهد الجديد" الذي

## الفصل الأول: مدخل تمهيدي

لطالما شكّل المصدر الأساسي لهذه الأبحاث<sup>(1)</sup>، حيث يمتد تاريخ تطبيق مبادئ كلّ من النّقد الأدبي والنّقد التاريخي في دراسة مضامين العهد الجديد أثناء تناوله كوثيقة تاريخية من القرن الثّاني إلى يومنا الحالي، إذ يمكننا تقسيم مراحل دراسة الكتاب المقدّس إلى مرحلتين أساسيتين:

**مرحلة ما قبل النّقد:** رغم أنّ نقد الكتاب المقدّس عمل تميّز به العصر الحديث، فقد خطا بعض الدّارسين في العصور الأولى للكنيسة خطىً باتجاه الدّراسة العلمية للعهد الجديد، حيث كان "مريقيون" الشخصية الأبرز في ذلك، الذي تجاوز العهد القديم واليهودية وصاغ قانوناً مستخلصاً من العهد الجديد من أجل ما ذهب إليه في تعاليمه، الأمر الذي دفع الكنيسة إلى معارضة مذهبه وصياغة قانون أرثوذكسي، وجاء بعده بسنوات قليلة "تاتيان السرياني" الذي يعدّ مؤلّفه (الإنجيل الرّباعي) أوّل ملّخص يقدّم الأناجيل الأربعة ضمن رواية موحّدة غير مجزأة<sup>(2)</sup>، وكانت لـ "أوريجين" كذلك مساهمتان مهمّتان في دراسة الكتاب المقدّس تمثّلت الأولى في "الهيكسبلا Hexa Pla" وهي المحاولة المسيحية الأقدم في النّقد النّصي للعهد القديم والثّانية تمثّلت في الهرمنيوطيقا الذي أولاهما اهتماماً كبيراً، فقد خلّفت محاولاته التّأويلية للنصوص أثراً بالغاً بين معاصريه بما أضافه من دلالات مستجدّة، ومن المؤرخين الكبار الذين يعدّون من النقاد المتحقّين في ثوب التّاريخ "ياساييوس القيصري" الذي من خلال مؤلّفه يُمكن استخلاص العديد من المعلومات المهمّة، حيث نجده يقسّم الأناجيل إلى وحدات مقتضبة ومرقّمة تظهر في الإنجيل الإغريقي لـ "نيستلي" واضحاً بينها مجموعة من التقسيمات من أجل إبراز مظاهر التوازي الموجود بين مختلف الأناجيل، أمّا لاهوتي الغرب الكبير "أوغسطينوس" فقد صاغ الفروقات بين أنجيل كلّ من متى ومرقس ولوقا ووضعها في مؤلّفه (Evangelistarum de consensus)، إذ كان الرّجل يُدرك أنّ صياغة الأناجيل في مجملها تعكس ذكريات عامّة، ولا تنظم نظاماً تاريخياً متناسقاً

(1) روبرت فان فورست، يسوع خارج العهد الجديد، تر: وسيم حسن عبده، (ط1، دار صفحات للدراسات والتّشر، سوريا، دمشق، 2012م)، ص09.

(2) برونو فورتّي، جون.س.كسلمان، رونالد.د.ويشروب، ت: عزالدين عناية، الفكر المسيحي المعاصر، (ط1، دار صفحات، دمشق، سوريا، 2014م)، ص47.

## الفصل الأول: مدخل تعصيدي

وصارمًا، كما أنه اعتبر أقوال المسيح المنسوبة إليه لم تُنقل جميعها حرفيًا، وإنما صيغت بعناية من أجل حفظ المعنى<sup>(1)</sup>.

وإذا اعتبرنا أنّ العصر الوسيط ساهم نوعًا ما في بلورة الفهم الجيد للنص خصوصًا في العهود المدرسية، فهذا لا يعني أنّ إضافته في النقد الحديث اكتسبت أهمية كبيرة، حيث وتقدم الإصلاح مع بداية القرن السادس عشر تولّد شغف الاهتمام بالكتاب المقدّس - خصوصًا في الكنائس الإصلاحية - والذي تميّز بصبغة عقديّة غير نقدية، حيث كان مارتن لوتر (1483م-1546م) الوجه الأبرز في ذلك باعتداده مبدأ النص لا غير، فبالرغم من الجدل الذي أثير حول أعماله إلا أنّ مساهمته في دراسة العهد الجديد كانت جدّ معتبرة، إذ ألحّ على ضرورة دراسة الكتاب المقدّس عن طريق لغته الأصلية، دون إهمال التفاصيل التاريخية الأدبية للنص، حيث اعتبر تلك الوسيلة أداةً تساعد في تيسير وتسهيل معرفة المسيح، كما أنّه حثّ على عدم إبقائها ضمن حيز الدارسين فحسب بل تشاع بين عامة الناس<sup>(2)</sup>، فألمانيا منذ بدء الإصلاح الديني كانت أرضًا خصبةً بالنسبة للتأليف التاريخي والبحث في مناهجه، حيث قامت خلال القرنين السادس عشر والسابع عشر حركات متنوعة ومختلفة كان موضوع بحثها "يسوع التاريخ"، رغم أنّ المشروع لم يبدأ بطريقة جدية وعلمية، لكنّ مع بداية القرن التاسع عشر عندما قام ريتشارد سيمون بتقديم بحث شامل ودقيق عن حياة يسوع وكان هذا النقد وليد الحركة التي سميت بحركة التحرر التي قام بها النقاد في إنجلترا وفرنسا وألمانيا<sup>(3)</sup>.

لقد نشأ التفسير العلمي للنصوص المقدّسة في ألمانيا خلال القرن الثامن عشر، وقد حارته الكنيسة في مرحلة أولى ثمّ تقبلته بعد ذلك ويكمن هذا التفسير من استخراج سيرة يهودي يدعى يسوع بواسطة البحث عن التقاطعات بين المصادر المعتمدة، وإخضاع هذه المصادر لمجموعة من ضوابط الصّحة ولئن كانت هذه السيرة مقتضبة فإنّها تحظى بالمصداقية<sup>(4)</sup>، ولقد كان من أعظم ميادين نشاط العقل الإنساني في العصر الحديث وأبعدها أثرًا في النقد الأعلى للكتاب المقدّس والتهجّم الشّديد على

(1) المرجع السابق، ص 48.

(2) برونو فوري، المرجع نفسه، ص 48-49.

(3) حنا جرحس الخضري: تاريخ الفكر المسيحي "يسوع عبر الأجيال"، (ط1، دار الثقافة، القاهرة، 1981م، ج1)، ص 157.

(4) فريدريك لونوار: موجز تاريخ الأديان، ت: محمد الحداد، (ط1، دار سيناترا، تونس، 2012م)، ص 241.

## الفصل الأول: مدخل تعصيدي

صحته وصدق روايته، وقد دارت رحى أولى المعارك في هذه الحرب على يد أستاذ اللغات الشرقية في جامعة هامبورغ: **هرمان ريماروس** (Hermann Reimarus 1694-1768م) الذي ترك بعد وفاته في عام 1768م مخطوطاً عن حياة المسيح يقول فيه أنّ يسوع لا يمكن أن يعدّ مؤسس المسيحية أو أن يفهم هذا الفهم، بل يجب أن يفهم على أنّه الشخصية النهائية الرئيسية في جماعة المتصوّفة اليهود القائلين بالبعث والحساب وفي عام 1828م لخص **هنريخ بولس** (Heinrich Paulus 1761-1851م) حياة المسيح وعرض تفسيراً عقلياً للمعجزات أي أنّه آمن بوقوعها، لكنّه عزاها إلى علل وقوى طبيعية<sup>(1)</sup>، ثمّ جاء **دافيد فريدريك شتراوس** (Frederik Strauss 1808م-1874م) الذي أنكر كلّ دين يقوم على إله شخصي واعتبر أنّ العلم يعطي تفسيراً كاملاً وافيّاً للكون، كما يرى أنّ ما روي عن ألوهية المسيح ليست سوى أوهام توهمتها المجتمعات البدائية أثناء تفتيشها عن المطلق<sup>(2)</sup>، حيث حاول البرهنة على أنّ المسيح كان إنساناً وليس إلهاً وأنّ حياته هي مجرد أسطورة ميثولوجية اخترعها المسيحيون الأوائل وقد ساهم في خلقها اليهود أيضاً انطلاقاً من عقيدتهم الأساسية التي تقول بمجيئ المسيح<sup>(3)</sup>.

وفي عام 1863م أخرج **أرنست رينان** (Ernest Renan 1823-1892م) "**حياة يسوع**" الذي روّع ملايين الناس بنشره واعتماده على العقل، حيث تضمّن كتابه النقد الألماني مقروناً باستعراض مشكلة الأناجيل أمام العالم المثقّف كلّه، إذ بلغت المدرسة الفلسفية صاحبة البحوث الدّينية ذروتها في أواخر القرن التاسع عشر على يد الأب **لوازي** (LOIZY 1857-1940م) الذي حلّل نصوص العهد الجديد تحليلاً بلغ من الصرامة حدّاً اضطرت الكنيسة معه إلى إصدار قرار بحرمانه هو وغيره من المحدثين<sup>(4)</sup>. ومن البحوث التي ميّزت عصر ما بعد الحركة الاصلاحية هو "**يسوع التاريخ**"، رغم أنّ "**جاك شولو سر**" يرى أنّ البحث حول يسوع التاريخ قد تزعزع في القرن العشرين ولكن البحث استفاد من غفوته في أوساط القرن العشرين حين بدأت الحقبة الثانية واستمرّت إلى غاية سنة 1980م، حيث أطلق البعض على هذه الحقبة اسم البحث الجديد، أمّا "**بولتمان Bultmann**" فقد

(1) صابر طعيمة: قراءة في الكتاب المقدّس "تأملات في كتب الأناجيل"، (ط1)، دار الزمان، المملكة العربية السعودية، المدينة المنورة، 2006م، ص100-101.

(2) ياسين صلاواي: الموسوعة العربية الميسّرة والموسّعة، (دط)، مؤسسة التاريخ العربي 2001، ج5، ص177.

(3) عبد المنعم حنفي، موسوعة الفلسفة والفلاسفة، (ط2)، مكتبة مدبولي 1999م، ط2، ج1، ص306.

(4) طعيمة صابر، مرجع سابق، ص101.

## الفصل الأول: مدخل تمهيدي

اعتقد بأنّ البحث التاريخي حول يسوع غير ممكن بل من دون فائدة لاهوتية، لكنّ هذا لم يمنع تلاميذه -من بينهم أرنست كيزمان (Ernst Kasemann 1096-1998م)- من الخوض في ذلك البحث، حيث باشر البحث معهم بعضُ مفسّري الكتاب المقدّس الكاثوليك..

وهكذا قام جيلٌ من البَحّاثَة خاصّة في ألمانيا بتقديم إنتاجٍ مهمٍّ من الأبحاث حول يسوع أو حول المواضيع الأساسية الخاصّة ببشارته على غرار ملكوت الله أو ابن الانسان، إضافة إلى ذلك وضعوا دراسات حول البحث بحدّ ذاته وحول المنهجيات، وسأعرض فيما يلي لمحةً سريعةً عن التّنتاج الأساسية لهذه الأبحاث التي استوحيتها من البَحّاثَة كومل (W.G.Kummel 1905-1995م) الذي كان عاملاً مهمّاً في البحث فأضحى المؤرّخ المطّلع في هذا المجال<sup>(1)</sup>.

عملياً زال الاعتراض على إمكانية ضرورة البحث التاريخي حول يسوع.

بالنسبة إلى نتائج البحث لا يزال عدم التوافق حول بعض الأمور الأساسية قائماً، فمثلاً: هل

استعمل يسوع شخصياً لقب ابن الانسان أم أهمله؟ إذا أجبتنا بنعم، هل قام بتطبيقه؟

استناداً إلى الحقبة الأولى من البحث يؤكّد الشّراح أنّ كتابة وتدوين سيرة حياة يسوع الحقيقية غير ممكنة، لكنهم مقتنعون بأنّ ذلك البحث يتوصّل إلى نتائج ثابتة، وذلك حين يتناول الخطوط العريضة لأقوال يسوع وأعماله، إذ يجب الأخذ بعين الاعتبار التوتّر الحادّ بين يسوع وبين المعتقدات الأساسية لليهودية. إذ أنّ الاهتمام ببشارة يسوع يرتكز على إعلان ملكوت الله الذي لم يُصنّف في بداية الأمر على أنّه واقع اجتماعي بل تمّ اعتباره كعظمة الأزمنة الأخيرة التي من خلالها يقترح الله ويحقّق عرضه الخلاصي مسألة استعمال الألقاب الكريستولوجية<sup>(2)</sup>.

(1) جاك شلوسر: يسوع التاريخ، تر: الخوري نعمة الله الخوري، (دراسات ببليوية - يسوع التاريخ-) محاضرات ومقالات نسّقها وقدمها أيوب شهوان، (ط2، الرابطة الكتابية، لبنان، 2010م)، يوم الاثنين 24/01/2005م ص131.

(2) المرجع نفسه، ص131.

## الفصل الأول: مدخل تمهيدي

المطلب الثاني: موقف كارل ياسبرس وبارت إيرمان من المسيح.

إنّ نتائج البحوث حول يسوع - كما ذكرْتُ - مختلفةٌ بسبب اختلاف المصادر المعتمدة لدى كل باحثٍ وكذلك تمايز خلفياتهم ومشاريهم العلمية، لهذا سأعرض هنا موقفين مختلفين لباحثين غربيين حول يسوع الناصري.

يرى "كارل ياسبرس (Karl Jaspers 1883- 1969)" أنّ يسوع نشأ وترعرع في الناصرة وفي الجليل رفقة أربعة إخوة وبضع أخوات في كنف أمّه، حيث درس المعرفة الرّبانية للعهد القديم، ويرى أيضًا أنّ يوحنا المعمدان ناسك ضيفاف الأردن قد أحدث لدى يسوع انطباعًا عميقًا بشأن مجيء الملكوت وقرب القيامة والغضب الإلهي والتوبة والتعميد وغفران الذّنوب، قد ذهب إليه يسوع فعَمّده، وعندما بلغ الثلاثين من عمره أخذ يَجبُو البيع ويكرزُ بنهاية العالم وبالملكوت وكانوا يلقّبونه ب: "الرّبيّ (معلّم)" وكان تلاميذه يلتقون من حوله وهو ينتقل من مكان إلى مكان حيث صنع أثناء ذلك العديد من المعجزات: إحياء الموتى وشفاء المرضى والمجانين<sup>(1)</sup>، وكان من حوله يقولون عنه أنّه مُختل<sup>(2)</sup> أمّا عن مدّة نشاطه يؤكّد الكاتب عدم معرفته بنشاط يسوع العامّ والذي استمرّ ربّما بضعة أشهر أو استمرّ على الأكثر ثلاث سنوات، لكنّ المروي والمنقول هو آلامه التي دامت بضعة أيّام حتى لحظة موته (الدخول إلى أورشليم، تطهير الهيكل، العشاء الرّباني، خيانة يهوذا، القبض عليه واستنطاقه، حكم المحكمة اليهودية العليا والقرار الذي أصدره بيلاطس والصّلب والدرامة التي وقعت في الجثمانية عندما كان التلاميذ نائمين جميعًا والقبر الفارغ ويرى الكاتب أنّ كل هذه الأحداث مرتبطة فيما بينها لا يكاد يمكن الفصل بينها<sup>(3)</sup>).

يتساءل الكاتب بشأن سبب دخول يسوع إلى أورشليم والذي يعدّ حدثًا مهمًّا يُساهم في الكشف عن حقيقة دعوته، إذ لا توجد أي قرينة تدلّ على ممارسة نشاط سياسي يطمح إلى الاستيلاء على السّلطة بل كان يرمي إلى وقوع حادثٍ مهمّ وحاسمٍ، ولكن ما هو؟!!

(1) كارل ياسبرس: فلاسفة إنسانيون، د عادل العوا، (دط، عويدات، بيروت-لبنان، 2016م)، ص 207.

(2) مرقس 3: 21: [وَلَمَّا سَمِعَ أَقْرَبَاؤُهُ خَرَجُوا لِيُمَسِّكُوهُ، لِأَنَّهُمْ قَالُوا: «إِنَّهُ مُخْتَلٌ»].

(3) المرجع نفسه، ص 208.



## الفصل الأول: مدخل تمهيدي

يسوع كان دائماً يتحاشى أيّ إعلان عن صفته الشخصية، ولكنّه في النهاية بحسب روايات الأناجيل وعندما سأله رئيس الكهنة أجابه: [وَأَمَّا يَسُوعُ فَكَانَ سَاكِتًا، فَأَجَابَ رَئِيسُ الْكَهَنَةِ وَقَالَ لَهُ: «أَسْتَحْلِفُكَ بِاللَّهِ الْحَيِّ أَنْ تَقُولَ لَنَا: هَلْ أَنْتَ الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ؟» قَالَ لَهُ يَسُوعُ: «أَنْتَ قُلْتَ»<sup>(1)</sup>] وعندما سأله بيلاطس: [فَسَأَلَهُ الْوَالِي قَائِلًا: «أَنْتَ مَلِكُ الْيَهُودِ؟» فَقَالَ لَهُ يَسُوعُ: «أَنْتَ تَقُولُ»<sup>(2)</sup>، وبسبب هذا حكم عليه بعد تأويل كلامه على أنّه طمّع في العرش، فهو لا يشرح بوضوح فكرته عن نفسه، فطبيعة الأشياء ذاتها على ما يبدو تجعل من مفهوم يسوع عن نفسه وعن مقاصده مفهومًا غامضًا ومبهمًا، فاستعماله تعبيرات مثل: (جئت ... أمّا أنا فأقول) تدلّ على أنّه كان يعي جيّدًا مضمون رسالته كواعظ في أوّل الأمر ثمّ كنبّي وأخيرًا -ربّما- كمسيح، لكنّ أقوال يسوع كما هو متّفق عليه - تُورث الحيرة في نفوس الذين ينشدون إيجاد معرفة ذات دلالة واحدة، فيسوع لم يوطّد ذاته بصيغ بل كان يعمل دون دخول متاهة الآراء التي تُناقش شخصه وليس من الضروري أبدًا أن يعي ذاته وعيًا ثابتًا تمامًا، إذ أنّ المسألة المثبتة من الاهتمام العقدي<sup>(3)</sup> على ما يبدو هي مسألة أسيء طرحها.

يرى الكاتب أنّ يسوع لم يكن فيلسوفًا ذا فكر منهجي ينظّم آراءه تنظيمًا منطقيًا، ولم يكن مصلحًا يخطّط لأجل إصلاح نظام اجتماعي، بل ترك العالم كما هو، بحكم أنّه سينتهي في كلّ الأحوال، ولم يكن أيضًا سياسيًا يرغب في تحويل وإعادة الدولة، حيث كان يمارس العبادة اليهودية - دون تأسيس عبادة معيّنة - مثلما ظلّت الطائفة الأولى تمارسها، كذلك لم يعمّد ولم يؤسس منظمة ولا طائفة ولا كنيسة، فماذا كان إذن؟<sup>(4)</sup>

حيث ولمعرفة صفاته المميّزة قام الكاتب بمعالجة المسألة انطلاقًا من زاويتين كما يلي:

أ) الجانب النفسي في واقعه الفردي: من غير المناسب اعتبار يسوع في نظر "كارل ياسبرس" إنسانًا متسامحًا وديعًا ومحبًّا<sup>(5)</sup>، فهو يمزج بين العذوبة والتزمّت النضالي اللذين كانا يتجلّيان في طريقته

(1) متى 26: 63-64.

(2) متى 28: 11.

(3) كارل ياسبرس: المرجع السابق، ص 214.

(4) المرجع نفسه، ص 216.

(5) متى 5: 44: [ وَأَمَّا أَنَا فَأَقُولُ لَكُمْ: أَحِبُّوا أَعْدَاءَكُمْ. بَارِكُوا لَأَعْيُنِكُمْ. أَحْسِنُوا إِلَى مُبْغِضِكُمْ، وَصَلُّوا لِأَجْلِ الَّذِينَ يُسَيِّئُونَ إِلَيْكُمْ وَيَطْرُدُونَكُمْ ].

## الفصل الأول: مدخل تمهيدي

بالمطالبة بالإيمان، فيسوع لا يغضب من أحد ولا يزدري أحداً ولا يذود عن حقّه ولا يلجأ إلى أيّ قضاء وكذلك لا يعارض شيئاً، لا الدولة ولا العمل ولا المجتمع، إنّما فقط يشعر بالعطف والأسى لضلال أولئك الذين يتبعون الطريق المؤدّي إلى التور، كما لا يمكن اعتباره بالأحرى رجلاً عصياً<sup>(1)</sup> فهو يهدّد من ينكره أمام الناس ويتوعّدهم بإنكارهم يوم الرّب كما أنّه قال لم يأت ليلق سلاماً على الأرض بل سيّفاً وجاء ليفرق بين الناس ولعن المدن التي لم تتب...<sup>(2)</sup>

ب) الجوانب التاريخية: يقع يسوع على هامش العالم الهلنستي الروماني في فترة العصر القديم المتأخّر، وقد حاولوا تفسير يسوع كحالة خاصّة من صنف المشاغبين السياسيين والدّينيين، وخلطه فريق بالحركات الشعبيّة التي كانت تترقّب بلا كلل في فلسطين ذلك العهد المتمثّل في مجيء المسيح وعند مجيء يسوع فقد زعموا أنّه لم يأت بشيء جديد في تعليمه بالمعنى الصحيح، فقد عاش بمعلومات بيئته وعاش بقوة كبرى في نظرية الله العبرية وهو لم ينزع البتة إلى الانفصال عن الإيمان اليهودي بل على العكس عاش في الباطن كالأنبياء، عاش يعارض مفاهيم الكهنة الجامدة، فهو تاريخياً آخر أنبياء اليهود ولذا فإنّه يتّخذهم علناً وفي الغالب مرجعاً له بيد أنّ البيئة التي وجد فيها تخلق فارقاً بينه وبين الأنبياء القدامى، فهؤلاء كانوا يعيشون في دولة يهودية مستقلة وهم يشاهدون انحطاطها، أمّا يسوع فإنّه يعيش في دولة مستقرّة سياسياً، يعيش في الحكم "التيوقراطي" اليهودي المستقر منذ قرون<sup>(3)</sup>..

إنّ إله يسوع الذي هو إله التوراة لم يُبق أحد هذه الآلهة الشّرقية التي انبثق (يهوه) منها سابقاً، فلقد فقد بالتدرّج صفة القسوة الشّرقية وفقد ضمأه إلى الدّباح بظهور هذه النّظرية الرّفيعة عن القربان، نظرية الأنبياء الذين يمثّل يسوع صداهم الآخر ذلك هو إله العهد القديم الذي يؤمن به يسوع وتلك هي

(1) مرقس 11: 13-14: [ فَنظَرَ شَجَرَةَ تِينٍ مِنْ بَعِيدٍ عَلَيْهَا وَرَقٌّ، وَجَاءَ لَعَلَّهُ يَجِدُ فِيهَا شَيْئًا. فَلَمَّا جَاءَ إِلَيْهَا لَمْ يَجِدْ شَيْئًا إِلَّا وَرَقًا، لِأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ وَقْتُ التَّيْنِ فَأَجَابَ يَسُوعُ وَقَالَ لَهَا: «لَا يَأْكُلُ أَحَدٌ مِنْكَ ثَمَرًا بَعْدَ الْإِبْدَانِ!». وَكَانَ تَلَامِيذُهُ يَسْمَعُونَ].

(2) المرجع السابق، ص 217-221.

(3) المرجع نفسه، ص 222-225.

## الفصل الأول: مدخل تمهيدي

ديانة الأنبياء القديمة التي يجعلها يسوع راهنة حاليًا، إنّ يسوع كأرميا، اليهودي القحّ المتحرّر من كلّ قيدٍ شرعيّ يتمسك بالشعائر أو العبادة، إنّه يجسّد من جديد إيمان الأنبياء<sup>(1)</sup>.

**الفكرة الرئيسية:** كان يسوع يهتمّ بالله وبمشيئته وبأنّ الحرية هي جوهر هذا الإيمان، فبالحرية يتكلّم الله وهذا اليقين بالله يجعل من الممكن لدى يسوع حدوث موقف روحي يتعدّد فهمه بذاته، فالإنسان يبقى في العالم وهو يساهم فيه كحويّ في شرط وجوده الزمني ولكن دون أن يبلغه ذلك لأنّ ما يبلغه هو عنصر عميق لن يبقى في العالم، لقد خرج يسوع عن معايير العالم بأسرها وذهب إلى أنّ جميع المعايير والعادات قد أصبحت فريسية وهو يوضح القوالب التي صبّت فيها، فلم يعد واقع العالم كلّه يستند إلى شيء، بل إنّ كل شيء ينهار على غرار المعايير وصلات الرأفة والتعاليم، وكذلك القوانين الأخلاقية التي يملئها العقل وكلّ واجب ماعدا واجب اتباع الله في ملكوته<sup>(2)</sup>.

خلاصة القول بشأن رأي كارل ياسبرس في يسوع من خلال زاوية كونه فيلسوفًا تتمثّل في أنّه حمل على عاتقه إرشاد النّاس إلى حياة أفضل قبل فوات الأوان، ويقصد بذلك نهاية العالم الذي كان محور رسالته وأن هذا الحدث وشيك الحدوث، حيث يرى أنّ كلّ شيء تافه بحكم أنّ ملكوت الله آتٍ أين سيحكم الله وحده دون معونة إنسانٍ، إذ أنّ هذا الملكوت ليس العالم ولا الآخرة في الوقت نفسه بل هو عالم جديد، لأنّ ملكوت الله موجود سلفًا فملكوت الله هو المسيح نفسه أي شخصه وأعماله ورسالته، ملكوت خاص بالذين يسمعون وعظه ويتّخذون قرار عاجل للتوبة<sup>(3)</sup>.

المسيح - حسب ياسبرس - مزيج من الإنسان المتسامح والمناضل الراض للواقع، لكنّه يسعى من أجل جعله مكانًا أفضل عن طريق أتباعه الذين من المفترض ألا يكون متغاهم إلاّ ملكوت الله، أي العالم الجديد.

موقف بارت إيرمان من يسوع المسيح: في كتابه:

How Jesus Became God : The Exaltation of a Jewish Preacher from Galilee  
. كيف أصبح يسوع إلهًا: تمجيد واعظ يهودي من الجليل Galilee

(1) المرجع نفسه، ص 226-227.

(2) المرجع السابق، ص 228-230.

(3) المرجع نفسه، ص 190-194.

## الفصل الأول: مدخل تمهيدي

لم يكن لبارت إيرمان (Bart Denton Erman) <sup>(1)</sup> السبق في البحث عن شخص يسوع المسيح كما أشرت إلى ذلك سابقاً ولكن كانت له بصمة خاصة في مؤلفه المعنون ب: كيف أصبح يسوع إلهًا وهو نفس عنوان كتاب فريدريك لونوار، وذلك من خلال تتبعه المسار التاريخي لتأليه المسيح الذي عالج فيه مرحلة حسّاسة من تاريخ المسيحية تمتد من القرن الأول للميلاد إلى غاية القرن الرابع ميلادي وبالتحديد سنة 325م السنة التي تمّ فيها في عقد مجمع نيقية.

كانت دراسة "بارت إيرمان" محاولة اثبات التعارض بين اللاهوت والتاريخ، بين دراسة المسيحية من منطلق لاهوتي، ودراستها من منطلق علمي تاريخي وهنا يضع عنوان كتابه داخل هذا السياق، إذ أنّ المهتمّ باللاهوت يبحث عن الكيفية التي أصبح بها الإله إنساناً، بينما المؤرخ يسأل كيف أنّ الإنسان أصبح إلهًا؟<sup>(2)</sup>

حيث يعرض بارت إيرمان كتابه من خلال منظورين:

- **الأول: عن طريق الاختيار:** وذلك بأن يختار الإله أحد البشر (ملك، كاهن، محارب) ليضمّه إلى صفوف الآلهة.
- **الثاني: عن طريق التجسيد:** بأن يتجسّد كائن مقدّس (أحد الآلهة، ملك) في صفة إنسان.

وهذا ما أشار إليه كلٌّ من مرقس ويوحنا حيث اعتمد الأول سرد قصّة المسيح المتحوّل إلى إله بينما يوحنا صوّر المسيح كإله منذ البدء وقبل خلق العالم إلى غاية لحظة نزوله إلى الأرض وتجسّده على

---

(1) بارت إيرمان: من مواليد 15 أكتوبر 1955م بمدينة لورنس ولاية كنساس بالولايات المتحدة الأمريكية يعمل رئيس قسم الدراسات الدينية في جامعة كارولينا الشمالية ويعتبر أحد أعظم القادة العلماء في مجاله في أمريكا الشمالية ألف أكثر من ثلاثون كتاب كما حقق إشادة واسعة على المستوى العلمي وعلى الميتو الشعبي على حدّ سواء تركز كل أعمال ومؤلفات بارت إيرمان على التقدّي للعهد الجديد وعيسى التاريخي وتطوّر المسيحية الأولى. أنظر: إلياس دكار: اتجاهات التقدّي للحديث للكتاب المقدّس في الفكر الإسلامي والفكر الغربي-دراسة تحليلية مقارنة- (رسالة دكتوراه غير منشورة)، جامعة الأمير عبد القادر، 2017-2018، ص229.

(2) Ehrman, D. Bart. How Jesus Became God : The Exaltation of a Jewish Preacher from Galilée, USA : Harper One, 2014.

نقلًا عن: ياسين اليحياوي: المسار التاريخي لتأليه المسيح (قراءة في كتاب بارت إيرمان كيف أصبح يسوع إلهًا)-مجلة الدراسات الدينية- (مجلة إلكترونية)، العدد الأول، 2014م، ص46.

## الفصل الأول: مدخل تمهيدي

هيئة بشر، ونلاحظ هنا اشتراك كلٍّ من مرقس ويوحنا في رفع المسيح إلى مرتبة الإله لكنّ اعتمادًا على منطلقات مختلفة<sup>(1)</sup>.

لقد عالج بارت إيرمان في كتابه قضية الوهية المسيح من جانبيين رئيسيين: الجانب الأول عالج به عرض الأفكار الدينية التي كانت منتشرة عند اليونان والرومان من تداخلٍ بين عالم الآلهة وعالم البشر، أمّا الجانب الثاني فقد عالج به من خلال الحديث عن الدين اليهودي الذي يؤمن بإله واحد مطلق يصعب فيه الحديث عن التداخل بين مملكة السماء وعالم البشر، لكنّ الكاتب رغم ذلك يرصد نقاطاً تواصلٍ عديدة، منها استبدال الآلهة بكائنات مقدّسة كالملائكة في الفكر الديني اليهودي، حيث يرى أنّ اليهود آمنوا في القرن الأول للميلاد بإمكانية الانتقال بين العالمين كأن يتحوّل أحد البشر إلى ملاك، وبالرجوع إلى نشأة المسيحية فإنّ يسوع تم إدخاله في هرم الآلهة حسب المعتقد السائد آنذاك واختلفت مرتبته في الهرم حسب معتقد كل جماعة، وقد تحوّل وفي القرن الرابع من عضوٍ داخل هرم الآلهة إلى إله عند وضع أول قانون للإيمان المسيحي<sup>(2)</sup>.

من خلال هذا العرض المقتضب يرى بارت إيرمان بأنّ البحث عن ألوهية المسيح لا يجب أن تنطلق من القرن الرابع حسب التصوّر الأرثوذكسي لأنّ ذلك يختلف تمامًا عن المفهوم السائد في القرن الأول وبالتالي فإنّ البحث عن الكيفية التي أصبح بها يسوع إلهًا يستوجب إعادة صياغة السؤال كالتالي: داخل أي منظور آمنت الجماعات المسيحية المبكرة بأن يسوع إله؟ إذا كانت مملكة السماء تتكوّن من هرم الآلهة؟ هل اعتقد يسوع بأنه إله؟

وقد أكّد الكاتب بأنّ يسوع نبيّ رؤيوي قام بتحذير الشعب من نهاية العالم كما طرح تساؤلًا آخر في قوله: هل بإمكاننا الكشف عن الطبيعة الإلهية ليسوع من خلال تعاليمه؟ ويجب من خلال مناقشة مجموعة من النصوص في إنجيل يوحنا بأنّ يسوع ليس هو الآب مع أنّه جعل نفسه مُساوٍ له، غير أنّ جميع الأقوال المنسوبة إلى يسوع في إنجيل يوحنا لا تصمد أمام أي معيار من معايير النّقد التاريخي، فيصعب بالتالي الجزم بأنّها أقوال أصيلة خصوصًا وأنها دوّنت فقط عند يوحنا، فالعديد من

(1) المرجع نفسه، ص 49.

(2) المرجع السابق، ص 49.

## الفصل الأول: مدخل تمهيدي

المصادر الأقدم تاريخيًا لم تتحدّث عن يسوع بهذه الصورة ما يؤكد أنّ هذا التقليد حول ألوهية المسيح يرجع إلى جماعة يوحنا وليس إلى يسوع نفسه<sup>(1)</sup>.

ومن بين المسائل التي تطرّق إليها بارت إيرمان في كتابه حادثة القيامة التي شكّلت حدثًا رئيسيًا ساهم في رسم المعالم الأولى لألوهية المسيح ويبدو واضحًا أنّ الأناجيل الأربعة اتفقت على سرد هذا الحدث والإشارة إلى القبر الفارغ دليلاً على أنّ القيامة لم تكن بالروح فقط بل بالجسد ومع توالي الأحداث والظهورات انتشرت التأويلات المتفرقة، فيسوع في آملهم هو ملك إسرائيل ابن الله وهو أيضًا المخلص المتأمّ وهو السيّد في نظر الأتباع الأوائل الذي فارقهم بعد أحداث الصّلب ليجلس عن يمين الآب، حيث أنّ كلّ هذه الألقاب تمّ ربطها بنصوص العهد القديم فمثلاً في سفر المزمير نقرأ: [قَالَ الرَّبُّ لِرَبِّي: «اجْلِسْ عَنْ يَمِينِي حَتَّى أَضَعَ أَعْدَاءَكَ مَوْطِنًا لِقَدَمَيْكَ»]<sup>(2)</sup>، فمن سيكون السيّد في هذا النصّ غير يسوع وها قد صدق وعد الإله بأن جعله ملكًا ليس على إسرائيل فقط بل في مملكة السّماء، فتتحقّق بذلك فرضية كون يسوع هو ابن الله الحقيقي، وهكذا بدأت عمليات التّأليه داخل هذا السّياق، وهو تّأليه لا يزال في مراحل الأولى، حيث يبلغ بعدُ طوره التّهاوي، والملفت للنّظر من خلال قراءة النصوص الكرسولوجيا الأولى هو أنّ يسوع لم يكن مساويًا للآب في الجوهر والطّبيعة بل أعطاه مكانة أعلى من مكانة البشر<sup>(3)</sup> كما أشار المؤلّف إلى النصوص المسيحية الأولى بأنّها لا تعود إلى أتباع يسوع المقربين ولم يكن رواة الأناجيل شهودَ عيانٍ وأنّ الشهادات الأولى لم يتم تدوينها إلا بعد سنوات عديدة، حيث يُرجع بارت إيرمان سبب عدم تدوينهم لقصّتهم مع المسيح إلى أنّ أغلبهم ينتمون إلى طبقة الفقراء والفلاحين، ولهذا فاحتمالية اتقانهم للقراءة ضعيفة جدًّا ناهيك عن الكتابة، كما أنّ الهاجس الإسكتولوجي ظلّ مصاحبًا للأتباع الأوائل فلم يهتموا بتدوين تعاليم يسوع أو كتابة حياته ليقيّنهم بالاقتراب الوشيك لنهاية العالم وكانوا ينقلون ذلك مشافهة إلى أن تمّ تدوينه بعد سنين عديدة<sup>(4)</sup>.

(1) المرجع نفسه، ص 50.

(2) مزمير 110: 1.

(3) المرجع السابق، ص 50.

(4) المرجع نفسه، ص 51.

## الفصل الأول: مدخل تمهيدى

يرى أيضاً بارت إيرمان أنّ الإيمان الشّعبى كان يُنزل المسيح منزلةً أرفع من باقي البشر وحتى لو تمّ اعتباره ذا طبيعة إلهية، فهي تدرج ضمن سياق الآلهة الأقلّ مكانةً من الإله المطلق، حيث يمكن تلخيص هذا الإيمان بالصيغة التالية: (يسوع إلهٌ لكنّه ليس الآب)<sup>(1)</sup>.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

---

(1) المرجع نفسه، ص52.





جامعة الأمير

الفصل الثاني: طوبارة المسيح بخلال القران الاول للنبوة

- صورة المسيح في نظر معاصريه من اليهود.
- شخصية المسيح.
- صورة المسيح في نظر غير اليهود.

الإسلامية



## الفصل الثاني: صورة المسيح خلال القرن الأول.

تمهيد:

تختلف نظرة المؤرخين والعلماء بمختلف تخصصاتهم تجاه شخص يسوع المسيح، إذ يمكن تقسيمهم إلى ثلاثة أصنافٍ أو فِرَقٍ: فريق يؤمن بألوهيته سواء كإله متجسد أو ابن إله، وفريق ثانٍ يؤمن ببشريته سواء كحكيم أو نبيٍّ أو رجل عادي عاش كغيره من البشر، وهناك فريق ثالثٌ يرى أن يسوع عبارة عن أسطورة وليس له وجود في التاريخ البشري، إلا أن آراء وأفكار الفريق الأخير غير منتشرة كثيراً بحكم أن وجود يسوع تاريخياً لم تثبته النصوص الدينية فقط بل أكّدت الأدلة التاريخية كينونته أيضاً، لكنّ مُشكلة "المسيح" العويصة لا تكمن في وجوده التاريخي من عدمه، بل في اختلاف المؤرخين والتقاد وحتى المؤمنين به حول هويته، وهذا ناتج عن تناقض أهم المصادر التي تحدّثت عن يسوع، وكذلك تضارب الأدلة التاريخية والاكتشافات العصرية، وهذا ما دفع الكثير من المؤلفين المعاصرين إلى إعادة البحث عن شخصٍ وهوية "المسيح" استناداً إلى تلك الأدلة وتأويلها حسب قناعاتهم الشخصية. وقد كان "فريدريك لونوار" من بين هؤلاء المعاصرين الذين أعادوا التّقيب المعرفي بحثاً عن هوية يسوع، حيث سُنحاول في هذا الفصل والفصلين المواليين تبيان معالم يسوع في كتابه محلّ الدّراسة وكذلك استقصاء موقفه من هوية يسوع، مع توضيح وتفصيل أدلته التي تدعم ما ذهب إليه، وأقصد هنا بالمعالم<sup>(1)</sup> السمات والصفات والدلائل والآثار والخصائص المتعلقة بيسوع والتي تعبّر عن هويته، ومن أجل إبرازها قمْتُ بترجمة أجزاء الكتاب وتحليلها بغية توضيح تلك المعالم التي رسمتها الجماعات المسيحية المؤمنة بيسوع خلال القرون الخمسة الأولى.

(1) مفهوم المعالم في اللغة: معالمٌ - جمع - مفردة معلّم معالم المكان: ما يُستدلُّ بها عليه من آثارٍ ونحوها "معالمٌ أثريةٌ - أخفت الجراحه معالمٌ وجهه - يُخفي معالم جرمته"، معالمُ الطّريق: العلامات التي تدلُّ عليها - معالمُ المدينة: الأبنية ونحوها التي تشتهر بها وتميّزها عن غيرها من المدن - معالمُ تاريخيةٌ: أحداثٌ تمثّل نقطة تحوّل في التاريخ، أنظر: أحمد مختار عبد الحميد عمر: معجم اللغة العربية المعاصرة، (ط1، عالم الكتب، 2008، ج2، باب ع ل م)، ص1544. معلم الشيء: مظهره و- الطريق: دلّالته، وما يستدل به على الطريق من الأثر، أنظر أحمد رضا: معجم متن اللغة، (دط، دار مكتبة الحياة، بيروت، 1960م، ج4)، ص195. وجاء في معجم مقاييس اللغة: معالم: من علم والعين واللام أصل واحد يدلّ على أثر بالشيء يتمييز به عن غيره أنظر: أحمد ابن فارس: معجم مقاييس اللغة، (ط1، دار الفكر، مصر، 1979، ج4)، ص109. وفي لسان العرب: المعلم ما جعل علامة وعلماً للطّرق والحدود مثل: أعلام الحرم ومعلمه المضروبة عليه ومعالم الطّريق دلّالته ومنه معالم الدّين ودلّالته: أنظر: محمد ابن منظور، لسان العرب، (ط3، دار صادر، بيروت، 1993م، ج12)، ص419-420.

## الفصل الثاني: صورة المسيح خلال القرن الأول.

المبحث الأول: صورة المسيح في نظر معاصريه من اليهود.

يتطرق هذا المبحث إلى بعض الأدلة التاريخية التي تُثبت وجود يسوع من خلال اقتفاء أثر شهادات معاصريه وكذا نظرهم إليه استنادًا إلى بعض الأحداث المهمة التي جرت في حياته مُرفقةً بذكر بعض مواقفهم وتصرفاته تجاه أتباعه، دون التغافل عن التطرُّق إلى رسالته التي جعلت مَن رآه يتساءل بشأن هويته.

المطلب الأول: أدلة إثبات وجود المسيح تاريخيًا.

كتب "فريدريك لونوار" مؤلفه من أجل الإجابة عن سؤالٍ ظلَّ يتكرر طيلة قرون طويلة، والذي يتمثل في (من هو يسوع؟)، ونظرًا إلى طبيعة شخصية يسوع الغامضة المثيرة للجدل ذهب بعض المؤرخين إلى نفي وجوده تاريخيًا مع اعتباره مجرد أسطورة من أساطير القدماء، لكنَّ لونوار خالف ذلك المذهب حين صرَّح في فاتحة كتابه بأنه ممن يؤمنون بوجود يسوع ورسالته تاريخيًا استنادًا إلى شهادات المؤرخين القدامى (المؤمنين به وغير المؤمنين) الذين ذكروا المسيح في مؤلفاتهم.

أولاً (المسيح في الكتابات غير المسيحية): استدلل لونوار في سبيل إثبات وجود يسوع تاريخيًا إلى الشَّهادات التي أدلى بها بعض المؤلفين الكلاسيكيين من بينهم (Suétone)<sup>(1)</sup> حيث ذكر في بداية القرن الثاني في مؤلِّفٍ له تحت عنوان: «Vie de Claude» بأنَّ الإمبراطور قرَّر سنة 41م أو 49م (2) طرد اليهود من روما لأنهم يثيرون باستمرار مسألة ظهور المسيح. وكذلك عُثر على شهادة أخرى منسوبة إلى بيلين الصغير (Pline le jeune)<sup>(3)</sup> في رسالة له مبعوثة إلى الإمبراطور ترجان Trajan حوالي

(1) Suétone: الاسم الكامل Caius Suetonius Tranquillus، حوالي 70-128م كاتب سير شخصيات روما اللاتينية، عالم كُرس حياته للحياة العلمي، وأمين مراسلات الإمبراطور هرديان حوالي 120م، كاتب حياة القيصرية الاثني عشر كان له حق الاطلاع على أرشيف القصر، وتتميز كتاباته بخلوها من التقذ ولكنها مصدر لمعلومات مهمة حول حياة القيصرية: أنظر: LE PETIT RORERT dictionnaire de culture générale, Paris, France, p1716.

(2) عدم اتفاق المؤرخين على السنة التي جرى فيها الحدث بالتحديد.

(3) Pline le jeune: باللاتينية: Caius Plinius Caecilius Secundus (64-114م) كاتب لاتيني، ابن اخ بيلين الذي تبناه، فنصل سابق و مندوب الإمبراطور في بيشبية، وكان خطيبًا رائدًا، لم يبق من أعماله الخطابية سوى "مدح ترجان" ومعظم رسائله التي جمعت في حوالي عشر كتب نشرت بين (97-109) توضَّح امانته وفضوله لاكتشاف أمور العقل بأنه فيلسوف حقيقي، انظر:

LE PETIT RORERT dictionnaire de culture générale, p1431.

## الفصل الثاني: صورة المسيح خلال القرن الأول.

111م أو 112م، عبّر فيها الحاكم الشاب عن حيرته من المسحيين الذين «ينشدون ترنيمة عن المسيح كأنه إله»، حيث طلب من الإمبراطور القيام بما يلزم تجاههم<sup>(1)</sup>.

حوالي سنة 120م أشار أيضًا المؤرخ الروماني تاسيت (Tacite)<sup>(2)</sup> إلى وجود فئة من الناس ممقوتة بسبب دمامة أعمالهم والتي يُطلق عليهم لقب "مسيحيين" وهو اسم مشتق من المسيح الذي سلّمه الوالي بيلاطس البنطي للتعذيب أثناء حكم طيباريوس<sup>(3)</sup>.

إلى جانب الكتابات الكلاسيكية<sup>(4)</sup>، نوّه لوناوار إلى وجودِ نصوصٍ صادرة عن المجتمع اليهودي تؤكد أيضًا الوجود التاريخي لیسوع، حيث صرّح في كتابه بأنه في نهاية القرن الأول -حوالي 62م بالتحديد- كتب المؤرخ اليهودي جوزيف فلافيوس (Flavius Josephus)<sup>(5)</sup> مذكّرًا بأنّ المسمّى يعقوب أخ يسوع الذي يقال له المسيح حُكم عليه بالترجم، وفي بعض الكتابات اليهودية الأخرى تذكر أنّ يسوع كان رجلًا حكيمًا، وصانع المعجزات، ومعلّم الناس الذي يتلقون الحقيقة منه بفرح وسرور، وقد علّم الكثير من اليهود واليونانيين. وتطرقت تلك الكتابات أيضًا إلى عقوبة الصلب التي أصدرها

(1)Frédéric Lenoire, Ibid, p19.

(2) Tacite: باللاتينية: Publius Cornelius Tacitus (55-120م) مؤرخ لاتيني من أسرة الفروسية تولّى منصب القسطنطين، قنصل وحاكم آسيا (110-113) مؤرخ دقيق وناقد محترف، كتب عدّة مؤلفات لم يبق منها سوى أربعة منها وصف فيها الإمبراطورية من 69-96 (من وفاة نيرون حتى سقوط دومتيان) أنظر:

Dictionnaire de la langue française, édition83, Italie,1994, p1237.

(3)Frédéric Lenoire, Ibid, p20.

(4)والأمر نفسه موجود عند "روبيرت فان فورست" الذي خصّص فصلًا كاملًا في مؤلّفه يسوع خارج العهد الجديد والذي عنوانه: (يسوع في الكتابات الكلاسيكية في فترة ما بعد الميلاد)، حيث تناول سبعة شخصيات ذكرت يسوع مع ذكرهم حسب الترتيب الزمني وهم: ثالوس، بيلني الأصغر، سوتونيوس، تاسيتوس، ماربار سيرابايوس، لوقيان السميساطي وسيلسوس، وقام كذلك بعرض السياق التاريخي والأدبي -بشكل مختصر- لكل كاتب حديثه عن ويسوع روبرت فان فورست: يسوع المسيح خارج العهد الجديد (مدخل إلى الأدلة القديمة) تر: وسيم حسن عبده، (ط1، صفحات للدراسة والنشر، سورية، ط1، 2012م)، ص30.

(5)جوزيف فلافيوس Flavius Josephus : مؤرخ يهودي(37-100م) ولد في أورشليم من عائلة كهنوتية بامتياز من حزب الفريسيين، عاش مؤرخ وكانت حياته مليئة بالتناقضات، درس بالصحراء وكتب بالمدينة، كان مسالمًا لكنّه ذهب للحرب كقائد أعلى للجيش وكان بارعًا في ذلك، كان يقاتل الرومان ويصادقهم في آن واحد، كانت كتاباته مهمّة جدًا ومكمّلة للمعلومات الموجودة في الكتاب المقدّس، من أهم كتاباته: "العاديات اليهودية"، كان جوزيف فلافيوس يصف يسوع على أنّه رجل حكيم وبذلك يزيل عنه صفة الألوهية، أنظر:

Flavius Josephus : the New Complete Works of Josephus, t:William Whiston, (Kregel Publications, Grand Rapids, USA,) p7-8-662.

## الفصل الثاني: صورة المسيح خلال القرن الأول.

بيلاطس في حق يسوع، والتي لم تكن محبته عن محبته بل استمرت جماعتهم إلى يومنا الحالي ولم تندثر، كما أنه أشار أيضاً إلى وجود اشارتين تضمّنهما التلمود البابلي عن يسوع، تُصوّره على أنه "صانع المعجزات" الذي "ضلل إسرائيل"<sup>(1)</sup>.

ثانياً: (المسيح في الكتابات المسيحية): ذكر لونيوار أن أهم حجة تدعم فكرة وجود المسيح تاريخياً مذكورة في أقدم نصوص العهد الجديد، والتي تُعدّ من أعمال معاصري المسيح وشهود عيان على حياته، وقد ذكر أن الأسفار السبعة والعشرين الموجودة في العهد الجديد دُوّنت في نهاية الأربعينات، أي ما بين حوالي 40 إلى 120 سنة بعد موت المسيح، وتعتبر الرسائل التي كتبها بولس - النصوص الأولى التي تحدّثت عن يسوع - والأناجيل الأربعة مصدراً ثميناً لمعرفة حياة يسوع الجليلي<sup>(2)</sup>، رغم أن بولس في نظر الكاتب لم يقصد أن يكون الشاهد المميّز لنشأة المسيحية خاصة أنه لم يلتق بالمسيح في حياته، هذا الأخير اسمه الحقيقي شاؤول، ولد في طرسوس (تركيا حالياً) ينحدر من عائلة يهودية ثرية تمتعها التجارة وتمتّع بجنسية رومانية، حيث نشأ في قلب يهود الشتات (الجماعات اليهودية التي تعيش خارج إسرائيل)، ويعرف جيّداً -اطّلاعاً وفهماً- التّوراة والأدب الكلاسيكي، كما أنه يُتقن الحديث باللغتين العبرية واليونانية، تربّى داخل محيط فريسي معروف بالتشدد والتقوى، كان بولس يُظهر عداءً شديداً تجاه دعوة أتباع المسيح في البداية وكان يتفنّن في اضطهادهم بلا رحمة ولا شفقة، لكن مجريات الأمور سرعان ما تغيّرت حينما ذهب إلى دمشق بأمر من رئيس كهنة أورشليم من أجل معاقبة تلاميذ المسيح، فحدث ما لم يكن في الحسبان، إذ: [سَقَطَ عَلَى الْأَرْضِ وَسَمِعَ صَوْتًا قَائِلًا لَهُ: «شَاوُلُ، شَاوُلُ! لِمَاذَا تَضْطَهْدُنِي»]<sup>(3)</sup> وقعت هذه الحادثة عام 36م تقريباً أي 6 سنوات بعد موت المسيح، حيث يؤكّد لونيوار بأنه بعد تلك الواقعة تغيّرت حياة بولس رأساً على عقب، وأصبح يسوع في نظره ذلك المسيح الذي تنبأت به الكتابات اليهودية والمخلّص الذي كان اليهود ينتظرونه منذ زمن طويل، فتحول شاؤول من

(1)Frédéric Lenoire Ibid, p20.

(2) Ibid, p20.

(3) أعمال الرّسل 9: 4 . ويكمل السّفْر: [وفي فَسَقَطْتُ عَلَى الْأَرْضِ، وَسَمِعْتُ صَوْتًا قَائِلًا لِي: شَاوُلُ، شَاوُلُ، لِمَاذَا تَضْطَهْدُنِي؟ 22: 08، وفي فَلَمَّا سَقَطْنَا جَمِيعًا عَلَى الْأَرْضِ، سَمِعْتُ صَوْتًا يَكَلِّمُنِي وَيَقُولُ بِاللُّغَةِ الْعِبْرَانِيَّةِ: شَاوُلُ، شَاوُلُ! لِمَاذَا تَضْطَهْدُنِي؟ صَعَبٌ عَلَيْكَ أَنْ تَرْفُسَ مَنَاخِسَ. 26: 14].

## الفصل الثاني: صورة المسيح خلال القرن الأول.

مضطهد للمسيحية إلى مبشر عظيم يسافر من دون تعب من آسيا الصغرى إلى البحر الأبيض المتوسط وظلّ على تلك السيرة إلى أن مات سنة 68م شهيداً بروما<sup>(1)</sup>.

**كتابات بولس:** قام بولس بتأليف العديد من الخطب التي سُميت بالرسائل، وهي عبارة عن مجموعة من الخطابات المحرّرة بأسلوب نثري والموجهة إلى الجماعات المؤمنة بغير قراءتها، حيث يُميز المؤرّخون بين الرسائل الأصلية التي يعدّ بولس كاتبها حوالي 50 سنة والمتمثلة في: الرسالة الأولى إلى أهل تسالونيكى، الرسالة إلى أهل غلاطية، الرسالة إلى أهل فيليبي، الرسالة الأولى والثانية إلى أهل كورنثوس والرسالة إلى أهل رومية - ومجموعة أخرى محتمل أنّها ليست من تأليفه وهي: الرسالة إلى أهل أفسس، الرسالة إلى أهل كولوسي، الرسالة إلى أهل تيطس، الرسالتين الأولى والثانية إلى أهل تيموطاوس وأخيراً الموجهة إلى العبرانيين<sup>(2)</sup>.

يرى لونوار أنّ رسائل بولس تقدّم خدمة جليّة للباحث الذي يسعى إلى معرفة رسالة المسيح، إلّا أنّها لا تعطى إلّا التزّر اليسير من المعلومات التي تخصّ حياته، وهذا يدلّ في نظره على وجود تقليد شفويّ متداول في ذلك الزمان، إذ ارتأى التلاميذ بأنّه لا ضرورة لتأليف أحداثٍ كانت معروفة لدى الجميع، لكنّ الإنجيليين ولحسن الحظ - حسب تعبير الكاتب - قاموا بعد عدّة سنواتٍ بكتابة الحلقات الرئيسية في حياة يسوع كشهادات أساسية من أجل فهم نظرة الأشخاص المقربين من الناصري<sup>(3)</sup>.

يعدّ العهد الجديد مرجعاً أساسياً اعتمده لونوار بغير الإجابة على إشكالية دراسته، ومصدراً مهمّاً من أجل الكشف عن هوية يسوع الغامضة، لكنّ المعلوم عند المتخصّصين وغيرهم هو أنّ الأناجيل فقدت مصداقيتها بعد تعرّض نصوصها لحمولات النقد اللاذعة التي شنتها الغرب عليها كما أشرنا في الفصل الأوّل من البحث.

إذن ماهي اكتشافات لونوار التي استعان بها لجعلها مصدراً موثوقاً به يُصوّر لنا حياة يسوع؟ للإجابة على هذا السؤال، سنعرض كلام لونوار بشأن الأناجيل كما ذكره في كتابه محل الدراسة:

(1)Frédéric Lenoire, Ibid. p21.

(2) Ibid. p21- 22.

(3) Ibid. p22.



## الفصل الثاني: صورة المسيح خلال القرن الأول.

**إنجيل مرقس:** الإنجيل الأكثر قِدَمًا هو إنجيل مرقس<sup>(1)</sup>، هذا الأخير الذي تعتمد عليه الكنيسة كمصدر أصلي-المصدر الأول- كاتبه ليس رسولاً، وإنما تلميذ بطرس قام بترجمة « سيرة » يسوع، وبلا شك كتب إنجيله في النصف الثاني من الستينات، يعتبر هذا الأخير الإنجيل الأكثر اختصاراً والأكثر قرباً من الأحداث التاريخية أيضاً، لكنّه على الغالب كتب إنجيله إلى الرومانيين بأسلوب صعب ومعقد، لا يحوّ أحداث مثيرة ويبدو أنّ السّفر موجّه إلى المسيحيين من أصل يوناني، لم يكلف الكاتب نفسه عناء شرح العادات اليهودية، وإنما يظهر يسوع المسيح "كابن الإله"<sup>(2)</sup>، يسرد الأمثال والشفاء ومعجزات أخرى، إضافة إلى آلام يسوع وقيامته، بهذا فهو يعتزم أن يُظهر المسيح بصورة فريدة ذو طبيعة إلهية، بالمقابل نجد سكوت تام حول أحداث الميلاد والطفولة التي سوف تملأ إلى حدّ كبير إنجيلي متى ولوقا<sup>(3)</sup>.

**إنجيل متى:** كُتب حوالي 80م في سوريا إنجيل آخر نُسب إلى متى العشار (جاي الضرائب)<sup>(4)</sup> الذي أصبح فيما بعد تلميذاً للمسيح، -حيث ذكر الكاتب بأنّ الشكوك تحوم حول صحّة كتابة متى للإنجيل-، ولكنّ يؤكّد بأنّه ذو أسلوب موزون ومتسلسل وهو عمل مؤلّف من أصل يهودي يتقن اللّغة اليونانية، حيث تصوّر حالة المسيحيين اليهود الذين يُعاملون بقسوة داخل المجامع (ولا ننس أنّ يسوع كان يهودياً وتلاميذه الأوائل كذلك)، وكان هدفه إثبات أنّ يسوع جاء ليكّمّل وعود الرّب مع الشّعب العبري وتحقيق نبوءات العهد القديم.

(1) لقد اختلف النّقاد المعاصرون في أسبقية إنجيل مرقس على إنجيل متى وأكّدت بعض الدراسات الحديثة أنّ متى هو الأوّل منها دراسة لإنوك باول في مؤلّفه الشّهير تطوّر الإنجيل الذي قام بترجمة جديدة لإنجيل متى من اليونانية إلى الإنجليزية وتتبع فيه مواطن التقل منه وإليه ومت بينه وبين الأناجيل الثلاثة الأخرى المعترف بها فأثبت بدلال علمية مدعومة بالقرائن عدّة حقائق كانت غائبة عن علم أكثر الباحثين واعتبر إنجيل متى أقدم الأناجيل المعروفة وليس مرقس كما كان شائع سابقاً. أنظر: إنوك باول: تطوّر الإنجيل، تر: أحمد إيش، (ط1، دار ابن قتيبة، دمشق، سوريا، 2003م)، ص8.

(2) افتتح مرقس إنجيله بماته العبارة: [بَدْءُ إِنْجِيلِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ ابْنِ اللَّهِ] مرقس 1: 1.

(3) Frédéric Lenoire, Ibid. p23.

(4) متى 9:9 [وَفِيمَا يَسُوعُ مُجْتَازٌ مِنْ هُنَاكَ، رَأَى إِنْسَانًا جَالِسًا عِنْدَ مَكَانِ الْجَبَايَةِ، اسْمُهُ مَتَّى. فَقَالَ لَهُ: «اتَّبِعْنِي». فَقَامَ وَتَبِعَهُ].



## الفصل الثاني: صورة المسيح خلال القرن الأول.

إنجيل لوقا: المعاصر لإنجيل متى هو إنجيل لوقا الذي كتب خصيصًا للمسيحيين من أصل وثني، نسب هذا الإنجيل إلى لوقا الطبيب المحبوب<sup>(1)</sup> تلميذ بولس الذي تنحدر أصوله من أنطاكيا السورية، والذي كان متشبّعًا بالثقافة اليونانية (حتى أنه ربما كتب إنجيله باللغة اليونانية)، وغالبًا ما يوصف لوقا بأول مؤرّخ للمسيحية، كما أنه كاتب سفر أعمال الرسل حيث يروي بالتفصيل ميلاد الكنيسة الأولى وتطورها، ويظهر الاختلاف بين إنجيل لوقا وبين كلٍّ من متى ومرقس بدقته، حيث يروي بالترتيب الأحداث التي جرت في حياة يسوع منذ ولادته (مركزًا على شجرة نسله) إلى غاية لحظة وفاته ثم بعد ذلك قيامته، نهاية عمل لوقا هو بيان يفيد بأن يسوع هو المسيح المعلن عنه في نصوص اليهود، وإقرار عالمية دعوته وأنّ الخلاص متاح لليهود كما للوثنيين<sup>(2)</sup>.

يرى لونوار أنّ الأناجيل الثلاثة: متى، مرقس، لوقا، التي تعرف بالأناجيل السينوبتية - الكلمة من أصل يوناني معناها المتشابهة - اتّبعت نفس أسلوب السرد بحيث تسهل المقارنة بين بعضها البعض وتمييز أوجه التشابه والاختلاف في جدول يجوي ثلاث خانات.

إنجيل يوحنا: بعيدًا عن الأناجيل السينوبتية، ظهر إنجيل رابع عُرف بإنجيل يوحنا، يختلف في شكله ورسالته عن الأناجيل المتشابهة، حيث كتب في حوالي 100م - سيأتي الحديث عن هذا الإنجيل بشكل مفصّل في الفصل الموالي - نُسب إلى الرسول يوحنا (ابن زبدي) الذي يلقّب بالتلميذ المحبوب<sup>(3)</sup>، حيث يرى لونوار استحالة تحديد المؤلف الحقيقي لهذا الإنجيل الذي كُتب بأسلوب شعري والذي يظهر من خلال طريقته أنّه كتب من طرف مسيحي من أصل يهودي. هذا الإنجيل قدّم صورة مخالفة ليسوع عن التي أعطته إياه الأناجيل المتشابهة، فهناك بعض الأحداث غير مذكورة فيه مثل: (التجلي، وتجربة يسوع في البرية)، في حين ذكر أحداث أخرى منها: عرس قانا، المرأة السامرية، رحلات يسوع الكثيرة إلى اورشليم، صورة يسوع المرسومة في إنجيل يوحنا تعكس التّضج البطيء للفكر المسيحي، ففي الإنجيل نفسه يتم تشبيه يسوع الناصري لأول مرّة بالإله، إضافة إلى هذا ينسب التقليد أيضًا إلى يوحنا تأليف ثلاثة رسائل أخرى موجّهة إلى الجماعات المسيحية في آسيا الصغرى بالإضافة إلى الرّؤيا الذي كتب

(1) كولوسي 4: 14: [ يُسَلِّمُ عَلَيْكُمْ لُوقَا الطَّيِّبُ الْحَبِيبُ ].

(2) Frédéric Lenoire, Ibid. p23-24.

(3) يوحنا 19: 26: [ فَلَمَّا رَأَى يَسُوعُ أُمَّهُ، وَالتَّلْمِيذَ الَّذِي كَانَ يُحِبُّهُ وَاقْفًا، قَالَ لِأُمَّهُ: « يَا امْرَأَةً، هُوَذَا ابْنُكَ » ].

## الفصل الثاني: صورة المسيح خلال القرن الأول.

حوالي 100م، وهو عبارة عن سلسلة من الرؤى الرمزية التي تبشّر المسيحيين المضطهدين بانتصار المسيح على قوى الشر<sup>(1)</sup>.

إضافة إلى أنّ كتابات العهد الجديد<sup>(2)</sup> المعترف بها كنسيًا بعد عقد مجمع قرطاج في نهاية القرن الثالث، هناك عدّة مصادر أخرى تُسمّى أبوكريفا (السريّة، المخفية) -سيتمّ الحديث عنها بالتفصيل في الفصل الموالي-، لكنّها ضعيفة الإقناع بشأن حياة يسوع، حيث دُوّنت بعد الأناجيل الأربعة، وتعدّ أساسية في فهم الخلافات اللاهوتية في العصور اللاحقة<sup>(3)</sup>.

يعلّق لونوار على ما سبق بالإشارة إلى أنّ كميّة الوثائق التي تحبّرنا عن يسوع كثيرة، لكن يجب دراسة تلك المصادر دراسة نقدية لأنّها تفتقر إلى الموضوعية سواء كانت رومانية أو يهودية -معادية بشكل عام للجماعة المسيحية الناشئة- أو حتى تلك التي ألفها التلاميذ الأوائل المفتونين بمعلّمهم واستطاعوا تزيين قصّة سيدهم سواء كان ذلك عن قصد أو عن غير قصد، ورغم أنّ الوثائق ليست كاملة إلّا أنّها تشهد على وجود يسوع وتتيح فرصةً لتكوين فكرة عن أهمّ محطات حياته العامة، ويتساءل لونوار بشأن إمكانية تلك الوثائق تحديد هوية يسوع؟! لهذا يرى أنّ القضية جد صعبة<sup>(4)</sup>.

يبدو من خلال ما سبق أنّ دراسة لونوار ستكون مختلفة عن الدّراسات النقدية السابقة للكتاب المقدّس ومخالفة لنظرة التقاد والمؤرّخين إلى شخصية يسوع، والتي ذكرت بعضها في الفصل الأوّل من البحث، حيث يتجلّى هذا الاختلاف في عدّة نقاط منها نظرتّه إلى بُولس وكذا موقفه من نسبة الأناجيل إلى رسل المسيح مثلما تؤمن به الكنيسة، وفي نفس الوقت اعتبرها مصدرًا أساسيًا من

(1)Frédéric Lenoire, Ibid. p24.

(2)أثبتت الكثير من الدّراسات الإسلامية والغربية أنّ الأناجيل ليست من إمضاء المسيح بل إنّّه لم يشهدّها إضافة إلى الجهل التام بحوية مؤلّفها فلا يعرف تواريخ ولادتهم ولا تواريخ وفاتهم ولا تواريخ كتاباتهم وإن كانت هناك أقوال في ذلك فهي مبنية على الظنّ والتخمين كما أنّها كأسفار تاريخية لسيرة المسيح وأقواله لم تنهل من المسيح مباشرة أو على الأقل بشكل مباشر من صاحبه أو كانوا شهودًا عيانًا لحياته بل إنّها من أقاويل تمّ سماعها دون سند فهي انتقلت شفاهيًا بعد مرور عقود عديدة على نهاية المسيح وانتقالها بطريقة شفاهية كان مدعاة للتبديل والتحوير بشكل واضح وهو ما بيّنه تفسير بيك للكتاب المقدّس : من المعروف تمامًا أنّ الإنجيل المسيحي الأصلي قد تمّ نقله عن طريق الألسن وأنّ هذا العرف في النّقل الشّفهي نتج عنه خلاف في نقل الأفعال والألفاظ والأمر الذي لا يقلّ عن كونه حقيقة أيضًا أنّه بعد تدوين النّصوص المسيحية أصبحت محط تبديل للألفاظ بشكل دائم على أيدي التّساخ والمدقّقين عمدًا وكرهًا. أنظر: سميرة عطية: إنجيل المسيح في الدّراسات المسيحية الحديثة، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية(رسالة ماجستير غير منشورة)، 2011-2012م، ص62.

(3)Frédéric Lenoire, Ibid. p25.

(4) Ibid. p26.

## الفصل الثاني: صورة المسيح خلال القرن الأول.

أجل معرفة هوية يسوع وطبيعته! فإذا كان الأمر كما ذكرنا، كيف سيبرّر لوناوار مواقفه؟ ومن هو يسوع في نظره؟

### المطلب الثاني: التناقض في تصوير شخصية المسيح.

يسوع شخصية غامضة وهذا الغموض ليس وليد العصر الحديث، إنّما هو وليد العصر الأول من تاريخ المسيحية حيث أنّ معاصري المسيح أنفسهم اختلفوا فيما بينهم حول تحديد هويته، وهذا ما بيّنه لوناوار في محاولة منه للإجابة على سؤال: من هو يسوع؟

يُحاول لوناوار الإجابة عن هذا السؤال فيقول: دعونا نبدأ من البداية محاولين عرض ما قاله عنه معاصروه معتمدين على أقدم كتابات الجماعة المسيحية الأولى، والتي تتمثل في رسائل بولس والأناجيل السينوبتية الثلاثة. إذ يُلاحظ عند قراءة هذه الكتابات رصد رؤية جدّ متباينة عن يسوع التّاصري وبعيدة كل البعد عن تحديد هويته، فكُتّاب العهد الجديد وجدوا صعوبة بالغة في تحديد هويته، ورغم أنّهم يظهرونه في البداية كإنسان عادي إلا أنّ الاختلافات حول هويته كانت جدّ واضحة<sup>(1)</sup>.

يعرض الكاتب مجموعة من التصورات عن شخص يسوع المسيح حسب استقرائه لنصوص العهد الجديد، والذي يعتبره أول مصدر يمكن القارئ من معرفة هوية يسوع المسيح، وابتداءً بحدث ميلاده ثم ذكر أهم محطات حياته التي تخدم وتعزز رؤيته وتصوّره عن يسوع.

**يسوع رجل عادي:** هكذا عنون لوناوار جزئية حديثه عن الميلاد وكتب مُصرّحاً بأنّه بين العامين الرابع والسابع قبل الميلاد<sup>(2)</sup> ولدت امرأة تدعى مريم صبيّاً قرّرت أن تسميه يشوع (Yeshoua)، والذي يعني في اللّغة العبرية (الله يخلّص)، أمّا عن تاريخ ميلاده يعلّق لوناوار بقول أنّ القديس دينيس الصّغير (Denys le Petit) قد أخطأ في تحديد تاريخ ميلاد المسيح، فهو لم يولد حسب نظره في عام 0م ولا في 25 ديسمبر الذي يرمز إلى الانقلاب الشتوي. وقد ذكر أيضاً الكاتب بأنّه يستحيل تقديم تسلسل زمني عن حياة يسوع والأمر الوحيد المعروف بصفة مؤكّدة أنّه ولد تقريباً سنة 4 ق.م (سنة وفاة هرودوس الأكبر d'Hérode le Grand) والعام الذي جاء فيه يسوع إلى العالم حسب رواية متى،

(1) Ibid. p27.

(2) يؤكّد غالبية علماء الأديان أنّ الأدلّة التاريخية لا يمكنها تحديد تاريخ ولادة السيّد المسيح على وجه الدقّة والتّواريخ المذكورة غير مضبوطة بل تمّ تقديرها استناداً إلى مجموع الأحداث الواردة في إنجيلي متى ولوقا في الإصحاح الثاني، أنظر:

E. Jerry Vardaman, Chronological , Nativity , and Religious Studies in Memory of Ray Summers, (Mercer University Press , Macon , Georgia 31210-3960, 1998), p167.

## الفصل الثاني: صورة المسيح خلال القرن الأول.

وتوفي في عيد الفصح اليهودي، على الأرجح سنة 30م، وهذا يعني أنه عمره كان يتراوح بين 35 سنة و36 سنة.

أما عن مكان ولادته فلونوار كغيره من الباحثين المعاصرين في العصور الأولى من تاريخ المسيحية، يُقرّ بعدم إمكانية التأكيد من مكان ميلاده الحقيقي نظرًا إلى التضارب الموجود في الأناجيل وكتب التقليد حول مكان ولادته، حيث يشرح لونوار فيما يلي وجهة نظره قائلاً: إذا كان الإنجيليان متى ولوقا يحدّدان مكان ولادة يسوع في بيت لحم بمدينة الملك داوود -التي حكمها في القرن العاشر قبل الميلاد، والذي يمثّل العصر الذهبي لإسرائيل- فإنّما يدلّ على رغبتهم في تعظيم ميلاد يسوع، كما سنراه لاحقًا. ويذكر أنّ العديد من المؤرّخين يرجّحون ميلاد يسوع بالناصره، حيث قضى فيها كل طفولته وشبابه ونسبته إلى تلك المدينة جاءت كنيته "الناصري"<sup>(1)</sup>، حيث تقع الناصرة بالجليل شمال إسرائيل حاليًا بين شواطئ البحر الأبيض المتوسط وبحيرة طبرية ونهر الأردن، وهي منطقة خصبة وخضراء تنتشر فيها أشجار الزيتون والفاكهة التي تُروى من جداول الماء المحيطة بها، وهي منطقة ملائمة للعيش زمن يسوع المسيح، ولم تكن خاضعة لحكم الإمبراطورية الرومانية عكس جارها يهوذا، لكنّها كانت خاضعة لحكم ملكها -من سلالة الهيروديين اليهود-، وكان حاكمها أداة قوّة السلطة الرومانية، لذلك كانت سمعة هذه المقاطعة سيئة في نظر قادة اليهود الذين من اليهودية: [«أَلَعَلَّكَ أَنْتَ أَيْضًا مِنَ الْجَلِيلِ؟ فَتَشْ وَأَنْظُرْ! إِنَّهُ لَمْ يَقُمْ نَبِيٌّ مِنَ الْجَلِيلِ»]<sup>(2)</sup> هكذا أجاب الفريسيون على نيقوديموس الذي جاء للدفاع عن يسوع، كما صرخ الرّبّي (Johan ben Zakkai) حوالي سنة 70م "الجليل، الجليل، هل تكرهين التوراة!"، بصفة عامة لا يزال سكّان هذه المنطقة معروفين بعقوقهم ما يجعل حياتهم صعبة، لذلك لا غرابة في اعتبار المسيح من طرف النخبة الدينية في عصره محلّ ازدراء وسخرية<sup>(3)</sup>.

(1) ورد في كتاب ذلك الرجل (يسوع المسيح في المصادر اليهودية): لماذا لُقّب الصّتم "يسوع" ب: "الناصري" ومن أوّل من لُقّب بهذا اللقب ولماذا؟ ترتب الأناجيل نفسها في هذا الشّأن ولا تذكر قولًا صحيحًا بأنّه سمي بذلك على اسم مدينة الناصرة، ولو كان سمي على اسم البلدة التي سكنها مريم ويوسف التجار ألم يكن من الأصح أن يسمّى اللّحمي على اسم مدينة بيت لحم التي ولد بها بل بالأحرى تسميته الحظيري على اسم الحظيرة التي ولد بها. أنظر: أيجدور شنان: ذلك الرجل (يسوع المسيح في المصادر اليهودية)، تر: عمرو زكريا خليل، (ط2، إمدكو للطبع والنشر، القاهرة، 2018م)، ص190.

(2) يوحنا7: 52.

(3)Frédéric Lenoire, ibid, p29.

## الفصل الثاني: صورة المسيح خلال القرن الأول.

يسوع في نظر لونيوار ينحدر من مقاطعة متواضعة، خُلق لممارسة النشاطات اليدوية تعلم النجارة من أبيه يوسف<sup>(1)</sup>، ولم يقض فترة طويلة في مقاعد الدراسة، إلا أنه كان يتكلم لغة الشعب (اللغة الآرامية)، واللغة العبرية التي كان يتقن أساسياتها بحكم أنه نشأ في بيئة متعددة الأعراق، كما أنه يرى احتمالية معرفته بمبادئ اللغتين اليونانية واللاتينية، ويرجح أنه كان يعرف القراءة كما بين ذلك لوقا في إنجيله<sup>(2)</sup> لما روى عنه أنه قرأ بعض فصول سفر إشعيا في معبد بكفرنا حوم<sup>(3)</sup>.

**إخوة المسيح:** أما بخصوص الروابط الأسرية والحالة العائلية ليسوع كتب لونيوار قائلاً: كأبي شخص خاصة في الشرق أين تكون الروابط الأسرية جد متينة نشأ يسوع الناصري وكان له إخوة وأخوات، أحصى العهد الجديد على الأقل ستة منهم، أربعة ذكور هم: يعقوب، يوسي، يهوذا وسمعان<sup>(4)</sup>، وأنثيين لم يتم ذكر أسميهما، حيث يرى لونيوار أن الإشارة إلى وجود إخوة ليسوع عجيبة جداً، والأعجب منها إصرار كل من متى ولوقا ومن ثم الكنيسة على عذرية مريم<sup>(5)</sup>، إذ يذكر اختلاف اللاهوتيين حول تفسير هذه القضية: فيرى البعض أن هؤلاء الإخوة هم أبناء يوسف من زواج أول قبل ارتباطه بمريم (بالخصوص البروتستانت الليبراليين)، ويذهب آخرون إلى أنهم أولاد يوسف ومريم بعد ولادة يسوع وغايتهم الحفاظ على عقيدة المولود البكر من العذراء، - لكن هذا يتعارض مع ادعاء عذرية مريم الأبدية-، ويرى آخرون دلالة كلمة "أخ" في اللغة العبرية والآرامية تعني أبناء العمومة، كما أننا سنرى في

(1) «أليس هذا هو النجار ابن مريم، وأخو يعقوب ويوسي ويهوذا وسمعان؟ أو ليست أخواته ههنا عندنا؟ فكانوا يعثرون به.» مرقس 6: 3. وذلك في سؤال سكان الناصرة متعجبين لما سمعوه يعلم في المعبد

(2) لوقا 4: (16-20): [وَجَاءَ إِلَى النَّاصِرَةِ حَيْثُ كَانَ قَدْ تَرَبَّى. وَدَخَلَ الْمَجْمَعِ حَسَبَ عَادَتِهِ يَوْمَ السَّبْتِ وَقَامَ لِيَقْرَأَ، فَدَفَعَ إِلَيْهِ سَفْرُ إِشَعْيَاءَ النَّبِيِّ وَلَمَّا فَتَحَ السَّفْرَ وَجَدَ الْمَوْضِعَ الَّذِي كَانَ مَكْتُوبًا فِيهِ: رُوحَ الرَّبِّ عَلَيَّ، لِأَنَّهُ مَسَحَنِي لِأُبَشِّرَ الْمَسَاكِينَ، أَرْسَلَنِي لِأَشْفِيَ مِنْكَسِرِي الْقُلُوبِ، لِأَنَادِي لِلْمَاسُورِينَ بِالْإِطْلَاقِ وَلِلْعُمَى بِالْبَصَرِ، وَأَرْسَلَ الْمُنْسَحِقِينَ فِي الْخُرَيْبَةِ، وَأَكْرَزَ بِسَنَةِ الرَّبِّ الْمَقْبُولَةِ]. ثُمَّ طَوَى السَّفْرَ وَسَلَّمَهُ إِلَى الْخَادِمِ، وَجَلَسَ. وَجَمِيعُ الَّذِينَ فِي الْمَجْمَعِ كَانَتْ عُيُونُهُمْ شَاطِئَةً إِلَيْهِ.]

(3)Frédéric Lenoire, ibid, p29.

(4) متى 13: 55: [أليس هذا ابن النجار؟ أليس أمه تُدعى مريم، وإخواته يعقوب ويوسي وسمعان ويهوذا؟].

(5) يؤمن المسيحيون بدوام بتولية مريم إذ ترى الكنيسة إن الحمل البتولي ليسوع يشير إلى أصله المزدوج الإلهي والإنساني معاً فليس ليسوع من أب إلا الله ولكن إيمان الكنيسة عكف على جعل الصلة ما بين أمومة مريم وبتوليتها فوجد في البتولية ما يشير إلى تكريس الأم المطلق لابنها وإلى تاهب مريم المطلق التام لممشاة عمل الله، وعليه فقد رأى الإيمان المسيحي في مريم تلك التي كانت وما فتئت بتولاً، ويصير الإيمان على أن ولادة يسوع لم تنل من بتولية أمه وأن مريم بقيت ومازالت بتولاً طيلة حياتها أمينة لبتوليتها وفيه لها. أنظر: لفييف أساقفة فرنسا: الإيمان المسيحي، تر: أنطون موصللي العازار، (ط1، دار باريس، 2007) ص 253، 254.

## الفصل الثاني: صورة المسيح خلال القرن الأول.

دراسة لونوار كيف سيلعب بعض أفراد عائلة يسوع دورًا مهمًا في الجماعة المسيحية الناشئة في أورشليم بعد الصّلب.

بعد هذا العرض الموجز لبعض الأحداث المهمّة في حياة يسوع، نلاحظ تركيز لونوار على إظهاره كإنسانٍ عاديٍّ عاش حياة طبيعية كغيره من البشر بعيدة كل البعد عن الخيال الذي سطرته كتب المسيحيين، منها: تضخيم بعض الأحداث كالميلاد وما رافقه من أحداث أثناء طفولته، حيث استمر لونوار في إثبات بشرية يسوع وهذه المرة مركزًا على الأحداث الأخيرة قبل نهايته على الأرض، تلك الأحداث التي تصوّرها الكنيسة على أنّها خطة الله وضعها من أجل تحقيق الخلاص، إلا أنّ لونوار أعطاها بعدًا ومعنىً آخرين يخدم ما يريد إثباته ألا وهو البعد الإنساني ليسوع.

**صفات المسيح البشرية:** يذكر الكاتب بأنّ المصادر القديمة تصف عمق إنسانية يسوع، إذ ذكرت أنّه كان يأكل ويشرب كغيره من البشر، إلى درجة أنّ أعداءه وصفوه: «بالأكل وبشرب الخمر»<sup>(1)</sup>، وأنّه كان محبًا للحياة وخاضع للموت مثل أي إنسان طبيعي، والشاهد على ذلك خشية يسوع من مصيره وتضرّعه كثيرًا عشية محنته قبل الصّلب على جبل الزيتون قائلاً: [ «يا أبتاه، إن شئت أن تُجيزَ عني هذه الكأس [ويقصد هنا الصّلب] ولكن ليكن لي إرادتي بل إرادتك» ]<sup>(2)</sup> وكان متوترًا وقلقًا لدرجة أنّه كان يتعرّق دماءً<sup>(3)</sup>.

هذه الظاهرة تسمى عند الأطباء ب: "التعرّق الدموي أو عرق الدّم **hématidrose**"<sup>(4)</sup> وسببه هو القلق الحادّ والخوف والإجهاد النفسي الذي عاشه يسوع عشية الصّلب... وتظهر أيضًا

(1) متى 11: 19: [جاء ابن الإنسان يأكل ويشرب، فيقولون: هوذا إنسانٌ أكل وشرب خمير، مُحِبٌّ لِلْعَشَّارِينَ وَالْخَطَاةِ. وَالْحِكْمَةُ تَبَرَّرَتْ مِنْ نَبِيهَا].

(2) لوقا 22: 42.

(3) لوقا 22: 44: [وإذ كان في جهادٍ كان يُصَلِّي بِأَشَدِّ لِحَاجَةٍ، وَصَارَ عَرْفُهُ كَقَطْرَاتِ دَمٍ نَارِلَةٍ عَلَى الْأَرْضِ].

(4) **hématidrose**، وبالإنجليزية Hematohidrosis يعرف بالتعرّق الدموي وداء دموي وهو حالة نادرة يتعرّق فيها الشخص الذي يعاني من ضغط شديد دماءً أو من بذل مجهودًا نفسيًا مفرطًا وتقول النظريات أنّ الأوعية الدموية تنقبض بسبب الإجهاد الكبير والقلق وتتوسّع إلى درجة التمزّق فينتقل الدّم إلى الغدد العرقية التي تدفع الدّم إلى السطح فيتجلّى كقطرات من الدّم مختلطة مع العرق، أنظر:

Raksha M.Patel, Stuti Mahajan, Hematohidrosis: A rare clinical entity, Indian Dermatology Online Journal - December 2010 - Volume 1 - Issue 1, p 30.



## الفصل الثاني: صورة المسيح خلال القرن الأول.

طبيعته البشرية بصراخه عندما كان مُعلّقًا على الصليب طالبًا للتّجدة: [صَرَخَ يَسُوعُ بِصَوْتٍ عَظِيمٍ قَائِلًا: «إِيلِي، إِيلِي، لِمَا شَبَقْتَنِي؟» أَيْ: إِلَهِي، إِلَهِي، لِمَاذَا تَرَكْتَنِي؟] (1).

لقد عانى يسوع أشدّ أساليب العذاب وأكثرها إهانة في عصره، العذاب الذي أعدّ خصيصًا بموجب التقاليد للعبيد والسراق، حيث يتعرّض المحكوم عليهم إلى معاناة شديدة وإهانة عظيمة تُعرض فيها أجسادهم المعلّقة عارية فوق الصليب، ورأى لونيوار أنّ هذا الموت يفسّر جزئيًا سبب رفض عدد من الوثنيين واليهود رفضًا قاطعًا الاعتراف بلاهوت يسوع، لأنّ الإله أو ابن الإله في نظرهم لا يموت، بل هل يموت مثل العبيد (2)؟! وفكرة صلب المسيح بكل بساطة هي فضيحة مدوية لليهود وحماسة للوثنيين كما قالها بولس (3).

تمسك يسوع بعقائد وعادات اليهودية: يحاول لونيوار في مؤلّفه بيان أنّ ما عاشه يسوع وما قام به وما تلقّظ به في حياته لا يدلّ إلاّ على بشريته، كما أنّ طلبه التّجدة لما كان مُعلّقًا على الصليب دليل على ضعفه وحاجته إلى خالقه مثل باقي البشر، ويذكر الكاتب أحداثًا أخرى تؤيّد نظريته إذ يقول أنّ يسوع كان يهوديًا ويتشارك مع قومه نفس الدين والعادات فقد تمّ ختانه حسب التقليد الوارد في سفر التكوين: [هَذَا هُوَ عَهْدِي الَّذِي تَحْفَظُونَهُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ، وَبَيْنَ نَسْلِكَ مِنْ بَعْدِكَ: يُحْتَنُ مِنْكُمْ كُلُّ ذَكَرٍ، فَتُحْتَنُونَ فِي لَحْمِ غُرْلَتِكُمْ، فَيَكُونُ عَلَامَةً عَهْدِ بَيْنِي [الله] وَبَيْنَكُمْ ابْنَ ثَمَانِيَةِ أَيَّامٍ يُحْتَنُ مِنْكُمْ كُلُّ ذَكَرٍ فِي أَجْيَالِكُمْ [ابراهيم]: وَوَلِيدُ الْبَيْتِ، وَالْمُبْتَاعُ بِفِضَّةٍ مِنْ كُلِّ ابْنِ غَرِيبٍ لَيْسَ مِنْ نَسْلِكَ] (4) وقد روى الإنجيلي لوقا حادثة ختان يسوع بقوله: [وَلَمَّا تَمَّتْ ثَمَانِيَةُ أَيَّامٍ لِيُحْتَنُوا الصَّبِيُّ سُمِّيَ يَسُوعَ، كَمَا تَسَمَّى مِنَ الْمَلَائِكِ قَبْلَ أَنْ حُبِلَ بِهِ فِي الْبَطْنِ] (5)، أمّا عن عقيدة يسوع بصفته يهوديًا، فقد كان موحدًا يعتقد بإله واحد كما هو وارد في التوراة (6)، وكان اليهود ينظرون بعين الاستخفاف والازدراء إلى الذين كانوا يعتقدون بتعدد الآلهة في العالم اليوناني-الروماني، بالمقابل كانت

(1) متى 27: 46.

(2) Frédéric Lenoire, ibid, 31.

(3) 1 كورنثوس 1: 23: وَلِكِنَّا نَحْنُ نَكْرِرُ بِالْمَسِيحِ مُصْلُوبًا: لِلْيَهُودِ عَثْرَةٌ، وَلِلْيُونَانِيِّينَ جَهَالَةٌ!

(4) تكوين 17: (10-12).

(5) لوقا 2: 21.

(6) خروج 20: 50: [لَا تَسْجُدْ لَهُنَّ وَلَا تَعْبُدُهُنَّ، لِأَنِّي أَنَا الرَّبُّ إِلَهُكَ إِلَهٌ غَيْرٌ].



## الفصل الثاني: صورة المسيح خلال القرن الأول.

غالبية الوثنيين تنظر إلى التوحيد نظرة استغراب باعتباره غير قابل للفهم ولأنه لم يكن منتشرًا في العالم القديم. ولكن مع مرور الوقت ظهرت حركة داخل المجتمع الوثني الذي يعتقد بتعدد الآلهة تميل إلى تفضيل إله واحد على باقي الآلهة، كما أعلن بعض الوثنيين «الذين يخافون الله» جهارًا انجذابهم إلى اليهودية، وبعضهم قدسوا يهوه وارتادوا معابد يهود الشتات بغية اعتناق ديانتهم<sup>(1)</sup>.

علاقة المسيح بالوثنيين: يذكر لونوار أنّ يسوع وضع الوثنيين صوب عينيه رغم أنّ الأناجيل كانت متناقضة أثناء سردها لهذا الموضوع: [هُؤَلَاءِ الْاِثْنَا عَشَرَ أَرْسَلَهُمْ يَسُوعُ وَأَوْصَاهُمْ قَائِلًا: «إِلَى طَرِيقِ أُمَمٍ لَا تَمْضُوا، وَإِلَى مَدِينَةٍ لِلسَّامِرِيِّينَ لَا تَدْخُلُوا بَلِ اذْهَبُوا بِالْحَرِيِّ إِلَى خِرَافِ بَيْتِ إِسْرَائِيلَ الضَّالَّةِ»<sup>(2)</sup>] هذا النص كتبه متى اليهودي في حديثه عن المسيح لما أرسل التلاميذ الاثني عشر للتبشير باقتراب الملكوت السماوي، في حين يروي لوقا نفس الحدث لكن دون تحديد الوجهة: [وَدَعَا تَلَامِيذَهُ الْاِثْنِي عَشَرَ، وَأَعْطَاهُمْ قُوَّةً وَسُلْطَانًا عَلَى جَمِيعِ الشَّيَاطِينِ وَشَفَاءِ أَمْرَاضٍ، وَأَرْسَلَهُمْ لِيَكْرِزُوا بِمَلَكُوتِ اللَّهِ وَيَشْفُوا الْمَرْضَى وَقَالَ لَهُمْ: «لَا تَحْمِلُوا شَيْئًا لِلطَّرِيقِ: لَا عَصَا وَلَا مِزْوَدًا وَلَا خُبْزًا وَلَا فِضَّةً، وَلَا يَكُونُ لِلوَاحِدِ ثَوْبَانِ وَأَيُّ بَيْتٍ دَخَلْتُمُوهُ فَهُنَاكَ أَقِيمُوا، وَمَنْ هُنَاكَ اخْرُجُوا. وَكُلُّ مَنْ لَا يَقْبَلُكُمْ فَاخْرُجُوا مِنْ تِلْكَ الْمَدِينَةِ، وَانْفُضُوا الْغُبَارَ أَيْضًا عَنْ أَرْجُلِكُمْ شَهَادَةً عَلَيْهِمْ» فَلَمَّا خَرَجُوا كَانُوا يَجْتَازُونَ فِي كُلِّ قَرْيَةٍ يُبَشِّرُونَ وَيَشْفُونَ فِي كُلِّ مَوْضِعٍ»<sup>(3)</sup>.

مضمون رسالة يسوع: في مجمل القول، كان يسوع يحترم تعاليم الشريعة اليهودية فقد أشار إنجيل متى إلى أنّ يسوع كان يرتدي ثوبا عليه هُذب<sup>(4)</sup> كما هو منصوص عليه في سفر العدد: [وَكَلَّمَ الرَّبُّ مُوسَى قَائِلًا: فَقَالَ الرَّبُّ لِمُوسَى: «قَتَلًا يُقْتَلُ الرَّجُلُ. يَرْجُمُهُ بِحِجَارَةٍ كُلُّ الْجَمَاعَةِ خَارِجَ الْمَحَلَّةِ». فَأَخْرَجَهُ كُلُّ الْجَمَاعَةِ إِلَى خَارِجِ الْمَحَلَّةِ وَرَجَمُوهُ بِحِجَارَةٍ، فَمَاتَ كَمَا أَمَرَ الرَّبُّ مُوسَى. وَكَلَّمَ الرَّبُّ مُوسَى قَائِلًا: «كَلِّمْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَقُلْ لَهُمْ: أَنْ يَصْنَعُوا لَهُمْ أَهْدَابًا فِي أَذْيَالِ ثِيَابِهِمْ فِي أَجْيَالِهِمْ، وَيَجْعَلُوا عَلَى هُدْبِ الذَّلِيلِ عِصَابَةً مِنْ أَسْمَانِجُونِيٍّ فَتَكُونُ لَكُمْ هُدْبًا، فَتَرَوْنَهَا وَتَذْكُرُونَ

(1)Frédéric Lenoire, Ibid, p32.

(2) متى 10: 5-6.

(3) لوقا 9: (1-6)، أنظر أيضا مرقس 6: (7-13).

(4) متى 9: 20. وَإِذَا امْرَأَةٌ نَارِفَةٌ دَمٍ مُنْذُ ائْتَسِي عَشْرَةَ سَنَةً قَدْ جَاءَتْ مِنْ وِرَائِهِ وَمَسَّتْ هُدْبَ ثَوْبِهِ

## الفصل الثاني: صورة المسيح خلال القرن الأول.

كُلَّ وَصَايَا الرَّبِّ وَتَعْمَلُونَهَا، وَلَا تَطُوفُونَ وَرَاءَ قُلُوبِكُمْ وَأَعْيُنِكُمْ الَّتِي أَنْتُمْ فَاسِقُونَ وَرَاءَهَا، لِكَيْ تَدْكُرُوا وَتَعْمَلُوا كُلَّ وَصَايَايَ، وَتَكُونُوا مُقَدَّسِينَ لِإِلَهِكُمْ. أَنَا الرَّبُّ إِلَهُكُمْ الَّذِي أَخْرَجْتُكُمْ مِنْ أَرْضِ مِصْرَ لِيَكُونَ لَكُمْ إِلَهًا. أَنَا الرَّبُّ إِلَهُكُمْ»<sup>(1)</sup>، وكان يسوع أيضًا يراقب أكله ويهتم بحاجاته الغذائية، وعلى منهج الفريسيين كان يعتقد بالقيامة وكان يتردد إلى هيكل أورشليم الذي يعد القلب النابض للديانة اليهودية إلى غاية دماره سنة 70م، كان أول هيكل بني على يد الملك سليمان في القرن العاشر قبل الميلاد والذي دمر سنة 587 ق-م على يد نبوخذ نصر البابلي (Babylonien Nabuchodonosor II)، ثم تمّ بناء هيكل آخر مباشرة سنة 538 ق-م، وتم توسيعه وتزيينه في عهد هيرودوس الأكبر قبل ولادة يسوع الناصري بفترة قليلة، حيث كان يسوع جدّ مهتمّ بنقاوة الحرم المقدّس ويظهر ذلك حين طرده التجار بعنف<sup>(2)</sup>.

لم يدعُ الناصري يومًا إلى تأسيس دين جديد بل كان وقيًا لأصوله، حيث صرّح قائلاً: «لَا تَطْنُوا أَنِّي جِئْتُ لِأَنْقُضَ النَّامُوسَ أَوْ الْأَنْبِيَاءَ، مَا جِئْتُ لِأَنْقُضَ بَلْ لِأُكْمِّلَ»<sup>(3)</sup> وما كان يريد به قبل كل شيء هو إصلاح إيمان إسرائيل «الخراف الضالة من بيت إسرائيل».

أمّا عن رسالة المسيح يُصرّح الكاتب بأنّها كانت مدوّنة في أنقى تقاليد اليهودية، وتتمثل في الإعلان عن مجيء ملكوت الربّ<sup>(4)</sup>، والدعوة إلى توبة حقيقة: «تُوبُوا لِأَنَّهُ قَدْ اقْتَرَبَ مَلَكُوتُ

(1) عدد 15: (37-40).

(2) مرقس 11: (15-19): «وَجَاءُوا إِلَى أُورُشَلِيمَ. وَلَمَّا دَخَلَ يَسُوعُ الْهَيْكَلِ ابْتَدَأَ يُخْرِجُ الَّذِينَ كَانُوا يَبِيعُونَ وَيَشْتَرُونَ فِي الْهَيْكَلِ، وَقَلَبَ مَوَازِدَ الصَّيَارِفَةِ وَكُرَاسِيَّ بَاعَةِ الْحَمَامِ وَلَمْ يَدَعْ أَحَدًا يَجْتَازُ الْهَيْكَلِ بِمَتَاعٍ وَكَانَ يُعَلِّمُ قَائِلًا لَهُمْ: «أَلَيْسَ مَكْتُوبًا: بَيْتِي بَيْتَ صَلَاةٍ يُدْعَى لِجَمِيعِ الْأُمَمِ؟ وَأَنْتُمْ جَعَلْتُمُوهُ مَعَارَةَ لُصُوفٍ». وَسَمِعَ الْكُتْبَةَ وَرُؤُسَاءَ الْكَهَنَةِ فَطَلَبُوا كَيْفَ يَهْلِكُونَهُ، لِأَنَّهُمْ خَافُوهُ، إِذْ بُهِتَ الْجَمْعُ كُلُّهُ مِنْ تَعْلِيمِهِ. وَلَمَّا صَارَ الْمَسَاءُ، خَرَجَ إِلَى خَارِجِ الْمَدِينَةِ».

(3) متى 5: 17.

(4) في العهد الجديد بحسب الرؤية المسيحية يرتبط موضوعًا ملكوت الله وملك يسوع أوثق ارتباطًا، لأنّ المسيح الملك هو ابن الله ذاته، ومكانة يسوع هذه في وسط سر الملكوت تقوم على المراحل الثلاثة المتتابعة التي ينبغي أن يمرّ بها الملكوت: حياة يسوع الأرضية، زمن الكنيسة، وإتمام الأمور نهائيًا. أنظر: بولس باسيم: معجم اللاهوت الكتابي، (ط5، دار المشرق، بيروت-لبنان، 2004)، ص773.

## الفصل الثاني: صورة المسيح خلال القرن الأول.

السَّمَاوَاتِ»<sup>(1)</sup>، وأنَّ يسوع كان يعتقد بأنَّ الربَّ يعمل على تغيير العالم ليُقيم قوّته وجبروته على الأرض<sup>(2)</sup>.

هاته اليهودية التي يؤمن بها يسوع كانت ضدّه يوم محاكمته على يد بيلاطس البنطي<sup>(3)</sup> (Ponce Pilate) والي اليهودية الذي حكم المنطقة نيابة عن الإمبراطور الروماني الذي كان ينظر إلى اليهود نظرة ازدراء لعدم احترامه لمعتقداتهم والتي لم يسع إلى فهمها أصلاً، ولم يمنع نفسه من السخرية من هذا الذي ادعى أنّه "ملك اليهود" كما سخر منه أتباعه<sup>(4)</sup>.

خلاصة القول فيما سبق تتمثّل في أنّ لوناو يقرّ ببشرية يسوع وبانتمائه إلى اليهود ويأتباعه لدين وعادات وتقاليده المجتمع الذي نشأ فيه، لكنّ اليهود - كما هو معلوم اليهود- لم يكونوا مجتمعاً متماسكاً بل اختلفوا فيما بينهم وكثرت طوائفهم وشيعهم، وعليه السؤال الذي يطرح نفسه هنا: هل كان يسوع ينتمي إلى أحد تلك الفرق المنتشرة في عصره؟ هذا ما سنراه في المطلب الموالي حسب دراسة لوناو.

### المطلب الثالث: من هو المسيح؟.

سأعرض فيما يلي علاقة يسوع بالتيارات اليهودية المنتشرة في عصره آنذاك وعلاقته أيضاً بكلّ طائفة كما ذكرها لوناو في مؤلفه، وذلك من أجل اكتشاف الطائفة التي ينتمي إليها يسوع.

### هل كان يسوع فريسيّاً؟

يقول لوناو: يسوع يهودي وهذا أمرٌ لا نقاش فيه، لكننا حين نحاول نسبته إلى أحد التيارات اليهودية المعروفة في تلك الحقبة تصبح الأمور معقّدة للغاية، لأنّه لا يمكن معرفة التيار الذي ينتمي إليه

(1) متى 4: 17.

(2) Frédéric Lenoire, *ibid*, p33-34.

(3) إذا كنا نتفق بكتابات النقاد فإنّ الإمبراطور تباريوس قد أرسل بلاتس البنطي وكياً على اليهودية في عام 26م، وقد لعب هذا الأخير دوراً مهماً في إدانة وصلب المسيح إذ وردت أخبار هذا الأخير في التقليد المسيحي وذكر اسمه في الأناجيل كما ذكر في عدد معيّن من الكتابات الأدبية ولكن في الأعمال الأثرية وحتى عام 1961 لم يكتشف أي نقش يشهد ويؤكد وجود بلاتس في ذلك البلد وأكد المؤرخين المعاصرين أنّ الرومان لم يكونوا يهتمون به لأنّه لم يكن يشغل منصباً مهماً في الإمبراطورية الرومانية وغالباً ما يذكر كتاب الأناجيل بيلاطس ولكن نادراً ما يدرسون هذه الشخصيّة، أنظر:

Jean-Pierre Lémonon, Ponce Pilate ; Éditions Ouvrières, Paris, france, 2007, p06.

(4) Frédéric Lenoire, *Ibid*, p34.

## الفصل الثاني: صورة المسيح خلال القرن الأول.

يسوع، فمن خلال بعض المظاهر يظهر يسوع قريبًا من الفريسيين (les pharisiens) المثقفين العارفين بالكتب، ويتشارك معهم العديد من المبادئ والمعتقدات مثل: حب الجار، الاعتقاد بيوم الحساب، قيامة الأموات على وجه الخصوص، ولكن بالمقابل نجدهم يناديهم: بالمرائين<sup>(1)</sup> وبأولاد الأفاعي<sup>(2)</sup> ويعدهم بالويلات والعذاب لأنهم يقولون ما لا يفعلون ويفتخرون بما يعرفون<sup>(3)</sup>.

هل كان يسوع أسينيًا؟: يتساءل لونوار مرّة أخرى: هل كان يسوع من الأسينيين (esséniens)<sup>(4)</sup> أولئك الزهاد الذين يعيشون جماعات بقرمان بعيدًا عن المدن، ومهووسين بالطهارة والتقاء حسب ما وصل عن حياتهم وفكرهم بعد اكتشاف مخطوطات البحر الميت، فهو كان مثلهم يميل إلى العزوبية، ولكنه كان يجب الاحتكاك مع عامة الناس حتى مع المرضى (المبروصين) والخطاة (الزناة)، وكان أيضًا يرتاد المعبد كثيرًا ويجوب المدن والقرى<sup>(5)</sup>.

هل كان يسوع معمدانيًا؟: تلك الجماعة المعروفة باسم المعمدانين (les baptistes) التي تعتبر ابن عمّ يسوع المكّي بيوحنا المعمدان ممثلهم الرئيسي والذي تعمّد يسوع على يده<sup>(6)</sup>، حيث أصبح بعد تعميده يرفض قربان الدّبح التي تُعتبر من الطّقوس المقدّسة في الديانة اليهودية. ومن مميّزات تلك الجماعة انتهاج طريقة التقشّف الملاحظ في حياتهم واشتغالهم بذلك، فيوحنا المعمدان مثلًا حسب ما

(1) متى 23: 13: [لَكِنْ وَبَلَّ لَكُمْ أَيُّهَا الْكُتْبَةُ وَالْفَرِيسِيُّونَ الْمُرَاؤُونَ!].

(2) أنظر متى 23: 33: [أَيُّهَا الْحَيَاتُ أَوْلَادِ الْأَفَاعِي! كَيْفَ تَهْرَبُونَ مِنْ دَيْنُونَةِ جَهَنَّمَ؟].

(3) Frédéric Lenoire, Ibid, p34.

(4) مصطلح أسيني مصطلح إغريقي يظهر عند الكُتّاب الكلاسيكيين مثل يوسيفوس وفيلو وبيليبي ويكتب باللغة الإغريقية esseno, لا تتوافق مبادئ الأسينيين عند الكُتّاب الكلاسيكيين مع حياة مجتمعهم وكفرهم وقد عرض كل من الكُتّاب السابقين تصوّرات عن الأسينيين وكانت متضاربة بدقة مع ما تظهره آثار قرمان من أدلة وكذلك مع مخطوطات البحر الميت فمثلًا يذكر يوسيفوس أن الأسينيين يقبلون مسألة الزواج بينما يذكر كل من فيلو وبيليبي أنّ الأسينيين لم يتزوجوا وغيرها من الاختلافات للمزيد أنظر: مايكل بيحيت ريتشارد لي: خديعة مخطوطات البحر الميت، تر: وسيم عبده، (ط2، دار صفحات، دمشق، 2014م)، ص199.

(5) Frédéric Lenoire, ibid, p35.

(6) متى 3: 13-17: [حِينَئِذٍ جَاءَ يَسُوعُ مِنَ الْجَلِيلِ إِلَى الْأُرْدُنِّ إِلَى يُوْحَنَّا لِيَعْتَمِدَ مِنْهُ وَلَكِنْ يُوْحَنَّا مَنَعَهُ قَائِلًا: «أَنَا مُحْتَاجٌ أَنْ أَنْعَمَ مِنْكَ، وَأَنْتَ تَأْتِي إِلَيَّ!» فَأَجَابَ يَسُوعُ وَقَالَ لَهُ: «اسْمَحْ الْآنَ، لِأَنَّهُ هَكَذَا يَلِيْقُ بِنَا أَنْ نَكْمُلَ كُلَّ بَرٍّ». حِينَئِذٍ سَمَحَ لَهُ فَلَمَّا اعْتَمَدَ يَسُوعُ صَعِدَ لِلوَقْتِ مِنَ الْمَاءِ، وَإِذَا السَّمَاوَاتُ قَدْ انْفَتَحَتْ لَهُ، فَرَأَى رُوحَ اللَّهِ نَازِلًا مِثْلَ حَمَامَةٍ وَآتِيًا عَلَيْهِ، وَصَوْتٌ مِنَ السَّمَاوَاتِ قَائِلًا: «هَذَا هُوَ ابْنِي الْحَبِيبُ الَّذِي بِهِ سُرَرْتُ». أنظر أيضا: مرقس 1: 9-11، ولوقا 3: 21-22 ويوحنا: 1: 34-32.

## الفصل الثاني: صورة المسيح خلال القرن الأول.

وصفه مرقس: [كَانَ لِبَاسُهُ مِنْ وَبَرِ الْإِبِلِ، وَعَلَى حَقْوِيهِ مِنْطَقَةٌ مِنْ جِلْدٍ وَكَانَ طَعَامُهُ جَرَادًا وَعَسَلًا بَرِّيًّا]<sup>(1)</sup>، في حين كان يسوع يحب الأكل والشرب كما رأينا، هذه الطائفة أيضًا سرعان ما ابتعد يسوع عنها وتخلّى عن ممارسة التعميد<sup>(2)</sup>.

هل كان يسوع زيلوتيًا؟ هل كان يسوع قريبًا من السيكاري (Sicaires) (ضاربو الخناجر) الذين

عرفوا فيما بعد بالزيلوت «Zélotes» أيّ العيورين الذين كانوا يطاردون بلا كلل المحتل الروماني؟ يذكر لونوار أنّ بعض المؤرّخين كانوا يعتقدون ذلك، حيث يؤوّلون خيانة يهوذا كإشارة لفقدان الأمل من طرف أحد تلاميذه الذي أصيب باليأس بسبب تهاون معلّمه في نضاله السياسي ضد الرومان، رغم أنّ يسوع في الواقع لم يدع يومًا إلى التمرد ضدّ الرومان بل كان يدعو أتباعه قائلاً: [أَعْطُوا مَا لِقَيْصَرَ لِقَيْصَرَ وَمَا لِلَّهِ لِلَّهِ، فَتَعَجَّبُوا مِنْهُ]<sup>(3)</sup> بمعنى تقدّم الضرائب الواجبة عليهم، فالمملكة التي يدعو إليها يسوع ليست من هذا العالم: [أَجَابَ يَسُوعُ: «مَمْلَكَتِي لَيْسَتْ مِنْ هَذَا الْعَالَمِ، لَوْ كَانَتْ مَمْلَكَتِي مِنْ هَذَا الْعَالَمِ، لَكَانَ خُدَامِي يُجَاهِدُونَ لِكَيْ لَا أُسَلَّمَ إِلَى الْيَهُودِ. وَلَكِنْ الْآنَ لَيْسَتْ مَمْلَكَتِي مِنْ هُنَا»]<sup>(4)</sup> فيسوع بعيد كل البعد من خلال تصرّفاته وكلامه أن يكون محرّضًا سياسيًا، بالتالي يسوع لا تنفع أي محاولة معه لتصنيفه، وما يميّزه أكثر هو حرّيته المطلقة التي يمنحها لنفسه مع احترام الجميع، لهذا فتصرّفاته تظهر أنّه ثوري وثورته تتجلّى في تفسيراته الشخصية للتوراة وفي نفس الوقت يدّعي أنّه جاء لتتمّته<sup>(5)</sup>: [لَا تَظُنُّوا أَنِّي جِئْتُ لِأَنْقُضَ النَّامُوسَ أَوْ الْأَنْبِيَاءَ، مَا جِئْتُ لِأَنْقُضَ بَلْ لِأَكْمِلَ]<sup>(6)</sup>، ومن ومن بين الأمور التي قام بها يسوع أن وضع حدودًا لبعض التقاليد، فمثلاً يرى أنّ الطّهارة اليومية في اليهودية لا تنفع شيئًا إن لم تقترن بطهارة القلب: [فَقَالَ لَهُ الرَّبُّ: «أَنْتُمْ الْآنَ أَيُّهَا الْفَرِيسِيُّونَ تَنْقُونَ خَارِجَ الْكَاسِ وَالْقِصْعَةِ، وَأَمَّا بَاطِنُكُمْ فَمَمْلُوءٌ اخْتِطَافًا وَخُبْنًا يَا أَغْيِيَاءَ، أَلَيْسَ الَّذِي صَنَعَ الْخَارِجَ

(1) متى 3: 4، أنظر أيضا: مرقس 1: 6

(2) متى 11: 19: [جَاءَ ابْنُ الْإِنْسَانِ يَأْكُلُ وَيَشْرَبُ، فَيَقُولُونَ: هُوَذَا إِنْسَانٌ أَكُولٌ وَشَرِيبٌ خَمْرٍ، مُحِبٌّ لِلْعَشَارِينَ وَالْخَطَاةِ. وَالْحِكْمَةُ تَبَرَّرَتْ مِنْ بَيْنِهَا].

(3) مرقس 12: 17، أنظر أيضا متى 22: 21.

(4) يوحنا 18: 36.

(5) Frédéric Lenoire, ibid, p36.

(6) متى 5: 17.

## الفصل الثاني: صورة المسيح خلال القرن الأول.

صَنَعَ الدَّاحِلُ أَيضًا؟<sup>(1)</sup>، نفس الأمر مع السبت الذي يجب أن يتوقف فيه نشاط الإنسان لتقليد الرب الذي استراح حين أنهى خلق العالم، وهذا الأمر هو إحدى الوصايا العشر الواردة في سفر الخروج: [أذْكَرُ يَوْمَ السَّبْتِ لِتَقْدَسَهُ سِتَّةَ أَيَّامٍ تَعْمَلُ وَتَصْنَعُ جَمِيعَ عَمَلِكَ، وَأَمَّا الْيَوْمَ السَّابِعُ فَفِيهِ سَبْتٌ لِلرَّبِّ إِلَهِكَ لَا تَصْنَعُ عَمَلًا مَا أَنْتَ وَابْنُكَ وَابْنَتُكَ وَعَبْدُكَ وَأَمَتُكَ وَبَهِيمَتُكَ وَزَبِيلُكَ الَّذِي دَاخِلٌ أَبْوَابِكَ. لِأَنَّ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ صَنَعَ الرَّبُّ السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَالْبَحْرَ وَكُلَّ مَا فِيهَا، وَاسْتَرَاخَ فِي الْيَوْمِ السَّابِعِ. لِذَلِكَ بَارَكَ الرَّبُّ يَوْمَ السَّبْتِ وَقَدَّسَهُ]<sup>(2)</sup> لكن يسوع سمح لتلاميذه عندما جاعوا بقطف السنابل في ذلك اليوم المقدس على مرأى الفريسيين<sup>(3)</sup> وردّ عليهم: [السَّبْتُ إِنَّمَا جُعِلَ لِأَجْلِ الْإِنْسَانِ، لَا لِأَجْلِ السَّبْتِ]<sup>(4)</sup>، أما بالنسبة لهيكل اورشليم الذي يرمز إلى حضرة الرب وسط شعبه، لم يكن يسوع يراقب كلامه فيه فقد صاح متمردًا: [«أَلَيْسَ مَكْتُوبًا: بَيْتِي بَيْتَ صَلَاةٍ يُدْعَى لِجَمِيعِ الْأُمَمِ؟ وَأَنْتُمْ جَعَلْتُمُوهُ مَغَارَةً لُصُوصٍ»]<sup>(5)</sup> فهو يلقي اللوم على الصيارف وتجار المعبد: [وَأَخْرَجَ جَمِيعَ جَمِيعِ الَّذِينَ كَانُوا يَبِيعُونَ وَيَشْتَرُونَ فِي الْهَيْكَلِ، وَقَلَبَ مَوَائِدَ الصَّيَارِفَةِ وَكُرَاسِيَّ بَاعَةِ الْحَمَامِ]<sup>(6)</sup> وقبل تنبؤه بدمار الهيكل: [وَفِيمَا هُوَ خَارِجٌ مِنَ الْهَيْكَلِ، قَالَ لَهُ وَاحِدٌ مِنْ تَلَامِيذِهِ: «يَا مُعَلِّمُ، انظُرْ! مَا هَذِهِ الْحِجَارَةُ! وَهَذِهِ الْأَنْبِيَاءُ!» فَأَجَابَ يَسُوعُ وَقَالَ لَهُ: «أَتَنْظُرُ هَذِهِ الْأَنْبِيَاءَ الْعَظِيمَةَ؟ لَا يُتْرَكُ حَجَرٌ عَلَى حَجَرٍ لَا يُنْقَضُ»]<sup>(7)</sup>.

مع هذه الحرّية التي أعطاها يسوع لنفسه لم يكلف نفسه عناء محاربة الانسياق والفوضوية، بل عبّر فقط عن رفضه المطلق لقداسة مصنعة تؤيد طقوسًا جافّة، فبالنسبة له ليس لتلك الطقوس معنى

(1) لوقا 39: 40.

(2) خروج 20: 8-11.

(3) متى 12: 1-2: [فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ ذَهَبَ يَسُوعُ فِي السَّبْتِ بَيْنَ الزُّرُوعِ، فَجَاعَ تَلَامِيذُهُ وَابْتَدَأُوا يَقْطِفُونَ سَنَابِلَ وَيَأْكُلُونَ فَأَلْفَرِيسِيُّونَ لَمَّا نَظَرُوا قَالُوا لَهُ: «هُؤُذَا تَلَامِيذُكَ يَفْعَلُونَ مَا لَا يَحِلُّ فِعْلُهُ فِي السَّبْتِ!»] أنظر أيضًا مرقس 2: 23/لوقا 6: 1.

(4) مرقس 2: 27.

(5) مرقس 11: 17.

(6) متى 21: 12.

(7) مرقس 13: 1-2.



## الفصل الثاني: صورة المسيح خلال القرن الأول.

إلا إذا ارتبطت بجمال الباطن، حيث قال بشأن ذلك<sup>(1)</sup>: [وَتَائِيَةٌ مِثْلَهَا هِيَ: تُحِبُّ قَرِيبَكَ كَنَفْسِكَ، لَيْسَ وَصِيَّةً أُخْرَى أَعْظَمَ مِنْ هَاتَيْنِ... وَمَحَبَّتُهُ مِنْ كُلِّ الْقَلْبِ، وَمِنْ كُلِّ الْفَهْمِ، وَمِنْ كُلِّ النَّفْسِ، وَمِنْ كُلِّ الْقُدْرَةِ، وَمَحَبَّةُ الْقَرِيبِ كَالنَّفْسِ، هِيَ أَفْضَلُ مِنْ جَمِيعِ الْمُحْرَفَاتِ وَالذَّبَائِحِ]»<sup>(2)</sup>.

محتوى رسالة المسيح: يواصل لئونار تحليله لشخصية يسوع بقوله: في الحقيقة يظهر الناصري بمظهر الرجل المثالي في كلامه ومحبته للقريب، وهذا الحب لم يُمنح فقط للمقرّبين إنما مُنح أيضاً للعامة وحتى الضعفاء، بل أكثر من ذلك إذ اتسع هذا الحب ليشمل حتى الأعداء<sup>(3)</sup> لأنه قال متسائلاً: [إِنْ أَحْبَبْتُمْ الَّذِينَ يُحِبُّونَكُمْ، فَأَيُّ أَجْرٍ لَكُمْ؟ أَلَيْسَ الْعَشَارُونَ أَيْضًا يَفْعَلُونَ ذَلِكَ؟]<sup>(4)</sup>، فقد كان يبحث الناس على التعبير عن مشاعرهم ليصل إلى التغيير الجمعي: [فَكُونُوا رُحَمَاءَ كَمَا أَنَّ آبَاءَكُمْ أَيْضًا رَحِيمٌ «وَلَا تَدِينُوا فَلَا تُدَانُوا لَا تَفْضُوا عَلَى أَحَدٍ فَلَا يُفْضَى عَلَيْكُمْ، اغْفِرُوا لَكُمْ، اغْفِرُوا لَكُمْ أَعْطُوا تُعْطُوا كَيْلًا جَيِّدًا مُلَبَّدًا مَهْزُوزًا فَايْضًا يُعْطُونَ فِي أَحْضَانِكُمْ. لِأَنَّهُ بِنَفْسِ الْكَيْلِ الَّذِي بِهِ تَكِيلُونَ يُكَالُ لَكُمْ»]<sup>(5)</sup>.

مع ذلك لا يجب أن يُنظر إلى يسوع كرجل حامل لرسالة الحب والسلام، فبعض تصريحاته تحمل بين طياتها العنف الذي يتناقض جذرياً مع حلاوة رسالته: [لَا تَطْنُوا أَنِّي جِئْتُ لِأُلْقِي سَلَامًا عَلَى الْأَرْضِ مَا جِئْتُ لِأُلْقِي سَلَامًا بَلْ سَيْفًا]<sup>(6)</sup> فيما نقله عنه متى وأورده لوقا أيضاً في إنجيله: [أَتَطْنُونَ أَنِّي جِئْتُ لِأُعْطِي سَلَامًا عَلَى الْأَرْضِ؟ كَلَّا، أَقُولُ لَكُمْ: بَلِ انْفِصَامًا]<sup>(7)</sup>، وهو الجانب المتطرف من الإيمان الذي يمكن أن يؤدي إلى تغييرات جذرية: [إِنْ كَانَ أَحَدٌ يَأْتِي إِلَيَّ وَلَا يُبْغِضُ أَبَاهُ وَأُمَّهُ وَأُمَّرَأَتَهُ

(1) Frédéric Lenoire, ibid, p36-37.

(2) مرقس 12: 31-33

(3) لوقا 6: 35: [بَلْ أَحِبُّوا أَعْدَاءَكُمْ، وَأَحْسِنُوا وَأَفْرِضُوا وَأَنْتُمْ لَا تَرْجُونَ شَيْئًا، فَيَكُونَ أَجْرُكُمْ عَظِيمًا وَتَكُونُوا بَنِي الْعَلِيِّ، فَإِنَّهُ مُنْعَمٌ عَلَى غَيْرِ الشَّاكِرِينَ وَالْأَشْرَارِ].

(4) متى 5: 46.

(5) لوقا 6: 36-38.

(6) متى 10: 34.

(7) لوقا 12: 51.



## الفصل الثاني: صورة المسيح خلال القرن الأول.

وَأَوْلَادُهُ وَإِخْوَتُهُ وَأَخَوَاتِهِ، حَتَّى نَفْسَهُ أَيْضًا، فَلَا يَقْدِرُ أَنْ يَكُونَ لِي تَلْمِيذًا<sup>(1)</sup> فلا عجب إذا ترك هذا الخطاب الممزوج بالحبّة والعنف خلفه حيرةً في نفوس الرّسل، لأنّ العديد من مقاطع الأناجيل تبين بأنّ التلاميذ يجدون في بعض الأحيان صعوبةً في فهم كلام معلّمهم: [ثُمَّ قَالَ لَهُمْ: أَمَا تَعْلَمُونَ هَذَا الْمَثَلُ؟ فَكَيْفَ تَعْرِفُونَ جَمِيعَ الْأَمْثَالِ؟]<sup>(2)</sup> في الواقع من الصّعب فهم إنسان بهذه التناقضات، خاصّة وأنّ الإيماءات غير العادية كانت حاضرةً في كلامه وتصرفاته، وهذا ما أدّى إلى إظهار يسوع في صورة تجعله يكون أيّ شيءٍ عداً أن يكون رجلاً عادياً<sup>(3)</sup> ...

من خلال ما سبق، ينفي لونوار انتماء يسوع إلى أيّ تيّارٍ من التيارات اليهودية المعروفة في عصره، رغم إقراره في بداية البحث بأنّه يهودي. فمن يكون يسوع في نظر لونوار؟ وما الذي يميّزه عن باقي علماء عصره من اليهود؟

يذكر لونوار أنّ يسوع يظهر في شهادات المسيحيين الأوائل على أنّه إنسان كامل ومختلف تمامًا عن الناس العاديين بل وخارج عن المألوف، بأفعاله وأقواله التي جعلت معاصريه في حيرة من أمرهم وتساؤلٍ دائم: من أين يأتي بقوة خطابه وسلطة أفعاله؟، يعرض لونوار مجموعة من الرؤى المنتشرة في عصر يسوع والمتعلّقة بنظرة معاصريه تجاهه، يتساءل ويجيب:

هل كان يسوع معلّم الحكمة؟: من البديهي بالنسبة للبعض أن يكون يسوع معلّم الحكمة<sup>(4)</sup> وكان اللّقبان "الرجل الحكيم" و "المعلّم" المستعملان من طرف المؤرّخ اليهودي جوزيف فلافيوس عند التعريف به في نهاية القرن الأوّل، وهو تشبيه قريب كثيراً من معنى: "الرّبي rabii" الذي يعتبر لقب فخري في اللّغة العبرية يطلق على الحكماء العظام مثل هيليل (Hillel) أبرز ممثلي الفريسيين في عهد

(1) لوقا 14: 26.

(2) مرقس 4: 13.

(3) Frédéric Lenoire, ibid, p38.

(4) مرقس 6: 2: [وَلَمَّا كَانَ السَّبْتُ، ابْتَدَأَ يُعَلِّمُ فِي الْمَجْمَعِ. وَكَثِيرُونَ إِذْ سَمِعُوا بُهِتُوا قَائِلِينَ: «مَنْ أَيْنَ لِهَذَا هَذِهِ؟ وَمَا هَذِهِ الْحِكْمَةُ الَّتِي أُعْطِيَتْ لَهُ حَتَّى تَجْرِيَ عَلَى يَدَيْهِ قُوَاتٌ مِثْلُ هَذِهِ؟»] وفي لوقا 2: 52: [وَأَمَّا يَسُوعُ فَكَانَ يَتَقَدَّمُ فِي الْحِكْمَةِ وَالْقَامَةِ وَالنَّعْمَةِ، عِنْدَ اللَّهِ وَالنَّاسِ].

## الفصل الثاني: صورة المسيح خلال القرن الأول.

"هيرودوس الأكبر" الذي لخصّ مضمون التّوراة في قاعدة ذهبية تقول "لا تفعل بالآخرين ما لا تريد أن يفعل بك" (1).

إذا كانت حِكْمُ "هليل" تركت بصمتها في النفوس، فإنّ حِكْمُ يسوع أثرت أيضًا على أتباعه، لأنّ الرّجل كان يملك فهمًا فطريًا للكتابات، وكرّس وقتًا لا بأس به أثناء ما يسمى بدعوته العامّة -حوالي سنتين تقريبًا قبل صلبه- يجوب القرى ويعلم رفاقه معاني الكتابات وسط دهشة مستمعيه: [فَلَمَّا أَكْمَلَ يَسُوعُ هَذِهِ الْأَقْوَالَ بُهَتَتِ الْجُمُوعُ مِنْ تَعْلِيمِهِ] (2)، فكانت الجموع تتساءل: [أَلَيْسَ هَذَا هُوَ النَّجَّارَ ابْنَ مَرْيَمَ، وَأَخُو يَعْقُوبَ وَيُوسَى وَيَهُوذَا وَسَمْعَانَ؟ أَوْ لَيْسَتْ أَخَوَاتُهُ هَهُنَا عِنْدَنَا؟ فَكَانُوا يَعْثُرُونَ بِهِ] (3).

يسوع كان متحدّثًا جيّدًا بل كان أحسن من الكتبة لأنّه يقدّم تعليمًا جديدًا: [«مَا هَذَا؟ مَا هُوَ هَذَا التَّعْلِيمُ الْجَدِيدُ؟ لِأَنَّهُ بِسُلْطَانٍ يَأْمُرُ حَتَّى الْأَرْوَاحَ النَّجِسَةَ فَتُطِيعُهُ!»] (4)، حيث كان يترك الجماهير مذهولة من قوّة خطاباته التي يوظّفها من أجل إيصال أفكاره وتعاليمه، فرما يتساءل البعض عن أسباب نجاح يسوع؟ يجب لوناور بأنّ السبب هو أسلوبه الموجز والجذاب واستخدامه مفارقات متجانسة تزيد من متانة كلامه: [وَرَفَعَ عَيْنَيْهِ إِلَى تَلَامِيذِهِ وَقَالَ: «طُوبَاكُمْ أَيُّهَا الْمَسَاكِينُ، لِأَنَّ لَكُمْ مَلَكُوتَ اللَّهِ طُوبَاكُمْ أَيُّهَا الْجِيَاعُ الْآنَ، لِأَنَّكُمْ تُشْبِعُونَ طُوبَاكُمْ أَيُّهَا الْبَاكُونَ الْآنَ، لِأَنَّكُمْ سَتَضْحَكُونَ»] (5). فقد كانت لكلماته فعالية الحِكم، حيث كان يستعمل الأمثال للتعبير عن الحقائق الواقعية: مَثَلُ الرَّاعِ (6)، مَثَلُ حَبَّةِ الْخَرْدَلِ وَمَثَلُ الْخَمِيرَةِ (7)، فقد كان يعبر عن: "سرّ الله" بطريقة بسيطة بسيطة وفي متناول الجميع، وكان معلّمًا بارعًا بلا شكّ في نظر لوناور إلّا أنّ البعض اعتبروه فيلسوفًا

(1) Frédéric Lenoire, ibid, p39.

(2) متى 7: 28.

(3) مرقس 6: 3.

(4) مرقس 1: 27.

(5) لوقا 6: 20 - 21.

(6) أنظر متى 13: 3.

(7) متى 13: 33.

## الفصل الثاني: صورة المسيح خلال القرن الأول.

ساخرًا على طريقة ديوجانوس من سينوب -التركية- (Diogène de Sinope 4ق-م)<sup>(1)</sup> الذي كان يجول أحياء أثينا وكورنتوس، لكن يسوع في الواقع أكبر وأفضل بكثير من مجرد وصفه بـ "صديق الحكمة"، لأن تعليم الجليلي موحى به من الله<sup>(2)</sup>.

هل كان يسوع صانع معجزات؟ بالإضافة لشخصية يسوع القوية في الخطاب، يذكر لونوار بأنه كان يحوز على موهبة أخرى غير عادية والمتمثلة في القدرة على الإبراء وحتى القيام بمعجزات، إذ يروي مرقس قائلاً: [وَحَيْثُمَا دَخَلَ إِلَى قَرْيٍ أَوْ مُدُنٍ أَوْ ضِيَاعٍ، وَضَعُوا الْمَرْضَى فِي الْأَسْوَاقِ، وَطَلَبُوا إِلَيْهِ أَنْ يَلْمِسُوا وَلَوْ هُدْبَ ثَوْبِهِ، وَكُلُّ مَنْ لَمَسَهُ شَفِيَ]<sup>(3)</sup>. يذكر لونوار بأن سرد هذه المعجزات التي احتل احتل حيزًا مهمًا في الأناجيل زادت من غموض شخصية يسوع الذي شفى العديد من المرضى، الصم<sup>(4)</sup>، العمي<sup>(5)</sup> والمفلوجين<sup>(6)</sup> -هذا على سبيل المثال لا الحصر-<sup>(7)</sup>.

وجبت الإشارة إلى أمر يؤكده الإنجيليون، وهو أن هاته المعجزات لا تتحقق إلا إذا "آمن" به الحضور وقد كتبها متى صراحة لما قال يسوع في الناصرة: [لَمْ يَصْنَعْ هُنَاكَ قُوَاتٍ كَثِيرَةً لِعَدَمِ

(1) Diogène de Sinope ديوجانوس من سينوب(413-327ق م) المعروف أيضًا باسم ديوجانس الكلبي فيلسوف يوناني وأحد مؤسسي المدرسة الكليبية كان معاصرًا لأريسطو والإسكندر الأكبر أنظر:

Paul HERVIEU, DIOGENE le Chien, BoD - Books on Demand, Christophe NOËL In de Tarpen 42 , Norderstedt ( Allemagne ) , 2022, p 223.

(2) Frédéric Lenoire, ibid, p40.

(3) مرقس 6: 56.

(4) مرقس 7: 30-37: [وَجَاءُوا إِلَيْهِ بِأَصْمٍ أَعْفَدَ، وَطَلَبُوا إِلَيْهِ أَنْ يَضَعَ يَدَهُ عَلَيْهِ فَأَخَذَهُ مِنْ بَيْنِ الْجَمْعِ عَلَى نَاحِيَةٍ، وَوَضَعَ أَصَابِعَهُ فِي أُذُنَيْهِ وَتَفَلَ وَلَمَسَ لِسَانَهُ وَرَفَعَ نَظْرَهُ نَحْوَ السَّمَاءِ، وَأَنَّ وَقَالَ لَهُ: «إِفْنَا». أَي انْفَتِحْ وَلِلْوَقْتِ انْفَتَحَتْ أُذُنَاهُ، وَأُنْحَلَّ رِبَاطُ لِسَانِهِ، وَتَكَلَّمَ مُسْتَقِيمًا فَأَوْصَاهُمْ أَنْ لَا يَقُولُوا لِأَحَدٍ. وَلَكِنْ عَلَى قَدْرِ مَا أَوْصَاهُمْ كَانُوا يُنَادُونَ أَكْثَرَ كَثِيرًا وَنَهْتُوا إِلَى الْعَايَةِ قَائِلِينَ: «إِنَّهُ عَمِلَ كُلَّ شَيْءٍ حَسَنًا! جَعَلَ الصُّمَّ يَسْمَعُونَ وَالْخُرْسَ يَتَكَلَّمُونَ».]

(5) مرقس 8: 22-25: [وَجَاءَ إِلَى بَيْتِ صَيْدَا، فَقَدَّمُوا إِلَيْهِ أَعْمَى وَطَلَبُوا إِلَيْهِ أَنْ يَلْمِسَهُ، فَأَخَذَ بِيَدِ الْأَعْمَى وَأَخْرَجَهُ إِلَى خَارِجِ الْقَرْيَةِ، وَتَفَلَ فِي عَيْنَيْهِ، وَوَضَعَ يَدَيْهِ عَلَيْهِ وَسَأَلَهُ: هَلْ أَبْصَرَ شَيْئًا؟ فَتَطَلَّعَ وَقَالَ: «أَبْصِرُ النَّاسَ كَأَشْجَارٍ يَمْشُونَ». ثُمَّ وَضَعَ يَدَيْهِ أَيْضًا عَلَى عَيْنَيْهِ، وَجَعَلَهُ يَتَطَلَّعُ. فَعَادَ صَحِيحًا وَأَبْصَرَ كُلَّ إِنْسَانٍ جَلِيًّا].

(6) مرقس 2: 3-12: [وَجَاءُوا إِلَيْهِ مُقَدِّمِينَ مَفْلُوجًا يَحْمِلُهُ أَرْبَعَةٌ... فَلَمَّا رَأَى يَسُوعُ إِيمَانَهُمْ، قَالَ لِلْمَفْلُوجِ: «يَا بُنَيَّ، مَغْفُورَةٌ لَكَ خَطَايَاكَ» [لَكْ أَقُولُ: فَمَ وَاحْمِلْ سَرِيرَكَ وَادْهَبْ إِلَى بَيْتِكَ!]. فَقَامَ لِلْوَقْتِ وَحَمَلَ السَّرِيرَ وَخَرَجَ قَدَامَ الْكَلِّ، حَتَّى بُهِتَ الْجَمِيعُ وَمَجَّدُوا اللَّهَ قَائِلِينَ: «مَا رَأَيْنَا مِثْلَ هَذَا قَطُّ».]

(7) Frédéric Lenoire, Ibid, p41.

## الفصل الثاني: صورة المسيح خلال القرن الأول.

إِيمَانِهِمْ<sup>(1)</sup>، وفي موضع آخر قال يسوع: [لَيْسَ نَبِيٌّ بِلا كَرَامَةٍ إِلاَّ فِي وَطَنِهِ وَبَيْنَ أَقْرَبَائِهِ وَفِي بَيْتِهِ]<sup>(2)</sup>، ولم يقدر أن يصنع أي معجزة في يوم السبت، كذلك يوم صلبه لما تحدّاه الكتبة بخلاص نفسه وهو على الصليب<sup>(3)</sup>... يعلّق لونوار أنه توجد في جميع الأديان شخصيات غير عادية - بالخصوص عند المتصوّفين الكبار - الذين يدعون أنهم يملكون موهبة صنع المعجزات والتي يستغلّونها لجذب الناس، إلا أن حالة يسوع كانت مخالفة فهو صنع ذلك نتيجة تعاطفه من مجتمعه<sup>(4)</sup>.

وذكر لونوار أنّ هذه الأعمال كشفت عن قدرات خارقة تركت انطباعات في نفوس معاصريه لدرجة أنّ فلافيوس جوزيف يلقّبه: "بصانع المعجزات"، سؤال يتبادر إلى الذهن من أين له هذه المواهب؟ يجيب لونوار قائلاً: من المؤكد أنّ يسوع كانت عنده فكرة على التساؤل وكانت إجابته: [وَلَكِنْ كُنْتُ بِأَصْبَعِ اللَّهِ أَخْرِجُ الشَّيَاطِينَ]<sup>(5)</sup>، من الواضح أنّه يرى نفسه ممثّل الرب ومنه يستمد سلطته، تلك السلطة التي تبرر فعله عندما يُعلّم حتى من هم أقدم منه، كما أنّه لا يستدلّ بالكتب كما هو شائع في عصره بل يجرأ ويعلن: [سَمِعْتُمْ أَنَّهُ قِيلَ: تُحِبُّ قَرِيْبَكَ وَتُبْغِضُ عَدُوْكَ وَأَمَّا أَنَا فَأَقُولُ لَكُمْ: أَحِبُّوا أَعْدَاءَكُمْ. بَارِكُوا لِأَعْيُنِكُمْ. أَحْسِنُوا إِلَى مُبْغِضِيكُمْ، وَصَلُّوا لِأَجْلِ الَّذِينَ يُسِيئُونَ إِلَيْكُمْ وَيَطْرُدُونَكُمْ]<sup>(6)</sup> متحملاً مسؤولية عدم التوافق بين أقواله وأقوال من سبقوه<sup>(7)</sup>.

يسوع أعطى لنفسه الحق في التغيير، بما في ذلك كسر قدسية يوم السبت: [إِذَا ابْنُ الْإِنْسَانِ هُوَ رَبُّ السَّبْتِ أَيْضًا]<sup>(8)</sup> وهذا ادعاء خطير لأنّه حسب التوراة الله بنفسه قدّس السبت<sup>(9)</sup>، ومّا زاد الطين الطين بلّة إعطاء نفسه سلطان غفران الخطايا (صلاحية من صلاحيات الإله)، في البداية لجأ يسوع إلى

(1) متى 13: 58.

(2) مرقس 6: 9 / انظر أيضا: متى: 13: 57.

(3) أنظر مرقس 15: 31 - 38.

(4) Frédéric Lenoire, Ibid, p41-42.

(5) لوقا 11: 20.

(6) متى 5: 43 - 44.

(7) Ibid, p42.

(8) مرقس 2: 28.

(9) تكوين 2: 1 - 3: [فَأَكْمَلَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ وَكُلَّ جُنْدِهَا وَفَرَغَ اللَّهُ فِي الْيَوْمِ السَّابِعِ مِنْ عَمَلِهِ الَّذِي عَمِلَ. فَاسْتَرَحَ فِي فِي الْيَوْمِ السَّابِعِ مِنْ جَمِيعِ عَمَلِهِ الَّذِي عَمِلَ وَبَارَكَ اللَّهُ الْيَوْمَ السَّابِعَ وَقَدَّسَهُ، لِأَنَّهُ فِيهِ اسْتَرَحَ مِنْ جَمِيعِ عَمَلِهِ الَّذِي عَمِلَ اللَّهُ خَالِقًا].

## الفصل الثاني: صورة المسيح خلال القرن الأول.

المعمودية من أجل غفران الذنوب، لكن سرعان ما تخلّى عن هذه الممارسة، فالماء في نظره لا يغسل الإنسان من خطاياه، حيث أظهر في المقابل قدرته على غفران الذنوب فوق الأرض<sup>(1)</sup>: [فَلَمَّا رَأَى يَسُوعُ إِيمَانَهُمْ، قَالَ لِلْمُفْلُوحِ: «يَا بُنَيَّ، مَغْفُورَةٌ لَكَ خَطَايَاكَ» وَكَانَ قَوْمٌ مِنَ الْكُتَّابَةِ هُنَاكَ جَالِسِينَ يُفَكِّرُونَ فِي قُلُوبِهِمْ: «لِمَاذَا يَتَكَلَّمُ هَذَا هَكَذَا بِتَجَادِيفٍ؟ مَنْ يَقْدِرُ أَنْ يَغْفِرَ خَطَايَا إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ؟»]<sup>(2)</sup>.

بعد اعتراف يسوع بهذا الأمر المذهل يجعل من نفسه وسيطاً بين الإله والإنسان: [كُلُّ شَيْءٍ قَدْ دُفِعَ إِلَيَّ مِنْ أَبِي، وَلَيْسَ أَحَدٌ يَعْرِفُ الْابْنَ إِلَّا الْآبُ، وَلَا أَحَدٌ يَعْرِفُ الْآبَ إِلَّا الْابْنُ وَمَنْ أَرَادَ الْابْنَ أَنْ يُعْلِنَ لَهُ]<sup>(3)</sup>، يسوع لا يعتبر نفسه مثل الآخرين، فهو يعلن جهاراً عن اختلافه وعن علاقته الحميمة بالإله الذي يناديه بالآرامية *Abba* أي "الآب" الذي يفيض بالحب من أجل أن يكون محل ثقة تامة، الآب الذي يُكن له يسوع الحب أيضاً. ولكن أعداء يسوع غير مقتنعين بقصة هذه البنوة بل أسوء من ذلك يرون كلامه مهين وطمع وغرور منه يودون قمعها كما بيّن لوقا<sup>(4)</sup>: [فَامْتَلَأُوا حُمَقًا وَصَارُوا يَتَكَاَلَمُونَ فِيمَا بَيْنَهُمْ مَاذَا يَفْعَلُونَ بِيَسُوعِ]<sup>(5)</sup>.

موقف المحيطين بالمسيح من شخصه: لقد اعتبر يسوع إما شخصية مضطربة وإما ساحر، في كل الأحوال لم يكن مكترثاً بهم، ولكن السؤال الذي يطرح هنا: كيف يمكن للناصرى القيام بهذه المعجزات؟ كيف يمكن له تفسير مثل تلك اللغة؟ في العالم اليهودي القديم كانوا يعدّون الشخصيات الكاريزمية شخصيات متناقضة جداً، ووصمة عارٍ فيصفونهم بالسحرة ويعتبرون أنّ مواهبهم جاءت من الشيطان وهذا الوصف لا يستثني يسوع، فقد كتب مرقس يقول: [لَأَنَّهَمْ قَالُوا: «إِنَّ مَعَهُ رُوحًا نَجِسًا»]<sup>(6)</sup> وفي موضعٍ آخر: [وَأَمَّا الْكُتَّابَةُ الَّذِينَ نَزَلُوا مِنْ أُورُشَلِيمَ فَقَالُوا: «إِنَّ مَعَهُ بَعْلَزَبُولَ! وَإِنَّهُ

(1) مرقس 2: 10: [وَلَكِنْ لِكَيْ تَعْلَمُوا أَنَّ لَابْنَ الْإِنْسَانِ سُلْطَانًا عَلَى الْأَرْضِ أَنْ يَغْفِرَ الْخَطَايَا].

(2) مرقس 2: 5-7.

(3) متى 11: 27.

(4) Frédéric Lenoire, ibid, p43.

(5) لوقا 6: 11.

(6) مرقس 3: 30.

## الفصل الثاني: صورة المسيح خلال القرن الأول.

بِرئيس الشياطين يُخرج الشياطين»<sup>(1)</sup> حتى إخوته كانوا قلقين عليه: [وَلَمَّا سَمِعَ أَقْرَبَاؤُهُ خَرَجُوا لِيُؤْمِسْكُوهُ، لِأَنَّهُمْ قَالُوا: «إِنَّهُ مُخْتَلٌ»]<sup>(2)</sup> هنا يظهر قلق أقربائه من سلامة الصحة العقلية ليسوع الذي كان يشفي بيده ويطرد الشياطين ويستخدم عبارات تثير القلق، وكانوا يحاولون دائمًا احتوائه قبل أن يتعدوا عنه ليتركه الجميع وحده يوم صلبه ماعدا أمه<sup>(3)</sup>.

شخصيات مشابهة ليسوع: بعيدًا عن هؤلاء المشككين يذكر لونوار بأن تيارًا آخر من مؤيدي الجليلي بدأ يظهر ويتكوّن شيئًا فشيئًا، حيث لم يكن يسوع في نظرهم ماکرًا، بالعكس آمنوا بأن معجزاته علامات على أنّ الربّ نظر بعين العطف إلى شعبه وهو ما فعله في الماضي بواسطة الأنبياء وكذا القديسين، فمثلًا قبل عقود قليلة من ولادة يسوع، كان هوني<sup>(4)</sup> (Honi ou Onias) صانع المعجزات الملقب بـ: "رسام الدوائر" يجذب حشدًا جماهيريًا لم يسبق له مثيل بسبب قدرته الخارقة وفعالية صلاته التي أنهت سنوات طويلة من القحط والجفاف، وقد فسّر الحاخامات هذه المعجزات على أنّ "هوني" يتمتع بعلاقة خاصة بالربّ وكانوا يطلقون عليه تسمية: "ابن الربّ"، لكن هذه التسمية لم تجلب له الحظ حيث حاولت أحد الأحزاب السياسية اليهودية الاستعانة بمواهبه ضد أعدائهم فلمّا رفض أعدموه، وشخصيات أخرى معاصرة ليسوع غالبًا ما توضع بالتوازي معه مثل حنانيا بن دوسا (Hanina ben Dossa) ، الذي يعود هو الآخر إلى أصول جليلية، رجل بدرجة عالية من التقوى وخشوع تام في صلاته كانت له قدرة خارقة على الإشفاء، واشتهر باسم: "صانع المعجزات" جعلت العلماء الفريسيين لا يترددون في دعوته ويكرّمونه مثل: المسيح<sup>(5)</sup>.

(1) مرقس 3: 22.

(2) مرقس 3: 21.

(3) Frédéric Lenoire, ibid, p44.

(4) هوني (Honi القرن الأول ق-م) رويت العديد من المعجزات عن هوني منها أنّ مجموعة من الناس ناشدوه أن يدعو الله بأن تمطر فصلى واقفًا داخل دائرة رسمها فنزل المطر ومن خلال هذا العمل الإعجازي وغيره من الأعمال فقد تسببت له في غيرته مع الحاخامات ورؤساء المجتمع اليهودي، وقد أشارت العديد من الكتب أنّ هوني كان مثل يسوع بحيث نجد إشارة الحاخام Wylen في كتاب The Jews in the Time of Jesus إلى أنّ الصّراع بين Shimon bar Shetah وهوني يشبه الصراع بين يسوع والفريسيين في العهد الجديد فقد كان هوني مثل يسوع تمامًا في تواضعه وإحسانه للغير أنظر:

Roy Hanu Hart, Reading the Bible in the 21st Century, First Edition, Victoria, Canada 2018, P196.

(5) Frédéric Lenoire, ibid, p45.



## الفصل الثاني: صورة المسيح خلال القرن الأول.

عندما تكون المعجزات ليست ثمرة للسحر، فهي تعتبر شرف لرجال الرب وكأحد أبنائه مثل هوني وحنانيا بن دوسا، هنا يطرح لونوار سؤالاً هل يسوع ابن الله حقاً؟ يجب: في الإنجيل العبراني تسمية ابن الرب تطلق في ذلك الزمن بصفة خاصة على الملائكة التي كانت تحظى بشعبية كبيرة في المعتقدات اليهودية، هل يسوع كان ملاكاً؟ لا، فيسوع أشار بقوله: [فإن ابن الإنسان يستحي به متى جاء بمجد أبيه مع الملائكة القديسين]<sup>(1)</sup>.

حديث لونوار عن معجزات المسيح ليس نقداً لها كما هو مشهور عند أغلب دارسي المعجزات بل فقط إشارة إلى دورها في تفاقم غموض شخص يسوع والتساؤل عن مصدرها من طرف معاصري يسوع، لكن فريدريك يجيب بأن تلك السلطة استمدتها من الله وأعطى لنفسه الحق في التغيير وفي غفران الخطايا وباعترافه بذلك جعل نفسه وسيطاً "intermédiaire" بين غيره والله الذي كان يناديه بالآب<sup>(2)</sup>.

من خلال ما سبق نرى تركيز لونوار على أفعال يسوع المختلفة التي بدأها بتخليه عن طقوس اليهود وتعليمه المخالف لعلماء عصره وحرية في تفسير نصوص العهد القديم وختمها بالحديث عن المعجزات التي اعتبرها تعاطف يسوع مع مجتمعه، إلا أنه وخلال الأحداث السابقة نلاحظ تركيز لونوار على بيان هوية يسوع ومهمته وأشار إلى تفرده عن باقي البشر باعتباره مختار الرب، لكن هناك أحداثاً ذكرتها الأناجيل وقام بها يسوع تفوق الوعي الإنساني والفهم البشري، ماهي هذه الأحداث وكيف فسرها لونوار؟.

(1) مرقس 8: 38.

(2) Frédéric Lenoire, ibid, p45.



## الفصل الثاني: صورة المسيح خلال القرن الأول.

المبحث الثاني: شخصية المسيح.

يتناول هذا المبحث الحديث عن ميلاد المسيح وقيامته وكيف صورتها الأناجيل وموقف لوقا منها وكذلك بيان كيفية إسهامها في غموض شخصية يسوع ثم محاولة تأكيد بشريته استنادًا إلى الألقاب التي أطلقها عليه معاصروه من اليهود.

المطلب الأول: موجز حياة يسوع كما ترويها الأناجيل.

ذكرت الكتابات الأولى بعض المعجزات التي تتجاوز الفهم الإنساني، وهي الأحداث التي وقعت عند ميلاد وموت يسوع وقيامته من بين الأموات. تلك الأحداث رغم اعتبار لوقا لها عادية إلا أن الأناجيل صورتها بطريقة دراماتيكية.

أحداث الميلاد: يذكر لوقا أن متى ولوقا صوروا يسوع ككائن غير عادي منذ لحظة الحمل به، فحسبهم الطفل يسوع ولد من دون اتصال جنسي ومن أم عذراء أيضًا، حيث سبق ميلاده العديد من النبوءات فخطيب مريم يوسف قد تم إعلامه في حلم عن كيفية ميلاد يسوع: [إِذَا مَلَكَ الرَّبُّ قَدْ ظَهَرَ لَهُ فِي حُلْمٍ قَائِلًا: «يَا يُوسُفُ ابْنَ دَاوُدَ، لَا تَخَفْ أَنْ تَأْخُذَ مَرْيَمَ امْرَأَتَكَ، لِأَنَّ الَّذِي حُبِلَ بِهِ فِيهَا هُوَ مِنَ الرُّوحِ الْقُدُسِ فَسَتَلِدُ ابْنًا وَتَدْعُو اسْمَهُ يَسُوعَ لِأَنَّهُ يُخَلِّصُ شَعْبَهُ مِنْ خَطَايَاهُمْ»]<sup>(1)</sup>.

وقد حملت به الأم المستقبلية بعد زيارة الملك جبرائيل: [فَقَالَ لَهَا الْمَلَكُ: «لَا تَخَافِي يَا مَرْيَمُ، لِأَنَّكَ قَدْ وَجَدْتِ نِعْمَةً عِنْدَ اللَّهِ وَهَا أَنْتِ سَتَحْبِلِينَ وَتَلِدِينَ ابْنًا وَتُسَمِّيَنَّهُ يَسُوعَ هَذَا يَكُونُ عَظِيمًا، وَابْنُ الْعَلِيِّ يُدْعَى»]<sup>(2)</sup>.

(1) متى: 1: 20-21.

(2) لوقا: 1: 30-32.

## الفصل الثاني: صورة المسيح خلال القرن الأول.

ولد الطفل يسوع في ظروف جد متواضعة لأنَّ أمّه ولدته في المذود<sup>(1)(2)</sup> ومع ذلك كانت الملائكة تأتي لتبشّر القرى المجاورة بمجيء المخلص: [وَكَانَ فِي تِلْكَ الْكُورَةِ رِعَاةٌ<sup>(3)</sup> مُتَبَدِّينَ... فَقَالَ لَهُمُ الْمَلَائِكَةُ: «لَا تَخَافُوا! فَهِيَ أَنَا أُبَشِّرُكُمْ بِفَرَحٍ عَظِيمٍ يَكُونُ لِجَمِيعِ الشَّعْبِ: أَنَّهُ وُلِدَ لَكُمْ الْيَوْمَ فِي مَدِينَةِ دَاوُدَ مُخَلِّصٌ هُوَ الْمَسِيحُ الرَّبُّ وَهَذِهِ لَكُمْ الْعَلَامَةُ: تَجِدُونَ طِفْلاً مُقَمَّطاً مُضْجَعًا فِي مِذْوَدٍ»<sup>(4)</sup>، فبهذه البشارة سارع الجوس ليسجدوا أمام ملك اليهود كما أورده متى: [...قَائِلِينَ: «أَيْنَ هُوَ الْمَوْلُودُ مَلِكِ الْيَهُودِ؟ فَإِنَّا رَأَيْنَا نَجْمَهُ فِي الْمَشْرِقِ وَأَتَيْنَا لِنَسْجُدَ لَهُ»<sup>(5)</sup>].

بدأ انتشار خبر مولد يسوع كالتار في الهشيم، فأثار ذلك غضب الملك هيرودوس الذي لا يرغب في رؤية سلطته موضع تنافس، فدفعه ذلك إلى إصدار أمر بذبح جميع أطفال بيت لحم الذين يقلّ عمرهم عن سنتين، ولكن يسوع نجى من الهلاك لأنّ ملاك الرب حذّر يوسف خطيب مريم من مكيدة هيرودس، فأخذ الأم والطفل إلى مصر<sup>(6)</sup> (7).

ملائكة، معجزات، نبوءات والكثير من المظاهر غايتها إظهار يسوع ككائن فريد وأنّه مختار الرب منذ البداية، يعلّق لونوار بأنّه لا يمكن الجزم بصحة هذه الأخبار التي وصلت عن طريق نصوص عقدية وليست حقائق تاريخية. كما أنّ هناك مختصّين يقولون بأنّ موضوع ولادة المسيح من عذراء لم يكن

(1) أنظر لوقا 2: 7.

(2) ورد في تفسير العهد الجديد لويليم باركلي أنّ التّاس قد تعودوا على أن يصوّروا مكان الميلاد أنّه مذود، إلّا أنّ هذا التّصوير قد يكون غير صحيح تماماً. فيوستينوس الذي عاش حوالي عام 105م والذي كان موطنه قرب بيت لحم يذكر في كتاباته أنّ يسوع ولد في كهف أو مغارة في أحد بيوت بيت لحم التي على الجبل، وقد يكون كلامه صحيحاً لأنّ البيوت في فلسطين تقام على سفوح التلال والجبال، وخلف البيت يمكن أن تستخدم المغارات أو الكهوف مكاناً لتربية الحيوانات. وفي بيت لحم الآن كهف بنيت فوقه كنيسة الميلاد الرومانية وقد اعتبره الكثيرون زمناً طويلاً أنّه مكان ميلاد يسوع، وقد حدث في أيام الإمبراطور الروماني (هارديان)، أنّه حاول أن يزيل هذه الذكري فيني فوق ذلك المكان هيكلاً وثنيّاً للإله (أدونيس)، لكن عندما صارت الدّولة الرومانية مسيحية في بداية القرن الرابع، بنى أول إمبراطور مسيحي وهو قسطنطين كنيسة عظيمة هناك. ويقول زوّار تلك الكنيسة أنّ بها منخفض، حتى أنّه لا يمكن دخولها إلا زحفاً على الركب. وتحت مذبح تلك الكنيسة كهف صغير يضيئه 35 مصباحاً فضياً، وفي أرضيته نجم وحوله كتابة مخفورة باللاتينية هنا ولد يسوع المسيح من مريم العذراء. أنظر: وليم باركلي، تفسير العهد الجديد K-tab. net ج 1، ص 30.

(3) وفي أنجيل متى مجوس وليس رعاة أنظر متى 2: 1.

(4) لوقا 2: 8-10-12

(5) متى 2: 2.

(6) أنظر متى 2: 13-14.

(7) Frédéric Lenoire, ibid, p47.

## الفصل الثاني: صورة المسيح خلال القرن الأول.

معروفًا في التقليد الشفهي السابق لإنجيلي متى ولوقا والموضوع غائب تمامًا في إنجيل مرقس، حيث أنّ فكرة الميلاد المعجزي هي فكرة كانت منتشرة في العصور القديمة، فالأساطير مليئة بشخصيات معروفة جاءت إلى العالم بطرق غريبة مثل: التّوأم (Romulus et Remus) الذي حملت أمهما ( Rhéa Silvia) بهما بتدخل الإله (Mars) مارس، الكتابات البوذية أيضا تحتوي على العديد من المعجزات والأحداث الخارقة عند ولادة الطفل الذي أصبح بوذا المستقبل<sup>(1)</sup>.

يُرجع لونيوار هذا الأمر إلى أسلوب أدبي كان منتشرًا في العالم القديم يهدف إلى إضفاء صفة استثنائية على الشخصيات المهمة، وهذا الأمر جعل الكثير من المفسرين يشكّون في صحّة وقوع تلك الأحداث، أمّا عن طفولة المسيح ذكر لونيوار أنّه لم يعرف الكثير عن طفولة الجليلي سوى أنّه أظهر اهتمامًا جد مبكر بالدين وكانت له قدرات فكرية ملحوظة كما في حادثة معبد أورشليم لما كان يسوع بين جمع من المعلمين اليهود يسمعونهم ويحدّثهم كما رواه لوقا<sup>(2)</sup>.

**المسيح مختار الرب:** لقد اعتبر لونيوار الخوارق التي روّتها الأناجيل القانونية المتعلقة بميلاد يسوع، ثقافة كتابة وأسلوب أدبي منشور آنذاك ولا تدلّ بتاتًا على اختيار يسوع، بالمقابل اعتبر حادثة التعميد من الأحداث التي تؤكّد أنّ يسوع فعلاً مختار الرب<sup>(3)</sup>، يذكر لونيوار احتمالية حصول المعمودية على ضفاف نهر الأردن في بداية الحياة العامة ليسوع لما كان في الثلاثينات من عمره تقريبًا حسب ما ذكره متى في إنجيله<sup>(4)</sup> وكان ابن حالته يرفض القيام بتعميده في البداية: [وَلَكِنْ يُوْحَنَّا مَنَعَهُ قَائِلًا: «أَنَا مُحْتَاجٌ أَنْ أَعْتَمِدَ مِنْكَ، وَأَنْتَ تَأْتِي إِلَيَّ!«]<sup>(5)</sup> لأنه بالنسبة له لا يرى أنّ هناك ما يتعلّمه يسوع منه، لكنّ هذا الجليلي أصرّ عليه: [فَلَمَّا اعْتَمَدَ يَسُوعُ صَعِدَ لِلْوَقْتِ مِنَ الْمَاءِ، وَإِذَا السَّمَاوَاتُ قَدْ انْفَتَحَتْ لَهُ، فَرَأَى رُوحَ اللَّهِ نَازِلًا مِثْلَ حَمَامَةٍ وَآتِيًا عَلَيْهِ، وَصَوْتُ مِنَ السَّمَاوَاتِ قَائِلًا: « هَذَا هُوَ

(1) ibid, p48.

(2) لوقا 2: 41-50: ..... [وَبَعْدَ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ وَجَدَاهُ فِي الْهَيْكَلِ، جَالِسًا فِي وَسْطِ الْمُعَلِّمِينَ، يَسْمَعُهُمْ وَيَسْأَلُهُمْ وَكُلُّ الَّذِينَ سَمِعُوهُ بُهْتُوا مِنْ فَهْمِهِ وَأَجْوَبْتِهِ]

(3)Frédéric Lenoire, Ibid, p49.

(4) أنظر متى 3: 13-17.

(5) متى 3: 14.

## الفصل الثاني: صورة المسيح خلال القرن الأول.

ابني الحبيب الذي به سررت»<sup>(1)</sup> يرى لونوار أنّ هذا النصّ شبيه ببعض كتابات العهد القديم كما في سفر حزقيال: [أَنَّ السَّمَاوَاتِ انْفَتَحَتْ، فَرَأَيْتُ رُؤْيَ اللَّهِ]<sup>(2)</sup> انفتاح السماوات دليل على أنّ الرب سيكلم مختاره، ورأى لونوار هذا التعميد كان حاسماً في حياة يسوع الذي أكد اختياره ومهمته والشاهد على ذلك أنّ مرقس افتتح إنجيله بتلك الحادثة<sup>(3)</sup>.

من الأحداث الأخرى التي ركّز عليها لونوار في مؤلفه حادثة التجلي التي ذكرتها الأناجيل السينوبتية لما اختار يسوع ثلاثة تلاميذ - بطرس ويوحنا ويعقوب - وطلب منهم أن يتبعوه إلى قمة جبل لم يذكر اسمه - عرف في التقليد فيما بعد بجبل طابور - وبينما كان المعلم منغمساً في صلاته: [وَفِيمَا هُوَ يُصَلِّي صَارَتْ هَيْئُهُ وَجْهَهُ مُتَغَيِّرَةً، وَلباسُهُ مُبَيَضًا لَامِعًا وَإِذَا رَجُلَانِ يَتَكَلَّمَانِ مَعَهُ، وَهُمَا مُوسَى وَإِيلِيَا، اللَّذَانِ ظَهَرَا بِمَجْدٍ، وَتَكَلَّمَا عَنْ خُرُوجِهِ الَّذِي كَانَ عَتِيدًا أَنْ يُكْمَلَهُ فِي أُورُشَلِيمَ]<sup>(4)</sup> أما مرافقي يسوع فكانوا في ذهول حتى سمعوا صوتاً يخاطبهم: [«هَذَا هُوَ ابْنِي الْحَبِيبُ، لَهُ اسْمَعُوا»] وتحت الصدمة: [وَسَكَتُوا وَلَمْ يُخْبِرُوا أَحَدًا فِي تِلْكَ الْأَيَّامِ بِشَيْءٍ مِمَّا أَبْصَرُوهُ]<sup>(5)</sup> وهذا الحدث أيضاً أيضاً يذكر بالعديد من القصص الواردة في العهد القديم، منها صعود موسى إلى جبل سيناء ليحضر ألواح الشريعة التي تحتوي وعد الله مع شعبه<sup>(6)</sup>، وربما ليس من قبيل الصدفة أن يكون النبيان اللذان تحدّثا إلى يسوع هما "موسى وإيليا" هما نفس الرجلين اللذين عاشا نفس تجربة الوحي الإلهي في سيناء<sup>(7)</sup>،

(1) متى 3: 16-17.

(2) حزقيال 1: 1.

(3) Ibid, 50.

(4) لوقا 9: 29-31.

(5) لوقا 9: 36.

(6) خروج 24: 16 [وَحَلَّ مَجْدُ الرَّبِّ عَلَى جَبَلِ سَيْنَاءَ... وَفِي الْيَوْمِ السَّابِعِ دُعِيَ مُوسَى مِنْ وَسَطِ السَّحَابِ].

(7) الملوك الأول 19: 9-13: [وَدَخَلَ هُنَاكَ الْمَغَارَةَ وَبَاتَ فِيهَا. كَانَ كَلَامُ الرَّبِّ إِلَيْهِ يَقُولُ: «مَا لَكَ هُنَا يَا إِيلِيَا؟» فَقَالَ: «قَدْ غَزَتْ غَيْرَةٌ لِلرَّبِّ إِلَهُ الْجُنُودِ، لِأَنَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ قَدْ تَرَكُوا عَهْدَكَ، وَنَقَضُوا مَذَابِحَكَ، وَقَتَلُوا أَنْبِيَاءَكَ بِالسَّيْفِ، فَبَقِيتُ أَنَا وَخَدِي، وَهُمْ يَطْلُبُونَ نَفْسِي لِيَأْخُذُوهَا» فَقَالَ: «اخْرُجْ وَقِفْ عَلَى الْجَبَلِ أَمَامَ الرَّبِّ». وَإِذَا بِالرَّبِّ عَابِرٍ وَرِيحٌ عَظِيمَةٌ وَشَدِيدَةٌ قَدْ شَفَّتِ الْجِبَالَ وَكَسَرَتِ الصُّخُورَ أَمَامَ الرَّبِّ، وَلَمْ يَكُنِ الرَّبُّ فِي الرِّيحِ. وَبَعْدَ الرِّيحِ زَلْزَلَةٌ، وَلَمْ يَكُنِ الرَّبُّ فِي الزَّلْزَلَةِ وَبَعْدَ الزَّلْزَلَةِ نَارٌ، وَلَمْ يَكُنِ الرَّبُّ فِي النَّارِ. وَبَعْدَ النَّارِ صَوْتٌ مُنْخَفِضٌ خَفِيفٌ فَلَمَّا سَمِعَ إِيلِيَا لَفَّ وَجْهَهُ بِرِدَائِهِ وَخَرَجَ وَوَقَفَ فِي بَابِ

## الفصل الثاني: صورة المسيح خلال القرن الأول.

فإذا كان انفتاح السماء هو دليل الاختيار الإلهي فإنّ المكان هو الجبل<sup>(1)</sup>.

من بين الأحداث التي ركّز عليها لونيوار أيضًا حدث موت وقيامة يسوع في اليوم الثالث<sup>(2)</sup>، أمّا المعجزات التي سبق وأن أشرنا إليها يذكر أنّ الأنجيل تعلن صراحة أنّ ما قام به يسوع كان بفعل قوة الروح القدس. لذلك هو قادر على القيام بأفعال يستحيل أن يقوم بها إنسان عادي. وإذا كانت معجزة الشفاء وطرده الأرواح الشريرة تجعل منه غير عاديًا فإنّ معجزات أخرى تظهر فيه قوّة خارقة للطبيعة، فيسوع أكثر من مجرد طبيب بسيط يُشفي المرضى، فقد كانت له قدرات أخرى منها القدرة على إكثار الخبز<sup>(3)</sup> وإقامة أموات<sup>(4)</sup>، وحتى المشي على الماء أيضًا بحيث أنّ تلاميذه: [لَمَّا رَأَوْهُ مَاشِيًا عَلَى الْبَحْرِ ظَنُّوهُ خَيَالًا، فَصَرَخُوا]<sup>(5)</sup> ولكن إلى جانب هذه المعجزات وكل الأحداث الاستثنائية سيعطي يسوع بموته المعيار الكامل لشخصيته الخارقة للطبيعة<sup>(6)</sup>.

**حادثة القيامة في اليوم الثالث:** كان من الممكن لحادثة الصلب أن تنهي "ظاهرة يسوع" تمامًا، أو على الأقل بالنسبة لأولئك الذين أدانوه وأعدموه بحجّة أنّه يجلب حشودًا كبيرة بمواعظه وأعماله الشفائية التي قد تسبّب تهديدًا على الأمن العام سواء في نظر الرومان الذين يكرهون أيّ حراك جماعي

---

المُعَاوَرَةِ، وَإِذَا بَصَوْتُ إِلَيْهِ يَقُولُ: «مَا لَكَ هَهُنَا يَا إِبِلِيًّا؟» / خروج 19: 20: وَنَزَلَ الرَّبُّ عَلَى جَبَلِ سَيْنَاءَ، إِلَى رَأْسِ الْجَبَلِ، وَدَعَا اللَّهُ مُوسَى إِلَى رَأْسِ الْجَبَلِ. فَصَعِدَ مُوسَى].

(1) Ibid, p51.

(2) لقد كتب اللاهوتي الألماني دافيد فريدريك شتراوس (David Frédéric Strauss 1808-1874) سنة 1835 مجلدين تحت عنوان Vie De Jesus au examen critique de son histoire تناول فيها بالتفصيل حياة يسوع وبرهن بأدلته أنّ المسيح كان إنسانًا وليس إلهًا وأنّ حياته ماهي إلا أسطورة ميثولوجية اخترعها أتباعه الأوائل ومن أهم المواضيع التي تناولها أيضًا في الفصل الثامن من الجزء الثاني قيامة يسوع في اليوم الثالث والأحداث القبلية والبعديّة التي جرت قبل الصلب وبعد القيامة بحسب اعتقاد المسيحيين ووصل إلى نتيجة مفادها أنّ عودة المسيح إلى الحياة عبارة عن فكرة سخيفة وهو تغير لنظام الحياة بلا ضابط ولا قاعدة، والاختلافات حول طبيعة جسد يسوع المقام "هل هو جسد ممجّد كما يدعي البعض أم جسد طبيعي" ليست سوى افتراءات، فالأنجيل لا تقدّم صورة واضحة عن طبيعة جسد المسيح المقام... هذه الأدلة وغيرها التي ذكرها شتراوس تنفي حقيقة القيامة بمفهومها المسيحي. أنظر:

David Frédéric Strauss: vie de Jesus, t: E.Littré. troisième édition. librairie de l'orange qait des augustins-19- paris. 1964. tome deuxième P 298 - 351.

(3) أنظر متى 14: 15 - 21 / 15: 32 - 38.

(4) أنظر مرقس 5: 35 - 43 ولوقا 7: 11 - 17.

(5) مرقس 6: 49.

(5) Frédéric Lenoire, ibid, p 51.

## الفصل الثاني: صورة المسيح خلال القرن الأول.

قد يؤدّي إلى التمرد، أو في نظر اليهود الذين يرون أنّ شعبية هذا الرجل الذي لا يكف عن انتقادهم تهدّد سلطتهم بشكل مباشر، والأكثر من ذلك كان يسوع يجذّب ويجعل من نفسه نبيّ الهلاك بإعلانه عن دمار الهيكل، لذلك رأى كلا الطرفين أنّه يتوجّب التخلص منه وبسرعة<sup>(1)</sup>.

يذكر لونوار أنّ المحاكمة التي خضع لها يسوع من طرف السنهريين أولاً ومن طرف بلاطس البنطي ثانياً<sup>(2)</sup> لم تستغرق وقتاً طويلاً بسبب كلام يسوع الذي أثار غضب رئيس الكهنة<sup>(3)</sup> عندما سأله: [أَنْتَ الْمَسِيحُ ابْنُ الْمُبَارَكِ؟]<sup>(4)</sup> فكانت إجابته: [أَنَا هُوَ وَسَوْفَ تُبْصِرُونَ ابْنَ الْإِنْسَانِ جَالِسًا عَنْ يَمِينِ الْقُوَّةِ، وَآتِيًا فِي سَحَابِ السَّمَاءِ]<sup>(5)</sup>، وعند سماع الكهنة كلام يسوع: [صَرَخُوا قائلين لبيلاطس: «اصْلِبْهُ!»]<sup>(6)</sup>، وما كان من العسكر إلا أن مضوا به بعد أن ألبسوه ثوب أرجوانٍ وعلّقوا له لافتةً مكتوبٌ عليها: "يسوع الناصري ملك اليهود". وكان من عادتهم أن يحمل المحكوم عليه صليبه إلى موضع الصّلب "جبل جلعثة" بأورشليم، حيث وضعوه عليه وسّمّروا يديه على الخشب وبعد عذاب فظيع يتلفظ يسوع آخر أنفاسه بهدوء وثقة بالعليّ: [وَنَادَى يَسُوعُ بِصَوْتٍ عَظِيمٍ وَقَالَ: «يَا أَبَتَاهُ، فِي يَدَيْكَ أَسْتَوْدِعُ رُوحِي»، وَلَمَّا قَالَ هَذَا أَسْلَمَ الرُّوحُ]<sup>(7)</sup> ثم بسرعة يدفن الميت حتى لا يترك جسده على الصّليب أثناء عيد الفصح<sup>(8)</sup>.

في الواقع هناك أحداث كثيرة لم يذكرها لونوار بشأن حادثة الصّلب والدفن منها تناقض الروايات الإنجيلية حول هذه الحادثة وكذا موقف الدراسات النقدية من صحّة وقوعها، لكن كما ذكرت سابقاً لكل مؤرّخ غاية يريد الوصول إليها استناداً إلى معطيات تخدم أفكاره وقناعاته، إذن إلى ماذا يريد لونوار الوصول؟

(1)Ibid, p 52.

(2) أنظر مرقس: (14: 53-65) و (15: 1-15)

(3) أنظر مرقس 14: 63.

(4) مرقس 14: 61.

(5) مرقس 14: 62.

(6) مرقس 15: 13.

(7) لوقا 23: 46.

(8)Ibid, p52.



## الفصل الثاني: صورة المسيح خلال القرن الأول.

يعلق لونوار على حادثة الصّلب وموت المسيح قائلاً: هذه النهاية المأساوية والمهينة أغرقت تلاميذ يسوع في حالة من اليأس، سائلين أنفسهم: هل كانوا مخطئين باتباعه؟ هل كان يسوع رجلاً عادياً مثله مثل الآخرين بعد كل الأحداث التي وقعت؟ سيطر عليهم الشك من جانب والخوف من جانب آخر، خوفهم من أن تسوء سمعتهم بسبب علاقتهم بالجليلي فيسبب لهم ذلك مشاكل، فبطرس نفسه لم يتردد في إنكار معلمه ثلاث مرات قبل الصّلب<sup>(1)</sup>، والشك يظهر أيضاً في اعتراف التلاميذ المسافرين إلى عمواس وهم منهارين من الوضع: [وَنَحْنُ كُنَّا نَرْجُو أَنَّهُ هُوَ الْمَزْمُوعُ أَنْ يَفْدِيَ إِسْرَائِيلَ]<sup>(2)</sup>... لكن هل هذا الحدث: نقطة نهاية؟ أم بداية جديدة؟

يواصل لونوار عرض تحليله للأحداث قائلاً: بعد عيد الفصح في اليوم التالي لوفاة يسوع تحدث معجزة أخرى، حيث أنّ النسوة اللاتي أتين لتحنيط جسد يسوع وجدن الصخرة مدحرجة من مكانها وقبر يسوع فارغ<sup>(3)</sup>، كثير من الشهادات أولها شهادة مريم المجدلية رأوا يسوع بأعينهم قام من الأموات، يسوع بلحمه وعظامه وليس بشبح: [أَنْظُرُوا يَدَيَّ وَرِجْلَيَّ: إِنِّي أَنَا هُوَ! جُسُونِي وَأَنْظُرُوا، فَإِنَّ الرُّوحَ لَيْسَ لَهُ لَحْمٌ وَعِظَامٌ كَمَا تَرَوْنَ لِي]<sup>(4)</sup> وقد تمكّن بطرس من لمس جروحه كما تقاسم معه تلاميذه طعاماً يتكوّن من سمك مشوي<sup>(5)</sup>.

(1) أنظر لوقا 22: 54-62.

(2) لوقا 24: 21.

(3) لقد ارتبطت مسألة القبر الفارغ بقيامة المسيح دائماً في الإعتقاد المسيحي وتعتبر دليل القيامة إلا أنّ التقاد لا يعتبرون ذلك صحيحاً صحيحاً فيبعداً عن الاختلافات والتناقضات في روايات الأناجيل متى 28: 1-6 / مرقس 16: 1-7 / لوقا 24: 1-12 / يوحنا 20: 1-12) للحادثة فإذا عنونت الفقرات بالقبر الفارغ وليس قيامة يسوع فذلك لأنّ لا أحد من الأناجيل السينوبتية ولا يوحنا يروون القيامة بشكل مضبوط، وعنوان الحدث هو نفسه في الأناجيل السينوبتية (القيامة) بينما (القبر الفارغ) في إنجيل يوحنا ووفقاً للأول فإنّ القيامة أعلنت من قبل الملاك للشهود الأوائل ولم يكن كافياً رؤية القبر فارغاً بل احتاج الأمر إلى توضيح على عكس ذلك ففي إنجيل يوحنا فإنه بمجرد رؤية القبر فارغ يقتنع التلميذ ويؤمن، بالتالي هذا الاختلافات تجعل القارئ يطرح العديد من التساؤلات المدعات للشك. أنظر:

Pierre Bonnard, L'évangile selon saint Matthieu, éditions fides, Genève 2002, p 27.

(4) لوقا 24: 39.

(5) انظر لوقا 24: 42-43: [فَنَأْوُلُوهُ جُزْءًا مِنْ سَمَكٍ مَشْوِيٍّ، وَشَيْئًا مِنْ شَهْدٍ عَسَلٍ، فَأَخَذَ وَأَكَلَ قُدَامَهُمْ].



## الفصل الثاني: صورة المسيح خلال القرن الأول.

إنّ الإعلان عن قيامة المسيح من بين الأموات يشبه القنبلة، إذ شكّل الحدث انتصاراً في نفوس المؤمنين به وأكد لهم علاقة الجليلي بالرب، حيث قال بولس: **[أَنَّ اللَّهَ أَقَامَهُ مِنَ الْأَمْوَاتِ، خَلَصَتْ]**<sup>(1)</sup>

والنعمة التي حظي بها من طرف الإله، فكان ما قاله يسوع لتلاميذه صحيحاً حين أخبرهم ثلاث مرات بأنّه سيموت وفي اليوم الثالث يقوم<sup>(2)</sup>.

أثار حدث القيامة ضجة كبيرة حول شخص يسوع المسيح، حيث بقي يظهر هذا الأخير يظهر لتلاميذه مدة أربعين يوماً ثم توقفت ظهوراته: بينما **[ثُمَّ إِنَّ الرَّبَّ بَعْدَمَا كَلَّمَهُمْ ارْتَفَعَ إِلَى السَّمَاءِ، وَجَلَسَ عَنِ يَمِينِ اللَّهِ]**<sup>(3)</sup>. هذه الأحداث كلّها في نظر لونوار زادت في غموض شخصية يسوع، وأدّت إلى إثارة مسألة هوية يسوع بقوة<sup>(4)</sup>.

نلاحظ أنّ الكاتب يعتقد بوقوع القيامة رغم تناقض الأناجيل في سرد الواقعة واختلاف الأحداث وشهادات كتاب الأناجيل وإنكار أغلب النقاد لها، لقد اعتبر لونوار القيامة حدثاً مهماً للكشف عن هوية يسوع الناصر ومهمته، ولكي يكشف عن ذلك ذكر لنا الألقاب التي كان معاصروه يطلقونها عليه استناداً إلى الشهادات الأولى، ماهي هذه الألقاب وكيف لها أن تكشف لنا عن سرّ مسيح لونوار؟

### المطلب الثاني: ألقاب المسيح في عند اليهود

يسوع يهودي وعاش بين اليهود، وهؤلاء كان لهم علم بالأنبياء والرسل والوحي الإلهي وكانوا يعرفون علامات النبوة، يُميّزون النبي عن غيره، والسؤال المطروح هنا: هل كان يسوع نبياً في نظر اليهود؟ وماهي الألقاب التي أطلقها عليه معاصروه من اليهود؟

لحلّ هذا اللغز يذكر لونوار أنّ يسوع مُنح عدّة ألقاب في الكتابات المسيحية الأولى منها: النبي، الخادم، المسيّا أو المسيح، ابن الإنسان، ابن الله، وألقاب أخرى.. ولكننا نتساءل هنا بشأن الكشف عن استخدام هذه الألقاب حول الفكرة التي يعتقدونها التلاميذ الأوائل عن هوية يسوع؟<sup>(5)</sup>.

(1) رومية 10: 9.

(2)Frédéric Lenoire, Ibid, p53.

(3) مرقس 16: 19.

(4)Ibid, p5

(5)Ibid, P55.

## الفصل الثاني: صورة المسيح خلال القرن الأول.

نبي (Un prophète): كان معاصرو يسوع يساؤون هذا الرجل الاستثنائي بالنبي: [فَقَالَتْ الْجُمُوعُ: «هَذَا يَسُوعُ النَّبِيُّ الَّذِي مِنْ نَاصِرَةَ الْجَلِيلِ»]<sup>(1)</sup>، ونفس اللقب أطلقت عليه الجموع التي شهدت إقامة الابن الوحيد للعجوز التي من نايين<sup>(2)</sup> قائلين: [«قَدْ قَامَ فِيْنَا نَبِيٌّ عَظِيمٌ، وَافْتَقَدَ اللَّهُ شَعْبَهُ»]<sup>(3)</sup>، في حين هناك بعض المشككين مثل سيمون في قوله: [«لَوْ كَانَ هَذَا نَبِيًّا، لَعَلِمَ مَنْ هَذِهِ الْأَمْرَأَةُ الَّتِي تَلْمِزُهُ وَمَا هِيَ! إِنَّهَا خَاطِئَةٌ»]<sup>(4)</sup> ومع ذلك، فإن الكتابات تؤكّد أنّ لقب النبي أحد أقدم التسميات التي أطلقت على يسوع<sup>(5)</sup>.

ماذا تعني كلمة نبي؟ جاءت من الكلمة العبرية (prophète)<sup>(6)</sup> التي تعني مترجم الإله الذي ينقل وصاياه، أو بعبارة أخرى: المتحدث باسم الإله، يحركه الإله وهو في خدمته. مثل هذا اللقب ليس خاص بالموحدين اليهود فقط بل إنّ الديانات القديمة من مصر إلى اليونان مرورًا بإيران وفينيقيا قد احتفظت ببعض أسماء الرجال المذهلين الذين وصلت أسماؤهم إلينا مثل النبي المصري (نفر وهو Nefer-rohu حوالي عام 2000 ق-م).

في كتب اليهود نجد تكرار عبارة: [هَكَذَا قَالَ الرَّبُّ]<sup>(7)</sup>، على لسان الأنبياء، وإرسال الأنبياء: إيليا، إشعيا، إرميا، حزقيال على سبيل المثال لا الحصر يتدخل الرب في تاريخ شعبه لتوجيه الناس وتذكيرهم بوصايا العهد الذي قطعه معهم. ولكن المهمة ليست سهلة فكثير من الأنبياء يجدون أنفسهم يواجهون سوء الفهم وحتى العداء من أتباعهم، يصل الحال بهم في بعض

(1) متى 21: 11.

(2) Ibid, P55.

(3) لوقا 7: 16.

(4) لوقا 7: 39.

(5) Ibid, P56.

(6) نبي (PROPHETE) هو رجل غير عادي، ملهم من الله ويعلن عن شرائعه ووصاياه وأسراره، لقد تكلم الله مع العبرانيين عن طريق الأنبياء وهم مقسمون إلى فئتين أنبياء كبار وأنبياء صغار، وكلهم تحدّثوا عن مجيء الميسيا، والتي الحقيقي هو الذي يتكلم بحدوء وريانة وليس بنشوة وغضب، وقد أطلق لقب الشعراء على الأنبياء وكلامهم أشعار (مزامير) وهذه الكلمة من أصل يوناني واشتق منها اللاتيون كلمة (fatur (fatur أي المتحدث بالأشعار، الأخبار، الروايات) وهم الأشخاص الأقل شهرة الذين يتحدّثون بتفاني وحماة عن الله، أنظر:

M. DCC L I I, Dictionnaire Universel François Et Latin, nouvelle édition corrigée et considérablement augmentée la compagnie des libraires associes a Paris, tome sixième, P388.

(7) عاموس 1: 3. أنظر أيضًا: إشعيا 1: 20. / إرميا 2: 3.

## الفصل الثاني: صورة المسيح خلال القرن الأول.

أحياناً إلى القتل، حيث تروي تفاسير يهودية متأخرة واقعة وفاة إشعيا شهيداً في عهد الملك منسى Manassé (في القرن السابع قبل الميلاد) الذي كان غاضباً من اللوم الذي وجهه إليه إشعيا فأمر بقطعه إلى نصفين بالمنشار<sup>(1)</sup>.

هل كان يسوع نبياً؟ يجب لوناوار: يسوع لم يكن يرفض لقب النبي، ولكن كان يحس أنه مرفوض من قبل سكان الناصرة، البلدة التي نشأ وترعرع فيها فقال متأسفاً: «لَيْسَ نَبِيٌّ بِلَا كَرَامَةٍ إِلَّا فِي وَطَنِهِ وَبَيْنَ أَقْرَبَائِهِ وَفِي بَيْتِهِ»<sup>(2)</sup> ولما علم أن هيرودس يريد القضاء عليه سارع بالتوجه نحو عاصمة يهوذا لأنه كما يقول: [يَنْبَغِي أَنْ أُسِيرَ الْيَوْمَ وَغَدًا وَمَا يَلِيهِ، لِأَنَّهُ لَا يُمَكِّنُ أَنْ يَهْلِكَ نَبِيٌّ خَارِجًا عَنْ أُورُشَلِيمَ]<sup>(3)</sup>، كما تجدر الإشارة إلى أن أنبياء عصره مشكوك مشكوك في نبوتهم، فبعض الجماعات اليهودية خاصة الصدوقيين يزعمون أن وقت النبوءات انتهى بزكريا وملاخي ويؤكدون أن «السَّمَاوَاتِ قَدْ أُغْلِقَتْ فِي تِلْكَ الْفِتْرَةِ» والسبب ربما الحالة السياسية المضطربة التي تميزت بالاحتلال الروماني آنذاك.

لقد ظهر عدد لا يحصى من الأنبياء الكذبة يجوبون البلاد ويحرضون على استعمال السلاح ويهددون النظام العام، ما جعل النبلاء يخافون من القمع المعادي لليهود، ويسوع نفسه يحذر منهم بقوله: [احْتَرِزُوا مِنَ الْأَنْبِيَاءِ الْكَذِبَةِ الَّذِينَ يَأْتُونَكُمْ بِبِغْيَابِ الْحُمَلَانِ، وَلَكِنَّهُمْ مِنْ دَاخِلِ ذُنَابٍ خَاطِفَةٍ]<sup>(4)</sup>.

معظم هؤلاء «الأنبياء السياسيين» لا قوا نهاية مأساوية وأشهرهم ثوداس (Theudas) حوالي 44م الذي جمع عدداً كبيراً من الأتباع قادهم إلى ضفاف نهر الأردن، وأكد لهم أنه سوف يعيد معجزة تقسيم المياه التي أجراها يشوع قبل دخول الأرض الموعودة لكن قبل عبور النهر لاقى معظم الأتباع حتفهم وتم إلقاء القبض عليهم من طرف قوات الحاكم ثم القيام بقطع رأس ثوداس<sup>(5)</sup>.

(1)Frédéric Lenoire, Ibid, p56.

(2) مرقس 6: 4.

(3) لوقا 13: 33.

(4) متى 7: 15.

(5) أنظر: أعمال الرسل: 5: 36.

## الفصل الثاني: صورة المسيح خلال القرن الأول.

لا شك أنّ يسوع لا يقارن بأولئك الأنبياء الكذبة الذين كانوا يزدادون بشكل كبير في عصره، فتلاميذه كانوا مقتنعين بأنه نبي حقيقي وعظيم كما يتضح في اعتراف حجاج عمواس بعد الموت المفجع لسيدهم: [كَانَ إِنْسَانًا نَبِيًّا مُفْتَدِرًا فِي الْفِعْلِ وَالْقَوْلِ أَمَامَ اللَّهِ وَجَمِيعِ الشَّعْبِ]<sup>(1)</sup>، ويقارنونه بموسى مرشد الشعب العبري الذي قال الرب عنه: [أَقِيمُ لَهُمْ نَبِيًّا مِنْ وَسْطِ إِخْوَتِهِمْ مِثْلَكَ، وَأَجْعَلُ كَلَامِي فِي فَمِهِ، فَيُكَلِّمُهُمْ بِكُلِّ مَا أُوصِيهِ بِهِ]<sup>(2)</sup> لهذا اعتقد البعض بأنّ يسوع هو موسى الجديد الذي أعلنت عنه الكتابات<sup>(3)</sup>: [لَأَنَّ قَوْمًا كَانُوا يَقُولُونَ: «إِنَّ يُوْحَنَّا قَدْ قَامَ مِنَ الْأَمْوَاتِ... وَآخَرِينَ: «إِنَّ نَبِيًّا مِنَ الْقَدَمَاءِ قَامَ»].<sup>(4)</sup> وآخرون يرونه إيليا الجديد الذي فرض نفسه كبطل لعبادة الرب ومواجهة إله الكنعانيين «بعل» في القرن التاسع ق-م<sup>(5)</sup>، حيث أصعده الله في عاصفة إلى السماء<sup>(6)</sup>، كذلك يسوع صعد إلى السماء، وهذا الصعود يجعله أقرب إلى الشخصيات المشهورة في الثقافة اليهودية خصوصاً أخنوخ جد نوح الذي أخذه الله وأصبح خالداً<sup>(7)</sup>.

هؤلاء الأنبياء يحملون أسراراً يمكنهم كشفها أمام الناس وقوى خارقة يستعملونها للتخفيف من معاناة معاصريهم<sup>(8)</sup>: [وَلَمَّا صَارَ الْمَسَاءُ قَدَّمُوا إِلَيْهِ (إلى يسوع) مَجَانِينَ كَثِيرِينَ، فَأَخْرَجَ الْأَرْوَاحَ بِكَلِمَةٍ، وَجَمِيعَ الْمَرْضَى لِكَيْ يَتِمَّ مَا قِيلَ بِإِسْعِيَاءَ النَّبِيِّ الْقَائِلِ: «هُوَ أَخَذَ أَسْقَامَنَا وَحَمَلَ أَمْرَاضَنَا»]<sup>(9)</sup> وبالتسبة للتلاميذ فإنّ يسوع بلا شك من سلالة الأنبياء<sup>(10)</sup>، حيث يشترك في العديد من الأحداث مع أنبياء العهد القديم حتى في موته وقيامته التي قارنها الناصري بقصة شخصية عظيمة في

(1) لوقا 24: 19.

(2) تثنية 18: 18.

(3)Frédéric Lenoire, Ibid, p58.

(4) لوقا 9: 7-8.

(5) انظر 1ملوك 17: 17-24.

(6) 2ملوك 2: [وَكَانَ عِنْدَ إِصْعَادِ الرَّبِّ إِيْلِيَّا فِي الْعَاصِفَةِ إِلَى السَّمَاءِ].

(7) تكوين 5: 24: [وَسَارَ أَخْنُوخُ مَعَ اللَّهِ، وَلَمْ يُوجَدْ لِأَنَّ اللَّهَ أَخَذَهُ].

(8)Ibid, P 58.

(9) متى 8: 16-17.

(10)Ibid, P59.

## الفصل الثاني: صورة المسيح خلال القرن الأول.

العهد القديم هو النبي يونان<sup>(1)</sup> الذي وجد نفسه في بطن حوت كبير لأنه رفض القيام بالمهمة التي أمره الرب: [لأنه كما كان يونان في بطن الحوت ثلاثة أيام وثلاث ليال، هكذا يكون ابن الإنسان في قلب الأرض ثلاثة أيام وثلاث ليال]<sup>(2)</sup>، يشير لوناوار إلى أن النبوءة لم تكن دقيقة لأن يسوع لم يمض إلا ليلتين ويوم واحد في القبر ومع ذلك فإن موته المأساوي يعدّ تكملة لنبوءات إشعيا: [أما الرب فسُرَّ بأن يسحقه بالحزن إن جعل نفسه ذبيحة إثم يرى نسلاً تطول أيامه، ومسرّة الرب بيده تنجح]<sup>(3)</sup>.

فيما سبق نلاحظ تركيز لوناوار على اللقب الذي أطلقه معاصرو يسوع عليه، ألا وهو لقب النبي وعدم معارضة يسوع لذلك، ما يعني أن هذا الأخير يعترف بنبوته بصفته المسيح وبأصوله اليهودية، لكن هل يسوع كان مجرد نبي فقط؟ من المعلوم أن اليهود كانوا ينتظرون مسيحًا يخلصهم من الاستعباد الذي كانوا يعيشونه ويقوم لهم مملكة أرضية، هل كان يسوع ذلك المسيح الذي كان ينتظره اليهود بحسب تحليل لوناوار لشخصية يسوع؟

### المطلب الثالث: يسوع الميسيا-المسيح.

في المطلب التالي يبيّن لوناوار مكانة يسوع في نظر معاصريه ومهمته التي جاء لتحقيقها على الأرض قائلاً: كان الجليلي أكثر من نبي في نظر تلاميذه: يسوع كان الميسيا، المسيح. وكلا المصطلحين لهما نفس المعنى، والمسيح (*Christ*) ليس سوى ترجمة يونانية للكلمة العبرية: *Mashiah* «*Messie* الميسيا. حرفيًا تعني الكلمة باليونانية *khristos*: «الممسوح» بالزيت المقدس<sup>(4)</sup>، وهي

(1) انظر يونان 1: 17.

(2) متى 12: 40.

(3) إشعيا 53: 10.

(4) أشار الكاتب أنه لا فرق بين المصطلحين المسيح والميسيا، بينما أكدت دراسة للدكتورة آسيا شكيرب على وجود اختلاف بينهما وذكرت في خاتمة بحثها أن أصل مصطلح الميسيا ليس هو مصطلح المسيح وأن الخلاص اليهودي لا بد أن نطلق عليه مصطلح الميسيانية وأما الخلاص بواسطة المسيح فيسمى الماسيحانية... أنظر: آسيا شكيرب: الميسانية وأثرها في المسيحية والحركات الدينية المعاصرة، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية (رسالة دكتوراه منشورة)، 2011-2012م، ص 433.

## الفصل الثاني: صورة المسيح خلال القرن الأول.

مسحة الملوك التي كانت تقليدًا منتشرًا عند ملوك إسرائيل واستمرت حتى عند المسيحيين<sup>(1)</sup>، المسيح هو الشخص الممسوح من طرف الرب ليتمكن من استرجاع مملكة إسرائيل القديمة.

مملكة المسيح وأبعادها الدنيوية؟.

قبل حكم داوود في القرن العاشر قبل الميلاد، كانت أرض إسرائيل مقسّمة إلى قسمين: في الشمال مملكة إسرائيل وفي الجنوب مملكة يهوذا، وبعد حكم داوود قام بتوحيد المملكتين وأسس عاصمته في القدس، تقول الكتابات أنّ ابنه سليمان هو من بنى الهيكل ولكن للأسف لم يتمكن هذا الأخير من البقاء على الوحدة الوطنية، ومنذ ذلك الحين أصبح حلم كل ملك في أرض إسرائيل هو: استرجاع المملكة الموحدة السابقة، -ولكن علماء الآثار يشكّكون في الحقيقة التاريخية لهذه المملكة الموحدة التي يرونها مجرد أفكار تكوّنت عبر القرون- تبين أنّ داوود هو نموذج الملك المثالي الذي قاد بلاده تحت سلطة الله، والشعب ينتظر داوودًا جديدًا ذلك المسيا الذي سيعيد مملكة إسرائيل بكلّ مجدها وإخراج كل الغرباء من حدودها<sup>(2)</sup>.

مع ذلك، سيكون من الخطأ القول أنّ جميع اليهود في زمن يسوع يرغبون بمجيئ المسيح مثل بعض أفراد من الشعب وبعض الفريسيين، لأنّه في وقت الحكم الروماني يتوجّب الحذر. كما كانت بعض النخب بالخصوص الصدوقيين محبطين من ظهور ما يسمّى بالمسيا الذي يشبه الأنبياء الكذبة الذين قادوا الشعب اليهودي إلى أسوأ المذابح في بلدهم<sup>(3)</sup>، منهم يهوذا الجليلي المذكور في العهد الجديد: [بَعْدَ هَذَا قَامَ يَهُودًا الْجَلِيلِيُّ فِي أَيَّامِ الْاِكْتِتَابِ، وَأَزَاعَ وَرَاءَهُ شَعْبًا غَفِيرًا فَذَاكَ أَيْضًا هَلَكَ، وَجَمِيعُ الَّذِينَ انْقَادُوا إِلَيْهِ تَشَتُّوا]<sup>(4)</sup>

(1) Frédéric Lenoire, ibid, P59.

(2)Ibid, P59.

(3)Ibid, p61.

(4) أعمال الرسل 5: 37.



## الفصل الثاني: صورة المسيح خلال القرن الأول.

هذا الأخير من خلال شحنه بطموحات المملكة عمل على تأسيس حزبٍ ثوريٍّ ذاك المسمى – الزيلوت<sup>(1)</sup> – الذين لا يكفون عن ارتكاب الفتن ضدَّ الرومان. بحكم أنهم يعتقدون بأنَّ يهود هو المعلم الوحيد لإسرائيل ويجب على اليهود طاعته وحده فقط دون أي قوةٍ أخرى، وهذه النزعة القومية الدينية لم تجلب الحظ للمتعاطفين مع الحركة وكانوا مُتابعين ويتم عقابهم بشدّة. لذلك تسمية "المسيا" كانت مصدر شبهة تُدين حاملها، وستكون واحدة من التّهم الرئيسية الموجهة ضد يسوع أثناء محاكمته: سوف يُدان بوصفه «ملك اليهود»<sup>(2)</sup> وبلا شكّ هو السبب الذي جعله يكون حذرًا عندما يناديه تلاميذه بالمسيح وكان يأمرهم أن لا يحدثوا عنه أحدًا: [فَقَالَ لَهُمْ: «وَأَنْتُمْ، مَنْ تَقُولُونَ إِنِّي أَنَا؟» فَأَجَابَ بُطْرُسُ وَقَالَ لَهُ: «أَنْتَ الْمَسِيحُ!»، فَأَنْتَهَرَهُمْ كَيْ لَا يَقُولُوا لِأَحَدٍ عَنْهُ]<sup>(3)</sup>، [وَكَاثَتْ شَيَاطِينُ أَيْضًا تَخْرُجُ مِنْ كَثِيرِينَ وَهِيَ تَصْرُخُ وَتَقُولُ: «أَنْتَ الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ!» فَأَنْتَهَرَهُمْ وَلَمْ يَدَعُهُمْ يَتَكَلَّمُونَ، لِأَنَّهُمْ عَرَفُوهُ أَنَّهُ الْمَسِيحُ]<sup>(4)</sup> ولكن إذا كان التّاصري حريصًا على عدم الإفصاح علنًا بأنّه المسيا، ومرقس لا يصف دخوله إلى أورشليم على أنّه دخول مسياني<sup>(5)</sup> وإذا كانت الجموع تصرخ:

(1)الزيلوت(Zealot) طائفة يهودية ترجع أصولها إلى ثورة المكابيين في القرن الثاني قبل الميلاد وقد ساهمت سرقات الحاكم الروماني Gessius Florus الكبيرة من خزائن الهيكل في إشاعة روح الثّورة والتمرد ورفعت من شعبية الزيلوت وأول من ذكر هذا الإسم هو جوزيف فلافيوس للإشارة إلى المقاومة اليهودية في حرب 66-73م وأطلق عليهم هذا الإسم بسبب تقديسهم الشّديد للتّوراة ومقتهم لغير اليهود ولليهود اللّذين يفتقرون إلى الحماسة الدينية، ظهر الزيلوت كحزب خلال حكم هيروود الكبير 37ق م-4م حيث قاوموا طقوسه الوثنية، ويسمّيهم التلموذ (Biryonim) أي المتوحّشين وأدأهم لعدوتيتهم ويطلق عليهم أيضًا السّكاري (Sicarii) وهي مفردة لاتينية وتعني القاتل بالخنجر أو رجل الخنجر بحيث لجأ هؤلاء إلى استخدام الإرهاب لتحقيق أغراضهم فقد كانوا يخفون خناجر صغيرة تحت عباءاتهم يطعنون بها أعداءهم من الرّومان أو أثرياء اليهود الرّاضين بالحكم الرّوماني. أنظر: صادق عبد علي الركابي: الانتحار الجماعي (أكبر عمليات الانتحار الجماعي في التّاريخ)، (ط1، مكتبة مدبولي، مصر، 2013) ص 57-58.

(3) Frédéric Lenoire, ibid. P61.

(3) مرقس 8: 29-30.

(4) لوقا 4: 41.

(5) انظر مرقس 11: 1-10.

## الفصل الثاني: صورة المسيح خلال القرن الأول.

[«أوصنا Hosanna<sup>(1)</sup> لابن داود! مبارك الآتي باسم الرب! أوصنا في الأعالي!»]<sup>(2)</sup>،

فالأمر ليس نفسه بالنسبة للجماعة المسيحية الأولى التي تستخدم هذا اللقب كما تشاء بعد موته وقيامته لدرجة أنّ اسم أولئك الذين يؤمنون بيسوع هو "مسيحين" المستمد من *khristos* اليونانية.

حسب لونيوار كل شيء كان مخطّط له منذ لحظة ولادته لإثبات أنه هو المسيح حقًا، وكما رأينا

سابقًا متى ولوقا لا يشيران إلى أنّ الطفل ولد في الناصرة - مدينة والديه - ولكن في بيت لحم التي

أجبروا على الذهاب إليها بسبب الاكتتاب الذي أمر به الإمبراطور، وهو ما يوضّحه لوقا: [فَصَعِدَ

يُوسُفُ أَيْضًا مِنَ الْجَلِيلِ مِنْ مَدِينَةِ النَّاصِرَةِ إِلَى الْيَهُودِيَّةِ، إِلَى مَدِينَةِ دَاوُدَ الَّتِي تُدْعَى بَيْتَ لَحْمٍ،

لِكَوْنِهِ مِنْ بَيْتِ دَاوُدَ وَعَشِيرَتِهِ]<sup>(3)</sup> وبالتالي فإنّ نسب يوسف هو نسب يسوع أيضًا وهو نسب

مرموق: [أَنَّهُ وُلِدَ لَكُمْ الْيَوْمَ فِي مَدِينَةِ دَاوُدَ مُخَلَّصٌ هُوَ الْمَسِيحُ الرَّبُّ]<sup>(4)</sup>.

نسب المسيح: يشير لونيوار إلى أنّه من المستحيل التحقق من نسب يسوع حتى أثناء حياته،

لأنّ هيرودس قام بإحراق المحفوظات اليهودية لقطع أي ادعاء من هذا النوع، ولكن ذلك لم يمنع متى من

دعوة يسوع ابن داود<sup>(5)</sup> وبافتتاح إنجيله بسلسلة أنساب شاملة تضم أربعة عشر جيلًا من إبراهيم إلى

داود، وأربعة عشر من داود إلى نفي الشعب اليهودي إلى بابل عام 587ق-م، وأربعة عشر إلى

يسوع<sup>(6)</sup>.

(1) *Hosanna* هي نفسها "*Hosyanna*" وتعني أحفظ/ أتوسّل، تشير آخر التحديثات لقاموس أوكسفورد الإنجليزي، إلى أن

الكلمة اللاتينية *osanna* أو *hosanna* مرتبطة باليونانية *doavva* أو *oavva* وكانت العبارة اليونانية لتمثيل العبرية *hosha-*

*na*، وهي صيغة مختصرة من *hoshi ah-nnā*، بمعنى "احفظ، صلي!"، يقول توما الإكويني أنّ مهمّة المخلص المذكورة في الفقرة

السابقة ويقصد بها أنّ الجنس البشري بحاجة إلى الخلاص وهذا الخلاص يكون على يد مخلص مميّز وهذا التمييز يظهر في الفقرة السابقة

ثلاثة مواضيع رئيسية مرتبطة بكلمة "أوصنا" الأول نسله (ابن داود) وامتياز أصله (آت من الرب) وأعلى نقطة في قوّته مرتبة ب أوصنا

في الأعالي حوّها توما إلى مواضيع طوّلة في الكريستولوجيا (علم طبيعة المسيح) والسوتريولوجيا (علم الخلاصيات) أنظر:

RANDALL B. SMITH: READING THE SERMONS OF THOMAS AQUINAS A Beginner's Guide, (randall B.smith, Steubenville, America, 2016), p168.

(2) متى 21: 9/ أنظر أيضًا: مرقس 11: 9.

(3) لوقا 2: 4.

(4) لوقا 2: 11.

(5) متى 1: 1.

(6) Frédéric Lenoire, Ibid ,p62.

## الفصل الثاني: صورة المسيح خلال القرن الأول.

مكان ميلاد المسيح: يرى لونوار أنّ تحديد مكان ميلاد يسوع بيت لحم له أهمية كبيرة تتمثل في إعطاء تفاسير مقنعة لنصوص العهد القديم منها ما ورد في كتاب ميخا الذي أعلن عن مكان ميلاد الميسيا ابن داوود: «أَمَّا أَنْتِ يَا بَيْتَ لَحْمِ أَفْرَاتَةَ، وَأَنْتِ صَغِيرَةٌ أَنْ تَكُونِي بَيْنَ أُلُوفِ يَهُودَا، فَمِنْكَ يَخْرُجُ لِي الَّذِي يَكُونُ مُتَسَلِّطًا عَلَى إِسْرَائِيلِ»<sup>(1)</sup>، النبوءة التي تؤكد قصة تقديم يسوع في الهيكل، فالمولود الجديد قد تمت مباركته من طرف رجل تقي اسمه سمعان: «وَبَارَكَهُمَا سَمْعَانُ، وَقَالَ لِمَرْيَمَ أُمِّهِ: «هَا إِنَّ هَذَا قَدْ وُضِعَ لِسُقُوطِ وَقِيَامِ كَثِيرِينَ فِي إِسْرَائِيلِ»»<sup>(2)</sup>، وكانت النبية حنة تترجم تسايحها في معبد أورشليم فرحًا بقدوم المسيح: «فِي تِلْكَ السَّاعَةِ وَقَفْتُ تُسَبِّحُ الرَّبَّ، وَتَكَلَّمْتُ عَنْهُ مَعَ جَمِيعِ الْمُنتَظِرِينَ فِدَاءً فِي أُورُشَلِيمَ»<sup>(3)</sup> و كان ينظر إلى المسيح على أنه المخلص لذلك جاء اسمه «يسوع»: «فَسَتَلِدُ ابْنًا وَتَدْعُو اسْمَهُ يَسُوعَ لِأَنَّهُ يُخَلِّصُ شَعْبَهُ مِنْ خَطَايَاهُمْ»<sup>(4)</sup> من هنا جاء السؤال الذي يعذب تلاميذه: «أَمَّا هُمْ الْمُجْتَمِعُونَ فَسَأَلُوهُ قَائِلِينَ: «يَارَبُّ، هَلْ فِي هَذَا الْوَقْتِ تَرُدُّ الْمُلْكَ إِلَى إِسْرَائِيلِ؟»»<sup>(5)</sup> ولكن كما يشرح بولس: «لَأَنَّ لَيْسَ مَلَكُوتُ اللَّهِ أَكْلًا وَشُرْبًا، بَلْ هُوَ بَرٌّ وَسَلَامٌ وَفَرَحٌ فِي الرُّوحِ الْقُدُسِ»<sup>(6)</sup> بعبارة أخرى مملكة يسوع ليست من هذا العالم هي مملكة روحية جاء يسوع ليعلن عنها<sup>(7)</sup>.

من خلال النصوص الأولى في تاريخ المسيحية الناشئة، لاحظ لونوار تركيز مؤلفي الأناجيل على إظهار أنّ يسوع جاء لإتمام نبوءات الكتابات اليهودية التي تنبأت بمجيئه وأهم الأحداث الرئيسية في حياته، وقد نسب كتاب الأناجيل إلى يسوع نفس العبارات التي تحملها هذه النبوءات وتدعم تلك الأطروحات، فمثلاً أثناء القبض على يسوع استلّ أحد تلاميذه سيفه وقطع أذن عبد رئيس الكهنة فتدخل الجليلي وقال: «رُدِّ سَيْفَكَ إِلَى مَكَانِهِ... فَكَيْفَ تُكْمَلُ الْكُتُبُ: «أَنَّهُ هَكَذَا يَنْبَغِي أَنْ

(1) ميخا: 5: 2.

(2) لوقا: 2: 34.

(3) لوقا: 2: 38.

(4) متى: 1: 21.

(5) أعمال الرسل: 1: 6.

(6) رومية: 14: 17.

(7) Ibid, pP63.

## الفصل الثاني: صورة المسيح خلال القرن الأول.

يَكُونُ؟»<sup>(1)</sup>، وأيضًا في صباح اليوم التالي للقيامة يسوع يعطي تعاليمه الأخيرة للتلاميذ ويحدّد: [وَقَالَ لَهُمْ: «هَذَا هُوَ الْكَلَامُ الَّذِي كَلَّمْتُمْ بِهِ وَأَنَا بَعْدُ مَعَكُمْ: أَنَّهُ لَا بُدَّ أَنْ يَتِمَّ جَمِيعُ مَا هُوَ مَكْتُوبٌ عَنِّي فِي نَامُوسِ مُوسَى وَالْأَنْبِيَاءِ وَالْمَزَامِيرِ»]<sup>(2)</sup> يبدو أنّ يسوع يشبه «العبد المتألم»<sup>(3)</sup>، الذي تحدّث تحدّث عنه إشعيا، وهو المسيا الحقيقي الذي لم يأت ليستعيد بقوته المملكة الأرضي بل أتى ليضحّي بحياته ليس فقط لخلاص شعبه بل البشرية جمعاء<sup>(4)</sup>.

لعلّ هذا هو السبب في لقب «ابن الإنسان»<sup>(5)</sup> الذي يستعمله غالبًا حين يتحدّث عن نفسه، هذا اللقب ذُكر اثنان وثمانون مرّة في الأناجيل القانونية على لسان يسوع الذي يستعمله أحيانًا بصيغة ضمير الغائب المفرد "هو"، ويشير لونيوار أنّ اللقب قد يبدو مثيرًا للجدل في وقتنا الحالي، ولكنّ الأمر لم يكن كذلك في زمن الناصري، إذ ورد في نبوءة دانيال في وصف رؤيا كما يلي: [«كُنْتُ أَرَى فِي رُؤْيِ اللَّيْلِ وَإِذَا مَعَ سُحْبِ السَّمَاءِ مِثْلُ ابْنِ إِنْسَانٍ أَتَى وَجَاءَ إِلَى الْقَدِيمِ الْأَيَّامِ، فَفَرَّبُوهُ قُدَّامَهُ فَأَعْطِي سُلْطَانًا وَمَجْدًا وَمَلَكُوتًا لِتَتَعَبَّدَ لَهُ كُلُّ الشُّعُوبِ وَالْأُمَمِ وَالْأَلْسِنَةِ، سُلْطَانُهُ سُلْطَانُ أَبَدِيٍّ مَا لَنْ يَزُولَ، وَمَلَكُوتُهُ مَا لَا يَنْقَرِضُ»]<sup>(6)</sup>، أي أنّ مجيء ابن الإنسان يعلن عن حقبة جديدة في نهاية الزّمان<sup>(7)</sup>.

يعلّق لونيوار على لقب "ابن الإنسان" قائلاً: قد يبدو للوهلة الأولى أنّ اللقب دليل على بشرية "يسوع" إذا أخذ بالمعنى الحرفي، إلّا أنّ الأمر ليس كذلك فهو يستعمل هذا الاسم ليعلن عن القوّة الاستثنائية التي تلقاها من الله، على سبيل المثال القدرة على غفران الخطايا: [وَلَكِنْ لِكَيْ تَعْلَمُوا أَنَّ

(1) متى 26: 52-54.

(2) لوقا 24: 44.

(3) انظر إشعيا 53.

(4) Ibid, p63.

(5) يرى المسلمون في لقب ابن الإنسان المذكورة في الأناجيل ماهو إلّا دليل قاطع لا غبار عليه على بشرية المسيح وبقايا الوحي في الأناجيل التي لا تتناقض مع البشارة القرآنية التي أكّدت على أنّ المسيح ابن مريم من الإنس ولم يكن أبدًا من الله تعالى. أنظر: عبد المنعم فؤاد: المسيحية بين التوحيد والتثليث وموقف الإسلام منها، (دط، مكتبة العبيكان، الرياض، 2001) ص 50.

(6) دانيال 7: 13-14.

(7) Frédéric Lenoire, Ibid, p64.

## الفصل الثاني: صورة المسيح خلال القرن الأول.

لأبْنِ الْإِنْسَانِ سُلْطَانًا عَلَى الْأَرْضِ أَنْ يَغْفِرَ الْخَطَايَا<sup>(1)</sup> قالها حين شفى الرجل المشلول<sup>(2)</sup>، وكذلك قالها عندما أعطى الحق لنفسه ممارسة أعماله يوم السبت<sup>(3)</sup>: [إِذَا ابْنُ الْإِنْسَانِ هُوَ رَبُّ السَّبْتِ أَيْضًا]<sup>(4)</sup>. يسوع من خلال أعماله يجعل ملكوت الله حقًا حاضرًا بحيث قال للفرّيسيّين: [هَا مَلَكُوتُ اللَّهِ دَاخِلِكُمْ]<sup>(5)</sup>، وكان يحذّر أتباعه بأنّ دوره سيكون حاسمًا يوم الدينونة: [وَأَقُولُ لَكُمْ: كُلُّ مَنْ اعْتَرَفَ بِي قُدَّامَ النَّاسِ، يَعْتَرِفُ بِهِ ابْنُ الْإِنْسَانِ قُدَّامَ مَلَائِكَةِ اللَّهِ وَمَنْ أَنْكَرَنِي قُدَّامَ النَّاسِ، يُنْكِرُنِي قُدَّامَ مَلَائِكَةِ اللَّهِ]<sup>(6)</sup> يشير لونيوار إلى أنّ التلاميذ وكتاب الأناجيل لا يدعون يسوع "ابن الإنسان" وكأنّ وكأنّ هذه التسمية لا يمكن أن يتلقّظ بها إلاّ الجليلي نفسه، لأنّها تظهر قوّة صاحبها ورسالته<sup>(7)</sup>.

من خلال ما سبق ركّز لونيوار على الألقاب التي أطلقت على يسوع من طرف معاصريه من اليهود، وكلّ الألقاب المذكورة كما رأينا تؤكّد بشرية يسوع ونبوّته، كما ركّز لونيوار على مصدر قوّة يسوع الخارقة التي بها تتحقّق سلطته في الشفاء وباقي المعجزات الأخرى، وقارنه في العديد من المواضيع بأنبياء بني إسرائيل، لكنّ هذا اعتقاد اليهود، فماذا عن غير اليهود ونظرهم ليسوع؟ خاصّة أنّ لونيوار يرى أنّ رسالة يسوع عالمية.

(1) متى 9: 6.

(2) انظر مرقس 2: 10.

(3) Ibid, p64.

(4) مرقس 2: 28.

(5) لوقا 17: 21.

(6) لوقا 12: 8-9.

(7) Ibid, p65.

## الفصل الثاني: صورة المسيح خلال القرن الأول.

### المبحث الثالث: صورة المسيح في نظر غير اليهود

كثيرة هي المواضع الواردة في العهد الجديد والتي أشارت إلى تعامل يسوع مع غير اليهود، فيسوع شفى العديد من المرضى ليسوا يهودًا منهم المرأة السامرية، وكثير منهم أيضًا كانوا شهودًا عيانًا على بعض معجزاته منها تحويل الخمر إلى ماء، وإخراج أرواح شريرة وكذا على صلبه والأحداث التي وقعت حينها، ولقد صورت الأناجيل تعجبهم واندعاشهم من أعماله، وأطلقوا عليه ألقابًا غير التي أطلقها اليهود عليه وهذا ما سنراه في المبحث الموالي.

ذكر لونوار أنّ قضية يسوع بدأت تأخذ بعدًا آخر خارج الإطار الفكري لليهود، ودلّ على ذلك بعض التسميات التي أطلقت عليه غير مذكورة في الكتابات اليهودية، وهي تسميات غريبة عما ألفه اليهود بل صادمة لهم في بعض الأحيان، هذه الألقاب تحاول أن تبين أنّ العمل الخلاصي ليسوع ليس خاص باليهود فقط: [بخراف بيت إسرائيل الضالة]<sup>(1)</sup> ولكن البشرية جمعاء<sup>(2)</sup>.

### المطلب الأول: ألقاب المسيح عند غير اليهود.

لقد أطلق معاصرو يسوع من غير اليهود ألقابًا كثيرة عليه مخالفة لما اعتاده اليهود في كتبهم، فما هي هذه الألقاب وكيف تعامل معها اليهود؟ وكيف ستؤثر على دعوة المسيح؟

**الأقوى (Le plus puissant):** أول الألقاب التي ذكرها لونوار هو لقب الأقوى: واستشهد بما ذكره يوحنا المعمدان في قوله: [أنا أعمدكم بماء، ولكن يأتي من هو أقوى مني، الذي لست أهلاً أن أحلّ سيور حذائه. هو سيعمّدكم بالروح القدس ونار]<sup>(3)</sup> ورأى أنّ الأناجيل سعت إلى إظهار عظمة الجليلي على من سبقوه، - حتى يوحنا المعمدان بحسب فلافيوس جوزيف يعدّ من بين الشخصيات المهمة في الحياة الدينية اليهودية-<sup>(4)</sup>، أعظم من موسى، ففلق هذا الأخير البحر بعصاه وتقديمه المنّ في الصحراء لقومه كان بإرادة الله وليس من تلقاء نفسه، عكس القاصري الذي كان مشيه

(1) متى 15: 24.

(2) Ibid, p67.

(3) لوقا 3: 16.

(4) Ibid, p68.



## الفصل الثاني: صورة المسيح خلال القرن الأول.

على الماء، وإكثاره الخبز بإرادته وقوته وسلطته<sup>(1)</sup>، ومما يدلّ أيضًا على رفعة منزلة يسوع حسب تحليل لونوار هو حضور التّبيين موسى وإيليا اللّذين يعتبران من أعظم أنبياء الدّيانة اليهودية ليشهدا على المجد الذي أعطاه الله ليسوع في وقت التّجلي على الجبل، وقد ذكر بولس في رسالته الثانية إلى أهل كورنثوس أنّ المجد الذي تزيّن به وجه موسى زائل<sup>(2)</sup> عكس الذي تزيّن به وجه يسوع، لذا يرى لونوار أن لا شك أنّ يسوع أكثر من نبي، أقوى من يوحنا المعمدان، وأعظم من موسى، يسوع هو أيضًا: [أَعْظَمَ

مِنَ الْمَلَائِكَةِ بِمِقْدَارِ مَا وَرِثَ اسْمًا أَفْضَلَ مِنْهُمْ]<sup>(3)</sup>، يتساءل لونوار: ما هو هذا الاسم الغامض؟

إنّه لقب ابن الله (Le Fils de Dieu)<sup>(4)</sup>: لقد ذكر مرقس في إنجيله أن الله أمر بالسّماع

ليسوع [«هَذَا هُوَ ابْنِي الْحَبِيبُ، لَهُ اسْمَعُوا»]<sup>(5)</sup> ورأى لونوار أنّه ليس من المستغرب أن يدعو يسوع

الإله "أبي" (Abba) لتأكيد العلاقة المتميزة بينهما، لم يكن لقب "ابن الله" نادر الاستخدام في العالم

الوثني القديم كما يظنّ المرء للوهلة الأولى، فقد كان منتشر عند الوثنيين المصريين وكذلك عند أباطرة

الرومان الذين كانوا يطلق عليهم لقب: "ابن الله" ومثل هذا اللقب يوضّح أنّ سلطة الحاكم وسيادته

ناבעة من الإله. في الأدب اليهودي أيضًا كانت عبارة "ابن الله" مألوفة، وكانت تطلق على الملائكة<sup>(6)</sup>،

(1)Ibid, p68.

(2) انظر كورنثوس الثانية 3: 7.

(3) عبرانيين 1: 4.

(4) يعتبر لقب ابن الله من الألقاب التي كان يسوع يتفادى استعمالها، فطوال فترة كرازته بملكوت الله كان يدعم كرازته بعجائب ويتحفظ كونه الميسيا أو ابن الله أو ابن داوود وكان يفضل الصّمت، وكان أيضًا حريصًا على اختيار الأوقات المناسبة لممارسة معجزاته التي تبيّن عن المملكة التي ينوي تأسيسها، وقد مات يسوع ولم يصرّح بأنّه إله أو ابن إله وحتى الذين معه لم يفعلوا ذلك، وحقًا منهم على سمعتهم وسمعة معلّمهم اخترعوا قصة القيامة للحفاظ على بقائهم، فالتلاميذ لم يؤمنوا أنّ يسوع كان إلهًا وأعمال الرّسل تشهد على ذلك بوضوح فسمعان بطرس الذي قال عن يسوع: [أَنْتَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ الْحَيِّ] (متى 16: 16) يعلن في عظته الأولى بعد نهاية المسيح أنّ معلّمه كان رجلًا: [أَيُّهَا الرَّجَالُ الْإِسْرَائِيلِيُّونَ اسْمَعُوا هَذِهِ الْأَقْوَالُ: يَسُوعُ النَّاصِرِيُّ رَجُلٌ قَدْ تَبَرَّهَنَ لَكُمْ مِنْ قِبَلِ اللَّهِ بِعُقُوتٍ وَعَجَائِبٍ وَأَيَاتٍ صَنَعَهَا اللَّهُ بِيَدِهِ فِي وَسْطِكُمْ، كَمَا أَنْتُمْ أَيْضًا تَعْلَمُونَ] (أع 2: 23) يثبت هذا المقطع بوضوح شديد أنّ كبير التلاميذ هذا لم يجرؤ بعد على المجازفة والإعلان على ألوهية يسوع، أو أنّه كان يجهل تمامًا عقيدة ألوهية يسوع التي اخترعها منذ ذلك رجال الدّين. أنظر:

Paul Thiry Baron D'holbach : Histoire critique de jesus christ ou Analyse raisonnée des evangiles, Librairie Droz S.A, Massot, Genève, 1997, P 566/567.

(5) مرقس 9: 7.

## الفصل الثاني: صورة المسيح خلال القرن الأول.

الملائكة<sup>(1)</sup>، وعلى ملوك إسرائيل ويهوذا ولا سيما داوود ونسله، وكذلك على بعض الشخصيات العظيمة (خاصة الآباء)، بل وحتى على شعب إسرائيل ككل فقد ورد في سفر الخروج ما يلي: [هكذا يُقُولُ الرَّبُّ: إِسْرَائِيلُ ابْنِي الْبِكْرِ]<sup>(2)</sup>.

إلا أن عبارة "ابن الله" ستأخذ بعداً ومعنى آخرين عند المسيحيين، معنى مخالف تماماً عما هو متداول في العالم الوثني وفي الكتابات اليهودية، هذا المعنى يتمثل في أن يسوع لديه علاقة "فريدة" واستثنائية مع الله، ففي العهد الجديد لقب "ابن الله" مذكور في العديد من المواضع ويعدّ أحد أقدم الألقاب التي أطلقت على يسوع، فقد قال تلاميذه: «بِالْحَقِيقَةِ أَنْتَ ابْنُ اللَّهِ!»<sup>(3)</sup> لما رآه يمشي على الماء وهو اللقب الوحيد الذي أجمع عليه كتّاب الأناجيل لأنهم استخدموه جميعاً<sup>(4)</sup>.

لقب "ابن الله" في نظر لونيوار يتيح معرفة العلاقة التي تربط التّاصري بالإله، ولا يجعل من يسوع مساوٍ بالعلي القدير، فكما يقول بولس: [الابنُ نَفْسُهُ أَيْضًا سَيَخْضَعُ لِلَّذِي أَخْضَعَ لَهُ الْكُلَّ]<sup>(5)</sup> ويسوع نفسه يدرك ذلك ويؤكد به بقوله لتلاميذه: [كُلُّ شَيْءٍ قَدْ دُفِعَ إِلَيَّ مِنْ أَبِي]<sup>(6)</sup>، ولكن رغم اعترافه بخضوعه لله إلا أن إطلاق لقب ابن الله على نفسه في نظر اليهود يعتبر تجديفًا، فعندما سأله رئيس الكهنة أجابه يسوع أنه كذلك، قالوا عنه: [قَدْ جَدَّفَ! مَا حَاجَتُنَا بَعْدُ إِلَى شُهُودٍ؟ هَا قَدْ سَمِعْتُمْ تَجْدِيفَهُ!]<sup>(7)</sup>، ومع ذلك ما يراه البعض تجديفًا يصبح إعلانًا عن إيمانٍ عند البعض الآخر وهو ما قاله قائد المئة والذين معه حين كانوا ينظرون يسوع على الصليب: [وَأَمَّا قَائِدُ الْمِئَةِ وَالَّذِينَ مَعَهُ ... لَمَّا رَأَوْا الزَّلْزَلَةَ وَمَا كَانَ، خَافُوا جِدًّا وَقَالُوا: «حَقًّا كَانَ هَذَا ابْنُ اللَّهِ!»]<sup>(8)</sup>.

(1) انظر تكوين 6: 2.

(2) خروج 4: 22.

(3) متى 14: 33.

(4)Frédéric Lenoire, Ibid, p69.

(5) كورنثوس الأولى 15: 28.

(6) لوقا 10: 22.

(7) متى 26: 65.

(8) متى 27: 54.

## الفصل الثاني: صورة المسيح خلال القرن الأول.

ألقاب إلهية أطلقت على المسيح: يذكر لونيوار بأنه رغم اعتراف يسوع بخضوعه للآب إلا أنّ العهد الجديد حفظ له ألقاباً عادة ما تكون خاصة بالله وحده، وهو الأمر مع لقب: «القدّوس saint» «الخاص بالإله في العهد القديم: [فَتَكُونُونَ قِدِّيْسِينَ لِأَنِّي أَنَا قُدُّوسٌ]<sup>(1)</sup>، وبولس يخاطب في رسالته الأولى أهل كورنثوس: [الْمُقَدَّسِينَ فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ، الْمَدْعُوعِينَ قِدِّيْسِينَ مَعَ جَمِيعِ الَّذِينَ يَدْعُونَ بِاسْمِ رَبِّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ فِي كُلِّ مَكَانٍ]<sup>(2)</sup> وأيضاً يسوع يصف نفسه: «بالعريس époux» «: فَقَالَ [فَقَالَ لَهُمْ يَسُوعُ: «هَلْ يَسْتَطِيعُ بَنُو الْعُرْسِ أَنْ يَنْوَحُوا مَا دَامَ الْعَرِيسُ مَعَهُمْ؟ وَلَكِنْ سَتَأْتِي أَيَّامٌ حِينَ يُرْفَعُ الْعَرِيسُ عَنْهُمْ، فَحِينَئِذٍ يَصُومُونَ. ]<sup>(3)</sup> وهو أحد الأسماء التي أعطيت ليهوه ليشير إلى عهده مع إسرائيل: [لَأَنَّ بَعْلَكَ هُوَ صَانِعُكَ، رَبُّ الْجُنُودِ اسْمُهُ، وَوَلِيِّكَ قُدُّوسُ إِسْرَائِيلَ، إِلَهَ كُلِّ الْأَرْضِ يُدْعَى، لِأَنَّهُ كَامْرَأَةٌ مَهْجُورَةٌ وَمَحْزُونَةٌ الرُّوحِ دَعَاكَ الرَّبُّ، وَكَزَوْجَةِ الصَّبَا إِذَا رُذِلَتْ، قَالَ [إِلَهُكَ]<sup>(4)</sup>، حيث يعلّق لونيوار على هذه الألقاب قائلاً: يمكن للمرء أن يتخيّل كيف يمكن لهذه الأسماء التي أطلقت على يسوع أن تصدم اليهود المتديّنين الذين يحترمون التقاليد؟ لقد كان تلاميذ يسوع يتجنّبون أي خطاب قد يلحق بهم الأذى وتخلّوا بسرعة عن الألقاب المتطرفة باستثناء لقب واحد وهو: «الرّب - Seigneur -» الذي سيكون له مستقبل واعد<sup>(5)</sup>.

يسوع الرّب<sup>(6)</sup> (Jésus le Seigneur):

(1) لاويين 11: 45.

(2) كورنثوس الأولى: 1: 2.

(3) متى 9: 14.

(4) إشعيا: 54: 5-6.

(5) Ibid, p 70.

(6) يعتبر لقب الرّب من الألقاب التي أثارت جدلاً واسعاً باعتبارها تبرز المهمة التي ألصقوها بيسوع وهي خلاص البشر ولكن هذا اللقب يعني في اللغة اليونانية القديمة "مالك الشّيء أو صاحبه" وقد استخدمها العهد الجديد بهذا المعنى (أنظر مرقس 12: 9-11) ومعنى العلاقة بين العبد والسيد كما في متى (أنظر متى 27: 63) وتعني السيد الشرعي المعترف به للعلاقة المتبينة بينه وبين الرّعية ولا تعني السيادة الدكتاتورية، كما أنّ إطلاق لقب الرّب على يسوع بمعناه اللاهوتي كان بعد القيامة حسب الاعتقاد المسيحي لذا نتساءل من أطلقه بذلك المعنى؟ فاليهود لم يقصدوا به ألوهية المسيح فالمسيح لدى اليهود مهما كان عظيمًا ومهما كان واسطة الله الحاسمة لا يزيد عن كونه كائنًا مخلوقًا ولهذا السبب فإنّ الكنيسة الأولى ومن بعدها بولس قد وضعوا معنى جديد للمسيح وشخصيته. أنظر: أحمد علي عجيبية: الخلاص المسيحي ونظرة الإسلام إليه، (ط1، دار الآفاق العربية، مصر، 2006، ج11) ص345-347

## الفصل الثاني: صورة المسيح خلال القرن الأول.

من الألقاب التي أطلقت على يسوع أيضًا لقب الرب الذي أعلن عنه بطرس رسميًا بعد الصلب:  
[فَلْيَعْلَمَ يَقِينًا جَمِيعُ بَيْتِ إِسْرَائِيلَ أَنَّ اللَّهَ جَعَلَ يَسُوعَ هَذَا، الَّذِي صَلَبْتُمُوهُ أَنْتُمْ، رَبًّا وَمَسِيحًا]<sup>(1)</sup>  
ونفس الأمر قاله التلاميذ بعد رؤيتهم لمعلمهم: [«إِنَّ الرَّبَّ قَامَ بِالْحَقِيقَةِ وَظَهَرَ لِسَمْعَانَ!»]<sup>(2)</sup>.  
يتساءل لونوار: هل يسوع يشبه الرب؟ يرى الكاتب أن هذا التعبير استفزازي لأنه يحتوي على لقب خاص بالإله في العهد القديم، -الكلمة اليونانية *Kyrios*: «Seigneur» تحل محلّ يهوه *Yahvé* الذي لا يوصف في السبعينية وهي ترجمة يونانية للكتاب المقدس تمت في القرن الثالث قبل الميلاد- إن استعمال هذا اللقب خاص بالإله وحده في الكتابات اليهودية في بداية عصرنا الحالي، نجد مثلاً في أبوكريفا سفر التكوين: [طوبى لك يا رب، رب العالمين، ربّي في كل العصور، لأنك أنت الرب وسيّد الكون]<sup>(3)</sup>، أمّا الباقي فالعهد الجديد ينسب هذا اللقب بانتظام للإله<sup>(4)</sup>.

لقب الرب *Le kyrios* لقب مميّز في الثقافة اليهودية. إلا أنه يستعمل كثيراً في سياق وثني الذي يقصد به سيّد العبيد أو مالكم أو رئيسهم، بمعنى يحدد وظيفة تقع في أعلى سلّم الطبقات الاجتماعية، لكنّه يبقى لقباً عادياً، يتساءل لونوار هل قورن يسوع بسيد بيت عادي؟ لا! لأنه على بيت الله يمارس سلطته كما يشير بولس في رسالته: [فَلَسْتُمْ إِذَا بَعُدُّوا عُرْبَاءَ وَنُزُلًا، بَلْ رَعِيَّةٌ مَعَ الْقَدِيسِينَ وَأَهْلِ بَيْتِ اللَّهِ، مَبْنِيِّينَ عَلَى أَسَاسِ الرُّسُلِ وَالْأَنْبِيَاءِ، وَيَسُوعَ الْمَسِيحِ نَفْسُهُ حَجَرُ الزَّاوِيَةِ، الَّذِي فِيهِ كُلُّ الْبِنَاءِ مُرَكَّبًا مَعًا، يَنْمُو هَيْكَلًا مُقَدَّسًا فِي الرَّبِّ، الَّذِي فِيهِ أَنْتُمْ أَيْضًا مَبْنِيُونَ مَعًا، مَسْكَنًا لِلَّهِ فِي الرُّوحِ].<sup>(5)</sup> علاوة على ذلك في الشرق الوثني ينسب اللقب إلى الآلهة مثل: *le kyrios Osiris* الرب الروح *la kyria Isis* الربّة إيزيس<sup>(6)</sup>.

أقل ما يمكن قوله أنّ هذا اللقب غامض، ولكن لا يثير استياء التلاميذ الأوائل الذين كانوا يستخدمونه لإرضاء الأطراف المتعارضة في بداية عصرنا، إذ يبدو اللقب غير مؤذ لأولئك الذين تركهم

(1) أعمال الرسل 2: 36.

(2) لوقا: 24: 34.

(3) أبوكريفا سفر التكوين 20: 12-15.

(4) Frédéric Lenoire, Ibid, p 71.

(5) أفسس 2: 19-22.

(6) Ibid, p 71.

## الفصل الثاني: صورة المسيح خلال القرن الأول.

يسوع وراهبه، بينما اعتبره المتعاطفون معه لقب تشريفي... لقب يقول الكثير لمن يريد أن يقرأ ما بين السطور في العهد الجديد باستثناء مرقس الذي يستخدمه باعتدال، أنه أحد الأسماء الأكثر استعمالاً من طرف المسيحيين الأوائل ولا سيما بولس الذي ذكره في رسائله عمّا لا يقلّ عن مائة وتسعين مرّة! اللقب بالنسبة له يعدّ بمثابة اعتراف بالإيمان كما يناشد في رسالته إلى أهل فيليبي: **[وَيَعْتَرِفُ كُلُّ لِسَانٍ أَنَّ يَسُوعَ الْمَسِيحَ هُوَ رَبُّ لِمَجْدِ اللَّهِ الْآبِ]**<sup>(1)</sup> « Notre Seigneur, viens ! Marana- Tha »<sup>(1)</sup> هي صرخة مؤثرة من قلب جماعة ناشئة تعتقد أنّ عودة يسوع للحساب الأخير وشيك<sup>(2)</sup>.

من خلال ما سبق نلاحظ أنّ الألقاب التي أطلقت على يسوع من طرف غير اليهود أدت إلى إثارة غضب اليهود الذي يعتبرون تلك الألقاب خاصة بالإله، السؤال المطروح هل ستؤثر تلك الألقاب على تحديد هوية يسوع وتحديد معالم شخصه؟

### المطلب الثاني: التبشير بالمسيح بين الوثنيين.

رأينا في المطلب السابق أهم الألقاب التي أطلقها كتاب العهد الجديد على يسوع والتي كان بعضها مخالفاً لشريعة اليهود خاصة تلك المختصة بالإله، ولكن رغم ذلك لاقت تلك الألقاب قبولاً في أوساط بعض اليهود الذين رأوا في يسوع أنّه المسيح المنتظر وراحوا يبشرون به في مناطق مختلفة. يتساءل لونوار عن سبب مجاهرة تلاميذ يسوع بأفكار يحتمل أن تصدم اليهود إلى درجة كبيرة؟ لماذا يخاطرون على قطع علاقتهم بمجتمعهم الأصلي، الذي منه جاء معلّمهم؟ يجب على تساؤله بأنّ كلّ شيء تغيّر منذ صعود يسوع، قائلاً: دعنا نترك مجال الكرستولوجيا قليلاً لرؤية ماذا سيحدث خلال هذه الفترة على الأرض<sup>(3)</sup>.

يعتبر لونوار سفر أعمال الرسل مصدراً قيماً للمعلومات على الرغم من أنّه يعكس وجهة نظر المسيحيين الأوائل. نطرح سؤالاً: ماذا يعلم سفر أعمال الرسل عن يسوع في نظر لونوار؟ يعلم هذا السّفر أنّ يسوع قبل صعوده طلب من تلاميذه أن يكونوا له: **[شُهُودًا فِي أُورُشَلِيمَ وَفِي كُلِّ الْيَهُودِيَّةِ]**

(1) فيليبي 2: 11

(2) Ibid, p 71- 72.

(3) Ibid, p 72.

## الفصل الثاني: صورة المسيح خلال القرن الأول.

وَالسَّامِرَةَ وَإِلَى أَفْصَى الْأَرْضِ<sup>(1)</sup>. وَأَنَّ الرَّسَلَ سَيَعْمَلُونَ بِقَلْبٍ وَاحِدٍ عِنْدَمَا يَمْتَلِئُونَ مِنَ الرُّوحِ الْقُدُسِ حَيْثُ يَرُوي سَفْرَ أَعْمَالِ الرَّسَلَ أَنَّهُ فِي يَوْمِ الْعِنَصْرَةِ أَيَّ خَمْسِينَ يَوْمٍ بَعْدَ قِيَامَةِ يَسُوعَ وَعِشْرَةَ أَيَّامٍ بَعْدَ صُعُودِهِ: [ظَهَرَتْ لَهُمْ أَلْسِنَةٌ مُنْقَسِمَةٌ كَأَنَّهَا مِنْ نَارٍ وَاسْتَقَرَّتْ عَلَى كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ وَامْتَلَأَ الْجَمِيعُ مِنَ الرُّوحِ الْقُدُسِ، وَابْتَدَأُوا يَتَكَلَّمُونَ بِاللِّسَانِ الْآخَرِي كَمَا أَعْطَاهُمُ الرُّوحُ أَنْ يَنْطِقُوا]<sup>(2)</sup>، هَذِهِ الظَّاهِرَةُ الَّتِي أَعْلَنَهَا يَسُوعَ تَسْمَى: glossolalie<sup>(3)</sup> -التحدّث بلغة غير معروفة-: «وَهَذِهِ الْآيَاتُ تَتَّبِعُ الْمُؤْمِنِينَ: يُخْرِجُونَ الشَّيَاطِينَ بِاسْمِي، وَيَتَكَلَّمُونَ بِاللِّسَانِ الْجَدِيدَةِ يَحْمِلُونَ حَيَاتٍ، وَإِنْ شَرِبُوا شَيْئًا مُمِيتًا لَا يَضُرُّهُمْ، وَيَضَعُونَ أَيْدِيَهُمْ عَلَى الْمَرَضَى فَيَبْرَأُونَ»<sup>(4)</sup>.

تَسَلَّحَ التَّلَامِيذُ بِالْمَوَاهِبِ الَّتِي أَعْطَاهُمُ يَسُوعَ، فَلَمْ يَعُودُوا خَائِفِينَ مِنَ الْكِرَازَةِ بِبَشَرِيَّةِ قِيَامَةِ يَسُوعَ وَيَعْلَنُونَ ذَلِكَ طَوَالَ الْوَقْتِ: [الَّذِي أَقَامَهُ اللَّهُ]<sup>(5)</sup>، وَكَذَلِكَ يَدْعُونَ النَّاسَ إِلَى قَبُولِ دَعْوَتِهِمْ، لَكِنَّ يوسايبوس القيصري بالغ قليلاً بادعائه أَنَّهُ حَتَّى قَبْلَ 37 م «كَانَتْ كُلُّ الْأَرْضِ تَدُوي بِصَوْتِ الْإِنْجِيلِيِّينَ وَالرَّسَلَ»، لَكِنَّ مِنَ الْوَاضِحِ أَنَّ آثَارَ هَذَا الْوَعظِ الدَّوَّوبِ لَا يُمْكِنُ إِغْفَالَهُ وَلَا التَّغَاضِي عَنْهُ<sup>(6)</sup>.

**التبشير بقيامة المسيح:** ببطءٍ وثباتٍ سيأخذ العالم وجهًا جديدًا باتباع إرادة يسوع بدعوة اليهود أولًا، حيث بدأ التلاميذ مهمتهم من أرض إسرائيل وبالتحديد من أورشليم، في مقدّمة هؤلاء التلاميذ: بطرس الصياد الذي من أصول جليلية وأول الاثني عشر الذين اختارهم يسوع والذي كرّس

(1) أعمال الرسل 1: 8.

(2) أعمال الرسل 2: 3-4.

(3) لقد نُظِّمَت سِلْسِلَةٌ مِنَ الْمَحَاضِرَاتِ مِنْ طَرَفِ Le discours psychanalytique la revue حول موضوع glossolalie ونشرت الأعمال في Le discours psychanalytique n° 6 والملاحظة الأولى أنّ تعريف المصطلح يطرح مشكلة بحيث اختلف المؤلفون بين néologisme المصطلح الحديث و glossolalie التحدّث باللسنة في دراسة لغوية عصبية لحالة الفصام إذ أنّ هذه الظاهرة تعتبر لغة اخترعها المرضى لأغراض معيّنة وهي ممارسة يستخدم فيها الناس ألفاظ تشبه الكلام يعتبرها المؤمنون لغات غير مفهومة للمتحدّث ولكنها لم تلق قبولاً عند المختصّين حتى لو كانت الأصوات والقوافي تمنحها جمالاً ورأت Courtine أنّ هناك معيار واحد على الأقل للتمييز بإبداعات المريض وتستند إلى مصطلحاته الجديدة إلى بنية اللغة المكتوبة. أنظر:

Nathalie Dupleumortier: GLOSSOLALIE Discours de la croyance dans un culte pentecôtiste, L'Harmattan, PARIS-France, p 11-12

(4) مرقس 16: 17-18.

(5) أعمال الرسل 2: 24.

(6) Frédéric Lenoire, Ibid, p73.



## الفصل الثاني: صورة المسيح خلال القرن الأول.

حياته لأجله وكان مستعداً لحمل السيف للدفاع عنه وقت اعتقاله<sup>(1)</sup>، ولكن بالتأكيد كانت له نقاط ضعف كما تنبأ يسوع فقد أنكره ثلاث مرات قبل أن يغادر أورشليم، إلا أن هذا الأخير عزز إيمانه واستجمع قوته بفضل ظهور يسوع له، فكان أول من أخذ الكلمة للتعريف بشخصية الناصري أمام اليهود المجتمعين في عيد العنصرة واحتشد حوله عدد كبير من الناس بفضل المعجزات التي صنعها<sup>(2)</sup>، كذلك إلى جانب بطرس يوجد يوحنا ويعقوب ابن زبدي اللذين يعتبران عنصران أساسيان مثل بطرس بحكم أنهما أيضاً حضروا التجلي في الجليل، وبفضل هذا الثلاثي ودعم بقية التلاميذ تشكلت الجماعة الأولى في المدينة المقدسة<sup>(3)</sup>.

لقد برزت مجموعتان كبيرتان بين المؤمنين بيسوع: الأولى: «العبرانيون les hébreux» وهم يهود إسرائيل الذين يتحدثون بالآرامية أو العبرية والذين أصبح قائدهم بعد ذهاب بطرس إلى روما يعقوب أخ يسوع، أما الجماعة الثانية: «الهيلينيون les helléniste» وهم يهود الشتات الناطقين باليونانية يقودهم إيستفانوس.

كان الهيلينيون أول المبشرين المتجولين للمسيحية بالسامرة<sup>(4)</sup> والساحل الفلسطيني ولا سيما قيصرية البحرية أين يقيم حاكم مقاطعة يهوذا<sup>(5)</sup>، وحتى في أنطاكية السورية ثالث أكبر مدينة في الإمبراطورية الرومانية<sup>(6)</sup>، التي دعي فيها تلاميذ يسوع لأول مرة «مسيحيين»<sup>(7)</sup> حوالي سنة 80م<sup>(8)</sup>.

في الوقت نفسه لم يكن العبرانيون عاطلين عن العمل، فقد قاد بطرس نشاطاً تبشيريًا مكثفًا في جميع أنحاء فلسطين خاصة في الجليل وسجن في العديد من المرات وفي النهاية اتجه نحو الغرب،

(1) انظر يوحنا 18: 10-11.

(2) انظر أعمال الرسل 2: 4.

(3) Ibid, p73- 74.

(4) انظر أعمال الرسل 8: 4-8 [فَالَّذِينَ تَشْتَبُوا جَالُوا مُبَشِّرِينَ بِالْكَلِمَةِ...].

(5) انظر أعمال الرسل 8: 40.

(6) انظر أعمال الرسل 11: 19-26.

(7) انظر أعمال الرسل 11: 26.

(8) Ibid, p74.

## الفصل الثاني: صورة المسيح خلال القرن الأول.

واستشهد في روما - مصلوبًا بالمقلوب كما ترويهِ الأسطورة - ربّما أثناء الاضطهاد الفظيع لنيرون ضد المسيحيين سنة 64م والذي اتهم فيه ظلمًا بأنّه السبب في حريق روما<sup>(1)</sup>.

**دور بولس في التبشير المسيحي:** رغم مجهودات الشخصيات السابقة في نشر تعاليم يسوع، إلا أنّ الشخصية الحقيقية الأولى للوعظ المسيحي الأوّل هي بولس، الرّجل الذي لم يجتمع بيسوع خلال حياته ولكن رؤيته المذهلة له جعلت منه مبشّرًا لا يعرف الكلل والملل، ساعده في البداية برنابا الذي قام بثلاث رحلات تبشيرية لم يتمكن التاريخ من إعادة بناء التسلسل الزمني لها إلا بالتقريب، كانت الأولى في حوالي 44-48م من أنطاكيا إلى قبرص ثمّ آسيا الصغرى الذي هو منها ويعرف مناطقها، وتمكّن من إنشاء جماعات مسيحية في المدن التالية: أنطاكيا بيسيدية، لسترة، إيقونية، فريجية، درية، وأفسس. الرحلة الثانية حوالي 51-53م، زار فيها المجتمعات الأناضولية وعبر فيرجيا وغلاطية، صعد إلى مقدونيا حيث أسّس عدّة كنائس منها (تسالونيكى، فليبي) وقبل أن يصل إلى اليونان في أثينا، تحوّلت مهمّته للسخرية حينما سمعوه يتحدث عن قيامة الموتى: **[فَقَابَلَهُ قَوْمٌ مِنَ الْفَلَّاسَةِ الْإِيْفُورِيِّينَ وَالرُّوَفِيِّينَ، وَقَالَ بَعْضٌ: «تُرَى مَاذَا يُرِيدُ هَذَا الْمِهْدَارُ أَنْ يَقُولَ؟» وَبَعْضٌ: «إِنَّهُ يَظْهَرُ مُنَادِيًا بِالْهَيْةِ غَرِيبَةٍ» لِأَنَّهُ كَانَ يُبَشِّرُهُمْ بِيسُوعَ وَالْقِيَامَةِ]**<sup>(2)</sup> بدأ مستمعوه بالضحك: **[وَلَمَّا سَمِعُوا بِالْقِيَامَةِ مِنَ الْأُمُوتِ كَانَ الْبَعْضُ يَسْتَهْزِئُونَ، وَالْبَعْضُ يَقُولُونَ: «سَنَسْمَعُ مِنْكَ عَنْ هَذَا أَيْضًا!»]**<sup>(3)</sup>. على العكس من ذلك، فقد حقّق في كورنثوس نجاحًا كبيرًا مكث فيها ثمانية عشر شهرًا قبل أن يعود إلى أفسس، أخيرًا رحلته الثالثة حوالي (53-57) التي يعيدها إلى آسيا الصغرى ومقدونيا واليونان<sup>(4)</sup>.

لم يكن بولس راضيًا بالنجاحات التي حقّقها في الشرق، فخطّط للسفر إلى روما وإسبانيا، لكنّ الظروف قرّرت عكس ذلك، لأنّه مات قبل ذلك بالسّجن في المدينة الخالدة ضحية مؤامرة من قبل شخصيات يهودية معادية لأفكاره، فما الذي حدث إذن؟<sup>(5)</sup>.

(1)Ibid, p 74-75.

(2) أعمال الرّسل 17: 18.

(3) أعمال الرّسل 17: 32.

(4)Ibid, p 75.

(5)Ibid, p76.

## الفصل الثاني: صورة المسيح خلال القرن الأول.

مشكلة الانفتاح على الوثنيين: من المفارقات العجيبة هي أنّ بولس -ومن معه من المبشرين الآخرين بالإنجيل- كان ضحية نجاح وعظه، لأنه سوف يدرك بسرعة بأنّ الوثنيين -خاصة «الذين يخافون الله» ويجذبهم التوحيد- أكثر تقبلاً لرسالته من اليهود أنفسهم. بالتأكيد لم يكن بولس أول من بشر بين الوثنيين، فقد استغلّ الهيلينيون رحلاتهم وأقاموا علاقات معهم، وبطرس نفسه الملقب ب: «رسول المختونين»<sup>(1)</sup> لم يرفض دعوة قائد المائة الروماني كرنيليوس وعمد العديد من غير اليهود؟<sup>(2)</sup>، لكن مع بولس<sup>(3)</sup> أخذت القضية بعداً جديداً، فقد سئم من المعارضة التي تثار بينه وبين قومه واعتقد أنّهم يرفضون كلمة المسيح: [فَلَمَّا رَأَى الْيَهُودُ الْجُمُوعَ امْتَلَأُوا غَيْرَةً، وَجَعَلُوا يُفَاوِمُونَ مَا قَالَهُ بُولُسُ مُنَاقِضِينَ وَمُجَادِّفِينَ فَجَاهَرَ بُولُسُ وَبَرَنَابَا وَقَالَا: «كَانَ يَجِبُ أَنْ تُكَلِّمُوا أَنْتُمْ أَوَّلًا بِكَلِمَةِ اللَّهِ، وَلَكِنْ إِذْ دَفَعْتُمُوهَا عَنْكُمْ، وَحَكَمْتُمْ أَنْكُمْ غَيْرُ مُسْتَحِقِّينَ لِلْحَيَاةِ الْأَبَدِيَّةِ، هُوَذَا نَتَوَجَّهُ إِلَى الْأُمَّمِ لِأَنَّ هَكَذَا أَوْصَانَا الرَّبُّ: قَدْ أَقَمْتُكَ نُورًا لِلْأُمَّمِ، لِتَكُونَ أَنْتَ خَلَاصًا إِلَى أَقْصَى الْأَرْضِ»]<sup>(4)</sup>، ومثل هذا القرار محفوف بالعواقب، فإدخال الوثنيين إلى الجماعات المسيحية المؤمنة يسوع يؤدي إلى خطر كبير وهو الانفصال عن مصير إسرائيل، حيث يعدّ هذا الأمر بالنسبة للعديد من المسيحيين الذين هم من أصل يهودي غير مقبول وخيانة لمعلمهم<sup>(5)</sup>.

مشكلة دخول الوثنيين في المسيحية: شيئاً فشيئاً تزايد الرغبة في نشر رسالة المسيح بين الأمم رغم اختلاف الثقافات، ولكن مثل ذلك القرار يصطدم بقضية شائكة لا يمكن تجاهلها تتمثل في السؤال: هل يجب فرض شريعة موسى على المتحوّلين من أصل وثني الذين يختلفون كثيراً في طقوسهم

(1) غلاطة 2: 7: [بَلْ بِالْعَكْسِ، إِذْ رَأَوْا أَنِّي أُؤْتِمِنْتُ عَلَى إِنْجِيلِ الْغُرْلَةِ كَمَا بَطَّرَسُ عَلَى إِنْجِيلِ الْخِتَانِ].

(2) أنظر أعمال الرسل: 10 .

(3) لقد ساهم بولس في اتهام أتباع المسيح بالهرطقة وقد مضى حياته كلّها يكتب عن المسيحية ويدعو لها فدخلها الكثيرون رغم ذلك لم يكن واعظاً موفّقاً بين اليهود وكثيراً ما تعرّضت حياته للخطر ولكنه نجح مع غير اليهود حتى وصف بمبشّر الأميين ولم يستطع أحد أن يمثل الدّور لا من قريب ولا من بعيد كما كان له دور كبير في تطوير الشريعة المسيحية بالتالي هو المسؤول الأول عن تحويل المسيحية من مجرد طائفة يهودية إلى ديانة عالمية، وهو المسؤول الأول عن تأليه المسيح بل أكثر من ذلك هو من أقام المسيحية وليس المسيح لأن هذا جاء ليكمّل رسالة موسى عليه السّلام. أنظر: أنيس منصور: الخالدون مائة أعظمهم محمد صلى الله عليه وسلّم، (جدران المعرفة للنشر الإلكتروني، [Theknowledge\\_walls@yahoo.com](mailto:Theknowledge_walls@yahoo.com))، ص 36-37.

(4) أعمال الرسل 13: 45-47.

(5) Frédéric Lenoire, Ibid, p 76- 77.

## الفصل الثاني: صورة المسيح خلال القرن الأول.

وعباداتهم عن ممارسات اليهود الدينية؟ هل يجب فرض الختان عليهم؟ هل يجب إجبارهم على تطبيق طقوس السبت والأكل؟ بالنسبة لبولس يجب عدم تقييد الوثنيين بعبادات اليهود، فيسوع وحده هو وعد الخلاص وليس بممارسة طقوس بالية عفا عليها الزمن: [لَيْسَ يَهُودِيًّا وَلَا يُونَانِيًّا، لَيْسَ عَبْدًا وَلَا حُرًّا، لَيْسَ ذَكَرًا وَأُنْثَى، لِأَنَّكُمْ جَمِيعًا وَاحِدٌ فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ]<sup>(1)</sup>، ولكن العديد من المسيحيين-اليهود لا يؤيدون ذلك بل يعترفون بما نصّه: [«إِنْ لَمْ تَحْتَسِنُوا حَسَبَ عَادَةِ مُوسَى، لَا يُمَكِّنُكُمْ أَنْ تَخْلُصُوا»]<sup>(2)</sup> وقد تعارض الطرفان في الواقعة الشهيرة المعروفة ب: «حادثة أنطاكية» سنة 48م<sup>(3)</sup>.

هذه الحادثة رويت -بطريقة مختلفة- في سفر أعمال الرسل<sup>(4)</sup> ورسالة بولس إلى غلاطية<sup>(5)</sup> حيث يروي بولس بأنه أثناء تواجده بأنطاكيا في نفس الوقت الذي كان بطرس هناك أيضًا، كان هذا الأخير يأكل مع المسيحيين الوثنيين وخالف قواعد الطهارة اليهودية التي تحظر التعايش مع الوثنيين، لكنّه هرب خوفًا من إغضاب المسيحيين-اليهود القادمين من أورشليم الذين اقتحموا المكان حيث فضح بولس ذلك التّفاق: [لَكِنْ لَمَّا رَأَيْتُ أَنَّهُمْ لَا يَسْلُكُونَ بِاسْتِقَامَةٍ حَسَبَ حَقِّ الْإِنْجِيلِ، قُلْتُ لِبِطْرُسَ قُدَّامَ الْجَمِيعِ: «إِنْ كُنْتَ وَأَنْتَ يَهُودِيًّا تَعِيشُ أُمَمِيًّا لَا يَهُودِيًّا، فَلِمَاذَا تُلْزِمُ الْأُمَّمَ أَنْ يَتَّهَدُوا؟»]<sup>(6)</sup>.

ما أدى إلى خلاف تمّت مناقشته باستفاضة في مجمع أورشليم<sup>(7)</sup> سنة 48م أو 49م<sup>(1)</sup>، وهي المرّة الأولى التي اجتمع فيها أهم أعضاء الكنيسة الناشئة وأُطلق على هذا الاجتماع أول مجمع في تاريخ

(1) غلاطية 3: 28.

(2) أعمال الرسل 15: 1.

(3) Ibid, p 77.

(4) انظر أعمال الرسل 15: 1-4.

(5) نظر غلاطية 2: 11-14.

(6) غلاطية 2: 14.

(7) مجمع أورشليم: لقد جمع مجمع أورشليم شخصيتين متناقضتين ومختلفتين كل الاختلاف، الشخصية الأولى هو بطرس الرسول الذي كان في مقدّمة من اختارهم يسوع والشخصية الأخرى هي بولس الذي لم يكن من تلاميذ المسيح ولا حتى من السبعين الذين اختارهم، وقد عقد المجمع في أورشليم لعدّة أسباب ولعل أهمها أنّ أورشليم تضمّ أغلب المسيحيين ويعتبر في نظر المسيحيين أول الجامع المسكونية التي عرفتها الكنيسة لأنّه كان يضم بحسبهم كل الكنيسة، بل هو الممثل عالميًا لأنّه يضم الحشد الرسولي كاملاً: (ممثلي كنيسة الختان، ممثلي كنيسة الأمم، وأعضاء الكنيسة) أنظر: رياض فارس: مجمع أورشليم وتأثيره على الكنيسة الأولى، مر: مارتيروس، (دط تاتش برس، مصر، 2016م)، 40-48.

## الفصل الثاني: صورة المسيح خلال القرن الأول.

المسيحية، حيث كانت وحدة المؤمنين بيسوع على المحك ويبدو أنّ بطرس نفسه قد غير رأيه ويظهر ذلك لما كان يتحدث أمام الشيوخ والرسل مؤيدي ناموس موسى: [فَالآنَ لِمَاذَا تُجْرَبُونَ اللَّهَ بِوَضْعِ نِيرٍ عَلَى عُنُقِ التَّلَامِيذِ لَمْ يَسْتَطِعْ آبَاؤُنَا وَلَا نَحْنُ أَنْ نَحْمِلَهُ؟]<sup>(2)</sup> ويعقوب أخ يسوع هو الذي فصل في تلك القضية وحكم: [لِدَلِيلِكَ أَنَا أَرَى أَنَّ لَا يُثْقَلُ عَلَى الرَّاجِعِينَ إِلَى اللَّهِ مِنَ الْأُمَمِ، بَلْ يُرْسَلُ إِلَيْهِمْ أَنْ يَمْتَنِعُوا عَنْ نَجَاسَاتِ الْأَصْنَامِ، وَالزُّنَا، وَالْمَخْنُوقِ، وَالِدَّمِ]<sup>(3)</sup>، وهكذا يبدو أنّ الختان أصبح أمرًا ثانويًا<sup>(4)</sup>.

من خلال هذا الحل الوسط تمّ حلّ أول أزمة في تاريخ المسيحية، ولكن هذا الحلّ خلف حدثًا كبيرًا يتمثل في فصل حركة تلاميذ يسوع عن جذورها اليهودية، فالحديث عن يسوع الذي كان يُنظر إليه على أنّه تحقيق لنبوءات يهودية سوف يختفي تدريجيًا خاصة عند بولس الذي أصبح ينتقد اليهود بشدة حيث قال متأسفًا: [لَأَنَّ قَلْبَ هَذَا الشَّعْبِ قَدْ غَلُظَ]<sup>(5)</sup>. إذًا هنا يُفهم سبب عدم خشية رسول غير المختونين من إطلاق الألقاب التالية: «ابن الله» و «الرّب» على يسوع رغم ما يترتب عن ذلك من مشاكل كبيرة، هكذا أدّت كلمات بولس المتطرفة إلى اعتقاله من طرف اليهود. ودُكر في التقليد بأنّ حياة بولس انتهت كشهيد في روما وقطع رأسه في أواخر الستينات أين بنيت كاتدرائية القديس بولس - خارج الأسوار- بإيطاليا<sup>(6)</sup>.

من خلال ما سبق ذكره، لاحظنا تركيز لئونوار على بعض الأحداث المهمة في تاريخ المسيحية التي لها دور في انقسام تلاميذ يسوع إلى تيارات مختلفة الفكر والمعتقدات، وهذا ما أدّى إلى إلغاء الختان ونشر دعوة المسيح خارج اليهود، حيث أدّت هذه الوقائع إلى خلق مشاكل وسوء فهم بين تلاميذ المسيح زاد من حدّتها بولس، ورغم سعي تلاميذ يسوع إلى حلّها في مجمع أورشليم إلا أنّ معالم يسوع

(1) التسلسل الزمني لهذه الحادثة غير واضح ففي سفر أعمال الرسل يقول لوقا أنّ حادثة أنطاكية هي التي مهّدت لمجمع أورشليم لحسم النزاع، بينما بولس في رسالته إلى غلاطية يلمح إلى أنّ مجمع أورشليم كان قبل حادثة أنطاكية.

(2) أعمال الرسل 15: 10.

(3) أعمال الرسل 15: 19-20.

(4) Frédéric Lenoire, ibid, p78- 79.

(5) أعمال الرسل 28: 27.

(6) Frédéric Lenoire, Ibid, p 79.

## الفصل الثاني: صورة المسيح خلال القرن الأول.

ورسالته ستأخذ بعدًا آخر مع بعض الأحداث الأخرى التي ساهمت إلى درجة كبيرة في رسم صورته لم يعهدها الجيل الأول وكذا معاصرو يسوع...

### المطلب الثالث: الانفصال عن اليهودية.

كان المسيحيون اليهود يحافظون بحرصٍ شديدٍ على شريعة موسى وأدى ذلك في بعض الأحيان إلى ظهور خلافات بين تلاميذ يسوع والمؤمنين به خاصّة بخصوص طقس الختان كما ذكرنا سابقًا، ورغم محاولتهم تسوية هذه الخلافات بطريقة ودية إلا أنّ هناك أحداثًا أخرى خرجت عن سيطرة المؤمنين أنفسهم وجعلت من رسالة المسيح تأخذ مسارًا آخر، وكذلك رسمت من شخص يسوع صورة أخرى حتى يتمكنوا من التعايش مع الأحداث الجديدة والتكيف معها...

فماهي هذه الأحداث بحسب لونيوار والتي رأى منها سببًا في تحول معالم وصفات شخص يسوع؟ يذكر الكاتب أنّه مع وفاة بطرس وبولس، وقع حدث مأساوي أدى إلى نهاية العلاقة بين المسيحيين من أصل يهودي والمسيحيين من أصل وثني يتمثّل في تدمير الجيوش الرومانية لمعبد أورشليم في سنة 70م، ففي النصف الثاني من سنوات الستينات، بلغت النزاعات اليهودية الرومانية ذروتها وكان الرومان لا يرحمون اليهود بتاتًا: مارسوا عليهم التّكيد، الضّرائب الباهظة، والاستفزازات الدّينية... وازداد الأمر حدّة عندما أخذ الحاكم الروماني جيسوس فلوروس (Gessius Florus) في سنة 66م سبعة عشر من هبات صندوق المعبد -مظهر من مظاهر الاستفزاز- وهو مبلغ كبير، ثار اليهود في وجهه وتسبّب الأمر في مذبحة فظيعة جعلت "الزبلوت" على استعداد تامّ للقتال. حرب عصابات حقيقية بين اليهود والرومان وقعت، بالإضافة إلى المعارك بين التيارات اليهودية المختلفة التي أدّت إلى تدمير عاصمة القدس، فلقد فهم بعض الإسرائيليين المعتدلين أنّهم لن يتمكنوا من مواجهة المحتل القوي الذي يملك أحدث وسائل الحرب، لذلك حثّوا إخوانهم على الهدوء والبحث عن حل سلمي للنزاع... لكن دون جدوى<sup>(1)</sup>.

(1)Ibid, p 80.



## الفصل الثاني: صورة المسيح خلال القرن الأوّل.

أورشليم تغلي، لقد استطاع الثوريون تحقيق أوّل انتصار لهم وتمكّنوا من إعادة الرّومان إلى قيصريّة، لكن ذلك الانتصار لم يدم طويلاً، فقد كان الانتقام على الأبواب حيث يوكل نيرون في روما قيادة جيش الشّرق إلى فاسبسيان (Vespasien) بمساعدة ابنه تيتوس (Titus)، وبعد تهدئة مدينة الجليل اندفعت القوّات نحو أورشليم<sup>(1)</sup>.

دمار الهيكل: لن يدوم الهدوء الذي حصل بعد انتحار نيرون سنة 68م طويلاً، ففي جانفي سنة 70م عندما تمّت ترقية فاسبسيان إلى العرش الإمبراطوري أمر ابنه تيتوس بقيادة الهجوم ضد المدينة المتمرّدة، فدمّر المدينة، وأحرق المعبد ممّا أدى إلى حزن تيتوس الذي كان ينوي الحفاظ على الهيكل كمعلم معماري يستظهر به ذكرى انتصاره حسب ما ذكره جوزيف فلافيوس: « تيتوس الذي كان يستريح تحت خيمته من أعباء المعركة قام وهرع إلى المعبد لوقف التيران » إلا أنّ محاولته باءت بالفشل لعدم قدرته على احتواء طيش جنوده، ودخل القيصر المعبد محاطاً بجنوده يتأمل الحراب ومحتوياته وهو يحترق، فلقد كان كنزاً يفوق ما كان ينشره النّاس في الخارج وليس أقلّ شأنًا من سمعته بين السكّان المحليين، وهكذا احترق المعبد على الرّغم من تدخل قيصر بعد فوات الأوان لإيقاف النّار، فانهار المعبد ودمّرت الآثار والمدينة كلّها وتم استعباد السكّان وبيعهم<sup>(2)</sup>.

يمثّل تدمير مبعد أورشليم كارثة وطنية لليهود، لأنّه كان أكثر من مبنى عادي بالنّسبة لهم، فهو موجود قبل أكثر من ألف سنة، وكان المكان الذي تتمّ فيه طقوس العهد بين يهوه وشعبه خاصّة الدّبائح الدّموية وكل الممارسات الدّينية تقام داخله، وعليه فسقوطه أسفر عن سقوط الطبقة الكهنوتية التي مارست سلطتها الدّينية والسياسية من داخل المعبد، وعليه أصبح اليهود بلا معلّم وبلا مرجعية ما اضطرّهم إلى إعادة التفكير في دينهم بشكل جذري لإيجاد طريقة للتّعويض على الانقطاع المفاجئ لطقوس العبادة<sup>(3)</sup>.

في ظلّ هذا الخراب نجح تياران فقط: الفريسيون والمسيحيون-اليهود، إلا أنّ التّيار الأخير نأى بنفسه عن الثّورة المسلّحة ضد روما سنة 66م وفرّ أتباعه من أورشليم إلى Pella (حاليًا في الأردن

(1)Ibid, p 80.

(2)Ibid, p 81.

(3)Ibid, p 81.

## الفصل الثاني: صورة المسيح خلال القرن الأول.

تسمى الديكابولس Décapole والتي تقع شرق الأردن). وتم استئصال كنيسة أورشليم وانقطعت عن الفريسيين الذين يجتمعون في مدينة جامنيا<sup>(1)</sup> Jamnia الواقعة على بعد حوالي أربعين كيلومترًا غرب أورشليم، وهكذا اتسعت الفجوة بين التيارين خاصة وأنّ الفريسيين الراغبين في إعادة تشكيل الوحدة الوطنية تزايد عدائهم تجاه المنشقين، وبالتالي أصبح اسم يسوع جدارًا يفصل بين اليهود-المسيحيين والفريسيين: بين من يعترفون به كمسيح وبين من يرفضونه، لذلك أصبح تحقيق التوفيق والمصالحة بينها أمرًا مستحيلًا<sup>(2)</sup>.

في ظل الأحداث السابقة يسعى كل طرف إلى استرجاع مكانته في المجتمع واستعادة هيئته، لكن الاختلاف حول شخص يسوع سيشكل عقبة كبيرة يصعب تجاوزها بسهولة وسيستمر ذلك عدّة قرون، حتى يتمكن المسيحيون من التعايش مع بقية الشعوب الأخرى... هذه العقبات كانت بدايتها شخص يسوع المسيح إله أم إنسان.

**باكورة جدل قادم: يسوع إنسان أم إله :** يؤكّد لونوار أنّ ما يستخلص من قراءة النصوص القديمة للعهد الجديد هو التعقيد العجيب لصورة يسوع المسيح، فمن المستحيل التعريف به بسهولة وبوضوح، فالجليلي ليس إنسانًا عاديًا كما كتب الأب كليمنت الإسكندري ( Clément d'Alexandrie) في القرن الثاني، فلقد أجرى يسوع عجائب لا مثيل لها ومجيئه تنبأت به الكتب، وأقامه الله من بين الأموات، وظهر لبولس بعد مرور عدّة سنوات من صعوده، فمن الواضح أنّه أكثر من مجرد بشر! ولكنّ من هنا إلى إعلانه إلهًا صراحةً هناك خطوة يتردّد المرء بوضوح في اتخاذها. فلماذا؟<sup>(3)</sup>.

**مشكلة التوحيد:** يذكر لونوار أنّ الإنجيليين والمسيحيين الأوائل واجهوا مشكلة كبيرة تتمثل في: كيف يمكنهم منح اللقب الإلهي ليسوع دون التشكيك في أسس التوحيد؟ خاصّة وأنّ الوصية الأولى

(1) مباشرة بعد استسلاء تيتوس على أورشليم بعد دمار الهيكل سنة 70م أعاد الحاخام يوهانان بن زكاي (Jochanan) تكوين السنهدرين في بينه أو يفنه (Jamnia يامنيا) بهدف إعادة تنظيم الدين اليهودي واعترف بما جميع اليهود وتجمع حول يوهانان مجموعة من حفظة التقليد وشكّلوا مدرسة الحخامات. أنظر:

F. Vigouroux , Manuel Biblique Ou Cours D'écriture Sainte A L'usage Des Séminaires, (Sixieme Edition, Maison Jouby Et Roger, 1888, Paris Tome 1) P319.

(2)Frédéric Lenoire, Ibid, p82.

(3)Ibid, p 83.

## الفصل الثاني: صورة المسيح خلال القرن الأول.

ليهوه في العهد القديم كانت واضحة جدًا: [لَا يَكُنْ لَكَ آلِهَةٌ أُخْرَى أَمَامِي]<sup>(1)</sup> وفي صلاة Shema Israël (اسمع يا إسرائيل وتنطق بالعبرية شيماع إسرائيل) التي تتلى مرتين في اليوم صباحًا ومساءً للتذكير بجوهر التوحيد: [اسْمَعْ يَا إِسْرَائِيلُ: الرَّبُّ إِلَهُنَا رَبُّ وَاحِدٌ]<sup>(2)</sup>، بالتالي تشبيه ومساواة يسوع بالإله هو انتهاك وتعدٍ على القانون الإلهي، وإخراج حركة تلاميذه من حوض التوحيد لن يكون له معنى أيضًا، فيسوع ليس إلهًا ثانيًا ولا هو إله من الآلة الأخرى، ولا يمكن مقارنته بالآلهة يضيفها الرومان والإغريق إلى البانثيون، تلك الآلهة التي تلاشت شيئًا فشيئًا. فمنذ عصر أفلاطون وأرسطو سعى معظم الفلاسفة إلى إيجاد إله واحد، حيث أن تحديد شخصية مساوية مع الإله لا يمكن تصوّره لليوناني كما لليهودي القرن الأول<sup>(3)</sup>.

بيّن هنا لونوار بأنه حتى غالبية الوثنيين لم يكونوا مستعدين لقبول إله بصفات بشرية، فبعد فلسفة أفلاطون وأرسطو اللذين سعى إلى تحرير العقول من الآلهة الوثنية، أصبح الكثيرون يميلون إلى التوحيد لكنّ بدون تعقيدات الممارسات اليهودية ولكن السؤال المطروح هل كل الوثنيين كذلك؟

**بوادر ظهور الكرسولوجيا:** تظهر كتابات الشهود الأوائل كيف كان تلاميذ يسوع حريصون عندما يتحدثون عن شخصية معلّمهم بدءًا من عدد الألقاب التي أطلقوها عليه: ففي تحليل ل: (Charles Perrot 1929-2013م) صرّح بأنّ ألقاب يسوع تناقض بعضها البعض، وتدافع عن بعضها البعض، وتصحّح بعضها البعض أيضًا في بحث يائس لإيجاد معنى واحد. وكأنّه لا شيء كافٍ للتعريف بيسوع ليشمل كل ما يتفرّد به كيانه، فهل كان يسوع نبيًا؟ هو كذلك بالتأكيد، ولكن هل هذا فقط؟ هل هو نفسه المسيح؟ بلا شك، ولكن هل أرسل لخلص إسرائيل أم البشرية كلّها؟ هل هو ابن الله؟ هو واضح ولكنّ ما هي علاقته بالضبط مع الآب؟ هل هو ربّ؟ نعم هو كذلك ولكنّ هل بالمعنى الوثني أم اليهودي؟ لم تنجح هذه الألقاب في فرض نفسها، فلقد استخدم المسيحيون الأوائل عدّة تسميات حين يتحدثون عن يسوع<sup>(4)</sup>.

(1) خروج 20: 3.

(2) تنبيهة 6: 4.

(3) Ibid, p 84.

(4) Ibid, p 84- 85.

## الفصل الثاني: صورة المسيح خلال القرن الأول.

كان لأماكن وخلفيات المؤمنين أيضًا دور في تحديد ألقاب يسوع، فمثلاً إنجيل مرقس -الذي قيل أنه كتب في روما والموجه إلى المسيحيين من أصل وثني- نادرًا ما يستعمل لقب الرب خالٍ من الدلالات الدينية الرومانية لذلك لم يكن محل اهتمام. من ناحية أخرى نجد أن لوقا أيضًا الذي يخاطب هو الآخر المتحولين من أصل وثني كان مولعًا باستخدام هذه التسمية والتي كانت لها دلالة دينية-ففي اليونان أين قد يكون الإنجيل كتب هناك قد أثرت البيئة على معنى اللقب-<sup>(1)</sup>.

من المؤكد أن اللقب: "المسياني" هو المفضل بشكل خاص عند المسيحيين من أصل يهودي وقد استخدمه الإنجيلي متى كثيرًا لإظهار أن يسوع قبل كل شيء هو ابن داوود<sup>(2)</sup> الذي ينتظره بنو اسرائيل، وقد لاقى هذا اللقب أيضًا قبولًا من طرف المسيحيين من أصل وثني، ولكن معنى اللقب مختلف إذ أخذ عند مرقس بعدًا أكثر شمولية وتحتب كاتب الإنجيل الثاني بإصرار ربط يسوع بنسل داوود<sup>(3)</sup>، كذلك الأمر بالنسبة لتسمية يسوع: "بملك لليهود" فقد تم طرحه في متى بقوة ولكن أخذ بعدًا روحياً عند لوقا، فالجليلي ملك ولكن في المملكة السماوية، بالتالي يتضح أن نفس اللقب يمكن أن يحمل معاني مختلفة حسب المكان، ومع ذلك فإن جماعات تلاميذ يسوع لا تجعل من معلّمها فكرة مختلفة جذريًا، قد يكون هناك اختلاف بسيط لكن ذلك لا يمنعهم أن يكونوا قلبًا واحدًا: [ وَكَانَ لِحْمَهُورِ الَّذِينَ آمَنُوا قَلْبٌ وَاحِدٌ وَنَفْسٌ وَاحِدَةٌ ]<sup>(4)</sup> كما ذكر لوقا في سفر أعمال الرسل مضيئًا: [ وَكَانَ الْجَمِيعُ بِنَفْسٍ

(1)Ibid, p 85.

(2) يذكر هنا جرجس الحضري في كتابه تاريخ الفكر المسيحي أن كتاب العهد الجديد أكدوا بشدة أن يسوع هو ابن داود، فالمسييا الموعود يجب أن يكون من نسل داوود ولكن هناك اعتراض يقدمه الذين يرفضون الميلاد العذراوي وهو أن سلسلتا النسب الواردة في كل من (متى 1: 2-16) و(لو 3: 23-38) هي شجرة نسب يوسف وليس مريم وحتى يصل متى إلى هدفه كتب سلسلة طويلة من الأسماء تنتهي بالقول [وَيَعْقُوبُ وَوَلَدَ يُوسُفَ رَجُلٍ مَرْيَمَ الَّتِي وُلِدَ مِنْهَا يَسُوعُ الَّذِي يُدْعَى الْمَسِيحَ] وأما لوقا ليصل إلى هدفه [وَلَمَّا ابْتَدَأَ يَسُوعُ كَانَ لَهُ نَحْوُ ثَلَاثِينَ سَنَةً، وَهُوَ عَلَى مَا كَانَ يُظَنُّ ابْنُ يُوسُفَ،... بِنِ اثْنَيْ عَشَرَ، بِنِ آدَمَ، ابْنِ اللَّهِ] وبناء على ما سبق فيوسف ليس الأب الشرعي ليسوع بالتالي لا يمكن أن يكون يسوع ابن داود خاصة أن يسوع ولد دون أي اتصال جنسي بين مريم ويوسف بالتالي يفقد نسبه لداود. أنظر: هنا جرجس الحضري: تاريخ الفكر المسيحي (المسيح عبر الأجيال)، (ط1)، دار الثقافة، القاهرة، 1981، ص 173-174.

(3)Frédéric Lenoire, Ibid, p 85.

(4) أعمال الرسل 4: 32.

## الفصل الثاني: صورة المسيح خلال القرن الأول.

وَاحِدَةٍ<sup>(1)</sup> هذه الوحدة هي أساس إيمانهم بالاعتراف أنّ يسوع قد أقامه الله (الآب) من بين الأموات صباح عيد الفصح<sup>(2)</sup>.

يظهر إذًا أنّ الألقاب الممنوحة لیسوع تختلف اختلافًا كبيرًا وفقًا ما إذا كانت أثناء خدمته العامة أو بعد القيامة، فكثيرًا من تلك الألقاب يتم منحها في أي وقت بالخصوص: "المسيح"، "والنبي" ولكن هناك واحد قبل عيد الفصح وآخر بعده، قبل عيد الفصح كان الجليلي يسمّى حاخامًا ومعلمًا وابن داوود وبعد عيد الفصح أصبح ابن الله، وربّنا، حيث أثارت القيامة نظرةً جديدةً عن يسوع كما ترجمها بطرس: [فَلْيَعْلَمُ يَقِينًا جَمِيعُ بَيْتِ إِسْرَائِيلَ أَنَّ اللَّهَ جَعَلَ يَسُوعَ هَذَا، الَّذِي صَلَبْتُمُوهُ أَنْتُمْ، رَبًّا وَمَسِيحًا]<sup>(3)</sup> ويضيف بولس في رسالته إلى أهل رومية يشرح أنّ "الخبر السار" من الله مختصّ بيسوع: [عَنِ ابْنِهِ الَّذِي صَارَ مِنْ نَسْلِ دَاوُدَ مِنْ جِهَةِ الْجَسَدِ، وَتَعَيَّنَ ابْنُ اللَّهِ بِقُوَّةٍ مِنْ جِهَةِ رُوحِ الْقُدَّاسَةِ، بِالْقِيَامَةِ مِنَ الْأَمْوَاتِ: يَسُوعَ الْمَسِيحِ رَبَّنَا]<sup>(4)</sup>، من نسل داوود من وجهة نظر إنسانية بحتة، وإذا نظرنا إلى مكانة نسبه يصبح يسوع ابن الإله<sup>(5)</sup>، علاوة على ذلك فإنّ لقب: «ابن الإله» هو الأكثر قبولًا والأكثر انتشارًا في جميع المناطق بغضّ النظر عن أصلها التّقافي.

في نهاية المطاف نجد أنّ أكثر الألقاب التي لاقت نجاحًا واستعمالًا هي: -ابن الله و الرب- فهذان اللقبان تمكّنا من التّكّيف مع الحالات الأكثر تنوعًا بما تحمله من معاني متعدّدة، وبالتالي يمكن تفسيرها حسب رغباتهم وأهوائهم ويمكنهم فهمها بشكل مختلف حسب وجهة النظر المتبنّاة، وتعكس بلا شك عظمة يسوع المطلقة<sup>(6)</sup>.

العظمة، نعم... ولكن ماذا عن ألوهيته؟ فجوة في الواقع تميّز لقب: «ابن الإله» عن لقب الإله بالمعنى الدقيق للكلمة!

(1) أعمال الرّسل 5: 12

(2) Ibid, p 86.

(3) أعمال الرسل 2: 36.

(4) رومية 1: 3-4.

(5) Ibid, p 86.

(6) Ibid, p86- 87.

## الفصل الثاني: صورة المسيح خلال القرن الأول.

يشير لونوار أنه لا يمكن إنكار أنّ التلاميذ الأوائل يتفادون إعطاء اللقب الإلهي ليسوع ويهمسونها أحياناً بخجل وبكلمات غامضة، ويعتبر بولس الشخص الذي كانت لديه عبارات جريئة عن لاهوت يسوع: [الذي هو-يسوع- صورة الله غير المنظور]<sup>(1)</sup> وفي رسالته إلى كولوسي: [فإنه فيه يحل كل ملء اللاهوت جسدياً]<sup>(2)</sup>، ويشرح رسول الأمم التجسد بقوله: [الذي إذ كان في صورة الله، لم يحسب خلسة أن يكون معادلاً لله لكنه أخلى نفسه، آخذاً صورة عبدي، صائراً في شبه الناس وإذ وجد في الهيئة كإنسان، وضع نفسه وأطاع حتى الموت موت الصليب لذلك رفعه الله أيضاً، وأعطاه اسماً فوق كل اسم]<sup>(3)</sup> وبقدر ما هو جريء لا يزال بولس حذراً كما هو واضح في العبارات المستخدمة: «صورة الله» «كإله»<sup>(4)</sup>.

في بداية القرن الثاني، كان هناك لفٌّ ودوران بشأن الإعلان عن ألوهية المسيح، وحتى بين أولئك المنفتحين والمتقبلين للفكرة بقيت هناك مجموعة من الأسئلة بلا أجوبة: كيف ولد الجليلي من الآب؟ هل هو أدنى من الإله الآب؟ كيف تم توزيع اللاهوت والناسوت في كيانه؟ هل كان إنسان أولاً أم إله أولاً؟ النزاع حول هوية يسوع لم تنته بعد، دعنا نقول أنّها مجرد بداية<sup>(5)</sup>.

نستخلص من خلال دراسة لونوار أنّ صورة يسوع المسيح ومعالم شخصه بقيت غامضة حتى نهاية القرن الأول للميلاد رغم ميول الغالبية إلى القول ببشريته ونبوته وتمسك الغالبية كذلك بالألقاب البشرية التي أطلقت عليه من طرف أتباعه من اليهود، إلا أنّ فتح المجال للوثنيين غير مسار ومضمون دعوة المسيح ومحا أثار معالم صفاته البشرية، هنا نطرح تساؤل هل ستكون القرون القادمة حاسمة في تحديد معالم شخص يسوع المسيح نهائياً؟ هذا ما سنراه في الفصل الموالي...

(1) كولوسي 1: 15.

(2) كولوسي 2: 9.

(3) فيلبي 2: 6-8.

(4) Ibid, p87.

(5) Ibid. p87 -88.





## الفصل الثالث: صورة المسيح خلال القرنين الثاني والثالث.

تمهيد:

بعد أن رأينا في الفصل السابق من البحث موقف معاصرين يسوع منه بحسب لونوار، نأتي في هذا الفصل من أجل الحديث عن مرحلة أخرى مهمة وحساسة في تاريخ المسيحية وهي تلك الممتدة بين ما بعد عصر تلاميذ يسوع إلى ما قبل مجمع نيقية أي القرنين الثاني والثالث.

حيث كانت مرحلة مليئة بالأحداث المتسارعة أهمها انتشار المسيحية في العديد من بلدان العالم واختلاط اليهود بغيرهم من الأمم وهو الأمر الذي أدى بالوثنيين إلى قبول رسالة المسيح، بالإضافة إلى ذلك ظهور العديد من الرؤى والاختلافات حول شخص يسوع وهويته وحتى رسالته، والسبب الرئيسي في كل هذه الاختلافات كما رأينا في الفصل السابق هو عدم وضوح مواصفاته في الكتابات الأولى وعجزها عن تحديد معالم شخصه ومضمون رسالته، إضافة إلى أحداث أخرى أهمها: ميلاده، تعاليمه وأفعاله...، حيث جعلت كل هذه الأمور منه محل خلافٍ أسفر عن ظهور العديد من الطوائف والتيارات المختلفة، تيارات تحمل فكرًا يمزج بين فكرين وثني ومسيحي وتيارات أخرى تحمل فكرًا يمزج هو الآخر بين الفكرين المسيحي واليهودي، بالإضافة إلى ظهور العديد من الشخصيات البارزة في تلك الفترة يدعون أنهم خلفاء المسيح، وعليه أدت هذه التباينات كلها إلى ظهور العديد من الصراعات بين أتباع الطوائف المختلفة، حيث سعى أتباع الطائفة الغالبة إلى تحديد كتاب واحد يحتوي على رسالة المسيح يعتمد عليه جميع المؤمنين بيسوع وإبعاد كل الكتابات الأخرى والتمييز بين نوعين من الكتب (كتب قانونية وأخرى أبوكريفية)، كما ظهرت بوادر عقد مجامع إقليمية لفك النزاعات بين المختلفين والتي ستتطور فيما بعد إلى مجامع مسكونية، في ظل هذه الفترة أيضًا عاش وعاش أتباع المسيحية اضطهادات عنيفة وقاسية شنّها عليهم الأباطرة الرومان، وذلك قبل الاعتراف بالمسيحية كدين رسمي للإمبراطورية الرومانية.

في هذا الفصل سنتعرف على كل هذه الأحداث كما ذكرها فريديريك لونوار، وسنرى كيفية تأثيرها في رسم صورة المسيح حسب وجهة نظر الكاتب ونقدها.

## الفصل الثالث: صورة المسيح خلال القرنين الثاني والثالث.

المبحث الأول: انتشار المسيحية بين الوثنيين واضطهادات الأباطرة للمسيحيين.

يتناول هذا المبحث انتشار المسيحية بين الوثنيين والعوامل التي ساعدت على توسعها وأهم الشخصيات التي حملت مشعل دعوة المسيح، ثم الاضطهادات الرومانية والتي عانى منها أتباع المسيح، بعدها يتناول ظهور إنجيل يوحنا والكلمة، واستنادًا إلى كل هذه الأحداث نحاول إبراز رأي فريديريك لونوار في كل ما حدث مع التركيز على سرده تلك الأحداث وكيفية فهمها وأيضًا كيفية تأثيرها في معالم دعوة يسوع وشخصه.

المطلب الأول: انتشار المسيحية بين الوثنيين.

يشير العهد الجديد في العديد من فقرات نصوصه إلى أن تلاميذ يسوع قاموا بنشر دعوة معلمهم بين الوثنيين ما أدى إلى تغييرات جذرية في دعوة المسيح مسّت العديد من الجوانب أبرزها شخص يسوع المسيح، في هذا المطلب سنتعرف على رأي فريديريك لونوار بشأن ما حدث، لنرى كيف فهم تلك الأحداث وقام بتأويلها بغية تأكيد صورة يسوع الذي آمن به.

يذكر الكاتب أن فجر القرن الثاني عرف ظهور عصر جديد بفضل جهود وحماس التلاميذ الأوائل الذين أسسوا التّوة الأولى للكنيسة، وبفضلهم كذلك تحوّلت المسيحية تدريجيًا من طائفة يهودية هامشية إلى ديانة مستقلة في حدّ ذاتها وذات دعوة عالمية، وهذا ما يجسّد في الواقع معنى الكلمة اليونانية "كاثوليكية" (katolikos)<sup>(1)</sup> الذي نتج عن إيجاد طريقة تفكير جديدة لفهم العالم والإنسان والإله أيضًا.

(1) مفهوم الكاثوليكية: كلمة كاثوليكي جاء من الكلمة اليونانية كاثوليكوس التي مرّت إلى اللاتينية المسيحية كاثوليكوس والتي تعني "جامعة" أي كونية وهي تظهر لأول مرّة تحت قلم أغناطيوس الأنطاكي المتوفى سنة 107مقائلًا: [حيث يظهر الأسقف فهناك تكون الرّعية كما أنّه حيث يكون المسيح يسوع فهناك الكنيسة الكاثوليكية] إنّ هذه الصّفة التي لها بالتالي لها معنى مزدوج تشير من جهة إلى الكنيسة الجامعة مجمل كنيسة المسيح وتعني من جهة ثانية الكنيسة الصّحيحة الشّرعية الوحيدة والحقيقية، الكنيسة المرتبطة بالأسقف وبواسطته بالله، وحين نقول الكنيسة الكاثوليكية فإنّ هذا يعني أنّها قد تلقت من مؤسسها القدرة الداخليّة أو مهمّة الانتشار بين كل شعوب العالم ومنذ الأيام الأولى لنشاطها قامت بوعي تام ببذل أقصى الجهد تماشيًا مع دعوتها، لتضمّ إليها كل شعوب الأرض وتجمعها في داخلها كي تصبح كنيسة جامعة. أنظر: إيف برولي: تاريخ الكتلّة، تر: جورج زيناتي، (ط1، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، 2008م)، ص5-6.

## الفصل الثالث: صورة المسيح خلال القرنين الثاني والثالث.

إنَّ شخصية يسوع لا تتوقف عن تغذية هذه الرّؤية بنهم كبير، ما أدّى إلى ظهور العديد من التّفسيّرات التي كانت متقاربة أحياناً ومتباعدة أحياناً أخرى، والسّبب الرئيسيّ أنّه ليس هناك تصوّر واحد عن يسوع بل عدّة تصوّرات، ونظرًا إلى تضارب الآراء واختلافها فقد حدثت عدّة نزاعات وشجارات وانفصالات وكذلك تحريم كنسي للبعض، وهذا ما عرفه المسيحيون جيّدًا وتيقنوا بأنّ القوّة في الاتحاد، وأنّ عليهم توحيد أصواتهم، إلّا أنّ ذلك كان صعب المنال لأنّ المسيحية آنذاك لم تأخذ بعد صفتها الشرعية كما أنّ أتباعها كانوا مضطهدين، فكان من الصّعب تنظيم مجامع من أجل تحديد مفهوم مشترك للإيمان، ولكن في ظل كل تلك التّزاعات، يتعالى صوت قوي مقارنة بغيره حيث يصبح مسموعًا تدرجيًا، هذا الصّوت هو "صوت الكنيسة العظمى" التي عملت على فرض أفكارها بالرغم من أنّها لا تزال مجرد مشروع لفرض سيطرتها مستقبلًا<sup>(1)</sup>.

يرى الكاتب أنّ عبارة "الكنيسة العظمى" التي سيستعملها كثيرًا في سرد باقي الأحداث، أطلقها الفيلسوف الوثني والمؤلف الشهير سيلسوس (Celse)<sup>(2)</sup> في خطابه ضد المسيحيين حوالي سنة 178م، والذي كان يستعمل تلك العبارة للإشارة بها إلى مجموعة الطوائف المسيحية التي تؤمن بعقائد متشابهة، حيث تكمن قوّة تلك الطوائف في طريقة تنظيمها بفضل هياكل السّلطة القائمة على التّسلسل الهرمي للكهنة والأساقفة من جانب، وقيام الكنيسة العظمى بتحديد معايير أرثوذكسية واستبعاد كل الطوائف التي ترفض تلك المعايير وتصنّفهم ضمن خانة الهرطقة من جانب آخر، وشيئًا فشيئًا تمكّنت من فرض سيطرتها على باقي الأقلّيّات من أتباع التّيّارات والطوائف الأخرى، إذ يذكر

(1) Frédéric Lenoire, p91- 92.

(2) وفقًا لأوريجانوس في كتابه الرد على كلّس يقول كان هذا الأخير فيلسوفًا يونانيًا وخصمًا للمسيحية المبكرة إلّا أنّ تفاصيل حياته غير معروفة، ولكن المرجح أن يكون كتب كتابه سنة 180م لقد بدأ سلسوس حملته على المسيحيين بالقول بأنّ الكنيسة هيئة غير شرعية يجب أن لا تعيش لأنّها جماعة سرّية، وأنّ الجماعات المسيحية يعتدون على القانون العام، وإلّا فما هي مميّزات هذه الجماعة السّرية القوية بتماسكها القوي في وجه الأخطار العامة وكتب: فليرجع المسيحيين إلى طرقهم القديمة ويكفّوا عن اتباع السّخافة التي اخترعت حديثًا وهي عبادة يهودي صلب حديثًا في ظروف مشينة، ليرجعوا إلى العبادة القديمة، عبادة الآلهة الكثيرة، إلى عادات آبائهم فالمسيحية بدعة خطيرة حديثة، وإن لم تتوقّف صارت نكبة على الإمبراطورية الرّومانية. أنظر: تع: مرقس داود: العلامّة أوريجانوس والرّد على كلّس(ط1، مكتبة المحبة، مصر، 1983) ص14.

## الفصل الثالث: صورة المسيح خلال القرنين الثاني والثالث.

الكاتب بأن المؤرخين المعاصرين استخدموا تسمية "الكنيسة العظمى" التي أطلقها سيلسوس للإشارة إلى الجماعة الغالبة في المسيحية خلال القرنين الثاني والثالث بدون أي حكم قيمي<sup>(1)</sup>.

**امتدادات المسيحية خلال القرنين الثاني والثالث:** يشير الكاتب إلى أنه قبل دراسة الاختلافات اللاهوتية المتعلقة بمؤية يسوع في الفصول القادمة، يذكر أولاً بعض الأمور عن الجماعات المسيحية التي نمت في ظل الحكم الروماني خلال القرنين الثاني والثالث<sup>(2)</sup>.

يصرّح الكاتب بأن بولس قد أحسن حين قال أنّ المسيحية جاهلة للوثنيين<sup>(3)</sup>، وعلى الرغم من جهالة رسالته -ابن الله مات كعبيد- إلا أنه وجد آذاناً صاغية في العالم الوثني. بالطبع لم يكن ترسيخها بالأمر الهين، فقد استغرق الأمر عشرات السنوات، وتطلّب الأمر شجاعة كبيرة من التلاميذ الأوائل ليحرّروا على نشر "الإنجيل-الخبر السار"، هذه الجرأة أدت في أحسن حالاتها إلى الاستهزاء والسخرية وفي أسوأ الحالات نالوا عقاب جسدي حتى الموت، لكن أسلوبهم قد أثمر حيث في نهاية القرن الثالث أصبحت المسيحية هي الغالبة في العديد من مناطق الإمبراطورية<sup>(4)</sup>.

يواصل الكاتب عرض العوامل التي ساهمت في انتشار المسيحية قائلاً: على قدم وساق ومن مدينة إلى أخرى امتدت المسيحية خلال الأزمة الوثنية، ففي بداية القرن الثاني شهدت المدن الكبرى الواقعة على حوض البحر الأبيض المتوسط في أزقتها المشمسة وأسواقها الضيقة وفي ساحاتها العمومية رجالاً ونساءً يشهدون على إيمان جديد، هؤلاء ليسوا يهوداً تماماً ولا وثنيين، وقد تمّ إعطاؤهم لقب "مسيحيين" (باليونانية christianoi) حوالي سنة 80م، وذلك لأنهم أعلنوا نصرتهم للمسيح. ومن المفارقات العجيبة أنه باستعمال هذا اللقب الذي كان مثيراً للسخرية قد صنعوا المجد لأنفسهم، وفي أنطاكية<sup>(5)</sup> سنة 115م قام الأسقف أغناطيوس (Ignace) قام بصياغة المصطلح الجديد "المسيحية" ليحدّد عقيدة إخوانه في الدين<sup>(6)</sup>.

(1)Frédéric Lenoire,p 92.

(2)Ibid,p92.

(3) كورنثوس الأولى 1: 23: [لِلْيَهُودِ عَثْرَةٌ، وَلِلْيُونَانِيِّينَ جَهَالَةٌ].

(4)Ibid, p93.

(5) أعمال الرسل 11: 26: [وَدُعِيَ التَّلَامِيذُ «مَسِيحِيِّينَ» فِي أَنْطَاكِيَّةٍ أَوَّلًا].

(6)Ibid, p93.

## الفصل الثالث: صورة المسيح خلال القرنين الثاني والثالث.

كان أغناطيوس الأنطاكي الرّجل الشّغوف الذي حمل على عاتقه تمثيل المسيحيين الأوائل في صورة رجل واحد، هذا الأخير الذي كان رائد الكنيسة المسيحية ينحدر من أصول وثنية والذي كانت فلسفته في الحياة تركز على الاقتداء بحياة يسوع (كان يطلق عليه لقب حامل الإله)، حيث كان يدعو إلى اتّباع تعاليم يسوع باستمرار إلى أن مات شهيداً، فقد كان رجلاً متحمّساً وصبوراً، قام بكتابة سبعة رسائل تعدّ من الشهادات المميّزة لتلك الحقبة المسماة بعصر الآباء الرّسوليين (الذين كانوا معاصرين أو على اتصال بتلاميذ المسيح). لقد ساهم أغناطيوس<sup>(1)</sup> إلى حدّ كبير في منح أنطاكية المدينة السّورية (حالياً أنطاكية على نهر العاصي بتركيا) ملامح المسيحية، كما أنّ الإله أبولو العظيم الذي أقيم له معبد روحاني كبير سوف يضطرّ تدريجيّاً التصالح مع شخصية المسيح<sup>(2)</sup>.

تعتبر عاصمة المحافظة الرّومانية بسوريا (التي كان عدد سكّانها في القرن الثالث 300000 نسمة) نقطة ربط أساسية للبعثات المسيحية، فمن شوارعها وأزقتها الجميلة انطلق الإنجيليون باتجاه مملكة أديسا الصّغيرة إلى الشّمال الشرقي للحدود السّورية ببلدة تسمّى أسروينا (Osroène) بلاد الرّافدين الرومانية)، إذ تحكي الأسطورة بأنّ أحد ملوك أديسا قد تبادل رسائل مع المسيح شخصياً وهذا واضح أنّه من نسج الخيال، لكنّ الحدث المؤكّد هو تعميم الملك أبقار التاسع (Abgar IX) حوالي سنة 180م وتبعه بعد ذلك العديد من رعيته، وقد كانت أوّل دولة مسيحية رسمية هي أرمينيا في بداية القرن الرابع كما وصلت العقيدة المسيحية بشكل متحفّظ إلى (l'Adiabène) (أشور الرومانية) وصولاً إلى بلاد فارس في نهاية القرن الثالث<sup>(3)</sup>.

إجمالاً فإنّ نتيجة البعثات التي بدأت من أنطاكية كانت إيجابية إلى حدّ كبير، وحلّت المدينة الثالثة الرومانية في الشّرق محلّ القدس التي كانت في فترة انحطاط وانحيار أدى إلى فقدان اسمها بعد تمرّد الشعب

---

(1) كان أغناطيوس الأنطاكي من القائلين بعقيدة التّثليث قبل أن تصبح عقيدة رسمية في الجامع المسكونية المسيحية سواء التي أله فيها المسيح أو التي أله فيها الرّوح القدس، فأغناطيوس الأنطاكي في رسائله لا يميّز فقط بين الآب والابن وإنما يميّز أيضاً الرّوح القدس عن الأقبوسين الأوّلين: [حاولوا أن تثبتوا في عقائد الرّب والرّسل حتى تتحووا في أفعالكم في الجسد والرّوح، في الإيمان والحبّة، في الآب والابن والرّوح القدس...] أنظر: العايب يوسف، العقائد المسيحية في فكر الآباء الرّسوليين المسيحيين (من نهاية القرن الأوّل إلى منتصف القرن الثاني عقيدة الألوهية أمودجًا-دراسة تحليلية نقدية-) جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، (رسالة دكتوراه غير منشورة) 2014-2015م، ص 411.

(2) Frédéric lenoir , ibid, p93- 94.

(3) Ibid, p94.



## الفصل الثالث: صورة المسيح خلال القرنين الثاني والثالث.

اليهودي على الحكم الروماني حوالي 132-135م، الذي أفضى إلى تدمير المدينة وإعادة تسميتها بإيليا كابيتولينا (Aelia Capitolina)، وقد حاولت جماعة من المسيحيين من أصل وثني العمل بجدّ للحفاظ على تواجدهم هناك قدر الإمكان وقاموا بنشر إيمانهم في المدن الهيلينية في فلسطين بالخصوص (Flavia Neapolis) نابلس حالياً التي ينتمي إليها كاتب مسيحي ذائع الصيت في القرن الثاني هو جاستن مارتير أو يوستينوس (Justin) بينما اتجه المسيحيون الذين من أصل يهودي نحو بلاد العرب<sup>(1)</sup>.

كانت الكنائس الموجودة في اليونان وآسيا الصغرى تعمل ضمن حركة نشيطة منذ ظهور المسيحية، من خلال توطيد علاقاتها في مختلف مناطقها: أخائية، كبادوكيا، بونتوس، غلاطية، يكية، بمفيلية، والبيثنية لونيا. وقد كانت مدينة كورنثوس المتعددة الثقافات تتباهى بزيارة رسول الأمم (غير المختونين)، إضافة إلى حيازتها على موقع استراتيجي يسمح لها بالسيطرة على المضيق الذي يحمل اسمها، حيث يضم مينائين نشيطين وقد عرفت كورنثوس ذروتها خلال القرن الثاني إلا أنها لم تستطع منافسة المدينة التي يفصلها عنها لسان بحري والمقصودة هنا أفسس<sup>(2)</sup>.

يجب القول بأن عاصمة الأيونية (Ionienne) فخورة بامتلاكها واحداً من عجائب الدنيا السبع في العالم القديم وهو معبد أرتميس (le temple d'Artémis)، كما أنها تفتخر بأنها كانت إحدى المدن التي اختارها بولس وعاش فيها بين 54-57م، فضلاً عن وجود ضريح يوحنا أصغر تلاميذ يسوع الذي عاش فيها هو الآخر لعدة سنوات وفيها كتب إنجيله (أو كتبه تلاميذه) كما يقول التقليد. كانت أفسس تتميز بالتنوع حيث يتعايش داخل أسوارها الأناضوليون، الرومانيون، اليونانيون، اليهود والمسيحيون، إذ كان الجميع منجذبي إليها بسبب ازدهارها وتقاليدها الراقية، وهي التي بلغ عدد سكّانها آنذاك حوالي 250000 نسمة<sup>(3)</sup>.

وفي بيثينيا (Bithynie) -ليس بعيداً عن أفسس- أدى توسع المسيحية وانتشارها إلى إدخال السلطات الرومانية في مأزق كبير جعل الحاكم بيليني الصغير يسأل إمبراطوره تراجان حوالي سنة 112م قائلاً: هل يجب اضطهاد المسيحيين؟ معرباً عن قلقه بأن العقيدة المسيحية قد انتشرت في القرى وفي

(1) Frédéric Lenoire, p94- 95.

(2) Ibid, p95.

(3) Ibid, p95.

## الفصل الثالث: صورة المسيح خلال القرنين الثاني والثالث.

الأرياف، - ما يتناقض مع الفكرة التقليدية القائلة بأن المسيحية المبكرة ليست سوى ظاهرة حضرية-، حيث وعلى الرغم من أن المدن كانت أكثر تأثرًا من الأرياف إلا أن هذه الأخيرة أبدت تقبلاً أكبر للعقيدة الجديدة على عكس ما كان منتشرًا منذ زمن طويل<sup>(1)</sup>.

أما في الشرق فقد استجابت مصر، بالخصوص الإسكندرية الرائعة التي تجمع سكانًا غير محلّين تغدوا من الثقافة اليونانية، وقد كانت المدينة موطنًا لما يصل لحوالي 500000 نسمة في نهاية القرن الثاني وهي ثاني أكبر مدينة في الإمبراطورية بعد روما، والتي كانت منارتها العظيمة تنير كل ليلة ألف شعلة لسلامة (لخلاص) الملاحين، لكن رسالة الخلاص الأكثر روحانية هي: "المسيح القائم من الأموات"، والتي حملها في بداية القرن الأول الهيلينيون إلى حضن المجتمع اليهودي في المدينة ثم لاحقًا إلى الوثنيين.

وفي بداية القرن الثالث تبنت جماعة كبيرة من الطبقة المثقفة الأفكار المسيحية، وهذه فكرة أخرى خاطئة مفادها أن المسيحية لم تجلب سوى العبيد الإسكافيين وحائكي الصوف كما كتبها المناظر سيلسوس في نهاية القرن الثاني، وعلى كل حال فما كان صحيحًا في بداية ذلك القرن عندما كانت النخبة الرومانية تحتقر الإيمان الجديد لم يعد بعد مئة سنة كذلك<sup>(2)</sup>.

يجب القول أن الإيمان الجديد في الإسكندرية تمجد وتطور بفضل الإكليريكية (مدرسة التفسير وعلم اللاهوت) أين درّس فيها كبار الأساتذة بالخصوص أوريجين (Origène) (185 - 251م) وديونيسيوس الإسكندري (Denys D'Alexandrie) الذي توفي حوالي سنة 264م، حيث استطاعوا التوفيق بين الفكر المسيحي والفلسفة اليونانية، حيث ساهم ذلك في جعل الإسكندرية وعاءً دينيًا تتعايش فيه جميع التيارات بما في ذلك المؤمنين بيسوع<sup>(3)</sup>.

كان اللاهوتيون الأرثوذكس بعيدين كل البعد عن الجدالات اللفظية، وهو أمر طبيعي بالنسبة لهذه المدينة المعروفة بكونها أحد الكنوز الموسوعية التي تحتوي في متحفها ومكتبتها الشهيرة على ما لا يقل عن نصف مليون من لفائف البردي المخفية! ألم يجتمع علماء اليهود هناك في القرن الثالث قبل

(1) Ibid, p96.

(2) Ibid, p96.

(3) Ibid, p96- 97.

## الفصل الثالث: صورة المسيح خلال القرنين الثاني والثالث.

الميلاد هناك لترجمة التّوراة من العبرية إلى اليونانية؟ وبهذا اكتسبت المسيحية مكانة في مصر خاصة في النّصف الثاني من القرن الثالث بالإضافة إلى خمسون أسقفية تمّ إحصاؤها هناك وستّة عشر في جارتها ليبيا<sup>(1)</sup>.

بالإضافة إلى الغرب وفي شمال إفريقيا بالتّحديد حقّقت المسيحية الناشئة تقدّمًا ملحوظًا أيضًا، لكنّ الآثار الأولى للوجود المسيحي لا يمكن ملاحظته إلّا في نهاية القرن الثاني في القطب الرّئيسي لمدينة قرطاج، المدينة البونوية القديمة التي تهيمن على البحر الأبيض المتوسط والتي قدّمت للمسيحية أول اثنين من آباء الكنيسة اللّاتين هما ترتليان<sup>(2)</sup> (160 - 225م) وقبريانس<sup>(3)</sup> (كبريانوس 205 - 258م) حيث كان إرثهما الفكري ذا أهمّية كبرى في الغرب.

في البداية، كانت الاضطهادات التي تعرّض لها المؤمنون بيسوع هي التي تتصدّر الأخبار - وبقيت ثاني أكبر مدينة في الغرب الروماني وفيّة للوثنية - ولكن هذا لا يمنع الموجة المسيحية من زعزعة أسس الدّين القديم، يقول ترتليان: [ها نحن -المسيحيون- نملأ أماكنكم وأسواقكم وقاعات محاضراتكم] والإحصاءات نفسها تتحدّث أنّه عدّت في سنة 256م ما يصل إلى سبعة وثمانين أسقفًا في شمال إفريقيا<sup>(4)</sup>.

كان التبشير بالإنجيل في بلاد الغال قليل جدًّا، حيث وُجدت بعض الطوائف المسيحية في ليون وفي فيينّا (Vienne) وآرل (Arles) في نهاية القرن الثاني، فلقد كانت ليون "عاصمة الأنوار" التي

(1) Ibid, p97.

(2) كوينتوس سبتيميوس فلورنس ترتليانوس: هو مواطن من قرطاج ولد حوالي 155م، كان والده قائد مئة وكان والديه وثنيين، وكان ترتليان خبيرًا في القانون والذي من بين كتاباته "مجموعة القانون المدني، وبعد دخوله المسيحية حوالي عام 193م، استقرّ في قرطاج وعلى الفور جتّد كل معرفته بالقانون والأدب والفلسفة لصالح الإيمان المسيحي ويعدّ هذا الأخير أهم كاتب كنسي كتب باللّغة اللاتينية. أنظر: جوهانس كواستن، علم الآبائيات (بارتولوجي) تر: جرجس كامل يوسف، (ط1، مركز باناريون للتراث الآبائي، مصر الجديدة، 2015م، ج1)، ص271.

(3) من المفترض أن يكون قبريانس قد ولد في مطلع القرن الثالث في إفريقيا وفي قرطاج على الأرجح لأبوين غنّيين وثنيين على الأرجح وقد جعلاه يتبع سنّ الدّروس المعتادة إلى أن أصبح خطيبًا أي أستاذًا في البلاغة والفلسفة بمفهوم اليوم وبعد اهتدائه إلى المسيحية قرّر أن يعيش في العقّة ليكرّس قلبه وعقله لله تكريمًا تامًّا، كان اهتداء كبريانوس حدثًا في قرطاج وحين احتاجت المدينة إلى أسقف توجّهت الأنظار إليه تلقائيًا. أنظر: بولس باسيم: تاريخ الكنيسة المفضّل، تر: أنطوان الغزال - صبحي حمودي اليسوعي، (ط2، دار المشرق - بيروت، 2009م، ج1) ص106.

(4) Frédéric Lenoire, p97- 98.

## الفصل الثالث: صورة المسيح خلال القرنين الثاني والثالث.

كانت تسيطر عليها تل كروا روس (la Croix-Rousse) و تل (Fourvière) - متأثرة ومتألفة بجاذبية إريناوس Irénée (140-202م) القادم من سميرنا (Smyrne) لخلافة بوثينوس (Pothin) أول أسقف للمدينة، حيث يعدّ إريناوس من بين أبرز علماء اللاهوت في القرن الثاني الذي كان له دور كبير في صياغة العهد الجديد، أما التبشير في الجنوب الغربي من بلاد الغال فقد تمّ لاحقاً في القرن الثالث في تولوز، واستشهد أول أسقف للمدينة ساتورنينوس (سيرنين Saturnin) في سنة 250م وقد تم تحويل رفاتة إلى مقبرة كبيرة في متحف سان ريمون (Saint-Raymond) (1).

شمالاً وفي مناطق الراين والدانوب لا يزال هناك الكثير من العمل الذي يتعيّن على الإرساليات المسيحية القيام به، ففي بريطانيا (انجليترا حالياً) وإلى غاية نهاية القرن الثالث لا نجد سوى ثلاثة أسقفيات وهو تباين واضح مقارنة بشمال إفريقيا!

تشهد المسيحية انتشاراً واسعاً في إسبانيا خاصة في الجنوب (الأندلس حالياً) وتضمّ ما لا يقل عن سبعة وثلاثين طائفة مسيحية في نهاية القرن الثالث.

لكن لا شك أنّ الرياح بدأت في التحول، ففي عاصمة الإمبراطورية الرومانية ذاتها التي تعدّ المكان الذي يمكن أن نأخذ منه كلّ الإحصاءات الكاملة، والمدينة الضخمة - التي تضمّ 800000 نسمة في منتصف القرن الثالث - التي تعتبر ملجأ أقدم الجماعات المسيحية والتي وجد فيها بولس عزاءه رفقة أتباعه أثناء أسره في المدينة: [وَمِنْ هُنَاكَ لَمَّا سَمِعَ الْإِخْوَةَ بِخَبْرِنَا، خَرَجُوا لاسْتِقْبَالِنَا إِلَى فُورُنِ أَبِيُوسَ وَالثَّلَاثَةِ الْخَوَانِيَتِ فَلَمَّا رَأَهُمْ بُولُسُ شَكَرَ اللَّهَ وَتَشَجَّعَ] (2)، وحسب المؤرخين يمثل المؤمنين بيسوع بين 2 و 5% من السكّان أي حوالي ثلاثين إلى خمسين ألف شخص وهو عدد لا يمكن إغفاله، فقد كانت الكنيسة الرومانية تتألق على الكنائس الأخرى في شبه الجزيرة وبنسبة كبيرة في وسط إيطاليا لاتيوم وكامبانيا وما وراءها، ومع القرن الثاني زادت هيبتها ولكنّ لا عجب في ذلك! ألم تكن روما تجمع رفات أجساد التلميذين بطرس وبولس اللذين عانا من التعذيب حتّى استشهدا هناك في أواخر الستينيات؟ ألم يكن بطرس التلميذ الذي قال عنه يسوع بأنّه سيبنى عليه كنيسته (3) أول أسقف لتلك

(1)Frédéric Lenoire, p98.

(2) أعمال الرسل 28: 15.

(3) متى 16: 18: [أَنَا أَقُولُ لَكَ أَيضًا: أَنْتَ بَطْرُسُ، وَعَلَى هَذِهِ الصَّخْرَةِ أَسْئِدُ كَنِيستِي، وَأَبْوَابُ الْجَحِيمِ لَنْ تَقْوَى عَلَيْهَا].

## الفصل الثالث: صورة المسيح خلال القرنين الثاني والثالث.

المدينة؟ ونتيجة لذلك من الطبيعي أن تلعب كنيسة روما دورًا أساسيًا إن لم يكن تفوقًا على الجماعات الأخرى الغربية والشرقية، حيث يرّم ترتليان القرطاجي بخصوص هذا الموضوع قائلاً: "الكنائس سعيدة! قام الرّسل بفداء عقيدة يسوع بدمائهم، عانى بطرس عذابًا مشابهًا لعذاب معلّمه يسوع، ومات بولس موتة مشابهة لموتة يوحنا المعمدان، ووضع التلميذ يوحنا في الزيت المغلي فخرج منه سالمًا هذا ما تعلّمته روما وما تُعلّمه وما تشهد عليه في نفس الوقت الكنائس الإفريقية<sup>(1)</sup>."

بالنسبة للذين يشغلون مناصب مهمّة في المسيحية -أو يطمحون إليها- تعدّ روما من المناطق التي يجب زيارتها في ذلك العصر الذي كثرت فيه الاختلافات اللاهوتية حيث يذهب الجميع لاختبار عقيدته ومقارنته بالعقيدة القويمة، ومن هنا ظهرت الاشتباكات والتقاشات التي لا نهاية لها، ولكن أيضًا تسويتها بشكل ودّي. لقد استجاب لرسالة الإنجيل جميع مناطق المدينة الخالدة من منطقة في سيبيورا (Subure) الفقيرة- حيث يجتمع سكّان الطبقة العاملة- إلى قصر الإمبراطور، ومع نهاية القرن الأول اعتنق ابن أخ فاسبازيان (Vespasien) الإيمان الجديد ولحقته زوجته دوميتيل (Domitille)، وما يجب الإشارة إليه هو أنّ هذا الانتشار لا يخلو من المشاكل، فلقد أشار كبريانوس القرطاجي إلى أنّ ديسيوس (ديكيوس Dèce) كان يفضّل رؤية إمبراطور ينافس ويثور ضده، أفضل من رؤيته لتثبيت أسقف الله في روما! ورغم التهديدات والاضطهادات إلا أنّ المسيحية ستترك بصمتها على تضاريس المدينة ذاتها، ولاسيما تحت الأرض لتشكيل سراديب من أجل دفن موتاهم والاختباء فيها هروبًا من المطاردات والانتقام. ومع بداية القرن الرابع تغيّرت نظرة الإمبراطور الروماني بشكل كبير تجاه المسيحية رغم أنّها لم تأخذ بعد صفتها الشرعية، إلاّ أنّه يراها قضية دينية جديدة واجتماعية يجب التأقلم معها، لأنّه لا يمكن إنكار الشعبية التي يحظى بها المسيحيون من طرف الوثنيين<sup>(2)</sup>.

من خلال ما سبق أشار لونوار إلى أهم المناطق التي انتشرت فيها المسيحية وأهم الشخصيات التي ساهمت في ذلك، وكما رأينا أغلب من ساهموا في نشرها كانوا من أصول وثنية كما لاقت المسيحية صدى وتقبّل كبير من طرف الوثنيين أيضًا، ورأينا أيضًا أنّ لونوار لم يركّز على شخص يسوع وهويته بل

(1)Frédéric Lenoire, p99.

(2)Ibid, p100.

## الفصل الثالث: صورة المسيح خلال القرنين الثاني والثالث.

على تعاليمه التي أثرت على الفقراء والأغنياء، ولكن هل هذا الأمر سيستمر هكذا دون الرغبة في معرفة هوية شخص الذين يدعون باسمه؟ هذا ما سنراه في المطلب الموالي.

### المطلب الثاني: تراجع انتشار المسيحية واضطهاد المسيحيين.

رغم انتشار المسيحية بشكل كبير في القرنين الأول والثاني إلا أنها كانت مصدر إزعاج للكثير من الوثنيين نظرًا لصدود أتباعها رغم الاضطهادات التي عانوا كما سنبين ذلك لاحقًا من جانب وسرعة انتشارها واستقطابها للكثيرين من جانب آخر، في هذا المطلب ركّز لونوار على القمع اللفظي والجسدي الذي عانى منه أتباع المسيح مشيرًا إلى أنّ سيلسوس في أحد خطباته ضد الرسالة المسيحية وصف المسيحيين: "بأنهم سلالة جديدة من البشر ولدوا البارحة، لا يملكون وطن أو تقاليد، يتحالفون ضد أي تنظيم ديني أو مدني، متابعون من طرف العدالة، موصومون بالعار، ولكنهم يفتخرون بهذه اللعنة، هؤلاء هم المسيحيون"، ويصف الكاتب أيضًا مكانة المسيحيين بين الوثنيين وكيف ينظرون إليهم وإلى إيمانهم قائلاً: لقد كانت بعض الجماعات الصغيرة المؤمنة بيسوع تثير فضول البعض وكانوا يقفون بعيدًا لمراقبتهم لأنّ اختلافهم أصبح مزعجًا ومثيرًا للقلق في نظرهم كما وجّهت الكثير من الاتهامات منذ فجر التاريخ ضد الأقليات المسيحية، منها اتهامهم بأنهم كانوا يجتمعون في احتفالات ليلية وسريّة، وأنهم يكرهون الناس وأنهم يشربون دماء الأطفال ويشاركون في طقوس العريضة.

**موقف الرومان من الدين الجديد:** يذكر لونوار بأنّه في العقلية الرومانية أضيفت جريمة الجِدّة (كل ما هو جديد) إلى جانب جريمة الاختلاف، فالشريعة حسب الرومانيين تُمنح لكلّ ما هو قديم فقط لهذا السبب أعطوا لليهودية صفة الديانة الشرعية بحكم أنّ يهود أيضًا إله قديم، بينما يسوع ولد في المطر الأخير، فقد كان إيمان المسيحيين في نظرهم سخيفًا جدًّا، ويرونه نوع من أنواع الإلحاد لأنهم يرفضون تكريم آلهة أسلافهم وهي في نظر بيلين الشاب: "معتقدات خرافية غير معقولة ولا مضبوطة"، فكيف يمكن أن يكونوا سدّجًا لدرجة أنّهم يعتقدون أنّ إلهًا أيًّا كان يمكن أن يتخلّى عن التّعيم السماوي ويأتي ليختلط بالناس ويشاركهم معاناتهم وآلامهم؟ والأبشع من ذلك أنّه مستعدّ للموت على الصليب ويقوم مرّة أخرى من الموت بينما المنطق يقول أنّ الجسم بدأ بالتحلّل، ومما لا شكّ أنّ الآلهة



## الفصل الثالث: صورة المسيح خلال القرنين الثاني والثالث.

تشارك في أعمالٍ أكثر متعة. كان المثقفون الوثنيون يستهزئون بالمسيحيين<sup>(1)</sup>، وقد قال لوسيان السَّميساطي (Lucien de Samosate) في منتصف القرن الثاني في جوهر مؤلفه *La Mort de Pérégrinus*: "نوع من المغفلي أولئك الذين صدّقوا ما قاله المشعوذ (الذجال)"، أمّا تلاميذ يسوع فقد كانوا في نظر خصوم المسيحية سُدجًا بل يشكّلون أيضًا خطرًا حقيقيًا على الإمبراطورية بإهانتهم للآلهة التقليديّة ورفضهم تكريمها والتشكيك في أساطيرهم وانتقاد طقوسهم الوثنية، ألا يخاطرون هكذا بحدوث عقاب كارثي؟ ومن جهة أخرى يعزلون أنفسهم عن بقية المجتمع ويضرون بوحده مما قد يؤدي إلى الخطر المتمثل في التعرّض لعدوان خارجي، لهذا يتوجّب إيجاد حلّ سريع لتسوية حساباتهم مع مثيري الشغب والعتور على وسيلة لجعلهم يتخلّون عن إيمانهم<sup>(2)</sup>.

المسيحيون مقبلون على أعنف مرحلة عاشوها في حياتهم ستحدّد مصير ديانتهم ومصير معلّمهم وحتى مصيرهم، هنا نطرح تساؤل هل سيخضع أتباع المسيح لقوانين الدولة الرومانية أم أنّ الدولة الرومانية هم من سيخضعون للمسيحية؟ في بقية المطلب سنتعرّف على أقسى الاضطهادات التي عاشها المسيحيون وكيف كان لها الأثر الكبير في تحديد معالم شخص يسوع المسيح.

**اضطهادات متفرقة: في القرنين الثاني والثالث** وجد المسيحيون أنفسهم عرضة للاضطهاد بشكل مستمرّ، ولا يبدو ذلك غريبًا في مجتمع قديم غارق في العنف حيث الوحشية أصبحت مشهدًا يوميًا! خاصّة وأنّ السلطة السياسيّة نفسها أعطت الإشارة عندما أشتبّه سنة 64م بأنّ نيرون (Néron) كان وراء نشوب الحريق الضخم الذي اجتاح روما، حيث ومن أجل التغطية على نفسه احتاج إلى كبش فداء يضعه متهمًا أمام الشعب فقام باختيار المسيحيين<sup>(3)</sup> كباش فداءٍ وأسقط عليهم انتقام الشعب

(1)Frédéric Lenoire, p101.

(2)Ibid,p102.

(3) يعتبر نيرون أول من اضطهد المسيحيين عندما أصدر مرسومًا منع من خلاله اعتناق المسيحية وبقي ذلك المرسوم ساري المفعول لمدة طويلة وإن لم يلاحق الأباطرة تطبيقه دومًا. لقد عدّب المسيحيين في المسارح والملاعب عذابات وحشية مريعة وقد اختار نيرون ضحاياه بين المسيحيين لأسباب منها: رغبته في إرضاء اليهود الذين كانوا يكرهون المسيحيين كرهاً شديدًا، تخوّف الوثنيين من المسيحيين الذين كانت تحيط بهم هالة من الأسرار وهذا ما حدا بالوثنيين على افتراء الكذب عليهم فنسبوا إليهم أعمال الكفر والفسق والظلم وتغلّغت هذه الأكاذيب في عقول الجماهير فاعتبرهم الناس أعداء الآلهة والبشر وعملة الشّرور كلّها ودام هذا الاضطهاد الأليم رسميًا ثلاثة قرون لم تطبّق أساليبه دومًا بالعنف نفسه. أنظر: نهي نجار: الديانة المسيحية، (ط1، دار الفكر اللبناني، بيروت، 1995م)، 148-147.

## الفصل الثالث: صورة المسيح خلال القرنين الثاني والثالث.

كما ذكر تاسيتوس Tacite: " لقد بدأ بمحاكمة أولئك الذين اعترفوا بإيمانهم ثم إدانتهم ليس بتهمة جريمة الحريق بقدر اتّهامهم بكراهيتهم للجنس البشري، وأثناء إعدامهم سخروا منهم ولقوا بعضهم بجلود الحيوانات حتّى يهلكوا بعضّات الكلاب المسعورة وربطهم على الصّلبان بعد دهْنهم بالزيت ليتحوّلوا إلى مصاييح بشرية يستهلكوها مساءً (جعلهم وسيلة للإنارة ليلاً)"<sup>(1)</sup>.

لقد كانت إجابة تراجان على رسالة بليني الصغير غريبة جدًّا حينما سأله -بليني من تراجان- هل من الصّوري محاكمة المسيحيين؟ وأجابه بأنّه: "لا يمكن بشكل عام وضع قانون ثابت ولا يجب البحث عنهم، ولكن في حال تمّ إحضارهم إليك واتّهامهم في المحاكمة بكونهم مسيحيين فلا بدّ من معاقبتهم بطريقة تجعلهم ينكرون كونهم مسيحيين[...]" ولكن في حال ارتدّوا وجب إطلاقهم مهما كان سلوكهم مثيرًا للرّيبة في الماضي"، يرى ترتليان بأنّ هذا الحكم غريب وجعل إجابة تراجان محلّ سخرية بقوله: "جملة غريبة لا يمكن إلّا أن تكون متناقضة! يمنع البحث عن المسيحيين كما لو كانوا أبرياء، ويأمر بمعاقبتهم كما لو أنّهم كانوا مذنبين! يحميهم ويهددهم! ويغضّ الطرف عن الجريمة! أيتها العدالة! لماذا تضعين نفسك في مثل هذا الإحراج؟ إذا كنت تدين المسيحيين فلماذا لا تبحثين عنهم؟ وإذا كنت تبحثين عنهم لماذا لا تبرئهم؟"

**موقف الإمبراطور سيفيرويس سيبتيموس من المسيحية:** في أغلب الأحيان كانت السلطة السياسية تدع الناس يهاجمون المسيحيين فهو مخرج جيّد لمشاكل ذلك الوقت، ولكن حدث في بداية القرن الثالث حدث غير متوقّع يتمثّل في مرسوم الإمبراطور سيفيرويس سيبتيموس (Sevère) الذي أصدره بالضبط سنة 202م، يحظر فيه بصرامة التّبشير اليهودي والمسيحي، يذكر لونوار إنّها المرة الأولى التي يصدر فيها قانون يستهدف المؤمنين بيسوع مباشرة، وبداية من النّصف الثّاني من القرن الثالث يصبح المرسوم المشرّع ضد المسيحية أكثر صرامة في ظل الأزمة السّياسية خاصة وأنّ الإمبراطورية كانت تحت تأثير غزوات البرابرة وتهديدات الفرس، ولكنّ الاضطهادات لن تتمكّن من إيقاف إيمان تلاميذ يسوع، والأغرب من ذلك جذبها لبعض الوثنيين المعجبين بالشّجاعة المثالية لهؤلاء الرجال والنساء إلى المسيحية. وقد أشار ترتليان بأنّ: "دم الشهداء بذار الكنيسة"<sup>(2)</sup>.

(1)Frédéric Lenoire,p102-103.

(2)Ibid, 103-104.

## الفصل الثالث: صورة المسيح خلال القرنين الثاني والثالث.

صحيح أن موقف البعض منهم مذهل حقًا، ومثال ذلك كلمات إغناطيوس الأنطاكي في رسالة له موجهة إلى الجماعات المسيحية بروما والتي قادتته إلى الشهادة حوالي 115م: " إنني وبارادتي الحرّة الذّاتية أموت من أجل الله ما لم تمنعوني أنتم، أتوسّل إليكم: لا تشفقوا عليّ بلا لزوم، دعوني أصير طعامًا للوحوش المفترسة، به يمكنني أن أصل إلى الله أنا حنطة (قمح) الله، تطحنني أسنان الوحوش الضّارية، لأثبت أنّي خبز المسيح النقيّ، هيجوا عليّ الحيوانات المفترسة ليصيروا لي قبرًا فلا يتبقّى من جسدي شيء... أتوق أنا إلى الوحوش الضّارية المعدّة لي؟ وأضرع أن يثبتوا لي أنّهم يندفعون إلى التهامي... وإن رفضوا فإنّني سوف أرغمها... لا يمنعني مرئي ولا خفيّ حتى أبلغ المسيح... دعوا كلّ شيء يصيبني: من نارٍ وصليب، وصراعات مع وحوشٍ مفترسة، وتمزيقٍ وتقطيع، وتخليعٍ عظام، وبتّر أطراف، وسحق جسدي كلّه وأن تقع عليّ عذابات الشّيطان القاسية فقط دعوني أفوز بيسوع المسيح"<sup>(1)(2)</sup>.

بنفس القدر من الحماس والتّضحية، شجاعة أسقف سميرنا بوليكاربوس العجوز (Polycarpe) الذي كان على وشك أن يحرق حيًّا عام 167م على يد حاكم الإقليم لما رفض لعن المسيح وردّ عليه قائلاً: [لقد خدمته منذ 86 سنة ولم يؤذني، فكيف يمكنني أن أجذّف على ملكي الذي خلّصني]، نفس التّضحية قامت بها الشابة الأرستقراطية بربتوا (Perpétue) من شمال إفريقيا ذات أصول وثنية والتي أنجبت طفلًا صغيرًا، حيث كان والدها يتوسّل إليها أن تتخلّى عن إيمانها إلا أنّها بقيت وفية للمسيح ولهذا تمّ رميها إلى الوحوش الضّارية بصحبة مسيحية أخرى تسمّى فيليسيّة Félicité.<sup>(3)</sup> حيث قامت رواية *Passion de Perpétue et de Félicité* "آلام بربتوا وفيليسيتي" بوصف حادثة استشهادهما بالتّفصيل<sup>(4)</sup>.

(1) إغناطيوس الأنطاكي: الآباء الرّسوليون (رسائل إغناطيوس الأنطاكي)، ت: جرجس كامل يوسف، دار النّشر الأسقفية 30ش شبرا، القاهرة مصر، ط1، 2012م، ص 64-66.

(2) Ibid, p 104-105.

(3) Ibid, p 105.

(4) سميت هذه الأعمال بأعمال الشّهداء الأولى والتي تعتبر أقدم معلومات عن عصر الاضطهاد، وهي روايات تتحدّث عن الآلام التي جازها الشّهداء والتي كانت تقرأ للجماعات المسيحية في أثناء الخدمة اللّيتورجية التي تقام في الذّكرى السنوية لاستشهاد الشّهيد وتنقسم تلك الرّوايات من وجهة نظر تاريخية إلى ثلاث مجموعات: المجموعة الأولى تتكوّن من محاضر المحاكمات الرّسمية، المجموعة الثانية تضمّ شهادات شهود العيان أو المعاصرين ويطلق على تلك الرّوايات روايات الآلام أو روايات الاستشهاد أما المجموعة الثالثة: فتحتوي على الأساطير التي تدور حول الشّهداء والتي ألّفت لغرض تهديدي وتعليمي... وتعتبر آلام بربتوا من أجمل قطع الأدب المسيحي المبكر لأنّ المسيحيين يعتقدون أن جزء منها مكتوب بخط يدها وبجسب أفكارها. أنظر جوهانس كواستن، ج1، 198-200.

## الفصل الثالث: صورة المسيح خلال القرنين الثاني والثالث.

لقد أدت الاضطهادات إلى نشأة وتطور أدبٍ كامل حظي بشعبية كبيرة عند المؤمنين، ولكن ليس كل المسيحيين متحمسين للشهادة بتلك الطريقة، فكثير منهم عندما تشتد الاضطهادات يسارعون بالتّضحية للأوثان أمام يأس كبير من كبار الجماعات المسيحية، حيث يرثي دينيس (Denys) أسقف الإسكندرية الأوضاع حوالي 250م: "كان الفشل عالمياً"، حيث قدّم عدد كبير من الشّخصيات البارزة أنفسهم [...] وكان الجميع يروّهم جناء مترددين عن التّضحية والموت على حد سواء"<sup>(1)</sup>.

يتساءل لونوار بشأن عدد الشّهداء المسيحيين خلال القرنين الثاني والثالث؟ يجيب أنّه لا يعرف شيء على الإطلاق بذلك الشّأن ولكن يعتقد أنّ الكتاب المسيحيين بالغوا كثيراً في كتاباتهم، ويقدر بعض المؤرّخين بأنّه في غضون 300 سنة مات حوالي بضع آلاف من الناس<sup>(2)</sup>.

**محاولة تجاوز الاضطهادات:** يذكر لونوار بأنّ الاضطهادات التي عانى منها المسيحيون دفعتهم إلى الخروج من قوتهم وشحذ حججهم ضد خصومهم، حيث بدأت هذه الاجتهادات محتشمة في عهد الآباء الرّسوليين<sup>(2)</sup> (نهاية النّصف الأوّل من القرن الثاني) وأخذت صفتها الكاملة في عصر الآباء المدافعين وعلى رأسهم يوستينوس (جوستين من نابلس Justin de Neapolis) بدايةً من النّصف الثاني من القرن الثاني وبشكل عام مع كبار علماء اللاهوت في القرن الثالث بالخصوص أوريجين (Origène) الأب المسيحي الذي استشهد في الشرق مكان انتشار فكره، وألّف حوالي سنة 250م الكتاب المعروف بعنوان: "ضد سيلسوس"<sup>(3)</sup> لتفنيد كتابه: "العقيدة الحقّة"<sup>(4)</sup>.

(1)Frédéric Lenoire, p105.

(2)ترك هؤلاء الآباء مجموعة من التّاليف تتمثّل في رسائل من الحجم القصير ألّفت ما بين القرن الأوّل والنّصف الأوّل من القرن الثاني، وهي كتابات تأخذ مكانة كبيرة في إطار الكتابات القانونية وبداية الدّفاعيات، كما أنّها تشكّل الحلقة الأولى في سلسلة الكتابات الآبائية. أنظر: يوسف العايب، مرجع سابق، ص12.

(3) في حوالي 175م كتب سيلسوس وهو مفكّر من أتباع الأفلاطونية المحدثّة هجوم على المسيحية تحت عنوان: "العقيدة الحقّة- True Doctrine" وهذا العمل هو أقدم هجوم شامل معروف على المسيحيين. فقد تبنّى سيلسوس هجوماً شاملاً ضد الأصل اليهودي للمسيحية وقادتها الأوائل وتعاليمها وممارستها. مع أنّ كتاب العقيدة الحقّة قُد، إلّا أنّ جزءاً كبيراً منه موجود ضمن رد أورجين الشّديد والمطوّل على سيلسوس الذي كتب حوالي 250م. أنظر: روبرت فان فورست: يسوع المسيح خارج العهد الجديد(مدخل إلى الأدلّة القديمة)، تر: وسيم حسن عبدة، (ط1، صفحات للدراسة والنّشر، دمشق، سوريا، 2012م)، ص79.

(4)Frédéric Lenoire, Ibid, P106.

## الفصل الثالث: صورة المسيح خلال القرنين الثاني والثالث.

لقد كان الوثنيون الذين اعتنقوا المسيحية في الغالب بارعين في فنّ الخطاب اليوناني-اللاتيني فأدرك المدافعون عن المسيحية وجوب شرح مبادئ دينهم وتنفيذ الاتهامات المنافية للعقل والأوهام السخيفة. حيث يقول ترتليان في كتابه الدّفاعي وردًا على من يتهمهم ب: كراهية الجنس البشري ورفضهم حضور ألعاب المصارعة، وتخليهم وتضحيتهم بحديثي الولادة احترامًا للحياة البشرية؟ ويصفونهم بالملحدين، وبالعرق الجديد الذين ورثوا عقيدتهم عن اليهودية مباشرة؟ ووصفهم "بالمخربين" الذين يدعون أتباعهم للخضوع للسلطة؟<sup>(1)</sup>، يقول ترتليان ردًا عليهم: بصلوات متواصلة نطلب للأباطرة حياةً طويلة، وسيادة مستقرّة وقصر آمن، وحنود شجعان ومجلس شيوخ مخلص وشعب وبيّ وعالم مسالم، باختصار كلّ ما يتمناه إنسان أو قيصر.

لكن رغم ذلك كانت الشخصيات البارزة في المسيحية لا تتوقّف عن التّديد بافتقارها إلى الدّفاع المؤسّس للردّ على كل ما يتهمون به، لذلك اتجهوا إلى إظهار تفوق إيمانهم على الوثنية التي تميل للعنف والفسوق<sup>(2)</sup>. وقد وجد أتباع يسوع في تعاليمه والأخلاق المثالية التي جاء بها منفذًا هامًا للدّفاع عن معتقداتهم وإيمانهم بمعلّمهم أمام الوثنيين.

**الأخلاق المثالية:** يذكر لونوار أنّ أسلوب حياة المسيحيين كان يشكّل مفارقة كبيرة مع حياة الوثنيين، ويذكر أنّهم لا يملكون نفس القيم، لأنّ تلاميذ المسيح يسعون إلى اتباع سلسلة من الوصايا المستمدّة من تعليم الرّسل: "لا تقتل، لا تزني، اجتنب اللّواط، السرقة، السّحر والشعوذة، لا تطمع في سلعة أخيك، لا تحلف بالباطل ولا تشهد بالزور، لا تحسد، لا تكن محتالًا ولا مخادعًا ولا كاذبًا ولا جشعًا ولا منافقًا، لا تكن شريرًا ولا متكبرًا، لا تكره أحدًا ولكن صلّ من أجل الآخرين وأحبهم كما تحبّ نفسك" ومن هنا يبدو أنّ الأخلاق المسيحية تسعى إلى إرساء تعاليم معتدلة وصادقة ومستمرّة.

لقد جاءت المسيحية بتعاليم جديدة فيما يخص موضوع الجنس والأسرة، ففي مجتمع كان يُسمّى فيه العضو الذكري عضو الفحولة أو الرّجولة بالقضيب الإلهي "*fascinus*"، كان المسيحيون يتميّزون بضبط النفس في هذه المسألة. فالعلاقة بين الرّجل والمرأة في المسيحية يجب تكون مشابهة بعلاقة المسيح مع الكنيسة، ويجب أن تكون ناتجة عن حب حقيقي خاصة أنّ علاقة الرّواج علاقة مقدّسة لا تفسخ،

(1)Ibid, p106.

(2)Ibid, p107.

## الفصل الثالث: صورة المسيح خلال القرنين الثاني والثالث.

والغرض من العلاقة الجنسية هو الإنجاب وإن كان من أجل المتعة يفضل العفة ومن أزعجته رغبته الجنسية يفعل مثل أوريجينوس الذي قرّر جعل نفسه خصيًا عملاً بوصية المسيح<sup>(1)</sup>: [لأنه يُوجدُ خِصْيَانٌ وُلِدُوا هَكَذَا مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِهِمْ، وَيُوجدُ خِصْيَانٌ خِصَاهُمْ النَّاسُ، وَيُوجدُ خِصْيَانٌ خَصَوْا أَنْفُسَهُمْ لِأَجْلِ مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ، مَنْ اسْتَطَاعَ أَنْ يَقْبَلَ فَلْيَقْبَلْ]<sup>(2)</sup>.

صحيح أن هناك بعض الطوائف المسيحية التي تبدو متطرّفة في هذا الموضوع كما هو الحال مع طائفة الأنكراتيت (Encratites) باليونانية (enkrateia) التي تعني: "ضبط النفس وكبح الشهوة (التعفف)" والذين يجعلون من "العذرية" فضيلة مسيحية ويدعون إلى الامتناع الجنسي، حتى الأزواج مدعوون أيضاً للانفصال دون إعطاء تفسير واضح للمسألة! وكان اللاهوتيون أمثال اكلمنتس الإسكندري الذي كان له دور كبير في صياغة وتطوير الأخلاق المسيحية ينصحون ب: "المحافظة على البطن وما تحته"<sup>(3)</sup>.

ومن الأخلاق التي ركّز عليها اللاهوتيون وجوب مساعدة الآباء لأطفالهم والسعي لتربيتهم تربية حسنة وإعطائهم تعليماً جيداً. وكذلك إيلاء اهتمام خاص بالأرامل والضّعفاء والعمل على حمايتهم، فلقد انتشر خلق ضبط النفس على نطاق واسع خلال القرن الثاني بين نُحْب العالم الروماني (خاصة بين الرواقيين)، واستطاع المسيحيون إحداث تغيير حقيقي على العقل الجمعي وبالخصوص في الحياة الجنسية فقد أظهر المؤمنون بالمسيح نفس التوازن والأخلاق حتى في أوقات فراغهم، فهم لا يحضرون الألعاب القتالية ولا جدال في ذلك وقال المدافع تاتيان عنهم: "إنهم يضحون بالحيوانات ليأكلوا اللحم، ويشترون الرجال ليمتّعوا برؤيتهم يتقاتلون فيما بينهم، يربّونهم ضد كل رحمة ويشجّعونهم لسفك الدماء، اللص يقتل على الأقل من أجل السرقة بينما الأغنياء يشتررون المصارعين من أجل أن يقتلوا"، كما أنّ المسرح الفاسد لا يجنّده المسيحيون"<sup>(4)</sup>.

(1)Frédéric Lenoire, p107- 108.

(2) متى 19: 12

(3)Ibid, p 108.

(4)Ibid, p 108- 109.



## الفصل الثالث: صورة المسيح خلال القرنين الثاني والثالث.

لقد تمّ تلخيص التناقض في الحياة المسيحية بشكل واضح في الكتاب الشهير "رسالة إلى ديوجنيتوس"<sup>(1)</sup> (*la lettre À D'ioignète*) في نهاية القرن الثاني الذي بقي مؤلفها مجهولاً بحيث وصفهم بقوله: "لا يختلف المسيحيون عن بقية الناس على أساس بلدهم أو لغتهم ولا ألبستهم فهم لا يعيشون في مدن خاصة بهم ولا يستخدمون لهجات غير مألوفة ومنهجهم في الحياة لا يختلف عن بقية الناس [...] <sup>(2)</sup>، إنهم يتفوقون مع العادات المحلية في طريقة لباسهم وطعامهم وغط عيشهم، بينما يظهر اختلافهم وتناقضهم في قوانينهم في حياتهم الروحية، يسكنون في وطنهم ولكن كأجانب المقيمين في غير وطنهم، إنهم يؤدون جميع واجباتهم كمواطنين ويتحملون الضرائب كأجانب، كل أرض غريبة ووطنهم وكل وطن لهم هو أرض غريبة، يتزوجون مثل غيرهم ولديهم أطفال ولكن لا يتخلّون عن مواليدهم الجدد، مواليدهم مشتركة، لكن مضاجعهم لا، إنهم في الجسد ولكنهم لا يعيشون بحسب الجسد، يقضون حياتهم فوق الأرض ولكنهم يعتبرون السماء مدينتهم، يخضعون للقوانين المعمول بها إلا أنّ نمط حياتهم أسمى من الشرائع والقوانين، يحبّون الجميع والجميع يضطهدهم، يدينونهم ويسلمونهم إلى الموت فيرجحون الحياة. إنهم فقراء لكنهم يُغنون الكثيرين، يفتقرون إلى كلّ شيء، وكلّ شيء فائضٌ لديهم، يحتقرهم الناس وباحترار الناس لهم يتمجّدون، يلوّثون سمعتهم وفي الوقت نفسه يشهد الناس لبرّهم، يُشتمون فيُباركون، يُهانون فيُقابلون الإهانة بالإكرام، يعملون الخير ويُعاقبون كمن يسيئون، يُعاقبون فيفرحون وكأنهم يولدون من جديد، باختصار: المسيحيون في العالم مثلُ النفس في الجسد" بعبارة أخرى: "المسيحيون يقيمون في العالم ولكن ليسوا من هذا العالم"<sup>(3)</sup>.

من خلال ما سبق ركّز لونوار أيضاً على معاناة المسيحيين وموقف الوثنيين منهم ومن صمودهم ما دفع الكثيرين إلى الدخول في المسيحية بعد أن أغرتهم أخلاق المسيحيين دون البحث عن هوية صاحب تلك الأخلاق، فرسالة المسيح انتشرت بسرعة كبيرة بفضل أتباعها من الوثنيين الذين صمدوا في

(1) لأنّ المسيحيين لا يتميّزون عن باقي البشر لا بالوطن ولا باللغة أو العادات، لأنهم لا يعيشون أبداً في مدن من صنعهم ولا يتكلّمون لهجة غير مألوفة ولا هم يمارسون أسلوب حياة غريبة إنّ تعاليمهم هذه لم يتم اكتشافها بواسطة أفكار وانعكاسات أشخاص مبدعين. أنظر: مينا فؤاد توفيق: الآباء الرسوليون: (الرسالة إلى ديوجنيتس-شذرة كودراتوس-شذرات بابياس-تقليد الشيوخ) تر: جرجس كامل يوسف-عماد عاطف، (ط3، 2009م)، أنظر ص 14 وما بعدها.

(2) Ibid, p 109.

(3) Ibid, p 110.

## الفصل الثالث: صورة المسيح خلال القرنين الثاني والثالث.

وجه كل عمليات القمع القاسية التي حدثت لهم، ولكن نلاحظ أيضاً فيما سبق أنّ لونيوار أغفل الحديث تماماً عن هوية المسيح في تلك المرحلة ولم يورد أي شيء بخصوص هوية يسوع فهل سيظلّ الوضع هكذا؟ هل يكفي الإيمان بتلك التعاليم دون محاولة معرفة مصدرها؟ هذا ما سنراه في المطلب الموالي.

### المطلب الثالث: نشأة المباني الكنسية وتنظيم شؤونها.

بعد انتشار المسيحية في العديد من المناطق الحضرية والريفية وازدياد عدد الدّاخلين فيها أصبح أمر مراقبتهم وتنظيم شؤون حياتهم أمراً حتمياً، ورأى المسيحيون بوجوب تعيين موجّهين لهؤلاء الأتباع الجدد وتعريفهم أكثر بالرسالة المسيحية وبصاحبها، حيث يتحدّث لونيوار هنا عن تنظيم الكنيسة ومهام أعضائها قائلاً: لقد كان الوقت المناسب لتنظيم الكنيسة وقد سعت إلى تثبيت هيكل كنسي يتمحور حول الأسقف "Evêque" (الأسقف حرفياً معناها: "الذي يراقب") وهو خليفة الرّسل، هذا الأخير يقود جماعة إقليم معيّن عمومًا في المدينة التي يقيم فيها، وفي الأرياف يوجد ما يسمّى: بالأسقف الرّيفي "Chorévèques" الذي يتّأس الاحتفالات الهامة، وقد كان الأسقف مسؤولاً عن العقيدة وعن الحياة اليومية للمسيحيين من خلال مساعدتهم في حالة حدوث مشاكل، حيث كان يُنتخب من طرف المجتمع، إلّا أنّ الواقع عكس ذلك فغالبًا ما يتم ترشيح أسقف من قبل أساقفة الكنائس المجاورة ولا يقوم المؤمنون إلّا بالتصديق على ذلك الاقتراح ممّا يسمح للمترشّح بتجنيد من طرف زملائه<sup>(1)</sup>.

كان مبدأ استقلالية الكنائس أمراً أساسياً في ذلك الوقت، وقد كان هناك في وقت مبكر من القرن الثاني نوع من الأساقفة الكبار المعروفين بالمطارنة "Métropolités" وهم أساقفة المقاطعات التالية: [الإسكندرية، أنطاكية، قرطاج، روما، أفسس وكرنتوس]، ومع بداية القرن الثالث عقدت مجامع إقليمية مهمّة تحت قيادة الأساقفة الذين يقومون بنقاش العقيدة والأخلاق، ومن ناحية أخرى لم يعقد أي مجلس عام -بمعنى اجتماع أساقفة الشّرق مع أساقفة الغرب- قبل انعقاد مجمع نيقية سنة 325م حيث سيُشكّل مخاطرة كبيرة في وقتٍ كان ينظر إلى المسيحيين على أنّهم خارجون عن القانون<sup>(2)</sup>.

(1)Frédéric Lenoire, p 110-111.

(2)Ibid, p111.

## الفصل الثالث: صورة المسيح خلال القرنين الثاني والثالث.

هل كان هناك بابا يقود الأساقفة؟ يذكر لونوار بأنه لم يكن هناك بابا يقود الأساقفة، حيث كان رئيس كنيسة روما هو الذي يطلق عليه أحياناً لقب "البابا Pape" (وهذا اللقب من أصل يوناني يعني: "الأب Papa") ولكن لم يكن اللقب خاصاً به وحده بل كان أساقفة قرطاج والإسكندرية أيضاً يستعملونه إلى غاية نهاية العصور القديمة! لذلك الحين لا يزال المسيحيون بعيدون عن مخطّط البابوية الرومانية التي تمنح بركاتها على مستوى المدينة أو العالم، ومبدأ السّلطة البابوية<sup>(1)</sup> لم يظهر إلا في وقت متأخر... في العصور الوسطى<sup>(2)</sup>.

مع ذلك كما رأينا كانت الكنيسة الرومانية تتمتع بمكانة خاصة، وكثيراً ما كان أسقف روما يعمل كحاكم المسيحية الناشئة وبذلك له أحقية التدخل في شؤون الآخرين، وهكذا ابتداء من سنة 96م أرسل أسقف روما كليمنت الأول (Clément I) إلى أتباعه في كورنثوس رسالة لعقد مجمع من أجل حل نزاع حدث بينهم، وفي أنطاكية في سنة 286م حدثت شجارات عنيفة حول قبب وأجراس الكنيسة قسّمت مختلف الحركات المسيحية، ومن أجل وضع حد لهذه الصّراعات أعلن الإمبراطور أوريليان (Aurélien) بأنّ كنيسة المدينة ستعود: «إلى أولئك الذين سيكونون في شركة مع أسقف روما»<sup>(3)</sup>.

**مهام رجال الدين داخل الكنيسة:** تحت الأسقف يوجد الكاهن، وهذا الأخير كان دوره الوعظ والإرشاد ومساعدة الأسقف الذي يفوض له جزءاً من صلاحياته، كما كانت مهمّة تعليم المنتصرين الجدد موكّلة إليهم (الكهنة)، وكانوا في خدمة الأساقفة والشمامسة وإدارة ملكية الكنيسة كما كان لهم دور في إقامة القدّاس الإلهي، إلى جانب الأساقفة والكهنة والشمامسة يوجد هناك رجال دين آخرون يشغلون مناصب ثانوية، منهم المرشدون الذين يتولّون دور حماة الجانب الروحي وهم من المسيحيين الذين اعتقلتهم السّلطات بسبب إيمانهم ورفضوا الارتداد، القراء، المنشدون، كذلك مؤلفو المزامير

(1) لقد بدأ نفوذ الكنيسة يزداد شيئاً فشيئاً منذ أن اعترف الإمبراطور الروماني قسطنطين بالمسيحية وذلك بموجب رسالة ميلان سنة 313م وبدأ رجال الدين المسيحي يتهيأون للسلطة خاصة وأنّ الأباطرة الرومان الذين جاؤوا بعد ذلك أصبحوا يعملون على حماية طبقة رجال الدين وتنظيمها وعلى إزالة كل العقبات أمام تقدّم الديانة المسيحية وانتشارها ومن بين هؤلاء البابا داماسوس الأول (366-384م) الذي كتب مؤلّفاً استعرض فيه مكانة كرسي روما الأسقفية وأكّد سيادة البابوية وسمّوها. أنظر: أحمد علي عجيبة: البابوية وسيطرتها على الفكر الأوروبي في العصور الوسطى، (ط1، مكتبة المهتدين الإسلامية، طنطا 1991م) ص 5-8.

(2)Frédéric Lenoire, p 111.

(3)Ibid, p 111-112.

## الفصل الثالث: صورة المسيح خلال القرنين الثاني والثالث.

والمساعدون الذين يرافقون عمّال الإدارة، البوّابون كما يوحي اسمهم ملزمون بحراسة باب الكنيسة في حالة الاجتماعات، أما الأطباء وأصحاب التعاويذ (الذين يقومون بطرد الأرواح الشريرة) لم يعيّن دورهم بالتّحديد ولكن يمكن اختيارهم بسبب قدرة خارقة أو موهبة معيّنة<sup>(1)</sup>.

**هل رجال الدّين عازبون؟** يجيب لونوار: في القرن الثاني والثالث لم تكن هناك قاعدة صارمة بهذا الشّأن، وإلزام رجال الكنيسة بالعزوبية لم يظهر إلّا في وقت لاحق في بعض الكنائس ولم يكن ذلك قبل القرن الرّابع ولم يمتد ذلك ليشمل الكنائس الغربية إلّا في القرن الثاني عشر، ومن ناحية أخرى ابتداءً من القرن الثاني تمّ فرض " الزّواج مرّة واحدة-الزواج الأحادي (Monogamie)" وتمّ حظر الزّواج مرّة أخرى.

أمّا عن حياة الرّهبانة فقد اجتمع بعض الرّهاد نهاية القرن الثالث حول المصري أنطونيوس المصري (251-356م) في المناطق الصّحراوية التي تعتبر بذرة الحياة الرّهبانية والتي ستعرف نجاحًا كبيرًا خاصة مع بداية العصور الوسطى<sup>(2)</sup>.

**مكانة المرأة في الكنيسة:** يذكر الكاتب أنّه في الأيّام الأولى للكنيسة كان هناك شماسات (شماس أنثى) في الشّرق وكان دورهن مساعدة النّساء خاصة عند المعمودية حين تغمس المنتصّرة عارية في حوض التّعميد أين لا يجب أن يكون الأسقف أو القس حاضرًا في مثل ذلك المشهد، وفي وقت لاحق سنة 517م خلال مجمع Epaone تمّ إلغاء ترتيب الشّماسات في الكنيسة أثناء المجمع. ومن ناحية أخرى كان بإمكان الأرامل المشاركة في صلاة الشّفاعاة، ومن جانب آخر لم تكن هناك كاهنات إناث ناهيك عن أساقفة نساء في جماعات الكنيسة العظمى تلك التي تريد فرض سلطتها في نهاية القرن الثاني على الأقليات الأخرى<sup>(3)</sup>.

**التّعميد:** بالنّسبة للمؤمنين بيسوع فرضت عليهم بعض الطّقوس وعلى رأسها التّعميد الذي يعدّ علامة الدّخول في المسيحية، هذا الطّقس قدّم جدًّا حيث مارسه أوّل جماعة مسيحية في أورشليم بأمر من يسوع بعد قيامته: **[فَاذْهَبُوا وَتَلْمِذُوا جَمِيعَ الْأُمَمِ وَعَمِّدُوهُمْ بِاسْمِ الْآبِ وَالابْنِ وَالرُّوحِ**

(1)Ibid, p 112.

(2)Ibid, p 113.

(3)Ibid, p 113.

## الفصل الثالث: صورة المسيح خلال القرنين الثاني والثالث.

الْقُدْسِ<sup>(1)</sup> وكان هذا الطّقس يسبقه تدريب يدوم ثلاث سنوات في النّصف الثّاني من القرن الثّاني وفي نهايته يمنح مغطس المعمودية مغفرة الخطايا. ويعتبر التعميد "ولادة جديدة"، ويسمح لصاحبها المشاركة في الأفخرستيا: "عيد الشّكر" وهو طقس رئيسي في المسيحية الأولى، ويعتبر إحياء للعشاء الأخير الذي تقاسمه يسوع مع تلاميذه ويعبّر أيضًا عن تضحيته وحضور المسيح من خلال الخبر والتّبيد اللذين يقدّمان هناك<sup>(2)</sup>، والذي سنعود إليه بشكل مفصّل في الفصل الأخير من البحث.

**التّقويم المسيحي:** لقد حدّدت الكنيسة تقويمًا مسيحيًا يتمركز على عيد الفصح اليهودي، هذا العيد اليهودي يعتبر ذكرى: خروج اليهود من مصر بقيادة موسى<sup>(3)</sup> أصبح له معنًى جديدًا عند المسيحيين، فبالنسبة لهم: هو ذكرى لموت يسوع وقيامته، فالأحد مقدّس: لأنّه يرمز إلى قيامة يسوع ومن ثمّ الأفخرستيا، وخلال الأسبوع يصوم المسيحيون يومي الأربعاء والجمعة ولا يتناولون شيئًا سوى وجبة واحدة بعد غروب الشّمس كعلامة الكفّارة، وهي التي يمكن أن تعفيه من الصّدقات والصّلاة الفردية بحكم أنّها وسيلة المؤمن للتواصل مع مخلصهم تمامًا كما في الصّلاة الجماعية<sup>(4)</sup>.

**المباني الكنسية:** بالنّسبة لهذه الأخيرة وجد المسيحيون أنفسهم أمام مشكلة كبيرة في وقت لم يتم فيه بعد تأسيس الكنيسة<sup>(5)</sup> وكان من الصّعب إيجاد أماكن مناسبة للاجتماعات، حيث كان على الأعضاء الأغنياء توفير غرفة في منازلهم لإخوانهم في الإيمان قبل ظهور المباني الكنسية الخاصة لعقد

(1) متى 28: 19.

(2)Frédéric Lenoire, p 113- 114.

(3) الفصح: يقع هذا العيد في اليوم الرّابع عشر من شهر نيسان ولمدّة سبعة أيّام، ويعبّر عن المعنى العام للعيد وهو معجزة الخروج من مصر وضربة الرّب لأبكار المصريين وتخطبه لبني إسرائيل، كما سمّي بهذه التسمية على اسم "قربان الفصح" وهو الوصية الرّئيسية في ليلة الفصح التي يجب أن يقدمها بنو إسرائيل بعد الخروج من مصر كل عام كما ذكر في سفر الخروج 12-14: [ وَيَكُونُ لَكُمْ هَذَا الْيَوْمُ تَذْكَارًا فَتُعِيدُونَهُ عِيدًا لِلرَّبِّ. فِي أَجْيَالِكُمْ تُعِيدُونَهُ فَرِيضَةً أَبَدِيَّةً ] أنظر: عمرو زكريا خليل: الأعياد اليهودية، المؤسسة المصرية، إمدكو، مصر، ط2، 2017م ص95-96.

(4)Frédéric Lenoire, p 114.

(5)تكاد تنعدم الأسانيد التاريخية التي تشير إلى أنّ المسيح أنشأ كنيسة فمن المعطيات التي تعضد أنّ عيسى كان يهوديًا خاضعًا لشريعة قومه فلم يكن ليعمل فكره في رسم خطوط إنشاء كنيسة وأيضًا كانت دعوته تتمثّل في التّشهير بالتّوبة وبحلول ملكوت الله وحتى أصحابه لم يفكروا بإنشاء كنيسة لاستمرار إخلاصهم للدين اليهودي ولم يكن منهم قساوسة كما هو الحال بعد الجيلين الأوّلين من تاريخ المسيحية وتكاد تخلو الأناجيل من التّعبير عن الكنيسة إلّا في موضع واحد عندما قال [أَنْتَ بُطْرُسُ، وَعَلَى هَذِهِ الصَّخْرَةِ أَبْنِي كَنِيسَتِي]. أنظر: عبد الحفيظ لعمش: تطوّر الديانة المسيحية حتّى القرن السابع الميلادي-العقيدة نموذجًا-جامعة الأمير عبد القادر(رسالة دكتوراه غير منشورة)2015-2016، ص172.

## الفصل الثالث: صورة المسيح خلال القرنين الثاني والثالث.

الاجتماعات قبل القرن الثالث، وقد تمّ العثور على مثال مؤثر في دورا أوروبوس (Doura Europos) - مدينة تقع على نهر الفرات - عبارة عن معمودية مزينة بلوحات جدارية محفوظة تم اكتشافها، وهي عبارة عن بقايا إيمان المسيحيين الأوائل المنفيين إلى الصحراء بعد تدمير المدينة من طرف الفرس سنة 256م. ابتداءً من سنة 250م ستكون الكنائس المنزلية أقلّ سرّية وهو دليل على أنّ الإيمان المسيحي بدأ بالاندماج خاصة في الأرياف وانتهى الوثنيون إلى التسامح مع فكرة أنّ المسيحية ليست خرافة بل ديانة في حدّ ذاتها وأنّ يسوع ليس مجرد إنسان لكنّه ربّما كائن خارق أو حتّى تجسّد الله نفسه كما يعتقد المسيحيون خلال القرن الثاني<sup>(1)</sup>.

من خلال ما سبق نستنتج بأنّ المسيحية بحاجة ملحة إلى تبرير عقائدها وتأكيداتها بما يتوافق مع البيئة المنشرة فيها خاصة بعد إعلان الوثنيين التسامح مع المسيحيين، في ظل الأحداث السابقة ومحاولات تقريب المفاهيم بين الدّين الجديد وبين الأديان الوثنية ظهر إنجيل يوحنا، الكتاب الذي سيعبّر الكثير من الأمور في عقيدة المسيحيين الأوائل والذي سيعطي ليسوع ملامح جديدة مخالفة لما جاء في نصوص الأناجيل السينوبتية كما سنرى لاحقاً.

(1) Frédéric Lenoire Ibid, p114-115.



## الفصل الثالث: صورة المسيح خلال القرنين الثاني والثالث.

### المبحث الثاني: إنجيل يوحنا وأصل التثليث.

بعد نجاح المسيحيين في مقاومة الاضطهادات التي عانوا منها بفضل صمودهم والتزامهم بالأخلاق المثالية، هدأت الأوضاع قليلاً واستطاعوا تكوين كنائس وتنظيمها وسهروا على تعليم المنتصرين الجدد خاصة الوثنيين الذين جذبتهم الأخلاق المسيحية، لكن الأمر لا يتوقف عن الأخلاق النبيلة بل يتجاوزها إلى معرفة عقائد وأسس الدين الجدد وهذا الأمر هو الآخر يتطلب كتابات تمنح مصداقية لما يعلمه رجال الدين للأتباع الجدد خاصة للذين هم من أصل وثني ويجب على تلك الكتب أن توافق معتقداتهم أو قريبة منها، في ظل هذا البحث ظهر إنجيل كان السبب في تغيير العديد من المفاهيم المسيحية سنتعرف عليها بحسب نظرة لونوار.

### المطلب الأول: إنجيل يوحنا في فكر فريدريك لونوار.

يعدّ إنجيل يوحنا<sup>(1)</sup> من الأناجيل التي تعرّضت لنقد كبير بسبب اختلافه عن باقي الأناجيل السينوبتية من جانب وتصريحه بأمور لم يسبق ذكرها في الأناجيل الأخرى من جانب آخر، ورغم حملة

---

(1) تزعم المصادر المسيحية بأن كاتب إنجيل يوحنا هو الحواري يوحنا بن زبدي، إلا أن عدداً كبيراً من الباحثين وعلماء المسيحية يقطعون بعدم صحة النسبة لهذا الإنجيل ووجهوا إليه انتقادات عنيفة فيقول الأستاذ إبراهيم خليل عن إنجيل يوحنا: "كتبه كاتب مجهول، ولا يوجد عالم من العلماء المتحررين من يعتبر هذا الإنجيل من أعمال يوحنا بن زبدي، وجاء في دائرة المعارف الكبرى الفرنسية مايلي: "أما إنجيل يوحنا فإنه لا مزية ولا شك كتاب مزور أراد صاحبه مضادة اثنين من الحواريين بعضهما لبعض وهما: القديسان يوحنا ومتى... وإننا لنرأف ونشفق على الذين يبذلون منتهى جهدهم ليربطوا ولو بأوهى رابطة، ذلك الرجل الفلسفي - الذي ألف هذا الكتاب في الجيل الثاني - بالحواري يوحنا الصياد الجليلي، وإن أعمالهم تضع عليهم سدى لخطيئتهم على غير هدى". ويقول إستانلين في العصور المتأخرة: "إن كاتب إنجيل يوحنا طالب من طلبة مدرسة الإسكندرية بلا ريب". وهناك الكثير من هذه الاعترافات التي تنفي نسبة هذا الإنجيل إلى الحواري يوحنا، كما أنّ حال هذا الإنجيل لا يختلف عن الأناجيل الأخرى من حيث الجهالة في مكان كتابة والخلاف في تاريخ تدوينه ما بين سنة 68م إلى سنة 98م، يضاف إلى ما سبق شيء خطير هو كثرة الاختلافات المهمة بين إنجيل يوحنا والأناجيل الأخرى كالاختلافات في الفترة الزمنية لبعثة المسيح وظهوره لتلاميذه بعد قيامته وغيرها، وهي اختلافات صريحة لا تجد لها حلاً ولا تأويلاً إلا بتصديق أحد الأناجيل وتكذيب الأخرى. وهو ما دفع د. موريس بوكاي أن يتساءل: "إذن فمن يجب أن نصدق؟! أنصدق متى أو مرقس أو لوقا أو يوحنا؟! والجواب معروف وهو رفض هذه الإنجيل المتناقضة لعدم التمكن من التمييز بينها ولأنّ الوحي الإلهي لا يكون فيه تناقض. أنظر: صالح بن الحسين الجعفري أبو البقاء الهاشمي: تحجيل من حرف التوراة والإنجيل، تح: محمود عبد الرحمن قدح (ط1، مكتبة العبيكان، الرياض، المملكة العربية السعودية، 1998، ج1)، ص113.

## الفصل الثالث: صورة المسيح خلال القرنين الثاني والثالث.

التقد التي تلقاها هذا الإنجيل باعتباره آخر الأناجيل المكتوبة والمختلفة في مضامينها عن رسالة المسيح الحقيقية، كان لفرديريك لونوار نظرة خاصة بشأن هذا الإنجيل:

يذكر لونوار في كتابه بأنه في ظل الاستغلال التدريجي لشخصية يسوع المسيح، ظهر كتاب لعب دورًا حاسمًا في مسألة يسوع: والمتمثل في إنجيل يوحنا، مع هذا الأخير سيأخذ تحليل هوية الناصري بعدًا آخر، فيوحنا لا يروي عن نبي من الجليل يستهوي الجماهير، ولكن عن كائن إلهي قبل أن يصبح جسدًا من أجل خلاص البشرية<sup>(1)</sup>.

من هو يوحنا في نظر لونوار: لقد أتاحت لنا من قبل فرصة الحديث عن يوحنا ابن زبدي أخ يعقوب، وإضافة إلى ذلك يذكر لونوار أنّ يسوع لقبه هو وبطرس ب: "ابني الرعد"<sup>(2)</sup> بسبب حماسهما لاتباعه. ويواصل لقد كان يوحنا في أوج شبابه ولهذا السبب يعدّ الرسول الوحيد الذي يقدمه الفن المسيحي بدون لحية، يشكّل الجليليون الثلاثة حول المعلم الدائرة الأكثر حميمية، بصفتهم الوحيدين الذين حضروا إحياء ابنة يائرس رئيس مجمع اليهود<sup>(3)</sup>، والوحيدون أيضًا الذين حضروا تغيّر هيئته<sup>(4)</sup> والذين كانوا معه أيضًا في ضيعة جنسيماني لما ناموا رغم أنّ يسوع أمرهم ألا يفعلوا ذلك وطلب منهم أن يمكثوا ويسهروا خلال صلاته<sup>(5)</sup>.

يعترف التقليد بأنّ يوحنا - التلميذ الذي كان يحبه يسوع -<sup>(6)</sup> هو مؤلف الإنجيل الرابع، ذاك الذي اتكأ في حضن معلمه ليلة العشاء الأخير<sup>(7)</sup>، والذي رافقه حتى الصليب، وهو الذي كلفه برعاية أمه أيضًا<sup>(8)</sup> وهو أول الذين تعرّفوا عليه بعد قيامته في بحر طبرية<sup>(9)</sup>.

(1)Frédéric Lenoire, p117.

(2) مرقس 3: 17: [وَيَعْقُوبَ بَنَ زَبْدِي وَيُوحَنَّا أَخَا يَعْقُوبَ، وَجَعَلَ لهُمَا اسْمَ بُوَانَرَجِسَ أَيِ ابْنِي الرُّعْدِ].

(3) انظر: مرقس 5: 22-37: [...وَلَمْ يَدْعُ أَحَدًا يَتَّبِعُهُ إِلَّا بُطْرُسَ وَيَعْقُوبَ، وَيُوحَنَّا أَخَا يَعْقُوبَ].

(4) لوقا 9: 28-29: [وَبَعْدَ هَذَا الْكَلَامِ بَنَحُو ثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ، أَخَذَ بُطْرُسُ وَيُوحَنَّا وَيَعْقُوبَ وَصَعِدَ إِلَى جَبَلٍ لِيُصَلِّيَ، وَفِيمَا هُوَ يُصَلِّي صَارَتْ هَيْئَتُهُ وَجْهَهُ مُتَغَيِّرَةً، وَلِبَاسُهُ مُبْيَضًا لَأَمْعًا].

(5) انظر: مرقس 14: 32-42.

(6) يوحنا 19: 26: [وَالْتَلَمِيذَ الَّذِي كَانَ يُحِبُّهُ].

(7) انظر: يوحنا 13: 23-26.

(8) انظر: يوحنا 19: 26-27.

(9) انظر: يوحنا 21: 1-8.

## الفصل الثالث: صورة المسيح خلال القرنين الثاني والثالث.

يَعْتَبَرُهُ بولس أحد أعمدة "الكنيسة" مع يعقوب (أخ يسوع) وبطرس وهذا ما ذكره في رسالته: [فَإِذْ عَلِمَ بِالنَّعْمَةِ الْمُعْطَاةِ لِي يَعْقُوبُ وَصَفًا وَيُوحَنَّا، الْمُعْتَبَرُونَ أَنَّهُمْ أَعْمِدَةٌ]<sup>(1)</sup>، وذكر إيريناوس أسقف ليون (Irénee de Lyon) أن يوحنا أجبر على الاستقرار في أفسس بسبب الاضطهادات الرومانية وبعد إقامته في روما تم إرساله إلى المنفى - إلى بطمس (Patmos) وهي جزيرة في بحر إيجه جعلت كمكان للنفي-، وقبل أن يتمكن من العودة إلى أفسس بعد وفاة الإمبراطور دوميتيان (Domitien) سنة 96م توفي يوحنا حوالي 101م في عمر جد متقدم (ثمانية وتسعون عامًا) ومعه توفي آخر ممثل لأولئك الذين عرفوا يسوع خلال حياته<sup>(2)</sup>.

أمّا عن تأليف إنجيل يوحنا بحسب رؤية لونيوار فقد ذكر فائلاً: إذا كان التقليد المسيحي ينسب تأليف الإنجيل الرابع إلى يوحنا، فإنّ المفسرين المعاصرين أكثر تحفظاً في هذه المسألة، كما أنّهم لا يشيرون بالضرورة إلى هذا الرسول باللقب الذي اشتهر به: "التلميذ الذي كان يسوع يحبّه"، وأنا شخصياً أعتقد أنّ هذا الإنجيل يعود إلى شاهد عيان لحياة يسوع، فهو مليء بتفاصيل دقيقة يصعب تركيبها من الصّفر. يعتبر إنجيل يوحنا إنجيلاً تأملياً وعميقاً فهو الإنجيل الذي يجعلك تشعر بالحضور الفعلي ليسوع: نظراته، دموعه، جوعه، فرحه، وتعبه، لذلك لا أرى أي سبب لإبطال إسناد الإنجيل الرابع إلى الرسول يوحنا، خاصة وأنّه إسناد جدّ قديم بما أنّه يعود بالإجماع إلى من منتصف القرن الثاني، وهذا لا يتعارض مع نقد التفسير الحديث الذي يعتبره عملاً جماعياً، وثمرّة تأمل مجموعة من التلاميذ، وبالتالي قد يكون عمل تلاميذ يوحنا كتبوا شهادته وتعليمه تحت إشرافه المباشر في أفسس<sup>(3)</sup>.

ويؤكّد لونيوار من جهته أنّ الذي ثبت قطعاً هو أنّ إنجيل يوحنا كتب في وقت متأخّر -في بداية القرن الثاني- ويختلف بشدّة عن الأناجيل السينوبتية (متى، مرقس، لوقا) سواء في طريقة سرده للأحداث أو في محتواه العقدي، فيوحنا لا يركّز على الأمثال والمعجزات وطرد الأرواح الشريرة وغيرها، بل جلّ تركيزه كان على الرسالة الفدائية ليسوع والذي قدّم بشكل صريح ككائن إلهي، ولم تأت من فراغ تسمية

(1) غلاطية 2: 9.

(2) Ibid, p118.

(3) Ibid, p118-119.

## الفصل الثالث: صورة المسيح خلال القرنين الثاني والثالث.

كليمنت الإسكندري (Clément d'Alexandrie) لهذا الكتاب المكتوب بأسلوب شاعري "الإنجيل الروحي"<sup>(1)</sup>.

رأي لونيوار في أصل الكلمة: [في البدء كان الكلمة، والكلمة كان عند الله، وكان الكلمة الله، هذا كان في البدء عند الله، كل شيء به كان، وبغيره لم يكن شيء مما كان، فيه كانت الحياة، والحياة كانت نور الناس، والنور يضيء في الظلمة، والظلمة لم تدركه]<sup>(2)</sup>... [والكلمة صار جسداً وحلّ بيننا، ورأينا مجده، مجدداً كما لوحيده من الآب، مملوءاً نعمةً وحقاً]<sup>(3)</sup>... [الله لم يره أحد قط. الابن الوحيد الذي هو في حضن الآب هو خبّر]<sup>(4)</sup> يعلق الكاتب على هذا النص قائلاً: هذا هو موجز مقدمة إنجيل يوحنا، ونلاحظ أنّ الإنجيل يشبه يسوع بكلمة الله الأبدية، ويتساءل: ولكن ما هذه الكلمة<sup>(5)</sup> "ce Verbe" - *Logos* - باللغة اليونانية؟<sup>(6)</sup>.

ثمّ يجيب عن سؤاله بخصوص أصل الكلمة ومعناها ويشرح في نفس الوقت آراء اللاهوتيين فيها والمدافعين عليها إذ يقول: هذا المفهوم صيغ بواسطة الفلسفة اليونانية، في عالم تنتشر فيه الأفكار بسرعة وتلتقي الثقافات وتشيع بسهولة في حوض البحر الأبيض المتوسط، ولكن هذا المفهوم صعب التعريف. فهرقليطس الأفسوسي (Héraclite d'Éphèse) الذي اخترعه بنفسه في القرن السادس قبل الميلاد أعرب عن أسفه: "بأنّ الناس غير قادرين على فهم الكلمة" وشرحها بقول أنّ "الكلمة" هي أصل

(1) Ibid, p119.

(2) يوحنا 1: 1-5.

(3) يوحنا 1: 14.

(4) يوحنا 1: 18.

(5) يذكر فراح السواح في كتابه ألغاز الإنجيل أنّ مقدّمة إنجيل يوحنا تحوّلت إلى حجر الأساس الذي قام عليه البناء السامق للاهوت المسيحي، فقد زوّد كل إنجيلي كتابه بفاتحة، فختار مرقس فاتحة تاريخية تتعلّق بالظهور الأوّل ليسوع، ومتى ولوقا اختاراً فاتحة ملحمية تتعلّق بالميلاد المعجز ليسوع وطفولته المبكرة أمّا يوحنا فيخلق في فاتحته إلى السماوات العلا لمواجهة الكلمة (اللّوغس باليونانية) التي كانت عند الله في البدء ووسيلته لخلق العالم قبل أن تتحد في رحم مريم بجسد يسوع... على الرّغم من أنّ اللّوغس في اللّغة اليونانية يعني الكلمة إلّا أنّه بالمعنى الفلسفي يعني العقل بالمفهوم الكوني الكلّي، وبما أنّ الكلام عند الانسان ينقسم إلى قسمين: نفسي وهو عبارة عن تصورات ذهنية لا يجري التعبير عنها في الخارج بأصوات، ونوع خارجي يعبر عنه في الخارج باللفظ والصّوت، كذلك الحال فيما يتعلق بكلام الله الذي ينقسم إلى كلام نفسي وهو اللّوغس باعتباره صفة من صفات الله وكلام خارجي هو اللّوغس باعتباره الصورة المعقولة التي هي نموذج الأشياء وعلى هذا يكون الله وكلامه شيئاً واحداً... أنظر: فراح السواح: ألغاز الإنجيل، (ط1، دار التكوين، دمشق-سوريا، 2012)، ص 220-221.

(6) Frédéric Lenoire, p119-120.

## الفصل الثالث: صورة المسيح خلال القرنين الثاني والثالث.

الفكر الإنساني، ولا يجب فهمها حرفياً ك: "كلام" ولكن ب: "السبب الإبداعي القانون الكلي للكون" بمعنى: بالكلمة استطاع الإنسان تمثيل الواقع وإعطائه معنى أي "المبدأ الفعّال في العالم"<sup>(1)</sup>. بعد هرقليطوس أصبح مفهوم اللوغوس يشبه مفهوم الكلمة والعقل وتمّ تحديد العقلانية كمبدأ يحكم العالم، ومن خلال الفيلسوف اليهودي فيلون الإسكندري (Philon d'Alexandrie) المعاصر ليسوع وصل مفهوم اللوغوس إلى يهود الشتات، فلقد شبّهه فيلون بتفكير وكلام الله: "إنه صورة الله الأكثر قدماً من كل الأشياء التي يدركها العقل"، وهذا المفهوم خليط من الثقافة اليونانية واليهودية، حيث كان فيلون متأثراً بكتاب الحكمة التوراتية الذي وضح أنّ الإله خلق العالم بكلمته وفطر الإنسان بحكمته: [يَا إِلَهَ الآبَاءِ، يَا رَبَّ الرَّحْمَةِ، يَا صَانِعَ الْجَمِيعِ بِكَلِمَتِكَ وَفَاطَرَ الْإِنْسَانِ بِحِكْمَتِكَ، لِكَيْ يَسُودَ عَلَى الْخَلَائِقِ الَّتِي كَوْنَتْهَا]،<sup>(2)</sup>.

ليس هناك شك بأن أفكار فيلون الإسكندري كان لها تأثير قوي على مؤلف الإنجيل الرابع الذي لا يرى في الناصري سوى "اللوغوس الإلهية"، والكلمة صار جسداً، الجليلي هو أكبر من أن يكون مجرد متحدث باسم الله، فهو الكلمة نفسها، الكلمة التي سبقت خلق العالم، لأنّ بها استطاع الإله خلق الكون، وهذا الكلمة تجسّدت في الابن، بعبارة أخرى يسوع كان موجوداً قبل ولادته الجسدية وهو ما أكّده يوحنا المعمدان: [يُوحَنَّا شَهِدَ لَهُ وَنَادَى قَائِلاً: «هَذَا هُوَ الَّذِي قُلْتُ عَنْهُ: إِنَّ الَّذِي يَأْتِي بَعْدِي صَارَ قَدَامِي، لِأَنَّهُ كَانَ قَبْلِي»]<sup>(3)</sup>.

وما قاله يسوع أيضاً<sup>(4)</sup>: [قَالَ لَهُمْ يَسُوعُ: «الْحَقُّ الْحَقُّ أَقُولُ لَكُمْ: قَبْلَ أَنْ يَكُونَ إِبْرَاهِيمُ أَنَا أَنَا كَائِنٌ»]<sup>(5)</sup>. لأنّه في إنجيل يوحنا لم يعد يسوع يتردد في الحديث عن نفسه بضمير المفرد الأوّل (المتكلم) "أنا" ويتعد عن كنية "ابن الإنسان"! إنّه يعرف من هو ويقول واثقاً لأبيه: [أَيْهَا الآبُ أُرِيدُ أَنَّ هُوَلاءِ الَّذِينَ أَعْطَيْتَنِي يَكُونُونَ مَعِي حَيْثُ أَكُونُ أَنَا، لِيَنْظُرُوا مَجْدِي الَّذِي أَعْطَيْتَنِي، لِأَنَّكَ

(1)Frédéric Lenoire, p120.

(2) الحكمة 9: 1- 2.

(3) يوحنا 1: 15.

(4)Ibid, p 120-121.

(5) يوحنا 8: 58.

## الفصل الثالث: صورة المسيح خلال القرنين الثاني والثالث.

أَحْبَبْتَنِي قَبْلَ إِنْشَاءِ الْعَالَمِ<sup>(1)</sup>، ولد في حضن الآب، ودعي للعودة إليه، وجوده من البداية إلى النهاية يغوص بجدوره في عمق السرّ الإلهي.

لهذا يعدّ إنجيل يوحنا نقطة تحول رئيسية في فهم يسوع، ولأوّل مرّة لا الميسانية ولا البنوة الإلهية ليسوع تظهران في هذا الإنجيل، بل لاهوته الذي يتشارك فيه مع الآب، لهذا نلاحظ أنّ ما لم تكن صياغته ممكنة في الأناجيل السينوبتية أصبح الاعتراف به في إنجيل يوحنا ممكناً. ينتهي إنجيل يوحنا بهتاف توما الذي لم يؤمن بظهور يسوع بعد دفنه إلاّ بعدما وضع أصابعه على جروحه ليعترف بإيمانه: **[أَجَابَ تُومَا وَقَالَ لَهُ: «رَبِّي وَإِلَهِي!».]**<sup>(2)</sup> واكتملت الحلقة.

رغم رأي لونوار في تأكيده نسبة إنجيل يوحنا إلى التلميذ المحبوب أو أحد تلاميذه بسبب ذكره لأحداث يستحيل صياغتها من العدم بحسبه واعتباره الإنجيل الرّوحي وهذا الأمر ليس بالجديد ولا بالغريب باعتباره فليسوفاً وتركيزه على الجانب الرّوحي في رسالة المسيح وقد سبقه إلى ذلك سينيوزا وفولتير وهيكل على سبيل المثال في محاولة لهم تنقية رسالة المسيح من الإضافات التي تبعد المسيح عن مهمّته المرجوة باعتباره رسولاً إلى بني إسرائيل، ولكن الذي يؤكّده من جانب آخر هو أنّ هذا الإنجيل الذي كتب في وقت متأخر عن الأناجيل المتشابهة شكّل نقطة تحوّل مهمّة في فهم يسوع بالنسبة للكثيرين وبإشارته إلى الزمن المتأخر لكتابة الإنجيل يفهم أنّ الكتاب يقر بوجود إضافات وتعديلات عليه.

ويشير الكاتب أيضاً إلى أنّ الاعتراف بألوهية المسيح في الرّسالة الثانية لبطرس -أحدث نص في العهد الجديد بما أنّ زمن تأليفه حدّد ما بين 100-125م- التي تقدّم المسيح كإله ومخلّص: **[بِرِّ إِلَهِنَا وَالْمُخَلِّصِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ]**<sup>(3)</sup> مقتبساً هذا من رسالة بولس الرّسول إلى أهل تيطس<sup>(4)</sup> التي كتبت قبلها بضع سنوات.

(1) يوحنا 17: 24.

(2) يوحنا 20: 28.

(3) رسالة بطرس الثانية: 1: 1.

(4) تيطس 1: [وَسَلَامٌ مِنَ اللَّهِ الْآبِ وَالرَّبِّ يَسُوعَ الْمَسِيحِ مُخَلِّصِنَا].



## الفصل الثالث: صورة المسيح خلال القرنين الثاني والثالث.

إنّ مفهوم الكلمة صار جسداً - التجسّد - ستعيد توجيه تفكير المسيحيين حول هوية يسوع. وهذا يسمى: كريستولوجيا تنازلية بمعنى: تنازل الإله ليصبح إنساناً ضعيفاً. وهو عكس الكريستولوجيا التصاعديّة التي نجدّها أحياناً عند بولس في رسالته إلى أهل رومية: [عَنِ ابْنِهِ الَّذِي صَارَ مِنْ نَسْلِ دَاوُدَ مِنْ جِهَةِ الْجَسَدِ، وَتَعَيَّنَ ابْنُ اللَّهِ بِقُوَّةٍ مِنْ جِهَةِ رُوحِ الْقُدَّاسَةِ، بِالْقِيَامَةِ مِنَ الْأَمْوَاتِ: يَسُوعَ الْمَسِيحَ رَبَّنَا] (1) كان صعود يسوع - الإنسان بمشيئة الله (2).

"يسوع بتجسّده يُلخص كل شيء في نفسه"، هذه على الأقل هي الفكرة المعبر عنها في سفر الرّؤيا أحد الكتب الهامة المنسوبة أيضاً إلى يوحنا والتي كتبها أثناء نفيه إلى بطمس، الكلمة اليونانية *apokalypsis* (3) تعني: «révélation» "الكشف أو الوحي" ولا ترتبط بما يعتقدّه الغالبية أي الكارثة (نهاية العالم)، فالرّؤيا هي الكشف عمّا سيحدث في الفترة الممتدّة بين موت المسيح وعودة النّصر حيث سيتغلّب فيها على قوى الشّر، تماثياً مع المعنى الصّحيح للوغوس: [بِدَاءَةُ خَلِيقَةِ اللَّهِ] (4). بالإضافة إلى ما سبق يسوع يصف نفسه بأنّه Alpha et Oméga. فالحرف الأوّل والأخير من الأبجدية اليونانية، الأوّل والآخر: [أَنَا الْأَلْفُ وَالْآخِرُ، الْأَوَّلُ وَالنّهَايَةُ، الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ] (5)، لقد كان موجوداً ويزال كذلك إلى الأبد (6)، لونوار بهذا الفهم يؤكّد بشرية يسوع وموته أيضاً ولكن حضوره الفعلي الفعلي أيضاً.

(1) رومية 1: 3-4، في الحقيقة يسوع لم يصل إلى الكرامة الروحية السّماوية إلا بعد موته.

(2) Frédéric Lenoire, p122.

(3) تعريف الأبوкалиيس: حسب المعنى الاشتقاقي *étymologique* تعني الوحي بصفة عامة، وبصفة أدق تعني الوحي الخاص بالأفكار الغريبة الخارجة عن نطاق المعرفة الإنسانية وقد أخذ المصطلح معنىً خاصاً في العهود المسيحية فأصبح يدلّ على الوحي الخاص بالأخرويات (الإسكاتولوجيا) وملك الميسيا على الأرض. أنظر: آسيا شكير، مرجع سابق، ص 199.

(4) رؤيا يوحنا 3: 14.

(5) رؤيا يوحنا 22: 13.

(6) Ibid, p123.

## الفصل الثالث: صورة المسيح خلال القرنين الثاني والثالث.

### المطلب الثاني: أصل التثليث.

تعتبر عقيدة التثليث أساس الإيمان المسيحي، ومعناها أنّ الله ثلاثة أقانيم (الله الآب، الله الابن والله والروح القدس) هؤلاء ثلاثة في واحد وواحد في ثلاثة، حيث هذا ما يحاول أتباع المسيحية المقتنة في القرن الرابع إثباته بطرق وأدلة مختلفة، لكن ظلت هذه العقيدة تتعرض للتقديس طيلة قرون عديدة، فما رأي لونوار فيه.

يذكر الكاتب أنّ استعارة مفهوم اللوغوس من الفلسفة اليونانية سمح ببناء جسر مع الثقافة الوثنية التي اعتادت المفاهيم المجردة -المثالية-، كما أنّها تتميز بكونها دقيقة للغاية لأنّها تعبر بمصطلح "ولد" للتمييز بين الآب والابن (أي من نفس الجوهر والابن مولود من الآب)، لذلك حتى لو لم تتم صياغة المصطلح بعد (التثليث)، فإنّ نصوص يوحنا تحتوي في أصلها على فكرة التثليث. وتلك النصوص لا تشير فقط إلى الآب والابن فقط بل الروح أيضًا.

### الروح القدس في فكر فريدريك لونوار:

يذكر لونوار أنّ هذا الأخير (الروح القدس) مذكور أيضًا في الأناجيل السينوبتية، فقد ورد في إنجيل متى أنّ مريم حملت بفعل الروح القدس: [أَمَّا وِلَادَةُ يَسُوعَ الْمَسِيحِ فَكَانَتْ هَكَذَا: لَمَّا كَانَتْ مَرْيَمُ أُمُّهُ مَخْطُوبَةً لِيُوسُفَ، قَبْلَ أَنْ يَجْتَمِعَا، وَجَدَتْ حُبْلَى مِنَ الرُّوحِ الْقُدُسِ]<sup>(1)</sup>، وفي أعمال الرسل أيضًا: [وَلَمَّا حَضَرَ يَوْمُ الْخَمْسِينَ كَانَ الْجَمِيعُ مَعًا بِنَفْسٍ وَاحِدَةٍ، وَصَارَ بَعْتَةً مِنَ السَّمَاءِ صَوْتُ كَمَا مِنْ هُبُوبِ رِيحٍ عَاصِفَةٍ وَمَلَأَ كُلَّ الْبَيْتِ حَيْثُ كَانُوا جَالِسِينَ، وَظَهَرَتْ لَهُمْ أَلْسِنَةٌ مُنْقَسِمَةٌ كَأَنَّهَا مِنْ نَارٍ وَاسْتَقَرَّتْ عَلَى كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ، وَأَمْتَلَأَ الْجَمِيعُ مِنَ الرُّوحِ الْقُدُسِ، وَابْتَدَأُوا يَتَكَلَّمُونَ بِأَلْسِنَةٍ أُخْرَى كَمَا أَعْطَاهُمُ الرُّوحُ أَنْ يَنْطِقُوا]<sup>(2)</sup>، بحيث صوّر لوقا في هذا المقطع حلول الروح القدس على التلاميذ في عيد العنصرة، وما تجدر الإشارة إليه أنّ هذا التصور (المفهوم) ليس جديدًا فهو يتغلغل أيضًا في نصوص العهد القديم (الروح في اليونانية pneuma التي تعني أيضًا نسمة-نفخة-نفس) وهو مذكور في سفر التكوين: [وَجَبَلَ الرَّبُّ إِلَهُ آدَمَ تُرَابًا مِنَ الْأَرْضِ، وَنَفَخَ فِي أَنْفِهِ نَسَمَةَ حَيَاةٍ فَصَارَ

(1) متى 1: 18.

(2) أعمال الرسل 2: 1-4.

## الفصل الثالث: صورة المسيح خلال القرنين الثاني والثالث.

آدَمُ نَفْسًا حَيَّةً<sup>(1)</sup>، وقال الملك داوود في كتاب صموئيل الثاني أن: [رُوحُ الرَّبِّ تَكَلَّمَ بِي وَكَلِمَتُهُ عَلَى لِسَانِي]<sup>(2)</sup>، الرُّوحُ الْقُدُسُ هُوَ قُوَّةُ اللَّهِ الْفَعَّالَةِ، الَّذِي يَدْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ لِلْعَمَلِ، الَّذِي يَلْهَمُهُمْ بِحَيَاتِهِمْ وَيُنَشِّطُهُمْ<sup>(3)</sup>. أي أَنَّ الرُّوحَ الْقُدُسَ فِي نَظَرِ لُونَوَارِ لَيْسَ إِلَهُ وَلَا أَقْنُومٌ ثَالِثٌ مِنْ أَقَانِيمِ الثَّالُوثِ الْمَسِيحِيِّ بَلْ قُوَّةُ اللَّهِ الْفَعَّالَةِ فِي نَفُوسِ الْبَشَرِ وَالَّذِي يُسِيرُ حَيَاةَ الْمُؤْمِنِينَ وَيَسْتَشْهَدُ الْكَاتِبَ عَلَى هَذَا التَّصَوُّرِ بِمَا وَرَدَ فِي إِنْجِيلِ يُوْحَنَّا اللَّاهُوتِيِّ بِحَسَبِ تَعْبِيرِهِ - أَوْ كَمَا سَمَّاهُ الْبَعْضُ الرَّسُولَ الْإِنْجِيلِيَّ - بِأَنَّ: [رُوحُ الْحَقِّ، الَّذِي مِنْ عِنْدِ الْآبِ]<sup>(4)</sup> وَهُوَ الَّذِي سَيَقُودُ جَمَاعَةَ الْمُؤْمِنِينَ وَيَكُونُ مَعِينَهُمْ (الْبَارْقَلِيْطُ) بِمَعْنَى الْمُدَافِعِ عَنْهُمْ: [وَأَمَّا مَتَى جَاءَ ذَلِكَ، رُوحُ الْحَقِّ، فَهُوَ يُرْشِدُكُمْ إِلَى جَمِيعِ الْحَقِّ، لِأَنَّهُ لَا يَتَكَلَّمُ مِنْ نَفْسِهِ، بَلْ كُلُّ مَا يَسْمَعُ يَتَكَلَّمُ بِهِ، وَيُخْبِرُكُمْ بِأُمُورٍ آتِيَةٍ]<sup>(5)</sup>.

ويشير إلى مهمّة الرُّوحِ الْقُدُسِ فِي الْإِنْجِيلِ الرَّابِعِ حَيْثُ يَذْكَرُ أَنَّ الرُّوحَ الْقُدُسَ يَتَوَلَّى مَهْمَةً لَمْ تَكُنْ مَعْرُوفَةً مِنْ قَبْلِ، فَقَدْ قَدَّمَ كَخَلِيفَةَ لِيَسُوعَ بَعْدَ رَحِيلِهِ: [وَمَتَى جَاءَ الْمُعْزِي الَّذِي سَأَرْسَلُهُ أَنَا إِلَيْكُمْ مِنَ الْآبِ، رُوحُ الْحَقِّ، الَّذِي مِنْ عِنْدِ الْآبِ يَنْبَغُ، فَهُوَ يَشْهَدُ لِي، وَتَشْهَدُونَ أَنْتُمْ أَيْضًا لِأَنَّكُمْ مَعِيَ مِنَ الْإِبْتِدَاءِ].<sup>(6)</sup> الَّذِي يَجْعَلُ حُضُورَ الْمَسِيحِ بَاقٍ عَلَى الْأَرْضِ، فَدَوْرُهُ مَهْمٌ جَدًّا كَمَا يُوَضِّحُ الْمَسِيحُ لِتَلَامِيذِهِ: [لَكِنِّي أَقُولُ لَكُمْ الْحَقَّ: إِنَّهُ خَيْرٌ لَكُمْ أَنْ أَنْطَلِقَ، لِأَنَّهُ إِنْ لَمْ أَنْطَلِقْ لَا يَأْتِيَكُمْ الْمُعْزِي، وَلَكِنْ إِنْ ذَهَبْتُ أُرْسَلُهُ إِلَيْكُمْ].<sup>(7)</sup>

(1) تكوين 2: 7.

(2) صموئيل الثاني 23: 2.

(3) Frédéric Lenoire, p123-124.

(4) يوحنا 15: 26.

(5) يوحنا 16: 13.

(6) يوحنا 15: 26 - 27.

(7) يوحنا 16: 7.

## الفصل الثالث: صورة المسيح خلال القرنين الثاني والثالث.

نجاح كرسولوجيا<sup>(1)</sup> الكلمة: يذكر لونوار تأثير كتابات يوحنا بشكل كبير على المفكرين المسيحيين خلال القرنين الثاني والثالث، ويرى بأنّ العديد من اللاهوتيين اعتمدوا عبارات يوحنا لتأكيد أزية الابن، فقد كتب القديس جاستن أو يوستينوس الشهيد أحد المدافعين: "إنّ المسيح هو أول مولود للإله الكلمة الذي اشترك فيه كل جنس البشر"<sup>(2)</sup>، وبفضل قوّة الكلمة (اللّوغوس) وحسب مشيئة الإله الأب سيّد الكون أصبح إنساناً في رحم عذراءٍ ومُنح لقب يسوع، صلب، مات، ثمّ قام من بين الأموات وصعد إلى السّماء "مضيئاً أنّ: "كلّ إنسانٍ يملك حسناً سليماً يمكن له فهم ذلك من خلال ما عرضناه وكشفناه لفترة طويلة"<sup>(3)</sup>.

يؤكّد أغناطيوس الأنطاكي: "لا يوجد غير طيب واحد، جسدي وروحي مولود وغير مخلوق، إله متجسّد، وفي الموت حياة حقيقية، ولد من العذراء ومن الله، قابلاً للآلام قبلاً وغير متألم الآن... بفكر غير مضطرب تكسرون خبزة واحدة التي هي ترياق الخلود، الترياق الذي نتناوله حتى لا نموت بل نحيا إلى الأبد في يسوع المسيح ربنا"<sup>(4)</sup>. فبالنسبة لإيريناوس أسقف ليون الكلمة المتجسّدة إله حقيقي وإنسان حقيقي لأنّه صورة الله الحقيقية والكاملة (الصورة والشبه) للأب، نفس الأمر نجده عند أورجين وترتليان على سبيل المثال لا الحصر، ففي نظر هؤلاء الذين يعتبرون من رواد الكنيسة العظمى والمعروفين بلاهوتيي الكلمة، يرون بأنّ التجسّد مفتاح خلاص الإنسان والتّقارب العجيب بين الإلهي والبشري، فالله أصبح إنساناً ليصبح الإنسان إلهاً<sup>(5)</sup>.

محاولة تأويل مفهوم الكلمة أدّى إلى ظهور العديد من الأسئلة حول شخص يسوع المسيح وهويته وتلك الأسئلة بدورها أدّت إلى ظهور العديد من الفرق والطوائف بسبب عدم اتّفاقها على رؤية واحدة عن هوية يسوع الحقيقية ويذكر الكاتب في هذا الصّدّد أنّه قد يبدو للبعض أنّ فكرة تجسّد المسيح

(1) لا يختلف الدّارسين حول تعريف الكرسولوجيا كعلم أو دراسة شخص أو طبيعة المسيح وكيفية الارتباط أو العلاقة بين الألوهية والإنسانية في شخص المسيح وعمله في العالم ولكن الإشكال يكمن في أنّ الموضوع واسع جدّاً وصعبٌ تقييده للوصول إلى فهم حاسم للكتاب المقدّس. أنظر:

Edmond Unal, *Doctrine Christologique De Saint Paul D'après Toutes Ses Épîtres*, (Edition1, Strasbourg, 1860), p3.

(2) انظر: القديس يوستينوس الفيلسوف والشّهيد: الدّفاعان والحوار مع تريفون ونصوص أخرى (النصوص المسيحية في العصور الأولى)، تر: أمال فؤاد، مر: إيريني ثابت جورجو مريم سعد مينا، دار باناريون، مصر الجديدة، ط1، 2012م، ص18.

(3)Ibid, p125.

(4) إغناطيوس الأنطاكي: الآباء الرّسوليون (رسائل إغناطيوس الأنطاكي)، ت: جرجس كامل يوسف، ص 34.

(5)Ibid, 125.

## الفصل الثالث: صورة المسيح خلال القرنين الثاني والثالث.

وألوهيته قد استهوت بعض المفكرين المسيحيين، لكن ذلك لا يعني أنّها مرّت دون أن تطرح مشاكل حقيقة أو تثير سيل من الأسئلة منها: كيف يمكن للإله أن يتّحد (بمتزج-يتزاوج) مع الطّبيعة البشرية؟ هل عانى الإله ومات في يسوع المسيح؟ إذا كان يسوع الإله الذي صار بشراً؟ ماهي علاقته بالآب؟ وبالروح القدس؟

كل هذه الأسئلة أدّت إلى تباين الرّؤى واختلافها وظهور فرق تتبّنى أفكار بعيدة كل البعد عن تلك الواردة في الأناجيل ومن الفرق التي ذكرها لونوار في كتابه محل الدراسة هي:

الدوسيتية (Le docétisme): يذكر لونوار بأنّ الأسئلة السابقة والتي تشبه الألفاظ الصّينية انتشرت بسرعة كبيرة بين أوساط اللاهوتيين المعروفين بالدوساتيين (docètes) كلمة اليونانية *dokein* تعني "يظهر - يتجلّى" الذين يرفضون ببساطة فكرة التجسّد، ليس لأنّ يسوع مجرد إنسان، بل لأنّه إله فقط، فبالنسبة لهم يسوع هو إله ولم يقم سوى بأخذ مظهر بشري، وهم يعتقدون أنّ كلّ شيء خيالي في حياة يسوع، فعلى كلّ حال لا يمكن للكلمة أن يصير جسداً، ويُجبل به في جسد امرأة ويهان بدم الولادة، وتنتهي حياته في الدّل والعار، كما يعتقد أتباع هذه الفرقة أنّ عذاب الصّليب لم يحدث: لأنّ سمعان القوريني (Simon de Cyrène) المذكور في الأناجيل السينوبتية<sup>(1)</sup> والذي ساعد يسوع على حمل صليبه قد حلّ مكان السيّد وقد قال الدّوساتيين بهذا القول تجنّب الاختلاط بين الإله والإنسان بأي طريقة، والحفاظ على حيز الألوهية في المقدّس من كل تدنيس مع الحفاظ على فكرة ألوهية يسوع<sup>(2)</sup>.

لقد ظهر هذا التيار الفكري في نهاية القرن الأوّل، ويمكن للمرء أن يتساءل ما إذا كانت بعض فقرات يوحنا كتبت لمواجهة الدوساتيين: بحيث أنّ يوحنا يركّز على أنّ يسوع هو من حمل صليبه: [فَحِينَئِذٍ أَسْلَمَهُ إِلَيْهِمْ لِصَلْبٍ فَأَخَذُوا يَسُوعَ وَمَضَوْا بِهِ، فَخَرَجَ وَهُوَ حَامِلٌ صَلِيْبَهُ إِلَى الْمَوْضِعِ الَّذِي يُقَالُ لَهُ «مَوْضِعُ الْجُمُجْمَةِ» وَيُقَالُ لَهُ بِالْعِبْرَانِيَّةِ «جُلْجَثَةُ»]<sup>(3)</sup>، ونفى ذلك عن سمعان القوريني! وأنّ يسوع هو الذي نُقذ عليه الصّلب، بهذا يبدو أنّ يوحنا يريد تصحيح أفكار الدوساتيين

(1) لوقا 23: 26: [وَلَمَّا مَضَوْا بِهِ أَمْسَكُوا سَمْعَانَ، رَجُلًا قَبْرَوَانِيًّا كَانَ آتِيًّا مِنَ الْحَقْلِ، وَوَضَعُوا عَلَيْهِ الصَّلِيبَ لِجَحْمِلِهِ خَلْفَ يَسُوعَ].

(2)Frédéric Lenoire, p127- 128.

(3) يوحنا 19: 16- 17.

## الفصل الثالث: صورة المسيح خلال القرنين الثاني والثالث.

ويرمي اللعنة على "العديد من المضللين الذين انتشروا في العالم: [لأنه قد دخل إلى العالم مُضِلُّونَ كَثِيرُونَ، لَا يَعْتَرِفُونَ بِيَسُوعَ الْمَسِيحِ آتِيًا فِي الْجَسَدِ. هَذَا هُوَ الْمُضِلُّ، وَالضُّدُّ لِلْمَسِيحِ] (1). ويرى لونوار بأن اعتقاد دوستيين لم يأت من فراغ بل يستندون إلى نصوص الأناجيل فرأى أنّ الحاجة إلى التوضيح والتصحيح ضرورية والسبب يعود إلى أنّ بعض نصوص الأناجيل السينوبتية تعطي انطباعاً بأنّ التّاصري نوع من أنواع الأشباح دون قوام حقيقي بشري ويظهر مثال ذلك في إنجيل لوقا: [فَقَامُوا وَأَخْرَجُوهُ خَارِجَ الْمَدِينَةِ، وَجَاءُوا بِهِ إِلَى حَافَةِ الْجَبَلِ الَّذِي كَانَتْ مَدِينَتُهُمْ مَبْنِيَةً عَلَيْهِ حَتَّى يَطْرُقُوهُ إِلَى أَسْفَلٍ، أَمَّا هُوَ فَجَاوَزَ فِي وَسْطِهِمْ وَمَضَى] (2) وكأنّ شيء لم يكن، وفي إنجيل مرقس: [وَرَأَهُمْ مُعَدِّينَ فِي الْجَذْفِ، لِأَنَّ الرِّيحَ كَانَتْ ضِدَّهُمْ، وَنَحْوَ الْهَزِيعِ الرَّابِعِ مِنَ اللَّيْلِ أَتَاهُمْ مَاشِيًا عَلَى الْبَحْرِ، وَأَزَادَ أَنْ يَتَجَاوَزَهُمْ، فَلَمَّا رَأَوْهُ مَاشِيًا عَلَى الْبَحْرِ ظَنُّوهُ خَيَالًا، فَصَرَخُوا] (3). في الأخير دوستيين أكثر ميلاً إلى إنكار بشرية يسوع وبالتالي إنكار فضيحة الصليب (4).

انتشار الدوستية: يذكر لونوار أنّه رغم الجهد التي أظهره لاهوتيو الكلمة - بالخصوص أغناطيوس الأنطاكي، ترتليان، وأريجين - لمحاربة دوستيين، إلّا أنّ أفكارهم كان أمامها مستقبل مشرق، فقد كان للعديد من الحركات اللاهوتية في القرن الثاني صلات قوية بهذا التيار، وهو الحال بالنسبة لطائفة الإنكراتيت متطوّرو الرّهد الجنسي (الأعقّة الغلاة) الذين يشعرون بكراهية شديدة للجسد إلى درجة منعهم للإنجاب، وبالنسبة لهم التّجسيد مرادف للّعنة وروح يسوع حُبست في جسد ملعون (5).

كتابات الدّوستيين: لقد شهد القرنان الثاني والثالث ازدهار كتابات دوستيين التي عرفت نوعاً من التّجاح قبل أن تفقد شعبيتها بعد اتهامها بالتلفيق والإعلان بأنّها كتابات "أبوكريفية"، حيث تمّ استبعادها من طرف الكنيسة في نهاية القرن الرابع، وقد كانت تلك الكتابات غالباً ما تنسب إلى التّلميذ (بطرس) الذي في الحقيقة لم يكن مؤلّفها، يسعى دوستيين إلى تزيين حياة يسوع في سردياتهم بذكر عجائب ومعجزات للتأكيد على شخصيته الإلهية.

(1) رسالة يوحنا الثانية: 7.

(2) لوقا: 29-30.

(3) مرقس: 6: 48-49.

(4)Frédéric Lenoire, p128.

(5)Ibid, p129.



## الفصل الثالث: صورة المسيح خلال القرنين الثاني والثالث.

إنجيل بطرس: إن إنجيل بطرس المؤلّف قبل نهاية القرن الثاني في جماعة مسيحية بسوريا، صوّر يسوع ككائن غير بشري وأنّه لم يشعر بالألم حتى في وقت صلبه: [وأخضروا مُجْرَمِينَ وَصَلَبُوا الرَّبَّ فِي وَسْطِهِمْ، ولكنّه كان صامتاً كما لو أنّه لا يشعر بأي ألم] وأكثر من ذلك فعندما كان الحراس يجرسون قبر يسوع- لمنع تلاميذه من سرقة جسده- رأوا مشهداً مذهلاً: [خرج من القبر ثلاثة رجال، اثنان منها يسندون الثالث، والصليب يتبعهم، ورأوا الاثنان قد بلغت رؤوسهم السماء بينما رأس الذي يقودانه تجاوزت السماوات]<sup>(1)</sup>.

لقد ساور الأسقف سيرافيون (Sérapion) الأنطاكي خوف كبير عند زيارته لجماعة مسيحية ليست ببعيدة عن مسقط رأس بطرس من قراءة المؤمنين لذلك الإنجيل بطريقة غير صحيحة وخاطبهم قائلاً: "إخوتي، نحن أيضاً نتلقّى كالمسيح تماماً وبطرس وبقية التلاميذ، أمّا عن الكتابات التي وضعت زوراً تحت أسمائهم فإنّ التجربة تعلّمنا أنّ نصدها ونرفضها، لأننا متيقّنون من أنّنا لم نتلقها عن طريق التقليد" وطلب منهم التوقّف عن منح المصدقية لذلك الكتاب.

"صعود إشعيا"<sup>(2)</sup>: قصة أبوكريفية أخرى انتشرت في بداية القرن الثاني تحتوي في طيّاتها قصة مشابهة لما يؤمن به الدوستيون لميلاد المسيح والتي تتعلق بإنكار حقيقته الإنسانية: [بعد شهرين، كان يوسف في المنزل وكذلك مريم زوجته، وكانا وحدهما وقد حدث عندما كانا بمفردهما أنّ مريم

(1)Frédéric Lenoire, p129.

(2) صعود إشعيا " L'Ascension d'Isare ، كتاب مسيحي في أغلبه يرجع إلى بداية العصر المسيحي، جاء ذكره في كتابات كثير من آباء الكنيسة خاصة كتابات "أوريجانوس"، والنسخة الوحيدة الكاملة لهذا النص هي النسخة الأنثوية التي نشرها "ريتشارد لورانس" Richard Laurence عام 1819م ، ولكن توجد أجزاء أخرى من النص باللّغة اليونانية والقبطية والأثينية والسلافية القديمة وهو كتاب يعود إلى بداية القرن 2م ويصف الكتاب رؤيا حصلت لإشعيا زمن حكم الملك اليهودي "حزقيا" وكان في هذه الرؤيا يقود ملاك عظيم إشعيا" فيصعد به السماوات السبع ليُعَين كل سماء بأهلها... ويُمنح المعارف الخاصة بولادة وحياة وصعود وبعث المسيح أو مجيئه المقبل إلى الأرض، كما تصف الرؤيا إخضاع المسيح للقوات الملائكية العاصية، ومشاهدة "إشعيا" "للاب" و"الابن" و "الرّوح القدس" في السّماء السابعة وتختّم الرؤيا بتقديم توضيح عن سبب استشهاد "إشعيا" ، فهو قد نُشر بسبب الإعلانات التي قدمها عن المسيح لقد مثلت رؤيا "صعود إشعيا" أنموذجاً ومثالاً للكتابات الرؤيوية الأبوكريفية المسيحية في القرن الأول للميلاد، فكانت بمثابة الإعلان عن بداية انخراط المسيحيين في التأليف الرؤيوي - إن صح التعبير -، فقد عاصرتها وتلتها كتابات رؤيوية أبوكريفية مسيحية أخرى، كـرؤيا "بطرس" وكتاب "راعي هرماس" ورؤيا "بولس". أنظر: نزار صميده: النصوص الرؤيوية الكتابية مجالها وتداعياتها على الفكر الديني الكتابي قديماً وحديثاً، (دط، دار الكتاب العلمية، بيروت-لبنان، 2016م)، ص230-232.

## الفصل الثالث: صورة المسيح خلال القرنين الثاني والثالث.

رأت طفلاً صغيراً ففزعت، وبعد أن شعرت بالفزع أصبح بطنها كما كان من قبل، قبل أن تكون حبلتي<sup>(1)</sup>.

كتاب يوحنا يحتوي في متنه على عبارات قابلة للتأويل كانت السبب في ظهور العديد من الأفكار والمذاهب منها المذهب الدوسيتي كما رأينا سابقاً وإعطائهم يسوع هوية ورغم محاولة تصدي لاهوتيو الكلمة لها وغيرها من المذاهب الأخرى إلا أنّ الأسئلة عن هوية يسوع مازالت قائمة وتحديد معالم ثابتة لشخص يسوع أصبح أمر صعب، الأمر الذي أدى إلى ظهور العديد من الفرق والأتباع، وستتعرف في بقية الفصل على بعضها والتي ذكرها لونوار في كتابه.

### المطلب الثالث: جدل حول علاقة الآب بالابن.

لقد وقع الاختلاف حول العلاقة التي تربط يسوع بالآب، العلاقة بين الابن والإله حيث أدى ذلك إلى ظهور العديد من الرؤى والاختلافات وبالتالي ظهور تيارات عديدة، ومن بينها التي ذكرها لونوار في كتابه نذكرها كما يلي:

**مذهب التبوية<sup>(2)</sup> L'adoptianisme:** يذكر لونوار بأنه على نقيض المذهب الدوسيتي، فإنّ مذهب مسيحي آخر يصرّ على الطبيعة البشرية ليسوع، الذي تبناه الله فترة محدّدة من حياته (وتختلف تلك الفترة حسب تفكير كل لاهوتي) سواء بعد قيامته، أو تغيّر هيئته أو تعميده، بالنسبة لهؤلاء يسوع لم يولد من جوهر الإله، لهذا السبب لا يمكنه أن يتجسّد، ببساطة نشأ على نمط مألوف عند اليونانيين-الرومان يتمثل في الانتصار، أي سمحت له حياته البطولية من الإفلات من الموت ليصبح إلهاً<sup>(3)</sup>.

يرى الكاتب أنّ التبّي يتجلى في العديد من المواضيع في الأناجيل السينوبتية وحتى في أعمال الرسل حيث يؤكّد بطرس: **[فَلْيَعْلَمَ يَقِينًا جَمِيعُ بَيْتِ إِسْرَائِيلَ أَنَّ اللَّهَ جَعَلَ يَسُوعَ هَذَا، الَّذِي**

(1)Frédéric Lenoire, p130.

(2) إنّ الحّلّ الأوّل الذي تحيّلته المسيحيون خلال القرنين الثاني والثالث لشرح كيفية عبادة المسيح والإدعاء بقاؤهم على التوحيد هو التبّي، هذا المذهب الذي يقوم بالأساس على أنّ المسيح في الأصل كان مجرد إنسان ولد من مريم ويوسف ثمّ تبناه الله ليصبح ابنه ودعمًا لكلامهم استدّلوا بمزمور2: 7 **[إِنِّي أَحْبَبْتُ مِنْ جِهَةِ قَضَاءِ الرَّبِّ: قَالَ لِي: «أَنْتَ ابْنِي، أَنَا الْيَوْمَ وَلَدْتُكَ»]** وهو في الأصل كلام يوجهه الإله للملك، لكن هناك مشكلة مطروحة وهي أنّ يسوع لم يكن ابن الله قبل التبّي وبسببها تمّ رفض التبّي منذ البداية. أنظر:

François Bousquet : LA TRINITÉ, (Editions Ouvrières, Paris, France, 2000), P61-62.

(3)Frédéric Lenoire, p130-131.

## الفصل الثالث: صورة المسيح خلال القرنين الثاني والثالث.

صَلَبْتُمُوهُ أَنْتُمْ، رَبًّا وَمَسِيحًا<sup>(1)</sup> تمجيد بإنسانيته، فالجيلي لم يدخل نطاق الألوهية إلا لحظة ذبيحة الفصح، هذا التفسير يستند إلى كلام في العهد القديم حيث يذكر الرب عن المسيح-الملك، قائلاً: [هُوَ يَبْنِي بَيْتًا لِاسْمِي، وَأَنَا أَثْبِتُ كُرْسِيَّ مَمْلَكَتِهِ إِلَى الْأَبَدِ أَنَا أَكُونُ لَهُ أَبًا وَهُوَ يَكُونُ لِي ابْنًا]<sup>(2)</sup>.

انتشار أفكار مذهب التبنوية: عرفت هذه العقيدة تطورًا كبيرًا في نهاية القرن الثاني وتمّ التبشير بها في روما من طرف ثيودوتوس الدباغ (Théodote le Corroyeur) القادم من بيزنطة للدفاع عن فكرة وجود بنوة إلهية رمزية لا غير أيّ أمّا ليست حقيقة، ويقول: " إذا كان الآب شخص والابن شخص آخر، إذا كان الآب إله والمسيح إله، إذا لا يوجد إله واحد بل اثنان: الآب والابن". حيث تعود دائمًا مشكلة اتحاد يسوع-الإله في إطار التوحيد الخالص<sup>(3)</sup>.

رغم حرمان الدباغ من طرف فيكتور الأول (Victor I) أسقف روما إلا أنّ مشكلة الثيودوسيوسيين لم تنته، فقد تمّ الدفاع عن فكرة التبيّي من طرف Théodore آخر -معروف بـ le Banquier- الصّيرفي، ثم من طرف أرتيمون (Artémon) في القرن الثالث، فالأرتيمونيون ينكرون أيضًا الألوهية الأصلية ليسوع، لأنهم يرون بأنّ الله ليس له بداية كما يقولون، عكس يسوع الذي كانت له بداية (بدايته كانت بولادته) وهذا دليل على أنه ليس إله<sup>(4)</sup>.

ولقد تمّ إدانة هذا الموقف في مجمع عقد بأنطاكيا سنة 216م، رغم ذلك ظلّ الحديث عن فكرة التبيّي على الأقل حتى القرون الوسطى، فمثلًا في نهاية القرن الثالث قام أسقف أنطاكيا بولس السميساطي (Paul de Samosate) بالدفاع عن عقيدة التبيّي، وتمّ إبعاده من منصبه سنة 268م وأجبر على إنهاء مهامه مرغمًا واحتجز في منزل الأسقفية ولم يوافق على التخلّي عنه إلا بعد أربع سنوات، أمّا بالتسبة لإدائته فقد تسببت في انشقاق أدى إلى جمع المزيد من المؤمنين في وقت انعقاد مجمع نيقية سنة 325م<sup>(5)</sup>.

(1) أعمال الرّسل 2: 36.

(2) صموئيل الثاني 7: 13-14.

(3) Frédéric Lenoire, p131.

(4) Ibid, p131.

(5) Ibid, p131-132.

## الفصل الثالث: صورة المسيح خلال القرنين الثاني والثالث.

الدِّفاع عن يسوع، إنسان وإله في نفس الوقت: في مواجهة إنكار ناسوت يسوع من جهة ولاهوته من جهة أخرى يذكر لونوار أنّ لاهوتيي الكلمة مجبرين على بذل مجهود أكبر لتبرير أطروحة "تجسد المسيح"، حيث يؤكّد إيريناوس قائلاً: "إذا كان يسوع لم يولد، فهو لم يمت، وإذا لم يمت، فهو لم يقيم من بين الأموات"، لكن أليست القيامة أساس الإيمان المسيحي؟ يسوع لم يتظاهر أنّه مرّ بواسطة مريم العذراء لقد استمدّ منها جسده، وقد أكّدها أغناطيوس الأنطاكي: "يسوع المسيح من نسل داوود [ابن] مريم الذي ولد حقاً الذي أكل، وشرب، والذي اضطهد حقاً في عهد بلاطس البنطي، والذي صُلب حقاً ومات وقام حقاً من بين الأموات".

من الصّعب الإصرار بشكل أكبر على بشرية يسوع! لأنّ تحدّي هؤلاء المفكرين أمر صعب، فإذا لم يتحد المسيح بشكل ملموس مع حالة الإنسان، فإنّه لا يستطيع خلاص البشرية، التجسد استهمل تضامناً مهمّاً بين جسد يسوع المنزّه وجسد بقية البشر الفاسد<sup>(1)</sup>.

**الميلاد العذراوي ودوره في تأكيد تجسد يسوع:** للزّد على أصحاب فكرة التبيّي يذكر لونوار بأنّ آباء الكنيسة سعوا إلى إظهار يسوع كإله كامل منذ لحظة الحمل به<sup>(2)</sup>، ولتأكيد ذلك تمّ استغلال موضوع ولادته من عذراء بشكل كبير، وتطوّر كما رأينا في إنجيلي متى ولوقا<sup>(3)</sup>، وقد أثارت ولادة يسوع المسيح العجائبية قلماً في نفوس بعض المسيحيين لأنهم يتعرّضون للسخرية من طرف اليهود الوثنيين الذين يرون ذلك مجرّد هراء. ونجد أنّ سيلسوس لا يتوانى عن تقديم نظرتة حول المسألة فيقول: "مريم

(1)Frédéric Lenoire, p132-133.

(2) خلال حياة المسيح لم يفكر أحد قط من التلاميذ في موضوع ألوهية المسيح وقد قبل التلاميذ المسيح كإنسان وليس إله وقد اكتسب عطفهم واعجابهم واحترمتهم أيضاً. أنظر: بترسن سميث: حياة يسوع (سيرة المسيح الشعبية)، تر: حبيب سعيد، (دط، جمعية نشر المعارف المسيحية، مصر، 2000م)، ص32-33.

(3) تتساءل كيف عرف وأذيع سر ميلاد المسيح الإعجازي؟ لا شك أنّ مريم أم المسيح هي التي أخبرت التلاميذ بعد وفاة السيد المسيح بهذا السر، لأن جميع الدلائل تشير إلى جهل التلاميذ والمسيحيين الأوائل بهذا الميلاد الإعجازي أثناء حياته، لم يفكر أحد قط من التلاميذ في هذا الموضوع، ولقد ورد في إنجيل يوحنا أنّ يوحنا التلميذ المحبوب قد استضاف السيدة مريم حتى توفيت (وذلك بعد وفاة المسيح) فكيف لم تحبر السيدة مريم يوحنا بسر الميلاد العذراوي وهي تعيش معه في منزل واحد، تقول أيضاً بعض الآراء المسيحية أنّ يوحنا ومرقس قد علما بهذا الميلاد العذراوي ولكنهما لم يسجلها في إنجيلهما لعدم إيمانهما به. والأرجح هو أنّ يوحنا (تلميذ المسيح) ليس هو محرر الإنجيل المنسوب إليه، وأن كاتبه الحقيقي لم يعلم بهذا الميلاد الإعجازي لصاحب الرسالة. وسواء علم مرقس ويوحنا وبولس بالميلاد ولم يؤمنوا به وتجاهلوه أم لم يعلموا به فهذا يشير إلى غياب الوحي عند تحرير الإنجيل. أنظر: بهاء النحال: تأملات في الأناجيل والعقيدة، (ط2)، دار الكتاب الجامعي الزقازيق، مصر، 1994م)، ص123-124.

## الفصل الثالث: صورة المسيح خلال القرنين الثاني والثالث.

وجدت حبلى بالزّنا من جندي روماني يدعى بانديرا(Panthère) ثم أرسلها يوسف إلى مصر وولدت هناك سرّاً، تعلّم يسوع هناك بعض القوى السّحرية أثناء شبابه وعاد إلى الجليل فخوراً بنفسه حتى ادعى أنّه الإله..."(1).

يعترف المدافع يوستينوس بأنّ المفهوم العذراوي "أمر غير معقول ومستحيل بالنّسبة للبشرية" ورغم أنّ هذه المسألة تشكّل عقبة أمام مصداقية الإيمان المسيحي -والذي مازلنا نراه حتى يومنا الحالي- إلا أنّ اللاهوتيين يسعون دائماً إلى تأكيدها، لأنّها تسمح باختلاط طبيعتي يسوع الأساسيتين: الجسد البشري من خلال مريم والإلهي من خلال الروح القدس. وهنا مرّة أخرى ظهرت كتابات أبوكريفية أخرى تمجّد الميلاد العذراوي ليسوع، وهذا هو الحال مع إنجيل يعقوب الأوّل أو التّمهيدي والمسمّى أيضاً ميلاد مريم، فهذه القصّة التي نسبت إلى يعقوب أخ يسوع المسيح تسمح للقارئ بفهم أفضل لسر تجسّد يسوع في العذراء مريم، ورد في الإنجيل ما يلي: [لجأت إلى مغارة وولدت مريم يسوع بمساعدة قابلة التي تعرّفت على الفور على الصّفات الميسانية للمولود الجديد، وعند خروجهما من المغارة شاركت هذا الميلاد المعجزي مع امرأة تسمى سالومي غير مؤمنة التي قالت لها: "صحيح أنّ الرّب إلهي حي، لكن إن لم أضع أصبعي لأتفحصه فلن أوّمن أنّ العذراء قد ولدت"، واقتربت المرأتان إلى الشّابة التي ولدت لتوّها وقالتا لها: "هَيْي نفسك يا مريم، لأنّ الذي حدث لك ليس أمراً هَيْناً"، ومدّت سالومي إصبعها إلى يسوع وصرخت قائلةً كما يذكر النّص: "ويل لكفري وظلمي، لأنّي جرّبت الإله الحي، وها الآن يدي تحترق بالنّار وتسحب منّي" أخذت الطّفّل بين ذراعيها وأعلنت: "سأعبده لأنّه هو الذي وُلد ملكاً لإسرائيل" وخرجت من المغارة وشفيت](2) كانت مريم عذراء قبل أثناء وبعد الولادة، ولكن رغم هذا يبقى يسوع إنسان فالنّص يصّر على أنّ يسوع بمجرّد ولادته بدأ بالرضاعة(3).

الموناركية (الملكية) والمودالية(الشكلانية) Monarchianisme et modalisme: من

بين الفرق الأخرى التي كانت لها نظرة مختلفة عن شخص وهوية يسوع تلك المسماة الموناركية، حيث

(1)Frédéric Lenoire, p 133.

(2)Ibid, p 133-134.

(3)Ibid, p134.

## الفصل الثالث: صورة المسيح خلال القرنين الثاني والثالث.

يذكر لونوار أنّ السؤال عن علاقة الآب بالابن أدّى إلى ظهور الكثير من الرؤى فمثلاً في السنوات الأخيرة من القرن الثاني في "سميرنا" يعتقد القسّ نيتوس (Noët) بأنّ الآب وحده موجود، وهو الذي صار جسداً في العذراء مريم، وهو الذي صلب وكلّ ذلك تحت اسم يسوع الذي سيكون مجرّد هويّة خيالية (وهمية). وما دفع نيتوس إلى القول بهذا هو كيفية الحفاظ على التّوحيد الخالص، فوجود الابن يؤدّي إلى (Dithéisme) الثنائية (وجود إلهين) ووجود الرّوح القدس يؤدّي إلى التثليث، وهذا الأمر لا يمكن تصوّره حسب نظر نيتوس الذي يعدّ مدافعاً عن "موناكية إلهية" مقدّسة، ويرى بأنّ يسوع شكل من أشكال عمل الله في العالم ونفس الأمر بالنسبة لروح القدس.

رغم إدانة أفكار نيتوس من طرف أساقفة سميرنا إلا أنّ أفكاره وجدت مرجعاً لها في إنجيل يوحنا: [في البدء كان الكلمة، والكلمة كان عند الله، وكان الكلمة الله]<sup>(1)</sup>، ولكن كما يشير الكاتب (Michel Théron): كيف يمكن للمرء أن يكون مع شخص ما ويكون هو ذلك الشخص في نفس الوقف؟ من المؤكّد أنّ هذه العبارة تثير آلاف التّحمينات<sup>(2)</sup>.

يواصل لونوار ذكر أهمّ الشّخصيات الذين كان لهم موقف ورأي عن هوية يسوع قائلاً: في الواقع لم يكن نيتوس الوحيد الذي طرح هذا السؤال، ففي شمال إفريقيا وفي روما آمن براكسياس (Praxéas) -في بداية القرن الثالث- بوحدة إلهية ويعتقد أنّ الآب الابن والرّوح القدس يشكّلون شخصاً واحداً، لأنّه لا يوجد إلاّ شخص واحد في الله. وقد قارن هذه الظاهرة بظاهرة الشّمس: الجوهر الواحد (الآب) الذي يتجلّى للبشر على شكل نور (الكلمة) والحرارة (الرّوح القدس)<sup>(3)</sup>.

تفنيده عقيدة براكسياس: يذكر لونوار أنّ ترتليان خصّص أحد مؤلّفاته لتفنيده هذه النّظرية تحت عنوان: "ضد براكسياس Contre Praxéas" سنة 213م، يتّهم فيه براكسياس بأنّه قد قدّم خدمة مزدوجة للشّيطان في روما، حيث نحى وطرّد التّبوة وجلب الهرطقة، وقد اضطرّ البارقليط أن يهرب وصلب الآب، إلا أنّ ذلك لم يمنع السبيليين (sabelliens) في بداية القرن الثالث من الاعتراف

(1) يوحنا 1: 1.

(2) Frédéric Lenoire, p135.

(3) Ibid, p136.



## الفصل الثالث: صورة المسيح خلال القرنين الثاني والثالث.

بأفكار متطابقة إلى حد كبير، فالله هو المبدأ الوحيد الذي تجلّى في ثلاثة أشكال: كآب في وقت خلق العالم، كابن عندما تجسّد في يسوع وكروح من خلال حلول الرّوح القدس في تلاميذ المسيح، لكنّ عقيدة سابليوس (Sabellius) أُدينَت من طرف أسقف روما سنة 220م لكنّها ظلّت إلى غاية القرن الرابع تسمّى العلاقة بين اللاهوتيين الغربيين -الذين يؤمنون بوحدة جوهر الآب والابن والرّوح القدس- والحكماء الشّرقيين الذي يصرون على التّمييز (التّفريق) فيما بينهم.

باتريباسيان (الأبوية-صالبوا الآب)<sup>(1)</sup> **les patripassiens**: دائماً في مسار الموناركية ظهر مذهب (les patripassiens) (من اللّاتينية، *pater*: الآب، *passus* الذي عانى) يعتقد أتباعه بأنّه إذا كان الله هو يسوع المسيح فقد عانى وتألّم على الصّليب، أمّا في نظر معارضيهم هي فكرة وهمية فهم يرون أنّه ليس من المعقول أن يلق الله عذاب العبيد، وكيف يمكن للإله أن يعانى؟<sup>(2)</sup>، لقد جذبت أفكار اللاهوت الموناركي الكثيرين بمن فيهم زيفرينوس (Zéphyrin) وكاليسستوس (Calliste I) أساقفة روما في القرن الثالث، إلّا أنّها لم تتمكّن من فرض نفسها لأنّها والمودالية مشكلتهما تتمثّلان في أنّهما تميلان إلى نحو شخصية يسوع الخلاصية الذي هو أساس خطة الخلاص<sup>(3)</sup>

**التبعية Le subordinatianisme**: لمواجهة خطر الموناركية، يذكر لونوار بأنّ لاهوتيي الكلمة أكّدوا على وجود فرق بين الآب والابن والرّوح القدس، حيث يشرح ترتليان مشيراً إلى أنّ الله موجود منذ الأزل في وحدانيته المطلقة ولكن يحمل في داخله الكلمة-الابن الذي يُعتبر شخصاً في حد ذاته، ومن الابن انبثق الرّوح القدس الأقوم الثالث، هؤلاء الثلاثة يشكّلون الثالوث، وقد ذكر الكاتب أنّ ثاوفيلوس الأنطاكي (Théophile) (حوالي 180م) استعمل من قبل المصطلح اليوناني *trias* (ثلاثة) بمعنى "الثالوث"، وعليه يُعدُّ ترتليان أوّل عالم مسيحي استخدم هذا المصطلح -الذي لا يظهر في العهد الجديد- باللّاتينية، ولكنّ التّثليث في نظره لا يمنع وحدة الجوهر: هو يستخدم استعارة الجذر الذي يعطي الفرع والتي تنتج الثمار، أمّا بالنسبة له باختصار، الآب، الابن، والرّوح القدس من نفس الجوهر ولكن

(1) لقد أنكر أتباع هذا المذهب التّمييز بين الأقانيم الثلاثة الإلهية ويعلمون أنّ الآب والابن والرّوح القدس واحد وظهر على الأرض وتألّم فوق الصّليب. أنظر:

Églises réformées de france et de suisse, confessions de foi, (Montpellier, France 1927), P30.

(2)Frédéric Lenoire, p136.

(3)Ibid, p136-137.

## الفصل الثالث: صورة المسيح خلال القرنين الثاني والثالث.

ليس أقنوم واحد (جوهر بثلاثة أقانيم) (طبيعتين وشخص واحد)، ويستخدم ترتليان المصطلح اللاتيني: "*consubstantialem*" "*consubstantiel*" بالفرنسية ليعبر عن فكرة: "من نفس الجوهر": وهي الترجمة اليونانية لهذا المصطلح "*homoousios*" التي هي أصل الجدالات التي ستطرح في القرن الرابع<sup>(1)</sup>.

يؤمن أوريجانوس بأن الآب مصدر كل شيء لأنه الوحيد الذي لم يولد، وهو الذي ولد الابن الذي هو من الآب، إذاً هو أيضاً إله، والروح القدس من جانبه أيضاً مصدره الأول الآب من خلال الابن، "الله السامي وغير المفهوم ولد ابناً أزلياً على صورته، ولكن الصورة أدنى، واحد ومتعدد في نفس الوقت، مفهوم وغير مفهوم"، بهذا فإن معلم الإسكندرية يغامر على أرض زلقة ويتحمل ذلك كلفة بقوله: "نحن لا نمارس وساوس التأكيد، في معنى هناك إلهان، وفي معنى آخر إله واحد" يقول بكل جرأة مما أثار غضب الآباء الغربيين الذين رفضوا أفكاره- في مجمع القسطنطينية الثاني سنة 553م وأدينت مذكراته بشكل صريح

بغية التوفيق بين التوحيد والتفريق بين الأقانيم الثلاثة للثالوث، يذكر لونوار بأن لاهوتية الكلمة يميلون إلى التبعية: أي الآب وحده هو مصدر الألوهية في حين أن الابن ومعه الروح القدس أدنى منه، يسوع يظهر كخادم الآب، وهذه الرؤية متطابقة مع رؤية الأناجيل السينوبتية التي تحافظ على مسافة وتسلسل النسب بين يسوع وأبيه<sup>(2)</sup>.

**مصير الاختلافات حول هوية يسوع:** ستختفي التبعية عند كل من ترتليان وأوريجانوس وتصبح أكثر تطرفاً في النصف الثاني من القرن الثالث، ومع ديونيسيوس الإسكندري -من خلال خصومه الموناركية- أكد أن الابن ليس من جوهر الآب وهذا المبدأ ستكون له تداعيات في القرن الرابع خلال الأزمة الأريوسية<sup>(3)</sup>.

رغم الجهود المبذولة لمحاولة تبسيط وتوضيح العلاقة بين الآب والابن والروح القدس، العلاقة بعيدة من أن تكون مقبولة لدى الغالبية، ووجدت صيغ أقل غموضاً بين أتباع الكلمة!، ويمكن أن نقرأ

(1)Ibid, p137.

(2)Ibid, p138.

(3)Ibid, p138.

## الفصل الثالث: صورة المسيح خلال القرنين الثاني والثالث.

في كتابات اكليمنت الإسكندري أن: " الابن أيضًا يسمّى "الكلمة" نفس الاسم مع "كلمة" الآب، ولكن ليس هو من صار جسدًا، ليس كلمة الآب بتاتًا ولكن قوّة الله، نوع من الانبثاق من كلمته التي أصبحت ذكاءً يسكن قلوب البشر<sup>(1)</sup>.

أمّا بالنسبة لإنجيل الراعي هيرماس<sup>(2)</sup> (Hermas) وهو نصّ جُمع في روما حوالي سنة 140م في ظروف غامضة، يدّعي أنّ الابن إنسانٌ جعلته مزاياه يستحقّ أن يتّحد مع روح الله، وفي موضعٍ آخر يعتبر الابن ملاكٌ مجيد. رغم غرابة تلك الأدلّة إلا أنّ ذلك لم يمنع بدمج النصّ لفترة في الكتب القانونية للعهد الجديد.

وأخيرًا يذكر بعض المؤلّفين مثل: لاكتانتوس (Lactance) حوالي 250-325م الآب والابن فقط وهمشوا الروح القدس نوعًا ما، وجعلوا من الشيطان الابن الثاني للإله سقط بسبب خطيئته!. الجدالات الكرسولوجية والثالوثية غامضة جدًا لدرجة أنّه يمكن لأيّ اختلاف في اللّغة أن يتسبّب في انزلاق عند التنبوية والموناركية والتبعية، وحتى بالنسبة لأولئك الذين لا ينتمون إلى هذه التيارات، فلقد كان القرنان الثاني والثالث في الحقيقة بداية الحقبة اللاهوتية<sup>(3)</sup>!

من خلال ما سبق يتبيّن أنّ الجدالات حول هوية يسوع المسيح مازالت قائمة والاتفاق على رأي واحد أمر صعب جدًا، وهذا ليس فقط مع المسيحيين الذين ينحدرون من أصول وثنية بل هناك مسائل أخرى طرحت بين أتباع المسيحية المنحدرين من أصول يهودية، حاولوا من خلالها إيجاد حل لقضية هوية يسوع الذي جاء منهم وإليهم، وهذا ما سنراه في المبحث القادم.

(1)Ibid, p139.

(2)ينتمي هذا الكتاب إلى فئة الكتب الرؤيوية المنحولة وهو عبارة عن كتاب يضمّ مجموعة من الرؤى أعطيت لهرماس في روما بواسطة إثنين من الكائنات السماوية الأولى كانت امرأة مسنة والثاني كان ملاكًا في صورة راعٍ ومن هذا الأخير أخذ اسمه. أنظر: جوهانس كواستن: علم الآبايات "بارتولوجي"، تر: أنبا مقار(ط1، مركز باناريون للتراث الآبائي، مصر الجديدة، 2015م، ج1)، ص98.

(3)Frédéric Lenoire, p139.

## الفصل الثالث: صورة المسيح خلال القرنين الثاني والثالث.

المبحث الثالث: الخلافات بين المسيحيين-اليهود.

انتشرت المسيحية في الأراضي الوثنية كما رأينا بشكل كبير وتمكّنت من التكيّف مع لغة ونمط التفكير في الثقافة اليونانية-الرومانية ولكن في ظل هذا التحوّل، ماذا سيحدث للمسيحيين الذين هم من أصل يهودي؟ هذا ما سنتعرّف عليه في عناصر هذا المبحث:

المطلب الأوّل: انقسام اليهود-المسيحيين بين الكنيسة والمعبد وظهور عدّة فرق.

من المفارقات أن يجد المسيحيون الذين هم من أصل يهودي أنفسهم في صف الأقليات يشكّلون كنيسة صغيرة هشّة ومعزولة إلى جانب الكنيسة العظمى التي تسعى إلى فرض نفسها، ولكن رغم ضعف الكنيسة وقلة أتباعها إلا أنّ ذلك لم يمنع ظهور اختلاف عقدي، فأتباع هذه الكنيسة الصّغيرة لم يكونوا على رأي واحد أكثر من الكنيسة العظمى وظهرت بينهم عدّة فرق تحاول هي الأخرى فرض نفسها باعتبارها المحافظة على تعاليم يسوع.

يذكر لونوار أنّه بعد العودة من السّبي البابلي قبل خراب الهيكل سنة 70م، رأى اليهود-المسيحيون تدهور حالتهم والتي أصبحت شيئاً فشيئاً حرجة جدّاً حيث رأوا أنفسهم في دوامة كبيرة: هل يذهبون إلى المعبد اليهودي (الذي كان يسوع نفسه يتردّد إليه) أم إلى الكنيسة الناشئة، فهم لا يعرفون أين يتّجهون (1).

ولقد أظهر اليهود الفريسيون عنفاً كبيراً ضدّهم وهو ما دلّت عليه صلاة معبدية تُتلى يومياً بعنوان: "مباركة الهراطقة (Birkat ha-Minim) التي تعدّ لعنة في الحقيقة!" ومضمونها: "ليختفي الناصريون والهراطقة في رمشة عين، ليُمحوا من كتاب الأحياء ولا يدرجوا مع الصّالحين، مبارك أنت أيّها الرّب الذي يقهر الوقحين!" (2).

كان اليهود-المسيحيين يتلقون معاملة سيّئة من طرف الفرّسيين وكذلك من طرف المسيحيين الذي هم من أصل وثني، وتظهر العديد من الكتابات التي تبين توتر العلاقات بين المسيحيين واليهود بدءاً من إنجيل يوحنا (3) الذي يدمّمهم ويتهمهم بالشّرور طوال الوقت، وقد اعتبر البعض كتاب يوحنا

(1)Frédéric Lenoire, p141.

(2)Ibid, p142.

(3) رغم أنّ كاتب إنجيل يوحنا من أصل يهودي، لكن الكتاب كتب إلى جماعة مفتوحة من الوثنيين.

## الفصل الثالث: صورة المسيح خلال القرنين الثاني والثالث.

أحد أقدم المصادر المسيحية المعادية لليهودية، وهو ما يؤكده الحوار مع تريفون " Dialogue avec Tryphon"<sup>(1)</sup> المؤلف حوالي 150م من طرف يوستينوس الشهيد الذي يتهم الحاخام تريفون بأنه لم يفهم شيء عن دينه.

كما أنّ المسيحيين من أصل وثني لا يفهمون عناد اليهود-المسيحيين في استمرارهم باحترام الاحتفالات اليهودية، حيث يقول أغناطيوس الأنطاكي: "من السخيف الحديث عن يسوع المسيح وإقامة الشعائر اليهودية، لأنه ليست المسيحية من تؤمن باليهودية، ولكن اليهودية هي من تؤمن بالمسيحية"<sup>(2)</sup>.

في ظلّ هذه الأوضاع كان الانزواء يهدّد المسيحيين من أصل يهودي، خاصةً وأنهم فشلوا في الوصول إلى رؤية موحّدة حول شخص يسوع المسيح<sup>(3)</sup>، وبالتالي ظهرت العديد من الفرق وأخصّ بالذكر ما ذكرهم لونوار في كتابه كما يلي:

**التّاصريون (يسوع إنسان وإله) Les nazaréens:** ذكر لونوار أنّ من اليهود-المسيحيين الأقرب إلى الطائفة التي طوّرتها الكنيسة المسماة "كنيسة الأمم" هم التّاصريون بلا شك ، لأنهم كانوا يعترفون بناسوت ولاهوت المسيح بدون أي مشكلة، لكنهم كانوا متردّدين من التجمّع مع المسيحيين من أصل وثني - يتقبّلونهم في صفوفهم بشرط الالتزام عاداتهم - بحجّة ارتباطهم العميق بطقوس الظاهرية الموسوية: السبت، الأعياد اليهودية، الختان، بينما يرفضون القرابين الدّموية واستهلاك اللحوم، التزام يبررونه بما ورد في إنجيل متى: [«لَا تَطْنُوا أَنِّي جِئْتُ لَأَنْقُضَ النَّامُوسَ أَوْ الْأَنْبِيَاءَ، مَا جِئْتُ لَأَنْقُضَ بَلْ لِأَكْمَلْ، فَإِنِّي الْحَقُّ أَقُولُ لَكُمْ: إِلَى أَنْ تَزُولَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ لَا يَزُولُ حَرْفٌ وَاحِدٌ أَوْ نُقْطَةٌ وَاحِدَةٌ مِنَ النَّامُوسِ حَتَّى يَكُونَ الْكُلُّ، فَمَنْ نَقَضَ إِحْدَى هَذِهِ الْوَصَايَا الصَّغْرَى وَعَلَّمَ النَّاسَ هَكَذَا، يُدْعَى أَصْغَرَ فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ، وَأَمَّا مَنْ عَمِلَ وَعَلَّمَ، فَهَذَا يُدْعَى عَظِيمًا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ»]<sup>(4)</sup>، كما قال يسوع<sup>(1)</sup>.

(1) انظر: أنظر: القديس يوستينوس الفيلسوف والشهيد: الدّفاعان والحوار مع تريفون ونصوص أخرى(التّصوص المسيحية في العصور الأولى)، مصدر سابق.

(2)Frédéric Lenoire, p142.

(3)Ibid, 142-143.

(4) متى 5: 17-19.

## الفصل الثالث: صورة المسيح خلال القرنين الثاني والثالث.

ينظر الناصريون إلى أنفسهم على أنهم خلفاء التلاميذ الأوائل ليسوع الذين حافظوا على اللقب وكنيسة أورشليم، قرأوا الكتابات اليهودية بالعبرية، وكذا الكتابات المسيحية، بالإضافة إلى إنجيل خاص بهم يسمّى: "إنجيل العبرانيين"، كتب باللغة الآرامية والذي لم تصلنا منه سوى بعض الأجزاء.

**انتشار الطائفة:** استمرّ تواجد الناصريين إلى غاية القرن الرابع في بفيريا Bérée (حلب حاليًا) بسوريا بالقرب من بيلا Pella بالديكابولس Décapole و Basanitide (جنوب شرق دمشق)، ثمّ اختفى الناصريون تدريجيًا دون أن يعرف أحد بالضبط ماذا حلّ بهم<sup>(2)</sup>.

**الأبيونيون Les ébionites<sup>(3)</sup>:** إذا كان الناصريون يظهرون بأنهم مقرّبين في كريستولوجيتهم من مسيحيي الكنيسة العظمى، فلن يكون الأمر كذلك بالنسبة لجماعة يهودية-مسيحية أخرى تسمّى: جماعة الأبيونيين، التي جاء اسمهم من العبرية *ebyônim* أي "الفقراء"، حيث يميّز أتباعها بالزهد الملحوظ، ويحتفلون بالأفخريستيا مرّة واحدة في العام بالخبز الخالي من الخميرة والماء -النبذ محظور- ويستثنون اللحوم من نظامهم الغذائي، أمّا فيما يتعلّق بالجنس، يستنكرون العقّة والعذرية ويدعون الجميع إلى الزواج، يُفترض أنّهم ينحدرون من تيار الناصريين وبرزوا أكثر في بداية القرن الثاني عندما فُرِضت عقيدة حمل العذراء بيسوع على بعض اليهود المسيحيين<sup>(4)</sup>.

يتبنّى الأبيونيون آراء مختلفة عن يسوع: فهو بالنسبة لهم إنسان ولد من يوسف ومن مريم (التي لم تكن عذراء)، أي بعبارة أخرى يرفضون الأفكار الخارقة لولادة الجليلي وأزليته (وجوده السابق)، فهم لا يرون فيه ابن الله ولكن نبيًا ارتقى إلى رتبة مسيح يوم تعميده (نرى هنا تقارب مع التبنوية) ويعتبرونه "نبي الحق" الذي قدّم كتجسيد لآدم جديد يقود معركة مستمرة ضد الشيطان.

(1)Ibid, p 143.

(2)Frédéric Lenoire, p143-144.

(3)يعرّف المؤمنون بالتثليث أنّ الأبيونيين اسم يطلق في أوائل الكنيسة على كلّ المسيحيين الذين كانوا يتمسكون بآراء اليهود وأعمالهم ويشكّ في أصلهم، وقد ذهب ترتوليانوس أنّ الذي أسّس هذه الشّعبة هو أيون الذي كان يهوديًا سامريًا معاصرًا ليوحنا وقد بقيت هذه الطائفة حتى القرن الرابع متحدّين في أعمالهم مع طائفة الناصريين، وكان تعليمهم مزيجًا من اليهودية والتّصراية وكانوا يقبلون العهد القديم بتمامه ويرفضون العهد الجديد مستعينين بإنجيل آخر مؤسس على الحوادث المدرجة في إنجيل متى يعرف بين المسيحيين الأوائل بإنجيل العبرانيين. أنظر: بطرس البستاني: كتاب دائرة المعارف، (دط، مطبعة المعارف، بيروت، 1877، ج2)، ص426.

(4)Ibid, p144.



## الفصل الثالث: صورة المسيح خلال القرنين الثاني والثالث.

لقد عارض الأيونيون بشدة القرايين الدّموية - يرون وجوب إلغاء هذه الطّقوس القاسية التي حاربها "نبي الحق" - حيث قاموا باستبدالها بطقوس مائة وهذا بالوُضوء باستمرار بهدف استعادة النّقاء الباطني خاصة بعد الاتصال مع شخص غريب أو مع امرأة، من ناحية أخرى فهم مثل النّاصريين ظلّوا متمسّكين بشعائر الشّريعة اليهودية<sup>(1)</sup>.

لم يتوقّف آباء الكنيسة من إيريناوس إلى أوريجيناوس وبعدهم إبيفانيوس إلى جيروم عن إلقاء الحجارة على الأيونيين، - وكان معلّم الإسكندرية الذي يراهم "فقراء" ليس بالمعنى الذي يطلقونه على أنفسهم ولكن بمعنى "فقراء في الذكاء والتّفكير" لأنّ رؤيتهم ليسوع لا تقتصر فقط على كونها نقيضاً للإيمان الذي حدّده هؤلاء اللاهوتيون، بل يتعدى الأمر إلى كتاباتهم، فلقد احتجّ إرينيئوس أسقف ليون على أولئك الذين يرفضون كتابات بولس - وهذا ليس مفاجئاً نظراً لخبث الرّسول الذي أراد إلغاء الشريعة الموسوية والدّعوة إلى الانفتاح على الوثنيين بحسب اعتقاد الأيونيين -.

**كتب الأيونيين:** يفضّل الأيونيون إنجيل متى والكتاب الخاص بهم، والذي لم يحتفظ سوى بأجزاء قليلة منه، أمّا بالنسبة للكتاب المقدّس العبري فلا يستخدمونه إلّا بعد حذف المقاطع التي تخالف اعتقاداتهم خاصة تلك المتعلّقة بتقديم القرايين في الهيكل<sup>(2)</sup>.

**انتشار الأيونية:** كانت الجماعات الأيونية منتشرة في منطقة بيلا وفي مناطق مختلفة من الإمبراطورية الرّومانية الشّرقية وبشكل قليل في روما، حيث عاشت المجتمعات الأيونية الصّغيرة على الأقل حتى القرن السّابع.

في القرن التّاسع عشر خصّص بيير لاروس Pierre Larousse في قاموسه الموسوعي الكبير (Grand Dictionnaire encyclopédique) ملخصاً بيدي فيه استيائه من معتقداتهم غير القويمة قائلاً: "إنجيل الأيونيين لا يحتوي لا على سلسلة الأنساب الذي يبدأ به إنجيل متى، ولا قصّة حمل مريم المعجزية، ولا قصّة مجيء الجوس للسّجود للمولود الجديد، يتساءل بيير لاروس: هل كان من الممكن أن تكون الأحداث المروية في أناجيلنا خاطئة لكي يتمّ التشكيك في صحتها في وقت مبكّر؟

(1)Ibid, p144-145.

(2)Ibid, p145.

## الفصل الثالث: صورة المسيح خلال القرنين الثاني والثالث.

يسوع الملاك: الكسائية أو إلكساية<sup>(1)</sup> Les elkasaites تم وصف الطائفة الثالثة والأخيرة من المسيحيين-اليهود من طرف إبيفانوس أسقف سلاميس في القرن الرابع كما يلي: "ليسوا مسيحيين ولا يهود ولا يونانيين، ولكن شيء بين الثلاثة، وفي العمق ليسوا بشيء"، هذه صورة تحقيرية إلى حد ما للكسائية التي جاءت من اسم مؤسسها -المفترض- إلكسيا أو إلكساي(Elkasai) وهو اسم يحمل رمزية قوية وذلك لأنه يعني في اليونانية "القوة، السُلطة الخفية".

في القرن الثاني أسس هذا اليهودي من أصول الإمبراطورية الفرثية(Parthe) حركته في إيران، ويختلف عن ديانتته الأصلية باستبداله التضحيات الدموية-القربان الدموي- بالتعميد بالماء، فهذه الحركة لا تختلف كثيراً عن تعاليم الأيونية (التي من المحتمل أن تكون الكسائية قد انشقت عنها)، لكن الكسائيين يذهبون بعيداً في إيمانهم بالطابع الإعجازي للماء، حيث يخصّونه بنوع من التبجيل والتقدّيس، ومن هنا انتشرت ثقافة الغمس (تعميد-غطس) سواء بالنسبة للبشر (التي تسمح بعلاج أمراض مختلفة: السّل، داء الكلب، وحتى الجنون) أو بالنسبة للطعام الذي يجب أن يغمس هو الآخر، (بمعنى يغسل ويُخضع لطقوس معينة قبل استهلاكه)<sup>(2)</sup>.

بالنسبة للنظام الغذائي الخاص بالكسائيين يستوجب أيضاً شروطاً جد صارمة أهمها: أن يكون نباتياً، يمنعون المشروبات الكحولية -المخمرة- والأكثر من ذلك يقسمون الأطعمة إلى صنفين مؤسّسة

---

(1) وضح سفر أعمال الرسل أنه منذ السنوات الأولى كان هناك صراع بين اتّجاهين للكنيسة الأولى واجتمع أول مجمع لحل هذا الصراع الذي أصدر خطاب تسوية عرف ب: "المرسوم الرسولي" ولكن رغم ذلك فإنّ المسيحيين من أصل يهودي غير قادرين على تقبل فكرة الإزدواجية فتمّ تهميشهم من طرف اليهود لإيمانهم بالمسيح ومن طرف المسيحيين بسبب عاداتهم وطقوسهم الدينية، فظهرت على إثر ذلك عدّة فرق لا تؤمن بنفس الكريستولوجيا ولا بنفس العادات الموسوية في القرن الثاني بعد محاولة فاشلة في مجمع أورشليم لتوحيد المؤمنين بيسوع فظهرت ثلاث مذاهب يهودية مسيحية وأتباعها هم: الناصريون مسيحيون في معتقداتهم متمسكون بالعادات اليهودية، الأيونيين يعترفون بمسيانية يسوع لا بألوهيته، وأخيراً الإلكسايين لا يؤمنون بأنّ المسيح ابن الله ويؤمنون بالتوراة ويصلون تجاه القدس يرفضون الذّباح ولا يأكلون اللّحوم وربما هي السّبب في ظهور المانوية لأنّ ماني مؤسس الطائفة كان عضواً لمدة 24 سنة في أحضان المجتمع الإلكساي. لقد أعطى (Daniélou) المتوفى سنة 1974 ثلاث معانٍ لمصطلح "المسيحيون اليهود"<sup>1</sup>. الذين يؤمنون يسوع هو المسيح وليس ابن الله<sup>2</sup>. مسيحيو أورشليم الذين اعترفوا بألوهية يسوع وظلّوا متمسكين ببعض العادات اليهودية<sup>3</sup>. فكر مسيحي صيغ في إطار الفكر اليهودي وتبيّن هذا الأخير الوثنيون الذين تحوّلوا إلى المسيحية. أنظر:

Guy-Raymond Sarkis : Un islam reconcilié avec les chrétiens arabes, (Walter de Gruyter GmbH, Berlin/Boston, 2022)P63-64.

(2)Frédéric Lenoire, p146-147.

## الفصل الثالث: صورة المسيح خلال القرنين الثاني والثالث.

على معايير اجتماعية، فيسمحون بتناول الخبز اليهودي، ويحظرون اليوناني، بالنسبة للخضراوات تقبل تلك التي زُرعت في بساتين تجمع أتباع الطائفة بينما تُحظر تلك التي تأتي من خارج بساتين الطائفة. على عكس الجماعات المسيحية-اليهودية الأخرى، فإن هذه الطائفة ترتبط بالباطنية بشكل ملحوظ حيث أنّ الكسائيين يحتفظون بتعليم: "الأسرار المقدسة" للتلاميذ الأكفاء والذين يرونهم أهل لذلك، وأكثر من ذلك يمارسون: العرافة، التنجيم، التعويذات، ويستخدمون عبارات السحرية، وقد تم استنكار بعض ممارساتهم من طرف الكنيسة العظمى. يذكر إبيفانيوس: [أنّ امرأتين ماراثانا (Marthana) ومارثوس (Marthus) اللتين زعمتا أنّهما ينحدران من هذه الطائفة تمّ تبجيلهما "كآلهة" وقد استخدم بلغمهما وفضلات أخرى من جسمهما كعلاج لبعض الأمراض]، -ولكن من المحتمل أنه اخترع هذه الاتهامات لتشويه سمعتهم - (الكاتب).

كريستولوجيا الكسائيين مستمدة من غالبية المسيحيين الذين هم من أصل يهودي، لأنهم يرفضون الاعتراف بألوهية المسيح ويعترفون بمسأنيته فقط، فهو في نظرهم يسوع آخر الأنبياء "خاتم النبوة"<sup>(1)</sup>.

بالنسبة للكسائية يسوع هو الملاك الذي يعد أصل كل الفضائل، وقد تناسخ من جسد إلى جسد، بدءاً من جسد آدم ليكتمل في جسد يسوع، وفقاً لعملية تسمى تناسخ: روح واحدة يمكنها أن تُحيي (تحرك) العديد من الأجسام على التوالي.

كل هذه النظريات غير الأرثوذكسية تمّ تطويرها في كتب خاصة بجماعتهم يسمى "رؤيا إلكيسا" - التي تلقاها مؤسس الطائفة عن طريق ملاك-، حيث يرفض الكسائيون بعض النصوص من العهد القديم وكذا العهد الجديد ويكرهون شخصية بولس.

**انتشار الطائفة الكسائية:** انتشرت الكسائية بقوة في الإمبراطورية الإيرانية - والتي كانت بلا شك أول صورة مسيحية معروفة هناك - وكانت حاضرة أيضاً في ذلك الوقت بشرق الأردن وفي الجزيرة العربية وفلسطين، وفي بداية القرن الثالث قام ألسيبيا (Alcibiade) من أفاميا (Apamée) (مدينة سورية) بنشرها في روما نفسها، وتعتبر حركة قوية استطاعت الاستمرار حتى القرن العاشر على الأقل<sup>(2)</sup>.

(1)Frédéric Lenoire, p 147.

(2)Ibid, p148.

## الفصل الثالث: صورة المسيح خلال القرنين الثاني والثالث.

لقد تعدّدت طوائف المسيحيين-اليهود بسبب اختلافهم حول شخص يسوع ورغم معرفتهم بالله والأنبياء إلا أنّ ذلك لم يمنع من ظهور فرق جرّدت يسوع من بشريته الكاملة. إضافة إلى الفرق المسيحية اليهودية التي حاولت الحفاظ على يهودية المسيح ظهرت شخصيات في حضن المجتمع المسيحي تؤمن بيسوع ولكن لا تؤمن بأصوله اليهودية ومن بين هذه الشخصيات التي احتفظ بها التاريخ نجد:

**مارقيون ورفض الأصول اليهودية ليسوع:** أثناء الجدل القائم بين المسيحيين الذين هم من أصل وثني وبين الذين هم من أصل يهودي، سيظهر رجل يتبني موقفًا متطرفًا ومعارضًا تمامًا لما كان منتشرًا، حيث ينكر صراحةً أنّ يسوع كان يهوديًا<sup>(1)</sup>، هذا الرجل هو مارقيون (Marcion) (حوالي 95-161م) من سينوب حيث الجسر على الساحل الجنوبي للبحر الأسود (تركيا حاليًا)، وقيل أنّه ابن أسقف وقد حرّمه والده بسبب اختلاف بينهما! هذا ما تناقلته الأسطورة على الأقل. يذكر لونوار أيضًا أنّ الحقائق التي وصلت بشأن هذا الشخص قليلة جدًا والسبب ضياع كتاباته، حيث كان مالك سفن عديدة (كان ترتليان خصمه المرعب يسميه ساخرًا: "قائد جسر") وكانت أعماله مزدهرة، ففي سنة 140م قرّر الذهاب إلى روما وقدم هبة كبيرة للجماعة المسيحية هناك، وفي سنة 144م أثار مجموعة من التصريحات صدمت كثيرًا ككلية القساوسة في المدينة والتي استحقّ الحرمان بسببها، ويبدو أنّ مرقيون أول مفكّر مسيحي يتعرّض لعقوبة مثل هذه لأسباب طائفية<sup>(2)</sup>.

**تعليم مارقيون:** ومن بين التصريحات التي أثارت غضب أساقفة روما هو إعادة قراءته مثال إنجيل لوقا: [وَلَيْسَ أَحَدٌ يَجْعَلُ خَمْرًا جَدِيدَةً فِي زِقَاقٍ عَتِيقَةٍ لِيَلَّا تَشُقَّ الْخَمْرُ الْجَدِيدَةُ الزَّقَاقَ، فَهِيَ تُهْرَقُ وَالزَّقَاقُ تَتَلَفُ بَلْ يَجْعَلُونَ خَمْرًا جَدِيدَةً فِي زِقَاقٍ جَدِيدَةٍ]<sup>(3)</sup>، وفقًا لمارقيون "الزقاق القديمة"

(1) مرقيون الذي هو من مُلاك السفن الأثرياء من مقاطعة بونتوس على البحر الأسود لم يفهم سوى فكرة واحدة هي أن الإله أو المسيح لم يكن يهوه إله العبرانيين، فهذا هو الإله الصانع. وقد كان مرقيون يقتبس دائمًا خطاب بطرس إلى أهل غلاطية ويبين الفرق بين قانون العهد القديم وقانون العهد الجديد. فمسألة حب الإله غير المشروط للإنسان التي وردت في إنجيل بطرس مسألة اكتسحت مرقيون تمامًا، فأسس كنيسة (مسيحية) منافسة للكنيسة القائمة حينذاك. أنظر: علي عبد اللطيف أبو سمعان: الماسونية واليهود في بناء الهيكل الموعود، (ط1، دار الكتاب الثقافي، 2010)، ص290.

(2) Frédéric Lenoire, p149.

(3) لوقا 5: 37-38.

## الفصل الثالث: صورة المسيح خلال القرنين الثاني والثالث.

هي كناية عن اليهودية في حين أنّ "الزّقاق الجديدة" تمثّل الجِدّة المطلقة في المسيحية، حيث وباختصار شديد يعتقد مالك السفن الثريّ بأنّه يجب على المؤمنين بيسوع محو الماضي وإنكار الجذور اليهودية لديهم<sup>(1)</sup>.

ترتكز رسالة المسيح على مجيء ملكوت الإله (إله اليهود ذاته)، إلّا أنّ مرقيون يرى أنّ إله العهد الأوّل-إله اليهود- ليس نفسه الذي يتحدّث عنه يسوع، ويؤكد ويحتج بأنّ إله العهد القديم إله غيّر ومُضطهد البشر ويعلن عن ذلك صراحةً في العهد القديم: [وخالق الشر]<sup>(2)</sup>، ويرى أيضًا بأنّه لا يمكن على أي حالٍ من الأحوال أن يكون ذلك الذي تحدّث عنه يسوع: الإله المحب ويكون ابنه، إله يسوع، إله الإيمان والصّلاح، نقيض الخالق (الديميورغوس: خالق الكون المادي) الناقص في العهد القديم "صاحب قانون الانتقام"<sup>(3)</sup>.

**كتابات مارقيون:** لمحو كل آثار اليهودية، قام مارقيون بعمل غير مسبوق يتمثّل في إعادة كتابة النصوص المقدّسة، وأوّل ما قام به هو استبعاد التّوراة العبرية الذي أطلق عليه تسمية: "العهد القديم" وشكّل مجموعة مسيحية أطلق عليها اسم: "العهد الجديد"، وبهذا يكون أوّل من أطلق هذه التسمية التي استخدمتها الكنيسة العظمى في وقت لاحق، وفي هذا العهد الجديد يحتفظ فقط برسائل بولس (باستثناء الرسائل إلى تيطس وتيموثاوس) وإنجيل لوقا باعتباره الأقرب من تعاليم رسول غير المختونين، وقام بحذف جميع الفقرات والعبارات التي تشير إلى دين يسوع الأصلي، وعلى سبيل المثال ما ورد في

(1) كان مرقيون في مطلع شبابه من أتباع الكنيسة القويمة ولكنه سرعان ما أخذ بصياغة عقيدته الخاصة المتلونة بالغنوصية والتي تسببت أخيرًا في حرمانه من الكنيسة عام 144م. ينطلق مرقيون في تفكيره من مبدأ الفصل التام بين العهد الجديد والعهد القديم، وكان معارضًا للطريقة المسيحية في تأويل العهد القديم لجعله متلائمًا مع العقيدة المسيحية، فاله العهد القديم بالتسبة إليه ليس الأب السّماوي الذي بشر به يسوع، بل هو الديميرج الذي صنع العالم المادي والناقص، وضع الإنسان أيضًا وفرض عليه الشريعة التي كانت بمثابة لعنة، وهو ليس أبًا ليسوع كما يعتقد المسيحيون القويمون، أما الأب السّماوي الذي يدعو مرقيون بالإله المتعالي والإله المجهول، فليس له علاقات بمجريات الأحداث في العالم لأنّه لم يكن صانعه، وهو لم يتدخل إلا بأن أرسل ابنه يسوع المسيح، الذي هبط من السماء إلى هذا العالم السقيم والثّافه، وصلب من أجل الإنسان الذي أحبه وأراد الخلاص، اعتمد مرقيون إنجيلًا خاصًا به ضم إنجيل لوقا فقط بعد تشذيبه من قبله، فقد حذف منه قصة ميلاد يسوع وسلسلة النسب التي تربطه بالملك داود، كما ضم إلى الإنجيل عشر رسائل لبولس الرسول، وبذلك كان مرقيون أوّل من وضع كتالوجًا معتمدًا للعهد الجديد. أنظر: فراس السواح: الوجه الآخر للمسيح-موقف يسوع من اليهودية مقدّمة في الغنوصية-، (دط، مؤسسة هنداوي، المملكة المتحدة، 2022)، ص 41.

(2) إشعيا 45: 7.

(3)Frédéric Lenoire, p150.

## الفصل الثالث: صورة المسيح خلال القرنين الثاني والثالث.

إنجيل لوقا: [وَكذلكَ الكأسَ أيضًا بَعْدَ العشاءِ قائلاً: «هذه الكأسُ هيَّ العَهْدُ الجَدِيدُ بِدَمِي الَّذِي يُسْفِكُ عَنْكُمْ»<sup>(1)</sup>] حذف كلمة "الجديد" لإنكار كل ما هو متعلق بإله العهد القديم، وحذف أيضًا الإصحاحات الأولى من إنجيل لوقا التي تعرض نسب يسوع، ميلاده، تعميده، وتجربته في الصحراء<sup>(2)</sup>.

ففي نظر مارقيون لم يفهم التلاميذ الاثني عشر ما علمهم يسوع، حيث أن بولس وحده فقط من كان قادرًا على فهم المغزى من رسالته، وإذا كان لدى الرسول بولس عبارات قاسية تجاه اليهود، فإن مارقيون كما نرى يفرض كتابه بشكل حاسم مكتملاً عهده الجديد بنظرياته الخاصة<sup>(3)</sup>.

ومن هنا أطلق ترتليان العنان لغضبه واصفًا إياه: "لا يوجد شيء همجي ومهلك في الجسر مثل ولادة مارقيون، إنه أكثر فظاعةً من المنجل، متقلب أكثر من البدو الرحل، وحشي أكثر من المساجيتيين (اتحاد قبلي للرحال الإيراني الشرقي)، وقح أكثر من الأمازوني، أكثر قتامة من الضباب، أكثر برودة من الشتاء، أكثر تفتتًا من الجليد! مضلل أكثر من هيوستر (الذين يعيشون على ضفاف نهر دانوب)، حاد أكثر من القوقازي! والدليل؟ بتجديفاته مزق المدبر الحق، الإله العظيم. حتى بالمقارنة مع وحوش هذا البلد البربري يبقى مارقيون أكثر فظاعة منهم، هل هناك من يشوه نفسه مثل قندس كالذي حذف الزواج؟ هل هناك جرد جاسر أيضًا أكل مثل الذي قضم الأناجيل<sup>(4)</sup>.

**موقف مارقيون من المسيح:** بعد تجريد يسوع من الجذور اليهودية ماذا سيبقى منه هذه الحالة؟ يعتقد مارقيون بأن الجسد شر في الأساس وغير كامل ومن هذه الرؤية، يصرح: يسوع إله كامل ولم يولد من العذراء مريم، ولم يتجسد ولكنه ظهر فجأة في معبد كفرناحوم في السنة 15م من حكم تيبيريوس (Tibère)، لم يكن جسده البشري سوى مظهرًا فقط، ومع ذلك فقد تألم المسيح حقًا على الصليب. حيث خلص -افتدى- بهذا الموت الفظيع البشر من إله العهد القديم الناقص، وسمح لهم بأن يصبحوا أبناء الله العظيم السامي بالتبني (الذي يسميه "الغريب" (Étranger)) لأنه لم يكشف عن نفسه في أي مكان خارج الإنجيل، عكس إله اليهود المستبد بالشريعة، وهذا الوعد بالخلاص لا يخص

(1) لوقا 22: 20.

(2) Frédéric Lenoire , p150

(3)Ibid, p151.

(4)Ibid, p151.



## الفصل الثالث: صورة المسيح خلال القرنين الثاني والثالث.

البشرية جمعاء قبل أن يعود إلى أبيه، فقد نزل يسوع إلى الجحيم ليحرّر أولئك عارضوا الدّيمورغوس (قبايل، الوثنيين...) وترك اليهود<sup>(1)</sup> !

بقدر ما كانت أفكار مارقيون متطرّفة وطائفية بقدر ما كانت كنيسته خطرًا حقيقيًا على الكنيسة العظمى، لقد أسّس كنيسته في روما وتمّ تنظيمها بعناية (إدارات، أساقفة، كهنة، شمامسة، قراء...) كما لعبت النساء دورًا هامًا لأنّه بالنسبة لمارقيون "لا يوجد ذكر أو أنثى في المسيح"، حيث كان لهنّ الحق في التعميد، وطرد الأرواح الشريرة، ووضع الأيدي...

انتشار كنيسة مارقيون: لقد انتشرت تعاليمه في جميع أنحاء الإمبراطورية وتعد كنيسة مضادّة حقيقة، وهو ما تبيّنه شدّة الهجمات التي تتلقاها وتستهدفها. ترسّخت المارقيونية بشكل خاص في الشرق (بلاد ما بين النهرين وفارس)، ومع كل ما سبق حُكم على كنيسته بالاندثار، لأنّ مؤسسها يعتبر الزّواج ممقوتًا والإنجاب عمل من أعمال الموت - بما أنّ المادة خلقت من طرف إله اليهود- لذلك لن يسعى أتباعها بطبيعة الحال إلى التكاثر<sup>(2)</sup>.

عرفت الجماعات المارقونية - مثلها مثل الكنيسة العظمى - انشقاقات داخلية، فتلميذ مارقيون المسّمى أبيليس (Apelle) يرفض عقيدة معلّمه بسبب -حسبه- أنّ خالق الكون المادي ليس الدّيمورغوس ولكن ملاك، بينما الرّوح خلقها الإله الواحد (الخير) وسجنت في الجسد بفعل ملاك آخر سقط، حيث يرفض أبيليس أيضًا أفكار مارقيون وأعطى ليسوع جسدًا مكوّن من عناصر وهمية<sup>(3)</sup>.

وعلى الرّغم من كل شيء استمرّت الكنيسة المارقيونية على الأقلّ حتّى القرن الخامس، حيث ستؤثّر نظرياته على تيار مسيحيّ معادٍ لليهودية والذي يرى في اليهود شعبًا ملعونًا ومضطهدًا للمسيح، كما يعتبرون أنفسهم "إسرائيل الحقيقية" تلك التي عرفت المسيح في يسوع، وستساهم الكنيسة العظمى أيضًا في تعزيز معاداة اليهودية وتقدّم المسيحيين على إهم إسرائيل الله كما قالها بولس: [فَكُلُّ الَّذِينَ يَسْلُكُونَ بِحَسَبِ هَذَا الْقَانُونِ عَلَيْهِمْ سَلَامٌ وَرَحْمَةٌ، وَعَلَى إِسْرَائِيلِ اللَّهِ]<sup>(4)</sup>.

(1)Frédéric Lenoire, p151- 152.

(2)Ibid, p152.

(3)Ibid, p152-153.

(4) غلاطية6: 16.

## الفصل الثالث: صورة المسيح خلال القرنين الثاني والثالث.

على الرغم من أن اسمه غير مألوف حاليًا، إلا أن مارقيون الذي يلقبه بوليكاربوس أسقف سميرنا Polycarpe: ب: "أول مولود للشيطان" يحتل مكانة مهمة في تاريخ المسيحية المبكرة، وذلك بتطويرة لعقيدة مسيحية فقدت أصولها اليهودية، وإجبار ممثلي الكنيسة العظمى على اتخاذ موقف واضح بشأن علاقتها باليهودية، وخاصةً تحديد الكتابات القانونية الخاصة بهم، هذه الكتابات سيعطيها اللاهوتيون الاسم الذي أطلقه مارقيون على إنجيله "العهد الجديد"<sup>(1)</sup>.

لقد كثرت الاختلافات حول هوية يسوع حتى بين المسيحيين الذين هم من أصل يهودي والتي كان من المفترض ألا تظهر فيها مثل هذه الاختلافات والجدالات بصفتهم موحى إليهم وعاشوا أحداث ومعجزات أجراها الله على يد أنبياء بني إسرائيل بينوا فيها قدرته في كل شيء، كما أن اليهود كانوا ينتظرون قدوم مسيح -بشر- وليس إله متجسد.

### المطلب الثاني: الغنوصية Le gnosticisme

إذا كان مارقيون قد استبعد إله اليهود من خطة الخلاص المسيحي، فإن تيارًا آخر سيذهب أبعد من ذلك في إعادة قراءة الرسالة المسيحية، حيث كانت أيضًا لهذا التيار نظرة مخالفة أيضًا بشأن شخص يسوع المسيح المسمى: الغنوصية<sup>(2)</sup>، من الكلمة اليونانية: *gnôsis*<sup>(3)</sup> والتي تعني: "المعرفة"، بالنسبة لأتباع هذا التيار: ليس موت يسوع وقيامته هما مصدرًا للخلاص، بل شكل من أشكال المعرفة "الروحية" التي جاء بها المسيح ليسلمها البشر. "الجهل يستعبد والغنوص يجزر". هذا هو شعار الغنوصيين الذين يعتقدون بأنه ليس كل الناس قادرين على تفسير كلام المسيح بشكل صحيح بل نجبة من المختارين فقط هم القادرون على ذلك ويتناقلونها من فيما بينهم، حيث يركزون بشكل كبير على

(1)Frédéric Lenoire, p 153.

(2) الغنوص أو الغنوصية: مصطلح « *gnose* » يستخدم للإشارة إلى أي مذهب مبني على الخلاص من خلال المعرفة، دون حصره على المسيحية، فالكابالا اليهودية شكل من أشكال الغنوص. واستخدم مصطلح الغنوصية للإشارة إلى الجماعات الغنوصية المسيحية على وجه التحديد.

(3) من الناحية اللغوية، فإن كلمة الغنوصية مشتقة بالأساس من لفظة *gnosis* اليونانية، والتي تعني المعرفة/العرفان والغنوص تدل على المعرفة بشكل عام، ولها أشباه في عدد من اللغات الهندوأوروبية مشتقة من الجذر نفسه، مثل الكلمة السنسكريتية *Jnana*، والكلمة الإنكليزية *Know* بمعنى يعرف و *Knowledge* بمعنى معرفة. أنظر: دافدجي. روبرتسون: الغنوصية وتاريخ الأديان، تر محمد عبد الله، (دط، دار بلومزبري، لندن، 2021) ص14.

## الفصل الثالث: صورة المسيح خلال القرنين الثاني والثالث.

التأمل الفكري وطوّروا على إثر ذلك عقيدة باطنية، كما أنّهم لا يهتمون بالمسيح التاريخي بل ركّزوا على المعنى الخفي لخطابه، ومن المؤكّد أن يسوع الغنوصي أبعد بأميال من يسوع أناجيل الكنيسة العظمى<sup>(1)</sup>

**التفكير التخبيوي عند الغنوص:** الفكر الغنوصي خاصٌّ بنخبٍ متغيّرة حسب الأماكن والأشخاص الذين يعظون به، ومن الصّعب تحديد الفكر الغنوصي لأنّه لم يكن بالإمكان معرفة شيءٍ عنهم قبل منتصف القرن العشرين إلّا من خلال ما يقوله منتقدو هذا التيار من آباء الكنيسة والفلاسفة الوثنيين، لكن معرفة هذه الحركة انقلبت باكتشاف فريدٍ من نوعه وُجد في صعيد مصر سنة 1945م والذي يتمثّل في جرّة تحتوي على اثنتي عشر مخطوطة مكتوبة باللّغة القبطية (لغة مسيحيي مصر)، تتضمّن ثلاثة وخمسون رسالة يعود تاريخها إلى القرن الثاني والثالث والرابع ميلادي تسمح بالوصول المباشر إلى هذه الطائفة الدّينية المعقّدة للغاية<sup>(2)</sup>.

من أسس الفكر الغنوصي الاعتقاد أن هذا العالم هو عمل إله أدنى يسمّى: الصّانع أو الخالق *démiurge* - الدّيميوغوروس (الكلمة اليونانية *demiurgos* تعني: الحرفيّ (façonneur)-المسؤول عن خلق الكون المادي بمساعدة الملائكة الأشرار "الرّعماء" أرشون أي خدم الرّب (les archontes) الذي يرتبط بشكل عام بإله اليهود، حيث نجد هنا عقيدة مارقيون لكن دون معرفة أيّهما أثر على الآخر بدقّة، فلقد أعطى الدّيميوغوروس الإنسان جسداً بشريّاً يعتبر السّجن الحقيقي للروح ثمّ وضعه في عالم مملوء بالشّر، هذا السّقوط في نظر الغنوصيين يُوجب على الفرد أن يحاول بكل الطّرق تحرير روحه حتى تتمكّن من الوصول إلى الامتلاء (بالفرنسية plénitude الكلمة اليونانية *plèrôma* تعني حرفياً: الامتلاء) مملكة هذا الإله المتسامي -عكس الدّيميوغوروس- الذي يلقّبه الغنوصيون أحياناً "بالمجهول" لأنّه لا يمكن وصفه، هذا الإله الحقيقي الوحيد عند الغنوص، وأتباع الغنوصية ليسوا بأي حالٍ من الأحوال اثنيين وخالق اليهود يُنظر إليه كدجال.

(1)Frédéric Lenoire, p155- 156.

(2) الغنوصية موضوعها الأسرار الإلهية التي لا يقدر الجميع أن يعرفوها، بل فئة مميزة تنشأ شيئاً فشيئاً بحيث تصل إلى الكمال تجاه البسطاء الذين لا يرتفعون فوق القشور. مثل هذا التيار أو بالأحرى هذه التيارات الدّينية تجدها منتشرة في الزمان والمكان. كانت بذورها قبل المسيح وتوزعت في سورية كما في مصر وربما في أفريقيا الشمالية. فاستقت منها اليهودية والمسيحية أيضاً أرادت أن تمسحها ولا سيما مع كليمنس الإسكندري في القرن الثالث المسيحي. أنظر: الخوري بولس الفغالي: الحركة الغنوصية في أفكارها ووثائقها، (ط1، دكاش برينتغ هاوس، لبنان، 2009)، ص5.

## الفصل الثالث: صورة المسيح خلال القرنين الثاني والثالث.

تعليم الغنوص: عبْدُ جسده وعبْدُ شغفه، كيف يمكن له الوصول إلى الإله المجهول؟

يصل إليه في الفكر الغنوصي من خلال محاولة إيجاد الشرارة الإلهية في كيانه التي بقيت بعد تجسده، ولكن في غالب الأحيان لا يدرك الفرد أنه محبوس في الجهل وأنّ ليس كل الناس فيهم هذه الشرارة الإلهية، حيث يصنّف الغنوصيون الإنسانية إلى ثلاثة فئات: هيولي *les hyliques* (من الكلمة اليونانية *hylé* والتي تعني: *chair* الجسد-المادة-) وهم الذين تهيمن عليهم غرائزهم ومحكوم عليهم بالبقاء في أجسادهم، النفسانيين *les sychiques* (من الكلمة: *psyché* التي تعني: *âme* النفس-) والمسيحيون العاديون المنتمين للكنيسة العظمى أعلى مقامًا ممن سبقهم. ولكن الذين لم يسمحوا لأنفسهم بأن يخدعوا من طرف الديموغوروس هم الروحانيين *pneumatiques* من الكلمة *pneuma* "esprit" روحانيون بامتياز، هم الوحيدون القادرون على تلقي هذا الغنوص الثمين الذي نقله يسوع سرًّا إلى بعض تلاميذه الذين اختارهم بحرص شديد: مريم مجدولين، يوحنا، يعقوب، توماس، فليب وحتى يهوذا! لكنّ "هؤلاء الروحانيين *pneumatiques*" لا يجوبون الشوارع، حيث يقول يسوع في الإنجيل الغنوصي حسب توما الذي وجد بالتحديد في نجع حمّادي: "سأختار لكم واحدًا من ألف واثنين من عشرة آلاف"، إذ يشعر الغنوصيون الذين يدركون أصلهم الإلهي بشعور غريب يدفعهم إلى الطّموح للتخلّص من المغلف الجسدي والالتحاق بوطنهم السماوي ممّا يؤدي في كثير من الأحيان إلى رفض فكرة الإنجاب التي تجعلهم يتكاثرون<sup>(1)</sup>.

بعيدًا عن آراء الناس فإنّ أتباع الغنوصية يعتبرون أنفسهم مسيحيين بل يرون أنفسهم أنّهم "المسيحيين الحقيقيين" ومثل هذا الادعاء يثير غضب لاهوتيي الكنيسة العظمى خاصة وأنّ الغنوصيين يعتبرونهم بسطاء، ينفجر ترتليان قائلاً: "يصفوننا بالبساطة، والبساطة فقط، دون الاعتراف أيضًا بالحكمة، وكأنّ الحكمة بالضرورة منفصلة عن البساطة بينما الرّب يجمع بينهما!".

من خلال ما سبق، فإنّ التفوّق المزعوم من طرف الغنوصيين يهدم أسس المسيحية التي تدعي أنّها دين عالمي تقدّم الخلاص للجميع، بغضّ النظر عن العرق أو الخلفية الاجتماعية أو الثقافية<sup>(2)</sup>.

(1)Frédéric Lenoire, p157-158.

(2)Ibid, p 158.

## الفصل الثالث: صورة المسيح خلال القرنين الثاني والثالث.

موقف اللاهوتيين من الغنوصية: بالإضافة إلى أنّ الغنوصيين يرفضون العهد القديم ويعتمدون على الكتابات الأبوكريفية - بالمعنى الأصلي للمصطلح: "سري، خفي"-، ويرفضون أيضاً معظم نصوص العهد الجديد، لهذا السبب هاجمهم آباء الكنيسة بعنف وضاعفوا كتاباتهم الجدلية، ومن بين هؤلاء: إيريناوس في مؤلفه "Démonstration et réfutation de la gnose au nom menteur" (المعروف أكثر بعنوان: ضد البدع حوالي 180-185م) هيپوليتوس Hippolyte في كتابه: *Réfutation de toutes les hérésies* "دحض جميع البدع" في بداية القرن الثالث، إبيفانيوس السلاميسي Epiphane: أسقف سلاميس - قبرص، حوالي: 375م في كتابه: و *Panarion* أو «boîte à médicaments» "علبة الأدوية" الذي يقترح فيه ترياق للدغات الأفاعي التي هي أفكار الغنوصيين، ويجب القول أنّه في نظرهم تعتبر الأفعى رمزاً للمعرفة والحكمة التي رفض الديموغروس منحها للإنسان، وبشكل مختصر فإنّ الغنوصية تتعارض بشكل كبير مع الفكر المسيحي السائد آنذاك<sup>(1)</sup>.

أصول الغنوصية: أما عن أصول هذه الحركة التي ميّزت القرون الأولى من المسيحية، فإنّ بعض المؤرخين رأوا في سيمون السّاحر الشهير المذكور في سفر أعمال الرّسل مؤسس هذه الحركة: [وَكَانَ قَبْلًا فِي الْمَدِينَةِ رَجُلًا اسْمُهُ سِيمُونُ، يَسْتَعْمِلُ السَّحْرَ وَيُدْهَشُ شَعْبَ السَّامِرَةِ، قَائِلًا إِنَّهُ شَيْءٌ عَظِيمٌ!، وَكَانَ الْجَمِيعُ يَتَّبِعُونَهُ مِنَ الصَّغِيرِ إِلَى الْكَبِيرِ قَائِلِينَ: «هَذَا هُوَ قُوَّةُ اللَّهِ الْعَظِيمَةِ» وَكَانُوا يَتَّبِعُونَهُ لِكَوْنِهِمْ قَدْ أَنْدَهَشُوا زَمَانًا طَوِيلًا بِسِحْرِهِ وَلَكِنْ لَمَّا صَدَّقُوا فِيلُبُّسَ وَهُوَ يَبَشِّرُ بِالْأُمُورِ الْمُخْتَصَّةِ بِمَلَكُوتِ اللَّهِ وَبِاسْمِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ، اعْتَمَدُوا رِجَالًا وَنِسَاءً وَسِيمُونُ أَيْضًا نَفْسَهُ آمَنَ. وَلَمَّا اعْتَمَدَ كَانَ يُلَازِمُ فِيلُبُّسَ، وَإِذْ رَأَى آيَاتِ وَقُوَّاتِ عَظِيمَةٍ تُجْرَى أَنْدَهَشَ وَلَمَّا سَمِعَ الرُّسُلُ الَّذِينَ فِي أُورُشَلِيمَ أَنَّ السَّامِرَةَ قَدْ قَبِلَتْ كَلِمَةَ اللَّهِ، أَرْسَلُوا إِلَيْهِمْ بَطْرُسَ وَيُوحَنَّا، اللَّذَيْنِ لَمَّا نَزَلَا صَلَبًا لَأَجْلِهِمْ لِكَيْ يَقْبَلُوا الرُّوحَ الْقُدُسَ، وَلَمَّا رَأَى سِيمُونُ أَنَّهُ بَوْضِعَ أَيْدِي الرُّسُلِ يُعْطَى الرُّوحَ الْقُدُسَ قَدَّمَ لَهُمَا دَرَاهِمَ، قَائِلًا: «أَعْطِيَانِي أَنَا أَيْضًا هَذَا السُّلْطَانَ، حَتَّى أَيُّ مَنْ وَضَعَتْ عَلَيْهِ يَدَيَّ

(1)Frédéric Lenoire, p159.

## الفصل الثالث: صورة المسيح خلال القرنين الثاني والثالث.

يَقْبَلُ الرُّوحَ الْقُدُسَ فَقَالَ لَهُ بَطْرُسُ: «لِتَكُنْ فِصَّتِكَ مَعَكَ لِلْهَلَاكِ، لِأَنَّكَ ظَنَنْتَ أَنْ تَقْتَنِي مَوْهَبَةَ اللَّهِ بِدَرَاهِمٍ!...»<sup>(1)</sup>.

يرى أباء الكنيسة في سيمون - من اسمه جاء مصطلح: *simonie* سيموني الذي يعني: التجارة بالأشياء المقدسة - أول مهرطق كبير وأول محروم في المسيحية الناشئة لأسباب أخلاقية بما أن بطرس طرده من الجماعة المسيحية، فلقد نسب لسيمون كتاب (la Grande Révélation) - الكشف العظيم، وهو نص مشبع بالباطنية، حيث أن الكتاب عبارة عن نوع من التوفيق بين حكم الكتاب المقدس والفلسفة اليونانية وأوديسا هوميروس. تتخلل هذه التوفيقية الحكم الثلاثة لحياة سيمون أيضاً التي تشاركها مع عاهرة تسمى (هيلانة Héléne)، والتي يقدمها في نفس الوقت كتناسخ هيلانا طروادة وأمّ الروح القدس، ولقد أطلق عليها إيريناوس لقب العاهرة المقدسة! أمّا بالنسبة لكتاب "الكشف العظيم" يبدو أنه كتب في منتصف القرن الثاني على يد مجموعة تدعي أنه ذكرى الساحر سيمون الذي قال عنه يوسابيوس القيصري أنه أسس "طائفة مضلّة" هي طائفة السيمونيين.

وإلى جانب سيمون، يوجد شخص آخر يُعتبر مؤسس للغنوصية - أو على الأقل هكذا يُنظر إليه من طرف أتباع هذه الطائفة - الذي يقال عنه وريث سيمون والمعروف باسم ميناندر (Ménandre) الذي لا يُعرف عنه - تلميذ سيمون الساحر - إلا القليل، إلا أنه قام بنشر أفكار معلّمه في أنطاكية أين توفي في الثمانينات<sup>(2)</sup>.

**مؤسس الغنوصية:** في الواقع من الصعب إسناد طائفة الغنوصية إلى مؤسس محدد بوضوح، ولكن أصولها تبدو قديمة جداً لأن بولس كان يدين بشدة "علم الغنوص" الذي يتعارض مع المحبة: [وَأَمَّا مِنْ جِهَةِ مَا ذُبِحَ لِلْأَوْثَانِ: فَتَعْلَمُ أَنَّ لِكُلِّ عِلْمًا، الْعِلْمُ يَنْفُخُ، وَلَكِنَّ الْمَحَبَّةَ تَبْنِي، فَإِنْ كَانَ أَحَدٌ يَظُنُّ أَنَّهُ يَعْرِفُ شَيْئًا، فَإِنَّهُ لَمْ يَعْرِفْ شَيْئًا بَعْدَ كَمَا يَجِبُ أَنْ يَعْرِفَ! وَلَكِنْ إِنْ كَانَ أَحَدٌ يُحِبُّ اللَّهَ، فَهَذَا مَعْرُوفٌ عِنْدَهُ.]<sup>(3)</sup>. وطلب من تلميذه تيموثاوس تجنّب ما يلي: [يَا تِيمُوثَاوُسُ، احْفَظِ الْوَدِيعَةَ،

(1) سفر أعمال الرسل 8: 9-25.

(2) Frédéric Lenoire, p160- 161.

(3) كورنثوس الأولى 8: 3-1.



## الفصل الثالث: صورة المسيح خلال القرنين الثاني والثالث.

مُعْرَضًا عَنِ الْكَلَامِ الْبَاطِلِ الدَّنَسِ، وَمُخَالَفَاتِ الْعِلْمِ الْكَاذِبِ الْاسْمِ، الَّذِي إِذْ تَظَاهَرَ بِهِ قَوْمٌ زَاغُوا مِنْ جِهَةِ الْإِيْمَانِ، النَّعْمَةُ مَعَكَ. آمِينَ. [1].

جذور الغنوصية<sup>(2)</sup>: يتساءل بعض المؤرخين: لماذا لا يجب أن ينظر إلى فلسفة أفلاطون على أنها الجذور الحقيقية لهذا الفكر؟ هذا الأخير الذي يعتبره ترتليان: "بقال" الهراطقة، لأن أفكاره كانت على واجهة المسرح في القرن الثالث الذي كان بداية الأفلاطونية الحديثة، فلقد وجد بالفعل عند أفلاطون أن فكرة تجسد الروح في الجسد هي تدهور لأنها تؤدي إلى نسيان كل المعرفة التي كانت تمتلكها الروح، - وبالتالي الشعور بالحنين للعالم الآخر-، فمنذ القرن الرابع قبل الميلاد طور الإغريق النظرية القائلة بأن خلق العالم هو عمل الديموغوروس الذي ينظر إليه كصانع ماهر -حرفي- وهذا الأخير بعيد وذو سلطة غير محدودة، وبالمقارنة نجد في الغنوصية أساطير جد قريبة من رموز كهف الأفلاطون (أسطورة الكهف)<sup>(3)</sup>.

يعتقد مختصون آخرون أن الغنوصية ولدت من خيبة أمل بعض اليهود الذين يطمحون بقوة إلى تحرير إسرائيل ولكن ذلك لم يأت بعد ولم يحدث، بهذا يكون الغنوصيون الفئة المتمردة على إله العهد القديم الذي تخلّى عنهم، ففي الحقيقة تعتبر الغنوصية بشكل عام خليطاً من المعتقدات التي تتغذى من مختلف التيارات الفكرية المتعددة بينما تدعي أنها من داخل المسيحية. -ويمكن ملاحظة سيطرة العبادات السرية أيضاً<sup>(4)</sup>- لتجعل من نفسها نظاماً خاصاً أو بالأحرى أنظمة كما سنرى<sup>(5)</sup>.

رغم سعي أتباع الغنوصية إلى الكشف عن هوية يسوع وتعاليمه إلا أنهم زادوها تعقيداً خاصة بعد مزجها بالفلسفة الأفلاطونية، السبب الذي أدى إلى ظهور العديد من الحركات داخل رحم المذهب الغنوصي.

(1) ثيموثاوس الأولى 6: 20-21.

(2) لقد اختلف علماء الأديان والمؤرخين حول أصول الغنوصية إذ يرجعها البعض إلى أصول شرقية أو آرية وآخرون إلى أصول أسيوية. أنظر: دافيدجي. روبرتسون، ص 72.

(3) Frédéric Lenoire, p161.

(4) كانت العبادات السرية تحظى بشعبية كبيرة خاصة في منطقة البحر الأبيض المتوسط الوثنية في القرون الميلادية الأولى، وكانت تلك العبادات السرية تنسج اتصالات شخصية مع الآلهة من خلال طقوس تمارس في السر خاصة بالعارفين.

(5) Ibid, p161- 162.

## الفصل الثالث: صورة المسيح خلال القرنين الثاني والثالث.

المطلب الثالث: شخصيات وأفكار الغنوصيين.

لابد لأي حركة - مهما كان انتماؤها - أن يكون لها شخصية مؤسّسة لها بناءً على مجموعة من الأفكار ينشرها بين الناس، ومن بين الشخصيات المهمة في الفكر الغنوصي أذكر هنا ما ذكره لونوار كما يلي:

سانورنينوس: في بداية القرن الثاني حوالي: 120 إلى 130م وجدت الغنوصية أول شخصية عظيمة خاصة بما مع ساتورنينوس (Satornil) الذي كان تلميذ ميناندر حيث أسّس مدرسة في أنطاكية وعلم تلاميذه قصة جديدة عن خلق آدم كما يلي: "بعد خلق العالم، شكّل سبعة ملائكة من بينهم الرجل ثم المرأة. لكن بما أنّ الملائكة لم يكونوا قادرين، فشل العمل إلى حدّ كبير فانقسمت البشرية إلى فئتين: الأخيار -الذين تلقوا شرارة سماوية من الإله الأسمى- والأشرار -ملهمو موسى- إذ يقوم هؤلاء باضطهاد الأخيار حتى يأتي المسيح ليخلصهم ويدمر "عمل المرأة" ألا وهو الإنجاب"<sup>(1)</sup>.

كرينتوس: خليفة آخر اسمه (Cérinthe) الذي نشط في آسيا الصغرى في النصف الأول من القرن الثاني، كان يعيش في المنطقة المجاورة التي كان يعيش فيها يوحنا، ويرى البعض في كتابات الرسول الإنجيلي آثار جدال ضد مؤسس طائفة كرينتوس Cérinthiens، هذه فرضية يمكن قبولها لكن من الصعب تأكيدها خاصة وأنّ يوحنا نفسه يعرض في كتاباته نوع من النخبوية الباطنية، وهذا دليل آخر على أنّ المسيحية في ذلك العصر قدّمت آلاف الوجوه المختلفة والمختلطة مع بعضها البعض...

بازيليد: المعروف أكثر هو بازيليد (Basilide) واعظ الفكر الغنوصي في الإسكندرية في النصف الثاني من القرن الثاني، فلقد كانت مصر أصلاً مشبعة بشكل خاص بالفكر الغنوصي -وربما لم يكن من قبيل الصدفة العثور على مخطوطات نجع حمادي هناك- أين لا يمكن للفئة الحكيمة أن تفشل في إغواء الإسكندرانيين المتعلمين، لقد قام بازيليد بتأسيس مدرسة مشهورة ظلّ صيتها مستمرّاً حتى بداية القرن الرابع، وكان بازيليد غزير الإنتاج حيث كتب نسخته الخاصة من الأناجيل الأربعة بالإضافة إلى شروح لها في أربعة وعشرون جزءاً والتي لم يتبق منها سوى بعض الأجزاء القليلة<sup>(2)</sup>.

(1)Frédéric Lenoire, p162.

(2)Ibid, p163.

## الفصل الثالث: صورة المسيح خلال القرنين الثاني والثالث.

كاربوقراطيس: في نفس العصر، قدم رجل من آسيا الصغرى يعرف (Carpocrate) إلى مصر للتعريف بمذهبه الغنوصي قبل نشره في روما، ويتميز مذهبه عن معظم التيارات الغنوصية الأخرى بالتحزب الجنسي، فبحسبه لا يمكن للشخص أن يتحرر من الشرور إلا بعد أن كان عبداً للزنازل التي تحكمه، وبذلك أصبح كل شيء مباح! ابن بكارياكرز المسمى: إبيفانوس (Épiphane) (الذي لا علاقة باسمه مع أسقف سالاميس الذي يحمل نفس الاسم) مازال مستمراً في ذلك الاتجاه (1).

فالونتينوس: لقد كان فالونتينوس (Valentin) -النصف الأول من القرن الثاني- من الشخصيات التي ميّزت السجلات التاريخية، هو أيضاً من أصول مصرية تلقى تعليمه في الإسكندرية وأعلن نفسه تلميذاً لتلميذ بولس، استقرّ في روما بين 140-160م وكان على أمل أن يُختار أسقفاً، لكن أفكاره غير المطابقة لأفكار الكنيسة العظمى منعه من الوصول إلى ما يطمح إليه، وفي نفس الوقت أُجبر على مغادرة المدينة الخالدة ولجأ إلى قبرص. يعد فالنتينوس مفكراً ذو أهمية كبيرة في تاريخ المسيحية من خلال نشر أفكار تم تطويرها من طرف طائفتان غنوصيتان هامشيتان: الشيثيون (Sethiens) -نسبة إلى شيث الابن الثالث لآدم) والثانية نسبة إلى باريلو (Barbelo) اسم أحد الشخصيات المهمة في الأساطير الغنوصية)، ولقد طوّرتين ببراءة عقيدة عظيمة عبّر عنها في عمل شاعري لم يصل منه إلا القليل لسوء الحظ من خلال استشهادات كليمنت الإسكندري في كتابه: "المتفرقات Stromates" (سميت هكذا لأنه يتعامل مع مجموعة من المواضيع المتنوعة)، كانت أفكار فالتين أكثر اعتدالاً من معظم الغنوصيين في عصره وتمكّن هذا الأخير من جذب عدد من التلاميذ عرفوا بالفالتانيين (les valentiniens) (2).

عند وفاة فالتين، تزعمت أفكاره مدرستان: المدرسة الشرقية وهي الأكثر إخلاصاً لعقيدته، بينما المدرسة الغربية (والتي تسمى أيضاً المدرسة الإيطالية) حققت نجاحاً كبيراً، فلقد استمرت مدرسة عيذار ليرنا (L'hydre de Lerne) الوحش المتعدّد الرؤوس) هي مدرسة فالتين التي انتقدتها إيريناوس أسقف ليون... حتى القرن الخامس (3).

(1)Frédéric Lenoire, p164.

(2)Ibid, p164.

(3)Ibid, p164- 165.

## الفصل الثالث: صورة المسيح خلال القرنين الثاني والثالث.

الغنوص والنساء: قبل الحديث عن كريستولوجيا الغنوص، حاول لونوار توضيح نقطة يراها محيرة منذ النجاح العالمي الذي حققته رواية شفييرة دافنشي *Da Vinci Code*: النساء والغنوص وذلك من خلال تناول كاتبها للنظريات التي كانت سائدة منذ عدة عقود على نطاق واسع، يقول لونوار بأن "دان براون" قارن بين فكرة الميسوجينية *la misogynie*<sup>(1)</sup> التي تبنتها الكنيسة العظمى و"النسوية" التي تؤمن بها الغنوصية، ويرى أن تلك القضية جد معقدة، خاصة وأن الغنوصيين لديهم رؤية متناقضة عن المرأة وتزداد صعوبة توحيد تلك الرؤية نظرًا لوجود العديد من التيارات الغنوصية ولكل واحد منها نظريته الخاصة للأثنى، ومع ذلك يمكن تلخيص نظرتهم على النحو التالي: لدى الفكر الغنوصي نظرة متشائمة عن المرأة بسبب قدرتها على الإنجاب، لأنها بتلك العملية تسمح باستمرار عمل الديموغروس (في العالم المادي الذي يعتبر سيئًا في نظرهم)، والخلاصة أنه من أجل تدارك الكارثة التي كان سببها الإيون (*éon*) مخلوقات أزلية من الكلمة اليونانية: *aion* ("الأزلية") الأثنوي المسمى صوفيا *Sophia* أرسل الله إيونًا جديدًا (ذكر هذه المرة): هو المسيح<sup>(2)</sup>.

ومع ما سبق يذكر لونوار أن بعض النصوص الغنوصية (خاصة إنجيل فليس وإنجيل مريم) تعطي دورًا رياديًا لمريم مجدولين التي يُنظر إليها كعارفة بامتياز. ويظهر ذلك في إنجيل فليس حيث كانت مريم مجدولين هي الرفيق المخلص ليسوع، وكان (المخلص) يحبها أكثر من جميع التلاميذ الآخرين، وقد كان يُقبلها دائمًا في فمها "الأمر الذي يثير استياء التلاميذ الآخرين الذين يسألونه دائمًا: لماذا تحبها أكثر منا جميعًا؟"، ونفس الشيء في إنجيل مريم، فعندما سلمت مريم مجدولين للتلاميذ المعرفة التي علمها يسوع، شكك التلاميذ في ذلك متسائلين: "هل قام [المخلص] فعلاً بالحديث مع المرأة دون علمنا وليس علنًا، هل فضلها علينا؟ وهل يجب علينا الانصياع لها جميعًا؟"<sup>(3)</sup>.

يعلق لونوار على ما ورد في إنجيل فيلبس قائلاً: عندما ننظر عن قرب إلى إنجيل فيلبس فإننا ندرك أن مريم المجدلية قدّمت منزوعة الأنوثة بما أن مصطلح "الرفيق" وضع على صيغة المذكر باليونانية

(1) *Misogynie* كلمة يونانية تتكوّن من جزأين "misos" والتي تعني كره "gynè" والتي تعني المرأة ويقصد بها كره أو كراهية المرأة أو احتقار النساء وبحكم التعريف كاره النساء هو الشخص الذي لا يحب النساء وهو سلوك من يحتقر النساء بشكل عام. أنظر:

Veciana Bernard Morisseau : *Le Triomphe de la foi*, (1<sup>er</sup> edition, Holy Fire Publishing, United States of America and the United Kingdom, 2015), 63.

(2) Frédéric Lenoire, p165.

(3) *Ibid*, p165- 166.

## الفصل الثالث: صورة المسيح خلال القرنين الثاني والثالث.

(*koinonos*) بالتالي ليست مريم مجدولين حبيبة (خليلة) يسوع ولكن "رفيئة" كمتزوجين، إذا كان آدم وحواء تسببا في السقوط كزوجين فإن يسوع ومريم مجدولين يأتيان بالخلاص، وصورة القبلية التي يتبادلانها لا علاقة له بالتقيل الجسدي الشهواني، بل يتبادلان أنفاسهما أيّ النفث الرّوحي. ومن خلال تلك القبلية الروحية التي تعتبر رمز التلقين، تتلقّى المرأة قطبية الذكر (بالتالي يتحد المذكر بالمؤنث) التي وحدها قدرة على تحقيق الخلاص، وكما يقوله المسيح بوضوح تام في إنجيل توماس بخصوص مريم المجدلية: "ها سوف أقودها إلي لأجعلها ذكرا لتصبح هي الأخرى روحا حيا يشبهكم أيها الذكور، لأن كل امرأة تجعل نفسها ذكرا ستدخل إلى ملكوت السماوات"<sup>(1)</sup>.

هكذا استدعت المرأة لتلعب دورا في الفكر الغنوصي، لكن بشرط أن تتنازل عن أنوثتها وفق تعاليم الغنوصية حول الجنس، يقول إنجيل فيلبس بوضوح: "ليس من أجل الحيوانات ولا من أجل العبيد ولا من أجل النساء المدنّسات، ولكن هي من أجل الرجال الأحرار والعذارى"، وبهذا الشرط يمكن للمرأة أن تطمح بتوليّ مسؤوليات في المجتمع الغنوصي اللواتي يذكر التاريخ أسماء العديد منهن.

موقف آباء الكنيسة من دور النساء في الغنوصية: لقد أغضب نشاط النساء في الجماعات الغنوصية بشكل كبير آباء الكنيسة الذين يرفضون أن يتولّى الجنس الأنثوي المسؤوليات المهمة، يقول ترتليان كاره النساء منزعا: "بالنسبة لنسائهم، أي عهر يفعلنه أكثر من جرأتهنّ للتعليم، والمشاركة في المناقشات، وطرد الأرواح الشريرة، واعتقادهنّ بأنهنّ قادرات على الإشفاء، وربما حتى التعميد أيضا!". في الواقع كل النساء البارزات في الغنوصية بعيدا عما إن كنّ عاهرات، كنّ شخصيات لاجنسية - خنتة - نوع من المنذرين الخنثوي أو المثالية<sup>(2)</sup>..

### المسيح في نظر الغنوصيين: ماذا حدث ليسوع في فكر الغنوصيين؟ كيف تمّ القبض عليه؟

يرى لونوار أنّ الإجابة على الأسئلة السابقة يستوجب الوقوف على النصوص الغنوصية المتعلقة بخلق العالم، فلونوار يقول بأنّه رغم أنّ لكلّ جماعة أسطورة خاصة بها إلا أنّه يمكن تحديد بعض الأفكار البارزة: البطل الرئيسي بالطبع هو الإله المتسامي: "الآب" الذي ينتج سلسلة من الانبثاقات: المخلوقات الأزلية (*les éons*) ذكورا وإناثا والتي من خلالها يمارس عمله في العالم، لكنّ صوفيا (الحكمة) آخر

(1)Ibid, p166-167.

(2)Ibid, p167.

## الفصل الثالث: صورة المسيح خلال القرنين الثاني والثالث.

هذه الانبثاقات تريد ترك الملاء الأعلى العالم المثالي الذي تطوّرت فيه (العشب يكون دائماً أخضرًا في مكانه وفي نزعته يؤدّي إلى الضّعف والموت!) وفي نفس الوقت يعطي ميلاد للدبمغروس الذي خلق العالم الذي نعرفه، ارتعبت صوفيا (بالمعنى الحرفي للكلمة) بسبب الكارثة التي أثارها، صوفيا تتوسّل الأب أن يعيدها إلى عدن المفقودة، وفي هذا السّياق الله لا يستطيع أن يبقى عديم الشّعور تجاه هذه المعاناة الكثيرة، فقرّر أن يرسل زوجًا آخر من الإيونات "المسيح والرّوح القدس"، وينزل إيّون المسيح إلى الأرض لخلاص الكائنات الرّوحانية<sup>(1)</sup>.

بما أنّ الغنوصيين يكرهون الجسد -الذي يعتبرونه السّجن المميت للرّوح- قاموا بفصل يسوع عن المسيح تمامًا: الأوّل ليس سوى الظّرف المؤقت للثاني أثناء إقامته القصيرة في العالم المادي، بالنّسبة إلى كرينثوس: يسوع نبيّ عظيم انبثق عنه المسيح ونزل يوم معموديته وسكن فيه حتى الآلام ولكنه ليس الله، إنّهُ يسوع الإنسان الذي مات على الصّليب، والذي يدعى يسوع-المسيح لم يكن سوى حقيقة مؤقتة. أمّا بالنّسبة كاربوقراطيس يسوع هو ابن مريم ويوسف لم يكن سوى فيلسوفًا أو حكيمًا تلقى زيارة إيّون المسيح<sup>(2)</sup>.

على عكس يسوع التّاريخي، المسيح كائن سماوي وإنسانيته ليست سوى مظهر، وهنا نجد مرّة أخرى الدوسيتية التي كانت منتشرة على نطاق واسع في القرن الأوّل، وهو المذهب الذي طوّره الغنوصيين: إذ يعتقدون أنّ يسوع لم يولد من رحم المرأة ولم يعرف المعاناة، بل ممثّل بارع تمكّن من خداع الدبمغروس من خلال تظاهره بموته على الصّليب ومن هنا إعادة كتابة رواية صلبه.

(1)Ibid, p168.

(2)Ibid, p168-169.



## الفصل الثالث: صورة المسيح خلال القرنين الثاني والثالث.

رواية صلب المسيح في الفكر الغنوصي: في رؤيا بطرس<sup>(1)</sup> التي عُثِر عليها في نجع حمادي، يظهر المسيح الذي وضع على الصليب ضاحكًا ساخرًا من أولئك الذين يعتقدون أنهم سيقتلونه، فبطرس بقي مندهشًا متسائلًا: ماذا أرى يا رب، إنّه أنت نفسك الذي قبضوا عليه، أنت تمسك بي [...]؟ ومن هذا المبتهج الذي يضحك على الشجرة [بمعنى الصليب]؟ [...] قال لي المخلص: " الذي تراه على الصليب هو يسوع الحي، لكن الذي اخترقت المسامير يديه وقدميه هو البديل المستلم للعار، الذي جاء للوجود شبيهًا له، قلب نظرك إليّ وإليه". في بعض الأحيان سمعان القوريني هو الذي يتولّى دور شبيه يسوع بعد أن جعله يسوع كذلك بواسطة خدعة، ثمّ يعيد إليه مظهره.

ليس إذن حياة يسوع هي التي تمّ الغنوصيين ولا تضحيته الكفّارية المزعومة، بل نجد عندهم من يرفضون الصّلب، يقول بازيليدي: " العبد هو الذي يعترف بالصّلب، والحر هو الذي ينكره لأنّه يعرف تدبير الآب غير المولود"، ليس يسوع المصلوب هو الذي يجب أن نعترف به ولكن ابن الآب. كما يشرح مؤرّخ الأديان هنري تشارلز بوخ (Henri-Charles Puech) بطريقة واضحة: " الأمر الوحيد المهم ليس معرفة السمة المادية، والواقعية، والتاريخية الدراماتيكية التي تمثّل الحياة الأرضية للمخلص، بل السمة الفكرية، والمثالية، والأزلية للوحي الذي كشف عنه المخلص". يأتي هذا المفهوم [...] لحل الطّابع التاريخي والزّمني لحياة يسوع وعمله. " يسوع هو: المعلم الذي يحمل الغنوص، التّمودج الأول الذي يبيّن للمرء كيف ينجح في فصل الحدس عن المادة بواسطة الغنوص<sup>(2)</sup>.

(1) رؤيا بطرس: رؤية من زاوية أخرى لقضية صلب المسيح، لقد كان سفر رؤيا بطرس من الكتب القانونية المعترف بها رغم بعض التحفظات عليه، ولكن سرعان ما تطور الوضع لغير صالحه K فتم اعتماد رأي الأقلية على حساب رأي الأغلبية، وأزيل من الكتاب المقدس، لقد وُجد مقطعان لهذه الرّؤيا على البردية في ترجمتين يونانية تعود إلى القرن الثامن أو التاسع، وقد ضاعت بدايتها ونهايتها ووجدت رؤيا بطرس مع « إنجيل بطرس في مدفن راهب مسيحي في أمميم صعيد مصر. وترجمة حبشية تامة وموسعة مع مضمون وبنية يختلفان عمّا في الترجمة اليونانية. إنّ رؤيا بطرس هذه لا علاقة لها برؤيا بطرس التي اكتشفت في نجع حمادي سنة 1945. رؤيا بطرس نجح حمادي حفظت لنا منها مقاطع باليونانية والحبشية وهي إحدى أقدم الرّؤى المسيحية. وقد أُلّفت حوالي سنة 135م، لاسيما وأنّ النّشاط المنادي بالمسيحانية اليهودية قد صوّر كأزمة إسكاتولوجية. فهذه الرّؤيا شأنها شأن سائر الرّؤى الغنوصية، ترتبط بقيامة المسيح يسوع الذي هو وسيط الوحي السماوي، وسيط آيات وأحداث النهاية، ورؤى أمكنة مجازاة الابرار وعقاب الخطاة وقد ترجم رؤيا بطرس في التي حمادي، جيمس براشلار James Brashler نجح. وروجر بولار Roger A. Bullard مع باقي النصوص 52 المكتشفة سنة 1975. أنظر: محمد بنتاجة: استكشاف المسيحية الأولى (بحث عن اللاهوت السّري المضطهد للطوائف المسيحية الأولى حتى مجمع نيقية)، (دط، دار دروب، مصر)، ص 96-97.

(2)Frédéric Lenoire, p169-170.

## الفصل الثالث: صورة المسيح خلال القرنين الثاني والثالث.

لهذا يسعى الغنوصيون إلى إيجاد المعنى الخفي لكلام يسوع بعد قيامته (وليس أثناء حياته) وقد تمّ تسجيل تجلياته في أدبٍ وفير موجّه لفئة صغيرة من العارفين.

**صورة المسيح في إنجيل يهوذا<sup>(1)</sup>:** لقد تحدّثت عن هذا الموضوع أحد النصوص كثيرًا منذ سنوات قليلة: هذه النصوص تتمثّل في إنجيل يهوذا المذكور في المصادر القديمة والذي اعتُقد أنّه ضاع منذ قرون، عندما ظهر بطريقة مفاجئة بعد ملحمة لا تصدّق، ونشره سنة 2006م، وضع هذا الكتاب تحت الأضواء، فبعيدًا عن وصف يهوذا بالتلميذ الخائن الذي سلّم المسيح للكهنة، ظهر وكأنّه تلميذ يسوع المحبوب الذي تلقّى تعليمه ما فوق الطّبيعة وأطاع إرادة معلّمه بتسليمه للكهنة ليحرّره من جسده المادي، وقد نُسب هذا النصّ إلى يهوذا الذي كتبه مثل معظم الرّسائل الغنوصية في النّصف الثاني من القرن الثاني، شكّل الكتاب عادةً ما يكون عبارة عن حوار مع أحد أو جماعة من التلاميذ المتميّزين الذين كشف لهم يسوع عن تعاليمه<sup>(2)</sup>.

من أكثر النصوص التي يمكن الوصول إليها بسهولة والأكثر قرابًا من الأناجيل الأربعة هو إنجيل توما: **[قال التلاميذ ليسوع: أخبرنا كيف ستكون نهايتنا، قال يسوع: هل اكتشفتُم البداية لتبحثوا عن النهاية؟ لأنّه حيث تكون البداية ستكون النهاية، طوبى لمن يتمسك بالبداية ليعرف النهاية، ولن يتذوّق الموت]**<sup>(3)</sup>.

(1) لقد طفا على السطح مؤخرًا سيناريو من نوع آخر لدى اكتشاف «إنجيل يهوذا» سنة 1972، والذي يمثل الآراء الأكثر تناقضًا وخروجًا على المؤلفين بين سائر الأناجيل. وتبدأ النصوص المترجمة لهذا الكتاب كما يلي: النصوص السرية للرؤى التي كشفها يسوع في حديثه مع يهوذا الإسخريوطي، حيث يقول له المعلم لاحقًا: **[ أنت سوف تزيدهم -التلاميذ- فضلًا، لأنك سوف تضحي بالرجل الذي أردتِه]**، بمعنى أنّ يهوذا سيسهم في تحرير الأنا الروحية في يسوع بمساعدته على التخلص من الجسد المادي. وفي مقام آخر يقول له يسوع: **[تنح عن الآخرين ودعني ألقنك أسرار الملكوت]**. كذلك يقول له مستثنياً إياه لمنزلة خاصة: **[أنتبه، لقد قيل لك كل شيء، إرفع عينيك الآن وانظر إلى السحاب والتور الذي يسطع منه وإلى النجوم المحيطة به، فالنجم التي تتقدم الجميع هي نجمتك]**. وينتهي المخطوط عندما يسلم يهوذا يسوع إلى رؤساء الكهنة، دون ذكر أي شيء عن الصلب أو القيامة. في فصل آخر من المخطوط، يُزعم أن يسوع أطلع يهوذا على أسرار الكون، وهي أسرار لم تكشف لبقية التلاميذ لكن السؤال الكبير يبقى عن صديقته، وبالتالي اعتمادية هذا المستند الذي يبدو أنه كتب من قبل راهب مغمور حوالي 300 سنة بعد قيامة المسيح، مستخدمًا الأقاويل التي تناقلتها الرواة والتي اعتُبرت هرطقة دينية لحقبت طويلة. لكن أهميته تكمن في تحويلها لفعلة يهوذا من جرم خياني إلى تصرف طوعي إذعاني روته الأناجيل وإن على شيء من الضبابية. أنظر: هادي ف. عيد: يسوع ذلك المجهول، (ط1)، المكتبة البولسية، لبنان، 2009، ص60.

(2)Frédéric Lenoire, p170- 171.

(3)Ibid, p171.

## الفصل الثالث: صورة المسيح خلال القرنين الثاني والثالث.

انتشار الغنوصية: على الرغم من أن الغنوصية معقدة، إلا أنها انتشرت بسرعة، وتثبتت بشكل خاص في مصر كما رأينا دون أن تترك أديسا، أنطاكيا، وروما وآسيا الصغرى. على الرغم من أن أتباعها ملتزمين بانضباط غامض، إلا أن ذلك لم يمنعهم من القيام بنشاط تبشيري مكثف أين لعبت فيه المرأة دورًا مهمًا: نذكر من بينهم العذراء الجميلة (Philou-mène) التي ألهمت نبوءتها المعلم الغنوصي: أبيلاس (Appellès) في القرن الثاني<sup>(1)</sup>.

لقد تباينت رؤى أتباع الغنوصية حول شخص يسوع المسيح كثيرًا الأمر الذي أفضى إلى عدم القدرة على إبراز معالم شخصه ومضمون دعوته ومهمته، والسبب الرئيسي في هذا التباين هو كثرة المصادر من جانب وانتشار المسيحية خارج العالم اليهودي واختلاطها مع الفلسفة الأفلاطونية والثقافات الوثنية من جانب آخر.

---

(1)Ibid, p171.

## الفصل الثالث: صورة المسيح خلال القرنين الثاني والثالث.

المبحث الرابع: محاولة إرساء قانون أرثوذكسي وعودة الاضطهادات.

يتناول هذا المبحث الحديث عن عزم الكنيسة العظمى التصدي لكل ما يخالفها من عقائد وأفكار وهرطقات ومحاولتها تقنين نصوص مقدسة تكون مصدر للإيمان بين أتباع المسيح، وكذلك يتناول عودة الاضطهادات من جديد التي وقع ختمها بالاعتراف بالمسيحية ديناً رسمياً للإمبراطورية الرومانية.

المطلب الأول: إيمان أرثوذكسي.

ماني والمانوية<sup>(1)</sup>: **Mani et le manichéisme** قبل الحديث عن اجتهاد الكنيسة العظمى

نتحدث عن طائفة غنوصية مثيرة للاهتمام حيث ولدت الغنوصية فرقةً مثيرة للاهتمام في إيران تتمثل في المانوية، هذه الأخيرة ديانة مستوحاة من الغنوصية في بنيتها ولكن أضاف إليها مؤسسها ماني الفارسي (216-276م) عناصر من الديانات الأخرى الزرادشتية والبوذية، إن فكر ماني توفقي إلى درجة كبيرة لأنه ينحدر من جماعة اليهود-المسيحيين في بابل، كان والده قد تحول إلى الكسائية وفي تلك البيئة المعمدانية قضى مرحلة شبابه، وبينما لا يزال طفلاً تلقى ماني سلسلة من الرؤى وفي سن الثانية عشر تلقى زيارة "توأمة السماوي" الذي كشف له عن الوحي الباطني وأتمنه عليه، مكث هذا الأخير في جماعة إلكيسا إلى أن غادرها بسبب مواقفه رافضاً التقيد بالنظام الغذائي الذي فرضته الفرقة والتي لا يرى فيها أساس من الصحة، وفي سنة 240م دقت ساعة الانفصال عندما زاره توأمة السماوي للمرة الثانية والذي قدم نفسه كالعقل الإلهي يأخذ جسد ماني أمراً إياه بنقل الرسالة المودعة فيه<sup>(2)</sup>.

يعلن بذلك ماني نفسه نبياً عالمياً وليس أي نبي: والبارقليط المذكور في إنجيل يوحنا: [وَأَمَّا

الْمُعَزِّي، الرُّوحُ الْقُدُسُ، الَّذِي سِيرْسَلُهُ الْآبُ بِاسْمِي، فَهُوَ يُعَلِّمُكُمْ كُلَّ شَيْءٍ، وَيُذَكِّرُكُمْ بِكُلِّ مَا

(1) لقد شغلت المانوية العلماء كثيراً وأدت إلى ظهور العديد من الأعمال وذلك خلال الدور الكبير والمهم الذي لعبته في تاريخ الكنيسة فقد اعتبرت بدعة وتعرضت لهجوم شرس من طرف المدافعين عن العقيدة الإنجيلية ولفترة طويلة لم تكن معروفة إلا من خلال الإنتقادات الموجهة إليها أي أن المعرفة المنتشرة عنها لم تكن كاملة ولا حقيقية حتى سنة 1862 حيث قدم العالم M. G. Flügel وثيقة شرقية ذات قيمة كبيرة وتعد أغنى المصادر حتى ذلك التاريخ... أنظر:

Ernest Rochat : ESSAI SUR MANI ET SA DOCTRINE, (librairie fischbacher, Paris, 1897), P5-6.

(2)Frédéric Lenoire, p171- 172.

## الفصل الثالث: صورة المسيح خلال القرنين الثاني والثالث.

فُلْتُهُ لَكُمْ<sup>(1)</sup>، خاتم الأنبياء بمعنى آخرهم الذي يجسد اكتمال الكمال، يرى نفسه وريثًا لزرادشت بالنسبة للفارسيين والبابليين، وبوذا بالنسبة للهند والصين، ويسوع بالنسبة للغرب<sup>(2)</sup>.  
على الرغم من أن ماني لا يدرج أعماله في قلب المسيحية -عكس الغنوصية- لكن ادعاء تفوقه على يسوع آثار ردود أفعال قوية من طرف آباء الكنيسة، فهم يرون أن هذه الفرقة ليست فقط بدعة بالنسبة للمسيحية بل تعتبر مصدر كل البدع الأخرى، حيث أعلن البابا ليون الأول león I بعنف غير مسبق سنة 443م قائلاً: "على الرغم من أن الشيطان يتمتع بالتفوق المطلق في جميع أنواع الفساد، إلا أنه أقام قلعة عند المانويين [...] بالنسبة لهم: الشيطان ليس معلّم نوع واحد من الرذائل ولكن مزيج من جميع الأخطاء وجميع المدنسات، في الواقع كل ما هو شر عند الوثنيين، عمي عند اليهود المختبئين وراء الجسد، ومحظور في أسرار الفن السحري، وكل انتهاك للمقدسات وكل تجديف في كل هرطقة، كل هذا اجتمع في المانويين مثل بالوعة مملوءة بالقذارة". في نظر لاهوتيين الكنيسة العظمى، لا تعتبر المانوية بأي حال من الأحوال دينًا جديدًا ولكنها عبارة عن خليط تضليلي روحي واسع اشتعل على جميع الخشب.

**انتشار المانوية:** مع ذلك ستعرف ديانة التّويرين - كما يسميها ماني نفسه - نجاحًا كبيرًا، فقد عُثر على آثارها في آسيا الوسطى في القرن الحادي عشر وحتى في الصين بطريقة سرّية حتى القرن السابع عشر. ومثل هذا النشاط آثار قلق قادة الكنيسة المسيحية الذين يحملون دعوة عالمية، فهم لا يرغبون برؤية هذا الدين الجديد يتنافس مع المسيحية من خلال استدعاء زرادشت وبوذا في نفس الوقت مع يسوع<sup>(3)</sup>.

**جذور المانوية:** لقد رأى القديس أوغسطين الذي كان مانويًا قبل أن يتلقّى التعميد الكاثوليكي سنة 387م، أن الغنوصية هي المصدر الرئيسي للمانوية التي استعارت منها مبدأ الثنائية الصارمة بين مملكة النور (مملكة الله وجيوش الملائكة) ومملكة الظلام (مملكة الشيطان المحروسة بجيوش الشياطين) بينما كان النور والظلام يتعايشان دون اختلاط قبل خلق العالم وقع حدث كارثي حيث غزى الظلام

(1) يوحنا 14: 26.

(2) Ibid, p172.

(3) Ibid, p173.

## الفصل الثالث: صورة المسيح خلال القرنين الثاني والثالث.

التور فجأةً وحبس هذا الأخير في المادة، ليجد الخير نفسه سجين الشر، ومن هذا الصراع ولد الإنسان الذي جسده مادي في حين أنّ روحه تنتمي إلى مملكة التور، لهذا يجب أن يستعيد الجزء المنير المحبوس في المادة وعيه بأصله السماوي لتحرير نفسه لهذا السبب قام المانويون بفرض نظام يهدف إلى تنقية المادة واستخراج أجزاء التور لاسترجاعها إلى السماء وذلك بممارسة الزهد والصلاة.

**المسيح في فكر ماني:** ومثل الغنوصية، يحتفظ دين التور بفكرة أنّ المسيح المخلص اختار أن يسكن جسد يسوع، ويولون أهمية كبيرة لحياة هذا الأخير أكثر من الغنوصيين لأنهم وضعوا مصير يسوع بالتوازي مع مصير ماني -الذي تسمى والدته أيضًا مريم والذي عانى من آلام فظيعة سنة 276م- أصبحوا قادرين على إضفاء الشرعية على لقب "خاتم الأنبياء" الذي ادعته بلاد فارس<sup>(1)</sup>.

غالبًا ما يطلق لقب "يسوع العظيم Jésus Splendeur" على المسيح في الكتابات المانوية، فالمسيح هو الذي كشف لأحفاد آدم كلمات الخلاص. هذا المخلص لم يولد جسدًا فالمانوية مثل الغنوصية، الفرق يمكن في أنّ يسوع -هنا تتجلى خصوصية المانوية بالكامل- لم يضع نهاية للوحي، وهذا الدور يقع على عاتق ماني نفسه الذي هو يسوع جديد<sup>(2)</sup>.

لم تفلح المانوية هي الأخرى في وصفها لشخص يسوع المسيح وإبراز معالمه الحقيقية بل زادته تعقيدًا وغموضًا بسبب الخلط بين يسوع مع شخصيات أخرى، بالإضافة إلى ادعاء ماني أنّه يسوع العظيم بالتالي طمس وأخفى هوية يسوع الحقيقة وكذا مضمون رسالته.

### محاربة الهرطقات وإقامة عقيدة أرثوذكسية:

على مدار القرنين الثاني والثالث كان هناك انتشار واسع لعقائد وجدالات وخلافات تدور كلّها حول هوية يسوع، وكما رأينا أيضًا هناك ظهور تدريجي لتيار غالب ذلك الذي تقوده الكنيسة العظمى التي تحاول إقامة عقيدة أرثوذكسية - "الرأي الصحيح أو الطريق المستقيم" - خوفًا من أن تنهار المسيحية بسبب كثرة الآراء المتناقضة.

إنّ صراع حقيقي عاشه المسيحيون استمرّ لأكثر من قرنين من الزمن بين أنصار الكنيسة العظمى والأقليات المسيحية الأخرى. هنا قد يتساءل المرء كيف تمكّن التيار الغالب من التشكّل وأن

(1)Ibid, p174.

(2)bid, p174- 175.



## الفصل الثالث: صورة المسيح خلال القرنين الثاني والثالث.

يفرض نفسه على باقي التيارات الأخرى ليصبح في فجر القرن الرابع التيار الوحيد المعروف والمفضل من طرف السلطة السياسية كما سنرى في الفصل الموالي من البحث، يجيب لونوار بأن العامل الذي جعل الكنيسة العظمى تفرض نفسها على باقي الأقليات هو صلابة وقوة نظامها مقارنة بالأقليات<sup>(1)</sup>.

**التعايش بين التيارات المختلفة قبل مجمع نيقية:** كتب بولس إلى الجماعات المسيحية في كورنثوس في القرن الأول قائلاً: [لأنه لا بد أن يكون بينكم بدع أيضاً، ليكون المزمكون ظاهرين بينكم]<sup>(2)</sup> وهذا يعني أنه في البداية لم يكن اختلاف الرؤى يعرقل الشخصيات القيادية في الحركة المسيحية الناشئة، والشاهد على ذلك الأناجيل الأربعة -التي تم الاعتراف بقانونيتها لاحقاً-، التي أظهرت من خلال اختلافاتها الكثيرة أن تلاميذ يسوع لم يعبروا بانسجام تام حول الأحداث التي نقلوها، كما أن مصطلح "الهرطقة" *hérésie*<sup>(3)</sup> لم يكن مزعجاً ولا يدل على التحقير على الإطلاق، فالمصطلح اليوناني "*hairesis*" بالمعنى الدقيق لا يعني شيئاً سوى: "الاختيار *le choix*" والاختيار فرصة ودليل على الانفتاح، النشاط، ودعوة إلى التسامح<sup>(4)</sup>.

مع ذلك فإن الاختلافات الفكرية خلال القرون الأولى للمسيحية أحدثت توترات كبيرة، إذ تحاول كل جماعة إثبات صحة رؤاها على حساب الجماعات الأخرى، وقد اعتبر العديد من المفكرين المسيحيين في العقود الأولى من القرن الثاني الاختلافات العقيدية بمثابة عقب أخيل (عبارة تشير إلى نقطة ضعف مميّنة) في المسيحية وسعوا جاهدين إلى تحديد عقيدة واحدة، لهذا السبب تم إضفاء السلبية على مصطلح "هرطقة" تدريجياً ويصفون بها المسيحيون الذين يرفضون الامتثال للعقيدة التي تميل إلى فرض نفسها<sup>(5)</sup>.

(1) *ibid*, p177.

(2) الرسالة إلى كورنثوس: 11: 19.

(3) الهرطقة: هناك من يعرفها على أنها كلمة إغريقية الأصل غامضة ومعناها الخروج على مجموعة الأفكار الدينية التي يؤمن بها السواد الأعظم من الناس في مجتمع ما وفي زمن ما. يؤكد الأنبا غريغوريوس في علم اللاهوت المقارن أن الهرطقة كلمة مقبولة ليست بالضرورة من الناحية الموضوعية، ولما ينم عن غموض حركة الهرطقة أن المجتمعات الوثنية التي تؤمن بتعدد الآلهة تعتبر التوحيد هرطقة تستوجب العقاب، في حين أن العالم بعد أن عرف الأديان السماوية يعتبر أن الهرطقة هي الإيمان بتعدد الآلهة. أنظر: عبد المنعم جبري: الرد على الإلهيين والماديين: (ط1، دار النهضة العربية، بيروت-لبنان، 2011)، ص65.

(4) Frédéric Lenoire, p178.

(5) *Ibid*, p178.

## الفصل الثالث: صورة المسيح خلال القرنين الثاني والثالث.

عقيدة التيار الغالب قبل مجمع نيقية: من أجل تطوير عقيدة تكون مقبولة من طرف الجميع، يذكر لونوار أنّ آباء الكنيسة سعوا أولاً إلى تحديد مجموعة من المبادئ الأساسية المعاكسة لفكر مارقيون والغنوصيين الذين يحتفرون ديموغروس اليهود، فأباء الكنيسة يؤكّدون من جهتهم أنّ العالم المادي (بما في ذلك الإنسان) جيد وهو عمل إله صالح، حكيم وفريد، وهذا الإله المتسامي لا يمكن فصله عن ذلك الذي أعلن عنه يسوع اليهودي ملكوته. لأنّ اللاهوتيين يركزون على ارتباطهم باليهودية ويؤكّدون أنّ المسيحيين يشكّلون إسرائيل الحقيقية، تلك التي تتحقّق فيها جميع الوعود الأمر الذي قاله ميتيلو (ميليتوس Méliton) أسقف ساردس في آسيا الصغرى في النصف الثاني من القرن الثاني: "في الواقع، إنّ خلاص الرّب والحق تنبأ به شعب إسرائيل مسبقاً، وشريعة الإنجيل تمّ الإعلان عنها مسبقاً في التّاموس، فالإنجيل هو تفسير التّاموس وإتمامه، والكنيسة مكان تحقيقه"<sup>(1)</sup>، يعلّق لونوار قائلاً: "من السّهل فهم هذا الموقف الذي سعى إلى إنقاذ إله إسرائيل ويدين ضلال الشّعب العبري"، لكن مسألة هويّة يسوع تبقى أكثر من إشكالية !

لقد اعتبر إنجيل يوحنا في بداية القرن الثاني دستور التيار الغالب الذي يؤكّد أنّ يسوع الابن الوحيد للإله المتحدّد ذو طبيعتين ناسوتية ولاهوتية، والكلمة هو: الحق والكمال [وَقَالَ اللَّهُ: نَعْمَلُ الْإِنْسَانَ عَلَى صُورَتِنَا كَشَبَهِنَا] كما يوضّح إيريناوس<sup>(2)</sup>.

يسوع هو مركز تاريخ الخلاص يسكنه الرّوح القدس، تتلخص هذه العقيدة الأرثوذكسية في اعترافات الإيمان (التي تسمّى أيضاً *Credo* باللاتينية ومعناها: "أؤمن je crois") التي يتمّ تعليمها للمتصرّين الجدد وتتلّى أثناء الاجتماعات المسيحية، وأقدم واحدة تعود لأغناطيوس الأنطاكي: [يسوع المسيح من نسل داوود، الذي ولد من مريم حقاً، أكل وشرب واضطهد حقاً في عهد بيلاطس البنطي والذي صلب حقاً، ومات، والكائنات السّماوية والأرضية شهود على ذلك، وقد قام حقاً من بين الأموات والآب هو الذي أقامه وسيقيمنا نحن في يسوع المسيح، نحن الذين نؤمن به، فبدونه ليست لنا حياة حقيقية]<sup>(3)</sup>، ثمّ أصبح اعتراف أغناطيوس هذا الذي أعيدت صياغته وإثراءه

(1)Ibid, p179.

(2) تكوين1: 26.

(3)Ibid, p180.

## الفصل الثالث: صورة المسيح خلال القرنين الثاني والثالث.

بإضافة الرّوح القدس رمز الرّسل الشّهير الذي صاغته كنيسة روما في حوالي 150م: [أؤمن بالله الآب القدير وبربنا يسوع المسيح ابنه الوحيد المولود من الرّوح القدس والعدراء مريم وصلب في عهد بلاطس البنطي ودفن وقام من بين الأموات في اليوم الثالث وصعد إلى السّماء وجلس على يمين الآب وسيعود منه ليدين الأحياء والأموات، وبالرّوح القدس وبالكنيسة المقدّسة وبمغفرة الخطايا وبقِيامة الجسد] وهذا القانون مازال يتلى في القدّاس إلى يومنا الحالي<sup>(1)</sup> بحسب الكاتب.

نلاحظ فيما سبق أنّ آباء الكنيسة أصبحوا مستعدّين أكثر للدّفاع عن يسوع ورسالته ولو على حساب تغيير مضمون رسالة معلّمهم والتّلاعب بشخصه خاصة بعد ظهور إنجيل يوحنا الذي أصبح دستور حياتهم.

### المطلب الثاني: بدايات تكوين الكتاب المقدّس المسيحي.

تعدّد التيارات يعني بالضرّورة تعدّد الكتابات، ومثل هذا الأمر يعرقل أيضًا الكنيسة العظمى في فرض سيطرتها على باقي الأقليات الأخرى، لهذا سعت الكنيسة إلى تكوين كتاب مقدّس يكون المعتمد بين جميع الطوائف المسيحية، ولكن هذا الأمر أيضًا لم يكن بالأمر الهين فقد مرّ بعدة مراحل سنها في هذا المطلب:

يذكر لونوار أنّ آباء الكنيسة شعروا بالحاجة إلى التّفويق بين اعترافات الإيمان التي وضعتها كل جماعة مع قانون الكتابات الشرعية (كلمة canon تعني باليونانية "القصب" أداة قياس وبالتالي تعني "المعيار") للحد من مخاطر التّأويلات السيئة لشخص يسوع ورسالته، وهذه الكتابات بالتّأكيد يجب أن تتوافق مع المبادئ الأساسية التي تعترف بها الكنيسة العظمى<sup>(2)</sup>.

لهذا السّبب سيتمّ قبول الكتابات اليهودية في المجموعة القانونية، فيسوع نفسه قد قرأها وقد أعلنت تلك الكتابات نفسها عن المسيح والعهد الجديد، فلهذه الأسباب استخدم مسيحيو الكنيسة العظمى الكتاب المقدّس اليهودي مع ميول إلى التّرجمة اليونانية التي تمّت في القرن الثالث قبل الميلاد المعروفة بالتّرجمة السبعينية وأطلقوا عليها التسمية التي أطلقها ماركيون "العهد القديم" ويتضمّن الكتب الخمسة للباننتوك (Pentateuque): (التكوين، الخروج، اللاويين، العدد، التثنية) ثمانية كتب للأنبياء (

(1)Ibid, p180.

(2)Ibid, p181.

## الفصل الثالث: صورة المسيح خلال القرنين الثاني والثالث.

يشوع، القضاة، صموئيل الأول والثاني، ملوك الأول والثاني، إرميا، حزقيال، ونصّ الأنبياء الصغار الاثني عشر) وإحدى عشر سفر من الكتابات: (راعوث، مزامير، أيوب، أمثال، الجامعة، نشيد الإنشاد، مرثي إرميا، دانيال، أستير، عزرا [نحميا، أخبار الأيام الأول والثاني] وأضيفت إليها عدّة أسفار تقرّها الكنيسة الكاثوليكية والأرثوذكسية الشرقية وترفضها مجمل الطوائف اليهودية والكنائس البروتستانتية كتبت باليونانية (وليس بالعبرية) تسمى: الأسفار القانونية الثانية (Deutérocanoniques) لأنّها تشكّل شريعة ثانية عند بعض الجماعات اليهودية هي: (الحكمة، باروخ، مكابيين الأول والثاني، يهوديت، طوبيا، يشوع بن سيراخ) منذ عام 160م ترجمت السبعينية إلى اللاتينية وأطلقت عليها تسمية: فيتيس لاتينا *la Vetus Latina* "اللاتينية القديمة - *Vieille Latine* فولغاتا"<sup>(1)</sup>.

بالمقابل مع العهد القديم وأيضاً للتغلب على مارقيون<sup>(2)</sup> ونظرته للعهد الجديد رأى آباء الكنيسة ضرورة وضع قائمة قانونية للكتابات المسيحية، هذه الأخيرة يعتقدون أنّها جمعت بوحى من الروح القدس، ولكن المهمة كانت صعبة جداً خاصة بعد القرن الثاني كما رأينا، حيث شهدت الفترة انتشار لا يصدق لكتابات متنوّعة ومتفرّقة وكلّها تقريباً منسوبة إلى الرّسل؟ كيف يمكن فرز هذا الخليط من الكتابات التي تدّعي كلّها أنّها تحمل الرّسالة الحقيقية ليسوع؟ كيف يمكن إثبات قانونيتها أو على العكس ابتداعها؟

يذكر لونوار عن بياس (Papias) أسقف هيرابوليس (بفرجينيا Phrygia) الذي عاش في النصف الأول من القرن الثاني بأنّه في حوالي سنة 140م اجتمع آباء الكنيسة وجمعوا جميع الأناجيل المنتشرة وعكفوا إلى الصّلاة بحيث تنفصل تلقائياً الكتابات الموحى بها عن تلك غير الموحى بها، حيث يرى لونوار أنّ هذه الحادثة ليست سوى أسطورة كان الهدف منها عدم إحراج اللاهوتيين أمام كثرة هذه النصوص المقدّسة، لأنّه في الواقع بعد مناقشة لا نهاية لها سيحدّد آباء الكنيسة بين منتصف ونهاية القرن الثاني مجموعة من النصوص القانونية<sup>(3)</sup>.

(1)Ibid, p181.

(2)ينطلق مارقيون في تفكيره على الفصل التام بين العهد القديم والجديد فيؤسّس لعقيدة مسيحية مستقلة عن التّوراة تقوم على إنجيل لوقا فقط في شكله المشذب والمختصر من قبله وعلى رسائل بولس الذي يعتبره مرقيون الوحيد الذي فهم الإنجيل بالتالي أسّس خلال أوساط القرن الثاني ميلادي كنيسة بديلة شكّلت أكبر تهديد للكنيسة العظمى وكان وراء تعجيل الكنيسة في إقرار الأناجيل الأربعة وتثبيت المعتقد الرّسمي في صيغته النّهائية. أنظر: فراس السواح: الرحمان والشيطان-التنوية الكونية ولاهوت التاريخ في الديانات الشّرقية-، (دط، مؤسسة هنداوي، المملكة المتحدة، 2022)، ص198.

(3)Frédéric Lenoire, p182.

## الفصل الثالث: صورة المسيح خلال القرنين الثاني والثالث.

المعايير الأربعة المستخدمة لاختيار الكتب القانونية: هي الأقدمية: كلما كان الكتاب أقدم كلما زادت فرصة الاعتراف كقانوني رسولي، الرسولية: أن يكون الكتاب كتب بواسطة رسول، أو على الأقل رفيق رسول، أن يكون الكتاب كاثوليكيًا: - عالمي - أن يكون معروفًا على نطاق واسع عند جميع الجماعات المسيحية، في الأخير يجب أن يكون أرثوذكسيًا: بمعنى تعظ بأفكار تقبلها الكنيسة العظمى<sup>(1)</sup>.

بهذا التعريف للعهد الجديد "أرثوذكسي" سيلعب إيريناوس دورًا رئيسيًا حيث أكد في حوالي سنة 180م بأنّ الأناجيل الأربعة - متى، مرقس، لوقا ويوحنا- هي الوحيدة التي تحمل رسالة المسيح الحقيقية، أربعة فقط وليس هناك أكثر: لأنه لا يمكن أن يكون هناك عدد أكثر أو أقل من الأناجيل، بما أنّ هناك أربع جهات في العالم التي نحن فيها وأربع رياح رئيسية، ومن جانب آخر بما أنّ الكنيسة منتشرة في جميع أنحاء الأرض ولها دعامة من أجل نشر الخبر السار وروح الحياة، إذن من الطبيعي أن تحتوي على أربعة أعمدة تُب من جميع الجهات الطهارة وتعيد الحياة للبشر". كما أن إيريناوس يعدّ الأوّل الذي ربط الأناجيل الأربعة بالأحياء الأربعة في رؤيا يوحنا، رابطة حققت ثورة كبيرة في الفن تحت اسم: « رباعي الأشكال tétramorphe »<sup>(2)</sup> لكن تصنيفه يختلف عن ذلك الذي المعروف حاليًا إذ أنّ أسقف ليون ينسب إلى متى شخصية إنسان ولوقا الثور ومرقس النسر وليوحنا الأسد وليس العكس.

إلى جانب الأناجيل الأربعة يحتفظ إيريناوس بسفر أعمال الرسل، رسائل بولس، الرسالة الأولى لبطرس، الرسالة الأولى ليوحنا والرؤيا باعتبارها جديرة بالإيمان أيضًا<sup>(3)</sup>. وفي نفس الوقت تقريبًا (في السنوات 165-185) تداولت في روما وثيقة تعرف بقانون موراتوري<sup>(4)</sup> Canon de Muratori يميّز

(1)Ibid, p182.

(2) Le tétramorphe: هو كائن يتكوّن من أربعة مخلوقات: إنسان، أسد، ثور، نسر التي تعتبر رموز الأناجيل الأربعة وأصلها موجود في رؤيا يوحنا: 4: 6-7: [وَقَدْأَمَ الْعَرْشِ بَحْرُ زُجَاجٍ شَبُهَ الْبُلُورِ. وَفِي وَسْطِ الْعَرْشِ وَحَوْلَ الْعَرْشِ أَرْبَعَةُ حَيَوَانَاتٍ مَمْلُوءَةٌ عُيُونًا مِنْ قُدَامٍ وَمِنْ وَرَاءِ: وَالْحَيَوَانُ الْأَوَّلُ شَبُهَ أَسَدٍ، وَالْحَيَوَانُ الثَّانِي شَبُهَ عِجَلٍ، وَالْحَيَوَانُ الثَّلَاثُ لَهُ وَجْهٌ مِثْلُ وَجْهِ إِنْسَانٍ، وَالْحَيَوَانُ الرَّابِعُ شَبُهَ نَسْرٍ طَائِرٍ].

(3)Ibid, p183.

(4) موراتوري: تحتوي هذه الوثيقة على أقدم قائمة موجودة لكتابات العهد الجديد المقبولة بصفتها موحى بها بالتالي لها أهمية قصوى بالنسبة لتاريخ قانونية الأسفار، هذه الأخيرة اكتشفها ونشرها ل.أ. موراتوي في عام 1740م من مخطوطة تعود للقرن الثامن في المكتبة الأمبروسية في ميلان ولغتها اللاتينية غير متقنة وهجاؤها سيء. أنظر: جوهانس كواستين، ج2، ص222.

## الفصل الثالث: صورة المسيح خلال القرنين الثاني والثالث.

فيها مؤلفها المجهول تمييزًا مثيرًا للاهتمام بين الكتب المقبولة من قبل جميع الكنائس، الكتب غير الموثوق بها، وبين التي خضعت للتغيرات وتلك التي تعتبر هرطوقية.

**الاختلافات حول قانونية كتابات يوحنا:** إذا كانت هناك كتابات أثارت ألفت خلاف حول طابعها ما إذا كانت موحى بها أم لا، فهي بالتأكيد الكتابات المنسوبة إلى يوحنا خاصة رؤيا يوحنا، ففي بداية القرن الثاني شكَّ البعض أن يكون مؤلفها هو الرسول يوحنا، بل ذهب البعض أبعد من ذلك حيث اعتقدوا أنه من عمل كرينثوس الغنوصي، وهو الحال مع منكري الكلمة (les alogiens) الذين يرفضون طبيعة الكلمة (Logos) المنسوبة إلى يسوع في تلك النصوص التي يعتبرونها مشكوك في صحتها. بينما تقدّم بعض الجماعات المسيحية الأخرى تفسيرًا حرفيًا للرؤيا تكشف عن نهاية وشيكة للعالم<sup>(1)</sup>.

**المونتانية:** يقود هذه الحركات رجل خصي من فرجينيا اسمه مونتانوس (Montanus) عاش في نهاية القرن الثاني وبداية القرن الثالث، ادعى أنه المعزي -البارقليط- الذي أعلن المسيح عن مجيئه في إنجيل يوحنا: [وَمَتَى جَاءَ الْمُعْزِي الَّذِي سَأَرْسَلُهُ أَنَا إِلَيْكُمْ مِنَ الْآبِ، رُوحَ الْحَقِّ، الَّذِي مِنْ عِنْدِ الْآبِ يَنْبَغِي، فَهُوَ يَشْهَدُ لِي]<sup>(2)</sup>، وقال لأتباعه هذه العبارة: "باسم الآب والابن والرّب مونتانوس"، ترافقه مساعدتان من الإناث ماكسيميليا (Maximilla) وبريسكا (Prisca) ويبيشرون باقتراب اليوم الأخير الذي يجب أن يستعدّ له الفرد بالزهد الشديد خاصة الصّوم (صيام إكسيوفاجي xérophagie الذي يتركز على تناول الفواكه الجافة بدون أي عصير).

على العموم الطائفة ليست منحرفة عن وجهة النظر الكرستولوجية -خاصة أنّ وضع الرّوح القدس لم يكن واضحًا آنذاك، رغم ذلك كان يزعم آباء الكنيسة العظمى بشخصه المتعالي، وكان أعضاؤها يعيشون انفعالات عاطفية، يتنبؤون بشكل مفرط، ويسعون للشهادة ويدعون أنّ الرّوح القدس الرّوح يتكلّم من خلالهم، وكانوا ضد التسلسل الهرمي الكنسي<sup>(3)</sup>.

(1)Frédéric Lenoire, p184.

(2) يوحنا 15: 26.

(3)Ibid, p184- 185.



## الفصل الثالث: صورة المسيح خلال القرنين الثاني والثالث.

انتشار المونتانية: لا يوجد سوى القليل ممن يؤيدون أفكارهم من بينهم المفرط ترتليان الذي انضمّ في نهاية حياته إلى صفوف المونتانيين! أمّا اللاهوتيين الآخرين الذين اجتمعوا في مجمع بآسيا الصغرى أذان الأغلبية "النبوءة الجديدة" لمونتاس التي استمرت مع ذلك حتى القرن السادس أو السابع من خلال الطوائف المعروفة بـ: الفيرجية (Phrygiennes) أو ذات الجذور الفيرجية (Cata-phrygiennes) وفي نفس الوقت يتساءلون عن الحالة التي ينبغي إعطاؤها لرؤيا يوحنا التي أثارت اختلافات في صفوف هؤلاء التنويريين، ففي بداية القرن الثالث رفضها الكاهن الروماني (Gains) وظلّت مسألة قبولها في القانون تناقش حتى القرن العاشر في بعض الكنائس الشرقية<sup>(1)</sup>.

على أية حال على الرغم من أنّ عبارة "العهد الجديد" (بالمعنى الذي قدمته الكنيسة العظمى) ظهرت ابتداءً من سنة 200م بواسطة قلم كليمتس الإسكندري، إلا أنه يجب الانتظار حتى القرن الرابع لوضع قائمة محدّدة للكتابات المسيحية القانونية، ويعتبر أناسيوس الإسكندري هو من قام في سنة 367م بإحصاء الأسفار السبعة والعشرون التي يتكون منها العهد الجديد وهي القائمة المؤكّدة بموجب مرسوم البابا داماسوس (Damase) سنة 382م وبعدها من قبل مجمع قرطاج الثاني في 28 أغسطس 397م، وكانت الكتابات المختارة هي كما يلي: الأناجيل الأربعة: (متى، مرقس، لوقا، يوحنا) أعمال الرسل، أربعة عشر رسالة نسبت إلى بولس وسبع رسائل تسمى: "كاتوليكية" (رسالة يعقوب، رسالتين لبطرس، ثلاثة رسائل ليوحنا، ورسالة يهوذا) والرؤيا المثيرة للجدل. ومع ذلك هذه القائمة المحدّدة لم تكن لديها قوّة قانونية، فإذا كانت معظم الكنائس تتفق على هذه المجموعة فإنّه هناك اختلاف بين الجماعات المسيحية<sup>(2)</sup>. (وإلى غاية يومنا هذا فإن الكنائس المسيحية لا تملك نفس الكتاب المقدّس).

هكذا أسفرت الجهود المشتركة لعلماء لاهوت الكنيسة العظمى في نهاية القرن الثاني إلى إنتاج كتاب مقدّس يتكوّن من جزأين: عهد قديم وعهد جديد، ومن يضمن تماسك هذان العهدان هو يسوع المسيح لأنّه في نظر آباء الكنيسة هو بالفعل المسيح الذي أعلنت عنه النبوءات اليهودية في الكتاب الأوّل<sup>(3)</sup>.

(1)Frédéric Lenoire, p185.

(2)Ibid, p185-186.

(3)Ibid, p186.

## الفصل الثالث: صورة المسيح خلال القرنين الثاني والثالث.

الكتابات الأبوكريفية **Les apocryphes** : بعد أن تم إيقاف اختيار الكتب المقدسة المسيحية في نهاية القرن الثاني ما هو مصير الكميات الكبيرة من الكتابات غير المعترف بها والتي لم يتم دمجها مع الكتابات القانونية؟

يذكر لونيوار أنّ الكنيسة أطلقت عليها اسم "أبوكريف"<sup>(1)</sup> المصطلح الذي كما وضّحت سابقاً يعني: "المخفي، السري" - لأنها في بعض الأحيان تعني دعوة لكشف تعاليم سرّية- وأيضاً تحمل معنى: غير أصلية. وقد كان آباء الكنيسة ينظرون إليها بعدم الثقة للأسباب التالية: لأنّ مؤلفها الحقيقي يبقى مجهول أو أنّها نسبت باطلاً إلى أحد تلاميذ يسوع أو لأنها تحتوي على أمور غريبة عن الإيمان المسيحي الأرثوذكسي كما قيل عن الأبوكريف الغتوصية<sup>(2)</sup>.

ومع هذا فإنّ العديد من النصوص الأبوكريفية لا تُظهر أي انحراف عقائدي وكان البعض منها موضع تقدير كبير وتقرأ في الكنيسة العظمى: وهو الحال على سبيل المثال مع رؤيا بطرس (أوائل القرن الثاني) وتلك التي كتبها بولس (نهاية القرن الثاني). ولكن مهما كانت شعبيتها فإنّها كتبت بعد فترة طويلة من الأناجيل الأربعة التي تعتبر أرثوذكسية، وبالتالي ليست من تأليف التلاميذ الذين عرفوا يسوع وبالتالي فهي تعتبر "غير أصلية". وعلى الرّغم من تراجعها بعد تقنين العهد الجديد لكنّها بقيت تغذي روحياً المجتمعات المسيحية وتركت بصمتها على الفن والأدب، على سبيل المثال إنجيل يعقوب الأوّل- الذي تحدّث عنه سابقاً- الذي نجح في فرض فكرة ولادة يسوع في كهف ضد الأناجيل القانونية التي

(1) يُطلق اسم "أبوكريف" على مجموع الكتابات الدّينية التي اشتملت عليها الترجمات السبعينية واللاتينية للكتاب المقدّس زيادة على ما في الأسفار القانونية عند اليهود والبروتستانت، يُقسم التقاد اليوم "الأبوكريف" إلى أبوكريف العهد القديم وأبوكريف العهد الجديد، كما أنّ الكلمة كثيراً ما تُطلق في العصر الراهن على ما يُسمّى بالكتابات المزوّقة، أي بمعنى أن الكلمة مرادفة في التاريخ المعاصر لمعنى "مُزوّر" "وكاذب"، ولكنّها في الحقيقة لم تكن تفيد هذا المعنى في أصلها الأوّل، بل على العكس تماماً كانت تُمثل مُسمّى لكتابات لها قيمتها الخاصة والمميّزة، ففي معجم اليهودية يرد ما نصه:

Le mot grec apokripha, dérivé du verbe Kryptein, "cacher" signifiait à l'origine «choses cachées», plus précisément aux livres "cachés" ou "secrets" de par leur contenu .

فالنص "الأبوكريف" كان يعني أنه أثن من أن يوضع بين أيدي عامة الرّعاء، وإنّما يجب حفظه وفقاً على من هم مؤهلون لتسلّم الأسرار، أي على الدائرة الضيّقة من المؤمنين، والاسم أبوكريف حينما أُطلق على الكتابات الدّينية كان يحمل معاني السريّة والخفاء والغموض والصعوبة والإبهام، لذلك كان حكرًا على فئات معينة من الناس. أنظر: نزار صميّدة، مرجع سابق، ص 211.

(2)Frédéric Lenoire, p186- 187.

## الفصل الثالث: صورة المسيح خلال القرنين الثاني والثالث.

تقول عكس ذلك، وإنجيل متى المنحول المكتوب على الأرجح في القرن السادس الذي يحتوي على أسطورة تقول أنّ المولود سجد له حمار وثور وقد استغل الفن المسيحي هذا الأمر كثيراً<sup>(1)</sup>. لقد عرفت الأناجيل الأبوكريفية لعدّة سنوات انتشاراً واسعاً بين الناس سمحت لهم باكتشاف جوانب من حياة يسوع لم تكن مذكورة في النصوص القانونية، وهذه الأناجيل الأبوكريفية تبين تعدّد الأصوات واختلاف الرّوى في المجتمع المسيحي خلال القرنين الثاني والثالث، التي مازالت شخصية يسوع تغذيها<sup>(2)</sup>.

بداية عقد المجامع المسيحية: إنّ التّعددية واختلاف الأصوات والرّوى وفقاً لوجهات النظر التي يتبناها كل مؤمن احتاجت إلى قرون لتتمكّن الكنيسة من وضع حد لها، ومن بين أحد الوسائل التي استخدمتها لضمان احترام الأرثوذكسية هو جمع قادتها من أجل مناقشة التّدابير الواجب اتخاذها ضد "المنشقين" ومناقشة العقائد التي يمكن أن تسبّب مشكلة<sup>(3)</sup>، وحتى القرن الرابع كان من المستحيل استدعاء جميع الشّخصيات المسيحية الشرقية والغربية إلى مكان واحد كما قيل، وتعتبر مخاطرة كبيرة في وقت مازالت فيه الديانة الناشئة غير قانونية، في ذلك الوقت كانت الكنائس تتمتع باستقلاليتها وحريصة على إدارة شؤونها دون تدخّل ممثلي البلدان الأخرى، ومن جهة أخرى انتشرت فكرة إقامة مجامع إقليمية (تسمى: أيضاً سينودس) وتطوّرت ابتداءً من التّالث الأخير من القرن الثاني: في آسيا الصّغرى اجتمع لاهوتيو الكنيسة العظمى لمحاربة المونثانية وحرّموا أعضاء منها، كما تطوّرت فكرة إقامة المجامع الإقليمية في القرن الثالث، فنحو سنة 220م أعلن أغريبنوس (Agrippinus) أسقف قرطاج في مجمع إفريقي عن بطلان المعمودية التي يمنحها الهرطقة المسيحيين، وجمع آخر عقد بأنطاكيا سنة 268م أدان فكرة أوريجانوس التي تقول: أنّ الرّوح سبقت المسيح واتّحد الكلمة بجسد يسوع تمّت بواسطة هذا الرّوح، والأساقفة المجتمعون بدورهم يرفضون أن تكون للمسيح روح بشرية: الكلمة هو الذي حلّ محلّها<sup>(4)</sup> هذا

(1)Frédéric Lenoire, p187.

(2)Ibid, p187.

(3)Ibid, p 188.

(4) يطلق اللاهوتيون على ردة الفعل ضد أوريجانوس "نظرية الكلمة- الجسد" « théorie du Verbe-chair » الجسد هو وعاء الكلمة، ص 189.

## الفصل الثالث: صورة المسيح خلال القرنين الثاني والثالث.

التأكيد سيؤدي إلى تقسيم صفوف اللاهوتيين في القرن الرابع وسيتم رفضها في مجمع خلقيدونية سنة 451م<sup>(1)</sup>.

إنَّ الجدالات عن هويّة يسوع وطبيعته كما رأينا لم ولن تنته كما رأينا حتى بعد إرساء معالم الأرثوذكسية الأولى! ولما كان الأمر كذلك سعت الكنيسة تدريجيًا ببطءٍ وبثباتٍ وتنظيمها المتقن وقرارها إلى صقل عقيدتها في ترسيخ سلطتها في مواجهة باقي الأقليات حتى نجحت في ذلك، وأصبحت بذلك في نظر السلطنة الرومانية جماعة قوية يجب أن تتعامل معها<sup>(2)</sup>.

لقد بدأت رسالة المسيح الحقيقة تختفي تدريجيًا بسبب أتباع الكنيسة العظمى الذين سهروا على وضع قانون إيمان يلزمون به أتباع المسيح وفرض سيطرتها عليهم أيضًا وأطلقوا لقب الهرطقة على المخالفين وعلى كتبهم اسم الكتابات الأبوكريفية، ورغم أن مرجعية أتباع الكنيسة العظمى ليست مؤسّسة بل تم اختيارها بعناية فقط من أجل الوصول إلى مبتغاها خاصة أن المسيح نفسه لم يكتب الإنجيل ولم يأمر أحد بكتابه<sup>(3)</sup>، لذا فرض أفكار الكنيسة العظمى على المؤمنين بيسوع لم يكن سوى لتسوية العلاقات بين المسيحيين والوثنيين ولو حساب محو هوية يسوع المسيح ومعالم شخصه.

### المطلب الثالث: عودة الاضطهادات.

في فجر القرن الثالث كانت المسيحية قد غيرت صورتها حقًا من طائفة هامشية من اليهودية إلى ديانة مستقلة أصبحت الغالبة في آسيا الصغرى وفي شمال مصر وفي منطقة قرطاج، وتمكّنت الكنيسة العظمى التي تأسست بقوة من التيارات المسيحية المتعددة أخيرًا، إلا أن هذا الأمر لم يمنع الأباطرة من اضطهاد المسيحيين الذين يعتبرونهم دائمًا خطرًا على وحدة الإمبراطورية، في هذا المطلب سنتعرف على أقسى الاضطهادات التي عاشها المسيحيون قبيل مجمع نيقية وأثرها على العقيدة الجديدة وأتباعها:

(1)Frédéric Lenoire, p188- 189.

(2)Ibid, p189.

(3)إنَّ أي وصف لكتاب ونصي ديني بالوثيقة والحجية والعصمة والاتصال بالسماء لا يمكن أن يكون صحيحًا اذا عارضه وجود المتناقضات فيه وذلك ما نجده في نصوص العهد الجديد بل والقديم كذلك. أنظر: محمد بودبان: إشكالية العلاقة بين التصوص الدينية وتقرير العقائد-الإسلام والنصرانية نموذجًا-جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، 2011-2012م، رسالة دكتوراه غير منشورة، ص65.

## الفصل الثالث: صورة المسيح خلال القرنين الثاني والثالث.

منذ نهاية حكم سيبتيموس سيفيروس (Septime Sévère) سنة 211م هدأت الاضطهادات ممّا فسح المجال لنوع من التفاهم الودّي بين المسيحيين والوثنيين، كما فضّل بعض الأباطرة مثل: فليب العربي (Philippe L'Arabe 244-249م) إظهار الإحسان تجاه المؤمنين بيسوع... هذا بغضّ النظر عن الانقلاب الوحشي الذي قام به خليفته ديكيوس (Dèce) سنة 250م<sup>(1)</sup>.

فمنذ حكم هذا الأخير عاش المسيحيون اضطهادات فظيعة سنتعرّف عليها كما ذكرها لونوار:

**اضطهاد ديكيوس:** لقد أبدى الوثني المتعصب ديكيوس الذي حكم من سنة 249 إلى 251م عداً شديداً تجاه المسيحيين وكان لا يتحمّل أن يرى في روما سلطته تنافسها سلطة أسقف الله، وكان القيصر يواجه أزمة خطيرة للغاية في ذلك الوقت تتمثّل في نجاح البرابرة من حصار حدود الإمبراطورية ونهب البلقان وجزء من آسيا، وبالتّسبة لديكيوس رأى أنّه من الضّروري القيام بكلّ شيء لتحقيق تماسك ووحدة الإمبراطورية في مواجهة المخاطر التي تحفّها<sup>(2)</sup>، وقد اقتنع ديكيوس بسرعة أنّ المسيحيين هم مصدر هذه المخاطر والصّعوبات لأنّهم يرفضون تكريم الآلهة التقليديّة، فأصدر في نهاية 249م بداية 250م مرسوماً يأمر فيه جميع شعوب الإمبراطورية بالتّضحية للآلهة بما فيهم المسيحيين الذين يتوجّب عليهم القيام بذلك أيضاً. لم يكن القرار في بدايته يهدف إلى مهاجمة المسيحيين بل الغاية منه هو حشد جميع السّكان حول الطّقوس الرّسمية ولم يطلب من المسيحيين التّخلي عن دينهم فوراً، لكن شيئاً فشيئاً أصبحت اللّهجة أكثر قسوة فقد سجن الممتنعون، وعذب وأعدم آخرون وتمّ إعدام أسقف روما فايان (Fabien) في جانفي سنة 250. أمّا أولئك الذين من أنطاكية وأورشليم ماتوا في السّجن... وأمام هذا الاضطهاد العنيف وغير المتوقّع شعر المسيحيون بالرّعب وهرعوا بأعداد كبيرة يرتدّون عن دينهم تحت ضحك الوثنيين كما يذكر يوسابيوس القيصري<sup>(3)</sup>.

**اضطهاد فاليريانوس:** لقد أدّى موت ديكيوس في ماي 251م إلى وضع حد لتلك الاضطهادات إلّا أنّ فترة الرّاحة كانت قصيرة لأنّ الطاعون دمّر السّكان من 250م إلى 265م واعتبر المسيحيون هم المسؤولين عن ذلك الوباء. وقام الإمبراطور فاليريانوس (Valérien) الذي حكم من

(1)Frédéric Lenoire,, p 191.

(2)Ibid, p191- 192.

(3)Ibid, p192.

## الفصل الثالث: صورة المسيح خلال القرنين الثاني والثالث.

253- 260م على إثر ذلك بتشديد الخناق على المسيحيين بنشر مرسومين متتاليتين لاضطهادهم، وفي أغسطس 257م منع الاحتفالات الليتورجيا وأمر الأساقفة والقساوسة والشمامسة بالتّضحية للآلهة الوثنية تحت التهديد بالنّفي، وفي أغسطس 258م أصدر عقوبة الإعدام في حق رجال الدّين وأعضاء مجلس الشّيوخ والفرسان المسيحيين الذين يصرّون على إيمانهم بينما خصّص النّفي للنساء، والاستعباد والأعمال الشّاقة لموظّفي الدّولة وكلّ هذا مصحوبٌ بمصادرة ممتلكاتهم<sup>(1)</sup>.

لقد عزم الإمبراطور على قطع رأس الدّين الناشئ وذلك بمهاجمة التسلسل الهرمي الكنسي وكبار علمانيين المسيحية، وتمّ إرسال ديونيسيوس الإسكندري إلى المنفى ورغم مصيره إلّا أنّه يحسد عليه مقارنة مع الأساقفة الآخرين الذين حكم عليهم بتعذيبهم في مناطق مُلغمة. والأسوأ من ذلك في أغسطس سنة 258م تمّ قطع رأس سيكتوس الثاني (Sixte II) أسقف روما مع مجموعة من الشّمامسة وفي سبتمبر من نفس العام تمّ إعدام قبريانوس القرطاجي وأعضاء آخرين في الكنيسة وحتىّ النّاس العاديين.

**عودة السّلام في المجتمع المسيحي:** رغم كل ما حدث سوف يتمكّن المسيحيون أخيراً من

التّنفّس بعد حكم ابن فاليريانوس المسّمى: غالينوس (Gallien) والذي أشار إلى عدم فعالية السّياسة التي انتهجها والده وأصدر مرسوماً للتّسامح في 259 أو (260) ينصّ على حرّية العبادة وإعادة الممتلكات إلى الكنائس، هذه الفترة من التّعايش السّلمي مع الدّولة الرّومانية استمرّ لأكثر من أربعين عاماً ممّا سمح للكنيسة باستعادة نشاطها واستئناف توسّعها<sup>(2)</sup>.

بعد السّلام الذي عاشه المسيحيين لأكثر من أربعين عاماً بعد حكم غالينوس تعود الكنيسة إلى نشاطاتها داخل الكنيسة ومن بين المسائل التي أولتها الكنيسة أهمية عظيمة مسألة المرتدّين لأنّ المسيحية في نظرهم تتطلّب التّضحية ولكن كما رأينا فعندما تشدّد الاضطهادات يهرع البعض إلى ترك دينهم وهو الأمر الذي أقلق بعض الطّوائف المسيحية وسنرى هنا كيف تعاملت الكنيسة مع المرتدّين:

(1)Frédéric Lenoire,, p192- 193.

(2)Ibid, p193.



## الفصل الثالث: صورة المسيح خلال القرنين الثاني والثالث.

مسألة المرتدّين: لقد تركت الاضطهادات ندبات عميقة في نفوس المسيحيين وقد واجه رجال الدّين سؤالاً شائكاً يتمثّل في: ماذا يُفعل بالمسيحيين الذين تخلّوا عن إيمانهم خوفاً من الاضطهاد؟ يطلق عليهم باللاتينية: (*lapsi* الساقطون) وهم الذين سقطوا ويرغبون في العودة إلى حظيرة الكنيسة؟<sup>(1)</sup>.

بعد الاضطهادات التي قام ديكيوس، طالب الكاهن الرّوماني نوفاتيان (Novatien) بمزيد من الحزم تجاه المرتدّين: فبحسبه لا يمكن أن يتصالحوا مع الكنيسة بأي شكل من الأشكال ولا حتّى بالتوبة والتكفير عن ذنوبهم. ولكنّ أسقف روما كورنيلوس (Corneille) لم يسمع له بتلك الطّريقة ودعاه إلى أن ينظر بعين الرّأفة إلى المرتدّين ووجّه نوفاتيان إتهام إلى كورنيلوس بالتساهل مع المرتدّين وتمكّن نوفاتيان من إقناع ثلاثة أساقفة من المنطقة بترسيمه أسقفًا ولأوّل مرّة يوجد إذن أسقفين من روما، عقد سنة 251م مجمع لوضع حد لهذا الموقف والتحقّق بالتصويت لكورنيلوس على حساب نوفاتيان<sup>(2)</sup>، ولكن هذا لم يمنع هذا الأخير من الحصول على دعم من طرف العديد من الأتباع أدى إلى ظهور انشقاق استمرّ حتى نهاية القرن السّادس، بينما في القرن الرّابع ظهر تيار آخر يدافع عن الأصولية وضد المرتدّين المتمثّل في الدوناتيين (Donatistes).

هذه الاضطهادات باختصار لم تقلل من أتباع الكنيسة فقط بل زرعت أيضًا الفتنة داخلها<sup>(3)</sup>، كما أنّها لم تنته بل عادت بأبشع صورها مع دقلديانوس الذي أرهق، نطرح تساؤل هنا هل يمكن لهذا الأخير أن يُضعف شوكة المسيحيين وأن ينهي وجودهم؟ هذا ما سنراه في بقية هذا المطلب:

**اضطهاد دقلديانوس العظيم (303-311):** رغم الاضطهادات السابقة التي ذكرناها فإنّ الأصبعب والأخطر لم يأت بعد، وذلك لأنّ دقلديانوس (Dioclétien) الإمبراطور منذ 284م لم يُبد في البداية أي اهتمام تجاه المؤمنين بيسوع، لكنّه فيما بعد سوف يرتكب أعنف وأشد اضطهاد مرّوا به حتى الآن<sup>(4)</sup>.

كان عام 303م عامًا كارثيًا: حيث أصدر الحاكم أربعة مراسيم متتالية شديدة القسوة أمرًا بتدمير الكنائس وحرق الكتابات المسيحية ومصادرة الممتلكات، وحظر اجتماعات العبادة والممارسات

(1)Frédéric Lenoire, p193- 194.

(2) انظر يوسابيوس القيصري: تاريخ الكنيسة، تع: مرقس داود، مكتبة الحجة، القاهرة، ط3، 1998م، ص294-296.

(3)Ibid, p 194.

(4)Ibid, p194- 195.

## الفصل الثالث: صورة المسيح خلال القرنين الثاني والثالث.

الدّينية، واتخاذ تدابير لتتحمى الأشخاص ذوي الرّتب العالية في الإمبراطورية مع عدم قدرة المسيحيين على رفع دعاوي قانونية، واعتقال رجال الدّين مع إجبارهم على تقديم الأضاحي<sup>(1)</sup> للآلهة الرومانية ووجوب امتثال جموع المسيحيين لتلك التّقاليد.

ليس المسيحيون فقط من دفعوا ثمن قرارات الإمبراطورية العنيدة بوجوب العودة إلى العبادة التّقليدية، ففي عام 302م أصدر مرسومًا مماثلاً خاصًا بالمانويين ورد فيه: "إنّه لا ينبغي أن تُنتقد الدّيانة القديمة من قبل الجديدة". لا بد من القول بأنّ دقلديانوس الذي تمكّن من تحقيق الاستقرار في الوقت الذي كانت فيه الإمبراطورية محفوفة بالمخاطر منذ 230م رغب في تعزيز القدرة المطلقة للدولة المتجسّدة في شخصه المقدّس فأعلن عن نفسه أنه (Jovius) سليل جوبيتر والد الآلهة. ومع ذلك فإنّ تطبيق تلك المراسيم -وتختلف شدّتها حسب المنطقة- تتسبّب في عمليات إعدام عديدة، وقد وصف يوسابيوس القيصري بعض أنواع العذابات المختلفة لشهداء المسيحية: "هناك من لقوا حتفهم بواسطة الفأس مثلما حدث لأولئك الذين من بلاد العرب، وفي بعض الأحيان تكسر أرجلهم مثلما حدث لأولئك الذين من كبادوكيا، وأحيانًا أخرى يعلّقون من أقدامهم ورؤوسهم إلى الأسفل بينما توقد النّار تحتهم و يخنقهم دخان النّار الملتهبة كما حدث في بلاد الرّافدين، وأحيانًا أخرى يقطعون أنوفهم، آذانهم، أيديهم، وأجزاء أخرى من أجسامهم كما حدث في الإسكندرية<sup>(2)</sup>، ويجب ذكر ما حدث لأولئك الذين من أنطاكيا حيث كانوا يضعونهم على المشاوي الحمراء لا بقصد قتلهم بل لتعذيبهم لفترة طويلة<sup>(3)</sup>.

**عودة السّلام:** بعد تخلي دقلديانوس عن الحكم سنة 305م قلّ الاضطهاد إلّا في الشّرق حيث بلغ ذروته سنة 308م وفي أبريل 311م قرّر الإمبراطور غاليريوس (Galère) على فراش موته وضع حدّ لهذا العنف بإصدار مرسوم يمنح للمسيحيين مرّة أخرى حقّ عقد اجتماعات العبادة، كما أنّ المرسوم

(1) انظر أيضًا: أحمد غانم حافظ: الإمبراطورية الرومانية من النّشأة إلى الانهيار، تق: حسين أحمد شيخ، دار المعرفة الجامعية، مصر، دط، 2008م، ص91.

(2) انظر يوسابيوس القيصري: تاريخ الكنيسة، تع: مرقس داود، مكتبة الحبة، القاهرة، ط3، 1998م، ص364.

(3) Frédéric Lenoire, p 195- 196.

## الفصل الثالث: صورة المسيح خلال القرنين الثاني والثالث.

يعترف بشرعية إيمانهم (طلب منهم قائلًا: على المسيحيين أن يصلّوا إلى إلههم من أجل خلاصنا، وخلاص الإمبراطورية) وأدجت المسيحية إلى صفوف الأديان المرخص بها<sup>(1)</sup>.

لقد أهلك المسيحيون وانقسموا فيما بينهم بسبب النزاعات العنيفة، واستنفذت طاقتهم بسبب الاضطهادات، لكن من كان يعتقد بأن المسيحية ستصبح الديانة الرسمية للإمبراطورية بعد سنوات قليلة؟ بالتأكيد ليس "نيام أفسس السبعة" - كما تقول الأسطورة- الذين تعرّضوا للاضطهاد في زمن ديكيوس بسبب رفضهم تقديم الذبائح لآلهة روما ولجأوا إلى كهف ولم يخرجوا منه إلا في عهد ثيودسيوس الثاني (Théodose II-408-450م)، بعد أن قرّر أحدهم مغادرة المغارة وكان مفاجأة عندما رأى باب مدخل المدينة ترفع عليه علامة الصليب! متسائلًا: ما هذا؟ بالأمس فقط لا أحد يجرؤ على نطق اسم يسوع-المسيح، واليوم يعترفون بجميع المسيحيين؟ والأمر الذي وقع هو أنه أثناء نومهم الطويل حدث انقلاب لا يصدّق، انقلاب بطله الرئيسي يسمّى: قسطنطين<sup>(2)</sup>.

خلال القرنان الثاني والثالث لم يتمكن المسيحيون من الاتفاق على عقيدة واحدة ولا على إعطاء صورة واحدة لشخص يسوع المسيح ولا على توضيح مضمون رسالته، وكانت هذه الفترة مليئة بظهور فرق وطوائف وشخصيات تحمل أفكار وآراء مختلفة زادت من تعقيد فهم شخص يسوع ورسالته، كما تميّزت أيضًا تلك الفترة باضطهاد الأباطرة للمسيحيين خاصة في نهاية القرن الثالث، لكن الوضع لن يدوم فكلّ شيء سيتغيّر في تاريخ المسيحية بعد اعتلاء الإمبراطور قسطنطين للعرش ويشمل التحوّل في المسيحية جميع الجوانب سواء في العقائد أو في العبادات أو في الاجتماعات، وسيحاول أتباع الكنيسة العظمى فرض أنفسهم بمساعدة الأباطرة الرومان من أجل أن تُصبح المرجع الأساسي لباقي الطوائف التي يُستند إليها في فهم شخص يسوع المسيح.

(1)Frédéric Lenoire, p 196.

(2)Ibid, p 196- 197.



الفصل الرابع: أسباب انعقاد مجمع نيقية وقراراته.  
القرآن الكريم: سورة البقرة الآية 175، سورة آل عمران الآية 103، سورة المائدة الآية 48، سورة النور الآية 24، سورة الحج الآية 25، سورة الحج الآية 26، سورة الحج الآية 27، سورة الحج الآية 28، سورة الحج الآية 29، سورة الحج الآية 30، سورة الحج الآية 31، سورة الحج الآية 32، سورة الحج الآية 33، سورة الحج الآية 34، سورة الحج الآية 35، سورة الحج الآية 36، سورة الحج الآية 37، سورة الحج الآية 38، سورة الحج الآية 39، سورة الحج الآية 40، سورة الحج الآية 41، سورة الحج الآية 42، سورة الحج الآية 43، سورة الحج الآية 44، سورة الحج الآية 45، سورة الحج الآية 46، سورة الحج الآية 47، سورة الحج الآية 48، سورة الحج الآية 49، سورة الحج الآية 50، سورة الحج الآية 51، سورة الحج الآية 52، سورة الحج الآية 53، سورة الحج الآية 54، سورة الحج الآية 55، سورة الحج الآية 56، سورة الحج الآية 57، سورة الحج الآية 58، سورة الحج الآية 59، سورة الحج الآية 60، سورة الحج الآية 61، سورة الحج الآية 62، سورة الحج الآية 63، سورة الحج الآية 64، سورة الحج الآية 65، سورة الحج الآية 66، سورة الحج الآية 67، سورة الحج الآية 68، سورة الحج الآية 69، سورة الحج الآية 70، سورة الحج الآية 71، سورة الحج الآية 72، سورة الحج الآية 73، سورة الحج الآية 74، سورة الحج الآية 75، سورة الحج الآية 76، سورة الحج الآية 77، سورة الحج الآية 78، سورة الحج الآية 79، سورة الحج الآية 80، سورة الحج الآية 81، سورة الحج الآية 82، سورة الحج الآية 83، سورة الحج الآية 84، سورة الحج الآية 85، سورة الحج الآية 86، سورة الحج الآية 87، سورة الحج الآية 88، سورة الحج الآية 89، سورة الحج الآية 90، سورة الحج الآية 91، سورة الحج الآية 92، سورة الحج الآية 93، سورة الحج الآية 94، سورة الحج الآية 95، سورة الحج الآية 96، سورة الحج الآية 97، سورة الحج الآية 98، سورة الحج الآية 99، سورة الحج الآية 100.

- أسباب انعقاد مجمع نيقية وقراراته.
- أسباب انعقاد مجمع القسطنطينية وقراراته.
- أسباب انعقاد مجعبي أفسس وخلقيدونية وقراراتهما.

## الفصل الرابع: صورة المسيح خلال القرنين الرابع والخامس.

تمهيد:

لقد اختلفت نظرة المؤمنين إلى يسوع وتباينت من أقصى اليمين إلى أقصى اليسار، وظهرت العديد من التيارات والطوائف التي سعى كل واحدٍ من أتباعها إلى إعطاء صورة واضحة تعكس شخص يسوع المسيح ورسالته، حيث يمكن اعتبار الفترة الممتدة من مرحلة ما بعد المسيح إلى غاية انعقاد مجمع نيقية فترة اضطراب بآتم معنى الكلمة نظرًا إلى الكمّ الهائل من الفرق التي ظهرت في تلك الفترة، وكان التيار الغالب كما رأينا يحاول دائما فرض سيطرته على بقية التيارات التي كان أتباعها قلّة مقارنة به، ولأجل تحقيق ذلك الهدف قامت الكنيسة العظمى بالعديد من الأعمال منها عقد مجامع إقليمية للتظّير في قضية المخالفين وتحديد كتاب مقدّس مبدئيّ يحتوي على الكتب التي يعتقدون بأنّها موحى بها، وكذلك تحريم المخالفين للعقيدة الأرثوذكسية وممارسة مجموعة من العقوبات تختلف حسب نوع التّجديف، ورغم سعي الكنيسة دائماً إلى فرض نفسها إلّا أنّ ذلك لن يتحقّق إلّا بتدخّل الأباطرة، ومع الإمبراطور قسطنطين الذي يلقّب بالرّسول الثالث عشر يتغيّر كل شيء في تاريخ المسيحية، حيث تصبح الدّين الرّسمي للدّولة وتختفي معه هوية شخص يسوع الحقيقية ورسالته ولن يبقى منها إلّا اسمه واسمها، فالكثير من الأحداث التي ذكرها فريدريك لونوار يعالج من خلالها وبطريقته تحوّل رسالة المسيح بعد سماح الأباطرة الرومان لهم بإقامة المجامع المسكونية والتدخّل في قراراتها.

بداية القرن الرابع هي بداية تحوّل حقيقيّ عاشه المسيحيون في العالم، ففيه تقرّرت العقيدة المسيحية وفيه تمّ تقنين الكتابات المقدّسة، وفيه أيضاً مُجيت معالم شخص يسوع الذي تنبأت به التّوراة وتحدّثت عنه الأناجيل وآمن به تلاميذه، وعليه سنتعرّف على هذه الأحداث في هذا الفصل من البحث كما ذكرها لونوار بطريقته في كتابه.

## الفصل الرابع: صورة المسيح خلال القرنين الرابع والخامس.

### المبحث الأول: أسباب انعقاد مجمع نيقية.

بعد عودة السلام بين الوثنيين والمسيحيين بدأت المسيحية تنتعش من جديد خاصة بعد الاعتراف بدينهم والسّماح لهم بممارسة نشاطاتهم، لكنّ الاختلافات في نفس الوقت تمحورت حول هوية يسوع ومضمون رسالته، وهذا ما أدّى إلى تشكّل عائقٍ كبيرٍ في وجه الإمبراطورية الرومانية التي تسعى دائماً إلى توحيد شعوبها والتخفيف من حدّة نزاعاتهم، فكان من اللازم وضع حدّ لتلك الاختلافات والنزاعات، حيث أنّنا في هذا المبحث سنتعرّف على الحلّ الذي رآته الأنسب:

### المطلب الأول: المسيح والمسيحية في نظر الإمبراطور قسطنطين.

لقد اضطهد المسيحيون كثيراً حتى استنزفت طاقاتهم من طرف العديد من الأباطرة الرّمان كما أشرنا إلى ذلك في الفصل السابق، لكن "قسطنطين العظيم" سيُشكّل الاستثناء ومعه سيتغيّر كلّ شيء! والسؤال المطروح هنا: كيف ولماذا غيّر قسطنطين نظرتَه تجاه المسيح والمسيحية؟

يذكر فريدريك لونوار بأنّه في أكتوبر 312م<sup>(1)</sup> أكمل قسطنطين (Constantin) الذي خلف والده قسطنطينوس (Constance) على رأس الإمبراطورية الغربية فتوحاته من أجل إعادة توحيد إمبراطوريته التي بدأها مع والده في البداية، ثمّ أكملها وحده بعد 306م، حيث حقّق عدّة انتصارات في العديد من معاركه، ففي عام 309م تروي الأسطورة أنّ الإله أبولو (Apollon) نفسه ظهر له في المعبد الكبير فوج (Vosges) ومدّه بإكليل الانتصار في وسطه رقم XXX يشره بملك يدوم ثلاثين عاماً.. حيث واصل الإمبراطور تقدّمه وتعدّدت انتصاراته عبر جبال الألب وتورينو وميلانو وفالينس وعاد على طول جبال الأبينيني، وفي شهر أكتوبر من نفس السنّة بقيت له معركة أخيرة يخوضها مع

---

(1) ذكرت القصة في الكتب المسيحية كما يلي: في 28 أكتوبر سنة 312م بينما كان الإمبراطور قسطنطين يتهيأ لخوض معركة مصيرية ضد الإمبراطور مكسنتيوس ابن مكسيميانوس عند جسر ميلفيو الواقع على نهر التيبر بإيطاليا شمال روما وهي معركة تحدد مصيره كإمبراطور على الشرق والغرب، نظر إلى السماء قبل المعركة الفاصلة يطلب معونة السماء وفيما هو ينظر رأى صليبا نورياً يعلو الشّمس ومعه كلمات نورانية تقول: "بهذه العلامة تفوز" وعلى الفور أمر قسطنطين جنوده برسم هذه العلامة على دروعهم ورايتهم، وبهذا انتصر في معركة جسر ميلفيو في 28 أكتوبر سنة 312م، ودخل روما منتصراً. ثم في سنة 313م أصدر قسطنطين مرسوم ميلان الخاص بالتسامح الدّيني الذي وضع قواعد جديدة لنظام الحكم في الدولة قائم على أساس حياد الدولة الدّيني. لهذا كفل هذا المرسوم حرية العقيدة لمواطني الإمبراطورية، وأقر حق المسيحيين في بناء الكنائس وممارسة شعائهم الدّينية علناً وبحرية. أنظر: مجدي صادق راغب: تاريخ بطاركة الكنيسة القبطية الأرثوذكسية، (ط1، Magdy sadek، المكتبة الإلكترونية للباحث مجدي صادق، 2022م)،



## الفصل الرابع: صورة المسيح خلال القرنين الرابع والخامس.

مكسينتيوس (Maxence) الذي يحكم روما للسيطرة على العاصمة<sup>(1)</sup>، لقد أشرنا إلى هذا الحدث لأنه سيكون من الأسباب التي جعلت قسطنطين يغيّر نظرتّه تجاه المسيحيين كما سنبيّن لاحقاً.

**دين قسطنطين وموقفه من المسيحية:** أمّا عن موقف قسطنطين من المسيحية يذكر لونوار أنّه لم يكن معادياً للمسيحية مثل الدّين سبقوه ممّن ذكرنا آنفاً رغم أنّه لم يكن مسيحياً، بل كان يميل إلى اتباع دين أبيه وهو مظهر من مظاهر التّوحيد الوثني القائم على عبادة الشّمس، ويتساءل الكاتب مرّة أخرى قائلاً: هل كانت والدته هيلانة Héléne التي مارست عليه الضّغط مسيحية؟

يذكر لونوار أنّ آراء المؤرّخين متباينة حول هذه المسألة ولم يهتم أيّ مؤرّخ في تلك الفترة بتسجيل مثل هذه التّفاصيل، ولكنّ الإمبراطور كان محاطاً بالعديد من المسيحيين المتواجدين ضمن حاشيته، حيث كان أسقف قرطبة<sup>(1)</sup> هوسوس "Ossius" أحد مستشاريه المقربين منه، وهو الذي كان بجانب قسطنطين لحظة استيقاظه من نومه عشية معركة الحاسمة وأخبره بحلم غريب، رأى فيه بأنّ إلهًا خاطبه: عن طريق خطّ عمودي في السّماء يعلوه الشّعار اليوناني: *toutoï nika* (النّصر في هذه العلامة *la victoire est dans ce signe*) وحرفان يونانيان: X و P. وقد كان قسطنطين مقتنعاً بأنّ الأمر متعلّق بأبولو إلّا أنّ "هوسوس" قام بتأويل رؤياه، حيث كشف له بأنّ الحرفين يرمزان إلى الأحرف الأولى من كلمة المسيح والتي استعملت كعلامة من قبل الأقلية المسيحية المضطهدة في الإمبراطورية الرومانية منذ نشأتها، ولهذا نسب قسطنطين انتصاره ودخوله روما في 28 أكتوبر إلى المسيح في نهاية معركة جسر ميلفيو التي سمحت له بقهر ماكسينتيوس والدخول إلى عاصمة الإمبراطورية منتصراً<sup>(2)</sup>.

هذه الحادثة رواها الإمبراطور نفسه وانتشرت على نطاق واسع، حيث علّق عليها الكثير من المؤرّخين المسيحيين في ذلك الوقت، لكن هل هي قصّة حقيقة؟ يجب لونوار قائلاً: "سأسمح هنا لنفسني بتكرار عبارات يوسايوس القيصري الذي يعترف بشخصيته المذهلة حيث قال عنه: « بما أنّ هذا الإمبراطور المنتصر قد روى هذه الحادثة بنفسه لنا نحن الدّين كتبنا هذه القصّة بعد فترة طويلة ونحن نعرف هذا الأمير الذي كُنّا جزءاً من نعمه الطيبة مؤكّدين ما يقوله باليمين، فمن يستطيع أن يشكّ في ذلك؟ »<sup>(3)</sup>. وهذا تأكيد من لونوار على الحضور الفعلي ليسوع في حياة المؤمنين وذلك بظهوره للإمبراطور قسطنطين وجعله ينتصر في معركته.

يوصل لونوار قوله بأنّ الإمبراطور قسطنطين قد حقّق بدخوله إلى روما طموحه بتوحيد الإمبراطورية الغربية تحت سلطته، فهو كان إلى غاية سنة 324م منافس ليسينوس Licinius إمبراطور

(1)Frédéric Lenoir, p201.

(2) Ibid, p202.

(3) Ibid, p202.

## الفصل الرابع: صورة المسيح خلال القرنين الرابع والخامس.

الشرق قبل هزيمة هذا الأخير في أندرينبول Andrinople وسيطرة قسطنطين بمفرده على كامل الإمبراطورية-الغربية والشرقية-.

**اهتمام قسطنطين بالمسيحيين:** أول القرارات التي اتخذها الإمبراطور بعد انتصاره هو رد الاعتبار للديانة المسيحية حتى أصبحت ديناً مميّزاً، حيث خرج أسقف روما ملتيادس (Miltiade) من سردابه<sup>(1)</sup> من أجل الاستيلاء على قصر لاتيران (Latran) الذي يُعتبر أول أطول سلسلة من الهبات المهداة من طرف الإمبراطورية إلى الكنيسة.

قام الإمبراطور الجديد بحماية المسيحيين ومنحهم الشرف وسرعان ما خصّص لهم أعلى المناصب في الإمبراطورية (مما أدى إلى اعتناق النخب الرومانية الدّين الجديد)، لكنّه كان يشعر بالقلق إزاء مصير المسيحيين الشرقيين الذين مازالوا يعانون من الاضطهاد، ففي فيفري 313م استدعى نظيره الشرقي ليسيئوس (Licinius) إلى ميلانو وأقنعه بضرورة حماية جميع أتباع الأديان المختلفة، وفي جوان من نفس السنّة تمّ اصدار مرسوم التسامح من طرف لوسيان في نقوديميا (وليس من طرف قسطنطين في ميلانو<sup>(2)</sup> كما هو شائع) من أجل الحرّية لسكّان الإمبراطورية<sup>(3)</sup>.

ويُشير لونوار الى أنّ هذه المعاهدة المميّزة بروح التسامح تملأ نصوص المفكرين المعاصرين في القرن

(1) لقد كانت السّراديب في حياة الكنيسة تتملّ ركنًا مهمًا في الحياة الرّوحية التي عاشها المسيحيون الأوائل، كانت تلك السّراديب تستخدم أصلاً كمدافن تحت الأرض أو في أعماق الجبال، بدأ استعمالها كمدافن يودع فيها المسيحيون رفات شهدائهم وموتاهم، وقد بدأ انتشارها في روما ثمّ انتقلت فكرتها إلى نابولي ومالطا وصقلية والإسكندرية وباقى مدن الإمبراطورية الرّومانية، إلّا أن استعمالها لم يقتصر على ذلك فقط، بل تعدّتها إلى اعتبارها ملجأً للمسيحيين الذين كانت السلطات الوثنية تطاردهم، ثمّ كأماكن مقدّسة للعبادة الجمهورية وسط رفات الشّهداء وأجسادهم الطّاهرة ولقد انشأت السّراديب منذ عصر الرّسل ولكن معظمها أنشأ خلال الأجيال التي تلت العصر الرّسولي حتى القرن الثّالث حين تملّك قسطنطين وأعلن المسيحية ديانة مسموحًا بها، أنظر: رهبان دير القديس أنبا مقار: شهيد السّراديب (قصة عن روما القديمة وشهدائها المسيحيين) (ط3، دار مجلّة مرقس، القاهرة، 2010م)، ص6.

(2) مرسوم ميلانو: أومرسوم ميلان: لقد أوقف قسطنطين الاضطهاد أمّا ليسيئوس فهو الذي كتب مرسوم ميلان بالتسامح الديني الذي وافق عليه كلاهما في 13 يونيو 313م: " وهكذا عندما تقابلنا معا أنا قسطنطين أغسطس و ليسيئوس أغسطس في ميلان وتدارسنا كل هذه الأمور ... اقتنعنا بأنّه يجب أولاً وقبل كل شيء أن تلك القواعد التي وضعت لاحترام الإله، يجب أن تنظّم بكيفية تعطي للمسيحيين ولكلّ الناس الحق في أن يعتنقوا أي دين يرغبونه، نعم لقد انتهينا إلى هذه النتيجة: وهي أن نتبّي هذه السياسة التي تحتم أن نعطي كل فرد حريته في أن يعتنق المسيحية أو أي ديانة أخرى، ومن الآن نريد أن يعلم أنّ إرادتنا تقتضي إلغاء كل القوانين التي تضمنتها خطاباتنا السابقة بخصوص المسيحيين، نعم يجب أن تلغى ومن الآن يمكن لمن يرغبون في اعتناق الديانة السالفة الذكر- المسيحية- أن يبادروا إلى ذلك بكل حرية وبدون موانع أو عقبات أو تدخل أو مضايقات" ثمّ أردفا ذلك بقرار إرجاع كل الممتلكات التي صادروها من المسيحيين إليهم، وتعويض كل من اشتراها من خزنة الدولة حتى تنجح العناية الإلهية كل أعمالنا ويتحقق الصالح العام. أنظر: جون لومير، تاريخ الكنيسة: عصر الآباء: من القرن الأول وحتى السادس، (ط1، دار الثقافة، القاهرة، 2013م)، ص208.

(3)Frédéric Lenoir , p203.

## الفصل الرابع: صورة المسيح خلال القرنين الرابع والخامس.

الثامن عشر الذين أسسوا مبدأ حرية الفكر والدين، والتي تنص: "على أنه يمكن للمسيحيين أن يعبدوا إلههم بحرية تامة كغيرهم من المواطنين الآخرين دون أن يتعرضوا للإزعاج أو التعنيف أو التخويف"، وتتماشى هذه المعاهدة مع عصر السلام الذي نعيش فيه بحيث يمكن لكل فرد أن يمارس طقوسه بكل حرية، وعدم فرض قيود على أي عبادة أو دين، كما تنص المعاهدة أيضاً على استرجاع أماكن العبادة إلى المسيحيين "بدون أي مقابل"<sup>(1)</sup>.

وحدة الإمبراطورية والكنيسة: لماذا سعى الإمبراطور قسطنطين إلى التوحيد بين الكنيسة والدولة الرومانية؟ هل كان قسطنطين مسيحياً؟ يجب لنوار على السؤال قائلاً: رسمياً وعلى عكس المعلومات التي وصلتنا لم يكن مسيحياً، لأنه لم يعتمد إلا على فراش موته في ماي 337م على يد يوسابيوس النيقوديمي واحتفظ باللقب الوثني *pontifex maximus* الذي يعني: الحبر الأعظم (Souverain Pontife) للديانة الرومانية القديمة والمسؤول عن العلاقة بين الناس وآلهة البانثيون (Panthéon) (مبنى بُني لجميع آلهة روما القديمة)، ومع ذلك كان قريباً من المسيحيين ومتعاطفاً معهم<sup>(2)</sup>.

لقد نصب نفسه حامياً للكنيسة ولا يتردد في التدخل المباشر في شؤون الكنيسة وحتى العقائدية منها وقد أعطى لنفسه لقب: "أسقف من الخارج"، وهو اللقب الذي يضفي الشرعية على تدخله ولا يثير أي رد فعل سلبية من داخل الكنيسة نفسها، حيث سرعان ما اعتبرته هذه الأخيرة الرسول الثالث عشر، ولم تكتفِ باعتباره ليس أول ملك مسيحي في التاريخ، بل وجعلته مساوياً للرُّسل، حسب شهادات مسيحيي الشرق، كما اعتبرته أيضاً قديساً أُدرج في معظم التقاويم البيزنطية ويُحتفل به في الكنائس الأرثوذكسية في 21 ماي مع والدته القديسة هيلانة<sup>(3)</sup>.

**حقيقة قسطنطين:** يضيف لنوار بأن الملك قسطنطين لم يكن من أبناء الكنيسة ولم يكن صاحب روح طيبة بل كان ملكاً محارباً ومتعصباً لسفك دماء أعدائه بلا رحمة، فقد أعدم ابنه البكر كريسبوس (Crispus) ثم زوجته فوستا (Fausta) في حمامها لأسباب غير معروفة، والغريب في الأمر هو امتناع آباء الكنيسة الذين نقلوا لنا هذه الأحداث لاسيما يوسابيوس القيصري<sup>(4)</sup> عن الإشارة إلى

(3) Frédéric Lenoire, p203- 204.

(2) Ibid, p204.

(3) Ibid, p204.

(4) ولذلك سوف أتجاوز عن معظم الأعمال الملكية التي أتاها هذا الوالي، كالمعارك مثلاً التي اشتبك فيها وشجاعته الشخصية وغلبته للعدو والانتصارات العديدة التي أحرزها وكان هدف يوسابيوس تسجيل أعمال قسطنطين الصالحة فقط، أنظر: يوسابيوس القيصري: حياة قسطنطين العظيم، تعر: مرقس داود، (دط، مكتبة المحيية، القاهرة، دط، 1975م)، ص13.

## الفصل الرابع: صورة المسيح خلال القرنين الرابع والخامس.

المراحل الفظيعة من حياته والتي تبين القسوة التي تميّز بها، حيث ينطبق الأمر نفسه على العديد من المؤرخين المعاصرين الذين لا يذكرون إلا القليل من جرائمه ! لكنّ الكنائس التي تقدّسه تحكي أنّه لم يعيش لنفسه بل من أجل مساعدة الدّين المسيحي، وهو اعتراف أغرب من الامتناع عن التصريح بجرائمه، خاصّةً وأنّ القداسة تتطلّب: « فضائل عظيمة »<sup>(1)</sup>.

يا ترى لماذا يقوم قسطنطين بفعل هذه الأمور كلّها؟ ما حاجته إلى الدّين المسيحي المضطهد طيلة عقودٍ سابقة على يد من سبقوه من الأباطرة؟ ولماذا أعطى هذا الإمبراطور كل هذه الامتيازات للمسيحيين وما دورها في توسيع دائرة المسيحية؟

سبب تفضيل قسطنطين للمسيحية: يذكر لونوار أنّ الامتيازات التي منحها قسطنطين للمسيحيين لم تكن مجرد قرابات شخصية فقط بل أكثر من ذلك، لقد كان له دور كبير في الترويج للمسيحية، فالإمبراطور أولاً وقبل كلّ شيء هو رجل سلطة حريص على إعادة بناء إمبراطوريته التي أضعفتها الصّراعات على السّطة وتدهور الأخلاق وكذلك تفسّتي الفساد على جميع المستويات، فقد أصبح الطّلاق أمرًا شائعًا، الأمر الذي أدّى إلى انخفاض معدّل الولادات ممّا يهدّد عمليات التّجنيد في الجيش والملاحه، وكذلك انغمس الأثرياء في الفجور والمتعة إلى درجة تخصيص إسطبلات للعبيد المخصّصين لإشباع رغباتهم الشخصية، إلى جانب زجّهم في السيرك ليقتاتلوا الأسود والدّبة أو بعضهم البعض حتّى الموت، وكان الفقراء يعيشون على الصدقات اليومية والتّسوّل، فقد كانوا يهملون دكاكينهم وحرفهم من أجل حضور الألعاب<sup>(2)</sup>.

وكما هو معروف فإنّ بناء أي دولة يحتاج إلى بناء أخلاق شعوبها وتأسيسها على قواعد ثابتة، وغالبًا لا تكفي القوانين والمواثيق التي ينتجها البشر لأنّها خالية من الروحانية، وبالتالي لا يمكن لها أن تؤثر في قلوب البشر مثل التي تأتي من السماء وتحمل بعدًا روحيًا تجعل قلب الإنسان متعلّقًا بخالقه ومتأثرًا بتعاليمه فتكون النتيجة أفضل، وهذا ما جذب الإمبراطور قسطنطين.

في هذا السّياق يذكر لونوار أنّ الإطار الأخلاقي الذي جاءت به المسيحية لم يزعج الإمبراطور بل على العكس من ذلك، كان معجبًا بإخلاص هذه الأقلية التي تدعو إلى العدالة والنّزاهة وترفض ارتكاب الأفعال الدّموية ويمتنع أتباعها عن كل المملدات الأرضية لأنّ غايتهم هي الحياة الأبدية<sup>(3)</sup>.

لكن المسيحية ليست أخلاقًا فقط، بل تشمل العقائد أيضًا، فعقيدة المسيحيين في الله وفي حامل الرّسالة - مثلما عرضنا في الفصل السّابق - أدّت إلى العديد من الانقسامات بسبب اختلاف تأويلاتهم

(1) Frédéric Lenoire,, p205.

(2) Ibid, p205.

(3) Ibid, p205.

## الفصل الرابع: صورة المسيح خلال القرنين الرابع والخامس.

وهو الأمر الذي أقلق قسطنطين حسب ما ذكره الكاتب لأنها تهدد وحدة المسيحيين، خاصة وأن الخلافات حول هوية المسيح التي فرقتهم أثناء الاضطهادات لم تنته بعد، حتى ظهرت خلافات جديدة، وقد أحصى الآب موريريه (Moréri l'abbé) في قاموسه التاريخي الكبير المنشور سنة 1673م خمسة وخمسين هرطقة في ذلك الوقت أغلبها كانت حول طبيعة وهوية يسوع. حيث كان المشروع السياسي للإمبراطور توحيد إمبراطوريته تحت راية المسيحية وتحت قيادة أسقف روما (الذي سيؤسس لسلطة البابوية) مهدداً من طرف هذه الفوضى اللاهوتية<sup>(1)</sup>.

إذن ما هو الحل الأنسب للخروج من هذه الفوضى ووضع حد لتلك الاختلافات التي تزداد بشكل كبير؟

الحل هو عقد مجامع لتوحيد صوت المسيحيين تحت رأي واحد وغلق موضوع هوية يسوع، ولا نقول بصفة نهائية، لكن على الأقل من أجل الحد من ظهور فرق جديدة، فلونوار يذكر بأنه في 314م أخذ قسطنطين زمام المبادرة لعقد مجمع إقليمي في آرل (Arles) وهو أول مجمع من سلسلة المجمع التي ستعقد بمبادرة من السلطة المدنية وليس الكنسية. فقد بدأ التأثير المتزايد للدوناتيين في شمال إفريقيا يثير قلق الإمبراطور بشكل كبير، حيث كان هؤلاء يتجاهلون رأي روما في مناداتها للتسامح مع المرتدين - أولئك الذين تخلوا عن إيمانهم أثناء الاضطهادات - وتبنوا موقفاً لا رجوع فيه تجاههم لاسيما القساوسة والأساقفة الذين يرفضون إعادتهم إلى مناصبهم بعد التكفير عن ذنوبهم كما كانوا يرفضون الأسرار. فلقد اشتبك الدوناتيون مع أسقف روما أين خشي قسطنطين أن يتسبب ذلك الانشقاق الإخلال بالنظام العام، فأمر المجمع بتفكيك الجماعات الدوناتية وشرعت القوى الإمبراطورية في تطبيق سياسة القمع، لكن دون جدوى فقد ظلّ تواجد الدوناتيين أكثر من قرن منذ المجمع الأول<sup>(2)</sup>.

محاولة القضاء على الدوناتيين لا يعني القضاء على الاختلافات والانشقاقات، فهذه الأخيرة مستمرة وفي منتصف القرن الثالث سيولد من سيغير تاريخ المسيحية ومعه يُعقد أول مجمع مسكوني يحدّد معالم شخص يسوع وفقاً لما يتناسب مع عقلية الإمبراطورية الرومانية، هذا الشخص هو:

### أريوس الإسكندري: Arius l'Alexandrin

يذكر لونوار أنه من مصر وبالتحديد في الإسكندرية ظهرت الأفكار الأكثر إثارة للقلق، فلم تكف عنه خلافات الكرستولوجيا والثالوثية للقرنين الماضيين حتى ظهرت بدعة جديدة اكتسبت شعبية كبيرة وكان صاحب هذه البدعة كاهن يسمّى أريوس، ولد هذا الأخير في ليبيا حوالي سنة 256م وهو تلميذ

(1) Frédéric Lenoire, p206.

(2) Ibid, p206- 207.



## الفصل الرابع: صورة المسيح خلال القرنين الرابع والخامس.

سابق في أنطاكيا لأستاذ مشهور اسمه **لوسيان (Lucien)** إلى جانب أسماء كبيرة في تاريخ المسيحية أين تشبّع بالعلوم اللاهوتية، حيث كان أريوس في بداية القرن الرابع ممثلًا لرعية في ميناء الإسكندرية في كنيسة بوكاليس (Baucalis) التي يرتادها البحارة والتجار وعامة الناس، فقد كان يتمتع بسمعة جيدة كعالم لاهوتي وكان يحظى بإعجاب الناس بسبب زهده، كما أنه كان يتقن فن الخطابة أمام الجماهير ويؤثر على قلوبهم، فانتشرت سمعته إلى ما وراء الميناء ليجذب بمواعظه جميع مسيحيي المدينة وحتى المارين الأجانب أغرتهم شخصيته الورعة<sup>(1)</sup>، كما التفت حوله مجموعة من القديسات العذارى مما زاد من علو مكانته حول الشاطئ الجنوبي للبحر الأبيض المتوسط<sup>(2)</sup>.

وقد أشار الكاتب إلى أحد الأوصاف النادرة التي وصلت عن أريوس والتي كتبت حوالي 375م من طرف عالم البدع والمهرطقة إيفانيوس السلاميسي (Épiphane de Salamine) الذي يصفه بعبارات واضحة القساوة: « كان طويل القامة ولديه وجه حزين، ملامحه كالثعبان الماكر، له القدرة على الاستيلاء على القلوب الساذجة، كان يرتدي دائمًا معطفًا قصيرًا وسترة بلا أكمام، يتحدث بلطف وعدوبة لخداع النفوس واغرائها<sup>(3)</sup> ».

**عقيدة أريوس:** يرفض أريوس أن يكون شخص المسيح مساويًا للآب، فالآب وحده الأزلي غير مخلوق في اعتقاده، وهو ما يكرّره في خطبه. لقد كان خطابه جديدًا في تقاليد الإسكندريين وهو كلام الأفلاطونية الحديثة أمثال فرفوربوس (Porphyre) وأفلوطين (Plotin) الذين تصوّروا المبدأ الإلهي على شكل ثلاثة أقانيم أو ثلاثة حقائق: المبدأ غير المخلوق أو المبدأ الأعلى، العقل أو الكلمة الذي انبثق منه، وأخيرًا الروح.

لقد أثر الخطاب الأفلاطوني أيضًا بقوة على الغنوصيين الإسكندريين الذين يعتقدون بأنّ الكلمة

---

(1) تذكر أغلب المصادر أنّ أريوس ولد بليبيا وكان الأسقفان الأكثر ولاية له فيما بعد هما الأسقف سيكوندس أسقف تيجيسي وثيوناس أسقف مرمريك الذي رفض التوقيع على إدانة أريوس في مجمع نيقية ويعتبران من المتعاطفين مع أريوس ومن لبيا نفسها ولا يذكر التاريخ أساقفة لببيين معارضين لأريوس وقد كانت عدّة تصادمات بين الأساقفة اللببيين والإسكندريين وكان لكل فريق مؤيدوه من بلده وكان يحظى بدعم شعبي كبير واسع التّطاق ومنذ عهد قسطنطين ظهرت علامات الدّعر من فكرة الإنشقاق وأشارت رسالة الإمبراطور بوضوح أنّ لبيا أصبحت منطقة مضطربة للغاية من وجهة نظر الإسكندرية والفكرة بأكملها تشير إلى تحزّب أساقفة الإسكندرية ضد الأساقفة المتطّرفين وقد وصف أريوس بأشجع النّعوت والصّفات إذ قال عنه أيّفانوس أنّه رجل عجوز وذو مظهر بشع فقط وهذا كلّ لتفنيد آرائه والخط من قيمته وتشويح سمعته. أنظر:

Rowan Williams : ARIUS Heresy and Tradition, (2<sup>ed</sup> edition, William B. Eerdmans Publishing Company, Cambridge, U.K. 2002), P29-30.

(2) Frédéric Lenoire, p207- 208.

(3) Ibid, p 208.



## الفصل الرابع: صورة المسيح خلال القرنين الرابع والخامس.

ليست الإله نفسه بل الكلمة التي نطقها الإله بالتالي خلقها فهي أدنى منه<sup>(1)</sup>.

**مصدر عقيدة آريوس:** سيثهم آريوس أيضًا بالعودة إلى بدع بولس السميساطي أسقف أنطاكيا الذي قام في التّصف الثاني من القرن الثالث بحملة من أجل العودة إلى توحيد مثالي، فهل رأى في المسيح إنسانًا تبناه الإله ورفعته إلى مقام الإله حتى أخذ نفس جوهر الآب أم أنّه كان متأثرًا بأفكار معلّمه لوسيان الأنطاكي؟ هذا الأخير كان من علماء الكتاب المقدّس المشهورين الذين قرأوه قراءة تاريخية في الوقت الذي كان فيه التفسير الرمزي هو الشائع ومن الممكن أنّ يكون تعليقه على الفقرة: **[إِنَّ أَوَّلَ كُلِّ الْوَصَايَا هِيَ: اسْمَعْ يَا إِسْرَائِيلُ، الرَّبُّ إِلَهُنَا رَبٌّ وَاحِدٌ]**<sup>(2)</sup> ومحاضراته حول التّوحيد اليهودي الصّارم الذي كان سائدًا أيضًا في المجتمعات المسيحية الأولى تأثير قويّ على تفكير تلميذه آريوس.

لقد ساند تلاميذ آخرون للوسيان الذين تولّى بعضهم مناصب عليا في الكنيسة آريوس في الغالب، أو على الأقل رفضوا إدانته عندما أعلن هيلاري بوتيه (Hilaire de Poitiers) هرطقته والذي يعدّ من أشدّ معارضي آريوس، بقوله أنّ آريوس يعتمد على عقيدة إسرائيل لتطوير عقيدته المعروفة باسم الأريوسية<sup>(3)</sup>.

وعليه يفهم ممّا سبق أنّ هوية يسوع عادت للواجهة وعادت معها إشكالية عدم الاتفاق على رأي واحد وعدم التّوافق على تحديد صورة واحدة لشخص يسوع.

**المسيح في فكر آريوس:** يشير لونيوار إلى أنّ تاريخ بداية نشر آريوس لمفهومه بشأن طبيعة الابن ليس واضحًا، ولكن في حوالي سنة 316م بدأ أسقف الإسكندرية ألكسندروس (Alexandre) يتأثر بالتّجّاح الذي كسبه من قبل المؤمنين والفتنة التي انتشرت بين أوساط المسيحيين، لأنّ القاعدة اللاهوتية الأريوسية تبدو خطيرة، ليست فقط لأنّها مبنية على معرفة قويّة بالكتابات بل أيضًا لأنّها على منطلق نابع من الفلسفات اليونانية بالخصوص أرسطو الذي تغلغت فلسفته بعمق في الفكر المصري والبحر الأبيض المتوسّط آنذاك<sup>(4)</sup>، وفقًا لآريوس يوجد إله واحد، هو الآب الذي وصفه في رسالته إلى أسقفه في الإسكندرية عندما حاول إقناعه بصحّة أفكاره: «الوحيد الذي لم يولد، وحده الأبدي، الوحيد الذي ليس له بداية، وحده الحق، وحده الأزلي» ويضيف: الكلمة جاءت من العدم بإرادة الآب لتكون وسيلته وفي خلق العالم. الكلمة ليست أزلية لأنّه كان هناك زمن لم تكن فيها موجودة، لأنّه لو كانت

(1) Frédéric Lenoire, p 208.

(2) مرقس 12 : 29.

(3) Ibid, p 209.

(4) Ibid, p 209-210.

## الفصل الرابع: صورة المسيح خلال القرنين الرابع والخامس.

أزلية مثل الآب، هذا يعني وجود شخصين غير مولودين وهذا الأمر من شأنه أن يتعارض مع مفهوم التوحيد الذي يقدر عبادة إله واحد. الكلمة أو اللوجوس يعني أنّ الابن كائن مخلوق، آريوس يرفض الفرق بين: " يلد engendré ويخلق créé " يسوع كائن استثنائي، مقدّس، بلا خطايا مع الكمال الأخلاقي ولكنه كائن ليس بإله ولا يساوي الآب<sup>(1)</sup>.

يرى لونيوار بشأن عقيدة آريوس أنّه يضع المسيح في موضع التبعية، إلهًا ثانيًا مولودًا بطبيعة غير كاملة والآب وحده الأبدى الكامل، ولدعم عقيدته يعتمد آريوس على الكتاب المقدّس الذي درسه في أنطاكية بجانب لوسيان وتعبير أدقّ على سحر الحكمة في سفر الأمثال: [«الرَّبُّ قَنَانِي أَوَّلَ طَرِيقِهِ، مِنْ قَبْلِ أَعْمَالِهِ، مُنْذُ الْقَدَمِ مُنْذُ الْأَزَلِ مُسِحْتُ، مُنْذُ الْبَدْءِ، مُنْذُ أَوَائِلِ الْأَرْضِ إِذْ لَمْ يَكُنْ عَمْرٌ أُبْدِثُ. إِذْ لَمْ تَكُنْ يَنَابِيعُ كَثِيرَةٌ الْمِيَاهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَقَرَّرَتِ الْجِبَالُ، قَبْلَ التَّلَالِ أُبْدِثْتُ إِذْ لَمْ يَكُنْ قَدْ صَنَعَ الْأَرْضَ بَعْدُ وَلَا الْبَرَارِيَّ وَلَا أَوَّلَ أَعْفَارِ الْمَسْكُونَةِ لَمَّا ثَبَّتَ السَّمَاوَاتِ كُنْتُ هُنَاكَ أَنَا، لَمَّا رَسَمَ دَائِرَةً عَلَى وَجْهِ الْعَمْرِ لَمَّا أَثَبَّتَ السُّحْبَ مِنْ فَوْقُ لَمَّا تَشَدَّدَتْ يَنَابِيعُ الْعَمْرِ لَمَّا وَضَعَ لِلْبَحْرِ حَدَّهُ فَلَا تَتَعَدَّى الْمِيَاهُ تُخْمَهُ، لَمَّا رَسَمَ أَسْسَ الْأَرْضِ، كُنْتُ عِنْدَهُ صَانِعًا، وَكُنْتُ كُلَّ يَوْمٍ لَدَّتَهُ، فَرِحَةٌ دَائِمًا قُدَّامَهُ.»]<sup>(2)</sup>.

يضيف آريوس إلى حججه التي تثبت هذا الإيمان مستندًا إلى قصص حياة يسوع في الأناجيل، [وَالْكَلِمَةُ صَارَ جَسَدًا]<sup>(3)</sup>، الواردة في بداية إنجيل يوحنا وقد علّق على هذه الفقرة قائلاً: في التجسّد الابن حلّ في جسدٍ فانٍ ولكن ليس روحًا قابلة للموت (جسد بلا روح إنسانية)، لقد سكن الكلمة جسد يسوع، بالتالي لم يكن المسيح بشريًا مطلقًا وهذه الكلمة التي تحيي جسد الابن تبين أنّها متغيّرة الطّبيعة كما هي الحالة عند جميع مخلوقات الآب. لهذا نرى يسوع في بعض الأحيان غاضبًا وفي بعض الأحيان عنيّفًا مثلًا عندما طارد تجار المعبد وأحيانًا أخرى هادئًا ومسالماً، بكى في بعض المناسبات وتوسّل إلى الآب أثناء صلبه (ومحض إرادته يبقى مسالمًا طالما أراد ذلك)، حيث كتبه آريوس في الثاليا (Thalie)، وهو سرد طويل قام بتأليفه في المنفى والذي سأعود إليه في بقية البحث<sup>(4)</sup>.

(1) Frédéric Lenoire,, p210.

(2) أمثال8: 22-30.

(3) يوحنا1: 14.

(4) Ibid, p211.

## الفصل الرابع: صورة المسيح خلال القرنين الرابع والخامس.

باختصار لم يكن آريوس رافضاً للاهوت المسيح<sup>(1)</sup> تمامًا حيث كان يعترف أنه بكر كلّ خليقة وكذلك بطبيعته الاستثنائية يقول الابن إلهي بالتأكيد ولكن يضيف أنّ المسيح ليس الآب ولا يمكن الخلط بينهما، يسوع جاء من إله حق وتابع له وهذا عادل لأنّه إله ثانٍ تمكّن من الاتحاد بالجسد وهو فعل لا يمكن تصوّر حدوثه مع الآب.

من خلال هذا، يؤكّد آريوس أنّ الآب والابن ليسا من نفس الجوهر أو الماهية، بينما دعاة الكنيسة الأرثوذكسية العظيمة يدافعون عن هوية قائمة على قاعدة أنّ "الابن من نفس جوهر الآب وأزلي مثله"<sup>(2)</sup>.

كان آريوس ذا ملكة في الخطاب ومؤثّر بشكل كبير على كلّ من يسمعه، وقد ساعده في ذلك كونه رجل دين من جانب والموقع الذي يتواجد فيه من جانب آخر، حيث انتشرت أفكاره بسرعة الأمر الذي أدّى إلى تزايد أتباعه ومؤيّدوه بكثرة وهذا أمر مضرّ بالنسبة للإمبراطورية الرومانية بحكم أنّه يزيد من حدّة الانشقاقات داخل المجتمع المسيحي ممّا يؤثّر على أمن ووحدّة الإمبراطورية، ولذلك ستسعى بسرعة إلى وضع حدّ لهذا الاختلاف، وعليه فالسؤال المطروح سيكون القرار لصالح من؟

### المطلب الثاني: عقد مجامع لتنفيذ عقيدة آريوس.

كانت المجامع أفضل حلّ لوضع حدّ للخلافات حول هوية يسوع خاصّة وأنهم يعتقدون بأنّ بركتها مستمدّة من تلاميذ المسيح، ولإنهاء مشكلة اعتقادات آريوس في يسوع قام ألكسندروس (Alexandre) أسقف الإسكندرية باستدعاء مجمع لذلك الغرض.

**مجمع الإسكندرية:** يذكر لونوار أنّ أوّل مقابلة بين آريوس وأسقف الإسكندرية حدثت في حوالي 318م، لكن تفاصيل تلك المقابلة لم تصل وكل ما هو معلوم هو أنّ كلّ واحد من الطرفين بدأ بجمع حلفائه، فألكسندروس وجّه رسائل إلى الأساقفة بمن فيهم أسقف روما والإمبراطور قسطنطين، أما آريوس فكان مع زملائه في مدرسة لوسيان بأنطاكيا ولاسيما يوسابيوس الذي أصبح أسقف قيصرية

(1) لقد شاع عند الكثير من الباحثين المسلمين أنّ آريوس مؤحد ومؤمن بشريّة يسوع إلّا الدّراسات الحديثة وأغلب الدّراسات المسيحية تؤكّد أنّ آريوس لم يدع إلى توحيد خالص كما بيّنّا في دراسة لونوار، ومن بين هؤلاء ابن حزم الأندلسي: أنّ آريوس يقول بالتوحيد الجرد وأنّ عيسى عليه السّلام عبد مخلوق، وأنّه كلمة الله تعالى التب بما خلق السّماوات والأرض وكان في زمن قسطنطين الأوّل وأوّل من تنصّر من ملوك الرّوم وكان على مذهب آريوس هذا. أنظر: أبي محمد علي بن حزم بن أحمد المعروف بابن حزم الظّاهري: الفصل في الملل والأهواء والنحل، تح: محمد ابراهيم نصر، (دط، دار الجيل، بيروت، دس، ج1)، ص109.

(2) Frédéric Lenoire, p211-212.

## الفصل الرابع: صورة المسيح خلال القرنين الرابع والخامس.

ويوسايوس آخر أسقف نيقوميديا الذين سارعوا إلى دعمه<sup>(1)</sup>، وقد حفظت الرسالة التي أرسلها آريوس إلى هذا الأخير حيث يعرض فيها جميع أفكاره بوضوح ويُهيئها بالإشارة إلى السنوات الماضية: «كن جيدًا في الرب واتذكر محنتنا وكتب أيضًا: أعبر عن أمنية لوسيانة حقيقية»، حيث كان هذا التعبير إشارة واضحة إلى لوسيان معلّمه المعروف أنطاكيا<sup>(2)</sup>.

معظم حلفاء آريوس لا يتوقفون عند هذا الحد بل قاموا بعقد مجمعين محلّين أحدهما في بيشنيا والآخر في فلسطين، الذين يروجون لأفكار كاهن مصر الذي لا تتوقّف شعبيته عن النمو في الإسكندرية<sup>(3)</sup>.

في تلك المدينة على شواطئ البحر الأبيض المتوسط تزداد التوترات بسبب الانقسامات بين المسيحيين وتتضخّم حدّة الاشتباكات بين أتباع آريوس وأتباع أسقف الإسكندرية. ولهذا قام ألكسندروس باستدعاء أساقفة مصر وليبيا سنة 319م إلى مجمع عقد بالإسكندرية، يتقدّم آريوس أمام رجال الدين الذين دعوه إلى إعادة النظر في أفكاره ولكنه عارضهم ورفض ذلك بشدّة، فهو لا يتقبّل مبدأ أنّ الكلمة أزلية مع الآب، وكان يردّد قناعاته الشّخصية: (إذا كان الابن مولود من الآب، فهو سبب وجوده ونستنتج أنّ هناك زمن لم يكن فيه الابن موجودًا).

يحتتم الجمع بسرعة ويؤكد الأساقفة المجتمعون من جديد أنّ الكلمة التي هي المسيح أزلية من نفس جوهر الآب، وتمّ طرد آريوس من الإسكندرية رفقة سبعة من الأساقفة وكذا الشمامسة الذين أيّدوا أفكاره وكذلك سبعة مئة من العذارى المكرّسات اللّاتي تركن المدينة أيضًا ليتبعن معلّمهن الرّوحي<sup>(4)</sup>.

مشكلة آريوس لن تتوقّف عند هذا الحد بل سيواصل نشر أفكاره بعد طرده من الإسكندرية، وبسبب عناده وتمسّكه بأفكاره ومع المواهب التي يحظى بها من بلاغة وفصاحة وتأثير في النفوس، استطاع كسب شعبية أصبحت مخيفة في نظر المؤمنين بأزلية الكلمة وألوهية يسوع، لذلك يجب إعادة النظر في طريقة إسكاته ومنع انتشار أفكاره.

يواصل لونوار عرض الأحداث: ألكسندروس يوجّه رسائل إلى الأساقفة الآخرين مبلّغًا إيّاهم

(1) Frédéric Lenoire, p212.

(2) Ibid, p212.

(3) Ibid, p212-213..

(4) Ibid, p213.

## الفصل الرابع: صورة المسيح خلال القرنين الرابع والخامس.

بعقد الجمع وقرارته حيث طلب منهم عدم إعادة أريوس إلى منصبه، أمّا هذا الأخير فقد توجه أولاً إلى قيصرية في فلسطين أين رحّب به يوسابيوس، ثمّ عاد إلى يوسابيوس نيقوميديا المتواجد في البلدة القريبة من القسطنطينية أين بدأ التقرب من الإمبراطور، وباشّر حملة لصالحه بمضاعفة الخطابات للدفاع عن أفكاره وإدانة القرارات المتسرّعة لجمع الإسكندرية<sup>(1)</sup>، وفي تلك الأثناء في منفاه بنقوميديا كتب أريوس مؤلفاً عبارة عن قصيدة طويلة تسمّى: "الثاليا la Thalie" يعرض من خلالها أفكاره ويدافع عنها حيث كانت أشعاره سهلة الحفظ وتم تلحينها بسرعة لتصبح أغاني شعبية تُلقى في الميناء وشوارع الإسكندرية وامتدّت إلى خارج المدينة من قبل المسافرين كما أوردها Philosorge بعد قرنٍ من الزمن في كتابه "التاريخ الكنسي" فيقول بالتحديد: «إنّ شيء عظيم أن تجذب ترانيمه أكثر الناس إلحاداً» في الوقت الذي بدأت الأغاني<sup>(2)</sup> تأخذ مكان التعليم المسيحي<sup>(3)</sup>.

هل سينجح أريوس في نشر أفكاره عن يسوع؟ هل يتوقّف الجدل عن هوية يسوع عند هذا الحد؟ هل ستحدّد معالم شخص يسوع مع أريوس؟ هذا ما سنراه في بقية الفصل.

**كتابات أريوس:** معظم مؤلّفات أريوس أنلفت بعد إدانته بتهمة الهرطقة كما هو الحال في ذلك الوقت. ويذكر لونوار أنّ ثلاثة منها فقط وصلت إلينا: ثلاثة رسائل له، أحدها إلى الأسقف ألكسندروس والثانية إلى الإمبراطور قسطنطين وبعض المقاطع من الثاليا التي اقتطفها أعداؤه لانتقاده، كما اقتبس أثناسيوس الإسكندري بعض الأبيات وذكرها في كتابه *Synodis* المعروف باسم: "كتاب ضد الأريوسيين *Traité contre les ariens*"<sup>(4)</sup> حيث ترجم أسقف الإسكندرية بسخرية "أغنية

(1) Frédéric Lenoire, p213-214.

(2) كانت الترانيم المسيحية واحدة من أهم عناصر العبادة المسيحية منذ بدايتها، فقد لعبت المزامير وتراتيل العهد القديم في الترجمة السبعينية دوراً هاماً في الليتورجية المسيحية المبكرة ولكن المسيحيين أيضاً قد صاغوا منذ وقت مبكر تراتيل مماثلة من تأليفهم فيذكر بولس المزامير والتسايب والأغاني الروحية (كورنثوس 3: 16) ويحتوي العهد الجديد على عدد من تلك التراتيل منها تسبيحة (تُعظّم نفسي الرب: لوقا 1: 46). ولم تكن تلك التراتيل تنتمي إلى ما يعتبره اليونانيون شعراً حيث أنّها لا تتبع وزناً شعرياً منتظماً وقد كتبت تلك الترانيم بلغة إحتفالية فخيمة وجمل متوازية جوهانس كواستن، ج 1، ص 177.

(3) Frédéric Lenoire, p214.

(4) الكتاب في نسخته العربية معنون بالمقالات الثلاثة ضد الأريوسيين والكتاب عبارة عن شهادة لألوهية المسيح ويعتبر الأريوسيون ليسوا بمسيحيين ووصف أسلوب أريوس في الثاليا بالتركيب وينبغي تجنّبها الإبتعاد عنها أنظر: أثناسيوس الرسولي: المقالات الثلاثة ضد الأريوسيين، تر: صموئيل كامل عبد السيد، (ط 1، المركز الأرثوذكسي للدراسات الآبائية، القاهرة، 2015م)، ص 42.

## الفصل الرابع: صورة المسيح خلال القرنين الرابع والخامس.

للسكر" نكتشف من تلك المقتطفات أنّ أريوس منهجيٌّ وتربوي ومقنعٌ للغاية، حيث يوضّح على سبيل المثال قوله: «لم يكن الإله أبًا في كلّ حين، بل كان هناك وقت حين كان الإله وحده ولم يكن أبًا بعد، وفي وقت لاحق صار أبًا، الابن لم يكن موجودًا دائمًا، لأنّ كل الأشياء قد خلقت من العدم وكان هناك وقت لم يكن فيه الابن موجودًا ولم يكن له وجود قبل أن يصير، وبما أنّ كل المخلوقات والأعمال صارت فهو نفسه كان له بداية تكوين وخلق، وبما أنّ كل شيء لم يكن من قبل ولكنّه صار بالكلمة أيضًا كان هناك وقت لم يكن فيه بل صار»<sup>(1)</sup>.

رغم الضّحة التي أثارها أريوس إلّا أنّ لونوار يرى في التّزاعات الأريوسية على أنّها ليست سوى واحدة من التّزاعات البيزنطية التي اجتاحت الشّرق خلال القرون الخمسة الأولى للمسيحية، والغريب أنّ الغرب كان دائمًا بعيدًا عن هذه الخلافات، فأساقفته يتبعون العقيدة الأرثوذكسية التي يملئها قساوسة روما - مع استثناءات نادرة - الذي سيصبح على مرّ القرون في الغرب اللّاتيني شخصية بارزة ويطلق عليه لقب "البابا"<sup>(2)</sup>.

إذا كان الأمر كما ذكر لونوار فلماذا تدخل قسطنطين للفصل في قضية أريوس؟

**أول مجمع مسكوني (نيقية) ظروف وأسباب انعقاده:** يشير لونوار إلى أنّه في بداية سنة 320م انتهى زمن السّلام بين قسطنطين إمبراطور الغرب وليسينوس Licinius إمبراطور الشّرق، واندلعت حرب قويّة سنة 324م، انتصرت فيها قوّات قسطنطين خلال معركة أندرينبول في ديسمبر من نفس السّنة، حيث تمّ فيها إلقاء القبض على لوسينوس ونفيه إلى تسالونيكى وتمّ اعدامه في العام الموالي<sup>(3)</sup>، منذ ذلك الحين حكم قسطنطين إمبراطورته الشّاسعة، وكانت مهمّته الرّئيسية هي الحفاظ على وحدة الإمبراطورية ضد البرابرة - هو لقب يطلق على جميع الشّعوب غير الرّومانية التي تهدّد حدودها-. في اليوم التّالي من النصر الذي حقّقه دخل قسطنطين نيقوميديا عاصمة إمبراطورية الشّرق واستحوذ على قصر لوسينوس الذي أقام فيه أكثر من روما، ولكنّه سرعان ما تفتّن إلى أنّ هذه الوحدة تهدّدها التّزاعات العقديّة بين المسيحيين، فلقد أرهقت الجدالات الأريوسية كاهل القساوسة واللاهوتيين

(1) Frédéric Lenoire, p215.

(2) Ibid, p215.

(3) Ibid, 217.



## الفصل الرابع: صورة المسيح خلال القرنين الرابع والخامس.

الذين يسعون من جانبهم إلى كسب ثقة الشارع إلى درجة كبيرة يصعب تصوّرها اليوم، خاصة النزاعات المتعلقة بتفاصيل المسائل اللاهوتية<sup>(1)</sup>.

إنّ النزاعات المتزايدة تَهزّ أمن وهدوء المدن وتحرّض أنصار كلا المعسكرين، الإسكندرية تغلي منذ طرد آريوس وفي كنائسهم أهب القساوسة المكان بمواعظ مدوّية وألّفوا العديد من المؤلّفات لهدم أفكار وعقائد الطّرف المعارض، هكذا بدأ تهديد الانشقاق يخيم على المسيحية، ومثل هذه الانقسامات ستكون لها عواقب سيّئة على السّياسة الداخليّة للإمبراطورية<sup>(2)</sup>.

يُفهم ممّا سبق أنّ السّبب الرئيسي وراء انعقاد الجمع سبب سياسيّ بحت غايته القضاء على النزاعات المتكرّرة بين المسيحيين، ولا علاقة للأمر بالدين ولا بالإيمان، ويُفهم أيضاً أنّ تحديد معالم هوية يسوع أسابها سياسية.

قسطنطين يحاول الصّحح بين آريوس وألكسندروس: في ظلّ الأحداث السّابقة قرّر قسطنطين معالجة تلك القضية ولكن في الحقيقة كانت لديه مشكلة في فهم ملاسبات والنزاعات حول منزلة الابن مقارنة بالآب والنزاعات بشأن جوهر كل واحد منهما، والتي تعتبر بالنّسبة له تفاصيل تافهة لا معنى لها، كما كان يكرّرها لمستمعيه وكتبها في رسائله الرّسمية إلى الأطراف الرئيسيّة وإلى آريوس المنفي إلى نوقوديميا تحت حماية يوسايبوس وألكسندروس الذي يحاول عبثاً إعادة النّظام في الإسكندرية.

لقد سعى قسطنطين إلى إنهاء الانقسامات بين المسيحيين بأية طريقة، فقام باستدعاء الرّجلين لطلب الصّفح والمصالحة من بعضهما البعض، وفي عدد الرّسائل التي وجهها إليهم حاول أن يثبت أنّ نزاعاتهم لا تؤثر على: "المبادئ الأساسيّة للإيمان" وإنّما يتعلّق الأمر بخلاف فهم ألفاظ الكتاب المقدّس، لكن دون جدوى<sup>(3)</sup>.

رغم هذه المحاولات يبقى آريوس متمسكاً بآرائه ومتمعنّاً لأفكاره بحيث يُشكّل أخطر تحدّي واجهته الكنيسة في تاريخها، والسؤال المطروح هنا: هل سينجح آريوس في شق الطّريق وتحديد هوية شخص يسوع أم لا؟

(1) Frédéric Lenoire, p217.

(2) Ibid, p218.

(3) Ibid, p218.

## الفصل الرابع: صورة المسيح خلال القرنين الرابع والخامس.

لقد قام قسطنطين بإرسال مستشاره الرئيسي هوسيوس أسقف قرطبة إلى الإسكندرية - الذي من المحتمل أن يكون من أصول مصرية - من أجل استعادة وإحلال السلام والوئام بين المتخاصمين، ومثل غالبية أساقفة الإمبراطورية الغربية، يعارض هوسيوس أطروحات آريوس ويعترف بأطروحات ألكسندروس التي تُماثل أطروحات أسقف روما، فعند وصوله إلى هناك استدعى مجتمعا للأساقفة المصريين وتحدث مع أسقف الإسكندرية ومع سكرتيه أثناسيوس (Athanasios) الذي خلفه بعد بضع سنوات على رأس الأبرشية، كما تحدث مع المقرئين من آريوس حتى يتمكن من إقناع الأسقف العظيم كولوثوس Kollouthos بأخطاء الآريوسية والاعتراف بسلطة ألكسندروس، ولكنه لم ينجح في الوصول إلى حل وسط بين الطرفين<sup>(1)</sup>.

في طريق العودة إلى نيقوديميا أين يستقر قسطنطين، توقّف هوسيوس في أنطاكية وباسم الإمبراطور دعا إلى عقد مجمع واستدعى أساقفة من سوريا ومن آسيا الصغرى، لكن الكثير من الأساقفة والمناظرين امتنعوا عن الحضور والاستجابة لدعوة مندوب الإمبراطور ولم يحضر سوى حوالي تسعة وخمسون انكبوا لكتابة نص توفيقى عن طبيعة الآب والابن واستبدال المصطلح المثير للجدل: (consubstantiel - homoousios - نفس الجوهر) بالمصطلح (homeousios - semblable - متشابهين)<sup>(2)</sup> الذي يقبله الآريوسيون ولو على مضض، ولكن هذا النص التوفيقى رُفض من طرف هوسيوس لفرض إدانة صارمة على أطروحات آريوس وتمّ حرمان أتباع هذا الأخير من بينهم يوسابيوس أسقف قيصرية ومن ناحية أخرى تجاهل هوسيوس رأي ياسبيوس النيقوديمي أسقف المدينة الإمبراطورية الذي يوافق آراء آريوس وله

(1) Frédéric Lenoire, p219.

(2) في رواية أخرى تقول أنّ آريوس أضاف حرف (I) إلى (Homo-Ousios) التي تعني مساوية لتصبح (Homoi-Ousios) وتعني "مشابه"، فصارت طبيعة الآب مشابهة لطبيعة الابن وليست مساوية لها... ما تسبب في ظهور العديد من المهرطقين في المسيحية حتى فلتت زمام الأمور بسبب ذلك الإجراء غير المحسوب حسابه جيدا.. لينتهي قسطنطين أخيرا بتسميم آريوس حتى يقضي على عقيدته للأبد... غير أنّ أفكار آريوس أثبتت أنّ تموت معه، بل استمرت لأكثر من نصف قرن بعد موته تُصارع كنيسة الإسكندرية ورجال مصر، الذين ظلوا متمسكين بنتائج (مجمع نيقية) حتى ضد أبناء قسطنطين الذين خَلَفُوا أباهم في الحكم لاحقا. فحتى أبناء قسطنطين كانوا يميلون إلى المذهب الآريوسي... وسعوا جاهدين لفرض المذهب الآريوسي بالقوة على الإمبراطورية... ولكنّ زُهبان مصر تمسكوا بمبادئهم ونتائج الاجتماع الأول في نيقية، وجعلوا منه اجتماعا مُباركا من الرّب ذا طابع قُدسي، وبذلك تكون نتائجه أيضا مقدسة لا ينبغي المساس بها مُطلقاً... هذه هي قصة قسطنطين ووالديه وأريوس واسكندروس كما وجدت في كتب التاريخ. أنظر: أيهم رحال: ما وراء الحنّة، (ط1، Kutub Ldt، إنجلترا، 2018، ج1)، ص218-219.

## الفصل الرابع: صورة المسيح خلال القرنين الرابع والخامس.

الأذن والثقة عند قسطنطين<sup>(1)</sup>.

الحقيقة أنّ قضية أريوس لن تتوقف هنا، وشخصية يسوع لم تتحدّد هويّتها وكذلك الاختلافات حول شخصه مازالت قائمة، أمّا تدخّل الإمبراطور فسيكون أقوى من أجل إطفاء نار الفتنة وتحقيق السّلام بأقل الأضرار.

عقد مجمع نيقية: لم يتم تسوية قضية أريوس في مجمع أنطاكيا، بل أثارت قضية استيلاء كبيراً في الأوساط الشّرقية - إلى ذلك الحين لم تولّد النزاعات الشّرقية ضجّة حقيقية في الغرب بعد- ومع تزايد خطر الانشقاق داخل الكنيسة اتخذ قسطنطين تدبيراً غير مسبوق، حين قرّر استدعاء أساقفة الشّرق والغرب في أقرب وقت، من أجل مناقشة هذه المسألة التي تهدّد وحدة الإمبراطورية والاتفاق على حلّ وسطيّ بشأن طبيعة المسيح ولاهوت الثالوث يقبله الجميع دون استثناء، ولتسهيل الحضور قرّر عقد المجمع في نيقية المدينة القريبة من نيقوديميا - أزمير في تركيا حالياً - حيث هو مستقرّ تاريخياً لأسقف روما التمتع الكامل بعاصمة الإمبراطورية القديمة.

لماذا نيقية؟ بالإضافة إلى قربها من مكان إقامة الإمبراطور، اشتهرت المدينة بسهولة الوصول إليها برّاً وبحراً، كما أنّها تتوفر على ثروات بفضل الحقول المحيطة كما تتوفر على بضائع تجعل الأساقفة يحسّون بنوع من الرّاحة هناك<sup>(2)</sup>.

الإقبال على مجمع نيقية: تمّ إرسال الرّسائل إلى جميع الكنائس، لكنّ لم يحضر سوى عدد قليل، حيث يتساءل لونوار بشأن قلة عدد الحاضرين: هل هو ببطء وصعوبة إيصال الدّعوات أم ببساطة اللامبالاة بالنزاعات الشّرقية والذي يوضّح استيلاء أساقفة الغرب؟

لقد كان الحضور قليلاً جداً في ماي 325م بنيقية ولن يكونوا جادين أكثر في المجمع المسكونية المقبلة حيث سيكون غالبية الحضور من الشّرق بشكل أساسي. وهو الأمر مع إيلاي (Hilaires) أسقف بواتيه (Poitiers) الذي لم يحضر المجمع ولا قرأ قراراته المهمّة المسماة: « رمز(قانون) نيقية symbole de Nicée » بعد أكثر من ثلاثين عاماً من إصداره<sup>(3)</sup>، حتى البابا الذي يعترف

(1) Frédéric Lenoire, p219.

(2) Ibid, p220.

(3) Ibid, p221.

## الفصل الرابع: صورة المسيح خلال القرنين الرابع والخامس.

الإمبراطور وباقي الأساقفة بأولويته لم يتنقل شخصيًا لأنه لا يغادر روما بل أرسل مندوبين عنه وممثلين رسميين سيتحدثون باسمه ويبلغونه تفاصيل ما دار في الجامع، وسيكون هذا هو الحال لمعظم الجامع المسكونية المقبلة<sup>(1)</sup>.

**وصول المدعوين إلى نيقية:** خلال الأيام الأولى من شهر ماي امتلأت المدينة بأساقفة الشرق محاطين بمجموعة كبيرة من المرافقين: قسس، شمامسة، لاهوتيون، فلاسفة وحتى المناصرين المحترفين في الجدل الذين بلغ صدى أصواتهم جميع شوارع المدينة. يذكر مؤرخو ذلك العصر بأنه عند وصول الإمبراطور إلى نيقية في منتصف شهر ماي استلم كمًا كبيرًا من الرسائل والاحتجاجات من كلا الطرفين، حيث يكمن جوهر تسميتها بالنسبة للطرف الأول "الأعداء" بالنسبة للطرف الثاني: "أعداء الإيمان". أعلن قسطنطين<sup>(2)</sup> الذي غمرته الكثير من الوثائق رفضه الخوض في تلك النزاعات وأنه مجرد بشر بسيط وسلّم كل تلك الوثائق إلى القاضي الكبير ليوم الحساب وقام بإحراقها دون الاطلاع عليها وقراءتها<sup>(3)</sup>.

يتضح مما سبق أنّ الإمبراطور لم يكن مهتمًا لا بشخص يسوع ولا بعقيدة المؤمنين به، بل كان همّه يقتصر فقط على إنهاء تلك الاختلافات والانشقاقات، وعدم محاولته لفهم ما يجري من أحداثٍ أكبر دليل على ذلك.

(1) Frédéric Lenoire, p221-222.

(2) لقد انعقدت العديد من الجامع قبل نيقية، لكن مجمع نيقية كان أول مجمع موسع للكنيسة. كانت هيئة الإمبراطور السبب في عقد المجمع كما أنّ حضوره كحاكم صاحب سلطة أدى للوصول إلى القرارات التي صار لها حينئذ صلاحية في نطاق الدولة كما في داخل الكنيسة. ومن أجل الإمبراطورية اهتم قسطنطين بالسلام والوحدة داخل الكنيسة، فهذه الأخيرة يجب أن تعكس وضع الإمبراطورية علي أحسن صورة كما أنّه لم يدعي أنّه علي دراية بالأمور اللاهوتية وأدع عن لحكم الأساقفة إلا أن نفوذ هو الذي حسم القرار الأخير في يوم 20 مايو سنة 325م في القاعة الكبرى للقصر جلس الأساقفة عن اليمين وعن اليسار ودخل الإمبراطور مصحوبًا فقط بمجموعة ضباط مسيحيين وكان يرتدي عباءة أرجوانية فاحرة مرصعة بالذهب والجواهر ووقف أمام كرسيه وبعد كلمة ترحيب من يوسابيوس أسقف نيقوميديّة أجاب الإمبراطور بكلمة باللّغة اللاتينية وقال إنّّه لم يرغب في شيء أفضل من أن يوجد في وسطهم وأنه يتألم إذ يري انقسامًا وخصامًا داخل الكنيسة، فهذا شر أردأ من الحرب، وتمنى أن التّحاح الذي تم بالتّصريح الحربي علي الطغاة يتبعه الآن التّصريح للكنيسة، وأن تبلغ الكنيسة الوحدة وتصبح قلبًا واحدًا تهب العالم كلّ السلام والوئام والانسجام، ثم أخذ قسطنطين حزمة من الخطابات التي كتبها له كثيرون من الأساقفة وأحرقها أمام أعينهم. أنظر: جون لومير: تاريخ الكنيسة، (Ktab INC، 1992، ج3)، ص46.

(3) Frédéric Lenoire, p221.

## الفصل الرابع: صورة المسيح خلال القرنين الرابع والخامس.

افتتاح مجمع نيقية: افتتح مجمع نيقية في 20 ماي سنة 325م، ولم يكن في الكنيسة كما يُملي التقليد بل في القاعة الرئيسية للقصر الإمبراطوري وتحت رئاسة الإمبراطور الذي حثّ في خطابه الافتتاحي مرّة أخرى الأساقفة على الوفاق، وأنّ الغاية من ذلك التجمّع: "تجنّب وتقليل الخلافات داخل الكنيسة التي تعتبر -الخلافات- أكثر خطورة وفتنًا من الحرب"<sup>(1)</sup>.

يعدّ نيقية أوّل مجمع مسكوني (œcuménique) بالمعنى الحرفي: "عالمي universal" في تاريخ الكنيسة، ولكن لم يتمّ تسميته بذلك الاسم إلّا في وقت لاحقٍ بعد مجمع خلقيدونية سنة 451م أوّل مجمع تلقى بعده التسمية الرسمية: "مسكوني".

**أعمال المجمع:** يعلّق لنوار قائلاً: لنفترض أنّ أعمال مجمع نيقية قد كُتبت، إلّا أنّه لا يمكننا إعادة بناء مسار الجلسات التي دامت أكثر من شهر إلّا من خلال الشّهادات التي وصلتنا، خاصّة سجلّات يوساييوس القيصري وكذلك التي كتبها الرّاهب روفينوس (Rufin) أسقف أكويلا (Aquilée) وسوزومن (Sozomène) مؤرّخ وبلاغياتي ورجل دين وصف ببلاغة تامة: "المنافسة الرّائعة بين الأساقفة الآتين من جميع المقاطعات، وقال أنّ بعضهم يستحقّ الثناء لعلمهم، وآخرين لبلاغتهم، وآخرين لورعهم، والبعض الآخر للصفّات التي تجتمع فيهم"<sup>(2)</sup>، هذا الأخير يروي حادثة وقعت أثناء افتتاح المجمع الذي حضره وشارك فيه العلمانيون وحتّى الوثنيون من بينهم فيلسوف معروف بفنّ الجدل، حيث أخذ الكلمة وتحدّث "لإهانة بساطة الكهنة"، إذ يروي سوزومن بأنّ رجلاً عجوزاً بين الحضور، قام ليردّ عليه ويلخّص بمصطلحات بسيطة العقيدة الأرثوذكسية: "لا يوجد إلّا إله واحد الذي خلق السماء والأرض وكل الأشياء المرئية، والذي فعل ذلك بقوة كلمته وعزّز كل شيء بقداسة روحه، وهذا هو الكلمة الذي نسّميه ابن الله الذي أشفق على النّاس والجهل الذي عاشوا فيه مثل الوحوش، وكان على استعداد لأن يولد من امرأة ويعيش بين البشر ويموت من أجل خلاصهم، سيأتي يوم ليحاسب الجميع على ما فعلوه في هذه الحياة، نحن ببساطة نؤمن بكل هذه الأمور"<sup>(3)</sup>.

(1) Frédéric Lenoire, p221-222.

(2) Ibid, p222.

(3) Ibid, p222-223.

## الفصل الرابع: صورة المسيح خلال القرنين الرابع والخامس.

المشاركون في مجمع نيقية: يذكر لئونار بأنه شارك في أعمال المجمع أكثر من 200 أسقف، ويشير إلى أن التاريخ يذكر أنهم كانوا 318 أسقفًا، وهو رقم يُشير إلى عدد أتباع إبراهيم<sup>(1)</sup>، حيث لعب هوسيوس مستشار قسطنطين دورًا هامًا بعد الإمبراطور باعتباره ممثل البابا بجانب يوسابيوس أسقف نيقوميديا، ومن بين المشاركين أيضًا الأساقفة المحرومين في المجمع السابق بمن فيهم يوسابيوس القيصري المحروم في العام الذي قبل انعقاد مجمع نيقية من الشركة المسيحية في مجمع أنطاكيا، بالإضافة إلى أساقفة آخرين مازالوا يحملون آثار الاضطهاد من أجل الإيمان وعزمهم على القتال من أجله من بينهم: القديس مكسيموس (Maxime) من أورشليم، بوتامون أسقف هيراكليا بمصر (Potamon Héraclée) الذي كانت له عين مفقوعة، وبولس (Paul) من نيكسار بتركيا (Néo-Césarée) الذي كانت يده مقطوعة ويعقوب (Jacques) أسقف نيسيبيس (Nisibe) الذي قيل عنه أنه أقام اثنين من الموتى وغيرهم كثير<sup>(2)</sup>.

من المشاركين أيضًا بل أهمهم هو الإمبراطور الذي شارك هو الآخر في بعض النقاشات التي كانت باللاتينية بينما كان غالبية الحضور شرقيين لا يتحدثون إلا اليونانية لحدّ الأساقفة على الصلح والتوفيق. وقد أكد روفينوس أسقف أكويلا (Rufin d'Aquilée) بأنّ النقاشات عن الآريوسية كانت طويلة وصعبة وتمّ استدعاء أريوس لعدّة جلسات ليفسّر ويشرح أفكاره أمام الجموع الكثيرة، لكنه من الواضح أنّ قسطنطين كان متمسكًا بتلك الأطروحات المعادية للآريوسية والمتعلّقة بالكنيسة العظيمة ذات التفوذ في الغرب وخاصة في روما، حيث ينقل سوزومن في وصفه لجلسات النقاش الساخنة بأنّ الإمبراطور: "استمع إليهم بصبر لإرضاء أصحاب المشاعر الصادقة بحسبه ومحاولته تهدئة الطرف المخالف"، على الرّغم من أنّ نتائج هذا المجمع ليست موضع شك وعلى الرّغم من جدّية الحدث (مقارنة بالجماع القادمة كما سنرى لاحقًا)، ورغم ذلك بقي أريوس متشبّثًا بأفكاره: بتصوّره لابن كمخلوق وخضوعه للآب<sup>(3)</sup>.

تثبيت العقيدة المسيحية وتحديد معالم شخص يسوع لم يكن بالأمر السهل حتّى بعد تدخّل

(1) تكوين 14: 14: [فَلَمَّا سَمِعَ أَبْرَاهِيمُ، أَنَّ أَخَاهُ سَيْبِي جَرَّ غُلْمَانَهُ الْمُتَمَرِّينَ، وَلَدَانَ بَيْتِهِ، ثَلَاثَ مِئَةٍ وَثَمَانِيَةَ عَشَرَ، وَتَبِعَهُمْ إِلَى دَانَ].

(2) Frédéric Lenoire, p223.

(3) Ibid, p223-224.



## الفصل الرابع: صورة المسيح خلال القرنين الرابع والخامس.

الإمبراطور، ولكن رغم ذلك ستتحدّد هوية يسوع ليس كما شهد عليها تلاميذ المسيح بل كما أقرّها مجمع نيقية تحت سلطة الإمبراطور ذي المصالح السياسية.

المطلب الثالث: ميلاد أرثوذكسية عالمية.

إنّ الاتفاق على قانون إيمان واحد لم يكن سهلاً، بل مرّ هو الآخر بعدّة مراحل وشملته العديد من التعديلات منها الحذف والإضافة إلى غاية الثبات على قانون واحد، ماهي هذه المراحل ومن شارك فيها؟

قانون إيمان قيسارية: يذكر لونيوار بأنّ يوساييوس القيصري كان حريصاً على إثبات حسن إيمانه للإمبراطور على الرّغم من حرمانه في مجمع أنطاكيا، واقترح موافقةً حول الإيمان المعمول به في كنيسته المسّى: "symbole de Césarée" "قانون قيسارية"<sup>(1)</sup> فيما يلي نصّه: [نؤمن بإله واحد، الآب العظيم، خالق كل شيء ما يرى وما لا يرى، وربّ واحد يسوع المسيح كلمة الله، إله مولود من إله، نور مولود من نور، حياة مولودة من حياة، الابن الوحيد، بكر كل الخلائق، مولود من الآب قبل الدهور وبه كان كلّ شيء، ومن أجل خلاصنا صار جسداً وعاش بيننا وعانى من أجلنا وقام من بين الأموات في اليوم الثالث وصعد إلى الآب وسيأتي بمجده ليدين الأحياء والأموات، ونؤمن أيضاً بروح قدس واحد]<sup>(2)</sup>.

قانون نيقية: طالب الآباء بعد تردّد تعديلات على قانون قيسارية لأنهم رأوا أنّه قريب من الأفكار الآريوسية بإشارته إلى: المولود البكر، الابن المولود، كما أنّه لا يشير لهوية جوهر الآب والابن، حيث بدأت التّزاعات مرّة أخرى وفي قلب المناقشات خلق المصطلح اليوناني "homoousios" من نفس الجوهر "خلافات بين الطرفين، إذ يصرّ الآريوسيون على رفضه بحجّة أنّه غير موجود في الكتاب المقدّس ولكن موجود في الكتابات الغنوصية، فهو إذاً هرطقة من هرطقات القرن الثالث، حيث تمّت إدانة بولس السّمساطي لأنّه استعملها لإنكار الفرق بين شخص الآب والابن، وتغلّب غالبية المخالفين على الآريوسية وتجاوزوا تصريحاته وكتبوا ربّما تحت إشراف هوسايوس اعتماداً على قانون قيسارية كنقطة بداية

(1) أنظر أيضاً: دنسنغر-هونمان: الكنيسة الكاثوليكية في وثائقها: يوحنا منصور-حنا الفاخوري، (ط1)، المكتبة البولسية، لبنان، 2001، ج1، ص23.

(2) Frédéric Lenoire, p224.

## الفصل الرابع: صورة المسيح خلال القرنين الرابع والخامس.

قانوناً سمي: « symbole de Nicée » قانون نيقية» والذي كانت كل كلماته مأخوذة من الكتاب المقدس ماعدا كلمة واحدة (*homoousios*) ونصّه كما يلي: [نؤمن بإله واحد، الآب العظيم خالق كل شيء، ما يرى وما لا يرى وربّ واحد يسوع المسيح، الابن الوحيد المولود من الآب أي من جوهر الآب، إله من إله، نور من نور، إله حق من إله حق، مولود غير مخلوق، مساوٍ للآب في الجوهر الذي به خلق كل شيء في الأرض والسّماء. من أجلنا نحن البشر ومن أجل خلاصنا نزل من السّماء وأصبح جسداً، تعذب حتى الموت وقام من بين الأموات في اليوم الثالث وصعد إلى السّماء وسيأتي ليدين الأحياء والأموات وبالروح القدس] أمّا بالنسبة لأولئك الذين يقولون: "كان هناك وقت لم يكن فيه" أو "لم يكن قبل ولادته" أو "جاء من العدم" أو أنّ ابن الإله من جوهر آخر أو من ماهية أخرى، أو تمّ خلقه أو غير ثابت بل خاضع للتغيرات فهؤلاء تحرمهم الكنيسة<sup>(1)(2)</sup>.

يركز القانون إذن على "سر الثالوث" فهو يستحضر الآب والابن والروح القدس، وبهذا يتّضح أنّ قانون نيقية لم يترك أيّ مجال للشك بخصوص ألوهية الابن "إله حق من إله حق" فيسوع يستحق لقب الإله مثل الآب. وبهذا تمّ تقرير عقيدة "نفس الجوهر" كعقيدة عالمية، ومن هنا بدأت فكرة أنّ الإله جوهر واحد وثلاثة أقانيم تأخذ مكانها في العقيدة المسيحية والإصرار على الطّبيعة الثابتة للكلمة، في حين كانت إحدى أطروحات آريوس التي استخلصها من قراءته للأناجيل<sup>(3)</sup> تقول أنّ الإله الثاني شخص متغيّر.

هكذا تحدّدت بصفة رسمية هوية يسوع المسيح الجديدة، هوية تُحيت معها جميع آثار تلاميذه الأوائل الذين آمنوا به كنيي، وستصبح أيضاً هذه العقيدة رسمية في جميع أنحاء الإمبراطورية ويتعرّض للعقوبة كل من يخالفها، لكن هل ستتحقق غاية الإمبراطور؟ هل سيتمكّن فعلاً من إنهاء الجدالات المسيحية حول هوية يسوع؟

(1) Frédéric Lenoire, p225-226.

(2) أنظر أيضاً: دنتسنغر-هونرمان، مرجع سابق، ص 25-26.

(3) Ibid, p227.

## الفصل الرابع: صورة المسيح خلال القرنين الرابع والخامس.

مصير آريوس<sup>(1)</sup>: يعلّق لونيوار على قانون نيقية قائلاً: في الواقع كان الجزء الأول من قانون نيقية كافٍ لإدانة الأطروحات الآريوسية، ولكن الآباء بقيادة أشد المخالفين للآريوسية حرصوا على إضافة عبارة أخيرة على قانون المجمع والتي لا تؤدّي فقط إلى تفكيك عقيدة آريوس، بل ترمي عليها اللعنة باسم الكنيسة كلّها، ولأول مرّة حدثت مثل هذه الإدانة بالإجماع وباسم عقيدة مشتركة في تاريخ المسيحية<sup>(2)</sup>.

قانون الإيمان قبل مجمع نيقية: يشير لونيوار أنّه قبل مجمع نيقية لم يكن هناك قانون إيمان واحد معترف به بين جميع الكنائس ومعتمد، أي لا توجد قاعدة إيمانية مشتركة تعبّر عن الحقيقة التي جاءت من الله ولها نفس القيمة والمكانة مع الكتابات، لكن الأغلبية عبّرت عن وجهة نظر تسمى "أرثوذكسية" وقد حرّم الأساقفة المجتمعون في المجمع من لم يلتزم بها، ولكن أساقفة الطرف الأقلية كما رأينا في حالة آريوس استدعت أيضاً مجامع وأصدرت الحرمان الكنسي هي الأخرى. كما قامت كل كنيسة بصياغة قانون خاص بها يتلى أثناء المعمودية وليس من الضروري أن يكون هذا الأخير مستوحى من قانون إيمان الرّسل، فالأهمية تكمن في كونه معترفاً به من طرف الكنائس الغربية<sup>(3)</sup>.

بوادر ظهور سلطة البابا: لفرض قانون إيمان موحد، قام المجتمعون بمجمع نيقية بصياغة عقيدة أرثوذكسية يدعون أنّها جاءت بإلهام من الرّوح القدس وبالتالي اعتبرت كل العقائد الأخرى غير تقليدية وغير أصيلة (هرطقة)<sup>(4)</sup>. هكذا نشأت فكرة السّلطة التّعليمية للكنيسة وعصمتها في الكنيسة اللاتينية كنيسة أسقف روما أي "البابا"، والتي تمّ إعادة تعريفها في المجمع الفاتيكاني الثاني في منتصف القرن العشرين كما يلي: "تتمتع كلّية الأساقفة بالعصمة من الخطأ في السّلطة التّعليمية، فعندما يجتمع

(1) يرى بعض العلماء الغربيين أنّ آريوس كان موحّداً لأنّه علّم آريوس أنّ اللّوغوس مختلف تماماً عن الآب، فأريوس كان موحّداً وهو ما يمكن استخلاصه بوضوح في رسالته إلى يوسابيوس التيقودي: "وقبل أن يولد أو يُخلق أو يُعيّن أو يُنشأ، لم يكن موجوداً"، بحسب منطق آريوس لا يمكن أن يكون الابن بلا بداية، لأنّه حينئذ سيكون أحداً للآب وليس ابناً لهذا هناك بداية للابن وقد خلقه الآب من عدم وقبل الخليفة لم يكن موجوداً [بِكُرْ كُلِّ خَلِيقَةٍ] كولوسي 1:15 على الرّغم من أنّ كل الأشياء هي من صنعه، إلا أنّه هو نفسه قد خلقه الآب، وبالتالي فهو مخلوق ولا يتحدث بدقة عن الله، وبهذا المفهوم سبّب آريوس توترات كبيرة بين المسيحيين في عصره. أنظر:

William P. Anderson: A journey through christian theology with texts from the first to the twenty-first century, (Fortress Press, MINNEAPOLIS , 2000) P34.

(2) Frédéric Lenoire, p226.

(3) Ibid, p226-227.

(4) Ibid, p227.

## الفصل الرابع: صورة المسيح خلال القرنين الرابع والخامس.

الأساقفة في مجمع مسكوني يمارس فيها الأساقفة سلطتهم التعليمية كحكام وقضاة الإيمان والأخلاق ويعلنون للكنيسة بأكملها بوجوب التمسك - بشكل نهائي -<sup>(1)</sup>.

يعلق لونوار على ما سبق متعجبًا: اللّافت للنظر هو أنّ هذه السّلطة التّعليمية الفريدة التي فرضت على المؤمنين لإثبات العضوية التي بدونها لا يمكن للمرء أن يدّعي أنّه كاثوليكي ولدت بإدارة الإمبراطور الذي كان يهدف قبل كل شيء إلى الوحدة السّياسية لإمبراطوريته<sup>(2)</sup>.

التّصديق على قانون نيقية: بعد مرور أسابيع من التّقاشات لايزال هناك سبعة عشر أسقفًا متردّين على توقيع القانون الذي سيقدّم إلى قسطنطين، حيث يذكر المؤرّحون بأنّ الإمبراطور رفع ذراعيه إلى السّماء وصرخ بأعلى صوته معلنًا بأنّ تلك الكلمات بالتّأكيد وحي من الله، وأمر المتمرّدين بالتّوقيع رغماً عنهم تحت التّهديد بالتّقي والحрман " كأشخاص يعارضون حكم الله " فرضت الأغلبية بما في ذلك أتباع لوسيان الأنطاكي الذين دافعوا على آريوس واعترفوا بأطروحاته فوقّعوا على القانون النيقاوي خوفًا من الغضب الإمبراطوري، بينما تشبّث آريوس وأسقفين من ليبيا سكوندوس (Secundus) أسقف بطليموس و ثاؤنا (Théonas) أسقف مارماريكا بأرائهم وامتنعوا عن التّوقيع وتم الإعلان بأنّهم هراطقة ثمّ تم نفيهم إلى إيليريا<sup>(3)</sup>، بعدها أصدر قسطنطين فورًا مرسومًا يأمر بإحراق أعمال المهرطقين الثلاثة وعقاب كلّ من احتفظ بمؤلّفاتهم ولم يحرقها كما ذكر سوزومين، مشيرًا أيضًا إلى أنّ قسطنطين وجّه خطابًا إلى المسيحيين الذين يصرون على الاستمرار في هذا الطّريق المحظور مهدّدًا إيّاهم بمعاقبتهم<sup>(4)</sup>.

ختام مجمع نيقية: اختتم مجمع نيقية بمأدبة كبيرة قدّم فيها يوسايبوس القيصري تفاصيل كثيرة مقارنةً إياها بمملكة المسيح، حيث تقدّم الأساقفة وسط حرس الشّرف الذي شكّله جنود الإمبراطور والذين حملوا سيوفهم العارية ثم جلسوا على الأرائك المحيطة بجميع أنحاء القاعة، وأثناء ذلك العشاء قال قسطنطين عبارته الشّهيرة:

"أنتم أساقفة ما هو موجود داخل الكنيسة، أنا الأسقف الذي اختاره الله لرعاية الشّؤون

(1) Ibid, p227.

(2) Ibid, p227.

(3) Ibid, p227-228.

(4) Ibid, p228.

## الفصل الرابع: صورة المسيح خلال القرنين الرابع والخامس.

الخارجية"<sup>(1)</sup> وغمر آباء المجمع بالهدايا الفاخرة<sup>(2)</sup>.

بعدها أرسلت "الرسائل الجمعية" التي تلخص قرارات المجمع إلى جميع الطوائف المسيحية ولكن لم تصل منها سوى تلك المرسله إلى كنيسة مصر التي تحكي بإسهاب إدانة "الآثم" آريوس والمتهم "بالتجديف" لإصراره على " أنه هناك زمان لم يكن فيه الابن موجودًا وأن هذا الأخير كان حرًا في فعل الخير أو الشر ولكنّه اختار فعل الخير". كما تتضمن الرسالة أيضًا عشرين بندًا عبارة عن أوامر تأديبية صادرة عن المجمع ووثيقة تتعلق بتاريخ عيد الفصح، وكذلك تدابير جديدة لإعادة قبول المنشقين والمهرطقين وأيضًا حظر اختلاط رجال الدين بالنساء باستثناء أمهاتهم وأخواتهم ونساء أخريات فوق كل الشبهات<sup>(3)</sup>، رغم أنّ الرسالة لا تتحدّث عن حالة الزوجات لأنّ صياغتها كانت غامضة، ولكن عُرف من خلال المؤرّخين أنّ المسألة نوقشت أثناء المجمع ورفض الأسقف بفنوتيتوس (Paphnutius) اقتراح فرض العقّة على الكهنة والأساقفة لأنّ الزواج بالنسبة له عقّة، ويُفهم إذن أنّ مسألة زواج الكهنة لم تُحظر في هذا المجمع<sup>(4)</sup>.

كتب قسطنطين رسالتين واحدة إلى جميع الكنائس والأخرى خاصة إلى كنيسة الإسكندرية التي ولدت فيها قضية آريوس ليعلن أن خطط الشيطان التي تعمل عن طريق الوسيط آريوس قد تمّ احباطها والقضاء عليها أخيرًا، وهكذا تمّ فرض قانون نيقية على جميع أنحاء الإمبراطورية وسهرت قوات الإمبراطور على احترامه بدقّة في كل مكان، ومع ذلك لم تُمت الآريوسية في نيقية<sup>(5)</sup>.

من خلال الأحداث السابقة يتّضح أنّ تقنين العقيدة المسيحية وتأليه المسيح لم يكن بالأمر الهين بتاتًا، ولكن الإمبراطور قسطنطين تعامل مع الحدث بذكاء وحيلة من أجل فرض قانون إيمان يخدم

(1) رغم اعتراف قسطنطين بحق الكنيسة بأن تكون حرّة في المجالات الخاصة بها، فقد ورث من سلفه منصب الحبر الأعظم وهذا يعني أنّه كان يعتبر أنّ السّماء قلّده مسؤوليات دينية ولقد ثبته في هذه الفكرة بعض لاهتيي البلاط كيوسابيوس القيصري الذي كتب أنّ الله يمدّ يده إلى قسطنطين من أعلى السّماوات ويغلبه على أعدائه، وأنّ الإمبراطور يعادل الرّسل ويقوم على الأرض مقام الملك الإلهي، فمفهوم الدّولة القدسي خرج معزّزًا من اهتداء الإمبراطور وكلّ ما يتعلّق بالإمبراطور والبلاط وأصبح يُتعت بالقدس، فالإمبراطور هو الذي دعا إلى عقد المجمع التيقاوي لوضع حد للآريوسية ولم يقبل أن يعصي الأساقفة أوامره. أنظر: بولس باسم: تاريخ الكنيسة المفصل، مصدر سابق، ص323.

(2) Frédéric Lenoire, p228-229.

(3) Ibid, p229.

(4) Ibid, p229.

(5) Ibid, p230.

## الفصل الرابع: صورة المسيح خلال القرنين الرابع والخامس.

مصالحه الشخصية منها تثبيت حكمه وفرض سلطته على كامل الإمبراطورية، ورغم أنّ عقيدة أريوس تعدّ أكبر تحدّي واجهته المسيحية وتغلّبت عليه نسبيًا وفرضت قانون إيمان لم يذكر في الكتاب المقدّس لا على لسان المسيح ولا على لسان تلاميذه، ولا كان معروفًا في زمن الرّسل أيضًا، واختفت معالم يسوع البشرية وأعطى صفاتًا إلهية وأصبح إلهًا، وقد أصاب وصدق لوناور حين عنون كتابه : كيف أصبح يسوع إلهًا، لأنّه بالفعل أصبح إلهًا ولم يكن من قبل كذلك.

مصير عقيدة أريوس: لم تنته الآريوسية في مجمع نيقية بل استمرّت لقرون عديدة بعد ذلك المجمع، حيث يذكر لوناور بأنّه رغم تدخلات القوّات الإمبراطورية التي أصبحت الدّراع العلماني للكنيسة وبعد أن أصدر الإمبراطور أوامره باستئصال الآريوسية من كل أراضي الإمبراطورية، إلّا أنّ أطروحات أريوس استمرّت في الانتشار في الشرق وتوسّعت في الغرب خاصة إيطاليا الحالية التي لجأت إليها الجماعات المنشقة للاحتماء فيها<sup>(1)</sup>، وفي الشرق أيضًا لا يزال العديد من الأساقفة الذين وقّعوا على قانون نيقية غير راضين عن الصّيغة التي فرضها الإمبراطور عليهم وتفسيرها بطريقة محدودة للغاية وبكلمات مبهمّة حيث ركّزوا على عقلانية مذهب أريوس القائل بإلهٍ حق واحد وابن يعتبر معينه وخاضع له والرّوح المعزي "البارقليط"<sup>(2)</sup>، وبالكاذ ثمرّ أشهر قليلة على نهاية المجمع قام الأسقفان يوساييوس التيقوديمي و ثيوجينيس التّيقي اللذان رفضا التوقيع على حرمان ونفي أريوس بالقيام بخطوة جريئة وكتبا إلى قسطنطين رفضهما بالالتزام بقانون نيقية، وكانت ردّة فعل الإمبراطور هو نفيهما إلى بلاد الغال، حيث نفذت ذلك قوّاته الخاصة وتمّ حرمانهم من الشّركة المسيحية بموجب قرارات المجمع باعتبارهما من أتباع الآريوسية<sup>(3)</sup>.

(1) Frédéric Lenoire, p231.

(2) هناك خلاف كبير بين المسلمين والمسيحيين حول أصل ومعنى بارقليط إذ يعتقد المسلمون أنّ أصلها "بيركلوتوس" والذي معناه أحمد أي الذي له حمد كثير، وهو إسم وليس صفة بينما يعتقد المسيحيون أنّ البارقليط هو: " باراكلي توس" بمعنى المعزي والوكيل والمعين، ولكن عند التمعّن في إنجيل يوحنا نجدّه يستعمل أفعالًا حسّية: (الكلام، السّمع، التّويخ) مثل يوحنا 16: 13: [لأنّه لا يتكلّم من نفسه، بل كلّ ما يسمّع يتكلّم به، ويخبركم بأُمور آتية] وهذه الصّفات لا تنطبق على الألسنة التّارية التي هبطت على التلاميذ يوم الخمسين إذ لم ينقل أنّ الألسنة التّارية تكلمت يوم ذاك بشيء وأما الرّوح فغاية ما يصنعه إنّما هو الإلهام القبلي وأما الكلام فهو صفة بشرية لا روحية. أنظر: وليد نور: المختصر القويم في دلائل نبوة الرّسول الكريم(صلى الله عليه وسلّم)، (ددار الكتب العلمية، بيروت، 1971)، ص 58-59.

(3) Frédéric Lenoire, p231.



## الفصل الرابع: صورة المسيح خلال القرنين الرابع والخامس.

لم يكن قسطنطين غافلاً عن الأصداء التي أثارها الآريوسية بل شعر بشأنها بقلق شديد، حيث أرسل رسالة صارمة إلى ثيودورس (Théodore) أسقف لاوديكا أحد أكثر الأساقفة المعاندين في مجمع نيقية يهدده بنفس العقوبة التي تعرّض لها رفيقيه، ومثل هذا التذكير أثار قلق مناصري آريوس لبعض الوقت<sup>(1)</sup>...

لقد تبين أنّ إيمان أتباع آريوس لا يتحكّم فيها قرار إمبراطوري ولا عقوباته، فإيمان الشخص تتحكّم فيه قناعاته الشخصية وقد تمسك آريوس بأرائه عن شخص يسوع حتى تم رد الاعتبار له. رد الاعتبار لآريوس وأصحابه: في سنة 328م، أي بعد أقل من ثلاث سنوات من نفيهما، كتب يوسابيوس النيقوديمي وثيوجينيس النقيي إلى قسطنطين توبتهما وناشده إعادة قبولهم، ولقد استعادا مقاعدهما بسرعة بعد تدخل قسطنطينة (Constantia) الأخت غير الشقيقة للإمبراطور أرملة ليسينيوس (Lucinius) وهيلانة والدة قسطنطين التي بسبب رحلاتها المتكررة إلى أورشليم قلب الشرق المسيحي نال من تعاطفها بعض المقرّبين من الآريوسية وأنصار يوسابيوس. إلى جانب ذلك فإنّ هذا الأخير لا يكتفي بالعودة إلى مهمته السابقة كأسقف نيقوديميا بل حلّ محلّ هوسيوس بالقرب من قسطنطين وأصبح مستشاره الرئيسي<sup>(2)</sup>.

**انتقام يوسابيوس من النيقاويين:** يشير لونيوار أنّ توبة يوسابيوس لم تكن سوى ظاهرية، ففي أعماق قلبه لا يزال مرتبطاً بأطروحات آريوس التي يفسرها بطريقة أكثر تحفظاً من صديقه آريوس. كما أنّه قرّر الانتقام من أولئك الذين أطلق عليهم اسم "النيقاويين" الذين أدانوا آريوس ولعنوه وقاموا بنفيه<sup>(3)</sup>، أولهم ألكسندروس الإسكندري الذي مات، وخليفته أثناسيوس الذي لم يمزق بعد كل أوراقه المضادة للآريوسية. أوّل عدوّ أعلنه يوسابيوس في ذلك الوقت هو أوسطاثاوس (Eustathe) أسقف أنطاكية الذي أدين في مجمع محليّ بسبب إساءة لفظية لهيلانة والدة قسطنطين، وتم تنفيذ قرارات المجمع عليه والإطاحة به ونفيه إلى تراقيا.

بعد الانتصار الأوّل المحقّق، يوسابيوس النيقوديمي وحلفاؤه من الآريوسيين بما فيهم ثيوجينيس

(1) Frédéric Lenoire, p232.

(2) Ibid, p232.

(3) Ibid, p232.

## الفصل الرابع: صورة المسيح خلال القرنين الرابع والخامس.

ويوسايبوس القيصري يواصلون نضالهم، حيث تمكّنوا من طرد العديد من الأساقفة النيقاويين متخفين تحت غطاء قضايا شخصية دون استحضار وذكر الجانب العقدي في أعمالهم. وقد وجّهوا اتهامهم نحو القسطنطينية وبكل سهولة في سنة 330م حوّل الإمبراطور عاصمته من روما إلى بيزنطة وأطلق عليها تسمية القسطنطينية، حيث استمرّت أعمال إعادة إحياء المدينة اثني عشرة سنة، وما يميّزها كونها تقع في موقع طبيعي حصين، على عكس روما التي تطلّ تحت التهديد المستمر من طرف البرابرة. من جهة أخرى كانت القسطنطينية قريبة من حدود نهر الدانوب التي اقتحمها القوط والفرات التي تمتدّ إليها الإمبراطورية الفارسية<sup>(1)</sup>، ما يجعل الإمبراطورية في قلقٍ دائمٍ.

وبذلك يصبح البابا الذي يعتبره أقرانه رئيس الكنيسة المسيحية الحاكم الوحيد لعاصمة الإمبراطورية القديمة التي جعلت كمكان لحج المسيحيين، وأصبح الإمبراطور بذلك بعيداً جغرافياً عن روما -أين عاش فترات قليلة لتفضيله القصر الإمبراطوري في نيقومديا- وعن اللاهوتيين الغربيين القريبين من البابا. هكذا استطاع اللاهوتيون الآريوسيون الشرقيون العمل بحريّة أكثر لإعادة الاعتبار لمذهبهم وحتى إعادة آريوس وهو الأمر الذي لم يكن ممكناً قبل بضع سنوات<sup>(2)</sup>.

**عودة آريوس من منفاه:** في سنة 335م بناءً على دعوة ملحة من قسطنطينية التي كانت على فراش الموت طلبت من قسطنطين معروفاً أخيراً وهو استدعاء آريوس، وبالفعل تمّ استدعاءه من منفاه من طرف الإمبراطور كما طلب منه التحدّث أمام المحكمة بهدف إعادة النظر في قضيتته، فقدّم آريوس اعترافاً نوعاً ما وهمياً عن إيمانه بيسوع المسيح: "المولود من الآب قبل كل الدهور" ويؤكد أنه: "قيل الآب والابن والروح القدس كما تعلّمه الكنيسة الكاثوليكية والكتابات المقدّسة والله يكون القاضي في هذا القرن والقرون الأخرى"، حيث لم يدع إلى عقيدته ولم يكرّر مصطلحات قانون نيقية لاسيما ما يتعلّق بجوهر الآب والابن، قام قسطنطين بإرسال النصّ إلى الأساقفة المجتمعين بمجمع أورشليم مصحوباً برسالة تطالبهم بالنظر بعين العطف إلى اعتراف آريوس وقبوله في الشركة المسيحية<sup>(3)</sup>، وقد كان العائق الوحيد أمام مشروع الإمبراطور هو أثناسيوس الذي بات ينبّه النيقاويين من عودة ظهور خطر

(1) Ibid, p233.

(2) Ibid, p233- 234.

(3) Ibid, p 234.

## الفصل الرابع: صورة المسيح خلال القرنين الرابع والخامس.

الآريوسيين، وهو الذي كان شماسًا سابقًا لألكسندروس الذي خلفه أسقفًا لأبرشية الإسكندرية وأصبح زعيم المناهضين ضد الآريوسيين وداعيًا إلى ارتكاب أعمال العنف ضد الميليسيين تلاميذ ميليتيوس (Mélèce) الذين يطالبون باستقلال كنيسة صعيد مصر! حيث سمع قسطنطين شكاي هؤلاء وكتب إلى أثناسيوس أول خطاب تهديدي: "بما أنك تعرف إرادتي، رغبوا وبدون تحفظ بأولئك الذين يرغبون في دخول الكنيسة وإذا علمت أنك رفضت أو نفيت شخصًا ما، سأرسل بسرعة مبعوثًا تحت إمرتي يطردك ويخرجك من الإسكندرية" ومع ذلك -تتفق الشهاديات حول هذا الموضوع- أن العنف مازال يتضاعف ضد تلاميذ ميليتيوس، وبناءً على نصائح يوسابيوس جمع الإمبراطور مجمعًا في صور أين رفض الأسقف المصري الحضور وفرّ إلى القسطنطينية للدفاع عن قضيتته أمام المحكمة مباشرة<sup>(1)</sup>، فحكم عليه قسطنطين بالذنب وبالنفى إلى بلاد الغال لخامس مرة والتي مجموعها سبعة عشر عام، أما بالنسبة للأساقفة المجتمعين في صور، فلم يتمكنوا من محاكمة أثناسيوس الذي لم يمثل أمام محكمتهم، فتنقلوا إلى اورشليم وعقدوا مجمعًا أصدر مرسومًا بإعادة آريوس دون ذكر أي شيء عن عقيدته، وطالبوا بإعادة الأسقفين اللبيين اللذين نفيا في نفس الوقت مع الأسقف المصري وقبولهما في الشركة المسيحية<sup>(2)</sup>.

**انتصار آريوس:** إنها ساعة الانتصار للآريوسية في القسطنطينية، على الرغم من الرأي السلبى لألكسندروس، قرّر أسقف عاصمة الإمبراطورية يوسابيوس النيقوديمي إقامة حفل فخم في عيد الفصح سنة 336م، لإعادة زميله إلى حظيرة الشركة المسيحية رسميًا، وقد توافد تلاميذ لوسيان القدامى من جميع أنحاء الإمبراطورية لحضور الحفل، ولكن النيقيين كانوا بالمرصاد<sup>(3)</sup>! ففي عشية الحفل وبينما كان آريوس يمشي في شوارع المدينة مع أصدقائه أحسّ بالآلام حادة في المعدة هرع بسرعة إلى المراحيض العامة

(1) Ibid, p 234.

(2) Ibid, p 235.

(3) تروي الكتب المسيحية أن آريوس سار إلى الإسكندرية وأثناسيوس في منفاه طامحًا إلى تولي الأسقفية فأحدث قدومه إليها شغبًا بعدما استوثق الملك به وكتب آريوس وثيقة إيمانه وأقسم أنه لم يتبع ولن يتبع سواه لكنه خادعهم بأن كتب وثيقة إيمانه على ما يعتقد وجعلها على صدره تحت الثوب ثم وضع يده على صدره وأقسم مشيرًا إليها فانخدع الملك وأكره اسكندر على قبوله في الكنيسة فطُفِق هذا يضرع إلى الله أن يتدارك الأمر بمعجزة فلما كان اليوم الذي ازمع فيه آريوس أن يؤدي فرض القديس بكر إلى الكنيسة فأصابه في الطريق داء في بطنه ونزيف دم مات بها على أسوأ حال وقيل أنه في مساء يوم قبوله في الكنيسة احتفل له اصحابه وكان في وسط الاحتفال فدخل مرحاضًا لقضاء حاجة فوجد هنالك ميتًا واختلف في موته فقال أحلافه بالسّم وقيل بالقولنج وقال أخصامه أهل الرأي القويم تلك معجزة بينة وكانت وفاة آريوس سنة 326 وهو ابن ستة وستين سنة أما مذهب آريوس فقد زاد بعد موته انتشارًا فسرى إلى كثير من البلدان. أنظر: سليم جبرائيل الخوري وسليم ميخائيل شحادة: آثار الأدهار، (ط1، المطبعة السّورية، بيروت، 1877)، ص13.

## الفصل الرابع: صورة المسيح خلال القرنين الرابع والخامس.

لكن دون جدوى فقد لفظ أنفاسه الأخيرة وفي الغالب أنه قتل بالتسمم<sup>(1)</sup>.

هكذا تخلّص الحزب النيقاوي من تكرار سماع إعادة آريوس إلى الشركة المسيحية، وتوفي قسطنطين في العام المقبل وطلب تعميده وهو على فراش الموت "لمغفرة خطاياها" ويبدو أنه اختار العقيدة الآريوسية ثم تقاسم ابنه الإمبراطورية: قنسطانطيوس الثاني (Constance II) في الشرق حيث شجّع على نشر الآريوسية ما أدى بالمدافعين إلى التجمّع لحصار القسطنطينية، وقسطنطين الثاني (Constant II) في الغرب الذي انحاز إلى العقيدة النيقاوية والتي تمثل عقيدة روما والإسكندرية<sup>(2)</sup>.

لقد توفيت أهم شخصيتين في تاريخ المسيحية، واللّتين كانتا السبب الرئيسي تحوّل المسيحية وفي تقنين قانون إيمان مسيحي ربّما سيصبح فيما بعد قاعدة إيمانية عالمية ساهمت في طمست هويّة يسوع المسيح.

(1) Frédéric Lenoire, p 235.

(2) Ibid, p 236.

## الفصل الرابع: صورة المسيح خلال القرنين الرابع والخامس.

المبحث الثاني: أسباب انعقاد مجمع القسطنطينية وقراراته.

بداية وقبل الشروع في الحديث عن جديد الجدالات اللاهوتية حول شخص يسوع المسيح بعد مجمع نيقية لابد من الإشارة إلى أنّ هذا الأخير لم يُسكّت المسيحيين بتقنيته لقانون إيمان موحّد وإلزام الجميع به، بل ستظهر أفكار أخرى عن شخص يسوع وتعدد مجامع أخرى كذلك كلّها ستكون بأوامر صادرة من الأباطرة وتحت سلطتهم، السؤال المطروح هنا هل ستكون لصالح يسوع أم لصالح الإمبراطور؟  
المطلب الأول: طبيعة المسيح تفرّق المسيحيين.

لقد أصبح جلياً وواضحاً أنّ المؤمنين بيسوع لا يوقفهم أحد ولا يجد إيمانهم اضطهاد ولا قانون، فهم دائماً يدافعون على ما يعتقدون ومستعدّون للدّفاع عن ذلك ولو على حساب أنفسهم. فالاختلافات حول هويّة يسوع مازالت قائمة، حيث في كل مرّة تظهر أفكار مختلفة يسعى الأباطرة إلى قطع جذورها قبل أن تتطوّر بمعية الكنيسة الغربية المسيطرة، وسنشير في هذا المطلب إلى الاختلافات التي ظهرت بعد مجمع نيقية حسب ما ذكره لونوار في كتابه قيد الدّراسة:

**ماذا حدث بعد وفاة آريوس؟** بعد وفاة آريوس فقدت الآريوسية وحدتها وصلابتها العقدية وهذا ما أدّى إلى ميلاد مدارس فكرية عديدة سوف تفجّر نزاعات وخلافات مختلفة.  
أشرنا فيما سبق بحسب لونوار إلى أنّ الآريوسية الأصلية ترفض ملء الألوهية لابن وتؤكد أنّه ليس من نفس جوهر الآب، في حين أنّ مجمع نيقية قرّر أنّهما من نفس الجوهر ممّا يعني أنّ الابن إله مثل الآب. وهناك طرف آخر يعرفون بنصف-آريوسيين أو شبه آريوسيين «semi-ariens» من بينهم: يوسابويس النيقوميدي والقيصري ويمكن أن نضيف إليهم باسيل Basile d'Ancyre وأيضاً ثيوجنيس الذين يتحدّثون عن "التشابه في الجوهر"، بالتالي ستكون الطّبيعة ودرجة التشابه بين جوهر الآب والابن هو الجزء الرئيسي في جدالاتهم منذ ذلك الحين فصاعداً<sup>(1)</sup>.

**ماذا حدث بعد وفاة قسطنطين؟** لقد أدّى وفاة الإمبراطور إلى فتح المجال للآريوسيين والنصف-آريوسيين لمهاجمة قانون نيقية الذي لم يجروا على فعله من قبل احتراماً للإمبراطور، وقاموا بوضع اجراءات تأديبية لإبعاد الأساقفة النّيقيين وإثبات ملكهم على رأس الأسقفيات الرئيسية. ورغم ما

(1) Ibid, p 236.

## الفصل الرابع: صورة المسيح خلال القرنين الرابع والخامس.

حدث بسبب الأريوسيين قام قنسطانطيوس الثاني بإعادة أثناسيوس إلى مقعده في الإسكندرية، وبمجرد وصول هذا الأخير أرسل إلى البابا يوليوس الأول (Jules I) يشكو له الهجمات المستمرة من طرف الأريوسيين، ويقوم يوليوس باستدعاء مجمع في روما مقدّمًا دعمه الكامل لأسقف الإسكندرية ومكرّمًا تمسّكه بقانون نيقية، أمّا بالنسبة ليوسايوس وأتباعه رأوا ذلك بمثابة إعلان حرب حقيقية بعد تدخل الغرب وحرصه على إظهار تفوّقه وهيمنته على الشرق، حيث ولمواجهة هذه الإهانة قرروا عدم التزام الصمت واتجهوا نحو الهجوم، بحيث قالوا بوجوب نفي أثناسيوس من جديد<sup>(1)</sup>.

لقد أدّت الاختلافات بين التّيقين وشبه الأريوسين إلى عقد مجامع كثيرة، بحيث تعتبر سنوات 340-350م السنوات التي كثرت فيها مجامع النّصف-أريوسيين التي تهدف إلى تقديم عقيدة إيمانية مقبولة لجميع الأطراف فيما يتعلّق بمكانة المسيح ومن أشهر مجامع تلك المرحلة:

**المجمع التّدشيني بأنطاكيا:** حيث عُقد أول هذه المجمع سنة 341م بحضور حوالي مئة من الأساقفة بكنيسة أنطاكيا (يعرف بمجمع التّدشين)<sup>(2)</sup>، بصرف النظر عن مصطلح "الجوهر" الذين يتجنّبون ذكره، لم يكن القانون المختار بعيدًا عن قانون نيقية بفرض الإيمان ب: "الابن الوحيد الإله، الكلمة العظمة والحكمة... ربّنا يسوع المسيح الذي به كان كل شيء، المولود من الآب قبل كلّ الدّهور، إله كامل من إله كامل الذي هو أقنوم في التّالوث"<sup>(3)</sup>.

**مجمع سيرديكا:** لقد أثارت صيغة مجمع أنطاكيا التّدشيني استياء جميع الأطراف، وتمّ التّخطيط لمجمع ثانٍ في سيرديكا Sardique سنة 343م، حيث دُعي إليه هذه المرّة الأساقفة الشرقيون والغربيون بمن فيهم ممثلي البابا<sup>(4)</sup>، حيث افتتح المجمع ولكنّه أغلق على الفور، لأنّ الأساقفة الشرقيين الأريوسيين طالبوا بترحيل أكبر رموز نيقية الذين عزلوهم ظلّمًا وبهتانًا في مجامعهم السابقة ومن بينهم أثناسيوس

(1) Frédéric Lenoire, p 237.

(2) لقد باحث الأساقفة المجتمعين في هذا المجمع أقوال أريوس وانقسموا إلى ثلاث فئات: فأعلن أفسابيوس وجماعته أنّهم لم يتبعوا أريوس وإنما نظروا فيما قاله واقتروا تعديلاً للفصل الأول من دستور نيقية والرجوع عن اللّعة التي جاءت في آخره، وقال آخرون بدستور نيقية ولكنهم رغبوا في تلطيفه واقتروا فئة ثالثة تعديلاً مسكّنًا مخدّرًا في عباراته الإيجابية موجّبًا في ناحيته السلبية لعن السبلنيتين القديمة والجديدة، وأقر المجمع هذا الاقتراح الأخير وأعلن دستور إيمان أنطاكي شبيه بدستور نيقية قريب منه ولكنه خالٍ من العبارة «مساو للآب في الجوهر». أنظر: أسد رستم: كنيسة مدينة الله أنطاكيا العظمى 43-634م، (ط2)، مؤسسة هنداوي، المملكة المتحدة، 2021م، ج1، 243-244.

(3) Frédéric Lenoire, p 237

(4) Ibid, p 237-238.



## الفصل الرابع: صورة المسيح خلال القرنين الرابع والخامس.

الإسكندري، وبسبب رفض طلبهم من طرف الآباء الغربيين، غادر الشّرقيون خلسة ليلاً تاركين رسالة توضيحية يدينون فيها جميع المتضامنين مع أنثاسيوس بمن فيهم البابا يوليوس الأوّل، وهكذا انتهى الجمع المتوقّع أن يكون الجمع المسكوبي الثّاني في تاريخ المسيحية وكان انتهاؤه بهزيمة<sup>(1)</sup>.

أغلب الجمع السّابقة التي رأيناها لم تستطع الاتفاق على قانون إيمان واحد من جانب ولم تتمكن أيضاً من الحفاظ على عقيدة آريوس...هل سيتوقّف مشروع الأريوسية هنا؟

أوليفيلاس ودوره في نشر المسيحية الأريوسية: مع وفاة قسطنطين الثّاني في سنة 350م، مدّد شقيقه قنسطانطيوس الثّاني إمبراطوريته إلى الحدود الغربية، وقام بقمع التّقيين بنفي العديد منهم، ومن بينهم أسقف روما البابا لبيريوس (Libère)، وهو سيوس أسقف قرطبة الذي أصبح رجلاً مسناً.

حيث انتشرت الأريوسية في جميع أنحاء الإمبراطورية وحتى خارج حدودها بفضل رجل ناشط يدعى أوليفيلاس (Wulfila) من كبادوكيا، والذي ولد في مملكة القوط حيث كان أجداده مستعبدين بعد اقتحام البرابرة آسيا الصّغرى. كان يوليفيلاس طفلاً متعطّشاً للمعرفة، وكان يعرف لغة أسياده بالتّأكيد، إضافة إلى ذلك تعلّم أيضاً القراءة والكتابة باليونانية واللاتينية على الرّغم من أنّه كان عبداً، وتمتّ ترقّيته إلى سفير القوط في إمبراطورية الشّرق، حيث التقى يوسابيوس النيقوميدي مستشار الإمبراطور هناك وأصبح صديقاً له، حتى أنّه أغري بدينه -المسيحية الأريوسية- وتمّ تعميده وعيّن أخيراً أسقفاً لأنطاكيا سنة 341م<sup>(2)</sup>.

أسند يوسابيوس مهمّة جديدة إلى أوليفيلاس وطلب منه الذهاب إلى القوط بل أوسع من ذلك إلى البرابرة وهو المصطلح الذي يطلق على شعوب أوروبا غير الرومانية: الألمان، القوط اللومبارديون، البرغنديون، الإفرنج، ودعوتهم إلى الأريوسية<sup>(3)</sup>.

عكف أوليفيلاس فوراً على ما سيكون عمله الرئيسي، حيث قام بتطوير الأبجدية القوطية وبدأ بترجمة الكتاب المقدّس إلى القوطية -التي أنماها بعد ثلاثين سنة- وفي نفس الوقت أخذ ينشر بين جموع البرابرة تعاليمه المستمّدة من أطروحات آريوس، وضاعف رحلاته إلى القسطنطينية أين دافع عن الأريوسية بجانب الإمبراطور، وقاوم اضطهاد القوطيين الذين كانوا حذرين من الدّين الجديد الذي جلبه

(1) Frédéric Lenoire, p238.

(2) Ibid, p238-239.

(3) Ibid, p239.

## الفصل الرابع: صورة المسيح خلال القرنين الرابع والخامس.

العبد السابق، فلقد حقّق انتصارًا غير متوقّع وأحدث تحولات هائلة في المسيحية بين أوساط القوط وفيما بعد بين الوندال، الألمانين، اللومبارديون، لدرجة أنّه في النصف الثاني من القرن الرابع أصبح أغلب المسيحيين سواء الرومانيين أو غير الرومانيين آريوسيين<sup>(1)</sup>.

قد يتساءل المرء: ماذا كان سيحدث للكنيسة لولا جهود يوليفلاس التبشيرية؟! فعلاً أسدى خدمة عظيمة للدين المسيحي ويعتبر بلا شك أحد أهم المبشرين في كل العصور<sup>(2)</sup>.

البحث عن صيغة توفيقية: في ذلك الوقت، شعر قنسطانطيوس الثاني بالقلق من الانقسامات التي تهدم الامبراطورية والتي ازدادت سوءًا سنة 356م مع نفي البابا ليبريوس، حيث حاول الإمبراطور بمساعدة الأساقفة إيجاد صيغة توفيقية تحلّ محل قانون نيقية دون الانحياز لأطروحات الآريوسية، ونتيجة هذا الأمر أصبح من ضروري عقد مجمع آخر للنظر في القضية.

مجمع سيرميوم (يوغوسلافيا)<sup>(3)</sup>: في سنة 357م عقد مجمع في سيرميوم جمع الأساقفة الغربيين والذي انظّم إليه هوسيوس أسقف قرطبة، حيث أنّ محتوى وواقع الأحداث التي جرت هناك مجهولة تمامًا، ولكنّ النتيجة كانت مفاجئة لأنّ "الصيغة التوفيقية" التي خرج بها المجمع كانت من الآريوسية والتي أثارت غضبًا ملحوظًا في صفوف الشرقيين وأطلقوا على قانون سيرميوم "تجديف سيرميوم" من طرف النيقاوي هيلاري بواتيه (Hilaire de Poitiers) حيث يؤكّد: " لا يجب القول بإلهين، لأنّ

(1) Frédéric Lenoire, p239.

(2) Ibid, p239-240.

(3) تأسست سيرميوم Sirmium في القرن الأول ميلادي، مثل كاسترا castrum العسكرية وعلى حدود الإمبراطورية الرومانية شهدت سيرميوم توسعها في القرن الثالث وبنيت مجموعة من الجدران المحصنة وفي بداية القرن الرابع عند وفاة الإمبراطور فالنس (Valens) تطوّرت المدينة أكثر وأصبحت إقامة العديد من الأباطرة واستشهد فيها العديد من المسيحيين أثناء الاضطهاد الكبير، وكانت سيرميوم آنذاك المدينة الرئيسية في بانونيا سكوندا (Pannonia Secunda) وكرسي أسقفى لأهم أبرشية في المدينة وأول أسقف عرف هو Domnus أحد الموقعين على قرارات مجمع نيقية في 441م تم السيطرة على المدينة من طرف الهون وفي 567م احتلها الجيش البيزنطي وتم إعادة تنظيم الكنيسة والتسلسل الهرمي ولكن مرة أخرى وفي عام 582م دمرت المدينة من طرف آفار تحت قيادة Baian وهرب آخر أسقف (Sébastien) سيرميوم إلى روما. أنظر:

Jean Comby, Pour Lire L'histoire De L'église, editions de chert, Paris, 1984, tome2, P 2299-2300.

## الفصل الرابع: صورة المسيح خلال القرنين الرابع والخامس.

الرب نفسه قال: [إِنِّي أَصْعَدُ إِلَى أَبِي وَأَبِيكُمْ وَإِلَهِي وَإِلَهَكُمْ]<sup>(1)</sup>. ويقول عن موضوع "الجوهر" وما يقابله في اليونانية واللاتينية: " أنه لم يعد من الضروري ذكره أو كشفه لأنه لا يوجد شيء مكتوب عنه في الكتب المقدسة كما أن الأمر يفوق معرفة ودكاء الإنسان ولا أحد يستطيع أن يروي ولادة الابن [...] وحده الآب يعرف كيف ولد الابن". وفي الختام: " لا أحد يشك بأن الله أعظم، أعظم في الشرف، في الكرامة، وفي القداسة وحتى في لقب الآب نفسه، والابن نفسه يشهد على ذلك: [لأنَّ أَبِي أَعْظَمُ مِنِّي]<sup>(2)</sup>، ولا أحد ينكر أنَّ هذا الاعتراف كاثوليكي: "هناك شخصان الآب والابن، الآب أعظم من الابن، والابن خاضع للآب بكلِّ ما أخضعه له الآب، والآب ليس له بداية، وهو غير مرئي، أزلي ولا يتألم، في حين أنَّ الابن ولد من الآب" يسمح للبابا ليباريوس الذي وقَّع على عقيدة نصف-آريوسية (semi-arienne) وقانون سيرميوم بالعودة إلى روما، ومن الواضح أنَّ هذا الأخير لم يوقَّع عن قناعة ولكن ببساطة من أجل رفع التفتي المفروض عليه<sup>(3)</sup>.

لو استقرأنا قرارات وأحداث عقد المجامع السابقة لتبيَّن أنَّ أغليبتها إن لم نقل كلها أنَّ أطرافها لم يصلوا إلى صيغة توفيقية، وهذا الصِّراع من أجل إيجاد نص إيمان موحد أصبح أصعب من توحيد الإمبراطوريتين الشرقية والغربية...

**مجمع أنطاكيا (358م):** عقد مجمع آخر في السنة الموالية لمجمع سيرميوم بأنطاكيا يدعم استنتاجات سيرميوم ويذهب إلى رفض صيغة "التشابه في الجوهر *semblable en substance*" التي قال بها النَّصف-آريوسيين، وردًّا على أسئلة الأساقفة أجبر قسطنطينوس الثاني على الاعتراف بأنَّه لم يجد بعد الصيغة التوفيقية التي كانت أمل الجميع في استعادة الوحدة المسيحية وتكون سببًا للصِّلح بين الغرب والشرق حول ابن الله في إمبراطوريته<sup>(4)</sup>.

**الصيغة التوفيقية حول طبيعة المسيح:** في عام 359م دعا الأساقفة الشرقيين والغربيين للعودة إلى نيقوميديا لتسوية مسألة "طبيعة الابن" نهائيًا. وقد كتب سابقًا ما كان يعتبره نصًا توفيقيًا وطريقًا وسطًا بين التيقين والآريوسيين: وهو ما يطلق عليه اليوم بـ: "القانون المؤرَّخ -le credo daté" وهي

(1) يوحنا 20: 17.

(2) يوحنا 14: 28.

(3) Frédéric Lenoire, p240-241.

(4) Ibid, p241.

## الفصل الرابع: صورة المسيح خلال القرنين الرابع والخامس.

صيغة ازدراء استخدمها أثناسيوس اكتملت في 22ماي 359م<sup>(1)</sup>.

مضمون الصيغة: تؤكد الصيغة أنّ: "الآب ولد الابن، الابن البكر الوحيد الذي جاء من الآب، إله من إله، مساوٍ الإله الذي ولده حسب الكتابات ولا أحد يعرف تكوينه إلا الآب الذي ولده"، كما أنه أغفل الإشارة إلى "الجوهر" مصطلح: "ousia" الذي يسبب فضيحة للمؤمنين لأنّ الكتابات لا تحتويه ولا تذكره، وبدا له من الأفضل حذفه وتجنّب الإشارة إليه مستقبلاً فيما يخص - جوهر الله- [...] ولكننا نقول بأنّ الابن مساوٍ للآب في كل شيء، كما يقول الكتاب المقدس ويعلمه"<sup>(2)</sup>.

مجمع سلوقية وريميني<sup>(3)</sup>: لقد خطّ قنسطانطيوس الثاني لتقديم قانونه إلى الآباء المجتمعين في نيقوميديا، ولكن قبل موعد افتتاح المجمع بوقت قصير اهتزّت المدينة بسبب زلزال مرعب لما كان الأساقفة في طريقهم إلى مكان عقد المجمع وبدلاً من إلغاء الاجتماع، اختار الإمبراطور تقسيمه كما يلي: يجتمع الأساقفة الشرقيين في سلوقية والغربيين في ريميني<sup>(4)</sup>.

لقد أثار قانون الإمبراطور استياء الجمع لكنهم رضخوا بالتوقيع عليه بسبب ضغوطات الإمبراطور، هذا الأخير استدعى على الفور مجعاً آخر أصغر من سابقه في القسطنطينية للمصادقة على قرارات سلوقية وريميني. وعليه اجتمع الأساقفة الشرقيين ونقّحوا عقيدة الإمبراطور حتى أصبحت قريبة من الأريوسية، وبالتالي يحافظون على صيغة: "مشابه للآب" مع حذف عبارة: "في كل شيء"، وقرروا إلغاء قوانين الإيمان السابقة بما في ذلك قانون نيقية، يعلن الإمبراطور الرضى عن "التنقيح" ويقوم بنفي

(1) Frédéric Lenoire, p241-242.

(2) Ibid, p242.

(3) لم يكن مجمع نيقية خاتمة المطاف للقضاء على الأريوسية وباقي الهرطقات بل بالأحرى كان مقدمة لسلسلة طويلة من المجمع الكنسية التي عقدت في فترات متلاحقة أدان أغلبها قرارات مجمع نيقية وقبل عقيدة أريوس كما حدث في مجمع رميني الغربي ومجمع سلوقية الشرقي اللذين عقدا عام 359م، وقد أيد كلاهما الأريوسية كل التأييد، وأصبحت الكنيسة الغربية كلها أريوسية ولقد ثبتت هذه العقيدة في مجمع القسطنطينية عام 361م، وقام الأريوسيون بنشرها في أنحاء العالم. لكن هذا الحال لم يلبث أن تبدّل حين ولى الحكم أباطرة وثنيون ارتدوا عن المسيحية مثل يولييانوس الذي أغلق الكنائس ونهبها ثم سلمها للوثنيين وجاهر بعبادة الأوثان ثم خلفه يوييانوس الذي تولى عام 363م وكان معادياً للأريوسية، فاعتنق مذهب أثناسيوس الذي يقوم على التثليث، ثم أجبر الشعوب على اعتناقه. انظر: أحمد عبد الوهاب: حقيقة التبشير بين الماضي والحاضر، (ط2، مكتبة وهبة، القاهرة، 2010م)، ص 57.

(4) Frédéric Lenoire, p242.

## الفصل الرابع: صورة المسيح خلال القرنين الرابع والخامس.

بعض الأساقفة الذين أصروا على عدم موافقتهم على الصيغة الجديدة سواء كانوا أريوسيين أو نيقيين<sup>(1)</sup>. يتبين مرة أخرى من خلال هذا العرض الموجز لمجموع المجامع التي عقدت في وقت وجيز أنّ المتحكّم الرئيسي والأساسي في تحديد عقيدة المسيحيين بالخصوص هوية يسوع هم الأباطرة، وحضور جموع المسيحيين المتنازعين أثناء المجامع شكليّ فقط غايته تبرير صحة القرارات المتوصل إليها وتميرها.

**وفاة قسطنطينوس الثاني وخلافة يوليانوس:** يتساءل لونوار: لا نعرف ماذا سيحدث للمسيحية لو لم يمت قسطنطينوس الثاني بعد بضعة أشهر؟! في وقت قريب جدًا، خلفه يوليانوس الملقّب من طرف المسيحيين بـ: "بالمرتد أو الجاحد" والمعروف أيضًا بـ: يوليانوس الفيلسوف نشأ هذا الأخير في وسط المسيحية الأريوسية وتولّى أمره الأسقف يوسابيوس التيقودي من منذ صغره، وقد كان يوليانوس مولعًا بالفلسفة والثقافة الكلاسيكية اليونانية التي أخذها من ماردونيوس (Mardonios) الخصيّ المكرس لخدمته، ولقد تمّ تكليف يوليانوس بالإقامة الجبرية من طرف الإمبراطور قسطنطينوس الثاني عند الأسقف (Georges) من كبادوكيا لظروفٍ غامضةٍ وغير واضحة، وأثناء ذلك التهم لوليانوس مكتبة الأسقف التي كانت تحتوي إضافةً إلى الكتب المسيحية أعمال فلاسفة العصور القديمة. عمّد لوليانوس في تلك الفترة لكنّه لم يكن مسيحيًا عندما أعاده الإمبراطور قسطنطينوس الثاني من منفاه لمنحه لقب "قيصر" بمعنى نائب الإمبراطور وإرساله إلى الغال على رأس الجيوش، حيث ترك يوليانوس رسالة مؤثرة: "لقد صلّيت إلى أثينا [إلهة اليونان] لإنقاذ متوسّلها وعدم التخلي عنه. كثيرون منكم رأوني وشهدوا ذلك [...]. والإلهة لم تحنّ ولم تتخلّى عن متوسّلها، لقد أظهرت ذلك بأفعال، لقد قادني في كلّ مكان وفي كلّ الجهات، وأحاطني بملائكة حارسة منحتها الشمس والقمر"<sup>(2)</sup>.

**المسيحية في عهد يوليانوس:** لقد حكم يوليانوس حوالي أكثر من عامين، وأثناء فترة حكمه قام بتصفية حساباته مع سلفه الذين اتهمهم بقتل والديه ثمّ القضاء على التأثير الأريوسي في ظل حكم قسطنطينوس الثاني الذي أزعجه كثيرًا، حيث يتساءل لونوار هل كان هدفه كما يزعم بعض المؤرخين: إضعاف المسيحية بإحياء الانقسامات الداخليّة في صفوف المسيحيين؟ الحقيقة أنّ يوليانوس عكس قسطنطينوس الثاني، فلقد قام بإلغاء قرارات مجمع القسطنطينية بمرسوم وأعاد الاعتبار لقانون مجمع

(1) Ibid, p242-243.

(2) Ibid, p243-244.

## الفصل الرابع: صورة المسيح خلال القرنين الرابع والخامس.

نيقية، فمجرّد وصوله إلى السّلطة أصدر مرسوم التسامح وألغى المراسم التي اتّخذها سلفه ضد الوثنيين واليهود والمسيحيين النّيقيين، من ناحية أخرى أصدر قرارات تمنع المسيحيين من تدريس قواعد اللّغة والفلسفة، وأخيراً يعتبر كاتب غزير الإنتاج ألف الكثير من الكتابات التي تهاجم المؤمنين المسيحيين واشتهر بكتابه: "ضد الجليلين" الذي وصف فيه المسيحية بديانة "جديدة" وبلا "جذور"<sup>(1)</sup>.

**وفاة يوليانوس:** عندما مات يوليانوس أثناء حملة عسكرية، انقسمت الإمبراطورية مرّة أخرى. وأشار الكاتب-لونوار- أنّه لن يتطرق إلى الجامع العديدة التي عقدت في تلك الفترة -مجمع ضد مجمع- وكذا النزاعات التي تخللت العلاقات بين المسيحيين طيلة حكم مختلف أباطرة الشرق والغرب الذين خلفوا بعضهم البعض حتّى ثيودوسيوس (Théodose)، حيث كان كلّ واحد منهم يسعى لتحقيق ما يستطيع خلال فترة حكمه القصيرة بنفي وتحريم أساقفة الاتجاه المعاكس والذين بدورهم يقومون بنفس العمل بعد قبولهم واستعادتهم مرّة أخرى إلى مقاعدهم، حيث يقومون باستبعاد ونفي الذين عاقبوهم قبل فترة وجيزة"، أمّا في الكنائس فكان محتوى المواعظ وفقاً للتّيّار الذي ينتمي إليه كل أسقف، فمرّة يكون نيقياً ومرّة أخرى آريوسياً، وأصبح الغضب يزداد في المدن وحتى في الأبرشيات بسبب ألوهية المسيح أو بتعبير أدق درجة ألوهيته (هل هو إله أم الإله الثاني؟)، وأدّت إلى شجارات واشتباكات غالباً ما تتطلّب تدخل القوّات الإمبراطورية لاستعادة النّظام<sup>(2)</sup>.

أمّا بالنّسبة للأباطرة فقد كانوا منشغلين بالحروب ضد الفرس وبالبرابرة والدّفاع عن حدودهم الخارجية، وبعيدين عن إشراك أنفسهم في شؤون الكنيسة كما فعل قسطنطين أو قنسطانطيوس الثاني، ولم يفكّر أحد منهم بعقد مجمع مسكوني جديد لمحاولة استعادة الوحدة في المجتمع المسيحي<sup>(3)</sup>.

**أبوليناريوس والمسيح الإله:** قبل معالجة الانعكاس الكامل للسياسة المسيحية في الإمبراطورية تحت رعاية ثيودوسيوس يجب توضيح مشكلة مهمّة، ستكون موضوع نقاش في المجمع المسكوني الذي عقده هذا الأخير فور وصوله إلى السّلطة حتى وإن لم تكن بنفس حجم المشكلة الآريوسية، تلك المثارة

(1) Frédéric Lenoire, p244.

(2) Ibid, p244-245.

(3) Ibid, p245.



## الفصل الرابع: صورة المسيح خلال القرنين الرابع والخامس.

من طرف الأبوليناريسيين<sup>(1)</sup> تلاميذ أبوليناريوس (Apollinaire) اللاذقي، هذا الأخير هو خصم قديم لآريوس ولأطروحاته حول المسيح كإله ثانٍ، ولد في لاوديكيّا - اللاذقية حاليًا بسوريا-، وأصبح أسقفًا حوالي 360م، نيقّي شرس لا يخفي قناعاته بأنّ المسيح إله كامل "الإله المتجسّد" وعلى حدّ تعبيره: جسده لم يكن يسكنه روحًا إنسانية ولكن الكلمة مباشرة، فالتعبير الذي نجده دائما تحت قلمه أو أقلام تلاميذه يُلخّص في هذه القناعة: "طبيعة واحدة للكلمة المتجسّد" ويفهم ضمنيًا "طبيعة إلهية".

في سنة 362م عقد مجمع بالإسكندرية للتذكير بأنّ: المسيح لم يكن له جسد بلا روح، بلا إحساس، وبلا نفس" لقد كان الأساقفة منشغلين جدًا بالتزاعات الآريوسية حرصًا على عدم تقسيم صفوف النّيقيين بأطروحات جديدة لذلك لم يدينوا الأسقف أبوليناريوس ولم يمنعه من مواصلة نشر تعاليمه، وستتمّ إدانة أبوليناريوس رسميًا في مجمع القسطنطينية، ولكن معه تفتح صفحة جديدة للنقاش حول العقيدة التي تشرح طريقة الاتحاد في المسيح بين الإلهي والبشري، الإله والإنسان<sup>(2)</sup>.

يفهم ممّا سبق أنّ الأمر الوحيد الذي يدفع إلى عقد المجمع خاصة المسكونية منها هو الأباطرة وحدهم، خاصة عند إدراكهم حجم النزاعات التي تزرع الفتنة داخل الإمبراطورية..

### المطلب الثاني: القسطنطينية، انتصار كاثوليكي.

رغم أهمية مجمع نيقية وقراراته وما أحدثه من ضجّة في تحديد عقيدة المؤمنين المسيحيين كخطوة هامة للقضاء على التزاعات والاختلافات اللاهوتية المتعلقة بشخص يسوع المسيح وجوهده، إلّا أنّه لم يفلح في الوصول إلى صيغة توفيقية بين الأطراف المتنازعة خاصة المتعلقة بمسألة الرّوح القدس الأفنوم

(1) أبوليناريوس من أساقفة اللاذقية، نبغ سنة 350م وذهب إلى أن التسليم لآريوس بأن الكلمة في طبيعة المسيح تقوم مقام النفس الناطقة في شأنه أن يعضد تعليم المجمع النيقاوي ويساعد في الرد على آريوس المذكور وبناءً على ذلك حاول أبوليناريوس أن يُدخل القواعد الآتية في تعاليم المجمع النيقاوي وهي أولاً: أنّه لما كان لا يمكن اجتماع كائنين تامين في شخص واحد بدون أن يتولد عن ذلك مسخ كان لا يمكن أن يجتمع في طبيعة المسيح إله تام بإنسان تام. ثانيًا: أنّه ليس في المسيح نفس ناطقه فإن الإله التام فيه يقوم مقامها. ثالثًا: أنّه ليس في المسيح إلّا طبيعة واحدة وهي ذات جهتين جهة إلهية وجهة بشرية وأن الاتحاد بينهما من شأنه أن يحمل على الحكم بأن لكل منهما من الصفات ما للأخرى. ثم لطف رأيه هذا وقال أنّ المسيح لم يكن خاليًا من كل النفس بل كان له جزء من النفس الحاسة به يبصر ويسمع إلّا أنّه كان خاليًا من الجزء التّطقي وذلك مأخوذ من فلسفة أفلاطون الذي كان يقول أنّ الإنسان مؤلف من ثلاثة جواهر وهي الجسد والنفس الحاسة والنفس الناطقة ويُقال أنّ أبوليناريوس كان يذهب إلى أنّ الثالوث اختلافيًا في المقام فكان يلقب الروح القدس بالعظيم والابن بالأعظم والآب بالكلي العظمة. أنظر: الياس صالح اللاذقي: آثار الحقب في لاذقية العرب، تح: الياس جريح، (ط1، دار الفرابي، بيروت لبنان، 2013)، ص194.

(2) Frédéric Lenoire, p246.

## الفصل الرابع: صورة المسيح خلال القرنين الرابع والخامس.

الثالث من الثالوث المسيحي، وهذا ما سنراه في هذا المطلب.

في سنة 379م، أحرز القائد ثيودوسيوس ذو الأصول الإسبانية نجاحًا باهرًا في المجال العسكري، وأصبح على رأس الإمبراطورية الرومانية الشرقية، وبعد أربعة سنوات من تولّيه الحكم أعاد توحيد الإمبراطورية وحكم الشرق والغرب، وأصبحت السياسة الدينية الرومانية هدفًا للتغيير الجذري.

**المسيحية في ظل حكم ثيودوسيوس الأول:** اكتشف هذا الإمبراطور المفعم بتعاطفه مع المسيحيين إمبراطورية ممزّقة بسبب النزاعات المسيحية الداخلية، - هو نفسه نيقى مقتنع ومن جهة أخرى من المحتمل أن يكون احتكاكه مع الجيش النيقى قاده إلى اتباع إيمانهم - خاصة أنّ إسبانيا التي كبر فيها كانت دائمًا بعيدة عن الخلافات الآريوسية، ولكن في كل الأحوال كانت المسيحية هي المفضّلة في نظر الإمبراطور الجديد الذي أصدر في فيفري سنة 380م أول مرسوم ديني ذلك المسمى ب: مرسوم تسالونيكى والذي تمّ توقيعه بالاشتراك مع جراتيان (Gratien) الذي لا يزال إمبراطورًا للغرب والذي جعل من المسيحية الديانة الرسمية الوحيدة للإمبراطورية<sup>(1)</sup>، ولكن الأمر لا يتعلّق بأيّ مسيحية، فمنذ البداية أعلن الإمبراطور عن "الإيمان الحقيقي" ذاك الذي "اعترف به البابا داماسوس (Damase) وبطرس (Pierre) أسقف الإسكندرية" ويجدد في المرسوم أكثر: بمعنى ذلك الذي أسّس على الإيمان بـ "ألوهية الآب والابن والروح القدس الذين لهم ذات العظمة المتساوية في الثالوث المقدّس". وبعبارة أخرى: "عقيدة نيقية" ويضيف المرسوم أيضًا: "كل من يرفضون الخضوع لهذه العقيدة عليهم أن يتوقّعوا تأرًا إلهيًا ومن طرفنا أيضًا عقابًا حسب القرار الذي تلهمنا به السّماء". باختصار، منذ ذلك الحين: على كل مواطني الإمبراطورية أن يصبحوا إجباريًا من الرّوم كاثوليك.

وكان أحد أوّل التدابير التي قام بها ثيودوسيوس عند وصوله إلى القسطنطينية هو استدعاء أسقف آريوسي "للعودة إلى الإيمان الحقيقي"، فرفض هذا الأخير وكانت النتيجة أن قام الإمبراطور بإدانته ونفيه، ثمّ ثبتّ غريغوريوس النزينزي (Grégoire de Nazianze) على كرسي الأسقفية للعاصمة<sup>(2)</sup>.

**معمودية الإمبراطور ثيودوسيوس:** في تلك السنّة، أي 380م تمّ تعميد ثيودوسيوس ليصبح

(1) Frédéric Lenoire, p247.

(2) Ibid, p248.

## الفصل الرابع: صورة المسيح خلال القرنين الرابع والخامس.

أول إمبراطور روماني عُمد في بداية حكمه<sup>(1)</sup>، وبعدها أرسل قواته لمهاجمة كنائس وأماكن تجمع الآريوسيين، فتمّ تدميرها وأحرقت أعمالهم الهرطوقية، فلم يكن الإمبراطور ثيودوسيوس رجل المصالحات بين المتخالفين كقسطنطين، أعداؤه هم المنشقون الذين خرجوا عن الأرثوذكسية الرومانية، منهم: الأبوليناريين، الدوناتيين، والآريوسيين، الذين تعرّضوا لقسوة قوانينه حيث بلغ عدد المراسيم التي أصدرها لاضطهادهم خمسة عشر مرسومًا طويلة فترة حكمه<sup>(2)</sup>.

**مجمع القسطنطينية 381م (مجمع شرقي):** استدعى ثيودوسيوس مجمعًا في القسطنطينية عرف لاحقًا بالمسكوني، ولكن الأمر الملفت للنظر في هذا المجمع هو اختصاصه بالأساقفة الشرقيين فقط عكس الجماع المسكونية الأخرى، فقد عقد المجمع دون حضور مندوبي البابا بالتالي يعتبر بالفعل استرجاعًا للسلطة للكنيسة الشرقية<sup>(3)</sup>.

لقد حضر المجمع المنعقد في القصر الإمبراطوري حوالي 150 أسقف في الجلسة الافتتاحية في شهر ماي من تلك السنة، من بينهم بعض الأسماء المعروفة إلى يومنا الحالي: غريغوريوس أسقف نيقص (Grégoire de Nysse)، غريغوريوس النزيانزي، ديودور الطرسوسي (Diodore Tarse) وأيضًا ميليتيوس أسقف أنطاكيا وسيريل (Cyrille de Jérusalem) الأرشليمي، كما حضر بعض الأساقفة الذين ينتمون إلى حركة - pneumatomaque - (بمعنى خصوم أو أعداء الرّوح - adversaires de l'Esprit)، الجلسات الأولى، وهم الذين لا يعترفون بلاهوت الرّوح القدس (بألوهية المسيح فقط)،

---

(1) كان الإمبراطور ثيودوسيوس الأول الذي جلس على العرش ما بين 379 و 395 آخر الأباطرة الذين حكموا الإمبراطورية الرومانية بقسميها الشرقي والغربي وهو الذي جعل المسيحية الديانة الرسمية للإمبراطورية. فرغم أن قسطنطين الأول كان أول إمبراطور روماني يعتنق المسيحية، فإنه اكتفى بالسماح بالدعوة إلى الديانة الجديدة ضمن مجموعة العبادات الأخرى، ورغم حرّية المسيحيين في العبادة والدعوة إلى عقيدتهم فقد ظلت العبادات الوثنية الرومانية هي المسيطرة بمعايها الفخمة وطقوسها الاحتفالية، خصوصًا فيما يتعلق بتقديم الذبائح والقرابين للآلهة في الأعياد والمواسم، وبعد حوالي ستين عامًا قرر الإمبراطور ثيودوسيوس الأول فرض الديانة المسيحية على جميع شعوب الإمبراطورية والقضاء على العبادات الوثنية الموجودة بها، ثم أصدر عدة قوانين أعلن فيها إلغاء الاحتفال بالأعياد الوثنية التي لم تقبلها الكنيسة كاحتفالات مسيحية، كما منع ذبح الأضاحي وحرّم دخول المعابد الوثنية التي اضطرت إلى إغلاق أبوابها وفي عام 391م أعلن ثيودوسيوس أن المسيحية هي الديانة الوحيدة المسموح بها في الإمبراطورية، وبدأت عملية تدمير المعابد الوثنية في كل أنحاء الإمبراطورية أو تحويلها إلى كنائس. أنظر: منير غبور، أحمد عثمان: حضارة مصر القبطية-الذاكرة المفقودة، (ط1، مكتبة مدبولي، القاهرة، 2011) ص82.

(2) Frédéric Lenoire, p248.

(3) Ibid, p249.

## الفصل الرابع: صورة المسيح خلال القرنين الرابع والخامس.

حيث غادروا بعدها رافضين أغلب حجج النيقيين<sup>(1)</sup> - بالنسبة للتزاعات حول ألوهية الروح القدس ستكون في القرن الخامس والتي سأعود إليها بمزيد من التفصيل في بقية المطالب -

**أعمال مجمع القسطنطينية:** إنّ أعمال مجمع القسطنطينية لم تصل مثلما لم تصل أعمال مجمع نيقية، وهنا أيضًا يعتمد لوناو على شهادات المذكورة عن المجمع لإعادة بناء الأحداث من جديد، ومن بين هذه الشهادات تبين أنّ معظم النقاشات كانت حول صلاحيات الكراسي الأسقفية (وفاة الأسقف ميليتوس أثناء المجمع) وأيضًا منح القسطنطينية لقب "روما الجديدة" وهذا يعني المرتبة الثانية في أولوية الشرف داخل الكنيسة وإبعاد كنيسة أنطاكيا.

أمّا عن مخطط العقيدة، فبعد مغادرة "خصوم الروح"، وجد الأساقفة بسرعة الأرضية المشتركة بالاعتماد على رمز نيقية وإضافة عبارة عن الروح القدس لصياغة قانون جديد. هذا القانون الجديد كتب باللّغة اليونانية وعرف باسم: قانون الإيمان النيقاوي-القسطنطيني (Nicée-Constantinople)، وهو نفسه القانون المسيحي الذي يتلى اليوم داخل الكنائس بضمير المفرد الأول "أنا" بينما الحقيقة كتب بضمير الجمع "نحن":

"نؤمن بإله واحد، الأب ضابط الكل وخالق السماء والأرض وكل ما يُرى وما لا يرى، وبرب واحد يسوع المسيح، ابن الله الوحيد، المولود من الأب قبل كل الدهور، نور من نور، إله حق من إله حق، مولود غير مخلوق، مساوي الأب في الجوهر، الذي به كان كل شيء، الذي من أجلنا نحن البشر، ومن أجل خلاصنا، نزل من السماء وتجسّد من الروح القدس ومن مريم العذراء، وتأنّس، ووصلب عنا في عهد بيلاطس البنطي، تألم وقبر، وقام في اليوم الثالث كما في الكتب، وصعد إلى السماء وجلس على يمين الله الأب، وأيضًا سيأتي بمجده العظيم، ليدين الأحياء والأموات، الذي ليس ملكه انقضاء، ونؤمن بالروح القدس الرب المحيي المنبثق من الأب، نسجد له ونمجده مع الآب والابن، الناطق بالأنبياء، ونؤمن بكنيسة واحدة، جامعة، مقدسة، رسولية، نقرّ ونعترف بمعمودية واحدة لمغفرة الخطايا، ونتظر قيامة الموتى وحياة جديدة في العالم العتيد. آمين"<sup>(2)</sup>.

هكذا اعترف الأساقفة بجوهر الروح القدس الذي فتح باب الجدالات في العالم المسيحي من جديد

(1) Ibid, p249.

(2) Ibid, p250.

## الفصل الرابع: صورة المسيح خلال القرنين الرابع والخامس.

حول مكانته وانبثاقه.

**مسألة الرّوح القدس:** لقد ظهر قلق واضح بخصوص مسألة الرّوح القدس وفي نفس الوقت رغبة شديدة في إيجاد حلّ وسطيّ، حيث أكّد الأساقفة المجتمعون بأنّ الرّوح القدس منبثق من الآب، متجاهلين ذكر الابن. إذ سيتمّ إدخال (*Le filioque* بمعنى: "والابن"-الانبثاق البنوي-<sup>(1)</sup>) موكب الرّوح القدس من "الآب والابن" وهذا القانون ضد قرار الشّرق في المجمع الثّالث بتوليدو (Tolède) الإسبانية المنعقد سنة 589م. لكنّها ستبقى بعيدة عن استعمالات اللّيتورجيا، فعلى سبيل المثال طلب شارلمان (Charlemagne) من البابا ليو الثّالث (Léon III) سنة 810م إدخال عقيدة انبثاق الرّوح القدس في قانون الإيمان، إلّا أنّ ذلك لم يتم فعلياً إلّا في بداية القرن الحادي عشر في اللّيتورجيا الغربية، وهو أحد أسباب الانشقاق عن العالم الأرثوذكسي سنة 1054م. كما أنّ الأرثوذكس اليوم وحتى الكاثوليك الشّرقيين لم يدرجوا "الابن" في قانون الإيمان الخاص بهم<sup>(2)</sup>.

نعود إلى مجمع القسطنطينية بحيث بعد الانتهاء من أعماله في يوليو 381م أرسل الآباء خلاصة الاجتماع إلى الإمبراطور الذين سمّوه: "أداة الله-instrument de Dieu" وطلبوا منه المصادقة على تصريحاتهم العقديّة من ناحية، وإدانة الهرطقة من ناحية أخرى وقد حدّدوا "بالخصوص" الآريوسيين ونصف-الآريوسيين، خصوم الرّوح، الأولينارسيين، والسّابليين وطلبوا بوجوب "حرمانهم" جميعاً دون الخوض في "أخطاء" محدّدة لبدعهم. أصدر ثيودوسيوس مرسومًا يقضي بوجوب خضوع جميع الكنائس لأولئك الذين يتبعون "الإيمان الحقيقي"<sup>(3)</sup>.

(1) يوضح هذا الأمر كيف أنّ المشاكل بين الكنائس مرتبطة بتقنين عقيدة الثّلاثي، وقد صاغت الكنائس المسيحية هذه العقيدة بطريقتين مختلفتين، وفقًا لأحدها فالرّوح القدس منبثق من الآب وهي الصّيغة التي تمسّكت بها الكنيسة الشّرقية بينما تمسّكت الكنيسة الغربية بانبثاقه من الآب والابن *filioque*، ربّما يتساءل البعض ما فائدة مناقشة مثل هذه التّفاصيل الدّقيقة، يجيب المؤرّخين أنّ أصول الصّيغة الثّانية والمناقشات التي أدت إليها هي خارج نطاقهم، ولكن ما يمكن تأكّيده هو أنّ إدخال صيغة *filioque* في تعريف الثّالوث كان أحد الأسباب الإنشقاق بين الشّرق والغرب هنا يتّضح أنّ الأهميّة اللاهوتية للصيغة لا جدال فيها ويعبّر الإنبثاق البنوي ويؤكّد الميل إلى التّبعية والتقليل من شأن الرّوح القدس وقد يبدو هذا الجدال عبيط إلّا أنّه بالنّسبة للأرثوذكسي أدنى تغيير في عقيدة الثّالوث له عواقب فمثلاً انبثاق البنوي لا يدمر فقط التساوي بين الأقانيم بل يقدّم تصوّرًا خاطئًا لدور الرّوح القدس ويؤدّي التّالي عقيدة التّشكيك في عقيدة الكنيسة. أنظر:

Franz-J. LEENHARDT : L'ÉGLISE -Questions aux protestants et aux catholiques-, (Editions Labor et Fides, Paris, France, 1978), P119.

(2) Frédéric Lenoire, p251.

(3) Ibid, p251-252.

## الفصل الرابع: صورة المسيح خلال القرنين الرابع والخامس.

دين الدولة: أصبحت المسيحية التي كانت "الدين المتميز" للإمبراطورية في عهد قسطنطين، ثم الديانة الرسمية في بداية حكم ثيودسيوس "دين الدولة" للإمبراطورية رسميًا سنة 391م (ليس فقط المواطنون من هم مسيحيون، بل الدولة نفسها هي التي أصبحت مسيحية)، حيث قام ثيودسيوس بمنع العبادات الوثنية وأصبحت العلاقات بين السلطة السياسية والسلطة الكنسية أكثر قربًا، واستمرت الكنيسة في الحصول على امتيازات جديدة خاصة على ثروات جديدة، منها السماح لها بالاستيلاء على ممتلكات ومعابد الوثنيين وقد تحوّلت تلك الأفعال إلى مذابح حقيقية كان ضحاياها الوثنيون وحتى غير النقيين.

منذ ذلك الحين، أصبح واجبًا على أعضاء مجلس الشيوخ مثلهم مثل جميع كبار المسؤولين في الدولة أن يقسموا على التزامهم بالإخلاص للمسيح لتويّ وظائفهم، وقد منح البابا داماسوس روما لقب "الكرسي الرسولي" *siège apostolique*<sup>(1)</sup> وهكذا يصبح الإمبراطور ذراع المسّح أكثر من أي وقت مضى<sup>(2)</sup>.

رغم هذا الانتصار العظيم للمسيحية ومحاولة ثيودسيوس غلق الأبواب أمام جميع النزاعات بين المسيحيين وتحديد قانون إيمان شامل لعناصر التلوث المسيحي، إلا أنّ مسألة هويّة يسوع هي موضوع

---

(1) إنّ أهمية الأسقف تناسب عادة الأهمية السياسية والإقتصادية للمدينة التي يقوم فيها الكرسي الرسولي، وإذا كان الشرق الروماني غنيّ بمدنه الهامة التي صارت مراكز لكراسي دينية كبرى مثل الإسكندرية وبيت المقدس وقصرية والقسطنطينية فإنّ الغرب لم يوجد فيه سوى روما وقرطاجة، إذا تحدّثنا عن معايير المنافسة بين روما والقسطنطينية حول الرّعاية الدّينية على العالم المسيحي، فإنّ القسطنطينية اعتمدت على أنّها مركز الأباطرة ومحلّ إقامتهم وبالتالي يحق لبطاركتها أنّ تكون له الرّعاية الدّينية كما لإمبراطورها الرّعاية السياسية ولكن هذا الرأي صادف معارضة من القائلين بأن تراث المسيحية انتقل عن طريق الرسل والحواريين وظل محفوظًا في الكنائس التي أسسوها، وبخاصة في أنطاكية والإسكندرية وروما. وهنا تبدو القسطنطينية مفتقرة إلى مثل هذا التشريف لأن أحدًا من الرسل لم يشرفها بالذهاب إلى موضعها أو الاستشهاد قربها أو تأسيس كنيسة في منطقتها، لأن القسطنطينية نفسها لم تؤسس إلا في القرن الرابع. أمّا روما فيكفيها فخراً أنّها ارتبطت ارتباطاً أبدياً بذكرى القديس بطرس الذي اتخذ منه المسيح صخرة بنى عليها كنيسته، فضلاً عن أنّه أعطاه مفاتيح ملكوت السموات. وإذا كان بطرس بحكم هذا التشريف - يعتبر زعيم الحواريين ومقدم الرسل، فإن خلفاءه - أساقفة روما - أحق الناس بأن يرثوا زعامة العالم المسيحي، على أن تدزع أساقفة روما بمجده الحجج والأسانيد شيء ومحاولة فرض سيطرتهم على العالم المسيحي شيء آخر. والواقع أنّنا لا نعرف عن أساقفة روما في القرنين الأول والثاني أكثر من أسمائهم ولم يكن ذلك إلا بعد عهد قسطنطين عندما أخذت المراجع تشير إلى بعض البابوات الذين لعبوا دورًا فعالاً في توجيه سياسة الكنيسة. ومن بين هؤلاء البابوات: داماسوس الأول (384 - 366) الذي كتب مؤلفًا استعرض فيه مكانة كرسي روما الأسقفية وأكد سيادة البابوية وسموها. أنظر: سعيد عبد الفتاح عاشور: تاريخ أوروبا في العصور الوسطى، (ط2، دار النهضة العربية، بيروت-لبنان، 1914)، ص 54-56.

(2) Frédéric Lenoire, p252.



## الفصل الرابع: صورة المسيح خلال القرنين الرابع والخامس.

الجميع من المثقف إلى العامل البسيط، وفي كل مرة تثار مسألة لا تنطفئ إلا بعد تدخل القوات العليا سواء الدينية أو السياسية، وتجدد الإشارة إلى مسألة أخرى بشأن يسوع وهي ليست أقل من سابقتها، إنها: جوهر الابن..

عندما يبدأ التاجر الحديث عن اللاهوت: لم تستقر الحياة المسيحية بعد، فسير يسوع المسيح يستمر في تحدي اللاهوتيين وأيضاً جموع المؤمنين به الذين يقومون بشجارات حقيقية وينظمون مظاهرات ومظاهرات مُضادة في مدن الإمبراطورية، حيث كان الجميع يشارك في النزاعات العقديّة، وقد ذكر المؤرخ أميانوس مارسيليانوس (Ammien Marcellin) الذي عاش في تلك الفترة من التمرّقات في مؤلفه الرائد: التاريخ (Res Geste- Histoire) أنّ المسيحيين كان يتخاصمون فيما بينهم "مثل الوحوش البرية"<sup>(1)</sup>.

جوهـر الابن: يعدّ "جوهـر الابن" في نهاية القرن الرابع وفي القرن الخامس موضوع كل النزاعات الحادة: كيف تُفسّر الطّبيعة المزدوجة: ناسوت يسوع ولاهوت الكلمة؟ هل هما متساويان في الابن، أم يفوق أحدهما الآخر؟ وكيف تتصالح هاتان الطّبيعتان مع وحدة شخص المسيح؟ بالتالي يعود الجدل القديم حول لاهوت المسيح مجدداً إلى الواجهة: هل حقاً الابن من جوهر الآب؟ هل هو مساوٍ له؟ ونزاعات أخرى حول مكانة الرّوح القدس: هل هو إله كامل؟ إذا كان كذلك كيف تفسّر تلك الحالة؟ كيف يفهم سرّ الثالوث للأقانيم الثلاثة التي تعتبر واحداً؟ في عظة مشهورة لغريغوريوس أسقف نيصص 394-341م ألقاها في القسطنطينية سنة 383م يشتكي كثرة الأسئلة المنتشرة في الكنيسة وخارجها: "أطلب أموالك وسيبدأ التاجر في الحديث عن اللاهوت: المخلوق وغير المخلوق، أطلب ثمن الخبز، يجب عليك: الآب أعظم والابن أدنى، وإذا ما كنت قلقاً من معرفة ما إذا كان حمّامك جاهراً يخبرك المضيف أنّ الابن ليس له أهمية"<sup>(2)</sup>.

بالإضافة إلى ما سبق، فإنّ النزاعات الأريوسية لم تنته رغم إدانتها في مجمع نيقية وبعدها في القسطنطينية وخاصة بعد القمع الذي نفّذه ثيودوسيوس، لكن الأريوسية رغم ذلك استمرت وانتشرت بين البرابرة في جذب المؤمنين الإمبراطورية وعلى رأسهم جوستينا (Justine) والدة فالنتين الثاني

(1) Frédéric Lenoire, p253.

(2) Ibid, p253-254.

## الفصل الرابع: صورة المسيح خلال القرنين الرابع والخامس.

(Valentinien II) الذي خلف جراتيان (Gratien) على رأس الإمبراطورية الغربية. وبعد الانصياع لإصرار جوستينا أصدر الامبراطور مرسومًا سنة 386م يعيد فيه لجماعة الآريوسيين حقوقهم "إلى الأبد"، وسيتم الاحتفاظ بهذا المرسوم في قانون ثيودوسياني (Code théodosien)<sup>(1)</sup> الذي أصدره ثيودوسيوس الثاني Théodose II سنة 438م وسمح لبعض الآريوسيين بالحفاظ على كنائسهم شريطة أن يكون موقعها خارج المدن<sup>(2)</sup>، ولكن في السنوات التالية تم إصدار سلسلة من القوانين كانت أكثر تقييدًا على المهرطقة والتي ستمنعهم تدريجيًا من تكوين رجال الدين وامتلاك الكنائس، ولن يتم تطبيق هذه التصوص بشكل صارم دائمًا، لكنّها تشير بشكل واضح إلى تجاه السياسة الدينية للإمبراطورية المؤيّدة لقرارات روما والبابوية التي تجمع غالبية المسيحيين في ذلك الوقت<sup>(3)</sup>.

**الإمبراطور الأكثر مسيحية:** مات ثيودوسيوس الأول في يناير 395م بعد أن نجح خلال فترة حكمه بتحقيق انجاز مزدوج: من ناحية استرجاع وحدة الإمبراطورية الرومانية (الذي كان في نهاية حكمه إمبراطور الإمبراطورية الموحدة) ومن ناحية أخرى جعل الصليب ينتصر عبر أراضيه الشاسعة. وقد لقبه المؤرّخون المسيحيون بثيودوسيوس العظيم الذي أدى دوره كذراع مسلح للكنيسة<sup>(4)</sup>.

اشتهر ثيودوسيوس الأول بأنه أكثر الأباطرة مسيحية للإمبراطورية الموحدة، وكان يعتقد أنّ الإيمان مرتبط بالجسد وكان ممارسًا متحمسًا، ولكن رجل شديد القسوة أيضًا، ويمكن لهذا الحدث تلخيص شخصيته، حدث كان مسرحه تسالونيكى حين قام سنة 390م، باعتقال سائق عربة سيرك كان يحظى بشعبية كبيرة في المدينة وسجنه بتهمة اغتصاب أحد عبيد الحاكم. فاندلعت أعمال الشغب وقتل الحاكم والعديد من كبار المسؤولين على أيدي مثيري الشغب، فلم يتحمل ثيودوسيوس الأول هذه التجاوزات واعتزم اعطاء درس يبقى درسًا لبقية شعوب الإمبراطورية، فقام باستدعاء التسالونكيين لحضور ألعاب السيرك وحبسهم في أدراج المسرح وخلال يوم كامل قامت قواته بمجزرة مروعة قتل فيها

(1) لقد تم جمع القرارات الإمبراطورية في مخطوطات وقوانين يعتبر أشهرها Code Théodosien نسبة إلى الإمبراطور ثيودوسيوس الثاني Théodose II سنة 438م و قانون Code Justinien نسبة إلى الإمبراطور جاستينيان سنة 529م ومن أشهر القوانين أنّ مصطلح الدين أصبح مرادف للمسيحية سنة 392م. أنظر:

Jean Comby, Pour Lire L'histoire De L'église, editions de cherf, Paris, 1984, tome1, P 79.

(2) Frédéric Lenoire, p254.

(3) Ibid, p254.

(4) Ibid, p254-255.

## الفصل الرابع: صورة المسيح خلال القرنين الرابع والخامس.

عشرات الآلاف بين المتفرجين وأولئك الذين حضروا لما سمعوا الصرخات المنبعثة من داخل السيرك. لم يستطع أمروز (Ambroise) أسقف ميلان آنذاك الذي غضّ الطرف عن كثير من الفظائع الأخرى السكوت عن هذه الكارثة، وحاطب الإمبراطور علناً، وأمره أن يتوب وهدّده باستبعاده من الكنيسة. وبعد بضعة أسابيع من هذه المواجهة وعناد الأسقف، امتثل الإمبراطور لطلبه مرتدياً رداءً أبيضاً للتائبين، ورأسه مغطى بالرماد وركع أمام أمروز واعترف علناً وطلب الحصول على الغفران علناً، وبعد بضعة أشهر صدر مرسوم جديد يعزّز القمع ضد الهرطقة<sup>(1)</sup>...

رغم اعتبار هذا الإمبراطور من أعظم الأباطرة الرومان في تحقيق العديد من الانتصارات الاجتماعية للمسيحيين واللاهوتية لأتباع الكنيسة روما، وكذلك باعتباره الإمبراطور الأوّل الذي عمّد في بداية حكمه إلا أنه لا يلتزم بتعاليم المسيح خاصة المتعلقة بالتسامح وعدم القتل، ولا بعقيدة إيمان الرّسل ولا بحث عن صحة العقيدة المقنّنة في مجمع نيقية...

### المطلب الثالث: نستوريوس Nestorius و (أم الإله)

إضافة إلى مسألة جوهر يسوع، وطبيعته، ومسألة الرّوح القدس وانبثاقه، ظهرت أزمة جديدة كبيرة في تاريخ المسيحية لم تُمخّ أثارها إلى يومنا الحالي: يقول لونوار عن هذه الأزمة أنّها تفجّرت في القسطنطينية سنة 428م حينما تم تنصيب الأسقف نستور من طرف الإمبراطور ثيودوس الثاني (Théodose II) على الكرسي البطريركي، ورغم تعيين هذا الأخير ليكون محارباً للبدع والهرطقات إلا أنه قام بتطوير تصوّره عن مريم العذراء<sup>(2)</sup>. نستور راهب من أنطاكية ولد سنة 381م العام المصادف لانعقاد مجمع القسطنطينية، عرف ببراعته الخطابية التي جعلت منه خطيباً بارزاً ومن أقواله الأشدّ دويّاً والمسجلة في سجله هو رفضه في أوّل خطاب له ألقاه بمناسبة عيد الميلاد (Noel) لقب: والدة الإله (Theotokos-mère de Dieu) الذي مُنح لمريم، مصرّحاً وساحطاً على المنبر: كيف يكون للإله والدة!!<sup>(3)</sup> ومانحاً إياها لقب: (أم المسيح Christotokos- mère du Christ) ويصرّ: "على أنّ الكتابات المقدسة لا تقول أنّ الإله ولد من العذراء أم المسيح بل تقول أنّ يسوع-المسيح الابن هو الذي ولد منها(والدة المسيح)، ومثل هذا الاعتراف يدلّ على نفي لاهوت يسوع الكامل"<sup>(3)</sup>.

(1) Frédéric Lenoire, p255.

(2) Ibid, 257.

(3) Ibid, P257.

## الفصل الرابع: صورة المسيح خلال القرنين الرابع والخامس.

كلمات نسطور كانت قاسية ورد فعل الحضور كان بدوره فوري وعنيف، ذلك أنّ لقب «والدة الإله» كان شائعاً حتى وإن لم يستقر كعقيدة إلاّ أنّه كان من التقليد المسيحي والمؤمنون متمسكون به كثيراً، ولأسباب ترجع - كما هو محتمل - إلى أسباب كرستولوجيا christologiques أكثر مما هي مريمولوجيا<sup>(1)</sup> mariologiques أين ظهر هذا اللقب مبكراً في تاريخ المسيحية عند جماعة من أباء الكنيسة الحريصين على إثبات ألوهية المسيح ونجد هذا اللقب شائع الاستعمال منذ القرن الثاني خاصة من طرف أوريجين، ثم من ألكسندروس أسقف الإسكندرية، ولاحقاً من طرف يوسابيوس القيصري وآخرين. وفي القرن الرابع يقول - مثل غريغوريوس النزينزي مصرحاً: (من لم يعتقد بأنّ مريم هي "والدة الإله" فهو خارج مرتد [أي خارج عن الدين])، حتى ذلك الحين لم تفصل الأرثوذكسية في الأمر بعد، فيما أبدت روما تأييداً لاستعمال لقب: *Theotokos* لوصف والدة الإله<sup>(2)</sup>.

هنا نطرح تساؤل هل يمكن لبدعة نسطور كما سمّتها الكنيسة أن تحدّد معالم شخص يسوع المسيح وتعود بها إلى أصولها الأولى بعيداً عن قرارات مجمع نيقية؟ هل سيتغيّر مجرى تاريخ المسيحية مع نسطور والإمبراطور الجديد؟ هل هناك احتمالية العودة إلى ما آمن به التلاميذ الأوّلون؟

**مدرسة أنطاكية والإسكندرية:** في الواقع لم يطرح نسطور تصوره عن مريم العذراء لأوّل مرة في خطبة عيد الميلاد التي ألقاها بصفته أسقف مدينة القسطنطينية، بل قد صرّح بمثل ذلك التصوّر في أنطاكية دون أن يثير ضجّة أو سخط المؤمنين، ولم يحدث في كنائس أنطاكية أيّ مظهر من مظاهر الغضب ضد أطروحاته، ولم تصدر أية إهانات عنه أثناء القيام بالقدّاس، ولا اعتراضات كما هو الحال في القسطنطينية، وما يجب قوله أنّ (روما الثانية = القسطنطينية) كانت أقرب - في عقائدها - إلى الإسكندرية منها إلى أنطاكية، حيث ازدهرت مدرستان لاهوتيتان مختلفتان تماماً عن بعضهما البعض<sup>(3)</sup>.

وقبل الدّهاب بعيداً في تطوّر النسطورية وذكر الأزمة العميقة التي أثارها في أوساط الطوائف المسيحية، دعونا نبدأ بفك شيفرات رؤى المدرستين المتضادة لا سيما ما يتعلّق بالكرستولوجيا (طبيعة

(1) في قوائم تخصّصات الدّراسات الكنسية حسب التنظيم الأكاديمي المعمول به والمرتبّة أجددياً فإنّ الدّراسات المريمولوجيا (قسم التخصص في كلية الآلهوت) ليست فقط موضوعاً مرجحاً في كلية الآلهوت بل موضوع مهمّ يحتوي محتوى هائل، إذ يسمح باكتشاف مريم من جانب وجودي وجانب لاهوتي لذلك اعتبر ماريولوجيا علماً لاهوتياً وقد أصّر مجمع التعليم الكاثوليكي على منح الطّلاب في جميع مراكز الدّراسات الكنسية تنشئة مريولوجية متكاملة تشمل الدّراسة والعبادة والحياة. أنظر:

Claude Ozankom & Jean-Pierre Sieme Lasoul : Une vie au service des jeunes (Editions Baobab, Congo, 2016.) P119.

(2) Frédéric Lenoire, P 258.

(3) Ibid,p 258- 259.

## الفصل الرابع: صورة المسيح خلال القرنين الرابع والخامس.

المسيح): مدرسة أنطاكية - المدينة التي درّس فيها لوسيان أستاذ آريوس وكثيراً من الأساقفة الآريوسيين والتّصّف - الأريوسيين - تبنت منذ البداية التفسير التاريخي والحرفي للكتاب المقدس، عكس مدرسة الأسكندرية المعروفة بالتفسير الرمزي [المجازي] للكتاب المقدس.

مسألة لقب "والدة الإله" الذي سيكون موضوع نقاش المجمع المسكوني المقبل لم يأت من العدم، بل جاء من تراكمات الاختلافات السابقة حول شخص يسوع المسيح خاصة المتعلقة بطبيعته، التي كانت سبباً في عدم قبول نسطور إطلاق لقب والدة الإله على أم يسوع.

طبيعة المسيح: يصرّ اللاهوتيون في أنطاكية على أنّ المسيح إنسان كامل وإله كامل أيضاً تشكلت طبيعته في اعتقادهم من اتحاد الطبيعتين الكاملتين وهو ما يسمى بثنائية: الإنسان - الكلمة Verbe-homme، التي تفصل بين الإنسان والإله في المسيح، الأمر الذي يوجه لهم تهمة تقسيم المسيح، والتحدث عن ابنين اثنين متميزين: ابن مريم من جهة، وابن الإله من جهة أخرى<sup>(1)</sup>.

على خلاف تصوّر أغناطيوس الأنطاكي الذي تحدّث - في القرن الأوّل - عن الإله المولود من مريم أصرّ علماء اللاهوت في الإسكندرية على الطبيعة الواحدة للمسيح:

(*la physis - la nature unique du Christ*) - الكلمة صار جسداً. ويؤكدون على

الاتحاد الذي لا يقبل التقسيم بين الطبيعتين اللاهوتية والناسوتية المنصهرتان في طبيعة المسيح الواحدة، وهناك صيغة لكنيسة الإسكندرية يمكن أن توضّح هذا المفهوم جيداً: "تري أنّ الطبيعة البشرية للمسيح قد امتزجت بالطبيعة الإلهية للمسيح بعد الولادة، كما تمتزج قطرة الماء في البحر" يؤدي هذا المنطق إلى ظهور المذهب القائل بالطبيعة الواحدة (monophysite) التي تؤمن بطبيعة واحدة إلهية للمسيح<sup>(2)</sup>.

كان تيودوروس الميصي (Théodore de Mopsueste) اللاهوتي الكبير لمدرسة أنطاكية أستاذ نسطور، يصرّح ويصرّ على أنّ المسيح كانت له طبيعتين طبيعة بشرية وطبيعة إلهية: إله كامل وإنسان كامل وذلك أنّه إذا انتفى هذا الاتحاد يفضي إلى أن يكون يسوع مجرد بشر مثلنا، وهذا هو السبب في إعلان الكتب المقدسة ابن واحد، يضيف قائلاً - هو الذي مات وبطبيعته الإلهية قام، يقول تيودوروس: "إنّ المسيح يشاركنا في الطبيعة البشرية لكونه من طبيعة مريم، لكنّه في نفس الآن فيه الطبيعة الإلهية التي هي من الآب، الذي تجسّد على هيئة بشر لأجل خلاصنا والمعروف عند الجميع"، بالتالي "فإنّ المسيح هو اتحاد تام لطبيعتين: الإنسان الذي تجسّد من خلاله الإله" وبهذا "لا يمكن لنا القول بأنّ هذين الأمرين [المسيح والله] طبيعة واحدة ومع التأكيد على التمييز بين الطبيعتين، يستخدم كلمة

(1)Ibid, p259.

(2)Ibid, p 259- 260.



## الفصل الرابع: صورة المسيح خلال القرنين الرابع والخامس.

"اتصال" ليشير بذلك إلى أنّ طبيعة المسيح البشرية والإلهية متصلتان في شخص واحد، وبهذا التصريح يكون تيودوروس أول مسيحي أدين بعد موته وليس أثناء حياته<sup>(1)</sup>.

بالمقابل نجد أنّ سيريل (كيرلس)<sup>(2)</sup> اللاهوتي الكبير الذي ينتمي إلى مدرسة الإسكندرية وأسقف تلك المدينة - ينحو عكس ذلك، بحيث ما فتئ ينفي المبدأ الأنطاكي القائل: بطبيعتين في أقنوم واحد « deux natures en une personne »، لصالح مبدأ " أقنوم ذو طبيعتين » une seule personne en deux natures بمعنى وحدة أقنوم المسيح بعد الاتحاد وبالتالي يرفض القول أنّ الطّبيعة البشرية للمسيح هي التي وُلدت وهي التي عذّبت وصلبت، بل المسيح ككل "الكلمة المتجسد" هو الذي ولد وهو الذي تعذّب وهو الذي صلب. من لحظة اتحاد الكلمة بالجسد الذي ظهر فيه<sup>(3)</sup>.

إذ لا يجب تقسيم الرّب الواحد يسوع المسيح إلى إنسان من جهة وإله من جهة أخرى ثم نقول يوجد يسوع - المسيح واحد،... ويضيف: أنّ السرّ الإلهي يختفي إذا كان الذي ولد والذي مات ليس إله" وستكون معركته مع نسطور فرصة لتعميق أطروحاته حتى يصل في نهاية المطاف إلى نحو آثار الطّبيعة الواحدة<sup>(4)</sup>.

وما يريد كيرلس توضيحه هنا هو أنّ الاتحاد كان بين طبيعتين: طبيعة إلهية وأخرى بشرية في أقنوم واحد وليس اتحادًا بين شخصين.

**معركة كرسطولوجيا أم أسبقية؟ في القسطنطينية ومنذ عظة الأسقف الجديد - نسطور - في عيد الميلاد والسخط الشعبي في تزايد والمسافرون الذي يتجولون في مدن الإمبراطورية وينقلون لغيرهم في**

(1)Frédéric Lenoire, P 260- 261.

(2)يعتبر كيرلس من الشخصيات الهامة في التاريخ الكنسي والمسيحي ولد هذا الأخير حوالي سنة 375م بالإسكندرية، ابن أخت البابا ثاوفيلس بطريرك الإسكندرية الـ 23. تعلم كيرلس في الإسكندرية برعاية البطريرك ثاوفيلس وفي سنة 404م رُسم كيرلس قسًا بكنيسة الإسكندرية وانطلق يعظ ويعلم الشعب ويفسّر الكتب المقدسة. ودرس القديس كيرلس مؤلفات آباء الإسكندرية مثل أوريجينوس، وأثناسيوس، وديديموس الضيرير. كما أطلع أيضًا على مؤلفات القديسين باسيلوس القيصري وغريغوريوس النزينزي. درس اللغات القديمة الشائعة في أيامه وهي العبرية والسريانية ولكنه كتب باليونانية وربما القليل بالقبطية، عندما تباح أنبا ثاوفيلس في 15 أكتوبر سنة 412م اتجهت أنظار الجميع إلى كيرلس، فتم انتخابه وقام الأساقفة برسامة أسقفًا للإسكندرية وبطريركًا للكرزة المرقسية رقم 24 في نفس السنة وفي 428م بدأ كيرلس يظهر كعلامة بارزة ومحطة هامة في تاريخ العقيدة الأرثوذكسية وتاريخ العلاقات الكنسية، وذلك بظهور هرطقة نسطوريوس بطريرك القسطنطينية، إذ قام كيرلس بدور المدافع الأول عن الأرثوذكسية ضد البدعة النسطورية وتوفي في: 10 يوليو 444م، وذلك بعد كفاح طويل في الدفاع عن الإيمان الأرثوذكسي ضد أخطر بدعتين هما الآيورسية والنسطورية. أنظر: يوحنا فم الذهبي، غريغوريوس النيسي وآخرون: عظات أبائية على قيامة المسيح، تر: سعيد حكيم يعقوب، (مؤسسة القديس أنطونيوس -المركز الأرثوذكسي للدراسات الأبائية، القاهرة، 2001) ص 20.

(3)Frédéric Lenoire, P261.

(4)Ibid, P 261.



## الفصل الرابع: صورة المسيح خلال القرنين الرابع والخامس.

الشّوارع الاضطرابات التي تحدث في القسطنطينية وانقطاع المواعظ، ويتحدّثون عن نسطور الذي يصرّ على تكرار أنّه يرفض أن يعبد إلهاً ولد ومات ودفن. حتى في حضور (Eusèbe de Dorylée) و (Proclus de Cyzique) اللذين يدافعان عن اللقب المريمي (والدة الإله) كان نسطور متيقن بأنّه على حق وقد كتب إلى أسقف روما البابا سيلستينوس (Célestin) للتّنديد بانحراف خصومه. وقام هؤلاء بدورهم خاصة يوسابيوس بالاستعانة بالبابا كشافد ويرسل إليه مقتطفات من مواعظ نسطور محلّ النزاع مقرونة بأدلتهم الخاصة لدحضها<sup>(1)</sup>.

كيرلس يواجه نسطور<sup>(2)</sup>: لقد بدأت الأطروحات النسطورية تتوسّع في الإمبراطورية في أنطاكية خاصة، وفي مصر أيضاً حيث ظهرت خلافات بين المؤمنين حول طبيعة المسيح، شعر كيرلس أسقف الإسكندرية بالقلق من ردة فعل رجال الدين الذين من منطقتهم، بل أكثر من ذلك تلك التي تصله من

(1)Frédéric Lenoire, P 261- 262.

(2)ولد نسطور سنة 370م، واتخذ اسمه الكنسي نسطوريوس حين صار راهباً بدير قرب أنطاكية، وكان يترقى في خدمته الكنسية حتى اعتلى كرسي الأسقفية بعاصمة الإمبراطورية القسطنطينية سنة 427م واستبدت به بعد توليه هذه السلطة أحوال حادة، خاصة مع قوة صلته بالإمبراطور فعتم على الناس مكتوباً يحظر عليهم فيه تسمية مريم العذراء بوالدة الإله، وذلك لأن الإنسان الذي هو (مريم) لا يمكن له أن يلد الإله، والمؤرخون الكنسيون المعاصرون يعتقدون أنّ نسطور تأثر بمبدأ (التبني) الذي نادى به بولس السميساطي، ولكن هناك من يرى أنّ نسطور كان على نحو ما امتداداً للنمط الاجتهادي الذي قدمه آريوس من قبله بقرن من الزمان، لأن آريوس هو الذي توسع في مفهوم (التبني) وجعل منه قاعدة لفهم طبيعة المسيح، والمتخصصين الأقباط المعاصرين يخالفون هذا الرأي لظنهم أنّ النسطورية غير الأريوسية، مستندين في ظنهم إلى أنّ نسطور حين تولى أسقفية القسطنطينية قام بمهدم كنيسة للأريوسيين... فكأنهم لا يفرقون بين الخط الفكري العام والأفعال ذات الطابع السلطوي فتدور معهما عجلة العنف، وحسبما تدلّ عليه عبارة نسطور الحاسمة التي وجهها للإمبراطور ثيودوسيوس الثاني في خطبة رسامته قائلاً: أيها الإمبراطور أعطني الأرض نقية من الهراطقة، وسوف أعطيك السماء. ساعدني في حربي ضد المهرطقين، أساعدك في حربي ضد الفرس... فأثار كنيسة الإسكندرية التي دعت من فورها إلى عقد مجمع مسكوني لمحاكمته على تلك الأقوال الهراطقية. كانت ثلاثة استدعاءات تجاهلها نسطور جميعاً لأنّه لم يعترف بقانونية هذا الاجتماع، ولم ير فيه مجمّعاً أصلاً. فأرسل (المجمع) إلى نسطور وثيقة إيمان ليعترف بأن المسيح هو الله! فكان رده: لن أدعو أبداً طفلاً عمره شهران أو ثلاثة الله... كشفت الأحداث التي جرت آنذاك في أفسس عن حقائق مهمة منها أنّ المجادلات حول لفظ (ثيوتوكوس) وثورة الإسكندرية بسببها كان المقصود الحقيقي منها هو تأكيد سلطة كنيسة الإسكندرية على كنائس العالم، وهو الأمر الذي رفضه نسطور جملةً وتفصيلاً. كما كشفت الوقائع التي جرت عن حقيقة بالغة الأهمية بالنسبة للقضية الأساسية هنا أي أن إشكال ثيوتوكوس هذا لم يكن يتعلق في أساسه بالسيدة العذراء إلا من بعيد. بل كان الخلاف يكمن أصلاً، حول طبيعة المسيح (الكريستولوجيا) وعدم اعتراف نسطور بألوهيته التامة بينما تؤكد كنيسة الإسكندرية ألوهية المسيح التامة، ولا يخفى على الفطن أن هذا الخلاف كان يعكس صراعاً قديماً جرى بين الإسكندرية وروما وأنطاكية والقسطنطينية على المكانة والترتيب الهرمي لهذه الكنائس الأربعة الكبرى في العالم آنذاك. وقد كان هذا الترتيب مسألة في غاية الأهمية آنذاك، انحسم بعد معاناة طويلة فصارت روما رأس الديانة (الكنيسة) في العالم، ووجدت الإسكندرية نفسها في آخر القائمة بعدما كانت كنيستها قبل مائة عام فقط من مجمع أفسس المنعقد سنة 431م هي صاحبة القيادة الدينية في العالم بلا منازع، منذ أزمة آريوس ووقائع مجمع نيقية الذي انعقد سنة 325م... أنظر: يوسف زيدان: اللاهوت العربي وأصول العنف الديني، (دط، دار الشروق، القاهرة، 2009)، ص 121-123.

## الفصل الرابع: صورة المسيح خلال القرنين الرابع والخامس.

الرهبان الذين في الصحراء لأنّ الأخبار التي تصله تدل على أنهم ليسوا غافلين عن تصريحات نسطور، ما جعله يسارع بإرسال رسالة مطولة يبيّن فيه أنّ مريم "والدة الإله"، كما كتب أيضًا إلى نسطور - الذي كان يتمنّع بشرف كبير في الإسكندرية - طالبًا منه بعض التوضيحات عن إيمانه كما طلب منه تجنب فضيحة عالمية، مؤكّدًا له أنّ الذي دفعه إلى مراسلته هو محبة السيد المسيح، ويتودد إلى زميله في الوظيفة أن يقبل لقب "والدة الإله" الذي مُنح لمريم العذراء، اللقب الذي يدرّس في كلّ مكان حسب الإيمان الأرثوذكسي وجميع الآباء القديسين<sup>(1)</sup>.

كان ردّ نسطور موجزًا ولم يشرح أيّ شيءٍ [يتعلّق بإيمانه]، لكنّه دعا صديقه الإسكندري الذي يناديه "المصري" إلى الاعتدال والمعروف أيضًا بمزاجه وبحماسه الشديد في الدفاع عن الإيمان الحقيقي، واضطهاد الجماعات اليهودية بمنطقته، ويفعل الشيء نفسه مع الجماعات المسيحية الأخرى المبتدعة في نظره<sup>(2)</sup>.

لم يتوقف الأمر هنا بل أرسل كيرلس رسالة تهديد له، ولكن رد نسطور كان عنيفًا وجافًا للغاية: [أتجاوز الشتائم التي جاءت في رسالتكم تجاهي والتي تتطلب صبر الطبيب، والتي ستجيب عليها الحقائق في الوقت المناسب]، الأمر الذي دفعه إلى الكشف عن مذهبه مرة أخرى: ليس الإله هو الذي ولد، وليس هو الذي تحمل الآلام الجسدية، ولكن الجسد اتحد بالطبيعة الإلهية، الإله اتحد مع الجسد المصلوب من غير أن يتألم مع الجسد، ويزيد توضيحًا: [كل ما عانته الكلمة لأجلنا في الجسد المتحد معها جدير بالعبادة، لكن نسبة هذه المعاناة إلى الإله كذب تجعلنا نُتهم بالافتراءات]<sup>(3)</sup>.

دوافع كيرلس لمواجهة نسطور: يرى لونوار أنّ عزم كيرلس على مبارزة نسطور لا يخلو من دوافع سياسية، باعتبار أنّ الإسكندرية تمثل مركزًا فكريًا كبيرًا للمسيحية في القرون الأولى من تاريخ المسيحية، وبالتالي كيرلس لم يستوعب بعد قرار مجمع القسطنطينية الذي منح سنة 381م المرتبة الثانية في سلسلة الهرم الكنسي لأسقف القسطنطينية على حسابه، في خضم الأحداث السابقة، هل يأمل كيرلس بفضحه للبدعة الجديدة ودفاعه عن الأرثوذكسية أن يسترجع جزءًا من الأولوية والأهمية الذي مُنحت سابقًا لمقعده؟ زيادة على ذلك، أنّ هذه المرتبة الثانية في الهرم الكنسي منحت للكنسية القسطنطينية ظلمًا في نظر الإسكندرانيين؟ صحيح أنّ كيرلس يؤيّد بقوة بأنّ الطبيعتين متحدتان في شخص المسيح، ويعتزم الدّفاع عن قناعاته، لكن من الواضح أنّ اللاهوت هنا ليس وحده على

(1) Frédéric Lenoire, P 262.

(2) Ibid, P 262- 263.

(3) Ibid, P 263.

## الفصل الرابع: صورة المسيح خلال القرنين الرابع والخامس.

المحك<sup>(1)</sup>.

هنا نستخلص أيضًا بأن الصّراع على الكرسي هو غاية كبار الشخصيات المسيحية أيضًا على مر تاريخ المسيحية وللحصول عليها يتخفّون وراء ستار العقيدة والدّفاع عن يسوع المسيح ورسالته. وللأسباب السابقة التي ذكرناها كيرلس يستعدّ للمعركة ويشخّذ حججه ويجنّد حلفاءه داخل الأسقفية، بل حتى في بلاط الإمبراطوري حيث كتب رسائل مطولة للإمبراطور وزوجته يودوكيا (Eudocie) وأخواتها، كما ألّف أطروحات قوية الحجج تحت عنوان: "ضد تجديف نسطور"، وينتهي به المطاف الكتابة إلى البابا الذي أرسله إليه ملفًا خاصة بهذه القضية في صيف سنة 430م<sup>(2)</sup>. في روما، دعا سيليستينوس إلى عقد مجمع كنسي فوري أدان فيها أطروحات نسطور، وأرسل إليه رسالة صارمة شديدة اللّهجة يحثّه على تعليم: "الإيمان المشترك" والعمل بما تعلنه كنسية روما وكنسية الإسكندرية وكل الكنائس الكاثوليكية، ومنحه عشرة أيام من وقت استلام الرسالة حتى يتراجع عن أفكاره، وإلاّ سيحرم من بركة الكنسية [المقدسة]، -حقيقة الأمر هي أنّ سيليستينوس كلّف كيرلس بإيصال هذا القرار إلى نسطور ومن ثمّ القيام بتنفيذه-<sup>(3)</sup>.

لكن كيرلس تجاوز المهمّة التي كلّفه بها هذا الأخير، وقام باستدعاء مجمع كنسي مصري في نهاية الخريف، وبعد ذلك أرسل إلى نسطور قرار البابا مصحوبًا باثني عشر بندًا (وتعرف بالحرومات) (الحرّوم) الإثني عشر (anathématismes) من تأليفه تمثّل في اثني عشر مبدأً يطالب من خلاله نسطور الخضوع لها، -لكن هي تعاليم متطرّفة مأخوذة من صميم الأعراف الإسكندرية، والتي من الواضح أنّها غير مقبولة في أعراف أنطاكية-<sup>(4)</sup>.

هكذا، فإنّه إلى جانب الاعتراف بأنّ: "مريم والدة الإله" حسب (البند الأوّل)، فقد أمر نسطور بالاعتراف باتحاد طبيعتين في المسيح: الإلهية والبشرية، بدون تقسيم بين الأقانيم، وهو المنصوص عليه في (البند الثّالث). وكذلك الاعتراف بأنّ المسيح إله وانسان في نفس الوقت (البند الحادي عشر). ويختتم: (فالشخص الذي لا يعترف بأنّ الكلمة تألم بحسب الجسد، وصلب في الجسد، ومات حسب الجسد، وصار هو البكر من بين الأموات فليكن محرومًا) (البند الثّاني عشر)<sup>(5)</sup>.

كما أرفق هذه الحرّومات الاثني عشر برسالة هدفها رمي الزيت على النار، متجاهلاً بذلك الترتيب الهرمي للكنيسة، يتهم فيه نسطور بأنه كاهن سوقي في أبرشيته قائلاً: "لا يكفي بأن تعترف

(1) Ibid, P 263.

(2) Ibid, P 264.

(3) Ibid, P 264.

(4) Ibid, P 264.

(5) Ibid, P 265.

## الفصل الرابع: صورة المسيح خلال القرنين الرابع والخامس.

معنا بقانون الإيمان الذي كشف عنه بوحى من الروح القدس في المجمع المقدس الذي انعقد بنيقية، وذلك لأنك لا تستوعبه ولا تفسره بمهارة، بل تفسره بشكل خاطئ ومنحرف، ولو كنت تعترف بالنص قولاً، فأنت ملزم بالاعتراف به كتابياً مقروناً بالقسم، وأن تعترف بأنك ستلعب أفكارك الإجرامية والغريبة، وتفكر وتعلم بجميع ما نعلمه وما نفكر فيه نحن<sup>(1)</sup>.

لم يكن الوقت متاحاً لنسطور للإجابة: بل قبل أن تصل إليه الرسالة الثالثة التي كتبها إليه كيرلس، استدعى الإمبراطور تيودوس الثاني (Théodose II) (حرصاً منه على السلام داخل المسيحية، بل على سلام إمبراطوريته) مجعاً مسكونياً لصالح نسطوريوس الذي عينه هو أسقفًا على رأس كنيسة القسطنطينية، ويعدّ هذا المجمع الثالث في تاريخ الكنيسة المسيحية وقد اختار له مدينة أفسس (Ephèse) التي لا تبعد كثيرًا عن مقر العاصمة ويمكن الوصول إليها بسهولة برًا وبحرًا، ولكن الحقيقة في اعتقاد لونوار أنه دعا كل مقاطعة أن يمثلها عدد قليل من الأساقفة من أجل تحقيق التوازن في الجدل<sup>(2)</sup>.

إنّ عناد نسطور وتشبّثه بأرائه سيؤدّي عقد مجمع مسكوني آخر في تاريخ المسيحية وفي نفس المجمع ستحدّد ليس هوية يسوع فقط بل والدته أيضًا، السؤال المطروح هنا: هل سيكون المجمع لصالح نسطور؟ هذا ما سنراه في هذا المبحث الأخير.

(1)Ibid, P 265.

(2)Ibid, P 266.

## الفصل الرابع: صورة المسيح خلال القرنين الرابع والخامس.

المبحث الثالث: عقد مجمع أفسس وخلقيدونية وقراراتهما.

لقد أصبح جلياً وواضحاً بالنسبة للدارسين أنّ المجمع المسيحية كلّها كانت بأمر من الأباطرة وتحت إشرافهم وقراراتها لن يُعمل بها إلا بعد المصادقة عليها من طرفهم أيضاً، وكانت غاية كل إمبراطور هو تحقيق السّلام والأمن بين رعاياه أكثر من محاولته البحث عن العقيدة الحقّة وتصحيح المفاهيم والعقائد، في هذا المبحث سنتعرّف على عدّة مجامع إقليمية ومسكونية بهدف تتبّع الأحداث بدقّة لمعرفة حقيقة التطوّرات والتحوّلات التي حدثت في تاريخ المسيحية خاصة المتعلقة بشخص يسوع المسيح:

المطلب الأوّل: مجمع أفسس.

تقوم قاعدة الإيمان المسيحي بعد مجمع نيقية على أنّ يسوع المسيح إله وابن إله وهو الأبنوم الثّاني من الثّالوث المسيحي، وتقرّر في مجمع خلقيدونية أنّه شخص واحد ذو طبيعتين، ماذا بقي إذن لنكتشفه في باقي المجمع المسكونية خاصة أفسس؟ هل الغاية من عقده دينية محضة؟ أم أنّ الأسباب سياسية مثل المجمع السّابقة.

قبل أن يذكر لونوار تفاصيل قرارات هذا المجمع المثير للجدل، أراد أولاً أن يتحدّث عن المذهب النسطوري المسّمى أيضاً: بالمريمي marial الذي يدعو إلى التشكيك في جملة من العقائد التي وضعتها الكنيسة (من الحكمة أنّ نقول: وضعتها الكنائس) خلال القرون الأربعة الأولى المضطربة من تاريخ المسيحية. وما يجدر الإشارة إليه أيضاً أن أعمال نسطور لم تصل إلينا - باستثناء مقتطفات من مواعظه ذكرها منتقدوه، وبعض الرسائل - إلاّ كتاب واحد تام تحت اسم (*Liber inscriptus*)، والمعروف أيضاً بهذا العنوان (*Livre de Héracide de Damas*) في نسخته السريانية (نسطور نفسه كان يكتب باليونانية، وهذه الترجمة [إلى السريانية] تعود إلى سنة 535م). ويزيد لونوار للإثراء أنّ الكتاب - الذي اعتقد من زمان أنّه فقد - عثر عليه سنة 1895م في مكتبة البطريركية في الكنيسة النسطورية في (Qochanis) في جبال كردستان (Kurdistan) دافع نسطوربوس<sup>(1)</sup> في الكتاب المتأخر الذي كتبه خلال نفيه الأخير عن أرثوذكسية لاهوته، أمّا باقي مؤلفاته أحرقت بأمر إمبراطوري<sup>(2)</sup>، وهو الحال مع جميع المخالفين مع قرارات السّلطة السّياسية الرّومانية.

(1) يعتبر الكثير من المسلمين أنّ نسطور موحد، ويعتبره الغريون الذين هم ضد كيرلس أسقف الإسكندرية والذين يدافعون عنه أنه ليس مهترق، ويقولون إنّه لم ينكر ألوهية المسيح، إنّما علم أن المسيح له طبيعتان منفصلتان وهما الطبيعة الإلهية والطبيعة البشرية وأن مريم ولدت الإنسان وليس الإله. وبهذا يرى هؤلاء الكتاب أنّ خطأه ليس كبير مادام يقر بلاهوت المسيح، وتراهم يطعنون في كيرلس أسقف الإسكندرية. أنظر: زيادة بن يحيى النصب الراسي: البحث الصريح في أيما هو الدين الصحيح، تح: سعود بن عبد العزيز الخلف، (ط1، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية، 2003م)، ص70.

(2)Frédéric Lenoire, p266-267.

## الفصل الرابع: صورة المسيح خلال القرنين الرابع والخامس.

طبيعتنا المسيح في اعتقاد نسطور: يميّز نسطور بشكل واضح بين طبيعتي المسيح: واحدة بشرية وأخرى إلهية، ولا يقبل أن يخلط بينهما وإن أكّد على اتحادهما، فالإنسان هو فقط الذي ولد من مريم، والإنسان هو الذي مات على الصليب، الإنسان ليس جسداً فقط، بل هو أداة اللاهوت، في مواعظته الشهيرة في عيد الميلاد، ركّز على ما هو مقتنع به بقوله: "أنا أفصل بين الطبيعتين ولكنني أوحّد العبادة، لنعترف أنّه مزدوج ونعبده كواحد، إنّهُ مزدوج من حيث الطبيعة، لكنّه واحدٌ بسبب الاتحاد". قرنٌ من الزمن بعد ذلك، استعمل أستاثيوس (Eustathe) -أسقف أنطاكية حينها- الكلمات نفسها تقريباً للقول بأنّ الكلمة (le Verbe) بمثابة أداة instrument بشرية مأخوذة من العذراء، داعياً هذه الأداة - أي جسد يسوع اللّحمي - (بهيكل الكلمة). لكن ألا يمكن أن نرى في هذه الملاحظات أثرًا يعود لآب من القرن الثاني والمقصود هنا أغناطيوس أسقف أنطاكية الذي علّق على مقدمة إنجيل يوحنا القائلة بأنّ: [وَالكَلِمَةُ صَارَ جَسَدًا]<sup>(1)</sup> متحدثاً عن (sarcophoros Verbe) أي (الكلمة الحامل للجسد Verbe porteur de chair)، وبذلك يميّز دون أن يصرّح بين المسيح الإله والمسيح البشر. أما بالنسبة إلى "تيودوسيوس" أسقف طرسوس الذي أطلق عليه لقب: "طريق الأرثوذكسية" فإنّه بدوره يميّز من جهة بين ابن مريم الذي صار هيكل الكلمة، ومن جهة ابن الإله وكلاهما متحد في مسيح واحد، الاعتراف الذي جعل كيرلس الإسكندري يلقي عليه اللوم متهمًا إياه أنّه يدّعي وجود ابنين ومسيحين مختلفين: أحدهما مولود من مريم، والآخر ابن الإله وهو بالضبط نفس اللوم الذي ألقاه سيريل على نسطور<sup>(2)</sup>.

بعدها أكّد كيرلس أنّ الكلمة صار جسداً وفقاً للكتابات، ولم يأت -الكلمة- في إنسان، يرّد عليه نسطور أنّه من المستحيل أن يخطر بباله أنّ "لاهوت المسيح قادر على أن يتألّم جسدياً"، وبالتالي فإنّه من الأحسن ووفقاً للتقاليد الإنجيلي الاعتراف بأنّ الجسد هو "هيكل لاهوت الابن"، الهيكل الذي اتحد به من خلال اقتران سامي وإلهي، إلى درجة أنّ الطبيعة الإلهية تستوعب وتلائم ما ينتمي إلى الهيكل. لكن نسبة خصوصيات الجسد إلى الكلمة المتحدّة معه بحجة هذا الاتحاد -أي أن تنسب إلى الكلمة الولادة والآلام والموت- فهذا ضلال... في تلك المرحلة تجاوزت قضية نسطور الجدال البسيط بين شخصين أو بين مدرستين، فقد ابتلي بها الشعب المسيحي كلّهُ، لذا طلب الإمبراطور من الكنيسة أن تصدر حكماً نهائياً [فيما يتصل بهذا الموضوع]، وفي عيد العنصرة 431م افتتح مجمع أفسس على

(1)يوحنا1: 14.

(2)Frédéric Lenoire, p 627.



## الفصل الرابع: صورة المسيح خلال القرنين الرابع والخامس.

الأقل أول عمل له<sup>(1)</sup>.

**معركة أفسس:** لقد وجّه الإمبراطور تيودورس الثاني -شأنه شأن أسلافه- رسالة إلى الأساقفة يدعوهم إلى المشاركة في مجمع أفسس، مرفقاً رسالته بتهديد غير مباشر حيث كتب إليهم: "هذا الأمر يعني لنا الكثير، ولن نتسامح مع أحدٍ يعتذر بدون مبرر، والذين يغيبون ليس لهم حجة لا أمام الله ولا أمامنا" وأكد في تلك الرسالة: "فإننا نخدم العناية الإلهية بالحرص على مصالح الدولة.. مصلحة إمبراطوريتنا تعتمد على الدين: هناك علاقة وثيقة تربط بينهما [الدين والإمبراطورية]"، أرسلت الدعوات إلى الأساقفة في نوفمبر سنة 430م، واجتمعوا في يونيو سنة 431م، وقد أكد البابا سيلستينوس على أنه سيرسل مندوبيه لتمثيله "روحياً"، وطلب منهم أن يعملوا في شركة مع كيرلس الإسكندري الذي كلّفه بواسطة فاشلة مع نسطور من قبل<sup>(2)</sup>.

**المجامع الثلاثة:** قبل انعقاد المجمع المقرر من طرف الإمبراطور حدث لم يكن في الحسبان، فقد أراد كيرلس أن ينهي قضية نسطور في وقت وجيز إلا أنّ خطّته فشلت بسبب تدخل الإمبراطور. بعد عيد الفصح، أبحر كيرلس من ميناء الإسكندرية باصطحاب أكثر من أربعين أسقفًا مصريًا، ناهيك عن القساوسة والرهبان الذين رافقوه أيضًا، في تلك الفترة من السنة تكون ظروف الملاحظة في البحر المتوسط مثالية: عواصف الشتاء قد ولت، والبحر هادئ، ونسيم الربيع يهبّ بما فيه الكفاية لتحريك السفن من دون أن تلحق الضرر بالركاب. في أفسس أخذ رجال كيرلس (وهم عملاء سريين) الذين أرسل إليهم رسالة سرّية وضّح لهم فيها كيفية وطريقة استقباله، دون أن يؤثروا على حاشية الإمبراطور حتى لا تثار المشاكل في صفوف أتباع نسطور الذين ليسوا معاديين لهم تمام العدا.

لقد وصل كيرلس قبل الوقت المحدد، وأيضاً وصل كلّ من أساقفة مقدونية وأساقفة آسيا الصغرى وكذلك نسطور، ولكن في اليوم السابع من يونيو الذي هو الموعد المبرمج لافتتاح المجمع، لا يزال العديد من الأساقفة لم يصلوا بما في ذلك مندوبي البابا، وأساقفة أنطاكية وسوريا والشرق الذين معظمهم من مؤيدي نسطور جاءوا برّاً عبر طرقاتٍ غير صالحة جراء مخلفات الشتاء الماضي، وقد أرسل يوحنا الأنطاكي برقية إلى كيرلس يعلمه بتأخير وفد أنطاكية طالباً منه تأخير يوم افتتاح المجمع<sup>(3)</sup>.

في أفسس، أول موجات الحرارة الصيفية تغلي الأرواح، وكان الناس -من الطرفين النسطوريين والكرليسيين- في الكنائس والشوارع والساحات العامة، منهم الأساقفة والقساوسة والرهبان يتبادلون

(1)Ibid, p268.

(2)Ibid, P 269.

(3)Ibid,P 270.

## الفصل الرابع: صورة المسيح خلال القرنين الرابع والخامس.

الكلمات الجارحة والتأبية بحيث بات الوضع لا يتحمل.

مجمع 22 يونيو بأفسس: في الواحد والعشرين من يونيو كان وفد أنطاكية على وشك الوصول، وكذلك الوفد الروماني [البابوي]، لكن يقرر كيرلس فجأة وبمبادرة من عنده افتتاح المجمع في اليوم التالي، وأرسل دعوة إلى الأساقفة المتواجدين في أفسس، بمن فيهم نسطور المتهم بالبدعة والذي تم استدعائه لشرح أفكاره أمام مجمع الأساقفة، يرفض نسطور ويمتنع عن المثول في غياب أكثرية الأساقفة المدعويين من طرف الإمبراطور، والمحكمة ستكون ثقيلة عليه بسبب عدم وجود المؤيدين الرئيسيين له للدفاع عنه، لكن الفرصة بالنسبة إلى كيرلس كانت جيّدة للغاية حتى يحقق الهدف الذي كان يصبو إليه بسرعة بإدانة أسقف القسطنطينية واستبعاده دون المرور بمرحلة المناقشات والجدالات التي قد تطول كما حدث في المجمع السابقة التي استمرت أسابيع متجاهلاً بذلك ثورة العشرات من أساقفة آسيا الوسطى المتذمرين من هذا التسرع [في إدانة نسطور] كما صرّحوا بذلك. حتى أنّه لم يكثر لسخط الإمبراطور الذي طلب منه على لسان مندوبه كنديديان (Candidien) أن يصبر، إلا أنّ كيرلس أكد بصوت عال وبقوة أنّه يتصرف باسم أسقف روما<sup>(1)</sup>.

افتتح المجمع صباح اليوم الثاني والعشرون من يونيو، وقرئت رسائل كيرلس<sup>(2)</sup> الموجهة إلى نسطور، وأجوبة هذا الأخير. وانتهى المجمع مساء اليوم نفسه بإدانة نسطور واتهامه بالهرطقة، و"بالتجديف على المسيح". وقد تمّ لعنه من طرف 197 أسقفًا حاضرًا، ووقعوا على رسالة المجمع التي كتبها كيرلس: [ربنا يسوع المسيح الذي جدّف عليه-نسطور-، ومن خلال القرار الصادر في هذا المجمع المقدّس نعلن أنّ نسطور مطرود من درجته الأسقفية ومن أي شركة كهنوتية]، وتؤكد الرسالة على أنّ الكلمة اتحدت مع الجسد ليولد من مريم، الجسد الذي كان متحرّكًا بنفسٍ بشرية، لكنّها كانت تصرّ على الصياغة المعتمدة بمدرسة الإسكندرية: "الطبيعة الواحدة للمسيح"، فيما تصرّ الأرثوذكسية على مبدأ: الطّبيعتين المتحدتين في المسيح<sup>(3)</sup>.

كتب الأساقفة بدورهم أيضًا إلى نسطور - الذي وصفوه بيهودا الجديد أو بالواعظ الآثم-

(1)Frédéric Lenoire, p 271.

(2)هذه إحدى رسائل كيرلس إلى نسطور: نقل رسالة كيرلس أسقف الإسكندرية جوايًا لنسطور: من كيرلس إلى نسطور وبعد، فيما بلغني أنّ بعض أناس يشتموا عرضي عند قدسك وذلك بأغلب الأوقات إذ يتوقعون خصوصًا اجتماع أراكنة المدينة وبالآزيد أيضًا بأنهم يظنون ذلك مناسبًا لحاظرك ويرضى مسامعك وإنما ينطقون علينا كلام غير مهادبًا من غير أنّ أحد منهم تاسا منّا بوجه بل إنّنا بكتنا البعض منهم بحشمة وشفقة فالواحد منهم شتم الفقراء والعميان والأخر بأنّه استل سيقًا على والدته والأخر بأنه صحبة جارية من الجوار سرق مال غيره والذي أنشأ له صيطة لم يشتهي أحد مثله يقع في إنسان ولو كان أكبر أعدائه...أنظر: فرانسيسكوس مريا: مضمون مجمع خلقيدونية المقدس الأرثوذكسي في علّة هرطقة أوطيخا المنافق، (دط، Komarek، ولاية بافاريا، 2010)، ص 70.

(3)Frédéric Lenoire, P 271- 272.

## الفصل الرابع: صورة المسيح خلال القرنين الرابع والخامس.

ليخبروه بقرارات المجمع، بعد ذلك بفترة طويلة من نفيه يتذكر نستوريوس - وهو في المنفى - تلك الكلمات المبررة والتي سجلها في كتابه الأخير *le Liber inscriptus* يقول: [شكل كيرلس المحكمة كلها، وأخذ مكان المحكمة كلها، هو الذي جمع أعضاء المجمع، هو كان القائد،... كان القاضي، كيرلس كان المتهم، كيرلس كان أسقف روما... كيرلس كيرلس كان كل شيء...]<sup>(1)</sup>.

مجمع 26 من يونيو بأفسس: تم إنهاء أعمال المجمع السابق رسميًا بأمر من كيرلس، لكن القضية لم تنته هناك، حيث أنه في السادس والعشرين من يونيو وصل الوفد الشرقي بقيادة الأسقف يوحنا إلى مدينة أفسس أين انفجر هذا الأخير غضبًا لما علم بانعقاد المجمع ورفض الاعتراف بمشروعيته، ودعا على الفور عقد مجمع جديد شارك فيه خمسون أسقفًا بما فيهم ممثل الإمبراطور. وكان لا يزال يوحنا مستاء من تسرع كيرلس وقرار اسقاط هذا الأخير وأطروحاته عن طبيعة المسيح من العقيدة الأرثوذكسية. كما قرر أيضًا حرمان جميع الأساقفة الذين شاركوا في جلسة 22 يونيو إن لم يسحبوا فورًا إمضاءاتهم من الرسالة الجمعية المكتوبة من طرف أسقف الإسكندرية، وكتب تقريرًا إلى ثيودوسيوس الذي استجاب له بسرعة يوم التاسع والعشرين من يونيو وألغى قرارات المجمع الذي انعقد 22 يونيو، وطلب من الأساقفة عدم مغادرة المدينة<sup>(2)</sup>.

مجمع 10 يوليو بأفسس: الوفد البابوي لم يصل بعد إلى مدينة أفسس، ولن يدخلها إلا مع بداية يوليو. كانت المدينة في حرب ضروس بين الجماعتين (جماعة 26 يونيو وجماعة 22 يونيو) يشنون حربًا شنيعة على أبواب الكناس أين شارك الرهبان والعلمانيون في مشاجرات عنيفة أدت إلى إصابات عديدة. دعا ممثلو البابا مجمعًا كنسيًا في 10 يوليو حضره معارضو نستور فقط، وتمت قراءة قرارات مجمع 22 يونيو وتمت الموافقة عليها، ما أدى إلى عزل نستور، كما تم عقد جلسة إضافية يوم 16 يوليو، تم خلالها إصدار ستة قوانين تدين أخطاء كل من نستور سيلستينوس وبلاجيوس، كما تم طرد يوحنا الأنطاكي وثلاثين أسقفًا، وأبطل قرار مجمع 26 يونيو، ويحظر الإشارة إلى أي قانون ماعدا قانون نيقية.

ابتهج كيرلس بانتصاره وغضب الإمبراطور لخسارته، لذلك شككت روما في قرارها، إذ كيف يمكن لقرار 29 يونيو إلغاء قرارات 22 يونيو؟ - والحجة القائلة بأن المسألة متعلقة بالكنسية وبقضية لاهوتية لم تعد مقنعة بالنسبة إلى الإمبراطور. وتفاديًا للدخول في حرب مع البابا، اختار العودة إلى

(1)Frédéric Lenoire,P 272.

(2)Ibid, P 272- 273.

## الفصل الرابع: صورة المسيح خلال القرنين الرابع والخامس.

الوراء وجمع جميع أطراف النزاع في بداية شهر أغسطس وقام بعزل كيرلس الإسكندري ونسطور و ممنون Memnon أسقف أفسس المقرب من كيرلس، وطلب من الأساقفة الآخرين العودة إلى أبرشياتهم، من دون يعلن رسميًا بغلق مجمع أفسس<sup>(1)</sup>.

### بركات كيرلس:

في الوقت نفسه عاد يوحنا إلى أنطاكية على رأس الوفد الشرقي، وظلت الحرب مشتتة بين الكرلسيين والنسطوريين، يصر كل منهما على موقفه، ويبعثون بالرسائل والكتب إلى المحكمة وإلى الأساقفة الآخرين وحتى إلى المؤمنين لدعم مواقفهم. والإمبراطور بدوره لم يكن مقتنعًا بالقرارات المتخذة<sup>(2)</sup>، وبالخصوص عزل نسطور ومع ذلك قام بإرسال المندوب (Aristolaos) إلى أنطاكية لفرض قرارات المجمع، خشى كيرلس أن يحدث تحوّل جديد قبل وصول المندوب إلى يوحنا تحت ضغط التساطرة الذين لا زال عددهم كبيرًا على مستوى الإمبراطورية، الأمر الذي جعله يجمع رجاله ويغمر المحكمة بالهدايا التي يسميها (بركات) والتي وصلت قائمة مفصلة عنها... أشار لوناوار إليها باختصار: أكثر من ألف قطعة من الذهب (التي بإمكانها أن تطعم عشرين ألفًا من الفقراء لمدة سنة كاملة)، وخمسة وعشرون من المفروشات، أربع وعشرون سجادات أرضية، وأربعة عشر منها جدارية، وستون مقعدًا ثمانية منها من العاج، وأربعة عشر عرشًا من العاج [مقاعد ملكية]، وستة وثلاثون بطانية عرشية [بطانية ملكية]، اثنا عشر حصنًا للأبواب، واثنا عشر من فورشات الموائد، وغيرها...

وقد نال المشهور والمعروف بتعاطفه مع النسطوريين (Chryséros) حصة الأسد من هذه الهدايا: أربعة عروش من العاج [مقاعد ملكية] وبتانيات ملكية كثيرة الطرز، ومفروشات مطرزة كثيرة لا يعرف ماذا سيفعل بها، ومفارش الموائد، ومئتي قطعة من ذهب وغير ذلك من الأمور، يقول المؤرخ (Louis Sébastien) مازحًا في مذكراته للتاريخ الكنسي في القرون الست الأولى المنشور في القرن السابع عشر XVII<sup>em</sup>: [إنّ القديس كيرلس مقدّس، لكن لا يمكننا القول أنّ كلّ أفعاله مقدّسة]<sup>(3)</sup>.

(1)Frédéric Lenoire, P 273.

(2)بيان إمبراطوري: في أوائل آب أطل على الآباء المجتمعين المختلفين أحد كبار رجال البلاط يوحنا قومس العطايا المقدسة ويبيده براءة إمبراطورية، ولدى وصوله أمرّ الحزبين المتنافرين أن يجتمعا في مكان واحد ثم قرأ عليهم البراءة وفيها خلع نسطوريوس وكيرلس وممنون ووجوب الاستمساك بنص الدستور التيقاوي والعودة إلى الأوطان. ووافق الوفد الأنطاكي على مضمون هذا البيان وأعلن استمساكه بالدستور التيقاوي واعتقاده بصحة الاصطلاح «والدة الإله»، ولم يأت الوفد على ذكر نسطوريوس، والواقع أنّه منذ وصول الوفد إلى أفسس ونقطة الدائرة في البحث هي بنود كيرلس الاثنا عشر، أما الوفد الإسكندري ومن شد أزره فإنهم صعقوا صعقًا وراحوا يسعون للدفاع عن كرامة كيرلس وممنون وعاد كيرلس إلى أساليب خاله ثيوفيلوس فنثر الذهب في العاصمة ولا سيما في البلاط ووزع الهدايا على أنواعها، فأصغى الإمبراطور إليه وقال بالتسوية. أنظر: أسد رستم: كنيسة مدينة الله أنطاكية العظمى، مرجع سابق، ج1، ص349.

(3)Frédéric Lenoire, P 274- 275.

## الفصل الرابع: صورة المسيح خلال القرنين الرابع والخامس.

كان عمل كيرلس حاسماً بالتأكيد لمستقبل الكريستولوجيا، أما ثيودوسيوس الثاني فافتتح تحت ضغط من حوله ببدء النسطورية، وأعلن في سبتمبر انتهاء هذا المجمع الغريب الذي انتهى دون أن تعقد جلسة تجمع المتعارضين، وبدون سن أي عقيدة أو قانون كما الحال في المجمع المسكونية السابقة، ومن دون تبني أي قرار بصرف النظر عن الحرومات التي أطلقت من كلا الجانبين، يشير لونيوار أنّ مجمع أفسس هو المجمع الأول الذي حصلنا على كل أعماله بما في ذلك قائمة المشاركين، وخطبهم والرسائل، ورسائل ثيودورس الثاني، ونصوص كل من نسطور وكيرلس وآباء الكنيسة المكتوبة من طرف الكيرلسيين لإقناع غيرهم بصحة حججهم<sup>(1)</sup>.

تم إعادة الاعتبار لكيرلس من قبل الإمبراطور، فيما تم إدانة نسطور نهائياً، واستقر في دير (Euprepus-Saint) القريبة من أنطاكية المنطقة التي أقام فيها سابقاً وحيث سيقضي فيها أيضاً أربعة أعوام قبل أن ينفيه الإمبراطور - دائماً بهدف إطفاء نار الفتنة التي أثارها "قضية نسطور" - منفى أبعد من الأول: بداية إلى البتراء (Petra) ثم إلى واحة ضائعة في قلب صحراء مصر أين استمر في الكتابة، وقيل أنه توفي سنة 451م، السنة التي انعقد فيها المجمع المسكوني الرابع للكنيسة في خلقيدونية<sup>(2)</sup>.

### إعادة الوفاق بين الإسكندرانيين والأنطاكيين 433

خرجت المسيحية من أفسس مرهقة ومقسمة، رغم أنّ أغلب الأساقفة - باستثناء نسطور - قبلوا (أو على الأقل أظهروا الموافقة) إعطاء مريم لقب: والدة الإله، إلا أنّ الانقسامات بين المسحيين هذه المرة ذهبت إلى أبعد الحدود، يتفق الأنطاكيون والإسكندرانيون على السواء: بأنّ الصرح الكنسي مهدد بالانهيار جزاء ما يصدر من الطرفين من حرمان وأحكام<sup>(3)</sup>.

تدخل الوسطاء بين المقعدين [المتخاصمين]، يتدخل الإمبراطور لممارسة بعض الضغوط، فيما بدأ تبادل الرسائل بين كيرلس ويوحنا، ما جعل الحدة تتراجع تدريجياً إلى الوراء من الطرفين نحو رغبة جدية في المصالحة وفي سنة 433م - جراء هذه التبادلات - وجّه يوحنا الأنطاكي اعترافاً إيمانياً إلى كيرلس الإسكندري يمثل حل وسط خالص لا يسيء لأي طرف من الطرفين، والمهم أن يقبل منهما بشرط أن تكون هناك نية حسنة مفاد الاعتراف هو الاعتقاد بمسيح: "ابن الله الوحيد، إله كامل وإنسان كامل، ذو نفس عاقلة وجسد، مولود من الآب قبل الدهور بحسب لاهوته، وفي الأيام الأخيرة من أجلنا ومن أجل خلاصنا، ولد من مريم العذراء بحسب ناسوته، فكان هناك بالفعل اتحاد بين طبيعتين، لذا نعترف بمسيح واحد، ويا بن واحد، وبرب واحد. وبهذا الفهم للاتحاد غير المختلط، نعترف

(1)Frédéric Lenoire, P 275.

(2)Ibid, P 275.

(3)Ibid,P 276.



## الفصل الرابع: صورة المسيح خلال القرنين الرابع والخامس.

بأنّ مريم هي والدة الإله لأنّ الإله الكلمة تجسّد وتأنّس ومنذ لحظة الحمل وخذ نفسه بالهيكل [الجسد] الذي أخذه من مريم<sup>(1)</sup>.

يتماطل كيرلس قليلاً ثم يقرّر قبول الاعتراف بشرط أنّ يعترف يوحنا بحرمان نسطور، وهو الأمر الذي لم يفعله بعد، فامتثل يوحنا لذلك ويوجب كيرلس بحماس مرّماً: [لِتَفْرَحِ السَّمَاوَاتُ وَلِتَبْتَهِجِ الْأَرْضُ]<sup>(2)</sup>، ويضيف قائلاً: [الجدار الفاصل قد تهدّم، وما أحرزنا قد انتهى] وهذا ما يسمى اتفاق الاتحاد 433م، وفي أعقاب ذلك أمر الإمبراطور بحرق كلّ أعمال نسطور<sup>(3)</sup>.

لمدة عشر سنوات، أي الى غاية موت يوحنا سنة 442م، ثمّ كيرلس سنة 444م، يتناقص احترام الاتفاقية نوعاً من قبل الطرفين اللذين حاولا بما في وسعهما اسكات النزاعات في صفوف كل منهما. غير أنّ الحلف بقي واجهة فقط، إذ يفسر كل فريق على طريقته الخاصة الاعتراف الذي جاء في اتفاق 433م، ويظلّ حجر العثرة هو قضية طبيعة المسيح: هل هو طبيعة واحدة كما يعترف دائماً الإسكندريون، أم طبيعتين كما يدّعي الأنطاكيون؟ وفي هذه الحالة، السؤال الذي يبقى مطروح: بأيّ طريقة وإلى أي حد هاتان الطبيعتان متّحدتان؟ سيكون هذا موضوع الخلاف الجديد الذي سيثار فيما بعد<sup>(4)</sup>.

**مصير النسطورية:** قبل الشروع في دراسة الخلافات التي أدّت إلى عقد المجمع المسكوني في خلقيدونية سنة 451م، أقول كلمة عن الأجيال القادمة من النسطورية التي استمرت في التواجد رغم الإدانة الرسمية لها، والحال أيضاً مع الأريوسية التي لا زالت مستمرة في الازدهار بين الشعوب البربرية خاصة في منطقة الغال أكثر من أربعة قرون من إدانة أريوس ثمّ اختفت منذ ذلك الحين، على عكس الأريوسية لا تزال النسطورية قائمة ولا تزال كنائسها حالياً تشارك في الاجتماعات المسكونية التي تجمع الكنائس المسيحية<sup>(5)</sup>.

لكن دعنا نعود إلى الوراء، ففي سنة 431م تمّ رفض إدانة نسطور من قبل العديد من الجماعات المسيحية، خاصة في مناطق أنطاكية، فقد وصل غضب هذه المناطق إلى أوجه سنة 433م حينما قبل يوحنا الأنطاكي إمضاء قانون الاتفاق مع كيرلس، وقبول يوحنا قرار حرمان نسطور لكن

(1)Ibid, P 276- 277.

(2) مزموور96: 11.

(3)Ibid, P 277.

(4)Ibid, P 277.

(5)Ibid, P 277- 278.



## الفصل الرابع: صورة المسيح خلال القرنين الرابع والخامس.

يوحنا ذلك الأسقف الورع والمحترم لم يجرؤ أتباعه على مخالفة قراراته في حياته، غير أنهم استمروا في تعليم المذهب النسطوري في سرية تامة، ويوحنا قد غض الطرف عن الأمر طالما الأمر لا يثير الضجيج، ولكن عند وفاة يوحنا سنة 442م وتعيين خليفته دميانوس الثاني (Domnus II) المقرَّب من روما، تلاشت جميع الآمال في عودة العقيدة النسطورية بالنسبة إلى تلك الجماعات.

حيث تنفصل النسطورية تحت اسم الكنسية الفارسية عن كنيسة أنطاكية، وبالتالي تنفصل عن الكنسية الرومانية وتعلن استقلالها الذاتي، وتحت هذا الاسم لن تشارك في اجتماعات الكنائس وفي المجامع المسكونية اللاحقة<sup>(1)</sup>.

تعد الكنيسة الفارسية<sup>(2)</sup> أول الكنائس المستقلة في الشرق (فيها كنائس أخرى كما سنرى ذلك لاحقاً). هذه الكنيسة وما تفرَّع منها تسمى بـ: (كنائس المجمعين)، لأنها لا تعترف إلاً بالمجمعين الأولين وهما مجمع نيقية سنة 325م ومجمع القسطنطينية سنة 381م وبعد بضع سنوات سوف تولد ما يسمى بكنائس المجامع الثلاثة، الكنائس التي تعترف بالمجمعين السابقين ومجمع أفسس ولكن سترفض المجامع اللاحقة خاصة مجلس خلقيدونية<sup>(3)</sup>.

الكنائس النسطورية الأساسية التي لازالت فاعلة ونشطة حتى اليوم هي الكنائس الآشورية (اسمها الكامل: كنيسة الرسولية الشرقية الآشورية) التي يقيم بطريركها بالقرب من شيكاغو في الولايات المتحدة الأمريكية، وقد كان من المقرر أن ينقل مقرها إلى بغداد سنة 1990م، لكن حرب الخليج وأثارها في العراق أحالت دون تحقيق ذلك. وكذلك نشأت الكنيسة الشرقية القديمة سنة 1968م جراء الخلاف الناشب بينها وبين الكنيسة الآشورية بسبب اعتماد هذه الأخيرة للتقويم الغريغوري، زعيمها البطريرك يقيم في العراق. وأخيراً الكنيسة النسطورية العظيمة الثالثة تقع في الهند هي الكنائس المالابار الأرثوذكسية (malabar orthodoxe) المرتبطة بالكنيسة الآشورية الرسولية، الكنيسة التي يحمل زعيمها لقب المطران المالاباري في جميع بلاد الهند، ويصل عدد أتباع هذه الأخيرة إلى أربعة ملايين عضواً، فيما

(1)Frédéric Lenoire, P 278.

(2)لاتوجد تواريخ موثقة تُطلعنا على نشاط الكنيسة الفارسية في فترة ما بعد مجمع "داد يشوع" الذي عُقد عام 424م وفي هذا السياق لم يذكر كل من كتاب المجامع الشرقية وكتاب تاريخ السعدي شيئاً عن الفترة الواقعة ما بين عام 422 وعام 484م على الرغم من أن هذه الحقبة كانت في غاية الأهمية للكنيسة الشرقية التي بدأت تسير نحو الانفصال عن الغرب في سياستها وعقيدتها، بالمقابل سجل مؤرخون آخرون معلومات عن هذه الحقبة أمثال كتيبة المجدل وغيرهم والمؤرخين المنوفيزيين أمثال سمعان الأرشبي الذي كتب عن دخول المذهب النسطوري وانتشاره في المنطقة الفارسية وكان الشاهد العيان لهذا الانتشار لأنه كان أسقفًا على بلدة أرشم غير البعيدة عن العاصمة الساسانية، إلى ذلك ساهمت أحداث سياسية دينية جرت في المشرق برسم معالم تاريخ المنطقة. أنظر: سيركيس أبو زيد: المسيحية في إيران -تاريخها وواقعها الراهن-، (ط1، الديوان للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 2007)، ص53.

(3)Frédéric Lenoire, P 278- 279.

## الفصل الرابع: صورة المسيح خلال القرنين الرابع والخامس.

لا يتجاوز عدد الأتباع في الكنيستين الآشوريتين مليون ونصف إلى مليونين عضوًا، عدد يصعب تحديده بسبب تفرّق الواسع لأتباعها في الشرق الأوسط وأوروبا وكندا وأستراليا، وخاصة في الولايات المتحدة الأمريكية<sup>(1)</sup>.

حاصل الكلام هو أنّ المجامع المنعقدة كلّها ورغم محاولة فرض سلطتها بشيئ الأشكال تبقى بعض الفئات مخلصّة ووفية لإيمانها واعتقاداتها مهما كانت الظروف وهو الحال مع النسطورية.

### المطلب الثاني: مجمع خلقيدونية.

كل إمبراطور يعتلي عرش الحكم في الإمبراطورية الرومانية يترك بصمته في الديانة المسيحية، في هذا المطلب سنتعرّف على إمبراطور آخر من خلال كتاب فيدرريك لونوار ترك هو أيضًا آثاره في عقيدة من عقائد المسيحية، وفي تثبيت عقائد المجامع السابقة.

**قانون ثيودوسيوس<sup>(2)</sup>:** في الخامس عشر من شبّاط سنة 438م قد هدأت المسيحية أو على الأقل توهم بذلك بعد تولّي الحكم من طرف ثيودوسيوس الثاني إمبراطور الشرق الذي أصدر من العاصمة القسطنطينية ما يسمى بـ: "رمز ثيودوسيوس-أو قانون ثيودوسيوس أو مدونة ثيودوسيوس- Le Code théodosien" وهو عبارة عن مجموعة تتألف من ستة عشر مجلدًا تحتوي على جميع القوانين والدرسات التي سنت منذ حكم قسطنطين الأول. وقد أرسل نسخة منها إلى إمبراطور الغرب فالانتيان الثالث (Valentinien III) الذي تزوج أخت الإمبراطور ثيودوسيوس الثاني في ذلك الوقت. ودخل القانون حيّز التنفيذ في جميع أنحاء الإمبراطورية في أوّل يناير من السنة القادمة، ويبقى قانون الإمبراطورية الغربية الوحيد إلى غاية القرن الحادي عشر<sup>(3)</sup>.

**المسيحية في قانون ثيودوسيوس:** المجلد السادس عشر والأخير من تلك المجموعة يتألف من 201 قانونًا موزعة على أحد عشر فصلًا مخصّصة كلّها للدين، الفصل الأوّل يعرف المسيحية بأنّها (العقيدة الكاثوليكية) المتبناة من البابا داماسوس (Damase) وأسقف الإسكندرية، الإيمان الذي يجب

(1)Ibid, P 279.

(2)ثيودوسيوس الثاني (Theodosius II 401-450م) ثاني الأباطرة البيزنطيين (407-450م) ابن الإمبراطور أركاديوس Arcadius وخليفته سيطر على الدولة في عهده نفر من الوزراء والأنسباء وبخاصة زوجته يودوشيا Eudocia وضع (المدونة الثيودوسية) Code Theotsian عام 438م وقد جمع فيها القوانين الصادرة بعد عام 312م، وقاتل الفرس والهون والفندال. أنظر: منير البعلكي: معجم أعلام المورد - موسوعة تراجم لأشهر الأعلام العرب والأجانب القدامى والمحدثين، إ.ع: رمزي البعلكي، (ط1، دار العلم للملايين، بيروت، 1992) ص 154.

(3)Frédéric Lenoire, P 279- 280.

## الفصل الرابع: صورة المسيح خلال القرنين الرابع والخامس.

أن يكون عليه ويخلص له كل أتباع الكنائس: [والذين لا يصدقون بهذه العقيدة نحكم عليهم بأنهم مجانين ومختلّين عقليًا، ويتحملون عار مذاهبهم الهرطوقية، ولن تحصل أماكن اجتماعاتهم على اسم "الكنائس"، وسوف يعرضون أنفسهم للانتقام الإلهي أولًا، ثم ما نقرره في حقهم ما يناسب حكم الإلهي ثانيًا]. وقد تمّ إعطاء امتيازات للكنيسة ورجال الدين في الفصل الثاني من هذه المجموعة منها: "أنهم معفيون هم ونساؤهم وعبيدهم من الضرائب. وأطفالهم يجب أن يتبعوا طريق الكنيسة". وهذا دليل - إذا صحّ - على أنّ زواج الكهنة وقتها كان عاديًا وقانونيًا<sup>(1)</sup>.

يؤكد ثيودوسيوس في قانونه على: "أنّ الامتيازات التي منحت بحكم الدين لا يستفيد منها إلاّ أتباع الإيمان الكاثوليكي، وقد صممنا - زيادة على ذلك - على أنّ الهراطقة والمنشقين ليسوا محرومين من هذه الامتيازات فحسب، بل مجبرون على أداء الأعمال العامة إلزاميًا، والحق في حرّية الاعتقاد ليس موضع تساؤل، لكن يسمح فقط للمسيحية التّيقية الظّهور في الأماكن العامة، كلّ البدع ممنوعة، سواء بموجب قوانين إلهية أو إمبراطورية"، كما يمنع القانون أيضًا مناقشة مسائل الإيمان: "يمنع لأيّ كان أن يظهر علنًا شيئًا عن الدين تفكيرًا أو نقاشًا أو إرشادًا ونصحًا". وفي الأخير فإنّ القانون يأمر بتدمير أماكن العبادة غير المسيحية التّيقية بما في ذلك معابد الوثنية، وينص: "على حرمانهم من ممتلكاتهم ونفيهم إذا كانوا لا يزالون على قيد الحياة، وبحكم الإعدام إذا كانوا يمارسون "القرايين للشياطين".

توصية نهائية موجهة لأولئك الذين يدينون بالإيمان الحقيقي: "يجب أن لا يتستروا وراء المرجعية الدينية بالإساءة إلى اليهود والوثنيين الذين يعيشون في هدوء ولا يقدمون على فعل أيّ شيء يخالف النّظام والقانون، وإذا عمد المسيحيون إلى العنف ضد من يعيش هادئًا، واستولوا على أملاكهم، لا يجب رد تلك الأملاك التي أخذت فحسب بل يجب رد ثلاثة أضعاف أو أربعة مما أخذوه"<sup>(2)</sup>.

رغم وضوح أوامر الإمبراطور ثيودوسيوس بشأن العقيدة التي يجب أن يلتزم بها كل من يعيش في كنف الإمبراطورية الرّومانية، ورغم إصدار القانون الثيودوسي الذي يخضع [المخالفين] للعقوبات للحفاظ على المسيحية التّيقية أي الرومانية التي بقيت الوحيدة المنتشرة في جميع أنحاء الإمبراطورية الرّومانية، يذكر لونوار أنّ الأرواح لاتزال محمومة، كما هو الحال في أنطاكية وبشكل خاص في الإسكندرية حيث وبّخ كيرلس (سيريل) لقوله بطبعتين للمسيح، ما جعله يسارع إلى تقديم تفسيرات ليقول لأتباعه في نهاية المطاف أنّ اتحاد طبيعتين يعطي في الواقع طبيعة واحدة (une seule nature) للكلمة وقد استخدم صيغة أثارت ضجة كبيرة في أنطاكية وفي باقي مناطق الشرق: [أعترف بأنّ ربنا

(1)Frédéric Lenoire, P 280.

(2)Ibid, P 281.

## الفصل الرابع: صورة المسيح خلال القرنين الرابع والخامس.

كان ذا طبعتين قبل الاتحاد، لكن بعد الاتحاد أعتُرف بطبيعة واحدة<sup>(1)</sup>، وكما رأينا في تاريخ المسيحية كلّها رغم قلة وسائل التواصل إلا أنّ الأخبار تنتشر بسرعة وتلقى قبولاً ورضاً عند الكثيرين، وهذا ما حدث تمامًا مع أفكار كيرلس التي وجدت أذان صاغية عند راهب يدعى أوطيخا، الذي فجر أزمة أخرى في تاريخ المسيحية أدت إلى عقد مجمع مسكوني آخر لتحديد معالم الأقيوم الثاني من الثالوث المسيحي.

**الأوطيخية والتطرف في مدرسة الإسكندرية:** لقد وجد كلام كيرلس أذن صاغية عند (أوطاخي<sup>(2)</sup> Eutychès)، رئيس أحد الأديرة المهمة في القسطنطينية (دير أيوب)، رجل قديس كما قيل معروفًا بمعارضته الشديدة لنسطور، ولكن هل صراعه الشديد ضد النسطورية هو الذي جرّه شيئًا فشيئًا إلى منطلق مدرسة الإسكندرية؟ لم يشارك مباشرة في مجمع أفسس لكنه أيد بالفعل جماعة كيرلس، وقد أرسل إليه أسقف الإسكندرية في ديره القرارات النهائية للمجمع<sup>(3)</sup>.

ومن جهة أخرى كان أوطيخا عزاب المعمودية لكريسافوس (Chryséros) الخصي -وزير الإمبراطور- الذي أغدقه كيرلس بالهدايا في زمن انعقاد مجمع أفسس، والذي مارس تأثيرًا كبيرًا على الإمبراطور ثيودوسيوس الثاني، كان كريسافوس مكرسًا لأوطاخا بالكامل وبهذه الطريقة كان ذراعه عند الإمبراطور. وقد اشتكى نسطور في كتابه (*Liber inscriptus*) أو (كتاب هرقل دمشق *Livre de Héraclide de Damas*) الذي كتبه في منفاه بصحراء مصر، واصفًا أوطيخا ب: (أسقف الأساقفة)،

(1)Frédéric Lenoire, P 283.

(2)أوطيخا أو Eutyches من أرتاة القرن الخامس ولد نحو سنة 380م وتوفي نحو سنة 454م صرف عدة سنين في أديرة القسطنطينية كقس وأرشيمندريت وكان تحت إدارته أكثر من 300 راهب وتولى رئاسة الحزب المضاد لنسطوريوس القائل بأقيومين متميزين في المسيح بجانبه لخلط طبيعته الإلهية بطبيعته البشرية، أما أوطيخا فكان يعتقد وحدانية أقيوم المسيح ويغار على اعتقاده أشد الغيرة فساقه إلى القول بوحدانية طبيعته أيضًا ولذلك سمي أتباعه بما معناه القائلون بالطبيعة الواحدة ووقعت آراؤه موقع القبول لدى كنيسة الإسكندرية التي شجبت آراءه في مجمع القسطنطينية سنة 448م وكان لأوطيخا وأصدقائه منزلة عند ثيودوسيوس الثاني فسمح لهم باستئناف المسألة إلى مجمع عام عقد في أفسس سنة 449م تحت رئاسة ديوسقوروس أحد الأوطيخيين المتعصبين فاستظهر أوطيخا هناك ضجيج الرهبان وتهديد الجنود وتعدي الرئيس فخُلع أشهر الأساقفة المخالفين. غير أنّ البابا لاون لم يعترف بأعمال ذلك المجمع الذي سمي بالمجمع اللّصي وحرّم رئيسه ديوسقوروس. وفي المجمع الخلقيدوني المسكوني الذي عقد سنة 451م شجبت آراء نسطوريوس وآراء أوطيخا معًا. وفي القرن السادس أحيأ آراء أوطيخا الرّاهب يعقوب البراذعي الذي توفي أسقفًا لادسّا (الرها) فسمي أتباعه باليعاقبة نسبة إليه ولم يزل لهم إلى الآن كنائس كثيرة في مصر وسورية وبين النهرين وبلاد الحبشة، وحاول الإمبراطور هرقلوريوس التوسط بين أصحاب الطّبيعة الواحدة والكاثوليك فأصدر سنة 630م أمرًا إمبراطوريًا بتعليم العقيدة المختلف فيها على النسق الآتي: وهو أنّ في المسيح طبيعتين ومشيئة واحدة ومن ذلك مذهب المونوثليته أي القائلين بالمشيئة الواحدة وفي آخر فروع الأرتقة الأوطيخية. أنظر: بطرس البستاني: كتاب دائرة المعارف، (دط، المعارف، بيروت، 1880)، ج4، ص 666-667.

(3)Frédéric Lenoire, P 283- 284.

## الفصل الرابع: صورة المسيح خلال القرنين الرابع والخامس.

(هو - حسب قوله - الذي كان يسير شؤون الكنيسة) إذ كان يُقيل الأساقفة الذين لم يروق له وعين أولئك الذين كانوا على مقربة من أفكاره، وقد استاء منه كثيرًا لإدانته آخر الأساقفة النسطوريين في عام 448م، بالخصوص ثودوريتوس القرشي الذي ألف حوار في ثلاث مجلدات عنونه ب: "الشحاذ Le Mendiant" يجسد شخصية متسولة مستوحاة من شخص أوطيخا<sup>(1)</sup>.

أصبح أوطيخا شيئًا فشيئًا أكثر كيرلسية من كيرلس، وإسكندريًا أكثر من مدرسة الإسكندرية، التي اتخذت الاحتياطات اللازمة لتعزيز مذهبها حول طبيعة الابن، يأتي الآب أبي (le père abbé) القسطنطينية ليصرح بصوت عالٍ قائلاً أن بعد اتحاد الطبعتين لا يبقى في المسيح إلا طبيعة واحدة إلهية امتصت (ابتلعت) الطبيعة البشرية. وقد نظر في القضية فلافيانوس بطريرك القسطنطينية الذي عقد سنة 448م مجمعًا كنسيًا حضره ثلاثون أسقفًا، حيث تم طرد أوطيخا وحرمانه بعد محاولة فاشلة لإقناعه بالاعتراف بأن للمسيح طبيعتين مميزتين<sup>(2)</sup>.

**إعادة الاعتبار لأوطيخا:** لم يستسلم الراهب العجوز الذي تجاوز سبعين سنة من عمره آنذاك، وناشد فورًا الإمبراطور ثيودوسيوس الثاني، كما بعث إلى البابا ليون الأول: (Léon 1<sup>er</sup>) برسائل طويلة يشكو من الاضطهاد الذي تعرض له، واستفاد بعد ذلك بدعم كبير من ديوسقوروس (Dioscore) الذي خلف كيرلس بعد وفاته على رأس أبرشية الإسكندرية، والذي كانت أطروحته متوافقة تمامًا مع آراء أوطيخا<sup>(3)</sup>.

دافع ثيودوسيوس عن رئيس الدير متأثرًا بالخصي ومستشاره بعد أن أقنعه بعقد مجمع كنسي يكون في أفسس معتبرًا نفسه وصيًا على الإيمان الحقيقي، وقرّر إلغاء القرار الذي اتخذ قبل بضعة أشهر في المجمع الذي عقده فلافيوس (Flavien) في القسطنطينية. رغم رسائل اليأس والغضب التي بعثها فلافيوس إلى البابا لم تفلح في تغيير قرار الإمبراطور. والدعوات لما يسمى مجمع أفسس الثاني قد أرسلت سنة 449م وأقل ما يمكن قوله أن التمثيل لم يكن عادلاً حقًا: كان المدعو ديوسقوروس الإسكندري يرافقه عشرون أسقفًا الذي سيتأس المجمع. وبزسوم (Bar Sauma) رئيس رهبان سوريا المقرب من أوطيخا كان مدعوا هو الآخر وإن لم يكن في مرتبة أسقف ليمثل الرهبان ورؤساء الأديرة. ثودوريتوس أسقف قورش الذي دافع عن النسطورية لم توجه له دعوة وقد كان بإمكانه أن يكون أحسن مدافع عن الأرثوذكسية، أما بالنسبة فلافيوس من القسطنطينية فقد دعاه الإمبراطور غير أنه سحب عنه حق

(1)Frédéric Lenoire, p 284.

(2)Ibid, p 284- 285.

(3)Ibid, p 285.



## الفصل الرابع: صورة المسيح خلال القرنين الرابع والخامس.

التصويت في المجمع، وكذلك الأساقفة الذين أدانوا أوطيخا في القسطنطينية<sup>(1)</sup>.

### المعركة الثانية في أفسس:

في أغسطس 449م بحضور مائة وخمسة وأربعين أسقفًا وثلاثة نواب للبابا تحت رئاسة ديوسقوروس الإسكندري<sup>(2)</sup> بمساعدة جوفينال (Juvénal) الأورشليمي: دارت النقاشات باليونانية ولم تترجم إلى اللغة اللاتينية التي هي لغة ممثلي البابا الذين لا يفقهون كلمة باللغة اليونانية رغم إصرارهم على ذلك كما أنهم لم يفلحوا في قراءة رسالة البابا التي تدعم فلافيوس وتدين أوطيخا بسبب تصريحاته -السخيفة والمنحرفة وغير الجديرة بالثقة-، الرسالة التي يكرّر فيها ليون الأول الإيمان الأرثوذكسي في مسألة الكرستولوجيا: «ليس من التقوى القول أنّ ابن الله الوحيد كان ذا طبيعتين قبل التجسد، أصبح بعد أن صارت الكلمة جسدًا ذا طبيعة واحدة [...] الاتحاد لا يلغي إطلاقًا اختلاف الطبيعتين على العكس من ذلك تظلّ محفوظة وتجتمع في شخص واحد- أفنوم-»<sup>(3)</sup>.

تسيير الجلسة الأولى من المجمع الثاني في نفس الكنيسة التي عقد فيها مجمع أفسس الأول سنة 431م، وفي كلّ مرّة يتحدّثون فيها طبيعتي المسيح بإشارة من ديوسقوروس، يقرع كلّ الأساقفة على مكاتبتهم كدليل على الاحتجاج، وعندما يستشهدون بمعارضين لأوطيخا يصرخ الجميع قائلين: «فليقطع قسمين كل من يقسم المسيح قسمين»، يطلب منهم ديوسقوروس: «ألا تريدون أن يقول الناس أنّ المسيح كانت له طبيعتين بعد التجسد؟» يجيب الأساقفة غاضبون: «اللّعنة!»، وعندما يطلب منهم رئيس المجمع رأيهم في قرار حرمان أوطيخا الذي صدر العام الماضي في القسطنطينية، تتعالى الأصوات -متناقضة-: «نحن لا نوافق»<sup>(4)</sup>.

تمّ التصويت على إعادة أوطيخا واستبعاد فلافيوس من الكهنوت، ولكن الفتنة في ذروتها: الأساقفة أتباع فلافيوس بدأوا بالرحيل، المؤمنون والرهبان الذين ينتظرون أمام الباب الذين حضروا مع

(1)Frédéric Lenoire, p 285- 286.

(2)لقد كتب خريساقيوس الخصي إلى ديوسقوروس بطريك الإسكندرية يستنهضه لمساعدة أوطيخا، فعقد ديوسقوروس مجمعا محليا وحلّ أوطيخا من القطع وطلب إلى الإمبراطور عقد مجمع مسكوني ففعل الإمبراطور والتأم مجمع مسكوني في أفسس في السنة 449م برئاسة ديوسقوروس بطريك الإسكندرية، فتليت رسالة الإمبراطور ثم طلب وفد روما أن تتلى رسالة البابا إلى البطريرك فلايانوس فرفض ديوسقوروس واشتد الجدل ففر بعض الأساقفة -ومنهم نواب البابا- واستولى الرعب على الباقين فأمضوا على بياض ووقع الخلاف بين ثيودوسيوس الثاني وزوجته إفذوكية فعادت شقيقته بلشيرية (إيليا بلخريا) إلى القصر، وطرد خريساقيوس الخصي من القصر ثم أعدم، وسقط ثيودوسيوس عن جواده وتوفي في السنة 450م وخلفه مرقيانوس. أنظر: أسد رستم: الرّوم في سياستهم وحضارتهم ودينهم وثقافتهم وصلاتهم بالعرب، (ط1، هنداوي سي آي سي، المملكة المتحدة، 2018)، ص119.

(3)Frédéric Lenoire, P 286.

(4)Ibid, P 286- 287.



## الفصل الرابع: صورة المسيح خلال القرنين الرابع والخامس.

الوفد بقيادة برسوم يندفعون إلى الكنيسة حيث انعقد المجلس، تبعهم جنود الحرس الإمبراطوري، لقد تعرّض فلافيوس لمعاملة وحشية إلاّ أنّه نجح بالهروب، لكن تمّ القبض عليه بسرعة وحكم عليه بالنفي أين مات في طريقه في ظروف غامضة، رسمياً متأثراً بجروحه، لكنّ الشائعات تقول أنّ ديوسقوروس هو من قتله<sup>(1)</sup>.

بين اعتقاله ومغادرته إلى المنفى، كان لدى فلافيوس الوقت الكافي لكتابة مذكرة إلى البابا يروي فيها غرابة الأحداث التي جرت في المجمع واصفًا إيّاها بالوحشية والتي كان ضحيتها ويظهر ذلك حين سعى للاختباء وراء المذبح لتسليم الرسالة إلى هيلاري (Hilaire) أحد مندوبي البابا الذي فرّ بصعوبة شديدة هو الآخر من أفسس ونقلها معه إلى روما<sup>(2)</sup>.

عند قراءة الرسالة غضب ليو الأوّل غضبًا شديدًا واستدعى على الفور مجمّعًا رومانيًا واصفًا المجمع الأوّل ب: «اللصوصية، وليس مجمع»، وكتب إلى ثيودوسيوس الثاني وإلى أعضاء المحكمة المؤثرين في البلاط وعلى وجه الخصوص أخته إيليا بلخريا (Pulchérie)، إلى رجال الدين في القسطنطينية، إلى فلافيوس الذي لم يعلم موته بعد، يشكو ما حدث في المجمع مطالبًا بدعوة ثانية لعقد مجمع ليس في الشرق هذه المرّة وإمّا في الغرب وبالتحديد في إيطاليا كما يقول. ولكن عبثًا: لم يحصل على أيّ إجابة<sup>(3)</sup>.

في حالة يأس، أرسل البابا إلى فالانتينوس الثالث إمبراطور الغرب ليكتب بدوره إلى ثيودوسيوس إمبراطور الشرق، لقد استجاب لذلك وأرسل فالانتينوس فأجابه نظيره الشرقي -ثيودوسيوس- بجفاف واقتضاب لتبرير ما جرى في المجمع الذي عقد في أفسس من إعادة أوطيخا واستبعاد وحرمان فلافيوس مستغريًا من تدخل البابا في قضية تخصّ الشرق كما يقول<sup>(4)</sup>.

في بداية صيف 450م بدأت حدة التوتر بين البابا والإمبراطور تزداد رغم بقاء محتوى الرسائل المتبادلة مهذب إلى حدّ ما، ومع ذلك فإنّ كلا الرّجلين مصمّم على قناعاته العقديّة، ولم يشأ ليو الأوّل التوقّف عند هذا الحد ففي منتصف يوليو أرسل إلى ثيودوسيوس مطوية غزيرة يفضح فيها حججه اللاهوتية والأخبار التي وصلت إلى علم الإمبراطور بالخصوص رسالة فلافيوس، والرسالة التي منعت قراءتها في مجمع أفسس، لكن ثيودوسيوس لن يتلق تلك الرسالة أبدًا لأنّه في الثامن والعشرين من يوليو سقط من على الحصان ومات على الفور.

(1)Frédéric Lenoire, P 287.

(2)Ibid, 287.

(3)Ibid, P 287- 288.

(4)Ibid, P 288.

## الفصل الرابع: صورة المسيح خلال القرنين الرابع والخامس.

إنّ رسم معالم شخص يسوع المسيح أصعب أصعب من إعادة تأهيل أي مدينة مدمرة وأصعب من إعادة ترميم إمبراطورية، كلّما زاد اللاهوتيون في غلوهم كلّما زاد عدد البدع والهرطقات...

### المطلب الثالث: ديوسقوروس في قفص الاتهام:

تكوّن تاريخ الكرستولوجيا من تقلبات ومنعطفات كثيرة، وكان تقرير قانون الإيمان المسيحي مرتبطاً ارتباطاً وثيقاً بشخص الإمبراطور كما رأينا، إلا أنّ هذه المرّة منعطف جديد ليس أقل إثارة عما سبق، ستشهده الكنيسة والإمبراطورية ستتعرف عليه في هذه الجزئية الأخيرة من البحث في دراسة لونوار:

دور إيليا بلخريا<sup>(1)</sup> في تاريخ المسيحية: مع الإعلان عن وفاة ثيودوسوس عادت أخته بلخريا إلى الحياة المدنية بعد أن حبست نفسها في الدّير كردّة فعل على رفضها السياسة الدّينية التي مارسها أخواها، وتزوجت على الفور بالجنرال الروماني ماركيانوس (Marcien) الذي عين إمبراطوراً في أغسطس، وفي وقت قصير تقوم بإعدام لكريسايفوس الخصي المؤثّر الأول لشقيقها ونفت أوطيخا في منطقة ليست بعيدة عن القسطنطينية، كما أمرت بإحضار وفاة فلافيوس إلى العاصمة ودفنه مع الشّرفاء، وإعادة قبول الأساقفة الذين تمّ نفيهم في مجمع أفسس، وتمّ استدعاء أناتول (Anatole) أسقف القسطنطينية للتّوقيع على كتاب فلافيوس وقطع العلاقة مع ديوسقوروس أسقف الإسكندرية الذي كان قريباً منه، وكان مرقيان يطّبق ما تطلبه منه بولكاريا دون تردّد لأنّه ليس لديه خيار آخر<sup>(2)</sup>.

لم يتوقّف عمل بولكاريا ومركيانوس هنا، بل قرّرا عقد مجمع مسكوني يهدف إلى استعادة أسس الإيمان الحقيقي ووضع حد للمشاحنات وإنهاء الخلافات التي لم تتوقّف منذ أربعة قرون عن التّفريق بين المسيحيين، في سبتمبر يكتبان إلى البابا لدعوته إلى هذا المجمع الذي سيعقد في الشرق طبعاً، ولكن البابا ليو الأوّل تماطل في الإجابة وشعر بعدم الرّغبة في ذلك المجمع الذي كان يطمح إليه في عهد ثيودوسيوس الثاني ويرى أنّه لا فائدة منه في عهد بولكاريا، بل يشك في ذلك وخائف من إثارة نزاعات

(1) ولدت بلكارية في مدينة القسطنطينية في اليوم التاسع عشر من كانون الثاني في آخر سنة من القرن الرابع، مات أبوها قبل بلوغها فتولى أرثيبدوس رئيس مشورة المملكة أمر تربيته وتهديتها. فأظهرت فضائلها واستحقاقها لضبط عنان المملكة. وفي سنة سنة 431م كان قد ارتقى نسطور على كرسي بطريكية كنيسة القسطنطينية. وابتدع هرطقة في شأن تجسد المسيح زاعماً بأن فيه أقنومين وأنكر بأنّ مريم العذراء هي أم الإله فاستعان مار قورلس بطريك الإسكندرية ببلكارية لدحض نسطور وتفنيد كلامه. فأظهرت غيراً على المحافظة على الدين الصحيح وجمعت باسم أخيها ثاودوسيوس في مدينة أفسس مجعاً مسكونياً. وأقيم رئيساً عليه مار قورلس باسم قسطنطين بابا رومية. فحزمت ضلالة نسطور وأقامت القديسة بلكارية تذكّاراً مخلداً لتعليم مجمع أفسس بيناتها كنائس فاخرة على اسم العذراء مريم التي صرّح المجمع المذكور بكونها أم الإله خلافاً لزعم نسطور وأتباعه. أنظر: الآباء الدومنيكيين: تقدّيس السنّة المسيحية بقراءة سيرة القدّسين اليومية، (ط2، دير الآباء الدومنيكيين، الموصل، 1891، ج2)، ص450-452.

(2)Frédéric Lenoire, P 289.

## الفصل الرابع: صورة المسيح خلال القرنين الرابع والخامس.

يصعب إخمادها<sup>(1)</sup>.

لكن فات الأوان، لأنّ ماركيانوس كان قد أرسل إلى الأساقفة رسائل دعوة إلى مجمع من المفترض أن يعقد في نيقية في شتمبر، لقد لمح البابا عن عدم موافقته على ذلك، إلّا أنّ الإمبراطور يؤكّد دوره كملك يستمد سلطته من الله للحفاظ على وحدة الكنيسة، ولم يكن لدى ليو الأول أي خيار إلّا الاستجابة للإرادة الإمبراطورية وإرسال ممثليه مرفقًا معهم تعليمات صارمه: بوجوب التمسك بقانون نيقية، وعدم إعادة قبول التسطوريين كحجّة لإدانة بدعة أوطيخا وديوسقوروس، وكما يحدّد في رسالته إلى الإمبراطور وزوجته أنّه سيتأس هو المجمع من خلال ممثليه، فهو لا يزال موجوعًا من مجمع أفسس الذي عقده ثيودوسيوس الثاني، فهو لا يريد أن يضيّع أي فرصة خاصة أنّه يعلم أنّ المعركة ستكون صعبة، وأخيرًا يعرب عن أمله في أن يتم عقد المجمع المقبل في إيطاليا حتى يتسنى له رئاسته شخصيًا وأن يحضره الأساقفة الغربيين بأعداد كبيرة<sup>(2)</sup>.

في نهاية شهر أغسطس توافد الأساقفة إلى نيقية، تقريبًا كلّهم شريون باستثناء ممثلي البابا، ولم يسبق أن شوهد حضور الأساقفة بذلك العدد في أي مجمع عقد حتى ذلك الحين: ستّة مائة حسب بعض المصادر، ولكن الرّقم ثلاثمائة وخمسون يبدو أكثر منطقية.

**مجمع خلقيدونية:** في ذلك الوقت وفي اللحظة الأخيرة يقوم الإمبراطور بنقل جميع المشاركين إلى خلقيدونية - المدينة التي تقع مقابل القسطنطينية مباشرة<sup>(3)</sup>، افتتح مجمع خلقيدونية في 8 أكتوبر سنة 451م في كنيسة القديسة الشهيدّة أوفيمية (Euphémie) وهو مكان يقصده المسيحيون للحج لسمعته الطيبة حيث يأخذ الآباء أماكنهم وفقًا لمعتقداتهم وقناعاتهم اللاهوتية: على اليمين الموالين لديوسقوروس وعلى اليسار الموالين للبابا، وفي الوسط الأناجيل موضوعة على مكان وضع القربان المقدّس.

بمجرّد افتتاح المجمع أخذ أحد ممثلي البابا الكلمة وبدأ بالتهديد: «لا ينبغي لديوسقوروس أن يجلس في هذا المجمع، دعه يذهب أو نحن من سيذهب!» هو توبيخ له بسبب تنظيمه مجمع أفسس، وأسقف الإسكندرية يعلم أنّه لا يستطيع معارضة القرار البابوي، وبالتالي لم يعد ديوسقوروس مشاركًا مثل الآخرين وقام من مقعده ليجلس في صحن الكنيسة كمتهّم وليس كقاضى، ومن ذلك الحين بدأت

(1)Frédéric Lenoire, P 289.

(2)Ibid, P 290.

(3)Ibid, P 290.

## الفصل الرابع: صورة المسيح خلال القرنين الرابع والخامس.

محاكمته بصفته متّهم، وسئل عن مجمع أفسس وطلب منه أن يقرأ قراراته، لقد استمرت الجلسة طوال اليوم وتقطعها صحاحات عدم الرضا من كلا الطرفين، ديوسقوروس يتمسك برأيه ويتحمّل مسؤولياته، لكن أولئك الذين وقّعوا على قرارات مجمع أفسس معه كانوا مستعدّين للانسحاب ويطلبون الرّحمة مدّعين أنّهم قاموا بذلك مكرهين خوفاً من أسقف الإسكندرية، ثمّ حدث أمرٌ مفاجئ ومذهل حيث قام الأساقفة المؤيدين ديوسقوروس الذين كانوا على اليمين وانضمّوا إلى الطّرف الروماني على اليسار<sup>(1)</sup>. في نهاية الجلسة الأولى والتي استمرت حتى وقت متأخّر من الليل، تم إعادة قبول فلافيوس، ولم يتم إدانة ديوسقوروس بعد لكنّه كان يعرف نتائج المجمع. في نهاية الجلسة الثالثة جرّد من وظيفته الكهنوتية والأسقفية وأرسل إلى المنفى وطلب ممثّلو من البابا تعيين أسقف جديد في الإسكندرية. ومن القرارات أيضاً طرد أوطيخا الذي مات بعد ثلاث سنوات في 454م دون أن ينكر أي فكرة من أفكاره أو يتخلّى عنها بعد أن أرسل ليو الأوّل رسالة إلى ماركيانوس يرثي له في ذلك العام بأنّ سمّ أوطيخا مازال ينتشر، وطلب البابا من الإمبراطور نفي الأب السابق للدير إلى مكان بعيد<sup>(2)</sup>.

### أعمال مجمع خلقيدونية:

لقد طلب البابا من الممثّلين الذين سينوبون عنه في المجمع بأن يتمسّكوا بصيغة نيقية، لكن أثناء المناقشات، يبدو أنّه من الضّروري عدم مراجعة قانون نيقية بل استكمال صيغته وتحديد بعض المصطلحات التي نوقشت على مدار القرنين الماضيين منذ أوّل مجلس مسكوني في تاريخ المسيحية، والأهم من ذلك أنّ مجمع خلقيدونية أدان (الطبيعة الواحدة le monophysisme) لأوطيخي وديوسقوروس وأكّد على إدانة مذهب آريوس في الوقت الذي انتشر على نطاق واسع بين الشعوب البربرية مع مذهب نسطور كما أشرنا منذ قليل، كما أكّد بوضوح على لقب: والدة الإله وطبيعي المسيح البشرية والإلهية وأنّ اتحادها لا يبلغ الاختلافات: "المسيح كامل في لاهوته وفي وقت واحد كامل في ناسوته، ومن نفس جوهر الأب من حيث لاهوته وفي نفس الوقت من جوهر البشر من حيث ناسوته"، ومن: "طبيعتين بلا اختلاط، بلا تغيير، بلا انقسام، وبلا انفصال"<sup>(3)</sup>.

سيتم وضع هذه الخلاصات في قانون الإيمان - يعرف بقانون مجمع خلقيدونية- نصّه: "بحسب

(1)Frédéric Lenoire, P 291.

(2)Ibid, P 291- 292.

(3)Ibid, P 292- 293.

## الفصل الرابع: صورة المسيح خلال القرنين الرابع والخامس.

الآباء القديسين، نعترف ونعلم بالإجماع، بالابن الوحيد بعينه، ربنا يسوع المسيح، كامل في لاهوته، وكامل في ناسوته، إله حقيقي، انسان حقيقي، ذو نفسٍ عاقلة وجسد، من جوهر الآب بحسب اللاهوت، ومن جوهرنا نحن البشر بحسب الناسوت، يشبهنا في كل شيء ماعدا الخطيئة، ولد من حيث لاهوته من الآب قبل كل الدهور، ولكن في الأيام الأخيرة، من أجلنا ومن أجل خلاصنا ولد من العذراء مريم—أم الإله— من حيث ناسوته، الابن الوحيد، والرب، المولود، ونحن نعترف بطبيعتين مختلفتين واختلاف الطبيعتين لم يمح بالاتحاد، بالعكس تم حفظ خصائص كل من الطبيعتين لثلتقيا في شخص واحد».

لقد حضر كل من ماركيانوس وبورلكاريا الجلسة الختامية للمجمع يوم 25 أكتوبر 451م، وأعلننا: "نحن نسعى جاهدين لتوحيد جميع الناس في تفكيرهم من خلال تعاليم حقيقية ومقدسة، التي تعود إلى الدين نفسه وتعترف الإيمان الكاثوليكي الحقيقي"، أعلن الإمبراطور رسميًا الأساقفة الذين وافقوا على نتائج جلسات المجمع، وأعلن أيضًا عن العقوبات التي سيتم اتخاذها ضد المخالفين—الذين يرفضون قرارات مجمع خلقيدونية—: نفيهم خارج مدينة الإمبراطورية، وانزال الرتب لكل من أفراد الجيش والإدارة، ومنعهم من مناقشة نتائج المجمع"<sup>(1)</sup>.

### تمزق أتباع الطبيعة الواحدة:

كانت نتائج مجمع خلقيدونية انتصارًا عظيمًا لكنيسة أنطاكية على حساب كنيسة الإسكندرية التي شعر أتباعها بإهانة شديدة عندما تم التعامل مع أسقفها وبطريكها الذي كانوا مرتبطين به للغاية كرجل ضيع، محكوم عليه، ومدان، ومنفي، أمًا بالنسبة لأولئك الذين دافعوا عنه خلال الجلسات فقد تعرّضوا للهجوم وطلب منهم العودة إلى العقيدة الأرثوذكسية مهددين بخطر النفي<sup>(2)</sup>.

في مصر وكذلك في أورشليم حدثت العديد من الاضطرابات، وقام المؤمنون بقيادة الرهبان بتنظيم مظاهرات واحتجاجات عنيفة يصرون على تمسكهم بالعقيدة التي دافع عنها ديوسقورس عكس أولئك الذين تخلّوا عنها في مجمع خلقيدونية، ويعدون بالقتال حتى النهاية وحتى الاستشهاد إن لزم الأمر للدفاع عن إيمانهم، وقد قدّمت يودوكيا (Eudocie) أرملة ثيودوسيوس التي تعيش في أورشليم الدّعم لهم. لكن

(1)Ibid, P293.

(2)Ibid, P 294.

## الفصل الرابع: صورة المسيح خلال القرنين الرابع والخامس.

هذا لا يعني شيئاً أمام قرار ماركيانوس على استخدام القوّة لقمع مثيري الشغب، وأصدر عقوبة الإعدام لكل المتمردين في مجمع خلقيدونية<sup>(1)</sup> الذين رفضوا المغادرة إلى مناهم<sup>(2)</sup>.

في الإسكندرية على وجه الخصوص كانت ستحدث حرب أهلية فقد تمّ قتل جنود الإمبراطور من طرف السّكان فأجبروا على الاختباء أين تمّ حرقهم أحياء في مخبئهم خلال مشاهد أعمال شغب عنيفة، ورفضت الكنيسة بشدّة بروتيوريوس (Protérios) الأسقف الجديد الذي خلف ديوسقورس.

بعد وفاة ماركيانوس سنة 457م تمّت إزالة بروتيوريوس فوراً وحلّ محله تيموثاوس إيرلورس (Timothée Elure) على الكرسي الأسقفي، وكانت مبادرته الأولى عقد مجمع يدين فيه قرارات مجمع خلقيدونية<sup>(3)</sup>.

لقد أدرك الإمبراطور ليو الأوّل -يحمل نفس الاسم الذي يحمله البابا- الذي خلف ماركيانوس خطورة الوضع، وتبين له بكلّ وضوح أنّ القمع المسلّح الذي مارسه سلفه فشل في التغلّب على مقاومة القائلين بالطبيعة الواحدة بل على العكس كان يزيد من تأجج الوضع، وبدلاً من إرسال قوّاته إلى الإسكندرية، قام بمشورة واسعة مع الأساقفة الشرقيين. وحاول البابا ليو الأوّل (لاون) إجراء مصالحة، وإن كانت تبدو محرّجة له لأنّها تقوم على إرسال رسائل إلى الأساقفة المنشقّين من أجل توضيح النزاعات التي حدثت في مجمع خلقيدونية: كيف له أن يقنعهم أنّ القرار يقترّ بوجود طبيعتين كاملتين في المسيح، طبيعتين بقيتا كما هما بعد الاتحاد، في حين أنّ المصريين الذين انضمّ إليهم عدد من مؤيديهم السوريين والفلسطينيين بل حتى الإثيوبيين والأرمنيين الذين لا يعترفون بعد الاتحاد إلّا بطبيعة واحدة لاهوتية أزلية

(1) لم تستقر الأوضاع بعد مجمع خلقيدونية، مثلما حدث بعد مجمع نيقية حتى مجمع القسطنطينية سنة 381م وهنالك اتفاق بين المؤرخين وإقرار في الدراسات الحديثة من كافة الأطراف أن ما حدث في مجمع خلقيدونية لم يكن في واقع الأمر اختلافاً لاهوتياً بحتاً، فيرى البعض أنّه كانت هنالك أسباب حضارية وسياسية ومنها رغبة الإمبراطور ومن معه الحفاظ على وحدة الإمبراطورية ورغبة بعض قادة الكنيسة (البطاركة) أن يكون لكنائسهم ولهم شخصياً دور القيادة، كما أنّه كانت هنالك أسباب تتعلق بالحضارة والمفاهيم المختلفة، فكانت هناك إساءة فهم للمفردات وربما كان هذا سبب أساسي في الاختلافات. فعلى سبيل المثال كانت الكلمة "طبيعة" و"أفوم" و"شخص" تعني بالنسبة للبطريرك كيرلس الكبير كياناً فردياً محدداً، بينما كانت تعني للآخرين أكثر من معنى مما يرتبط بعالم الفكر، فحدثت بعد مجمع خلقيدونية ثورة في مصر ضد قراراته مما لم تستطع الدولة أن تتعامل معها إلّا بعد فترة من الشد والجذب كما حدث بعد مجمع نيقية. أنظر: عبد الله عبد الفادي: مجمع خلقيدونية 451م-المجمع المسكوني الرابع-، (دط، Ktab INC، دس)، ص18.

(2)Frédéric Lenoire, P 294.

(3)Ibid, P 294.



## الفصل الرابع: صورة المسيح خلال القرنين الرابع والخامس.

لا محدودة ابتلعت الطَّبِيعَة البشريّة المنتهية والمحدودة<sup>(1)</sup>.

في نهاية الجدالات أمر الإمبراطور بنفي أسقف الإسكندرية إلى القرم الذي خلفه راهب يسمّى أيضاً تيموثاوس يقال له أيضاً: (Salofaciol)، وكانت فترة ولايته قصيرة جداً واتسمت بانتفاضة شعبية أودت بحياة آلاف الضحايا.

بعد وفاة الإمبراطور ليون الأول والحكم القصير للإمبراطور زينون (Zénon) وصل باسيليكوس (Basilisque) إلى عرش الإمبراطورية وغير سياسته جذرياً دائماً بهدف الحفاظ على وحدة الكنيسة التي تضمن الحفاظ على وحدة الإمبراطورية، يعيد Salofaciol مرة أخرى إلى الدّير وأعاد تيموثاوس إيرلورس من المنفى، على أمل أن يتمكّن من المصالحة معه يستقبله في القسطنطينية، إلا أنّ حدثاً جديداً وقع ولم يكن في الحسبان! من خلال المقابلات التي أجراها حول-الرسالة البابوية (العامة)- المعروفة باسم: "ضدّ الرّسالة البابوية" التي تستنكر «بدع» حلقيدونية والمناداة بالعودة إلى أصول الإيمان المتفق عليها في مجمعي نيقية والقسطنطينية التي لا تكاد تشير إلى طريقة اتحاد الطّبيعتين اللاهوتية والنّاسوتية في المسيح، وقد اشترك في هذه الرّسالة حوالي ستة مائة أسقف مصري وفلسطيني، ومنذ ذلك الحين انتشر أتباع الطبيعة الواحدة بقوة<sup>(2)</sup>.

عندما تمّ الإطاحة بباسيليكوس من طرف زينون الذي تولّى السّلطة في 477م أرسل الإمبراطور الجديد تيموثاوس إيرلورس مرة أخرى إلى المنفى واستدعى (Salofaciol). وهكذا خلال السّنوات التّالية شهدت الإسكندرية سلسلة خيالية من الأساقفة تنصيب وطرّد الأساقفة، والتي تبعد أكثر فأكثر عن روما.

في نهاية القرن السّادس شهدت الكنيسة تعايش أسقفين أحدهما مؤيد لقرارات حلقيدونية والآخر ضدها، ولكن بعد الفتوحات العربية حوالي 630م وبفضلها ستكون كنيسة مستقلّة تماماً عن كنيسة روما لتصبح الكنيسة قبطية (جاءت من كلمة: -egyptos - Egypte).

تشكّل الكنيسة القبطية في مصر وإثيوبيا إلى جانب الكنيسة السّورية والكنيسة الأرمنية ما يسمّى ب: «كنائس المجامع الثلاثة» التي لا تعترف سوى بالمجامع المسيحية الثلاثة الأولى، وتستبعد مجمع

(1)Frédéric Lenoire, P 295.

(2)Ibid, P 295- 296.

خلقيدونية<sup>(1)</sup>.

### خاتمة الفصل:

نصل في نهاية هذا الفصل إلى القول أنّ قرارات الأساقفة في كل المجمع كلّها كانت تحت سيطرة الأباطرة، وما هو واضح أيضًا هو أنّ هؤلاء لا تهمهم طبيعة المسيح ولا شخصه بقدر ما يهتمهم تحقيق السلام في ظل فترة حكمهم ولو على حساب عقائد وإيمان رعيّتهم وعلى رأسهم قسطنطين الذي أحرق الرسائل التي وصلته من طرف الأطراف المتنازعة دون الاطلاع عليها، وعلى خطاه سار بقية الأباطرة باستغلال سلطتهم ونفوذهم للفصل بين المتخاصمين في كل المجمع.

لقد تطوّرت فكرة تأليه المسيح تدريجيًا منذ العصر الأوّل إلى غاية مجمع خلقيدونية، وشهدت خلال تلك الفترة خليطًا من المفاهيم المختلفة أدّت إلى العديد من الانقسامات داخل الجماعات المسيحية بسبب اختلافهم حول هوية يسوع المسيح خاصة بعد نشر المسيحية بين أوساط الوثنيين، وللحدّ منها فرض الأباطرة أنفسهم كحماة الكنيسة من الخارج، وعليه أخذت شخصية يسوع المسيح تأخذ بعدًا آخر محيت فيها كل معالمه البشرية.

صحيح أنّ عناصر الدراسة في كتاب فريدريك لونوار تناولها العديد من الباحثين والدّارسين، إلّا أنّ ما يميّز دراسته هو شمولها العديد من المحطّات التاريخية الهامة في تاريخ المسيحية التي تبينّ فعلاً المسار التاريخي لتأليه المسيح وذكره بعض الحلقات المفقودة من تاريخ المسيحية خاصة المتعلقة بمجرى الأحداث أثناء عقد المجمع التي غالبًا ما تخفيها الكنيسة خاصة المتعلقة بدور الأباطرة في عقد المجمع وتقرير العقائد والتّصديق على قرارات المجمع بصيغة مفصّلة كما ذكرها لونوار والتي تخفيها الكنيسة كما ذكرت لإضفاء الشرعية على قرارات المجمع.

كما تبينّ في دراسة لونوار للمجامع المسيحية وبشكلٍ جليّ بأنّها ثمرةٌ من ثمار قرارات الأباطرة، بينما كان الحضور المسيحي ليس سوى طقس ظاهري.

وختامًا يمكن تقييم حصيلة الأجزاء الثلاثة لكتاب فريدريك لونوار داخل السياق الأكاديمي إلى: أنّ الكتاب رغم أهميته وذكره الأحداث المثيرة في القرون الخمسة الأولى من تاريخ المسيحية إلّا أنّه

(1) Ibid, P 296.

## الفصل الرابع: صورة المسيح خلال القرنين الرابع والخامس.

يكاد يخلو من أي إضافة نوعية فيما يخص جديد الأبحاث العلمية المتعلقة بتأليه المسيح بمنهج نقدي أو تاريخي.

غير أنّ الميزة التي تميّز بها كتاب فريدريك لونوار هو قدرته على نقل النقاش حول تاريخ المسيحية والجدالات حول لاهوت وناسوت المسيح من داخل أسوار الجامعة إلى الرأي العام والمجتمع بكلّ فئاته ومرجعياته ويمكن أن يصنّف أسلوب هذا الكتاب ضمن أسلوب العلم الشعبي (Popular Science) وهو أسلوب حديث ظهر في الغرب هدفه أن تصل كل العلوم إلى جميع الناس مهما كانت خلفياتهم ومستوياتهم، ومن مميزات هذا النوع من البحوث أنه يقدّم بطريقة تثير فضول غير المتخصصين والمتخصصين وهو ما قام به لونوار بالضبط في كتابه حيث أثار ضجة كبيرة في الأوساط الغربية أين عبّر الكثيرون عن آرائهم بغض النظر عن تخصصاتهم ومعتقداتهم ونفس الشيء قام به بارت إيرمان في كتابه الذي يحمل نفس عنوان كتاب فريدريك لونوار واحتلّ أيضًا المراتب الأولى في لائحة نيويورك تايمز. رغم أهمية هذا النوع من الأبحاث واعتماده في العديد من الجامعات الغربية إلا توسيع دائرة القراء لتشمل غير المختصين يتسبب غالبًا في تبسيط اللغة والتناول السطحي لبعض القضايا والأحداث الحساسة.

ورغم ذلك يبقى كتاب فريدريك لونوار مثير للاهتمام ويحتوي أحداثًا مهمّة ومثيرة ومحفزة لكل باحث في تاريخ المسيحية المبكر ولكل مهتمّ بالتطوّر التاريخي لمعالم يسوع المسيح خلال القرون الخمسة الأولى. وقد أشرنا في بداية الدراسة أنّ لونوار استطاع أن يحتلّ المراتب الأولى في لائحة أكثر الكتاب الذي بيعت مؤلفاتهم.



## الفصل الخامس: نقد أفكار لونوار عن المسيح.

تمهيد:

بعد هذه الرحلة الممتعة في كتاب فريدريك لونوار الذي أرنح لأهمّ مراحل تطوّر حياة يسوع وكذا نظرة المؤمنين وغير المؤمنين به إليه ذاكرًا أهمّ الأحداث في حياته، ومركّزًا على بشرية يسوع ومضمون رسالته وعلى حضوره في نفوس المؤمنين به وكذلك الوقوف عند أهمّ المحطّات التاريخية في المسيحية وأهمّ الأحداث التي عاشها أتباع المسيح خاصّة المؤمنين ببشريته والاضطهادات التي عانوها خلال القرون الأربعة الأولى الممتدّة من زمن ظهور المسيح على الأرض إلى غاية انعقاد مجمع خلقيدونية.

استطعنا بعد تتبع تلك الدّراسة رسم صورة واضحة لأهمّ معالم يسوع في هذه المرحلة الحسّاسة من تاريخ المسيحية حسب تصوّر الكاتب أثناء محاولته للكشف عن هوية يسوع الحقيقية، حيث جاء هذا الفصل الأخير في شكل تقييم نقديّ، حيث قمنا من جانبٍ عمّا احتفظ به لونوار من مضمون رسالة المسيح الحقيقية وما قاله يسوع عن نفسه، ومن جانبٍ آخر قمنا بنقد هذه المعالم الرّئيسية سواء من وجهات نظر مختلفة إسلامية كانت أو غربية، التي تعزّز السّبب الذي من أجله اخترنا هذا النوع من الدّراسة.

كما حاولت بدوري الإجابة عن نفس سؤال الكاتب المتمثّل في (من هو يسوع؟) من وجهة نظر إسلامية وكذلك التأمّل في رسالته ومهمّته على الأرض وتعاليمه، والإجابة أيضًا عن العديد من الأسئلة منها: هل كان يكمل ويشبه الرسل الذين سبقوه؟ هل يعتبر واحدًا من الأنبياء الذين أرسلهم الله لهداية البشر؟ وهل تعاليمه ورسالته تكملة وامتداد لتعاليم الرسل الذين جاؤوا قبله؟ أم تهيئة للتعاليم التي سيأتي بها النبي محمد عليه الصلاة والسلام؟

هذا ما سنحاول الإجابة عنه في هذا الفصل الأخير من الدّراسة.

## الفصل الخامس: نقد أفكار لونوار عن المسيح.

### المبحث الأول: نقد القيامة والحضور الفعلي ليسوع.

لقد أيد لونوار عقيدة القيامة وربطها بالحدث الأساسي - حسب وجهة نظره - المتمثل في الحضور الفعلي ليسوع، فبعد خيبة الأمل التي أصابت تلاميذه وشُعورهم باليأس بسبب موت مُعلّمهم، يظهر لهم فجأةً في اليوم الثالث ويستمرّ في الظهور، لهذا اعتبر لونوار ظهور يسوع بعد صلبه انتصاراً للتلاميذ وبداية جديدة في حياتهم، ولكنّ مفهوم القيامة والحضور الفعلي ليسوع كما رأينا في ثنايا البحث مخالفٌ لقوانين إيمان الكنيسة، ومخالفٌ أيضاً للدراسات التّقديّة المعاصرة التي أنكرت هذا الحدث بسبب تناقض الأناجيل في روايتها لهذه الواقعة، وكذلك بسبب نقص الأدلة التّاريخية التي تثبت وقوعها ونفس الأمر بالنسبة للقرآن الكريم الذي أنكر الصّلب والقيامة.

### المطلب الأول: نقد القيامة.

شكّل حدثُ قيامة يسوع في اليوم الثالث محوراً للتاريخ في نظر المسيحيين وغيرهم، لأنّها من أهمّ الأحداث التي تبرّر صحّة ألوهية المسيح والعمل الخلاصي ليسوع وباقي العقائد الأخرى حسب المعتقد المسيحي، فقيامة يسوع في اليوم الثالث وتعلّبه على الموت حسب روايات الأناجيل غيرت الكثير من الأفكار والمعتقدات، وأخرجت دعوة يسوع من نطاق اليهودية ومن مضمون رسالته إلى أمور لم يعرفها اليهود من قبل، ورغم ما تلقّته هذه العقيدة من نقد قديماً وحديثاً إلا أنّ المسيحيين يسعوا دائماً إلى إثبات صحّتها واجتهدوا في الردّ على نقد يمسخها، وعليه سنبدأ هنا بتعريف موجز لهذه العقيدة كما رسمتها كتب المسيحيين ونقوم بعرض النّقد الذي تعرّضت له رداً على أفكار لونوار الذي آمن هو الآخر بالقيامة لكنّه رغم أنّه لم يعتبرها دليلاً على ألوهية المسيح، بل رأى أنّها فقط دليلٌ على الحضور الفعلي ليسوع في نفوس المؤمنين به.

### أهمية القيامة في المسيحية:

يعتبر الصلب والقيامة مرتكزين يقوم عليهما التاريخ المسيحي وقاعدتين تُبنى عليهما المسيحية، وذلك بسبب تأثيرهما في تاريخ المسيحية وأهمية كلّ واحد منهما مقارنة بأهميّة بشارّة المسيح القصيرة نفسها التي دامت أقلّ من ثلاث سنوات، فلولا قيامة المسيح من الموت ما قامت للمسيحية قائمة، لأنّ صلبه وقتله زلزل عقيدة تلاميذه به، أمّا رؤيتهم له بعد الموت ساهم في انتعاش نفوسهم<sup>(1)</sup>: [لأنّ مَحَبَّة

(1) محمد توفيق صدقي: نظرة في كتب العهد الجديد و العقائد النصرانية، تح: خالد محمد عبده، (دط، مكتبة النافذة، دس)، ص82.



## الفصل الخامس: نقد أفكار لونوار عن المسيح.

الْمَسِيحِ تَحْضُرُنَا، إِذْ نَحْنُ نَحْسِبُ هَذَا: أَنَّهُ إِنْ كَانَ وَاحِدٌ قَدْ مَاتَ لِأَجْلِ الْجَمِيعِ، فَالْجَمِيعُ إِذَا مَاثُوا، وَهُوَ مَاتَ لِأَجْلِ الْجَمِيعِ كَيْ يَعْيشَ الْأَحْيَاءُ فِيمَا بَعْدُ لَا لِأَنْفُسِهِمْ، بَلْ لِلَّذِي مَاتَ لِأَجْلِهِمْ وَقَامَ»<sup>(1)</sup>. إذ يعتقد المسيحيون بأن المسيح جاء ليؤكد العهد بنفسه كإله، حيث اعتبر دمه ذا فعالية للخلاص والعتق الإلهي، لكن ذلك لم يكتمل إلا حينما قام من بين الأموات، فقيامته حسب الإيماء الكنسي جزءٌ جوهري من العمل الذي لأجله ترك منازل مجد أبيه، كذلك لو لم يقم المسيح من موته لما استحق أن يكون كاهنًا ولا نبيًا ولا ملكًا بالمعنى الكامل المثالي المناسب لألوهيته، ذلك لأن الاعتقاد المسيحي يُبنى على أنه لو لم يكن المسيح قد قام باعتباره إلهًا فإن الحياة الأبدية لا وجود لها عندئذٍ باعتبار أن قيامته تُعبر عن مستوى القوة الإلهية، حيث يرى المسيحيون أيضًا أن الإيمان بقيامة يسوع المسيح هو التعبير الأساسي الأهم والأصح عن الإيمان، لأنه مرتبط بالإيمان بقدرته الله الخلاق وأمانته ويرتكز في نهاية الأمر الإيمان بألوهية الله وبالعكس يمكن القول أيضًا أن ألوهية الله لا تتجلى إلا في قيامة يسوع، فالقيامه تُمثل التأييد النهائي لشخصه وعمله، ولا تدل فقط على الأهمية الحاسمة لرسالته وعمله بل تتعدى إلى شخصه أيضًا<sup>(2)</sup>.

كما يعتقد المسيحيون بأن موت يسوع وقيامته في اليوم الثالث هو تحقيق نبوءات العهد القديم والجديد معًا، ففي العديد من المناسبات يورد الإنجيليون كيف أن يسوع كان ينبئ تلاميذه بأن ابن الإنسان يُسلم إلى أيدي الناس فيقتلونه وبعد أن يُقتل يقوم في اليوم الثالث، حيث يذكر مرقس ما يلي: [لأنه كان يعلم تلاميذه ويقول لهم: إن ابن الإنسان يُسلم إلى أيدي الناس فيقتلونه، وبعد أن يُقتل يقوم في اليوم الثالث].<sup>(3)</sup> ويعتقد المسيحيون أنه لولا الموت (الصلب) لما كانت القيامة ولو لا الدل والمهانة لما كان المجد، ومن نبوءات العهد القديم على صحة القيامة نبوءة داود: [أَبَارِكُ الرَّبَّ الَّذِي نَصَحَنِي، وَأَيْضًا بِاللَّيْلِ تُنذِرُنِي كُلِّيَّاتِي، جَعَلْتُ الرَّبَّ أَمَامِي فِي كُلِّ حِينٍ، لِأَنَّهُ عَن يَمِينِي فَلَا أَتَزَعَّرُ، لِذَلِكَ فَرِحَ قَلْبِي، وَابْتَهَجَتْ رُوحِي. جَسَدِي أَيْضًا يَسْكُنُ مُطْمَئِنًّا، لِأَنَّكَ لَنْ تَتْرُكَ نَفْسِي فِي الْهَآوِيَةِ. لَنْ تَدَعَ تَقِيَّتَكَ يَرَى فَسَادًا، تُعَرِّفُنِي سَبِيلَ الْحَيَاةِ، أَمَامَكَ شَبَعُ سُورٍ، فِي يَمِينِكَ نَعْمَ إِلَى الْأَبَدِ]<sup>(4)</sup>، وكثيرًا ما يعتبر هذا المزمور ضمن المزامير التي تحققت في المسيح، لأنه يقتبس في العهد

(1) 2 كورنثوس 4: 14-15.

(2) فالتر كاسبر: يسوع المسيح، تر: يوحنا منصور، (ط1، المكتبة البولسية، بيروت، لبنان، 2000م)، ص 245-246.

(3) مرقس 9: 31.

(4) مزبور 16: 8-11.

## الفصل الخامس: نقد أفكار لونوار عن المسيح.

الجديد عند الإشارة إلى قيامة الرب يسوع المسيح، فبطرس و بولس كلاهما اقتبسوا من هذا المزمور<sup>(1)</sup> في معرض حديثهما عن قيامة المسيح بالجسد<sup>(2)</sup>.

لقد اختار صاحب المزمور الرب ولهذا لا بد أن يتحد به اتحادًا وثيقًا فلا يقع في قبضة الموت الذي يفصل بينهما ونجد في هذا الشعور رجاءً غير واضح لكنه يمهد للإيمان بالقيامة ولقد قرأ اليهود هذا المزمور قراءة مشيخية قد تحققت في قيامة المسيح وقد استشهد بطرس في عظته الأولى بهذا المزمور<sup>(3)</sup>:  
[لأن داود يقول فيه: كُنْتُ أَرَى الرَّبَّ أَمَامِي فِي كُلِّ حِينٍ، أَنَّهُ عَن يَمِينِي، لِكَيْ لَا أَتَزَعَّرَ، لِذَلِكَ سَرَّ قَلْبِي وَتَهَلَّلَ لِسَانِي. حَتَّى جَسَدِي أَيْضًا سَيَسْكُنُ عَلَيَّ رَجَاءً، لِأَنَّكَ لَنْ تَتْرَكَ نَفْسِي فِي الْهَوَايَةِ وَلَا تَدَعُ قُدُوسَكَ يَرَى فَسَادًا، عَرَفْتَنِي سُبُلَ الْحَيَاةِ وَسَتَمَلَأْنِي سُرُورًا مَعَ وَجْهِكَ]<sup>(4)</sup>.

وفي رسالة بولس إلى أهل كورنثوس: [فَإِنِّي سَلَّمْتُ إِلَيْكُمْ فِي الْأَوَّلِ مَا قَبِلْتُهُ أَنَا أَيْضًا: أَنَّ الْمَسِيحَ مَاتَ مِنْ أَجْلِ خَطَايَانَا حَسَبَ الْكُتُبِ، وَأَنَّهُ دُفِنَ، فِي الْيَوْمِ الثَّالِثِ حَسَبَ الْكُتُبِ، وَأَنَّهُ ظَهَرَ لِبَصَفَا ثُمَّ لِلْإِثْنَيْ عَشَرَ]<sup>(5)</sup> يذكر اللاهوتي الكاثوليكي فالتر كاستر (مواليد 1933م) في تفسير هذه الفقرة أن عبارة: [وَأَنَّهُ قَامَ] تأكيد تاريخي، ثم نُسبت إلى هذا الحدث التاريخي قيمة خلاصية: [أَجَلِ خَطَايَانَا] التي تُفهم كأنها تتميم لوعده العهد القديم: [حَسَبَ الْكُتُبِ]، والعبارة: [وَأَنَّهُ دُفِنَ] تستعمل كإثبات، لأنَّ الدفن في المفهوم اليهودي هو نتيجة الموت وخاتمته، ويرى أنَّ تأكيد القيامة يجب أن يُناسب حدثًا تاريخيًا يدل على معناها الخلاصية بواسطة مفهوم [الْيَوْمِ الثَّالِثِ] اللاهوتي، والظهورات أمام بطرس والإثني عشر تثبت لهذا الحدث من تاريخ الخلاص<sup>(6)</sup>.

تعتبر الأناجيل معجزات القيامة التي أقامها يسوع (إحياء الموتى و شفاء المرضى)<sup>(7)</sup> إعلانًا مُستترًا لقيامته، ويضيف إليها نبوءات واضحة: [وَأَبْتَدَأَ يُعَلِّمُهُمْ أَنَّ ابْنَ الْإِنْسَانِ يَنْبَغِي أَنْ يَتَأَلَّمَ كَثِيرًا، وَيُرْفَضَ مِنَ الشُّيُوخِ وَرُؤَسَاءِ الْكَهَنَةِ وَالْكَتَبَةِ، وَيُقْتَلَ، وَبَعْدَ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ يَقُومُ]<sup>(8)</sup> وكذلك علامة يونان: يونان:

(1) أنظر أعمال الرسل 2: 25-26-13/31: 35-38.

(2) التفسير التطبيقي للكتاب المقدس، (ط4، شركة ماستر ميديا، مصر 2002م)، ص 1149.

(3) وكيم إسكيف: المسيح والنبوءات، (ط1، دار المشرق، بيروت، لبنان، 1998م)، ص 50.

(4) أعمال الرسل 2: 25-27.

(5) 1 كورنثوس 15: 3-5.

(6) فالتر كاستر، مرجع سابق، ص 246.

(7) أنظر: لوقا 8: 11/ مرقس 5: 21-42/ يوحنا 11: 1-16.

(8) مرقس 8: 31/ أنظر أيضا: 9: 30/ 10: 34

## الفصل الخامس: نقد أفكار لونوار عن المسيح.

[لَأَنَّهُ كَمَا كَانَ يُونَانٌ فِي بَطْنِ الْحُوتِ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ وَثَلَاثَ لَيَالٍ، هَكَذَا يَكُونُ ابْنُ الْإِنْسَانِ فِي قَلْبِ الْأَرْضِ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ وَثَلَاثَ لَيَالٍ]<sup>(1)</sup>، وكذلك علامة الهيكل: [وَقَالَا: «هَذَا قَالَ: إِنِّي أَقْدِرُ أَنْ أَنْقُضَ هَيْكَلَ اللَّهِ، وَفِي ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ أَبْنِيهِ»]<sup>(2)</sup> حيث يقصد بالهيكل جسده، إلا أن ذلك ظل غير مفهوم بالنسبة للاثني عشر، فموته ودفنه جعل اليأس ينال منهم<sup>(3)</sup>، لكن يسوع ظهر لهم بعد قيامته من بين الأموات مطمئناً إياهم بعد أن كان الخوف والرعب والقلق قد استولى على حياتهم، لكن الحال تبدل بعد رؤيتهم له إلى فرح وابتهاج<sup>(4)</sup>: [أَخِيرًا ظَهَرَ لِلْأَحَدِ عَشَرَ وَهُمْ مُتَكَبِّرُونَ، وَوَبَّخَ عَدَمَ إِيْمَانِهِمْ وَفَسَاوَةَ قُلُوبِهِمْ، لِأَنَّهُمْ لَمْ يُصَدِّقُوا الَّذِينَ نَظَرُوهُ قَدْ قَامَ]<sup>(5)</sup>.

لقد بنى لونوار أفكاره على ما ذكرت سابقاً من أحداث، فجعل من شهادة التلاميذ الأوائل الواردة في الأناجيل دليلاً على صحّة نظريته تجاه شخص يسوع المسيح، فهو لا يختلف في مصادره مع غالبية المسيحيين، والفرق الجليّ يكمن في أن الكنيسة تجعل من القيامة دليلاً ألوهية يسوع، بينما يجعلها لونوار دليل الحضور الفعلي ليسوع واستمرار ظهوره، لكن رغم سعي كُتّاب الأناجيل والمؤمنين بحدوث القيامة إثبات صحّة وقوعها إلا أن هذه العقيدة لم تسلم من التقد الحديث، حيث تم انتقادها بشكل موسّع عند الكُتّاب الغربيين والمسلمين بمختلف المناهج التقديّة وتباينت طرقهم وآلياتهم في نقد هذه العقيدة التي أذكر هنا بعضها:

هناك من يرجع فكرة القيامة إلى معتقدات كانت منتشرة قبل ظهور المسيح، فمثلاً: خبرات الشّهداء المكابيين - قرن 2 ق.م - قد ساهمت في تطوير مفهوم كانت علاماته ظاهرة في زمن يسوع، تحمّل آلام الأبرار وموتهم العنيف، الشّفاء للآخرين وتكفير عن خطاياهم، بل حتّى استشهاد شخص واحد يمكن أن يعوّض خطايا مجموعة ومثال ذلك ما ورد في سفر المكابيين: [وَأَنَا كَأَخَوْتِي أَبْدُلُ جَسَدِي وَنَفْسِي فِي سَبِيلِ شَرِيعَةِ آبَائِنَا، وَأَبْتَهَلُ إِلَى اللَّهِ أَنْ لَا يُبْطِئَ فِي تَوْبَتِهِ عَلَيَّ أُمَّتِنَا، وَأَنْ يَجْعَلَكَ بِالْمَحَنِ وَالضَّرْبَاتِ تَعْتَرِفُ بِأَنَّهُ هُوَ الْإِلَهُ وَحْدَهُ وَأَنْ يَنْتَهِيَ فِيَّ وَفِي إِخْوَتِي غَضَبُ الْقَدِيرِ،

(1) متى 12: 40.

(2) متى 26: 61.

(3) بولس باسم: معجم اللاهوت الكتابي، (ط5، دار المشرق، بيروت - لبنان، 2004م)، ص 644.

(4) صموئيل يوسف خليل: الفكر اللاهوتي المسيحي في العهد القديم، (ط1، دار الثقافة، القاهرة، 2011)، ص 28.

(5) مرقس 16: 14 / لوقا 21: 24-28 / يوحنا 20: 19.

## الفصل الخامس: نقد أفكار لونوار عن المسيح.

الَّذِي حَلَّ عَلَى أُمَّتِنَا عَدْلًا<sup>(1)</sup>، وقد برهن المؤرِّخ واللاهوتي اللوثري مارتن هينغل (Hengel Martin) 1926-2009م) على كيفية مساندة فكرة موت إنسان من أجل مدينته أو شعبه معوضًا بالتالي من خطايا الجميع وذلك بالاستعانة بالأدب والتاريخ والتقاليد الرومانية والإغريقية ولربما أخذ اليهود تلك القناعة من مصادر إغريقية، كذلك حدث الأمر مع يسوع عندما لاحت في الأفق النهاية المأساوية، فلا بدَّ من أنَّ يسوع طبَّق على نفسه تلك القناعة الدنيئة الشائعة وقتذاك<sup>(2)</sup> مضيِّقًا عليها البعد الشمولي الذي ميَّز رسالته، فمن خلال استشهاده أمكنه أن يكشف للناس جميعًا وعوضًا منهم كلهم نظامًا أخلاقيًا أفسدته الخطيئة بحسب اعتقاد النَّصارى<sup>(3)</sup>.

### ما بعد الصَّلب:

هناك مَنْ اعتبر الصَّلب نجاحًا سياسيًا كاملًا لحدث تاريخي كامل الأبعاد، فالمسيحية كعقيدة قائمة بذاتها قُتلت بمقتل يسوع فجأة بصورة نهائية. ولكن قبل أن يبرد جسد يسوع في القبر أو قبل أن يبلغ السماوات قام الرِّسل بجَرِّ تعاليمه إلى الأسفل حتى بلغوا بها المستوى الذي بقي عليه منذ ذلك الحين إلى غاية يومنا هذا، وقد أدَّى وصف الكاتب للصلب بهذه الطَّريقة إلى إحداث صدمة قوية عنيفة في جريدة دوبلن ديلي أكسبرس<sup>(4)</sup>، حيث يذكر مرسيا إلياد في مؤلِّفه "المقدَّس والعادي" أنَّ أهم الأحداث التي جعلت التلاميذ يستمرِّون في دعوة معلِّمهم هو تجلِّي يسوع وظهوره لهم، وذكر أيضًا أنَّ تاريخ الأديان مرورًا بالديانات البدائية ووصولًا إلى الديانات الرِّاقية يتألَّف من تراكم أحوال تجلِّي المقدَّس، من تجلِّيات الوقائع أو الحوادث المقدَّسة، فهو يتشكَّل من أكثر تجلِّيات المقدَّس اتصافًا بالصِّفة الأولية، فمثلاً نجد أنَّ تجلِّي القداسة في موضوع من المواضيع كالحجر والشجر، حتى تجلِّي القداسة العليا الماثلة لدى المسيحيين بتأنس الله في يسوع المسيح لا يوجد انقطاع بل ثمة دومًا نفس الحدث السَّري: تجلِّي شيء مغاير تمامًا، تجلِّي واقع من غير عالمنا في مواضيع هي متكاملة مع عالمنا الطَّبيعي، عالمنا العادي. ويقول: إنَّ الإنسان الغربي الحديث يشعر ببعض الصِّيق تجاه بعض أشكال تجلِّيات القداسة

(1) 2 مكابيين 7: 37-38

<https://st-takla.org/Bibles/BibleSearch/showChapter.php?book=49&chapter=7>

(2) جيرالد أوكلنيز اليسوعي: يسوع ملامح من شخصيته، دار المشرق، بيروت-لبنان- ط1، 2010م، ص247-248.

(3) المرجع نفسه، ص248.

(4) جورج برنارد شو: المسيح ليس مسيحيًا، تر: جورج فتاح، دار الطليعة، بيروت، ط2، 1979، ص125-126.

## الفصل الخامس: نقد أفكار لونوار عن المسيح.

فمن العسير عليه الموافقة على قدرة المقدّس في نظر بعض النَّاس على أن يتجلّى في أحجار أو أشجار أو أشخاص<sup>(1)</sup>، وقصّة القيامة كما ما هو معلوم عند الغالبية رُفضت بكلّ روايتها من طرف الملحدّين والعقلانيين والعصرانيين الغربيين، حيث اعتبر غالبيتهم أنّ يسوع لم يمّت بل كان مغمّى عليه فقط، إذ يقول ج.ن أندرسون (Anderson) : بعد تثبيت يسوع على الصّليب بالمسامير فقد الكثير من الدّم وعانى كثيرًا من الألم لذا أغمي عليه لكنّه لم يمّت، وبما أنّ المعرفة الطّبية لم تكن متقدّمة في تلك الأيام ظنّ تلاميذه أنّه مات فعلاً، والشّاهد أنّ بيلاطس تعجّب من موته السّريع! والتفسير المؤكّد أنّه عندما أنزل من الصّليب وهو مغمّى عليه، ظنّ الجميع أنّه مات لذا وضعوه في القبر وكان الجوّ باردًا في القبر فأفاق من إغمائه ثمّ قام وخرج من القبر، لكنّ تلاميذه الجهلاء لم يصدّقوا أنّ ما حدث عبارة عن إفاقة وانتعاش لذا أصرّوا أنّه قام من الأموات<sup>(2)</sup>، بينما ذهب نقاد آخرون أمثال اللاهوتي الألماني كارل فريدريك بارت (Karl Friedrich Bahrtdt) سنة 1780م إلى القول بأنّ يسوع ادّعى موته حيث استعمل بعض العقاقير الطّبية التي قدّمها له لوقا الطّبيب ليظهر لإسرائيل كالمسيح الرّوحي، وذلك من أجل أن يتخلّى هذا الشّعب عن فكرة المسيح السّياسي المحارب ورأى أنّ يوسف الرّامي<sup>(3)</sup> الذي كان يرتبط معه برباط سري عن طريق الأسينيين، هو الذي قام بإنعاشه من هذا الموت الظّاهري<sup>(4)</sup>.

لقد اختلفت أدلة إنكار القيامة لعدّة أسباب، فهناك من رأى بعدم وجود أدلة وتقارير في السّجلات الرّومانية تُسجّل حالة موت المسيح وقرار المحكمة الرّومانية التي أصدرت حكم الصّلب<sup>(5)</sup> رغم وجود شهادات عن وجود المسيح تاريخيًا كما ذكرنا في الفصل الثّاني من البحث منها شهادة بليئوس الشاب، وتاسيت.

هناك أيضًا من أنكر القيامة بسبب تناقض الرّوايات فيما بينها وعدم الانسجام والتوافق بشأن أحداث هذه الواقعة، حيث يذكر الأب روجي في كتابه "مقدّمة إلى الإنجيل" أمثلة على الاختلاط والفوضى والتناقض الذي يسود روايات الأناجيل الإزائية، فقائمة النّساء اللّواتي ذهبن إلى القبر لا تتطابق

(1) مرسيا إلباد: المقدّس والعادي، تر: عادل العوا، (دط، دار التنوير، بيروت، 2009)، ص51-52.

(2) عبد المسيح بسيط أبو الخير: موت المسيح وقيامته (حقيقة أم خدعة أم أسطورة)، (ط1، المصريين، مصر، 2009م)، ص8.

(3) أنظر مرقس 15: 43.

(4) المرجع نفسه، ص11-12.

(5) حنا الحضري: تاريخ الفكر المسيحي (يسوع المسيح عبر الأجيال)، (ط1، دار الثقافة، القاهرة، 2015، ج1) ص190.



## الفصل الخامس: نقد أفكار لونوار عن المسيح.

فيها تمامًا ، فليس هناك إلا امرأة واحدة في إنجيل يوحنا وهي مريم المجدلية، ولكنها تتحدثت بضمير الجماعة كما لو كانت لها رفيقات حين تقول: **[أَخَذُوا السَّيِّدَ مِنَ الْقَبْرِ، وَلَسْنَا نَعْلَمُ أَيْنَ وَضَعُوهُ!]**<sup>(1)</sup>، أما في إنجيل متى فالملاك هو الذي يعلن للنساء أنهن سيرين المسيح بالجليل، ولكن المسيح بعد لحظة يقابلهن على مقربة من القبر، ولا شك أن لوقا قد شعر بهذه الصعوبة وعدل قليلاً عن مصدره، يقول الملاك: **[أَذْكُرْنَ كَيْفَ كَلَّمَكُنَّ وَهُوَ بَعْدُ فِي الْجَلِيلِ]**<sup>(2)</sup> والواقع أن لوقا لا يشير إلا إلى ظهور المسيح ثلاثة مرات بعد قيامته، أما يوحنا فيقول أنه ظهر مرتين على ثمانية أيام بمجمع في بيت المقدس، ثم في المرة الثالثة يظهر بالقرب من البحيرة في الجليل، وأما متى فإنه يتحدث عن مرة واحدة ظهر فيها المسيح بالجليل، ويستبعد المعلق على هذه الدراسة خاتمة إنجيل مرقس التي تتحدث عن ظهور المسيح لأنه يعتقد أنها كتبت بقلم آخر، وكل هذه الأمور تتناقض مع الإشارات إلى ظهور المسيح المذكورة في رسالة بولس الأولى إلى أهل كورنثوس<sup>(3)</sup>: **[وَأَنَّهُ ظَهَرَ لِيَصَفَا ثُمَّ لِاثْنَيْ عَشَرَ وَبَعْدَ ذَلِكَ ظَهَرَ دَفْعَةً وَاحِدَةً لِأَكْثَرَ مِنْ خَمْسِمِئَةِ أَخٍ، أَكْثَرُهُمْ بَاقٍ إِلَى الْآنَ. وَلَكِنَّ بَعْضَهُمْ قَدْ رَقَدُوا، وَبَعْدَ ذَلِكَ ظَهَرَ لِيَعْقُوبَ، ثُمَّ لِلرُّسُلِ أَجْمَعِينَ وَأَخْرَجَ الْكُلَّ كَأَنَّهُ لِيَسْقُطَ ظَهَرَ لِي أَنَا]**<sup>(4)</sup>. كذلك بولتمان لا يريد أن يعتبر حادثة القيامة وحوادث الأربعين يوماً التالية لها أسطورة لأنه لا يمكن إثباتها تاريخياً ولا تخضع للتاريخ أصلاً<sup>(5)</sup>.

يرى دينيس نينهام (D.Nheenham) أن الدافع المقترح لزيارة النسوة للقبر يدعو على أي حال إلى الدهشة وإذا صرفنا النظر عن التساؤل الذي أثير عمّن دحرج الحجر، فمن الصعب أن نثق في أنّ الغرض من زيارتهن كان تحنيط جسم إنسان انقضى على موته يوماً وليلتان، أما عن حدوث الزلزلة ونزول الملاك من السماء ودحرجة الحجر يرى جون فنتون (J. Fanton) أنّ كل هذه الأقوال هي إضافات

(1) يوحنا: 20: 2.

(2) لوقا: 24: 6.

(3) موريس بوكاي: القرآن الكريم والتوراة والإنجيل والعلم (دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة)، (ط6)، دار المعارف، القاهرة، 1978، ص 121-122.

(4) كورنثوس الأولى: 15: 5-8.

(5) حنا الحضري: تاريخ الفكر المسيحي، مرجع سابق، ج 1، ص 196.





## الفصل الخامس: نقد أفكار لونيوار عن المسيح.

هو النجاة، وجاء الرّفْع قرينًا للطّهر كما في قوله تَمَالَى: ﴿مَرْفُوعَةً مُّطَهَّرَةً﴾<sup>(1)</sup>، فكان رفع عيسى نجاتاً له وطهرًا من بني اسرائيل<sup>(2)</sup>.

### المطلب الثاني: نقد الحضور الفعلي ليسوع.

رأينا بين ثنايا البحث وفي خاتمة الكتاب كيف ركّز لونيوار على الحضور الفعلي ليسوع في نفوس المؤمنين، واستشهد بما حدث للتلاميذ الأوائل الذين رأوا معلّمهم مرّاتٍ عديدة بعد حادثة الصّلب والدّفن، دون أن يأخذ بعين الاعتبار التّقد المعاصر لعقيدة القيامة وكذلك تناقض روايات الأناجيل، فمفهوم لونيوار للقيامة كما ذكرنا سابقًا مخالف لإيمان الكنيسة، نفس الشيء حدث مع مفهومه للحضور الفعلي ليسوع، بحكم أنّ الكنيسة عادةً ما تقول بحضور يسوع في سرّ الأفخريستيا أو ما يعرف بالعشاء الأخير بشكل خاص، بينما يرى لونيوار أنّ الحضور الفعلي ليسوع موجود في كل مكان وزمان دون الإشارة إلى حضوره في العشاء الأخير، كما أنّه -الحضور الفعلي ليسوع- مرتبط بحدث القيامة في كتابه، فالقول بذلك جاء بعد قيامة وظهور يسوع لتلاميذه، ولكي نفهم أكثر عن الحضور الفعلي ليسوع في العالم يجب أن نفهم أوّلًا نظريته إلى مفهوم الإيمان:

يصرّح لونيوار بأنّ الإيمان -عكس ما يتوهّم البعض- لم ينقرض من العالم الغربي بعد انتصار العلم والتكنولوجيا، ثمّ يفاجئنا ببعض الإحصائيات الدّقيقة فيقول: هل تعلمون بأنّ 93% من الأمريكيين يؤمنون بالله؟ وأنّ 67% من الأوروبيين يؤمنون به أيضًا؟ ولكنّه إيمان حرّ بالطّبع، وناتج عن تجربة شخصية لا عن إكراه اجتماعي، كما أنّه غير مرتبط بممارسة الطّقوس والشّعائر بالضرورة، والواقع أنّ الإلحاد الرّاديكالي يمثّل أقلية في الغرب على عكس ما يُتصوّر، وكذلك الالتزام الكامل بالطّقوس والشّعائر الذي أصبح يمثّل أيضًا أقلية في مجتمعات الغرب، فالإيمان بالله لا يعني أنّهم يذهبون إلى الكنيسة كلّ يوم ولا حتى كلّ أسبوع، فالكنائس أصبحت عبارة عن متاحف تقريبًا ولا يتردّد إليها النّاس بانتظام إلّا بنسبة 30% وعندما نقول يتردّدون إليها فلا يقصد منه مرارًا وتكرارًا وإنّما على الأقل مرّة واحدة في

(1) عبس: 14.

(2) زفاعي سرور: المسيح وحقائق الحكمة الإلهية، (ط1، دار هادف، 1429م)، ص28.

## الفصل الخامس: نقد أفكار لونوار عن المسيح.

الشهر، وهذا يعني أنّ 70% من الأوروبيين لا يذهبون إلى الكنيسة أبداً ولكنّ نسبة المواظبين في أمريكا على حضور القدّاس المسيحي أكبر بكثير بالطبع، فأمريكا مؤمنة أكثر من أوروبا<sup>(1)</sup>. تحدّث لونوار عن إيمان حرّ غير مرتبط بقيود رجال الدّين ولا بما تملّيه الكنيسة بل متعلّق بتجربة شخصية، وهذا استناداً إلى نتائج دراسة مستمدّة من أرض الواقع عبّر فيها الفرد بكل أريحية عن شعوره بوجود الله والإيمان به، وبالتالي نفهم حرية لونوار أيضاً في التّعبير عن آرائه وفهمه للإنجيل وللحضور الفعلي كتجربة شخصية أيضاً، فهو يرى أنّ الواقع أصدق والاعتمادات على شهادات حيّة أفضل، لذلك نجده يركّز في كتابه قيد الدّراسة على شهادات الرّسل والمؤمنين بيسوع على مرّ الأجيال، واستخلص أنّ تضحية المؤمنين بيسوع ناتجة عن حضوره الفعلي في نفوسهم، وفهم القيامة والحضور الفعلي لیسوع بطريقته الخاصة، وعليه يمكننا اعتبار لونوار رجلاً ثورياً مثل يسوع نظراً إلى الحرّية التي أعطاهما لنفسه في فهم نصوص العهدين القديم والجديد وكذلك التّاريخ الكنسي حين خالف الكنيسة وخالف معها التّقاد المعاصرين بصفة عامّة.

### الأفخريستيا وحضور يسوع فيها حسب المفهوم الكاثوليكي:

يرتبط الحضور الفعلي لیسوع في المفهوم الكاثوليكي بسرّ القدّاس وهو من الأسرار الواجب تأديتها بنحو دائم ومتكرّر، حيث يعتبر هذا السرّ طقساً دينياً مركزياً للكنيسة الكاثوليكية وله عدّة أسماء منها: سرّ المناولة، سرّ الأفخريستيا، القربان المقدّس، العشاء السّري والعشاء الرّباني.

إنّ النقطة المركزية في القدّاس هي إعادة إحياء واقعة العشاء الأخير للمسيح: [وَفِيمَا هُمْ يَأْكُلُونَ أَخَذَ يَسُوعُ الْخُبْزَ، وَبَارَكَ وَكَسَرَ وَأَعْطَى التَّلَامِيذَ وَقَالَ: «خُذُوا كُلُّوْا. هَذَا هُوَ جَسَدِي، وَأَخَذَ الْكَأْسَ وَشَكَرَ وَأَعْطَاهُمْ قَائِلاً: «اشْرَبُوا مِنْهَا كُلُّكُمْ، لِأَنَّ هَذَا هُوَ دَمِي الَّذِي لِلْعَهْدِ الْجَدِيدِ الَّذِي يُسْفَكُ مِنْ أَجْلِ كَثِيرِينَ لِمَغْفِرَةِ الْخَطَايَا»<sup>(2)</sup>، فالأفخريستيا في الاعتقاد المسيحي هي ذبيحة جسد الرّب يسوع ودمه بذاتها، والتي أوجدها لكي تستمرّ بها ذبيحة الصّليب على مرّ الأجيال إلى أن يجيء، وهي أيضاً في اعتقادهم علامة من علامات الوحدة ورباط المحبّة والوليمة الفصحية، فيها يُتقبّل المسيح

(1) نقلاً عن: هشام صالح: معارك التّنويريين والأصوليين في أوروبا، (ط1، دار الساقى بالاشتراك مع رابطة العقلايين العرب، بيروت- لبنان، 2010م)، ص 356-357.

(2) متى 26: 26-28.

## الفصل الخامس: نقد أفكار لونوار عن المسيح.

وفيها تمتلئ النفس بالنعمة وفيها يُعطى عربون الحياة الأبدية<sup>(1)</sup>، وفي عصر المادة والفردية تقوم الكنيسة الكاثوليكية بتعليم أتباعها أنّ الأفخرستيا وحدها قادرة على أن تنقل الشخص لمجال الروح وتحرّره من ذاته ليكون في وحدة حياة وشركة خلاص، فهي تنقل المؤمن في نظرهم إلى فكر الله بالسرّ والترحّ القدس ليعود الإنسان من جديد كاهناً وتنصلح علاقته بالخلقة<sup>(2)</sup>.

وتؤمن الكنيسة الكاثوليكية بحدوث نقلٍ فعلي للطاقة الروحية من روح الله إلى روح الإنسان بشكل عام، حيث ينطبق هذا على كلّ الأسرار المقدّسة ولكنّه ينطبق على سرّ القربان المقدّس بنحو فريد وخاصّ، فهي أيّ الكنيسة الكاثوليكية تقوم بتعليم العامة بأنّه يوجد في خبز القربان المقدّس وكأس القربان حضور فعلي حقيقي لجسد المسيح البشري ودمه في الخبز والخمر المكرّسان المقدّسان، إذ تعتبر كلمات يسوع: **[...هَذَا هُوَ جَسَدِي... هَذَا هُوَ دَمِي]** كلمات واضحة لا لبس فيها، ويرى الكاثوليك أنّ المسيح قد ضمّ بكلّ وضوح إلى سلطة الكنيسة التعليمية بتوكيل الكنيسة صلاحية عمل الأسرار المقدّسة وذلك عبر التّكليف والتّفويض الحتامي الذي أعطاه المسيح لتلاميذه حين قال في خاتمة رسالته<sup>(3)</sup>: **[فَادْهَبُوا وَتَلْمِذُوا جَمِيعَ الْأُمَمِ وَعَمِّدُوهُمْ بِاسْمِ الْآبِ وَالابْنِ وَالرُّوحِ الْقُدُسِ، وَعَلِّمُوهُمْ أَنْ يَحْفَظُوا جَمِيعَ مَا أَوْصَيْتُكُمْ بِهِ. وَهَذَا أَنَا مَعَكُمْ كُلَّ الْأَيَّامِ إِلَى انْقِضَاءِ الدَّهْرِ «آمِينَ»]**<sup>(4)</sup>، ورغم سعي الكنيسة الدائم للتوعية بأهمية هذا السرّ، يعترف اللاهوتيون بأنّ واقع التاريخ لم يعد يحمل هذا المفهوم للأفخرستيا في وجدانه، فمؤمن اليوم لا يرى ضرورة تناوله في كلّ قدّاس يشارك فيه<sup>(5)</sup>، وبالتالي عدم إيمانه بالحضور الفعلي ليسوع فيه.

كما رأينا فإنّ الحضور الفعلي ليسوع مرتبط في مفهوم الكنيسة الكاثوليكية بالأفخرستيا، إلّا أنّ حضور يسوع فيه لم يعد مقبولاً عند غالبية المؤمنين المعاصرين وهو ما أثبتته نتائج دراسة أجريت سنة

(1) جونيه: مختصر التعليم المسيحي للكنيسة الكاثوليكية، تر: مجلس البطاركة والأساقفة الكاثوليك، (ط1)، المكتبة البولسية، لبنان، 2007م، ص117.

(2) بنيامين مرجان باسيلي: الأفخرستيا، (ط1)، دار الكتب والوثائق القومية، مصر، 2008، ج2، ص24.

(3) هوستن سميث: أديان العالم (دراسة روحية تحليلية لأديان العالم الكبرى) تر: سعد رستم، (دط)، دار الجسور الثقافية، حلب، (دس)، ص443-444.

(4) متى 28: 19-20.

(5) ألكسندر شيمين: الأفخرستيا سر الملكوت، تر: سامر عبّود، (ط1)، مطبعة التور، باريس، 1993م، ص335.

## الفصل الخامس: نقد أفكار لونوار عن المسيح.

2019م على مجموعة من المؤمنين الكاثوليك نشرتها الصحفية الكاثوليكية (Heidi Schlumpf) على موقع مركز الأبحاث بيو (Pew Research Center) الأمريكي (الذي تأسس سنة 2004) تحت عنوان (هل يؤمن أتباع الكنيسة الكاثوليكية حقًا بالحضور الفعلي؟) حيث أظهرت نتائج الاستطلاع أنّ غالبية المؤمنين الأمريكيين الكاثوليك الذين أصبحوا يشكّون في الأمر، وهناك من ألقى اللوم على المناولة باليد<sup>(1)</sup>، حيث كانت أسئلة هذا الأخير تشمل ما تُعلّمه الكنيسة وما يؤمن به الكاثوليك مع اعطاء ثلاث خيارات لوصف ما يحدث للخمر والتّبيد أثناء المناولة كما يلي:

- تتحوّل حقيقة إلى جسد ودم المسيح.
- هي رموز لجسد ودم المسيح.
- لست متأكّدًا.<sup>(2)</sup>

كشفت هذه الدّراسة أنّ معظم المؤمنين الكاثوليك لا يؤمنون بذلك التّعليم الأساسي ويبيّن نتائج الدّراسة أنّ سبعة أشخاص من عشرة أي نسبة (69%) يعتقدون أنّ التّبيد والخبز المستخدمان في المناولة خلال القدّاس الكاثوليكي يُجسّدان رمزياً جسّد ودم يسوع، بينما ثلث فقط من الكاثوليك الأمريكيين (31%) يصرّحون بأنّهم يؤمنون بأنّ الخبز والخمر يتحوّلان حقيقة إلى جسد ودم المسيح أثناء القدّاس الكاثوليكي.

بالإضافة إلى أنّ سؤال المؤمنين الكاثوليك عن رأيهم في الحضور الفعلي ليسوع في سرّ الأفخريستيا تضمّن الاستطلاع أيضاً سؤالاً آخر يختبر مدى معرفة الكاثوليكين بما تُعلّمه الكنيسة لهم حول هذا الموضوع، فكانت النتيجة أنّ معظم الذين يؤمنون (43% من الكاثوليك) بتحوّل الخبز والتّبيد رمزياً الدلالة لا يعرفون أنّ الكنيسة تؤكّد حدوث الاستحالة، وهذا يعكس مكانة هذه الأخيرة، بينما يرفض واحد من خمسة (22%) فكرة الاستحالة، مع الإشارة إلى أنّ الغالبية العظمى (28% من جميع الكاثوليكين) التي تُؤمن بأنّ الخبز والخمر يتحوّلان حقاً إلى جسد ودم المسيح تعرف بأنّ ذلك ما

[https://www.ncronline.org/news/theology/do-catholics-actually-believe-real-\(1\)](https://www.ncronline.org/news/theology/do-catholics-actually-believe-real-(1))

national catholic reporter Heidi Schlumpf presence 2019/08/14م على الساعة 00:34

[https://www.ncronline.org/news/theology/do-catholics-actually-believe-real-\(2\)](https://www.ncronline.org/news/theology/do-catholics-actually-believe-real-(2))

Heidi Schlumpf presence يوم: 2020/05/09 على الساعة 07:16.

## الفصل الخامس: نقد أفكار لونوار عن المسيح.

تعلمه الكنيسة لأتباعها المؤمنين، فيما تبقى نسبة صغيرة من الكاثوليك (3%) يصّرّحون بالحضور الحقيقي للمسيح في الأفخريستيا على الرّغم من أنّهم لا يعرفون تعليم الكنيسة حول الاستحالة. حوالي ستة من كل عشرة (63%) من المؤمنين الممارسين (pratiquants) الكاثوليك (الذين يحضرون القدّاس مرة واحدة في الأسبوع على الأقل) يقبلون تعليم الكنيسة حول الإستحالة ومع ذلك يوجد بين هذه المجموعة من الكاثوليك الأكثر ممارسةً حوالي الثلث (37%) لا يؤمنون بأنّ خبز وخرم المناولة يصبحان حقيقةً جسد ودم المسيح (ما يعني أنّ 23% لا يعرفون تعليم الكنيسة و 14% يعلمون تعليم الكنيسة ولكن لا يؤمنون به)، ومن بين الكاثوليكين الذين لا يحضرون القدّاس كل أسبوع ترى أغلبية كبيرة منهم أنّ الخبز والخمر رمزيان ولا يتحوّلان إلى دم وجسد يسوع. حيث كشف المسح أيضًا أنّ الإيمان بالحضور الحقيقي للمسيح في الأفخريستيا أكثر شيوعًا لدى كبار السنّ على الرّغم من أنّ الغالبية في كل الفئات العمرية (بما فيهم 61% منهم 60 سنة فما فوق) تؤمن بأنّ الخبز والخمر رمزيان وليس جسد ودم المسيح<sup>(1)</sup>.

### Most weekly Mass-goers believe in transubstantiation; most other Catholics do not

% of U.S. Catholics who ...

	NET Believe bread and wine become body, blood of Christ	Know church teaching on transubstantiation	Don't know teaching/ unsure about teaching	NET Believe bread and wine are symbols	Know church teaching on transubstantiation	Don't know teaching/ unsure about teaching
	%	%	%	%	%	%
Attend Mass weekly or more	63	58	5	37	14	23
Monthly/yearly	25	23	1	75	25	50
Seldom/never	13	10	2	87	25	62
Men	32	30	3	67	24	44
Women	29	27	3	70	20	50
White	34	32	2	65	25	40
Hispanic	24	21	4	76	19	57
Under age 40	26	23	3	74	27	47
40-59	27	26	2	72	22	50
60 or older	38	35	3	61	18	43
High school or less	26	22	3	74	15	59
Some college	31	27	4	69	19	50
College graduate	37	36	1	62	33	30

Note: Those who declined to answer not shown. Whites include only non-Hispanics. Hispanics can be of any race.

Source: Survey conducted Feb. 4-19, 2019, among U.S. adults.

PEW RESEARCH CENTER

في الدّراسة السّابقة لمركز الدّراسات الأمريكي تبيّن أنّ غالبية المسيحيين العاديين والمؤمنين لا يؤمنون بالحضور الفعلي ليسوع وحتى النّخبة منهم ينكرون ذلك، حيث يرى الأسقف الأنغليكاني

[https://www.pewresearch.org/fact-tank/2019/08/05/transubstantiation-eucharist-\(1\)](https://www.pewresearch.org/fact-tank/2019/08/05/transubstantiation-eucharist-(1))

Pew Research Center، GREEORY. SMITH من طرف 3:56 على الساعة 2020/05/09 يوم u-s-catholics/ Center



## الفصل الخامس: نقد أفكار لوتونار عن المسيح.

د. تيلوتستون (1630-1694 Tillotson) - المشهور بنقده لعقيدة استحالة القربان - أنّ مرجعية الكتاب المقدّس أو التاموس تستند فقط إلى مرجعية الرّسل الذين كانوا شهود عيانٍ لمعجزات المخلّص التي أثبتت رسالته الإلهية، وعليه فإنّ البيّنة التي لدينا لصالح حقيقة الدّين المسيحي هي أقلّ من البيّنة التي لصالح حقيقة حواسنا، وذلك لأنّ تلك لم تكن أكبر من هذه حتّى عند أصحاب الدّين المسيحي الأوائل، ومن البديهي أنّها يجب أن تنقص بالانتقال منهم إلى أتباعهم، إذ لا يمكن لأحدٍ إذاً أن يحتفظ إزاء شهادتهم بتلك التّقة التي لديه بموضوع حواسه المباشر، وحيث أنّ بيّنة أضعف لا يمكنها قطّ أن تخدم بيّنة أقوى، فإنّه إذا لم يكن مذهب الحضور الفعلي قد ذكر في الكتاب المقدّس فإنّه سيكون من المضادّ مباشرة لقواعد التّعليل السّليم أن نعطيه موافقتنا وهو يناقض الحواس على الرّغم من أنّ الكتاب المقدّس والتاموس الذي يفترض أنّه مبني عليهما، لا يحملان معهما بيّنة كذلك التي للحواس<sup>(1)</sup>.

لقد أشار هذا الأخير إلى أمر مهمّ ألا وهو عدم ورود الحضور الفعلي ليسوع بهذه الصيغة وبهذا التعبير في الكتاب المقدّس بجميع معانيه، سواء حضور فعلي في سرّ الأفخريستيا أو حضور فعلي في الحياة العادية، ورغم وجود إشارات في الأناجيل إلى بركة الله حين يجتمع تلاميذ يسوع: [وَكَاثُوا كُلَّ يَوْمٍ يُؤَاظِبُونَ فِي الْهَيْكَلِ بِنَفْسٍ وَاحِدَةٍ. وَإِذْ هُمْ يَكْسِرُونَ الْخُبْزَ فِي الْبُيُوتِ، كَانُوا يَتَنَاوَلُونَ الطَّعَامَ بِابْتِهَاجٍ وَبَسَاطَةِ قَلْبٍ، مُسَبِّحِينَ اللَّهَ، وَلَهُمْ نِعْمَةٌ لَدَى جَمِيعِ الشَّعْبِ. وَكَانَ الرَّبُّ كُلَّ يَوْمٍ يَضُمُّ إِلَى الْكَنِيسَةِ الَّذِينَ يَخْلُصُونَ]<sup>(2)</sup>، إلّا أنّ الصيغة "حضور فعلي ليسوع" بالمفهوم الكنسي أو بمفهوم لوتونار وغيره ممّن يقول بالحضرة الفعلية ليسوع أثناء ممارسة العبادات والاجتماعات غير موجود بشكلٍ قطعيّ في نصوص العهد الجديد، سواء في الأناجيل الأربعة أو بقية الرّسائل، أمّا تأويلات مفهوم "الحضور الفعلي ليسوع" بجسده ودمه أو بشخصه وروحه ومدى صحّة ذلك والقدرة على تقبّل الأمر وشعور المؤمن بذلك يبقى في نظري مسألة أسيرة القناعة الدّاتية وتأكيد العكس يبقى أيضاً في نطاق القناعة الباطنية للإنسان، خاصة أنّ هذا الأمر هو مسألة إيمان واعتقاد ومثل هذه المسائل يستحيل نفيها وإثباتها علمياً بل تحتاج إلى تأثير نفسي استناداً إلى بيئة الفرد وإطلاعاته وميولاته وقناعاته.

(1) نقلاً عن: ديفيد هيوم: مبحث في الفاهمة البشرية، تر: موسى وهبة، (ط1، دار الفارابي، بيروت لبنان، 2008م) ص151-152.

(2) أعمال الرّسل 2: 46-47.

## الفصل الخامس: نقد أفكار لونيوار عن المسيح.

### بولس والحضور الفعلي ليسوع:

وفي ختام هذا المطلب نعرض موقف النقد الغربي من هذا الحضور الفعلي ليسوع في نفوس المؤمنين، استنادًا إلى أحد الشخصيات التي تحدّث عنها لونيوار كثيرًا واعتبرها نموذجًا للحضور الفعلي ليسوع بسبب تضحية ذلك الشخص بنفسه في سبيل الدفاع عن معلّمه والمساهمة في نشر تعاليمه، وهذا الشخص هو "بولس".

لقد اعتبر لونيوار سبب تحوّل بولس إلى المسيحية يرجع إلى ظهور يسوع له وهذا الأمر له علاقة بالحضور الفعلي ليسوع بمفهومه، بينما يعتبر التقاد ذلك التحوّل الذي حدث لبولس انعكاس لمرضٍ نفسيٍّ إذ يعتبر بمثابة حارس ثياب راجمي استفانوس<sup>(1)</sup>، فلقد اشتدّ بولس في اضطهاد المسيحين معتبرًا ذلك هوايةً فضلًا عن العمل الذي يسترزق منه وهو نسج الخيام، وكرهه العجيب ليسوع الذي لم يره ولا مرّة، حيث أرجعوا ذلك إلى أعراض الباثولوجيا المصنّفة على أنّها نوع من أنواع التكوّن العصبي والفكري الذي يؤدي المرض فيه إلى الوقوع تحت طغيان نوعين من زُعب الهلوسة: زُعب الإثم وزُعب الموت أو ما يمكن تسميتهما بالخوف من الجنس والخوف من الحياة، فيسوع بعقله السليم وبأعلى درجات الحصانة والاتزان تراه متحرّزًا تمامًا من هذين الخوفين فيخالط الخطأة غير هيّابٍ ولا وجلٍ وأيضًا لا يهتمّ بما يراه الآخرون في سلوكه مهما كان، وبهذا أرغم البعض على قبوله ودفّعه إلى رؤيته شخصًا خاليًا من العيوب طاهرًا من الإثم والخطيئة، وحتى لو كانت أيامه الأخيرة أيام وهمٍ ورؤى بالنسبة للبعض، فقد بدا على أيّة حال بمظهر مقنعٍ إلى حدٍّ بعيد بتعاليه عن شعور الخوف من الموت، وهو المظهر الذي أربح بولس وفتنه في الوقت نفسه، فالزُعب دفعه إلى اضطهاد المسيحيين اضطهادًا لا هوادة فيه، وذلك الافتتان كان سببًا لرؤيا من أغرب الرؤى التي شاهدها، رؤيا ارتباط اسم يسوع المسيح بالفكرة العظيمة التي داهمته كوميض البرق الخاطف في طريقه إلى دمشق وهي فكرة عجزه عن إنشاء دنيا من الخوفين اللذين يمتلكانه، فضلًا عن أنّ الحركة التي بدأها المسيح زوّده بنواة لكنيسته الجديدة، حيث كانت فكرة مريعة تلك التي لاحت له ومثلها كانت الصدمة التي خلفتها فيه كما أقرّ هو نفسه في ما بعد إلى درجة

(1) أعمال الرسل 7: 58-59: [وَأَخْرَجُوهُ خَارِجَ الْمَدِينَةِ وَرَجَمُوهُ. وَالشُّهُودُ خَلَعُوا ثِيَابَهُمْ عِنْدَ رِجْلَيْ شَابٍ يُقَالُ لَهُ شَاوُلُ، فَكَانُوا يَرْجُمُونَ اسْتِيفَانُوسَ وَهُوَ يَدْعُو وَيَقُولُ: «أَيُّهَا الرَّبُّ يَسُوعُ أَقْبَلْ رُوحِي»]

## الفصل الخامس: نقد أفكار لونوار عن المسيح.

أَما أطفأت نور عينيه وبات أعمى<sup>(1)</sup>: [فَنَهَضَ سَأُولُ عَنِ الْأَرْضِ، وَكَانَ وَهُوَ مَفْتُوحُ الْعَيْنَيْنِ لَا يُبْصِرُ أَحَدًا. فَافْتَادُوهُ بِيَدِهِ وَأَدْخَلُوهُ إِلَى دِمَشْقَ عِدَّةَ أَيَّامٍ وَكَانَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ لَا يُبْصِرُ، فَلَمْ يَأْكُلْ وَلَمْ يَشْرَبْ]<sup>(2)</sup>، ويُعلّق الكاتب جورج برنارد شو في كتابه "المسيح ليس مسيحيًا" قائلاً: عندما يتقدّم دين العقل الرّفيع إلى العقل الأدنى فإنّ العقل الأدنى الشّاعر بفتنة العقل الرّفيع وطغيانه من دون فهم له مع عجز عن الارتفاع إلى مستواه، يلجأ إلى الخطّ من قدره وارتخاض قيمته، وأعتبر اهتداء الإنسان الهمجي إلى المسيحية هو اهتداء المسيحية إلى الهمجية، أما اهتداء بولس فلا اعتبره اهتداءً على الإطلاق، فالدين الذي رفع إنساناً فوق الخطيئة والموت حوّله بولس إلى دين أسلم ملايين النّاس إلى سلطانهما تسليمًا مطلقًا بحيث أصبحت طبيعة وجودهم مجرد خوف<sup>(3)</sup>.

لقد رويت حادثة ظهور يسوع لبولس مرّتين في سفر أعمال الرسل وكان تناقض الشّهادتين واضح، لقد ذكر عبد الوهاب في كتابه "اختلافات في تراجم الكتاب المقدّس" أنّ تقديم شهادتين أمام أي محكمة ابتدائية في أي قضية ولتكن حادثة سير على الطّريق لكفيل برفضهما معًا، فكيف سيكون حال القضية التي تتعلّق بعقيدة يتوقف عليها المصير الأبدي للملايين من البشر<sup>(4)</sup>.  
لقد قام بولس باضطهاد المسيحية من الخارج أولاً ثمّ أعلن دخوله في المسيحية ليؤكد لها من الدّاخل وادعى أنّ المسيح ظهر له في الطّريق وباركه وأوصاه<sup>(5)</sup>.

### الرّوح القدس والحضور الفعلي ليسوع:

لقد اعتبر لونوار البارقليط الذي هو روح القدس - حسب نظره - هو الفاعل الرئيسي الذي يجعل حضور المسيح باقٍ على الأرض مُستندًا في ذلك إلى النّص: [وَلَمَّا حَضَرَ يَوْمُ الْخَمْسِينَ كَانَ الْجَمِيعُ مَعًا بِنَفْسٍ وَاحِدَةٍ، وَصَارَ بَغْتَةً مِنَ السَّمَاءِ صَوْتُ كَمَا مِنْ هُبُوبِ رِيحٍ عَاصِفَةٍ وَمَلَأَ كُلَّ الْبَيْتِ حَيْثُ

(1) جورج برنارد شو، مرجع سابق، ص 128.

(2) أعمال الرّسل 9: 8-9.

(3) المرجع نفسه، ص 129.

(4) أحمد عبد الوهاب: اختلافات في تراجم الكتاب المقدّس (تطوّرات هامة في المسيحية)، (ط1، دار التّوفيق التّمودجية، مصر، دس)، ص 103.

(5) كامل سعفان: مسيحية بلا مسيح، (دط، دار الفضيلة، القاهرة، 1994م)، ص 18.

## الفصل الخامس: نقد أفكار لونيوار عن المسيح.

كَانُوا جَالِسِينَ، وَظَهَرَتْ لَهُمْ أَلْسِنَةٌ مُنْقَسِمَةٌ كَأَنَّهَا مِنْ نَارٍ وَاسْتَقَرَّتْ عَلَى كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ. وَأَمْتَلَأَ الْجَمِيعُ مِنَ الرُّوحِ الْقُدُسِ، وَابْتَدَأُوا يَتَكَلَّمُونَ بِاللِّسَانِ أُخْرَى كَمَا أَعْطَاهُمُ الرُّوحُ أَنْ يَنْطِقُوا<sup>(1)</sup>.

هذا النص تعرّض الى الانتقاد من طرف العقل العلماني حيث أنه رأى بأن التلاميذ جسّدوا شيئاً وحولوا تلك التجربة إلى كائن هو الروح القدس ثمّ شخصوا ذلك الشيء (أي أعطوه شخصية مستقلة) مولّدين بذلك طرفاً ثالثاً، كما أن ذلك الأمر لا يظهر إلا في آخر الأناجيل كتابة فربّما كان موضع شبهة<sup>(2)</sup>.

الروح القدس في نظر الإسلام هو كبير الملائكة جبريل "ملك الوحي" الذي يؤيّد به الله أنبياءه لإقامة الحجّة على البشر وليس وسيطاً للحضور الفعلي ليسوع في نفوس المؤمنين.

### حضور الله في المفهوم القرآني:

إنّ القرآن الكريم لا يتحدّث عن حضور المسيح ولا عن حضور غيره من أنبياء الله في نفوس البشر كوسيط الخلاص أو سبب لحب الخير وفعله، بل يمكن للشخص يمكن استحضار أفعال وأقوال الأنبياء ليقنّدي بهم في حياته، ويشير القرآن في العديد من الآيات إلى حضور الله مع أوليائه والى امكانية استشعار الإنسان حضور الله في نفسه أثناء الدّعاء وحين الحاجة وحين العمل، حيث سأذكر هنا بعض المواقف القرآنية الدّالة على ذلك:

قَالَ تَعَالَى: ﴿إِذْ هَمَّتْ طَّائِفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلَا وَاللَّهُ وَلِيَهُمَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ

الْمُؤْمِنُونَ﴾<sup>(3)</sup> تصوير خواطر النفوس هنا فيه إشارة إلى حضور الله معهم، يشد على أيديهم، وينصرهم، وهذه طريقة القرآن الكريم في تصوير الأحداث لتوجيه المؤمنين وتسديد خطاهم، فالصورة القرآنية ليست مجرد تسجيل الأحداث، وإنما غايتها إحياء الأحداث بكل ما صاحبها من حركات حسية ونفسية لتوجيه المؤمنين نحو المبادئ الدّينية الثابتة<sup>(4)</sup> قَالَ تَعَالَى: ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾<sup>(5)</sup> في هذه الصورة الجملة

(1) أعمال الرسل: 2: 1-4.

(2) هوستن سميث: أديان العالم (دراسة روحية تحليلية لأديان العالم الكبرى) تر: سعد رستم، (دط، دار الجسور الثقافية، حلب، 2007م) ص 436.

(3) آل عمران: 122.

(4) عبد السلام أحمد الراغب: وظيفة الصورة الفنية في القرآن، (ط1، فصلت للدراسات والترجمة والنشر - حلب، 2001 م) ص 242.

(5) المجادلة: 1.

## الفصل الخامس: نقد أفكار لونوار عن المسيح.

للحادثة دلالة على حضور الله سبحانه مع الناس، وما يصيهم من مشكلات، وتدلل على رعايته وتوجيهه لكل حدث في الأرض صغيراً أو كبيراً، وهي أيضاً صورة فريدة لاتصال بين الأرض والسماء، فالله هنا يسمع شكوى امرأة وإلحاح على حضور الله، فهو قد سمع قولها وجدالها، وسمع أيضاً شكواها، وسمع الحوار الدائر بينها وبين رسول الله، ونفس الأمر في قصة عبد الله بن أم مكتوم الأعمى<sup>(1)</sup>، حين جاء إلى الرسول صلى الله عليه وسلم يطلب منه أن يعلمه، وكان الرسول مشغولاً مع كبار قريش يدعوهم إلى الإسلام، فعبس في وجهه، وأعرض عنه<sup>(2)</sup>، وعندما يوصف الله بأنه "السميع" "البصير" فإن ذلك لا يمت بصلة إلى ظاهرة السمع والبصر العضوية، ولكنه فقط يصور بطريقة مفهومة للعقل البشري حضور الله عند كل شيء وكل حدث<sup>(3)</sup>. والآيات التالية ﴿إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾<sup>(4)</sup>، ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي قُلُوبِكُمْ﴾<sup>(5)</sup>، ﴿وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾<sup>(6)</sup>، ﴿إِنِّي مَعَكُمْ أَسْمَعُ وَأَرَى﴾<sup>(7)</sup>، ﴿اللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ﴾<sup>(8)</sup> خاصة هذه الأفعال يَعْلَمُ يَعْلَمُ - أَسْمَعُ - وَأَرَى - شَهِيدٌ لا تفتأ تشير انتباهنا إلى حضور الله، وعلمه المحيط ﴿وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾<sup>(9)</sup>، والسر في ذلك أن المؤمن الصادق يجد في هذه الفكرة ما يحفزه حقاً لدعم جهوده وتغذية طاقته، وترقية نفسه، من أجل المحافظة على جودة أعماله، وطهارة نواياه، ولا ريب أن واقع التفكير في الله لحظة العمل هو معين لا ينضب من الطاقة للمؤمنين، له تأثيره على إرادتهم، ويضاعف من حماسهم<sup>(10)</sup>. وقد أشار القرآن إلى هذه الخطوة، حيث يثير الانتباه إلى حضور الله العليم المطلع على كل ما يأتيه الإنسان: ﴿الَّذِي يَرِنُكَ حِينَ تَقُومُ﴾<sup>(11)</sup> ليضاعف بذلك من حماسه، ويكمل

(1) أنظر سورة عبس.

(2) عبد السلام أحمد الراغب، مرجع ص 254.

(3) أبو التراب سيد بن حسين بن عبد الله العفاني: أعلام وأقزام في ميزان الإسلام، (ط1، دار ماجد عسيري للنشر والتوزيع، جدة - السعودية، 2004 م ج2) ص 175.

(4) النحل 91.

(5) الأحزاب 51.

(6) الطلاق 12.

(7) طه 46.

(8) يونس 46.

(9) البقرة: 215.

(10) محمد بن عبد الله دراز: دستور الأخلاق في القرآن، (ط10، مؤسسة الرسالة، 1998 م دس) ص 323.

(11) الشعراء 218.

## الفصل الخامس: نقد أفكار لونوار عن المسيح.

عمله وبالتالي يتحقق ثبات القيمة، وتحقيق التقدم المطرد في سبيل تعزيز القيمة، وليس هناك أعظم من الحب في تثبيت هذا التعزيز، وهذا الشعور بالحب يولد شعورًا بالارتياح وبالقوة البناءة ونجد ذلك ملخصًا<sup>(1)</sup> في الحديث التالي: [عَنْ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: كُنَّا جُلُوسًا عِنْدَ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَجَاءَ رَجُلٌ شَدِيدُ بَيَاضِ الثِّيَابِ، شَدِيدُ سَوَادِ شَعْرِ الرَّأْسِ، لَا يُرَى عَلَيْهِ أَثَرُ السَّفَرِ، وَلَا يَعْرِفُهُ مِنَّا أَحَدٌ، قَالَ: فَجَلَسَ إِلَى النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَأَسَدَ رُكْبَتَهُ إِلَى رُكْبَتِهِ، وَوَضَعَ يَدَيْهِ عَلَى فَخْذَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: يَا مُحَمَّدُ!... مَا الْإِحْسَانُ؟ قَالَ: أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنَّكَ إِنْ لَا تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ]<sup>(1)</sup> مراتب الدين من خلال حديث جبريل ثلاثة: الإسلام، الإيمان والإحسان، وأعظم المراتب وأكملها الإحسان: وهو استشعار حضور الله وعظمته في كل وقت وحين، ولا يصل لهذه المرتبة إلا من أكرمه الله ورفع قدره.

### المبحث الثاني: مضمون رسالة المسيح ونطاقها.

فريدريك لونوار في كتابه وبالخصوص في الخاتمة أشار إلى مضمون رسالة المسيح وأعطاه معنىً وبعدًا آخر على الذي جاء به المسيح، لقد كانت رسالة يسوع المسيح واضحة وبسيطة في معالمها مثلها مثل باقي رسالات الأنبياء الذين سبقوه والمذكورين في العهد القديم والذي يعتبر المسيح واحد منهم. لقد كانت رسالته موجهة إلى بني إسرائيل كما هو مبين في العديد من نصوص الأناجيل وبعض نبوءات العهد القديم على مجيء المسيح ومميزاته، ونفس الأمر بالنسبة للقرآن الكريم الذي صرح بأن عيسى عليه السلام نبي مرسل إلى بني إسرائيل. في هذا المبحث سنحاول بيان مضمون رسالة المسيح ونطاقها بما يتوافق مع العقل والمنطق استنادًا إلى نصوص من الكتاب المقدس بعهديه القديم والجديد ونصوص القرآن الكريم وإعطاء معنى واضح لمكانة المسيح عليه السلام ومحتوى رسالته وكذلك نطاقها.

### المطلب الأول: مضمون رسالة المسيح:

كل رسولٍ ونبيٍّ مرسل من عند الله تعالى يحمل رسالة ربانية تحتوي على أوامر ونواهٍ إلهية الغاية منها إصلاح ما أفسده البشر وتوجيههم إلى الطريق المستقيم لخلاصهم في الدنيا والآخرة، وكما هو معلوم عند أصحاب الفطرة السليمة فإن رسالة المسيح لم تبقَ على حالها بل أدخلت عليها الكثير من المفاهيم

(1) عدد من المختصين بإشراف الشيخ/ صالح بن عبد الله بن حميد إمام وخطيب الحرم المكي: نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم - صلى الله عليه وسلم، (ط4، دار الوسيلة للنشر والتوزيع، جدة، ج1)، ص133.



## الفصل الخامس: نقد أفكار لونيوار عن المسيح.

التي غيّرت محتواها ومعناها، فلونيوار اعتبر رسالة يسوع دين الشخص والحضور كما رأينا في ثنايا البحث وفي هذا المطلب سنحاول بيان رسالة المسيح الحقيقية في نصوص الأناجيل وفي نصوص القرآن الكريم: شريعة المسيح عليه السلام:

عند قراءة نصوص العهد الجديد يتبين أنّ يسوع لا يختلف في رسالته عمّن سبقه من الأنبياء، وأقرّ بنصّ صريح أنّ تعاليمه تكملة لتعاليم وشريعة موسى عليه السلام: [لَا تَظُنُّوا أَنِّي جِئْتُ لِأَنْقُضَ النَّامُوسَ أَوْ الْأَنْبِيَاءَ، مَا جِئْتُ لِأَنْقُضَ بَلْ لِأُكْمِّلَ]<sup>(1)</sup>، هذا النصّ يعتبر موجز شريعة السيّد المسيح بكلّ بساطة، إنّ لم ينسخ شريعة موسى عليه السلام، ولم يشأ وضع قوانين اجتماعية جديدة، كان همّه الوحيد إعطاء تعاليم خلقية وتمييزها عن قوانين الدولة والإبقاء على شريعة موسى مع التخفيف مما فرضه الحاحامات على الشعب، لذلك عرفت رسالته برسالة المحبة السلام<sup>(2)</sup>. ولقد نبّه المسيح إلى مقدار احترامه لشريعة التّوراة وأنه ما جاء إلّا ليكمّلها فتراه يقول كما يحكي عنه إنجيل لوقا<sup>(3)</sup>: [وَلَكِنَّ زَوَالَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَيْسَرُ مِنْ أَنْ تَسْقُطَ نُقْطَةٌ وَاحِدَةً مِنَ النَّامُوسِ]<sup>(4)</sup>.

لقد ركّز يسوع في رسالته على المحبة كثيرًا: محبة الله ومحبة القريب، فلما سأله أحد التّاموسيين عن الوصية العظمى كانت إجابته: [بَا مُعَلِّمُ، أَيُّهُ وَصِيَّةٌ هِيَ الْعُظْمَى فِي النَّامُوسِ؟] فَقَالَ لَهُ يَسُوعُ: «تُحِبُّ الرَّبَّ إِلَهَكَ مِنْ كُلِّ قَلْبِكَ، وَمِنْ كُلِّ نَفْسِكَ، وَمِنْ كُلِّ فِكْرِكَ ..... تُحِبُّ قَرِيبَكَ كَنَفْسِكَ»<sup>(5)</sup> وقد أردف يسوع قائلًا: [بِهَاتَيْنِ الْوَصِيَّتَيْنِ يَتَعَلَّقُ النَّامُوسُ كُلُّهُ وَالْأَنْبِيَاءُ]<sup>(6)</sup> فعلم أنّ أوّل كل الوصايا المصرّح بها في التّوراة والإنجيل وعليها مدار التّاموس وعمل الأنبياء هي اعتقاد وحدانية

(1) متى 5: 17.

(2) كامل سغنان: مسيحية بلا مسيح، (دط، دار الفضيلة، القاهرة، 1994م)، ص 11.

(3) محمد عزت الطهطاوي: التصرانية والإسلام، (ط2، مكتبة التور، القاهرة، 1986م)، ص 294.

(4) لوقا 16: 17.

(5) متى 22: 36-39.

(6) متى 22: 40.

## الفصل الخامس: نقد أفكار لونوار عن المسيح.

الله ورسالة رسله جميعاً، ومنهم المسيح عيسى عليه السلام<sup>(1)</sup>، حيث شملت شريعته حتى محبة الأعداء: [بَارِكُوا لِأَعْيُنِكُمْ، وَصَلُّوا لِأَجْلِ الَّذِينَ يُسَيِّئُونَ إِلَيْكُمْ]<sup>(2)</sup>.

لقد أخذ يسوع الوصايا العشر كما وردت في شريعة موسى ولكنه أعطاها معنى روحانياً يركّز على القلب والجوهر بعد أن رأى الشكلية والحرفية متجلية في اليهود ولا سيما الفريسيين، الذين كانوا حرفيين في فهمهم للتأموس والأنبياء وظنوا أنهم أفضل من غيرهم وأنه يملكون مفاتيح الخلاص، لذلك أخبرهم يسوع بأنه جاء ليكمل لا لينقض، والمحبة هي تكملة للتأموس وقد تضمنت تعاليمه في موعظة الجبل ثورة على الشكلية<sup>(3)</sup>، حيث استمر يسوع في ثورته على الشكلية اليهودية بقوله: [«أَفَأَنْتُمْ أَيْضًا هَكَذَا غَيْرُ فَاهِمِينَ؟ أَمَا تَفْهَمُونَ أَنَّ كُلَّ مَا يَدْخُلُ الْإِنْسَانَ مِنْ خَارِجٍ لَا يَقْدِرُ أَنْ يُنَجِّسَهُ، لِأَنَّهُ لَا يَدْخُلُ إِلَى قَلْبِهِ بَلْ إِلَى الْجَوْفِ، ثُمَّ يَخْرُجُ إِلَى الْخَلَاءِ، وَذَلِكَ يُطَهِّرُ كُلَّ الْأَطْعِمَةِ»]. ثُمَّ قَالَ: «إِنَّ الَّذِي يَخْرُجُ مِنَ الْإِنْسَانِ ذَلِكَ يُنَجِّسُ الْإِنْسَانَ. لِأَنَّهُ مِنَ الدَّخْلِ، مِنْ قُلُوبِ النَّاسِ، تَخْرُجُ الْأَفْكَارُ الشَّرِيرَةُ: زَنَى، فَسَقٌ، قَتْلٌ، سِرْقَةٌ، طَمَعٌ، حُبْتُ، مَكْرٌ، عَهَارَةٌ، عَيْنٌ شَرِيرَةٌ، تَجْدِيفٌ، كِبْرِيَاءٌ، جَهْلٌ، جَمِيعُ هَذِهِ الشُّرُورِ تَخْرُجُ مِنَ الدَّخْلِ وَتُنَجِّسُ الْإِنْسَانَ»]<sup>(4)</sup> وبلغت ثورة يسوع على الزيف ذروتها عندما دخل الهيكل رفقة تلاميذه وهو يُخبرهم بأن بيت أبيه بيت صلاة في حين جعله أولئك القوم مغارة لصوص<sup>(5)</sup> وكان يدعوهم إلى ملكوت الله وأعلن أن مملكة الله للجميع: [الْحَقُّ أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّ الْعَشَّارِينَ وَالزَّوَانِي يَسَيِّفُونَكُمْ إِلَى مَلَكُوتِ اللَّهِ]<sup>(6)</sup>.

### شريعة المسيح في نصوص القرآن:

والآن سنعرض بعض النصوص القرآنية التي تحدّثت عن شريعة المسيح باعتبار أن القرآن الكريم أول مصدر أرشدنا إلى حقيقة هوية يسوع ورسالته وتعاليمه وفتح الباب لنا من أجل تصحيح الأفكار

(1) محمد أحمد محمد عبد القادر خليل ملكاوي: بشرية المسيح ونبوة محمد عليه الصلاة والسلام، (ط1، مطابع الفرزدق التجارية، الرياض، 1993م)، ص 21-22.

(2) لوقا: 6: 28.

(3) انظر متى: 5: 6، 7.

(4) مرقس: 7: 17-23.

(5) رضا هلال: المسيح اليهودي ونهاية العالم (المسيحية السياسية والأصولية في أمريكا)، (ط1، مكتبة الشرق، 2000م)، ص 22.

(6) متى: 21: 31.

## الفصل الخامس: نقد أفكار لونوار عن المسيح.

والمعتقدات الخاطئة حول شخص المسيح وأعطاه مكانته كنييًّا بمعناها الواسع وهي المكانة التي فهمها الموحّدون المسيحيون الأوائل وحتى الأواخر منهم كما رأينا سابقًا في ثنايا البحث.

إنّ رسالة المسيح عليه السّلام في نصوص القرآن هي امتداد لرسالة إبراهيم وموسى وسائر الأنبياء عليهم السّلام القائمة على التّوحيد والتّزويه أوّلًا ومنذ الأزل، وقد بيّنت النّصوص القرآنية أنّ أوّل ما دعا إليه المسيح هو عبادة الله سبحانه وتعالى وحده، **﴿قَالَ تَمَّالِي: ﴿ إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَأَعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴾**<sup>(1)</sup>، ففي هذا النّص المقدّس تتحدّد معالم الرّسالة والتّنبؤ للمسيح عليه السّلام وتتراعى للعالمين دعوة الحقّ التي نادى بها توحيدًا لله وإقرارًا له سبحانه وتعالى بالعبادة والعبودية<sup>(2)</sup>، فقد كانت العقيدة التي جاهد عليها المسيح هي التّوحيد الخالص الذي قامت عليه كل رسالات الله إلى البشر<sup>(3)</sup>، فكلّ نبي دعا قومه إلى التّوحيد الخالص مصداقًا لقوله تعالى: **﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴾**<sup>(4)</sup>. وفي الحديث النبوي: [حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ سِنَانٍ، حَدَّثَنَا فُلَيْحُ بْنُ سُلَيْمَانَ، حَدَّثَنَا هِلَالُ بْنُ عَلِيٍّ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي عَمْرَةَ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَنَا أَوْلَى النَّاسِ بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَالْأَنْبِيَاءُ إِخْوَةٌ لِعَلَاتٍ، أُمَّهَاتُهُمْ شَتَّى وَدِينُهُمْ وَاحِدٌ»]<sup>(5)</sup>، في هذا النّص القرآني نجد: (شَتَّى) مختلفة ومتعددة، (دينهم واحد) هو دين التّوحيد، وهذا يفيد بأنّ النّسب الحقيقي هو نسب العقيدة والإيمان وبه يكون التفاضل لا بالأباء<sup>(6)</sup>. وهي أوامر الله إلى رسله والغاية الأولى من إرسالهم، **﴿قَالَ تَمَّالِي: ﴿ يَتَأَيَّهَا الرُّسُلُ كُلُّوْا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَعَمَلُوا صَالِحًا إِنَّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿ وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ ﴿ ﴾**<sup>(7)</sup> حيث أنّ هذه الآية هي خطابٌ للنبيّ محمد صلى الله عليه وسلم، والمراد به أنّ الله تبارك وتعالى أخبره بأنّه قد قال لجميع الرُّسل قبله هذا القول وأمرهم بهذا،

(1) آل عمران 51. / أنظر أيضًا: المائدة: 72، المائدة: 117، الزخرف 64/ المائدة 36.

(2) محمد سيّد أحمد المسير: المسيح ورسالته في القرآن، (ط1، مكتبة الصّفا، القاهرة، 1999م)، ص 49.

(3) المرجع نفسه، ص 52.

(4) الأنبياء 25.

(5) محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي: صحيح البخاري (الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه)، تح: محمد زهير بن ناصر الناصر، باب قول الله واذكر في الكتاب مريم، (ط1، دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية 1422هـ، ج4)، ص 167.

(6) محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي: صحيح البخاري، تعليق مصطفى البغا، ص 167.

(7) المؤمنین: 51-52.

## الفصل الخامس: نقد أفكار لونوار عن المسيح.

ومعنى: "وَأَنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً" أي: ملّتكم أيّها الرّسل ملّةٌ واحدةٌ وهي الإسلام "وأنا ربكم" شرعتها لكم وبَيَّنَّتها لكم "فَأَتَّقُوا" فحافون<sup>(1)</sup>.

رأينا في مضمون رسالة المسيح في الأناجيل اعترافه بأنّه جاء ليكمل رسالة موسى عليه السّلام وهو نفس الأمر بيّنه القرآن الكريم: **﴿قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْ مِنَ التَّوْرَةِ وَلِأَجَلٍ لَّكُمْ بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ وَجِئْتُكُمْ بِآيَاتٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا﴾﴾**<sup>(2)</sup> "وَمُصَدِّقًا" أيّ يعني ما جئت به مطابق لما جاء في التّوراة، وما بين يديه يعني ما بين يدي الإنسان هو ما أمامه وما دام مُصَدِّقًا لما بين يديه من التّوراة فما ضرورة إرساله إذن؟

تجلى تلك الصّورة في قوله تعالى **﴿وَلِأَجَلٍ لَّكُمْ بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ﴾**<sup>(3)</sup> أيّ - في التّوراة- إذن المهمّ هو التّصديق وإذا كانت الكتب اللاحقة مُصَدِّقة للكتب السّابقة، فما فائدة الكتب اللاحقة؟ فائدتها تتمثّل في:

- 1- أنّها تذكّر من سها عن الكتب السّابقة.
- 2- أنّها ستأتي بأشياء تناسب التّوقيّات الزّمنية، وتعدّل في بعض الأحكام، أمّا العقائد فلا تبديل فيها، والقصاص لا تبديل فيه كذلك إنّما التّعديل في بعض الأحكام وهي تحليل بعض ما حرّم على بني إسرائيل والله حكمة فيما يحرمه على النّاس وحكمة فيما يحله لهم<sup>(4)</sup>.

**﴿قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَقَفَّيْنَا مِنْ بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُكُمْ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِّقُوا بَالِغًا وَالْعِنَادِ وَالْمُخَالَفَةِ، وَبِتَّهْمِهِم بِالِاسْتِكْبَارِ عَلَى الْأَنْبِيَاءِ، وَأَنْهُمْ يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ، فَذَكَرَ اللَّهُ**

(1) أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي: الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تح: صفوان عدنان داوودي، (ط1، دار القلم، الدار الشامية - دمشق، بيروت، 1415 هـ)، ص748-749.

(2) آل عمران50.

(3) آل عمران50.

(4) الشّيخ محمد متولى الشّعراوي: مريم والمسيح، تح: عبد القادر أحمد عطا، (دط، مكتبة التّراث الإسلامي، القاهرة-مصر-)، (دس)، ص51-52.

(5) البقرة87.

## الفصل الخامس: نقد أفكار لونوار عن المسيح.

تعالى بأنه آتى موسى الكتاب - وهو التوراة - فحرفوها وبدّلوها، وخالفوا أوامرها وأولوها، لهذا أرسل الرسل والنبيين من بعده الذين يحكمون بشريعته<sup>(1)</sup> ولهذا قال: " وَقَفَّيْنَا مِنْ بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ "، حيث قال السدي: قفينا: أتبعنا، وقال غيره: أردفنا والكل قريب، قَالَ تَعَالَى: ﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرًا﴾<sup>(2)</sup> حتى ختم أنبياء بني إسرائيل بعمسى ابن مريم، فجاء بمخالفة التوراة في بعض الأحكام، ولهذا أعطاه الله من البنات، وهي: المعجزات، قال ابن عباس: من إحياء الموتى، وخلقه من الطين كهيئة الطير فينفخ فيها فتكون طيراً بإذن الله، وإبرائه الأسقام، وإخباره بالغيوب، وتأييده بروح القدس، وهو جبريل عليه السلام ما يدهم على صدقه فيما جاءهم به، فاشتد تكذيب بني إسرائيل له وزاد حسدهم وعنادهم لمخالفة التوراة في البعض، كما قال تعالى إخباراً عن عيسى: " أَفَكَلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُكُمْ اسْتَكْبَرْتُمْ " فكانت بنو إسرائيل تعامل الأنبياء عليهم السلام أسوأ المعاملة، ففريقاً يكذبونه وفريقاً يقتلونهم، وما ذاك إلا لأهم كانوا يأتونهم بالأمر المخالفة لأهوائهم وآرائهم ويزالهم بأحكام التوراة التي قد تصرفوا في مخالفتها، فلهذا كان يشق ذلك عليهم، فيكذبونهم، وربما قتلوا بعضهم<sup>(3)</sup>.

في هذه الآيات بيان لسبب التحريم والأمر التي حرمت على اليهود، قال تعالى: ﴿قَالَ تَعَالَى: ﴿فِطْرِهِمْ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيرًا﴾﴾<sup>(4)</sup> ﴿فِطْرِهِمْ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا﴾ والمعنى ما حرمننا عليهم الطيبات إلا لظلم عظيم ارتكبه، وهو ما عدّد لهم من الكفر والكبائر العظيمة، فكلماً أذنبوا ذنباً صغيراً أو كبيراً حرّم عليهم بعض الطيبات من المطاعم وغيرها وبصدهم عن سبيل الله كثيراً ناساً كثيراً أو صديداً كثيراً بالباطل وبالرشوة التي كانوا يأخذونها من سفلتهم في تحريف الكتاب<sup>(5)</sup>.

(1) قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ آسَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّحِيمُونَ وَالْأَخْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ فَلَا تَحْشَوْا النَّاسَ وَآخِشُوا اللَّهَ وَكَيْفَ تَحْشَوْا النَّاسَ وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ المائدة: 44.

(2) المؤمنون: 44.

(3) أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي: تفسير القرآن العظيم تح: سامي بن محمد سلامة، (ط2)، دار طيبة للنشر والتوزيع، 1999م ج1، ص321.

(4) النساء: 160.

(5) أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، (ط3)، دار الكتاب العربي - بيروت، 1407هـ، ج1، ص590.



## الفصل الخامس: نقد أفكار لونيوار عن المسيح.

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفْرٍ وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَا إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا أَوِ الْحَوَايَا أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِبَغْيِهِمْ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ ﴿١٧٦﴾ (1) واذكر -أيها الرسول- لهؤلاء المشركين ما حرّمنا على اليهود من البهائم والطيور...، ذلك التحريم المذكور على اليهود عقوبة من الله لهم بسبب أعمالهم السيئة (2).

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ ﴿١٨﴾ وَرَسُولًا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِبَيِّنَاتٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ (3) أي أنّها ستأتي بأشياء تناسب التوقيعات الزمنية، وتعديل في بعض الأحكام، أمّا العقائد فلا تبديل فيها، القصص لا تبديل فيه إنّما التعديل في بعض الأحكام وهي تحليل بعض ما حرّم على بني إسرائيل والله حكمة فيما يجزّمه على الناس وحكمة فيما يحلّه لهم (4) وما وراء ذلك من تفصيلات الأحكام والعبادات والشرائع، فتلك قضية تخضع لظروف الزمان والمكان، فما يصلح لأمة قد لا يتناسب مع أمة أخرى، بل ما يصلح لأمة في زمن قد لا يبقى صالحًا لزمن آخر والحكمة واضحة في نسخ الشرائع ببعضها لبعض (5).

### البشارة بمجيء محمد عليه الصلاة والسلام:

كان المسيح عليه السلام يعلم بأنّ زمنه له حدود وأنّ الزمن الذي جاء فيه يتقيد بالزمن الذي قبله وهذا واضح في الآية التالية، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِن بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدٌ فَلَمَّا جَاءَهُم بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٦﴾ (6) "إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ" أي اذكروا أنّي رسول الله أرسلت إليكم بالوصف الذي وُصفت به في التوراة التوراة ومصدقًا بالتوراة وبكتب الله وبأنبيائه جميعًا ممن تقدم وتأخر ومبشّرًا برسول يصدق بالتوراة على مثل تصديقي (7)، "مُصَدِّقًا"، يعني: أمركم بعبادة الله - عَزَّ وَجَلَّ - وتوحيده كما أمرتم به في التوراة، ليعلم أنّ الرّسل كان دينهم واحدًا، وكلهم يدعون إلى التوحيد وعبادة الرحمن، وأمّا الشرائع فقد يجوز

(1) الأنعام 146.

(2) نخبة من أساتذة التفسير: التفسير الميسر، (ط2)، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، السعودية، 2009 م)، ص 147.

(3) آل عمران 48-49..

(4) الشيخ محمد متولى الشعراوي: مريم والمسيح، تح: عبد القادر أحمد عطا، (دط، مكتبة التراث الإسلامي، (القاهرة-مصر-)، (دس)، ص 51-52.

(5) محمد سيّد أحمد المسير، مرجع سابق ص 17.

(6) الصف 6.

(7) فخر الدين الرازي: مفاتيح الغيب، (ط3)، دار إحياء التراث العربي - بيروت، 1420 هـ ج 29، ص 528.



## الفصل الخامس: نقد أفكار لونوار عن المسيح.

اختلافها ولا يدل ذلك على اختلاف في الدين، لأن الشرائع قد تختلف في رسول واحد ولا يختلف دينه، فكذلك الرسل، وقوله عَزَّ وَجَلَّ: " وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدٌ " يعني: مبشرًا برسول يصدق بالتوراة على مثل تصديقي، قيل له: ما اسمه؟ فقال: " اسْمُهُ أَحْمَدٌ " (1)، وفي الحديث النبوي: حَدَّثَنَا أَبُو النَّضْرِ، حَدَّثَنَا الْفَرَجُ، حَدَّثَنَا لُقْمَانُ بْنُ عَامِرٍ قَالَ سَمِعْتُ أَبَا أُمَامَةَ قَالَ: قُلْتُ: [يَا نَبِيَّ اللَّهِ، مَا كَانَ أَوَّلَ بَدْءِ أَمْرِكَ؟ قَالَ: دَعْوَةُ أَبِي إِبْرَاهِيمَ وَبُشْرَى عِيسَى] (2).

وهذه البشارة موجودة أيضًا في نصوص الأناجيل على لسان المسيح والذي سماه البارقيط أي الأكثر حمدًا أو أحمد (3) وورد في نسخ الترجمة الحديثة بالمعزي، وروح الحق: [وَأَمَّا مَتَّى جَاءَ ذَاكَ، رُوحَ الْحَقِّ، فَهُوَ يُرْسِدُكُمْ إِلَى جَمِيعِ الْحَقِّ، لِأَنَّهُ لَا يَتَكَلَّمُ مِنْ نَفْسِهِ، بَلْ كُلُّ مَا يَسْمَعُ يَتَكَلَّمُ بِهِ، وَيُخْبِرُكُمْ بِأُمُورٍ آتِيَةٍ ذَاكَ يُمَجِّدُنِي، لِأَنَّهُ يَأْخُذُ مِمَّا لِي وَيُخْبِرُكُمْ] (4)

رغم وضوح مضمون رسالة المسيح عليه السلام في نصوص الأناجيل وفي الآيات القرآنية إلا أن أتباع المسيح اختلفوا من بعده وهذا ما أكدته القرآن الكريم والعديد من الدراسات الحديثة.

### إقامة الحجّة على عيسى عليه السلام وقومه:

تبين الآيات القرآنية بأنّ الله سبحانه وتعالى قبل رفع المسيح عليه السلام أقام الحجّة على عيسى عليه السلام وعلى قومه ويظهر ذلك في قوله تَعَالَى: ﴿ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مِمَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتُ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾ (5). قال أبو جعفر: هذا خبر من الله تعالى ذكره عن قول عيسى، يقول: ما قلت لهم لهم إلا الذي أمرتني به من القول أن أقوله لهم، وهو أن قلت لهم: " أَعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ "، " كُنْتُ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ "، حيث يقول: وكنت على ما يفعلونه وأنا بين أظهرهم شاهدًا عليهم وعلى أفعالهم وأقوالهم، " فلما توفيتني "، يقول: فلما قبضتني إليك، " كُنْتُ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ "، يقول: كنت أنت الحفيظ عليهم دوني، لأني إنما شهدت من أعمالهم ما عملوه وأنا بين

(1) أبو منصور الماتريدي: تفسير الماتريدي (تأويلات أهل السنة) تح: مجدي ياسلوم، (ط1، دار الكتب العلمية - بيروت، لبنان، 2005م ج9)، ص 631.

(2) أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل: مسند الإمام أحمد بن حنبل، تح: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون، (ط1، مؤسسة الرسالة 1421 هـ، ج36)، ص 595.

(3) محمد علي البار: دراسات معاصرة في العهد الجديد والعقائد النصرانية، (دط، دار القلم، دمشق، دس)، ص 157.

(4) يوحنا 16: 13-14.

(5) المائدة: 117.

## الفصل الخامس: نقد أفكار لونوار عن المسيح.

أظهرهم<sup>(1)</sup>. حيث أنّ هذه الآية تبين انتهاء مهام يسوع على الأرض بعد رفعه وعدم حضوره الفعلي كما يدعي لونوار في كتابه.

"وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا" أي: حفيظًا ورفيقًا أرعى أحوالهم وأمنعهم عن مخالفة أمرك ما دمت فيهم أي: مدة دوامي فيهم، فلما توفيتني كنت أنت الرقيب عليهم، وأصل المراقبة: المراعاة، أي كنت الحافظ لهم والعالم بهم والشاهد عليهم<sup>(2)</sup>. "وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ" أي وكنت قائمًا عليهم أراقبهم وأشهد على ما يقولون ويفعلون فأقرّ الحق وأنكر الباطل مدة دوام وجودي بينهم "فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتُ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ" أي فلما توفيتني إليك كنت أنت المراقب لهم وحدك، إذ انتهت مدة رسالتي فيهم ومراقبتي لهم وشهادتي عليهم، فلا أشهد على ما وقع منهم وأنا لست فيهم، وأنت شهيد عليهم وشهيد بيني وبينهم، بما أنّك شهيد على كل شيء في ملكك، وأنت أكبر شهادة ممن تجعلهم شهداء من خلقك<sup>(3)</sup>.

### الخلاص في رسالة المسيح:

يرى لونوار أنّ يسوع هو طريق الخلاص، ولكن الذي يستعرض نصوص الإنجيل يستطيع أن يجد طريق الخلاص الحقيقي بعيدًا عن تصوّره له واعتباره وسيط الخلاص الوحيد، فلقد تضمن الإنجيل الخلاص بطريقة يتفق مع كافة الشرائع السماوية ومع المنطق الذي جرت به الرسائل ويتفق مع العقل البشري، فلا يقدم له أغازًا ولا طلاسماً، ولا يطلب كذلك من الإنسان أن يسير معصوب العينين ومن الأمثلة التي ذكرت في العهد الجديد<sup>(4)</sup> ما جاء في إنجيل متى: [وَإِذَا وَاحِدٌ تَقَدَّمَ وَقَالَ لَهُ: «أَيُّهَا الْمُعَلِّمُ الصَّالِحُ، أَيُّ صَلاَحٍ أَعْمَلُ لِتَكُونَ لِي الْحَيَاةَ الأَبَدِيَّةَ؟» فَقَالَ لَهُ: «لِمَاذَا تَدْعُونِي صَالِحًا؟ لَيْسَ أَحَدٌ صَالِحًا إِلاَّ وَاحِدٌ وَهُوَ اللهُ. وَلَكِنْ إِنْ أَرَدْتَ أَنْ تَدْخُلَ الْحَيَاةَ فَاحْفَظِ الوَصَايَا». قَالَ لَهُ: «أَيَّةُ الوَصَايَا؟» فَقَالَ يَسُوعُ: «لَا تَقْتُلْ. لَا تَزْنِ. لَا تَسْرِقْ. لَا تَشْهَدْ بِالزُّورِ. أَكْرِمِ أَبَاكَ وَأُمَّكَ،

(1) محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الأملي، أبو جعفر الطبري: جامع البيان في تأويل القرآن، نح: أحمد محمد شاكر، (ط1، مؤسسة الرسالة، 2000 م، ج11)، ص238-239.

(2) محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني: فتح القدير، (ط1)، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب - دمشق، بيروت، 1414 هـ، ج2)، ص108-109.

(3) محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بماء الدين بن علي خليفة القلموني الحسيني: تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)، (دط، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1990 م، ج7)، ص223.

(4) محمد عبد الرّمان عوض: الخلاص من الخطيئة في مفهوم اليهودية والمسيحية والإسلام، (دط، دار البشير، القاهرة، دس)، ص66.

## الفصل الخامس: نقد أفكار لونوار عن المسيح.

وَأَحَبَّ قَرِيبِكَ كَنَفْسِكَ». قَالَ لَهُ الشَّابُّ: «هَذِهِ كُلُّهَا حَفِظْتُهَا مُنْذُ حَدَائِثِي. فَمَاذَا يُعْوزُنِي بَعْدُ؟» قَالَ لَهُ يَسُوعُ: «إِنْ أَرَدْتَ أَنْ تَكُونَ كَامِلًا فَادْهَبْ وَبِعْ أَمْلاكَكَ وَأَعْطِ الْفُقَرَاءَ، فَيَكُونَ لَكَ كَنْزٌ فِي السَّمَاءِ، وَتَعَالَ اتَّبِعْنِي»<sup>(1)</sup>، فلم يطلب المسيح عليه السلام من سائله سوى أن يؤمن بالله، وأن يحفظ الوصايا والشريعة ويتخلَّص من أعراض الحياة والتعلُّق بها وأن يتبع رسالة الرسول<sup>(2)</sup>، فيسوع كان واضحًا في كلامه: [احفظوا وصايا الربِّ إلهكم وشهاداته وفرائضه التي أوصاكم بها]<sup>(3)</sup>، وهذه الوصايا ليست جديدة على بني إسرائيل، فهي نفسها وصايا موسى عليه السلام الواردة في سفر التثنية وفي سفر الخروج: [لَا يَكُنْ لَكَ آلِهَةٌ أُخْرَى أَمَامِي، لَا تَصْنَعْ لَكَ تِمْنَالًا مَنُحُوتًا، وَلَا صُورَةً مَا مِمَّا فِي السَّمَاءِ مِنْ فَوْقَ، وَمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ تَحْتِ، وَمَا فِي الْمَاءِ مِنْ تَحْتِ الْأَرْضِ،... أَكْرِمْ أَبَاكَ وَأُمِّكَ لِكَيْ تَطُولَ أَيَّامُكَ عَلَى الْأَرْضِ الَّتِي يُعْطِيكَ الرَّبُّ إِلَهُكَ: لَا تَفْتِنَ، لَا تَزِنَ، لَا تَسْرِقَ، لَا تَشْهَدْ عَلَى قَرِيبِكَ شَهَادَةً زُورٍ، لَا تَشْتَهَ بَيْتَ قَرِيبِكَ. لَا تَشْتَهَ امْرَأَةَ قَرِيبِكَ، وَلَا عَبْدَهُ، وَلَا أُمَّتَهُ، وَلَا ثَوْرَهُ، وَلَا حِمَارَهُ، وَلَا شَيْئًا مِمَّا لِقَرِيبِكَ]<sup>(4)</sup>، وكذلك هي نفس وصايا النبي محمد عليه الصلاة والسلام: قَالَ مَعَالِي: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبِّي عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَّنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكَُمْ وَصَّكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٥١﴾ وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا بِالْكَيْلِ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَلِكَُمْ وَصَّكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٢﴾ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكَُمْ وَصَّكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾﴾<sup>(5)</sup>، حيث يدل هذا

(1) متى 19: 16-21.

(2) محمد عبد الزمان عوض، مرجع سابق، ص 66.

(3) تثنية 6: 17.

(4) الخروج 20: 3-17.

(5) الأنعام 151-152.

## الفصل الخامس: نقد أفكار لونوار عن المسيح.

التشابه في الوصايا على وحدة المصدر الرسالة وكذلك الدين ويدلُّ أيضًا على رفعة مكانة الأنبياء عند الله تعالى.

كما أنّ الخلاص يوم القيامة أو يوم الدينونة كما يطلق عليه المسيحيون سيكون بالعمل الصالح وبمساعدة الفقراء والمساكين والأرامل لا بوساطة أحد: [ثُمَّ يَقُولُ الْمَلِكُ لِلَّذِينَ عَنْ يَمِينِهِ: تَعَالَوْا يَا مُبَارَكِي أَبِي، رَثُوا الْمَلَكُوتَ الْمَعَدَّ لَكُمْ مِنْذُ تَأْسِيسِ الْعَالَمِ، لِأَنِّي جَعْتُ فَأَطَعْتُمُونِي. عَطِشْتُمْ فَسَقَيْتُمُونِي. كُنْتُ غَرِيبًا فَأَوْثَمْتُمُونِي، غُرَبَانًا فَكَسَوْتُمُونِي. مَرِيضًا فَزَرْتُمُونِي. مَحْبُوسًا فَأَتَيْتُمُ إِلَيَّ... وَمَتَى رَأَيْتُمْ مَرِيضًا أَوْ مَحْبُوسًا فَأَتَيْتُمَا إِلَيْكَ؟ بِمَا أَنْتُمْ فَعَلْتُمُوهُ بِأَحَدِ إِخْوَتِي هَؤُلَاءِ الْأَصَاغِرِ، فَبِي فَعَلْتُمْ] (1).

### موقف اليهود من رسالة المسيح:

أمّا عن قبول رسالة المسيح فمثله مثل باقي الأنبياء، حيث قبلها البعض ورفضها البعض الآخر وهذا واضح في أقوال يسوع: [وَأَمَّا يَسُوعُ فَقَالَ لَهُمْ: لَيْسَ نَبِيٌّ بِأَلَا كَرَامَةٍ إِلَّا فِي وَطَنِهِ وَفِي بَيْتِهِ] (2) وفي قوله أيضًا: [يَا أُورُشَلِيمُ، يَا أُورُشَلِيمُ! يَا قَاتِلَةَ الْأَنْبِيَاءِ وَرَاجِمَةَ الْمُرْسَلِينَ إِلَيْهَا، كَمْ مَرَّةً أَرَدْتُ أَنْ أَجْمَعَ أَوْلَادِكَ كَمَا تَجْمَعُ الدَّجَاجَةُ فِرَاحَهَا تَحْتَ جَنَاحَيْهَا، وَلَمْ تُرِيدُوا!] (3)، حيث ورد في التفسير التطبيقي للكتاب المقدس: أنّ يسوع لما دخل أورشليم أكبر مدن إسرائيل في ذلك الوقت والعاصمة السياسية والروحية للدولة قد كان لها تاريخ في رفض الأنبياء كما في سفر أخبار الثاني: [وَأَرْسَلَ إِلَيْهِمْ أَنْبِيَاءً لِإِرْجَاعِهِمْ إِلَى الرَّبِّ، وَأَشْهَدُوا عَلَيْهِمْ فَلَمْ يُصْغُوا] (4)، ورفضت أورشليم المسيح كما رفضت من قبله (5)، وأكبر شاهد على ذلك هو تأمر اليهود على صلبه كما تروي الأناجيل.

وفي القرآن الكريم: قَالَ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا أَنْصَارَ اللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ فَآمَنَتْ طَائِفَةٌ مِّنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَكَفَرَت طَّائِفَةٌ فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ ءَامَنُوا عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا

(1) متى 25: 34-40.

(2) متى 13: 57. /أنظر أيضًا: مرقس 6: 4.

(3) لوقا 13: 34.

(4) أخبار الأيام الثاني 24: 19.

(5) التفسير التطبيقي للكتاب المقدس، ص 2123.

## الفصل الخامس: نقد أفكار لونيوار عن المسيح.

ظَاهِرِينَ ﴿١٤﴾<sup>(1)</sup>، "وَكَفَرَتْ طَائِفَةٌ" منهم فلم ينقادوا لدعوتهم، فجاهد المؤمنون الكافرين، "فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ"، أي: قويناهم ونصرناهم عليهم، "فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ" عليهم وقاهرين لهم<sup>(2)</sup>.

المطلب الثاني: نطاق رسالة المسيح.

من الأمور التي تطرّق إليها لونيوار أيضًا في كتابه هو عالمية رسالة المسيح وحذا بذلك حدوّ غالبية المسيحيين الذين أخرجوا رسالة يسوع من نطاقها المحدود إلى العالمية وجردوا رسالته من أصولها وحدودها وقدموها إلى العالم، إلا أنّ الكثير من الدّراسات الإسلامية الغربية قد بيّنت الحقيقة استنادًا إلى العديد من الأدلة كما سنورد بعضها لاحقًا، كما أكّدت تلك الدّراسات أنّ الفاعل الأوّل في تحريف تعاليم المسيح هو بولس.

لقد اعتبر هذا الأخير الختان ومراعاة الراحة يوم السّبت وديانة المعبد أمورًا بالية وأنّه يجب على المسيحية أن تتحرّر من انتمائها السّياسي وتبعتها الدّينية لليهودية حتّى تفتح ذراعيها لغير اليهود، غير أنّ اليهود المسيحيين ظلّوا يهودًا مخلصين واعتبروا بولس خائنًا وعدوًّا وظلّت اليهودية المسيحية حتى عام 70م تمثّل غالبية الكنيسة، وتشير أعمال الرسل دائمًا إلى أعداء بولس وإلى الصّراع معهم أينما ذهبوا بغلاطية وكورنثوس وكولوسي وروما وأنطاكية، حيث كانت السّيادة في ذلك الصّراع لليهود المسيحيين إلى أن انقلب الموقف مع سقوط أورشليم، إذ أصبح اليهود منبوذين في الإمبراطورية ونحّا المسيحيون إلى الانفصال عنهم وساد المسيحيون الهيلينيون، وبذلك انفصلت المسيحية اجتماعيًا وسياسيًا عن اليهودية لتكوّن ما يعرف بالشّعب الثّالث، حيث حاز بولس النّصر بعد وفاته ويُعتبر المؤسس الثّاني للمسيحية بعد يسوع<sup>(3)</sup>.

لكنّ هذا لا يعني أنّ ما قام به بولس ساهم محّا آثار حدود رسالة يسوع المسيح الحقيقية، فكثير من نصوص العهد الجديد وحتّى العهد القديم تبيّن مكان بعثة المسيح والقوم الذي أرسل إليهم،

(1) الصف: 14.

(2) عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، تح: عبد الرحمن بن معلا اللويحي، (ط1، مؤسّسة الرّسالة، 2000م)، ص860.

(3) رضا هلال: المسيح اليهودي ونهاية العالم (المسيحية السّياسية والأصولية في أمريكا)، (ط1، مكتبة الشّرق، 2000م)، ص25-26.

## الفصل الخامس: نقد أفكار لونوار عن المسيح.

فصوص العهدين مليئة بفضح ادعاء عالمية رسالة المسيح، وهذه التصوص تمتد من ميلاد المسيح إلى غاية صلبه بحسب المعتقد المسيحي وحتى تلاميذه يشيرون إلى خصوصية دعوته لبني إسرائيل.

### نبوءات عن نسل المسيح القادم:

لقد كانت تنبؤات الأنبياء عن قدوم المسيح شائعة بين اليهود، وكان الآلاف ينتظرون على أحرر من الجمر مجيء منقذ إسرائيل<sup>(1)</sup> مثل ما ورد في صموئيل الثاني: [مَتَى كَمَلْت أَيَّامَكَ وَاضْطَجَعْتَ مَعَ آبَائِكَ، أُقِيمُ بَعْدَكَ نَسْلَكَ الَّذِي يَخْرُجُ مِنْ أَحْشَائِكَ وَأُنْبِتُ مَمْلَكَتَهُ، هُوَ يَبْنِي بَيْتًا لِاسْمِي، وَأَنَا أَنْبِتُ كُرْسِيَّ مَمْلَكَتِهِ إِلَى الْأَبَدِ... وَيَأْمَنُ بَيْتَكَ وَمَمْلَكَتَكَ إِلَى الْأَبَدِ أَمَامَكَ. كُرْسِيكَ يَكُونُ ثَابِتًا إِلَى الْأَبَدِ]<sup>(2)</sup> حيث ورد في التفسير التطبيقي للكتاب المقدس أن وعد الله يتمثل في الخلاص الذي يأتي من نسل داود بولادة المسيح<sup>(3)</sup>.

ربما يتساءل البعض لماذا يأتي المسيح المنتظر من نسل داود بالذات؟ والجواب أن اليهود ما زال يتراقص أمام أعينهم العصر الذهبي الذي عاشوه أيام داود وسليمان حين تعاضم هاذان الأخيران على كل ملوك الأرض في الغنى والقوة وحين كانت الأرض كلها ملتمة وجهي داود وسليمان وحين خضعت لليهود الأمم والشعوب، حيث مازال اليهود يذكرون وعد يهوه للمسيح داود بأن يثبت كرسي مملكته إلى الأبد، مبقيا سلالته ملوكا على عرش إسرائيل<sup>(4)</sup>، كما أشرت في الفقرة السابقة، حيث يؤكد يهوه وعده الذي وعد به داود أباه: [فَإِنِّي أُقِيمُ كُرْسِيَّ مُلْكِكَ عَلَى إِسْرَائِيلَ إِلَى الْأَبَدِ كَمَا كَلَّمْتُ دَاوُدَ أَبَاكَ قَائِلًا: لَا يُعْدَمُ لَكَ رَجُلٌ عَنْ كُرْسِيِّ إِسْرَائِيلَ]<sup>(5)</sup>

### نطاق رسالة المسيح في نصوص الأناجيل:

أول ما أشار إليه المحوس المذكورون في إنجيل متى والذين جاءوا ليسجدوا للمسيح لما رأوا نجمه في السماء هو تسمية المسيح بملك اليهود: [إِذَا مَجُوسٌ مِنَ الْمَشْرِقِ قَدُ جَاءُوا إِلَى أُورُشَلِيمَ قَائِلِينَ:

(1) داود علي الفاضلي: أصول المسيحية كما يصورها القرآن، (دط، مكتبة المعارف، الرباط، 1973م)، ص54.

(2) صموئيل الثاني 7: 12-16.

(3) التفسير التطبيقي للكتاب المقدس، ص653.

(4) محمد مجدي مرجان: المسيح إنسان أم إله، (ط1، مكتبة التآفة، الجيزة، 1972م)، ص14.

(5) الملوك الأول 9: 5.



## الفصل الخامس: نقد أفكار لونوار عن المسيح.

«أَيْنَ هُوَ الْمَوْلُودُ مَلِكُ الْيَهُودِ؟ فَإِنَّا رَأَيْنَا نَجْمَهُ فِي الْمَشْرِقِ وَأَتَيْنَا لِنَسْجُدَ لَهُ»<sup>(1)</sup>، حيث تدلّ هذه التسمية على خصوصية رسالته، ونفس الأمر أقرّ به الوالي الروماني بعد القبض على يسوع ومساءلته: [فَوَقَفَ يَسُوعُ أَمَامَ الْوَالِي، فَسَأَلَهُ الْوَالِي قَائِلًا: «أَأَنْتَ مَلِكُ الْيَهُودِ؟»]<sup>(2)</sup> فهذا أيضًا تخصيص لدور المسيح بأنه ملك اليهود وحسب رواية متى قد كتب فوق الصليب الذي صلب عليه يسوع أنه ملك اليهود: [وَجَعَلُوا فَوْقَ رَأْسِهِ عِلْتَهُ مَكْتُوبَةً: «هَذَا هُوَ يَسُوعُ مَلِكُ الْيَهُودِ»]<sup>(3)</sup>، ومن الحجج أيضًا على أنّ يسوع أرسل إلى اليهود اجابة رؤساء الكهنة على سؤال الحاكم الروماني لما سأله عن مكان ميلاد المسيح، بحيث كانت إجابتهم أنه سيولد في بيت لحم حسب تنبؤ كتاباتهم: [وَأَنْتَ يَا بَيْتَ لَحْمٍ، أَرْضَ يَهُودًا لَسْتَ الصُّغْرَى بَيْنَ رُؤَسَاءِ يَهُودًا، لِأَنَّ مِنْكَ يَخْرُجُ مُدَبِّرٌ يَرْعَى شَعْبِي إِسْرَائِيلَ]<sup>(4)</sup>، وهذا النص فيه إشارة واضحة إلى أنّ المسيح جاء ليرعى بني اسرائيل حسب اعتراف كاتب الانجيل<sup>(5)</sup>.

لقد كان اليهود حريصون على الانعزال عن باقي الأمم وعلى عدم الاختلاط بباقي الشعوب وقد يتعاملون مع الناس تعامل المصالح والمنافع، ولكنهم لا يختلطون بهم ولا يمتزجون حرصًا على عدم تلوث الشعب المقدس بالشعوب الأخرى<sup>(6)</sup>، ويظهر ذلك بوضوح في نصوص العهد القديم حين جاء بعض الرؤساء يومًا إلى النبي عزرا يخبرونه أنّ نفرًا من اليهود صاهروا بعض الشعوب المجاورة وكان الخبر كافيًا لأن يفقد النبي صوابه: [وَلَمَّا كَمَلْتُ هَذِهِ تَقَدَّمَ إِلَيَّ الرُّؤَسَاءُ قَائِلِينَ: «لَمْ يَنْفَصِلْ شَعْبُ إِسْرَائِيلَ وَالْكَهَنَةُ وَاللَّاوِيُّونَ مِنْ شُعُوبِ الْأَرْضِ حَسَبَ رَجَاسَاتِهِمْ، مِنْ الْكَنْعَانِيِّينَ وَالْحِثِّيِّينَ وَالْفِرْزِيِّينَ وَالْيُوسِيِّينَ وَالْعَمُونِيِّينَ وَالْمُؤَابِيِّينَ وَالْمِصْرِيِّينَ وَالْأَمُورِيِّينَ، لِأَنَّهُمْ اتَّخَذُوا مِنْ بَنَاتِهِمْ لِأَنْفُسِهِمْ وَلِبَنِيهِمْ، وَاخْتَلَطَ الزَّرْعُ الْمُقَدَّسُ بِشُعُوبِ الْأَرْضِ. وَكَانَتْ يَدُ الرُّؤَسَاءِ وَالْوَلَاةِ فِي هَذِهِ الْخِيَانَةِ أَوْلَى»، فَلَمَّا سَمِعْتُ بِهَذَا الْأَمْرِ مَرَّقْتُ ثِيَابِي وَرِدَائِي وَنَتَفْتُ شَعْرَ رَأْسِي وَذَقْنِي وَجَلَسْتُ مُتَحِيرًا.]<sup>(7)</sup>.

(1) متى 2: 1-2.

(2) متى 27: 11.

(3) متى 27: 37.

(4) متى 2: 6.

(5) محمد علي الخولي، مرجع سابق، ص 71-74.

(6) محمد مجدي مرجان، مرجع سابق، ص 96.

(7) عزرا 9: 1-4.

## الفصل الخامس: نقد أفكار لونوار عن المسيح.

رفض يسوع التعامل مع غير اليهود:

نجد في العهد الجديد نصوصًا واضحة جدًا تؤكد رفض يسوع التعامل مع غير اليهود منها: [وإِذَا امْرَأَةٌ كُنْعَانِيَّةٌ خَارِجَةٌ مِنْ تِلْكَ التُّحُومِ صَرَخَتْ إِلَيْهِ قَائِلَةً: «ارْحَمْنِي، يَا سَيِّدُ، يَا ابْنَ دَاوُدَ! ابْنَتِي مَجْنُونَةٌ جِدًّا» فَلَمْ يُجِبْهَا بِكَلِمَةٍ. فَتَقَدَّمَ تَلَامِيذُهُ وَطَلَبُوا إِلَيْهِ قَائِلِينَ: «اصْرِفْهَا، لِأَنَّهَا تَصِيحُ وَرَاءَنَا!» فَأَجَابَ وَقَالَ: «لَمْ أُرْسَلْ إِلَّا إِلَى خِرَافِ بَيْتِ إِسْرَائِيلَ الصَّالَّةِ» فَأَتَتْ وَسَجَدَتْ لَهُ قَائِلَةً: «يَا سَيِّدُ، أَعْنِي!»، فَأَجَابَ وَقَالَ: «لَيْسَ حَسَنًا أَنْ يُؤَخَذَ حُبْزُ الْبَنِينَ وَيُطْرَحَ لِلْكَالِبِ»<sup>(1)</sup>، حيث نلاحظ في هذا النص أن العبارة التي نطقها يسوع تؤكد اقتصار رسالته على الإسرائيليين دون سواهم حتى ولو كانوا جيرانهم الذين يتحدثون لغتهم ويرتبطون معهم بمختلف روابط الحياة<sup>(2)</sup>، ونفس الأمر في إنجيل يوحنا حين طلب يسوع من المرأة السامرية أن تسقيه وقد كانت على دراية من أن اليهود لا يتعاملون مع غيرهم: [فَقَالَتْ لَهُ الْمَرْأَةُ السَّامِرِيَّةُ: «كَيْفَ تَطْلُبُ مِنِّي لِتَشْرَبَ، وَأَنْتَ يَهُودِيٌّ وَأَنَا امْرَأَةٌ سَامِرِيَّةٌ؟» لِأَنَّ الْيَهُودَ لَا يُعَامِلُونَ السَّامِرِيِّينَ]<sup>(3)</sup>.

ويؤكد بطرس هذه الدعوة العنصرية لدى اليهود فيقول<sup>(4)</sup>: [أَنْتُمْ تَعْلَمُونَ كَيْفَ هُوَ مُحَرَّمٌ عَلَى رَجُلٍ يَهُودِيٍّ أَنْ يَلْتَصِقَ بِأَحَدٍ أَعْجَبِيٍّ أَوْ يَأْتِي إِلَيْهِ]<sup>(5)</sup>.

لقد كانت رسالة المسيح كرسالة من سبقه من الأنبياء، بحكم أن رسالته تقتصر على الجيل الضال من بني الأنبياء الذين حار فيهم طُبُّ التَّوْبَةِ لا تعدوهم إلى غيرهم من أهل الأرض وثنيين ومشركين، فالعبارة: «لَمْ أُرْسَلْ إِلَّا إِلَى خِرَافِ بَيْتِ إِسْرَائِيلَ الصَّالَّةِ» لا تحتاج إلى تأويل، حيث لم تكن رسالة المسيح إلى قومه رسالة توحيد، وإنما كانت دعوة إلى توحيد من نوع آخر دأبوا على مخالفته والخروج عليه: التوحيد بين الظاهر والباطن، بين القلب والقول، بين الفكر والجوارح، بين الإيمان وبين العمل على مقتضى هذا الإيمان<sup>(6)</sup>.

(1) متى 15: 22-26.

(2) أحمد عبد الوهاب: اختلافات في تراجم الكتاب المقدس (تطورات هامة في المسيحية)، (ط1، دار التوفيق التمودجية، مصر، دس) ص54.

(3) يوحنا 4: 9.

(4) محمد مجدي مرجان، مرجع سابق، ص96.

(5) أعمال الرسل 10: 28.

(6) ناصر المنشاوي: الجوانب الخفية من رسالة المسيح، (دط، الفيوم، فيدمين، 2003م)، ص88.

## الفصل الخامس: نقد أفكار لونوار عن المسيح.

أسلوب خطاب يسوع مع قومه:

أمّا عن خطاب أصحاب الرّسالة فقد كان يسوع واضحًا حين سأله أحدهم: [فَأَجَابَهُ يَسُوعُ: «إِنَّ أَوَّلَ كُلِّ الْوَصَايَا هِيَ: اسْمَعْ يَا إِسْرَائِيلُ: الرَّبُّ إِلَهُنَا رَبُّ وَاحِدٌ»<sup>(1)</sup> وهذا أيضًا يدلّ على خصوصية رسالته ولو كانت لعامة النّاس لقال اسمعوا أيّها النّاس<sup>(2)</sup> وليس يا إسرائيل، وكما حفظ عيسى الشّريعة والتّاموس أوصى أتباعه بحفظها واتباعها وتعلّمها<sup>(3)</sup>: [قَائِلًا: «عَلَى كُرْسِيِّ مُوسَى جَلَسَ الْكُتْبَةُ وَالْفَرِيسِيُّونَ، فَكُلُّ مَا قَالُوا لَكُمْ أَنْ تَحْفَظُوهُ فَاحْفَظُوهُ وَأَفْعَلُوهُ، وَلَكِنْ حَسَبَ أَعْمَالِهِمْ لَا تَعْمَلُوا، لِأَنَّهُمْ يَقُولُونَ وَلَا يَفْعَلُونَ.»<sup>(4)</sup>، فالمسيح لم يأت بدين مستقلّ بذاته بل كان استمرارًا لدين موسى، ذلك أنّ عيسى عليه السّلام أعطي التّوراة وأعطي الإنجيل وكلتا الرّسالتين في التّوراة وفي الإنجيل هي رسالات خاصة بشعب اليهود وهذه القضية محل اتفاق بين نصوص القرآن ونصوص الأناجيل<sup>(5)</sup> وهو نفس الأمر أورده يوحنا: [إِلَى خَاصَّتِهِ جَاءَ، وَخَاصَّتُهُ لَمْ تَقْبَلْهُ]<sup>(6)</sup> بحيث يشير هنا يوحنا إلى أنّ المسيح ما جاء إلّا لخاصته من بني إسرائيل، ولكن خاصته لم تقبله حقًا فحرّفوا ما جاءهم به وكونوا باسمه دينًا لا يعلم منه شيئًا<sup>(7)</sup>.

نطاق رسالة المسيح في نصوص القرآن:

نرى أنّ القرآن ينفي أيضًا أن تكون رسالة المسيح عالمية، وكانت نصوصه أوضح من نصوص الأناجيل المتناقضة، فالقرآن الكريم آياته بيّنة الدّلالة في إشارتها إلى قومية رسالة المسيح ولا يوجد ما يناقض بعضها البعض، عكس نصوص الأناجيل المتناقضة: قَالَ قَمَالٌ: ﴿وَرَسُولًا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِبَيِّنَاتٍ مِنْ رَبِّكُمْ﴾<sup>(8)</sup>، فالمسيح عليه السّلام بعث إلى قومه خاصّة شأنه كشأن كافة الأنبياء والرّسل المبعوثين قبل محمد عليه الصلاة والسّلام<sup>(9)</sup>، وتخصيص بني إسرائيل لخصوص بعثته إليهم أو للرد

(1) مرقس 12: 29

(2) محمود على الخولي: حقيقة عيسى المسيح، (ط1، دار الفلاح للتشر والتوزيع، الأردن، 1990م)، ص74.

(3) محمد مجدي مرجان، مرجع سابق، ص95.

(4) متى 23: 2-3.

(5) رؤوف شلبي: أضواء على المسيحية (دراسات في أصول المسيحية)، (دط، المكتبة العصرية، بيروت، 1985م)، ص145-146.

(6) يوحنا 1: 11.

(7) محمد أحمد الحاج: التّصراية من التّوحيد إلى التّثليث، (ط1، دار القلم، دمشق، ط1، 1992م)، ص91.

(8) آل عمران 49.

(9) محمد سيّد أحمد المسير، مرجع سابق، ص49

## الفصل الخامس: نقد أفكار لونوار عن المسيح.

على من زعم أنه مبعوث إلى غيرهم<sup>(1)</sup>. وتكرّر هذا المعنى في قوله تعالى: ﴿قَالَ تَعَالَى: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَبْنِي إِسْرَائِيلَ أَعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾<sup>(2)</sup>. فما ذكر في هذه الآية على لسان المسيح كان واضحًا جدًا بخطابه يا بني إسرائيل.

### من سيخلصهم المسيح؟

في حديث الملاك مع يوسف خطيب مريم حسب زعم الكنيسة عندما وجدها حبلًا من الروح القدس، أخبره الملاك بأن المولود الجديد سيخلص "شعبه": [فَسَتَلِدُ ابْنًا وَتَدْعُو اسْمَهُ يَسُوعَ، لِأَنَّهُ يُخَلِّصُ شَعْبَهُ مِنْ خَطَايَاهُمْ]<sup>(3)</sup>، هنا يفهم من كلام الملاك أنّ الخطة الخلاصية خاصة باليهود شعب يسوع، وهو نفس الأمر الذي أكدّه يسوع في إنجيل يوحنا أثناء حوار مع المرأة السامرية: [أَنْتُمْ تَسْجُدُونَ لِمَا لَسْتُمْ تَعْلَمُونَ، أَمَّا نَحْنُ فَتَسْجُدُ لِمَا نَعْلَمُ، لِأَنَّ الْخَلَاصَ هُوَ مِنَ الْيَهُودِ]<sup>(4)</sup>، وفي هاتين الفقرتين تحديد لمصدر الخلاص وموضع الرسالة والقوم الذي يشملهم الخلاص.

### ملك يسوع:

في إنجيل لوقا ذكر أنّ ملك يسوع سيكون على بيت يعقوب: [وَهَا أَنْتِ سَتَحْبَلِينَ وَتَلِدِينَ ابْنًا وَتُسَمِّيَنَّهُ يَسُوعَ، هَذَا يَكُونُ عَظِيمًا، وَابْنُ الْعَلِيِّ يَدْعَى، وَبُعْطِيهِ الرَّبُّ الْإِلَهُ كُرْسِيِّ دَاوُدَ أَبِيهِ، وَيَمْلِكُ عَلَى بَيْتِ يَعْقُوبَ إِلَى الْأَبَدِ، وَلَا يَكُونُ لِمَلِكِهِ نَهَايَةٌ]<sup>(5)</sup>، في هذه الفقرة دلالة على أنّ نطاق رسالة يسوع المتمثل في ملكه على بيت يعقوب كما هو جارٍ عند أنبياء العهد القديم والذي يعتبر يسوع واحدًا منهم، فالقارئ للعهد القديم يجد أنّ كلام الربّ لأنبيائه المكلفين بتوصيل وصايا الربّ كانت إمّا يا إسرائيل أو بيت يعقوب: [وَأَمَّا مُوسَى فَصَعِدَ إِلَى اللَّهِ، فَنَادَاهُ الرَّبُّ مِنَ الْجَبَلِ قَائِلًا: «هَكَذَا تَقُولُ لِبَيْتِ يَعْقُوبَ، وَتُخْبِرُ بَنِي إِسْرَائِيلَ»]<sup>(6)</sup> وفي إرميا أيضًا: [اسْمَعُوا كَلِمَةَ الرَّبِّ يَا بَيْتَ يَعْقُوبَ،

(1) ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي: أنوار التنزيل وأسرار التأويل، تح: محمد عبد الرحمن المرعشلي، (ط1، دار إحياء التراث العربي - بيروت، - 1418 هـ، ج2)، ص18.

(2) المائدة:72.

(3) متى: 1: 21.

(4) يوحنا: 4: 22.

(5) لوقا: 1: 30-31.

(6) الخروج: 19: 3.

## الفصل الخامس: نقد أفكار لونوار عن المسيح.

يَعْقُوبَ، وَكُلَّ عَشَائِرِ بَيْتِ إِسْرَائِيلَ<sup>(1)</sup>، وذكرنا هذه الأمثلة على سبيل الحصر فقط ولكن سياق العهد القديم كله هكذا.

### نقد دعوى عالمية رسالة المسيح:

لقد اتضح ممّا سبق أنّ رسالة يسوع كانت موجهةً إلى قومه من اليهود وكان يرفض التعامل مع غيرهم، إلى جانب ذلك أوصى تلاميذه كذلك بعدم دعوة غير اليهود كما هو واضح في إنجيل متى: [هُؤْلَاءِ الْاِثْنَا عَشَرَ أَرْسَلَهُمْ يَسُوعُ وَأَوْصَاهُمْ قَائِلًا: «إِلَى طَرِيقِ أُمَّمٍ لَا تَمْضُوا، وَإِلَى مَدِينَةٍ لِلسَّامِرِيِّينَ لَا تَدْخُلُوا، بَلِ اذْهَبُوا بِالْحَرِيِّ إِلَى خِرَافِ بَيْتِ إِسْرَائِيلَ الصَّالَّةِ»<sup>(2)</sup>، وفي هذا النصّ أيضًا: وصيّة المسيح لتلاميذه كانت واضحة وفي العديد من المواضع الأخرى منها أيضًا: [وَمَتَّى طَرَدُوكُمْ فِي هَذِهِ الْمَدِينَةِ فَاهْرُبُوا إِلَى الْأُخْرَى فَإِنِّي الْحَقُّ أَقُولُ لَكُمْ: لَا تُكْمَلُونَ مُدُنَ إِسْرَائِيلَ حَتَّى يَأْتِيَ ابْنُ الْإِنْسَانِ]<sup>(3)</sup>، وهذا النصّ يبيّن أنّ مهمّة تلاميذ يسوع لا تتجاوز مدن إسرائيل<sup>(4)</sup>، وهناك وصيّة أخرى ليسوع بعد قيامته يطلب من سمعان أن يرمي خرافه وأكد على تلك الوصيّة كثيرًا: [هَذِهِ مَرَّةً ثَالِثَةً ظَهَرَ يَسُوعُ لِتَلَامِيذِهِ بَعْدَمَا قَامَ مِنَ الْأَمْوَاتِ، فَبَعْدَ مَا تَعَدَّوْا قَالَ يَسُوعُ لِسِمْعَانَ بُطْرُسَ: «يَا سِمْعَانُ بَنَ يُونَا، أَتُحِبُّنِي أَكْثَرَ مِنْ هُؤْلَاءِ؟» قَالَ لَهُ: «نَعَمْ يَا رَبُّ أَنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي أُحِبُّكَ». قَالَ لَهُ: «إِنِّعَ خِرَافِي»، قَالَ لَهُ أَيْضًا ثَانِيَةً: «يَا سِمْعَانُ بَنَ يُونَا، أَتُحِبُّنِي؟» قَالَ لَهُ: «نَعَمْ يَا رَبُّ، أَنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي أُحِبُّكَ». قَالَ لَهُ: «إِنِّعَ غَنَمِي»، قَالَ لَهُ ثَالِثَةً: «يَا سِمْعَانُ بَنَ يُونَا، أَتُحِبُّنِي؟» فَحَزَنَ بُطْرُسُ لِأَنَّهُ قَالَ لَهُ ثَالِثَةً: أَتُحِبُّنِي؟ فَقَالَ لَهُ: «يَا رَبُّ، أَنْتَ تَعْلَمُ كُلَّ شَيْءٍ. أَنْتَ تَعْرِفُ أَنِّي أُحِبُّكَ». قَالَ لَهُ يَسُوعُ: «إِنِّعَ غَنَمِي»<sup>(5)</sup>، نلاحظ أنّ الوصيّة كانت خاصة إلى الذين بعث فيهم يسوع لا غير وهذا دليل يضاف إلى الأدلّة الأخرى التي قدّمناها بأنّ غنمه وخرافه هم اليهود، كما أنّ بطرس حسب ما ترويه الأناجيل وأعمال الرّسل قام بما كلف به من رعاية التلاميذ من ناحية وتوصيل الدّعوة إلى اليهود من ناحية أخرى فقد ورد في سفر أعمال الرّسل رصد لبعض الأعمال الدّعوية التي قام بها بطرس مع اليهود<sup>(6)</sup>: [فَوَقَفَ بُطْرُسُ مَعَ الْأَحَدِ عَشَرَ وَرَفَعَ صَوْتَهُ وَقَالَ لَهُمْ: «أَيُّهَا الرِّجَالُ الْيَهُودُ

(1) أرميا:2: 4.

(2) متى: 10: 5-6.

(3) متى: 10: 23.

(4) فرج الله عبد الباري: نقض دعوى عالمية التّصاريحية، (ط1، دار الآفاق العربية، القاهرة، 2004م)، ص32.

(5) يوحنا: 14: 17.

(6) المرجع نفسه، ص33.

## الفصل الخامس: نقد أفكار لونوار عن المسيح.

اليَهُودُ وَالسَّاكِنُونَ فِي أُورُشَلِيمَ أَجْمَعُونَ، لِيَكُنْ هَذَا مَعْلُومًا عِنْدَكُمْ وَأَصْغُوا إِلَيَّ كَلَامِي<sup>(1)</sup> هنا نلاحظ أنّ بطرس دعا اليهود لا غير وفي موضع آخر: [أَيُّهَا الرِّجَالُ الْإِسْرَائِيلِيُّونَ اسْمَعُوا هَذِهِ الْأَقْوَالَ]<sup>(2)</sup>.

إلا أنّ لونوار والمؤمنين بعالمية رسالة المسيح يؤكّدون أنّ يسوع أثناء حياته على الأرض كان يصول ويجول ويصنع خيراً ويشفي المرضى ويعلم، وقد قدّم أسمى التعاليم وفي كثير من أقوله وأمثاله وتعاليمه ظهرت عالمية الدّعوة بكلّ وضوح<sup>(3)</sup> قال المسيح: [وَأَقُولُ لَكُمْ: إِنَّ كَثِيرِينَ سَيَأْتُونَ مِنَ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ وَيَتَّكِنُونَ مَعَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ]<sup>(4)</sup>، أمّا عن وصية يسوع يسوع لتلاميذه بعد قيامته حسب رواية مرقس قائلاً: [وَقَالَ لَهُمْ: «اذْهَبُوا إِلَى الْعَالَمِ أَجْمَعِ وَكُرِّزُوا بِالْإِنْجِيلِ لِلْخَلِيقَةِ كُلِّهَا»]<sup>(5)</sup> ذكر عبد الوهّاب: أنّ التبشير قد فرض على المسيحيين فرضاً بحيث أنّ قد تبين أنّ الأعداد الأخيرة من إنجيل مرقس يعتبرها علماء المسيحية دخيلة على الإنجيل الأصلي لمرقس، ولم تقبل به إلا بعد أكثر من مئة سنة بعد كتابته وأنّ كاتبها غير معروف البتة وأنّ هذا ما قرّره التّراجم الجديدة للكتاب المقدّس، والتي تقول: طبقاً لأفضل النّسخ فإنّ إنجيل مرقس ينتهي هنا (أي العدد8)، ومن ذلك يتّضح أنّ العدد15 الذي يقع في الجزء الأخير لا يمكن اعتباره أساساً شرعيّاً لفرض تبشير العالم على المسيحيين، ولما كان كلّ من متى<sup>(6)</sup> ولوقا<sup>(7)</sup> قد استخدم إنجيل مرقس أساساً لإنجيله فإنّ ما جاء بخاتمها الخاص بتبشير العالم لا يصلح أساساً لنفس الغرض<sup>(8)</sup>، وهناك تأكيدات عديدة تثبت أنّ بولس أوّل من قال بعالمية التّصراية وأفاض في شرحها برسائله وتكاد الأناجيل الأربعة أن تكون خالية، مما يدل على هذه الفكرة إلا ما ورد في إنجيل متى<sup>(9)</sup>: [فَاذْهَبُوا وَتَلْمِذُوا جَمِيعَ الْأُمَمِ وَعَمِّدُوهُمْ بِاسْمِ الْآبِ وَالابْنِ وَالرُّوحِ الْقُدُسِ]<sup>(10)</sup> فهذه الوصية وخصوصاً عبارة "وَتَلْمِذُوا جَمِيعَ

(1) أعمال الرّسل2: 14.

(2) أعمال الرّسل2: 22.

(3) فريز صموئيل: دعوة المسيح هل كانت عنصرية؟، (دط، مطبعة أوتوبرنت، 2002م)، ص22.

(4) متى8: 11.

(5) مرقس16: 15.

(6) انظر متى28: 19.

(7) انظر لوقا24: 48.

(8) أحمد عبد الوهّاب: حقيقة التبشير بين الماضي والحاضر، (ط1، مكتبة وهبة، القاهرة، 1981م)، ص113.

(9) محمد أحمد الحاج، مرجع سابق، ص89.

(10) متى28: 19.



## الفصل الخامس: نقد أفكار لونوار عن المسيح.

الأُمم " لم ترد عنه وقت حياته كلَّها التي عاشها على الأرض ولم يسمعها منه تلاميذه وحواريوه منه وقتئذٍ لأنَّ الفقرة تتضمن عبارات التثليث " بِاسْمِ الآبِ وَالابْنِ وَالرُّوحِ الْقُدُسِ " فكيف يستقيم ذلك علمًا أنَّ التثليث وألوهية المسيح لم تتقرَّر إلا في القرن الرَّابِع ميلادي في مجمع نيقية وألوهية الرُّوح القدس لم تتقرَّر إلا في مجمع القسطنطينية، ممَّا يحيلنا إلى اعتبار هذه الفقرة مصطنعة أُضيفت لاحقًا إلى الإنجيل خصوصًا أنَّها تناقض تعاليم المسيح<sup>(1)</sup> وقد جاء في دائرة المعارف البريطانية أنَّ تلاميذ المسيح ظلُّوا يوجِّهون اهتمامهم إلى جعل المسيحية دينًا لليهود وجعل المسيح أحد أنبياء بني إسرائيل وأنَّ اضطهاد الرُّومان لأتباع المسيح كان سببه أنَّ أباطرة الرُّومان لم يعرفوا عن دعوة المسيح سوى أنَّها امتداد لليهودية التي كانت شديدة التعصُّب عميقة الحقد والحسد فأثارت غضب الرُّومان، وأنَّ يسوع كان نبيًّا لمعاصريه من اليهود ولم يحاول قط أن ينشئ له كنيسة خاصة مغايرة لكنائس اليهود أو تعاليمهم<sup>(2)</sup>

(1) محمد عزت الطهطاوي: النَّصرانية والإسلام، ص 297

(2) المرجع نفسه، ص 300-301.

## الفصل الخامس: نقد أفكار لونوار عن المسيح.

### المبحث الثالث: علاقة المسيح بالله وهويته.

بعد إجابة لونوار عن السؤال الجوهرى لدراسته والمتمثل في (من هو يسوع؟) نأني هنا في هذا المبحث الأخير من البحث للإجابة عن نفس السؤال من مصادر إسلامية وعلى رأسها القرآن الكريم باعتباره الأول الذي كشف حقيقة شخص المسيح وهويته وعلاقته ومكانته عند الله، وكذلك الفرق بينه وبين باقي الأنبياء، وكما هو معلوم للجميع فإن القرآن الكريم ليس كتابًا تاريخيًا ولكنه يعطي صورة واضحة لبعض الأحداث وكذا الأنبياء من بينهم عيسى عليه السلام كما سنرى في هذا المبحث.

ذكر "وكيم إسكيف" في كتابه: "المسيح والنبوءات": "إنّ كُتّاب الأناجيل فصلّوا مسيحيًا على هواهم وأعطوه كل التفاصيل التي تتطلبها النبوءات، أيّ أنّ يسوع عبارة عن منتج مسبق الصنع، مركّب قطعة تلو القطعة، حيث جمع في نفسه كل نبوءات العهد القديم وهو مفتاح لحلّ لغز الكتب اليهودية، فالإيمان بالمسيح ابنًا لله ومخلصًا للعالم لا يمكن أن يتأتى من اليهودية الفريسية ولا من الكتب المقدسة عن طريق تفسيرها بشكل حرفي أو استنباطها من العهد القديم عن طريق تفسيرها علميًا عقليًا، لقد قلب المسيح كل طرائق التفكير المسيطرة على العقلية القديمة في إسرائيل<sup>(1)</sup>.  
ففي هذه الفقرة اعتراف صريح على تأويل نصوص الكتاب المقدس وتغيير معانيها ومضامينها، فرسالة المسيح ليست سوى تكملة لرسالة موسى، وعيسى ليس سوى نبي من أنبياء الله تعالى.

### المطلب الأول: علاقة المسيح بالله.

ركّز لونوار في مؤلفه على العلاقة الخاصة التي تميّز بها يسوع مع الإله، وأكد في كل أجزاء دراسته أنّ يسوع هو مختار الرب الذي يميّز بعلاقة فريدة من نوعها، والتي تبرّر دوره الخلاصي باعتباره الوسيط الوحيد بين الله والإنسان، هنا نطرح تساؤلًا مهمًا: هل يسوع هو الوحيد الذي نال فضل هذه العلاقة الخاصة بالإله؟ وباعتبار يسوع يهوديًا ومنتميًا إلى اليهودية نطرح سؤالًا آخر: هل وظّف اليهود هذا المفهوم؟ هذا ما سنحاول اكتشافه في نصوص العهد القديم وفي نصوص القرآن الكريم باختصار لمعرفة ما إذا كان يسوع وحده حظي بهذه الميزة أم لا.

(1) وكيم إسكيف: المسيح والنبوءات، (ط1، دار المشرق، بيروت، 1998م، ج30)، ص23.

## الفصل الخامس: نقد أفكار لونوار عن المسيح.

لفظة ابن في العهد القديم:

بيّنت نصوص الأناجيل أنّ صلة المسيح بخالقه كانت جد واضحة وبسيطة فهي عبارة عن علاقة عبد بمعبوده، ويتّضح ذلك عندما كان يصلي كما ورد في متى: [وَكَانَ يُصَلِّي قَائِلًا: «يَا أَبَتَاهُ، إِنْ أُمِّكَنْ فَلْتَعْبُرْ عَنِّي هَذِهِ الْكَأْسُ»<sup>(1)</sup>. عبد ضعيف يرجو رحمة بارئه: [فَقَالَ لَهُمْ: «نَفْسِي حَزِينَةٌ جِدًّا حَتَّى الْمَوْتِ! أُمِّكُوا هُنَا وَأَسْهَرُوا»، ثُمَّ تَقَدَّمَ قَلِيلًا وَحَرَ عَلَى الْأَرْضِ، وَكَانَ يُصَلِّي لِكَيْ تَعْبُرَ عَنْهُ السَّاعَةُ إِنْ أُمِّكَنْ»<sup>(2)</sup>

ركّز لونوار في كتابه لإثبات علاقة يسوع الفريدة بخالقه على المعمودية وعلى الكلام الذي سمعه بعد المعمودية: [وَكَانَ صَوْتُ مِنَ السَّمَاوَاتِ: «أَنْتَ ابْنِي الْحَبِيبُ الَّذِي بِهِ سُرَرْتُ»<sup>(3)</sup> لكن هنا لفظة "ابني" لا تدلّ على اختياره فقد وردت في العديد من المواضيع في العهد القديم: [أَقُولُ لِلشَّمَالِ: أَعْطِ، وَلِلجَنُوبِ: لَا تَمْنَعِ، إِيْتِ بِنِيِّ مِنْ بَعِيدٍ، وَبِنَاتِي مِنْ أَقْصَى الْأَرْضِ]<sup>(4)</sup> وفي مزامير داود: [إِنِّي أَخْبِرُ مِنْ جِهَةِ قِضَاءِ الرَّبِّ: قَالَ لِي: «أَنْتَ ابْنِي، أَنَا الْيَوْمَ وَلَدْتُكَ»<sup>(5)</sup>، وفي إشعيا أيضًا: [اسْمَعِي أَيُّهَا السَّمَاوَاتُ وَأَصْغِي أَيُّهَا الْأَرْضُ، لِأَنَّ الرَّبَّ يَتَكَلَّمُ: «رَبَّيْتُ بَيْنِينَ وَنَشَأْتُهُمْ، أَمَّا هُمْ فَعَصَوْا عَلَيَّ»<sup>(6)</sup> يعني عبده من بني إسرائيل، ولو لم ترد هذه التسمية إلا في المسيح لكان للتصاري فيها موضع شبهة، فما نرى المسيح له مزية على من وردت فيه هذه التسمية، وفي المزامير: [أَنَا قُلْتُ:

(1) متى 26: 39. / انظر أيضًا مرقس 14: 36.

(2) مرقس 14: 34-35.

(3) مرقس 1: 11.

(4) إشعيا 43: 6.

(5) مزمور 2: 7.

(6) إشعيا 1: 2.

## الفصل الخامس: نقد أفكار لونوار عن المسيح.

إِنكُمْ آلِهَةٌ وَبَنُو الْعَلِيِّ كُلُّكُمْ<sup>(1)</sup>، حيث أنّ هذه الأقوال يؤمن بها التّصاري ويعتقدون صحّتها، فإذا كان الأمر كما قالوا فما نرى المسيح إلّا منسوجًا على منوال غيره ممن تقدّمه<sup>(2)</sup>.

### عبارة مختار الرّب في العهد القديم:

عند البحث والنّظر في التوراة نجد العديد من العبارات التي تتحدّث عن مختار الرّب وعن المعجزات التي يصنعها الرّب وتجريها على يده، فيمكن للرّب أن يصنع عجائب متعدّدة من خلال عضو واحد في الجماعة ويجعله برهانًا حيًّا على القدرة الإلهية، والشخص المستحسن جدًّا لا يصبح ساحرًا أو كائنًا أعلى شأنًا ومثال ذلك يشوع حين أوقف الشّمس: [حِينَئِذٍ كَلَّمَ يَشُوعُ الرَّبَّ، يَوْمَ أَسْلَمَ الرَّبُّ الْأَمُورِيِّينَ أَمَامَ بَنِي إِسْرَائِيلَ، وَقَالَ أَمَامَ عِيُونِ إِسْرَائِيلَ: «يَا شَمْسُ دُومِي عَلَى جِبْعُونَ، وَيَا قَمَرُ عَلَى وَاوِي أَيَّلُونَ»، فَدَامَتِ الشَّمْسُ وَوَقَفَ الْقَمَرُ حَتَّى انْتَقَمَ الشَّعْبُ مِنْ أَعْدَائِهِ. أَلَيْسَ هَذَا مَكْتُوبًا فِي سِفْرِ يَاشَرَ؟ فَوَقَفَتِ الشَّمْسُ فِي كَبِدِ السَّمَاءِ وَلَمْ تَعْجَلْ لِلْغُرُوبِ نَحْوَ يَوْمٍ كَامِلٍ، وَلَمْ يَكُنْ مِثْلُ ذَلِكَ الْيَوْمِ قَبْلَهُ وَلَا بَعْدَهُ سَمِعَ فِيهِ الرَّبُّ صَوْتِ إِنْسَانٍ، لِأَنَّ الرَّبَّ حَارَبَ عَنِ إِسْرَائِيلَ]<sup>(3)</sup>.

فعند انتخاب الإله لشخص ترتبط به الأحداث العجيبة، وتحضر بحضوره، وتشهد به وتمنحه القدرة على تنفيذ مآرب إلهي، وإلى جانب موسى في العهد القديم فإنّ إيليا مثال شديد الأهمية وكذلك خلفه اليشع الذي يمارس شهادته ضد المرتدّين بين القبائل الشماليّة، ويقوم بعلاجات شفائية ويعيد الحياة إلى صبي ميّت: [وَدَخَلَ الْيَشَعُ الْبَيْتَ وَإِذَا بِالصَّبِيِّ مَيِّتٌ وَمُضْطَجِعٌ عَلَى سَرِيرِهِ... فَعَطَسَ الصَّبِيُّ سَبْعَ مَرَّاتٍ، ثُمَّ فَتَحَ الصَّبِيُّ عَيْنَيْهِ]<sup>(4)</sup>، وكذلك جعل ينبوعًا يعطي ماءً صالحًا للشّرب بإلقائه الملح فيه<sup>(5)</sup>، فيه<sup>(5)</sup>، ويضيف لحمًا إلى طعام من الخضرّة فيبطل مفعول عشبة سامة<sup>(6)</sup> وعندما يسقط حطّاب رأس

(1) مزمو 82: 6.

(2) أبو البقاء صالح بن الحسين الجعفري: الرد على التّصاري، تح: محمد محمد حساين، (ط1، دار التّوفيق التّمودجية، القاهرة، 1988م)، ص60.

(3) يشوع 10: 12-14.

(4) سفر الملوك الثاني 4: 34-36.

(5) انظر سفر الملوك الثاني: 2: 19-22.

(6) انظر سفر الملوك الثاني: 4: 38-41.

## الفصل الخامس: نقد أفكار لونوار عن المسيح.

فأسه الفولاذي في النَّهر يُسقط عصًا في المكان ذاته فيرتفع رأس الفأس إلى السُّطح<sup>(1)</sup> وفي كل حالة من هذه الحالات فإنّ تلميحاته المتكررة إلى دعائه للرب في النصوص المشار إليها يمنع القارئ من النسيان لمسألة من أين تأتيه تلك القدرة، ومن خلال ما سبق فإنّ موسى وإيليا واليشع نجدهم في علاقة خاصة مع الإله، شديدي القرب منه، شديدي الانسجام معه بحيث تكاد تبدو تلك المعجزات التي يقوم بها الرب من خلالها هي من عملهم، ومن المحتمل أنّه ليست لديهم فكرة عن كيفية حدوثها ومع ذلك هي تحدث<sup>(2)</sup>.

### معجزات يسوع ومعجزات أنبياء العهد القديم:

لو كانت العلاقة الخاصة التي تميّز بها يسوع بسبب معجزاته فقد ذكرت معجزات غيره مشابهة لها في العهد القديم وأذكر منها أيضًا:

إقامته للأموات: فقد سبقه إلى ذلك العديد من أنبياء العهد القديم منهم حزقيال: [..وَبَيْنَمَا أَنَا أَتَنَبَّأُ كَانَ صَوْتُ، وَإِذَا رَعَشْتُ، فَتَقَارَبَتِ الْعِظَامُ كُلُّ عَظْمٍ إِلَى عَظْمِهِ، وَنَظَرْتُ وَإِذَا بِالْعَصَبِ وَاللَّحْمِ كَسَاهَا، وَوَسَطَ الْجِلْدُ عَلَيْهَا مِنْ فَوْقَ، وَلَيْسَ فِيهَا رُوحٌ... فَتَنَبَّأْتُ كَمَا أَمَرَنِي، فَدَخَلَ فِيهِمُ الرُّوحُ، فَحَيُّوا وَقَامُوا عَلَى أَقْدَامِهِمْ جَيْشٌ عَظِيمٌ جِدًّا جِدًّا.]<sup>(3)</sup> وإيليا أحيًا ميتًا [..وَصَرَخَ إِلَى الرَّبِّ وَقَالَ: «يَا رَبُّ إِلَهِي، لِيَرْجِعْ نَفْسُ هَذَا الْوَلَدِ إِلَى جَوْفِهِ» فَسَمِعَ الرَّبُّ لِسَوْتِ إِيْلِيَا، فَرَجَعَتْ نَفْسُ الْوَلَدِ إِلَى جَوْفِهِ فَعَاشَ]<sup>(4)</sup>.

إكثار الطعام: قد فعلها اليشع وإيليا مثل يسوع تمامًا المرأة: [فَقَالَتْ: «حَيُّ هُوَ الرَّبُّ إِلَهِي، إِنَّهُ لَيْسَتْ عِنْدِي كَعَكَّةٌ، وَلَكِنْ مِلءُ كَفِّ مِنَ الدَّقِيقِ فِي الْكُوَارِ، وَقَلِيلٌ مِنَ الزَّيْتِ فِي الْكُوزِ، وَهِيَ أَنَا ذَا أَقْشُ عُوْدَيْنِ لَاتِي وَأَعْمَلُهُ لِي وَلابْنِي لِتَأْكُلَهُ ثُمَّ نَمُوتُ». فَقَالَ لَهَا إِيْلِيَا: «لَا تَخَافِي ادْخُلِي وَعَمَلِي كَقَوْلِكَ، وَلَكِنْ اْعْمَلِي لِي مِنْهَا كَعَكَّةٌ صَغِيرَةً أَوَّلًا وَاخْرُجِي بِهَا إِلَيَّ، ثُمَّ اْعْمَلِي لَكَ وَلابْنِكَ أَحْيِرًا كُوَارُ الدَّقِيقِ لَمْ يَفْرُغْ، وَكُوزُ الزَّيْتِ لَمْ يَنْقُصْ، حَسَبَ قَوْلِ الرَّبِّ الَّذِي تَكَلَّمَ بِهِ عَنْ يَدِ إِيْلِيَا]<sup>(5)</sup>.

(1) انظر سفر الملوك الثاني: 6: 1-7.

(2) المعجزات 57-58.

(3) حزقيال 37: 9.

(4) ملوك الأول 17: 23. وكذلك النبي اليشع، انظر: سفر الملوك الثاني 4: 32-35.

(5) ملوك الأول 17: 12-13. وكذلك اليشع، انظر: سفر الملوك الثاني 4: 2: 6.

## الفصل الخامس: نقد أفكار لونوار عن المسيح.

معجزة شفاء المبروصين<sup>(1)</sup>: [يَا لَيْتَ سَيِّدِي أَمَامَ النَّبِيِّ الَّذِي فِي السَّامِرَةِ، فَإِنَّهُ كَانَ يَشْفِيهِ مِنْ بَرَصِهِ].... فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ أَلِيشَعُ رَسُولًا يَقُولُ: «أَذْهَبْ وَاغْتَسِلْ سَبْعَ مَرَّاتٍ فِي الْأُرْدُنِّ، فَيَرْجِعَ لَحْمُكَ إِلَيْكَ وَتَطْهَرُ».... فَنَزَلَ وَعَطَسَ فِي الْأُرْدُنِّ سَبْعَ مَرَّاتٍ، حَسَبَ قَوْلِ رَجُلٍ لِلَّهِ، فَرَجَعَ لَحْمُهُ كُلَّهُ صَغِيرٍ صَغِيرٍ وَطْهَرُ. [2].

وقد ذكرنا هنا بشكل موجز معجزات إيشع، ذلك لأنَّ معجزات عيسى مثل معجزات إيشع ولا أحد من المسيحيين يقول بأنَّ هذا الأخير صار إلهًا كما يقول النصارى في يسوع أو يحظى بعلاقة فريدة مثل قول لونوار، فالإشع أحيًا ميتًا في حياته وبعد موته، ودفن ميتًا بجواره فحيا ببركة اللّمس، والمسيح لم يجي أحدًا بعد رفعه إلى السّماء، وتبأ الإشع بالغيب<sup>(3)</sup> كما تبأ المسيح، وسار على الماء كما سار المسيح على الماء وله مائدة سماوية مثل مائدة المسيح<sup>(4)</sup> ونجد أيضًا نبيّ الله موسى عليه السّلام أجرى الله على يده الكثير من المعجزات التي تفرّد بها ولم يؤت أي نبيّ مثلها مثل شقّ البحر وتحويل العصا إلى ثعبان، ومعلوم أنّ المسيح نفسه لم تكن له آيات مثل آيات موسى<sup>(5)</sup>، وكرّد على لونوار لماذا لا يكون الإشع أو أو موسى أيضًا صاحب علاقة مميّزة ووسيط الخلاص؟

### علاقة المسيح بالله في نصوص القرآن الكريم:

لقد ذكر لونوار في مؤلّفه أنّ المسيح تميّز بعلاقة فريدة مع الإله تلك العلاقة التي جعلت منه وسيطًا استثنائيًا بين الرّبّ والبشر ومختلفًا أيضًا على أنبياء بني إسرائيل السابقين الوسيطون الأولون، وبيننا في النّصوص السّابقة أنّه لا يختلف عن سبقه بسبب التشابه في المعجزات والاختيار، تأتي هنا مرّة أخرى لنرى هل خصّ المسيح عليه السلام في القرآن الكريم بعلاقة فريدة وبتعابير مقصودة:

تحدّث القرآن الكريم عن عبادة المسيح لله سبحانه وتعالى وأكّد أنّ أوّل كلمة نطق بها وهو في المهدي هي إعلانه العبودية المطلقة لله<sup>(6)</sup>: ﴿قَالَ تَعَالَى: ﴿قَالَ إِيَّيَّ عَبْدُ اللَّهِ ءَاتِنِي الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا﴾ ﴿٣٠﴾﴾

(1) الإمام الألوسي: الجواب الفسيح لما لفته عبد المسيح، تح: أحمد حجازي السّقا، (ط1)، دار البيان العربي بالقاهرة، 1978م، ج1، ص209.

(2) الملوك الثاني: 5: 3-14.

(3) انظر سفر الملوك الثاني: 2: 16-18.

(4) أحمد حجازي السّقا: الأدلة الكتابية على فساد التّصانيف، (دط، دار الفضيلة، القاهرة، 1991م)، ص37-38.

(5) ياسر جبر: البيان الصّحيح لدين المسيح، تق: عمر بن عبد العزيز القرشي و وديع أحمد فتحي، (ط1)، دار الخلفاء الرّاشدين، الإسكندرية، 2007م، ص277.

(6) عبد الرزاق رحيم صلال: العبادات في الأديان السّماوية، تد: إسماعيل الكردي، (ط1)، الأوائل للنشر والتوزيع، دمشق، 1، 2001م، ص216.



## الفصل الخامس: نقد أفكار لونوار عن المسيح.

(1) قَالَ تَعَالَى: ﴿لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ وَمَنْ يَسْتَنْكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا﴾ (2) قضية القمّة أنّه عبد الله وقضيّة الرّسالة هي نقل مراد الله إلى خلق الله حتى بينوا حركة حياتهم على مقتضى ما أنزل الله (3).

مكانة عيسى عليه السلام في القرآن الكريم مقارنة بالأنبياء الآخرين:

سنحاول هنا بيان مكانة ومنزلة عيسى عليه السلام وباقي الأنبياء عند الله سبحانه وتعالى، وهل هناك اختلاف في ذلك أم لا وفق النقاط التالية:

في التّشريف: قَالَ تَعَالَى: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِنْ قَبْلُ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ (4) وَرَكَرَبًا وَيَحْيَى وَعِيسَى وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِنَ الصّٰلِحِينَ (5) في هذه الآية ذكر عظيم المنّة على كافة الأنبياء صلوات الله عليهم، وبيّنت أنّه لولا تخصيصه إياهم بالتعريف، وتفضيل الله لهم على سواهم بغاية التشريف، لم يكن استحبابهم ولا استحقاق (5)، "وعيسى" بن مريم يفيد أنّ الذرية تتناول أولاد البنت أيضًا (6).

عدم التفريق بين الأنبياء: قَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ ءَأَمَنَا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَالنَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ (7) في هذه الآية أمر الله نبيّه بأن يجهر بالحقّ الذي فسق عنه أهل الكتاب، وأن يقيم إيمانه على الدّين الذي ارتضاه الله له، وللمؤمنين جميعًا، وهو الإيمان بالله، وما أنزل عليه من كتاب ربه، وما أنزل على الأنبياء قبله إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط، وما تلقى موسى وعيسى

(1) مريم 30.

(2) النساء 172.

(3) الشيخ محمد متولى الشعراوي، مرجع سابق، ص 55.

(4) الأنعام 84-85.

(5) عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري: لطائف الإشارات ( تفسير القشيري) تح: إبراهيم البسيوني، (ط3)، الهيئة المصرية العامة للكتاب (مصر، ج1)، ص 487.

(6) جلال الدين محمد بن أحمد المحلي وجمال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي: تفسير الجلالين (ط1)، دار الحديث - القاهرة القاهرة (دس)، ص 176.

(7) آل عمران 84.

## الفصل الخامس: نقد أفكار لونوار عن المسيح.

من آيات ربهما وكتبه، وما تلقى النبيون جميعًا من ربهم، لا تفرقة في هذا بين أحد منهم، فكلهم رسل كرام من رسل الله، سفراء بررة، بين الله وبين عباد الله<sup>(1)</sup>!

ميثاق وعهد واحد لجميع الأنبياء: ﴿قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا ﴿٧﴾ لِيَسْئَلَ الصَّادِقِينَ عَنْ صِدْقِهِمْ وَأَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٨﴾﴾<sup>(2)</sup>، تبين الآية بأن الله قد أخذ العهود والمواثيق المؤكدة من عموم الأنبياء والرسل تأكيدًا وإلزامًا، وهذه الآية خطاب للنبي محمد عليه الصلاة والسلام لتذكيره أن الله: أخذ من النبيين المبعوثين إلى الأمم الماضية ميثاقهم وعهودهم الوثيقة المؤكدة من نوح المنجي وإبراهيم الخليل وموسى الكليم وعيسى الصفي الخالص عن كدر الناسوت من قبل الأب لأنه ابن مريم لم يمسهما ذكر من بنى نوعها بل إنما ولدته بلا أب إرهابًا لها ومعجزة لابنها، خصَّ سبحانه هؤلاء الكرام بالذكر اهتمامًا بشأنهم صلوات الله عليهم وسلامه، أي كل واحد منهم ومن لم يذكر أساميهم من ذوى العزائم الخالصة ميثاقًا غليظًا وعهدًا وثيقًا محكمًا مؤكدًا على أن لا يتهاونوا ولا يتكاسلوا في ارشاد العباد وابعادهم عن الجور والفساد وإيصالهم إلى ما أعدد الله لهم من المراتب العلية والدرجات السنية وقد أنزل عليهم الكتب والصحف المشتملة على الأوامر والأحكام المقرّبة لتوحيد الله والعبودية والنواهي المبعدة عن الكفر والضلال<sup>(3)</sup>.

وحدة الدين: قَالَ تَعَالَى: ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ﴾<sup>(4)</sup> هذه الآية تبين وحدة الرسالات السماوية "شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ" شروع في تفصيل ما أجمله، أولاً بقوله تَعَالَى: ﴿كَذَلِكَ يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾<sup>(5)</sup> والخطاب في "لَكُمْ" لأمة محمد صلى الله عليه وسلم، "مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا"، وهو ما أمر به نوحًا عليه

(1) عبد الكريم يونس الخطيب: التفسير القرآني للقرآن، (دط، دار الفكر العربي - القاهرة، ج2)، ص 513.

(2) الأحزاب: 7-8.

(3) نعمة الله بن محمود النخجواني: الفواتح الإلهية والمفاتيح الغيبية الموضحة للكلم القرآنية والحكم الفرقانية، (ط1، دار ركابي للنشر - الغورية، مصر، 1999 م ج2)، ص 148.

(4) الشورى: 13.

(5) الشورى: 3.

## الفصل الخامس: نقد أفكار لونوار عن المسيح.

السّلام من التّوحيد الذي لم يختلف فيه الرّسل وتوافقت عليه الكتب، حيث قدّم نوحًا لأنّه أوّل أنبياء الشّريعة، وأوّل من أوحى إليه الحلال والحرام، وأوّل من أوحى إليه تحريم الأمهات والأخوات والبنات وسائر ذوات المحارم، فبقيت تلك الحرمة إلى الآن " **أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ** " أي: وشرع لكم يا أمة محمد صلى الله عليه وسلم - الذي أوحينا إلى نبيكم من القرآن، وشرائع الإسلام، والبراءة من الشرك، وتوجيه الخطاب إليه عليه الصلاة والسّلام بطريق التّلوين للتّشريف، والتنبية على أنّه تعالى، شرعه لهم على لسانه " **وَ** " شرع الله لكم أيضًا " **وَمَا وَصَّيْنَا** " أي: أمرنا " **بِهِةِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى** " ابن مريم - على نبينا، وعليهم الصلاة والسّلام - أمرًا أكيدًا، وحكمة تخصيص هؤلاء الخمسة بالذكر هنا، أنّهم أكابر الأنبياء، ومشاهيرهم من أولى العزم وأصحاب الشّرائع العظيمة، والأتباع الكثيرة<sup>(1)</sup>.

### المسيح واحد من أولي العزم من الرّسل:

يؤمن المسلمون بأنّ المسيح كان واحدًا من أعظم رسل الله ومن أولي العزم، ومن خلال الآيات السّابقة وتفسير العلماء المسلمين لها تتضح لنا صورة المسيح بحيث أنّه لم يكن سوى نبيًا مثل باقي الأنبياء وأمر بما أمر من سبقوه من الأنبياء، ولم يظهر بتاتًا كرجل مميز أو كحدث فريد في عالم مضطرب ولكن كرسولٍ مرسل مثل الرّسل الآخرين لعالمه وعصره وهو واحد منهم ونرى ذلك في قوله تعالى: ﴿ **وَأَن أَحْكُمُ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَأَحْذَرُهُمْ أَن يَفْتُونَكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ فَإِن تَوَلَّوْا فَاعْلَمُوا أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُصِيبَهُمْ بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِن كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ** ﴾<sup>(2)</sup>.

تفضيل الله لبعض أنبيائه ورسله:

في القرآن الكريم بعض الآيات التي تبيّن تفضيل الله تعالى لبعض أنبيائه ومن بينهم عيسى عليه السّلام، ولكنّ هذا التّفضيل الوارد في القرآن الكريم هل هو دليل اختياره بمفهوم لونوار؟ **قَالَ تَمَالَى: ﴿ **وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَى بَعْضٍ وَءَاتَيْنَا دَاوُدَ زُورًا** ﴾**<sup>(3)</sup> تبيّن الآية أنّ الله سبحانه وتعالى من جميع أصناف الخلائق يصطفي الأنبياء فيعطي كل منهم ما يستحقه وتقتضيه حكمته ويفضل بعضهم على بعض في جميع الخصال الحسية والمعنوية كما فضل بعض النبيين المشتركين بوحيه على بعض بالفضائل والخصائص الراجعة إلى ما منّ به عليهم من الأوصاف

(1) محمد الأمين بن عبد الله الأرمي العلوي الهري الشافعي: تفسير حدائق الروح والريحان في روائع علوم القرآن، مر: الدكتور هاشم محمد علي بن حسين مهدي، (ط1، دار طوق النجاة، بيروت - لبنان، 2001 م ج26)، ص58.

(2) المائة 46.

(3) الإسراء 55.

## الفصل الخامس: نقد أفكار لونوار عن المسيح.

الممدوحة والأخلاق المرضية والأعمال الصالحة وكثرة الأتباع ونزول الكتب على بعضهم المشتملة على الأحكام الشرعية والعقائد المرضية، كما أنزل على داود زبوراً<sup>(1)</sup>، وفي هذه الآية بعض مما وهب لنبية عيسى عليه السلام: ﴿قَالَ تَعَالَى: ﴿ تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِّنْ كَلِمَةِ اللَّهِ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ وَعَاتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيْتَ وَأَيْدِنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَقْتَلَ الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ مِّنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ وَلَٰكِنْ اٰخْتَفَوْا فَمِنْهُمْ مَّنْ ءَامَنَ وَمِنْهُمْ مَّنْ كَفَرَ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَقْتَلُوا وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴾ ﴾<sup>(2)</sup> " تِلْكَ الرُّسُلُ " الذين أنزلنا عليك خبرهم في القرآن يا محمد-عليه الصلاة والسلام-، " فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ " في الدنيا، ويقال: التفضيل يكون على ثلاثة أوجه: أحدها أن يكون دلالة نبوته أكثر والثاني: أن تكون أمته أكثر، والثالث: أن يكون بنفسه أفضل، ثم بين تفضيلهم فقال: " مِنْهُمْ مَّنْ كَلَّمَ اللَّهُ "، مثل موسى عليه السلام: " وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ " يعني إدريس عليه السلام كما قال تعالى: ﴿ وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا ﴾<sup>(3)</sup> وقال الزجاج: جاء في التفسير أنه أراد محمداً صلى الله عليه وسلم، لأنه أرسله إلى الناس كافة. وليس شيء من الآيات التي أعطاهها الله الأنبياء عليهم السلام إلا والذي أعطى محمداً صلى الله عليه وسلم أكثر، فذلك قوله: تَعَالَى: ﴿ وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ ﴾<sup>(4)</sup> " وَعَاتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيْتَ "، يعني العجائب والدلائل وهو: أنه يحيي الموتى بإذنه، ويبرئ الأكمه والأبرص بإذنه، فالبيئات لم يفضل بها نبي على نبي، ولم يخصص بها وتحجب عن سواه، وهي كانت تلازم الأنبياء، ولكنها كانت تختلف بالشكل والماهية وفقاً لحاجة الزمان والمكان دون تجاوز أو تخلف، لأن الله وحده يعرف كيف يعزز رسالته وكيف يؤيدها وينصرها<sup>(5)</sup> " وَأَيْدِنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ "، يعني أعناه بجبريل

(1) عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، تح: عبد الرحمن بن معلا اللويحي، (ط1، مؤسسة الرسالة، 2000 م)، ص460.

(2) البقرة: 253.

(3) مرتب 57.

(4) الزحرف 32.

(5) أحمد عمران: الحقيقة الصعبة في الميزان، (ط2، مؤسسة الأعلمي، بيروت، 1995 م)، ص304.

## الفصل الخامس: نقد أفكار لونوار عن المسيح.

حين أرادوا قتله<sup>(1)</sup>، وتأيد الله للمسيح بروح القدس ليس تفضيلاً واختياراً على غيره من الأنبياء لأن الله وحده يعلم كيف يهيئ أسباب الرسالة ووسائل الإقناع، وكان لها دوماً ارتباطاً بالبعد المكاني والبعد الزمني لا تختلف عنهما ولا تتجاوزهما، والروح القدس دوماً هو وسيلة اتصال بين الله ورسوله، فهو يحمل التعاليم ويلقيها إلى الرسول لكي يقوم بالتبليغ والدعوة والتبشير، والفعل "وَأَيَّدَنَاهُ" الوارد في الآية لا تعني التفضيل والتميز بين شخصين أو شيئين بل تعني المناصرة، فالفعل أيّد يعني ناصر وقوى كما في قوله<sup>(2)</sup> **﴿قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ﴾**<sup>(3)</sup>

وفي السنة النبوية عن أبي سعيد الخدري -رضي الله عنه- قال: قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: **[لَا تُحَيِّرُوا بَيْنَ الْأَنْبِيَاءِ]**<sup>(4)</sup> وَقَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **[لَا تُفَضِّلُوا بَيْنَ أَنْبِيََاءِ اللَّهِ]**<sup>(5)</sup>، أي لا تقولوا: فلان خير من فلان، ولا فلان أفضل من فلان، والمنع من التفضيل إنما هو من جهة النبوة التي هي خصلة واحدة لا تفاضل فيها، وإنما التفضيل في زيادة الأحوال والخصوص والكرامات والألطف والمعجزات المتباينات، وأما النبوة فهي نفسها لا تفاضل وإنما تتفاضل بأمر أخرى زائدة عليها، ولذلك منهم رسلٌ وأولو عزم، ومنهم من أخذ خليلاً، ومنهم من كلم الله والقول بتفضيل بعضهم على بعض إنما هو بما مُنح من الفضائل وأعطى من الوسائل<sup>(6)</sup>.

من خلال ما سبق نلاحظ عدم تخصيص عيسى ولا غيره من الأنبياء بعلاقة فريدة واستثنائية فكّلهم متساوون في النبوة ومختلفون في المعجزات والكرامات.

(1) أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي، بحر العلوم، تح: علي محمد وعلي أحمد عبد الموجود، (ط1)، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، 1993م، ج1، ص166.

(2) أحمد عمران، مرجع سابق، ص303.

(3) التحل102.

(4) الحافظ عبد العظيم بن عبد القوي المنذري: مختصر سنن أبي داود، تح: محمد صبحي بن حسن حلاق، (ط1)، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض المملكة العربية السعودية، 2010 م ج3، ص267.

(5) أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخراساني، أبو بكر البيهقي: شعب الإيمان، تح: الدكتور عبد العلي عبد الحميد حامد ومختار ومختار أحمد الندوي، (ط1)، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع بالرياض بالتعاون مع الدار السلفية بيومباي بالهند، 2003م، ج3، ص77.

(6) أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي: الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي)، تح: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، (ط2)، دار الكتب المصرية - القاهرة، 1964 م، ج3، ص261-262.





## الفصل الخامس: نقد أفكار لونوار عن المسيح.

ورد في كتاب صموئيل م زويمر "عيسى أم يسوع" أنّ التّبي محمد اخترع صيغة عيسى لتوازنها في اللفظ وسجعها مع لفظة موسى كما بدّل جليات<sup>(1)</sup> إلى جالوت<sup>(2)</sup> وشاول إلى طالوت أو أنّ كلمة عيسى هي تصحيف كلمة يسوع بقلب ترتيب الحروف العبرانية<sup>(3)</sup>.

وقد ذكرت المصادر الإسلامية أنّ عيسى أصله يسوع، كما قالوا في موسى: أصله موسى، أو ميشا بالعبرانية<sup>(4)</sup>.

وعيسى بالسريانية: يسوع ومعناه السيد أو المبارك<sup>(5)</sup>، وأصل كلمة "عيسى" يسوع، فحرفه اليهود إلى (عيسو) تَهكّمًا، فحوّله العرب إلى "عيسى" تشبّهًا باسم موسى وتبديل الواو بالألف سبب مبنّي على قواعد اللّغة العبرانية، بل والعربية<sup>(6)</sup>، وعيسى اسم معرب من يشوع أو يسوع وهو اسم عيسى ابن مريم قلبوه في تعريبه قلبًا مكانيًا ليجري على وزن خفيف كراهية اجتماع ثقل العجمة وثقل ترتيب حروف الكلمة، فإنّ حرفي علة في الكلمة وشينًا والحثم بحرف حلق لا يجري هذا التّنظيم على طبيعة ترتيب الحروف مع التنفس عند النطق بها، فقدموا العين لأنّها حلقيّة، فهي مبدأ النطق ثمّ حركوا حروفه بحركات متناسبة وجعلوا شينه المعجمة الثّقيلة سينًا مهملة فله فصاحة العربية، ومريم هي أم عيسى وهذا اسمها بالعبرانية نقل للعربية على حاله لخفته ولا معنى لمريم في العربية غير العلمية إلاّ أنّ العرب المنتصرة عاملوه معاملة الصفة في معنى المرأة المتباعدة عن مشاهدة التّساء لأنّ هاته الصّفة اشتهرت بها مريم إذ هي أول امرأة عبرانية خدمت بيت المقدس<sup>(7)</sup>.

(1) صموئيل الأوّل 17: 4 [فَخَرَجَ رَجُلٌ مُّبَارَزٌ مِنْ جِيُوشِ الْفِلِسْطِينِيِّينَ اسْمُهُ جُلْيَاتُ، مِنْ جَتَّ، طُولُهُ سِتُّ أذْرُعٍ وَشِبْرٌ].

(2) قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ﴾ البقرة 250.

(3) صموئيل م زويمر: عيسى أم يسوع، (ط1، شرع مناخ نمرة 37، 1914م)، ص13.

(4) أبو حفص سراج الدين عمر بن علي بن عادل الحنبلي الدمشقي النعماني اللباب في علوم تح: عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض، (ط1، دار الكتب العلمية - بيروت، لبنان، 1998م ج5)، ص224.

(5) أحمد بن مصطفى المراغي: تفسير المراغي، (ط1، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، 1946م ج1)، ص164.

(6) محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي: محاسن التأويل تح: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلميّة - بيروت، ط1، 1418 هـ ج7، ص97.

(7) محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي: التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»، الدار التونسية للنشر - تونس، دط، 1984 هـ ج1، ص594.

## الفصل الخامس: نقد أفكار لونوار عن المسيح.

من خلال هذا الإشارة الموجزة إلى آراء المسلمين ومفسري القرآن اتضح أنّ كلمة يسوع هي نفسها عيسى عليه السلام، ولقد تكرّر اسم عيسى في القرآن الكريم خمسة وعشرون مرّة وتكرّر لقب المسيح إحدى عشر مرّة<sup>(1)</sup> وذكر بالوصف مثل كلمة الله وروح الله وألقاب أخرى متعددة من التشريف موزعة على أكثر من خمس عشرة سورة مختلفة من كتاب الله، ويعتبر عيسى هو الاسم الأكثر استعمالاً بكلمة النبي مضافاً إليه ابن مريم<sup>(2)</sup>، وأربع مرات مقترناً بموسى، فعيسى هو نفسه يسوع المسيحين وهو نفسه يشوع لدى العبرانيين ويشوعو لدى السريان الغربيين ويشوعا أو إيشوعا عند السريان الشرقيين<sup>(3)</sup>.

لقد استعمل القرآن اسمين ليسوع الأناجيل أحدها صفة وهي المسيح والثاني اسم وهو عيسى والحال أنّ التسميتين لها دلالات على أهميته وميزته أمّا معنى يسوع في الأناجيل فهو يحمل دلالات عقديّة.

### هوية المسيح في نصوص القرآن الكريم:

إنّ البحث عن هوية أي شخص يستلزم معرفة أصله ونسبه، وهذا الأمر أغفله لونوار في كتابه سواء كان ذلك عمداً أو سهواً، وعدم دراسته لنسب المسيح يعتبر نقصاً في اكتمال الإجابة عن سؤاله الجوهري: **من هو يسوع؟**، خاصة وأنّ الأناجيل نسبت المسيح إلى يوسف النجار ومثل هذا الأمر لم يعد مقبولاً لا عقلاً ولا نقلاً بسبب تناقضات الأناجيل في هذه القضية من جانب ومن جانب آخر عدم وجود علاقة بين المسيح ويوسف النجار، حيث أنّ نسبه إليه مجرد إقحام للوصول إلى غاية تتمثل في إثبات نبوءة أنّ المسيح من نسل داود.

سنبين في بقية هذه الدراسة هوية وصورة المسيح كما صوّرها القرآن الكريم.

### اصطفاء مريم عليها السلام ونسب المسيح:

(1) أحمد محمد زين المتاوي: شهادة المسيح (قراءة رقمية قرآنية معاصرة)، موقع طريق القرآن (www.quranway.com)، (ط1، 2017م)، ص211.

(2) مثال: قال تعالى: ﴿قَالَ تَعَالَى: إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَرَبَّنَّ الْمُقَرَّبِينَ ﴿١٢٥﴾﴾ آل عمران.

(3) جوزيف فزي، مرجع سابق، 52.

## الفصل الخامس: نقد أفكار لونوار عن المسيح.

من حكم الله سبحانه وتعالى أن مهّد لقصة ميلاد المسيح بذكر الخصال الحميدة لوالدته مريم عليها السلام، فذكر فيها الله سبحانه وتعالى مقدمات ضرورية لإبراز عفتها وصورها ومكانتها، وأشار إلى اصطفاؤها وطهارتها واحصائها فرجها والنّفخة الإلهية فيها وحملها العجيب، ولا ننكر أنّ في القرآن الكريم قضايا كثيرة منها الغامض أو المسكوت عنه ومنها الملغز، ومن القضايا الملغزة قضية مريم وحملها بالمسيح عليه السلام<sup>(1)</sup>.

إنّ مريم أم عيسى تحتلّ مقامًا رفيعًا جدًّا في الإسلام، وهي المرأة الوحيدة التي ورد اسمها فيه أربعة وثلاثون مرّة، وأحيانًا ينسب إليها عيسى إليها -ابن مريم- بخلاف التّسميات السامية المألوفة التي تنسب الابن إلى أبيه مما يدل من جهة على ولادته المعجزة، ومن جهة أخرى على شرف ومكانة أمّه<sup>(2)</sup> كما يقول تعالى: ﴿وَجَعَلْنَاهَا وَأَبْنَاهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ﴾<sup>(3)</sup> أي دلالة وعلامة على قدرة الخالق الذي نوع في خلقه<sup>(4)</sup> وقال أيضًا: ﴿وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً﴾<sup>(5)</sup> فقصص القرآن الكريم قائمة على مواطن العبرة ومواقف التأمل السامي، وليس لذكر يوسف النّجار شيء من هذا وكونه تزوج مريم بعد ذلك لا يُصنّف ضمن مقام التّأسّي ولا يتعلق بهدف ديني، فلقد اهتم القرآن كثيرًا بنسب عيسى من جهة أمّه مريم وأكد اصطفاء الله لآل عمران، بل لم يصرّح القرآن باسم امرأة قط إلا باسم مريم بنت عمران التي ولدت عيسى وذلك لتأكيد بشرية عيسى وتنزيه الله عن الولد<sup>(6)</sup>.

### البشارة بميلاد المسيح:

قَالَ تَعَالَى: ﴿كَمْ هِيَ صَ ١ ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكْرِيَّا ٢ إِذ نَادَى رَبَّهُ وَنِدَاءَ حَفِيًّا ٣ قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَأَشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا ٤ وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِنْ وَرَائِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا ٥ يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ٦ يَلْزَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَى لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا ٧ قَالَ رَبِّ أَتَى بِكَ الْكِبْرَ عِتِيًّا ٨ قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّبٌ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ

(1) حسنى يوسف الأطير: سر المسيح في دور التكوين هل كان إنسيًا؟، (ط1، دار طيبة، الجيزة، 2013م)، ص236-237.

(2) جوزيف فزي، مرجع سابق، ص23.

(3) الأنبياء91.

(4) فاطمة فوزي: أسرار اصطفاء السيّدة العذراء، (ط1، دار الكتاب الحديث، القاهرة، 2016م)، ص74.

(5) المؤمنون50.

(6) محمد سيّد أحمد المسير، مرجع سابق، ص48.

## الفصل الخامس: نقد أفكار لونوار عن المسيح.

تَكَ سَيِّئًا ﴿١﴾ قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً ۖ قَالَ آيَاتِي لِلَّذِينَ نَزَّلْنَا سَوِيًّا ﴿٢﴾ فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ فَأَوْحَىٰ إِلَيْهِمْ أَنْ سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴿٣﴾ يَلِيحِي خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ ۚ وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا ﴿٤﴾ وَحَنَانًا مِن لَّدُنَّا وَزَكَاةً ۖ وَكَانَ تَقِيًّا ﴿٥﴾ وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَكُن جَبَّارًا عَصِيًّا ﴿٦﴾ وَسَلَّمٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا ﴿٧﴾ وَأذْكَرٌ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا ﴿٨﴾ فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴿٩﴾ قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ ۖ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا ﴿١٠﴾ قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا ﴿١١﴾ قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمَسِّنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا ﴿١٢﴾ قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ ۖ وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً ۖ مِمَّا وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا ﴿١٣﴾ ﴿١﴾.

لقد احتلت قصة ميلاد عيسى عليه السلام حيزًا مهمًا في سورة مريم وآل عمران وفي سور أخرى من القرآن الكريم لما لها من أهمية في الكشف عن حقيقة شخصه وهويته ومهمته، وقبل أن يتحدث القرآن عن ميلاده تحدث عن مجيء الملائكة بالبشرى لزكريا عليه السلام بيحي، بعدها بالبشرى للسيدة مريم العذراء بالمسيح عليه السلام<sup>(2)</sup>، لكن وضع المبشرين مختلف وتلقي الخبر منهما يكون له رد فعل يغير ما في نفس الآخر، واستغراب كل منهما يكون لجانب أشد التصاقًا بحاله ووضعه، فقال زكريا عليه السلام عندما جاءته البشرى قال تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ وَامْرَأَتِي عَاقِرٌ﴾<sup>(3)</sup> وقالت مريم عليها السلام عند ما جاءتها البشرى قال تعالى: ﴿قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمَسِّنِي بَشَرٌ﴾<sup>(4)</sup> حيث ورد في كلام زكريا عليه السلام لفظ الغلام وهو الموافق والمطابق لحاله لأنه رجل متزوج ومن شأن المتزوجين كما هي العادة أن يولد لهم، ولكن الغريب والمعجز في الأمر حصول ولادة في هذه السن المتأخرة من حياته وامراته عاقر، فكانت الكلمة التي تؤدي الغرض ووجه الاستغراب هي كلمة "غلام"، أما مريم عليها السلام فالتعجب كان من جانب آخر إذ إنهما عذراء ولم يمسهما بشر ولم تك بغيا، فالغربة والمعجزة أن تلد وهي عذراء، فكانت الكلمة المعبرة التي تؤدي المعنى بدقة وتوضح وجه الاستغراب لها هي كلمة "ولد"، أما مجيء لفظ غلام في كلام السيدة مريم عليها السلام في قوله ﴿قَالَ

(1) مريم 1-21.

(2) وهبة بن مصطفى الزحيلي: التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، (ط2)، دار الفكر المعاصر - دمشق 1418 هـ، ج16، ص47.

(3) آل عمران 40.

(4) آل عمران 47.

## الفصل الخامس: نقد أفكار لونوار عن المسيح.

إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا ﴿١٦﴾ قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمَسِّنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا ﴿١٧﴾ ﴿١﴾ فهو من قبيل تردي اللفظة التي سمعتها من المخاطب، فشدة الاستغراب والدهشة تجعل السامع يردد نفس الكلمة التي سمعها كما في جواب القائل<sup>(2)</sup>، وعيسى تجرى عليه الفاظ لا تجري على القرآن، لأنه يسميه مولودًا وطفلاً وصبيًا وغلماً، يأكل ويشرب، وهو مخاطب بالأمر والنهي، يجري عليه اسم الخطاب والوعد والوعيد، ثم هو من ذرية نوح، ومن ذرية إبراهيم<sup>(3)</sup>.

مولد عيسى عليه السلام وكلامه في المهد:

قَالَ قَمَالِي: ﴿ فَحَمَلَتْهُ فَانْتَبَذَتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا ﴿٢٢﴾ فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَلَيْتَنِي مِثُّ قَبَلِ هَذَا وَكُنْتُ نَسِيًّا مَنْسِيًّا ﴿٢٣﴾ فَنَادَاهَا مِنْ تَحْتِهَا أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا ﴿٢٤﴾ وَهَرِيءَ إِلَيْكَ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقُ عَلَيْكِ زُطْبًا جَنِيًّا ﴿٢٥﴾ ﴾<sup>(4)</sup>.

افتتحت سورة مريم بقصة ولادة يحيى بن زكريا عليهما السلام من أب شيخ كبير وأم عاقر لا تلد، ولكن بقدره الله القادر على كل شيء وخلافاً للمعتاد وإجابة لدعاء الوالد الصالح حدث ذلك، و بعد قصة زكريا تأتي قصة ولادة عيسى من مريم العذراء ومن غير أب لتكون دليلاً آخر على القدرة الربانية، وقد أثار ذلك موجة من التقدر واللوم والتعنيف خفف منها كلام عيسى وهو طفل في المهد تبرئة لأمه، ووصف نفسه بصفات النبوة والكمال، واقترن المخاضُ بحدثين غريبين: هما نداء عيسى لأمه حين الولادة بالألا تحزن: فقد جعل الله تحتها نهرًا، وأمرها بأن تهرئ النخل أحدًا بالأسباب لإسقاط الرطب<sup>(5)</sup>، وانتقلت الآيات بعدئذٍ إلى بيان جانب من قصة إبراهيم الخليل عليه السلام، ومناقشته أباه في عبادة الأصنام، وإكرام الله له بعبته - وهو كبير، وامرأته سارة عاقر - أن ولدا إسحاق ومن بعده ابنه يعقوب

(1) مريم 19-20.

(2) مصطفى مسلم: مباحث في إعجاز القرآن، (دط، دار القلم - دمشق، 2005 م)، ص 140.

(3) أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني: الرد على الجهمية والزنادقة، تح: صبري بن سلامة شاهين، (ط 1، دار الثبات، دس)، ص 125.

(4) مريم 22-24.

(5) الآيات " [16 - 36] .

## الفصل الخامس: نقد أفكار لونوار عن المسيح.

وجعلهما نبيين، كما حدث فعلاً عند ولادة إسماعيل قبل ذلك وإبراهيم شيخ كبير بعد دخوله على<sup>(1)</sup> زوجته هاجر<sup>(2)</sup>.

كلام عيسى عليه السلام في المهد:

لقد كانت مريم عليها السلام خائفة من قومها بعد ولادة ابنها ولكن كلام عيسى عليه السلام في المهد جعلها مطمئنة: **قَالَ تَعَالَى: ﴿ قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ ءَاتَنِي الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ۖ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ۖ وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا ۗ وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ۗ ﴾**<sup>(3)</sup>، وهذا الكلام الذي نطق به عيسى عليه السلام ليس له ذكر في الأناجيل لا من قريب ولا من بعيد ولكن السؤال المطروح هنا، إذا كان المسيح لم يتكلم في المهد فلماذا لم يقم اليهود الحد على مريم؟

الإجابة: لو لم يتكلم عيسى عليه السلام في المهد ويبرأ أمه، لحكم اليهود على والدته بالحرق تطبيقاً لشريعتهم: **[وَإِذَا تَدَنَسَتْ ابْنَةُ كَاهِنٍ بِالرَّنِيِّ فَقَدْ دَنَسَتْ أَبَاهَا بِالنَّارِ تُحْرَقُ]**<sup>(4)</sup> وبما أن اليهود لم يحرقوها ولم يمسخوها بأذى، فلا بد أن تكون قد أتت بالدليل<sup>(5)</sup>.

في السياق القرآني لقصة المسيح عليه السلام أكد القرآن أكثر من مرة بأن عيسى تكلم في المهد وبرأ أمه من البهتان وانتصر للحق كشاهد لا يكذب في قضية غاب شهودها ولم تذكر الأناجيل شيئاً عن هذا الموقف ولم تكن هذه المعجزة الشيء الوحيد الذي تركته الأناجيل، بل إن مولد عيسى من عذراء لما يمسخها بشر أغفلته الأناجيل وذكرت نسب المسيح من جهة يوسف النجار<sup>(6)</sup>.

عيسى مخلوق بكلمة الله:

**قَالَ تَعَالَى: ﴿ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ فَعَامِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ﴾**<sup>(7)</sup> عيسى - عليه السلام - خلقه الله من دون أب: وخلق روحه

(1) وهبة بن مصطفى الزحيلي: التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، (ط2)، دار الفكر المعاصر - دمشق ط2، 1418 هـ، ج16، ص47.

(2) الآيات 41-50.

(3) مريم: 30-33.

(4) لاويين 21: 9.

(5) صلاح عبد الفتاح الخالدي: القرآن ونقض مطاعن الرهبان، (ط1)، دار القلم، دمشق، 2007 م، ج2، ص17.

(6) محمد سيد أحمد المسير، مرجع سابق، ص48.

(7) النساء: 171.



## الفصل الخامس: نقد أفكار لونوار عن المسيح.

بكلمته التكوينية، "كُنْ"، وأمر جبريل أن يحمل روحه المخلوقة، وأن يتوجّه إلى مريم العذراء، وأن ينفخ تلك الروح فيها، فحملت مريم ببعيسى بأمر الله، وكان حمل معجزة بأمر الله، وبعد ولادة عيسى بلحظات كلّم أمّه، وبعد ذلك كلّم قومها، فهو عبد الله ورسوله، وهو كلمته التكوينية "كُنْ"، والروح التي فيه روح من عند الله، وهو خير من يقدّم نفسه، عندما كلّم قوم أمّه بعد ميلاده<sup>(1)</sup>، وسمي عيسى عليه السّلام بكلمة الله من باب إضافة التّشريف وإضافة المخلوق إلى الخالق كما نقول: بيت الله وناقّة الله، ولأنّ عيسى نفس منفوسة خلقها الله عزّ وجلّ بالكلمة "كن" فكان عيسى كلمة الله وروح الله<sup>(2)</sup>، ثمّ إذا نظرنا إلى معنى الرّوح وجدناها تعني الحياة المدووعة في الأشباح والمواليد لآجال معلومة ولا يعلم كنه حقيقتها سوى مبدعها وغاية ما نطقت به الكتب المنزّلة كونها من أمر الله<sup>(3)</sup>.

### المسيح رسول الله:

رأينا في المطالب السابقة بأنّ يسوع كان نبياً ورسولاً ولم يدع إلا إلى عبادة الله وحده لا شريك له وهذا ما أكّدته العديد من آيات الدّكر الحكيم كما في قوله **تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ﴾**<sup>(4)</sup>، وقد ردّ القرآن الكريم على كل تحريف وانحراف يمس شخص عيسى عليه السّلام وأمّه أو رسالته: **قَالَ تَعَالَى: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَلَاثَةٌ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾**<sup>(٧٣)</sup> أفلا يتوبون إلى الله ويستغفرونه، والله غفورٌ رحيمٌ ﴿٧٤﴾ مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ انظُرْ كَيْفَ بَيَّنُّ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ انظُرْ أَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴿٧٥﴾.

عيسى كمثل آدم:

(1) صلاح عبد الفتاح الخالدي: القرآن ونقض مطاعن الرهبان، (ط1، دار القلم، دمشق، 2007 م)، ص288.

(2) عبد الله محمد المعتاز: عيسى ابن مريم، (دط، مكتبة دار السّلام الرّياض، 1434هـ)، ص26.

(3) أبو بكر عبد الرزاق: آية الله في خلق السيّد المسيح من روحه، (دط، دار الإعتصام، القاهرة، 1890م)، ص61.

(4) التّساء171.

(5) المائدة73-75.

## الفصل الخامس: نقد أفكار لونوار عن المسيح.

قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾<sup>(1)</sup> يعني تبارك وتعالى أن خلق الله لعيسى من غير أب مثل خلقه لآدم من تراب ثم قال له كن فيكون من غير أب ولا ذكر ولا أنثى، فليس خلق عيسى من أمه من غير أب بأعجب من خلق آدم من غير ذكر ولا أنثى<sup>(2)</sup>، وقد نزلت هذه الآية في وفد نجران وذلك لأتّهم قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم: [مَا لَكَ تَشْتُمُ صَاحِبَنَا، قَالَ: «وَمَا أَقُولُ؟» قَالُوا: تَقُولُ إِنَّهُ عَبْدُ اللَّهِ، قَالَ: «أَجَلٌ هُوَ عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ وَكَلِمَتُهُ أَلْفَاهَا إِلَى مَرْيَمَ الْعَذْرَاءِ الْبُتُولِ»، فَغَضِبُوا وَقَالُوا: هَلْ رَأَيْتَ إِنْسَانًا قَطُّ مِنْ غَيْرِ أَبِي؟] فأنزل الله تعالى هذه الآية: "إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ"<sup>(3)</sup> في كونه خلقه من غير أب: "كَمَثَلِ آدَمَ"، وفي كتاب الرسول عليه الصلاة والسلام إلى النجاشي الأصحم ملك الحبشة، كتب له: [سَلَامٌ عَلَيْكَ، أَمَا بَعْدُ: فَإِنِّي أَحْمَدُ إِلَيْكَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ، الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهِمُّ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رُوحَ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْفَاهَا إِلَى مَرْيَمَ الْعَذْرَاءِ الْبُتُولِ الطَّيِّبَةِ الْحَصِينَةِ، فَحَمَلَتْ بِعِيسَى فَهُوَ مِنْ رُوحِ اللَّهِ، وَإِنِّي أَدْعُوكَ إِلَى اللَّهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنْ تَتَّبِعَنِي وَتُؤْمِنَ بِي، فَإِنِّي رَسُولُ اللَّهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ وَاسْتَوْصِ خَيْرًا بَابِنِ عَمِّي جَعْفَرٍ وَبِمَنْ مَعَهُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَتَوَاضَعْ لَهُمْ وَلَا تَتَكَبَّرْ عَلَيْهِمْ، وَالسَّلَامُ]. فكتب إليه النجاشي: [بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ إِلَى مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللَّهِ مِنَ النَّجَاشِيِّ الْأَصْحَمِ بْنِ أَبِي جَرٍّ، سَلَامٌ عَلَيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَرَحْمَةٌ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانِي لِلْإِسْلَامِ، وَقَدْ بَلَّغَنِي كِتَابَكَ فِيمَا ذَكَرْتَ مِنْ أَمْرِ عِيسَى، فَوَرَبِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، إِنَّ عِيسَى مَا يَزِيدُ عَلَيَّ مَا ذَكَرْتَ تُفْرُوقًا وَقَدْ عَرَفْتُ مَا بَعَثَ بِهِ إِلَيْنَا، وَقَدْ قَرَّبْنَا ابْنَ عَمِّكَ وَأَصْحَابَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ، وَقَدْ أَسْلَمْتُ عَلَى يَدِ ابْنِ عَمِّكَ وَبَايَعْتَهُ وَأَسْلَمْتُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَقَدْ بَعَثْتُ إِلَيْكَ بَابِنِي أُرْهَى ابْنَ الْأَصْحَمِ، وَإِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَإِنْ شِئْتَ أَنْ آتِيكَ بِنَفْسِي فَعَلْتُ وَالسَّلَامُ]<sup>(4)</sup>، وقد أقرّ النجاشي بأن ما يقوله

(1) آل عمران: 59.

(2) حسن عزالدّين الجمل: إنّ مثل عيسى عند الله كمثل آدم، (ط1، دار الكتاب العربي، بيروت، 1984م)، ص13.

(3) أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي: معالم التنزيل في تفسير القرآن، تح: عبد الرزاق المهدي، (ط1، دار إحياء التراث العربي - بيروت، 1420 هـ ج1)، ص449.

(4) شمس الدين أبو المظفر يوسف «سبط ابن الجوزي»: مرآة الزمان في تواريخ الأعيان: تح: عمار ربحاوي، (ط1، دار الرسالة العالمية، دمشق - سوريا، 2013 م، ج3)، ص403.

## الفصل الخامس: نقد أفكار لونوار عن المسيح.

القرآن عن عيسى عليه السلام هو ما يؤمنون به<sup>(1)</sup> وفي هذه الشهادة دلالة على أن المسيح عليه السلام كان رسول وبشّر بالنبي محمد عليه الصلاة والسلام.

تحذير القرآن من الغلو في عيسى عليه السلام:

لقد حدّثت الآيات القرآنية من الغلو في عيسى عليه السلام، واعتبرته تقوّلًا باطلاً على الله عز وجل: **قَالَ تَمَالَى: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ أَنْتَهُمْ خَيْرًا لَكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهُ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾<sup>(2)</sup>** فهذه هي حقيقة المسيح التي أوضحها القرآن في مواضع كثيرة منه<sup>(3)</sup> **قَالَ تَمَالَى: ﴿ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ﴾<sup>(4)</sup>**.

في ختام هذا المبحث يتضح أنّ عيسى عليه السلام لم يكن سوى نبياً مثل باقي الأنبياء الذين سبقوه، ولو كان غير ذلك لكان واجباً على موسى عليه السلام وباقي الأنبياء وعيسى عليه السلام نفسه أن يصرّحوا بذلك بما أنّ الأمر متعلّق بأمرٍ مهمّ يحدّد المصير الدنيوي والأخروي للإنسان الذي يؤمن به، فمن خلال تتبّع الآيات القرآنية ونصوص العهد القديم والجديد اتضحت معالم شخص يسوع وهويته ومهمّته والمضمون الحقيقي لرسالته دون تعقيد، فالمسيح منذ ميلاده وحتى وقت بعثته عاش إنساناً عادياً، فحادثة ميلاده الفريدة من نوعها وكلامه في المهدي لم يحدث له طوال تلك الفترة حادثة ترفعه عن مرتبة الآدميين، أو يشمّ منه خروجه عن فطرة البشر العاديين.

(1) إبراهيم عوض: مع الجاحظ في رسالة الرد على التصاري، (دط، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، دس)، ص125.

(2) النساء 171.

(3) منقذ بن محمود السقار: الله جلّ جلاله واحد أم ثلاثة؟، (ط1، دار الإسلام للنشر والتوزيع، 2007م)، ص11.

(4) مريم 34.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية



جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

- خاتمة البحث.
- توصيات البحث.



### خاتمة:

في ختام هذه الدراسة التي أرجو من الله عزّ وجلّ السداد والتوفيق، وأتمنى أني قد وفقت في تسليط الضوء على معالم يسوع المسيح كما صوّرها الكاتب "فريدريك لونوار" في كتابه المثير للجدل وتحليلها ونقدها بطريقة موضوعية حيادية موضحة أهمّ نقاط الاختلاف بين آراء لونوار والعقيدة المسيحية بعد مجمع نيقية من جانب، وبين رأي لونوار وموقف القرآن الكريم من شخص يسوع المسيح من جانب آخر.

ومن أهمّ النتائج التي توصلت إليها في هذه الأطروحة وفي دراستي لكتاب فريدريك لونوار، والتي قمت بتقسيمها إلى قسمين: نتائج خاصة بالكتاب وأخرى خاصة بنظرة لونوار ليسوع:

### نتائج متعلقة بكتاب فريدريك لونوار:

- إنّ الدراسات الغربية الحديثة لا تهدف كلّها إلى فصل الأرض عن السماء، ولا هي تدعو إلى إنكار الإيمان أو التحلي عنه، بل سعت للرجوع إلى الإيمان الصحيح والعقيدة القويمة وهو ما قام به لونوار في دراسته حين أعاد دراسة القرون الأولى من تاريخ المسيحية محاولاً كشف بعض الحقائق المخفية وتصحيح بعض المفاهيم المغلوطة واعتمد على إثر ذلك أهم المصادر المسيحية وعلى رأسها العهد الجديد.
- مشكلة الدراسة وصياغة تساؤل البحث في كتاب فريدريك لونوار كان جدّ واضح بالنسبة إلى أيّ قارئ، فبمجرد قراءة العنوان يتّضح أنّ الكاتب هدفه بيان المسار التاريخي لتأليه المسيح وتوضيحه.
- لقد سعى لونوار إلى الكشف عن هوية يسوع المسيح بطريقة تدريجية محترماً الترتيب الكرونولوجي للأحداث ومعتمداً على مناهج علمية أهمّها المنهج التاريخي والوصفي.
- عُرضت أفكار الكتاب بشكلٍ متسلسلٍ وشيقيّ، يتجلّى ذلك بوضوح في ربطه بين مراحل تطوّر حياة يسوع ابتداءً من ميلاده إلى غاية انعقاد مجمع خلقيدونية، والتي اعتبرها المرحلة الحساسة التي تشكّلت فيها العقائد المسيحية في صيغتها النهائية.
- من مميزات كتاب فريدريك لونوار أيضاً سلاسة أسلوبه وبساطته، إذ ينتقل بسلاسة من فصل الى آخر ومن السهل إلى الصعب ثمّ إلى الأصعب، حيث جاء الفصل الأول مدخلاً تمهيدياً عرّف فيه



## خاتمة البحث.

يسوع للذين لديهم معرفة ضئيلة أو ليست لهم أدنى معرفة سابقة بحياته بين معاصريه قبل أن يصل القارئ إلى الفصول الأكثر صعوبة ويطلع على الجدالات اللاهوتية بحيث يكون قد خطى خطوة طويلة وأصبح مستعدًا لفهمها.

● لم يكن اهتمام لونوار في مؤلفه يتمحور حول إثبات تحريف نصوص الكتاب المقدس بصفة عامة ونصوص الأناجيل بصفة خاصة كباقي أغلب النقاد الغربيين المشهورين أمثال: سبينوزا، فلهاوزن، شتراوس، بارت إيرمان، إنوك باول وغيرهم... بل كانت مصادر معلوماته واعتمادها كحجة وبرهان لإثبات نظريته، وهو ما يعاب عليه في هذا المؤلف بحكم أنه لم يأخذ بعين الاعتبار الحملة التقديرة الشرسة التي شنها الغرب المسيحي على نصوص الكتاب المقدس وإبطال موثوقيتها ومصداقيتها وإثبات أنها نص بشري لا يتجاوز حدود الأرض، وبالتالي عدم إمكانية الاعتماد عليها واعتبارها مصدرًا صحيحًا أساسيًا لإثبات نظريته.

● رغم عدم اهتمام لونوار بالنقد النصي للكتاب المقدس إلا أن كتابه يعتبر في نظري مرجعًا علميًا مهمًا لأي باحث في مجال مقارنة الأديان خاصة الدراسات المسيحية التاريخية، وذلك لما يحتويه من موضوعات وقضايا وأحداث مهمة تساعد طالب العلم المتخصص في فهم أعمق لأهم المراحل التاريخية لتأليه المسيح.

● تتجلى قيمة الكتاب وأمانة الكاتب وموثوقية معلوماته في توظيفه لمصادر مسيحية معروفة عند المتخصصين، واستشهد بأقوال الآباء وشهادات المؤرخين بكل موضوعية، ففريدريك لونوار ترك نصوص كبار المؤرخين تكشف وتحدث عما وقع حقيقة في تاريخ المسيحية.

● يعتبر كتاب فريدريك لونوار مصدرًا أساسيًا ومهمًا للإجابة عن العديد من الأسئلة التي ظلت تتكرر طيلة قرون عديدة في مقدمتها: من هو يسوع؟

● بخصوص حداثة الموضوع كونه مبتكرًا وجديدًا لا يمكن القول بذلك كليًا، لأنّ جلّ ما قام به الكاتب هو إعادة هيكلة وإعادة صياغة وقائع وأحداث كان معظمها معروفًا ومعلومًا عند المتخصصين قديمًا وحديثًا، إذ قام الكاتب بجمع ما هو قديم وما هو حديث، ليخرج لنا بكتابه المثير

## خاتمة البحث.

للجدل بأسلوبه الخاصّ مع تركيزه على بعض الأحداث والوقائع التي تسعى الكنيسة دائماً إلى إخفائها.

● لقد اتّسم بحث فريدريك لونوار بسمات البحث الجديد أو ما يعرف بالحقبة الثالثة عن شخص يسوع المسيح، وهي لا تركز كثيراً على الجانب اللاهوتي بل تركز بجرأة على تاريخية الأحداث.

### نتائج عن نظرة لونوار إلى يسوع:

● قام فريدريك لونوار بعرض رسالة المسيح في حلّة جديدة، وما يميّزها عن أغلب الدراسات الحديثة هو أنّه لم يخرجها عن أصلها السّماوي فغايتها إصلاح ما أفسده اليهود وإخراجها من دائرة اليهود إلى البشر أجمع.

● لقد قام لونوار برسم صورة عن يسوع وفق نظريته الخاصّة استناداً إلى المجتمع الذي يعيش فيه وعلاقته باليهود والبيئة والخلفية الاجتماعية لذلك العصر.

● كما رأينا سابقاً أقرّ لونوار بأهمية رسائل بولس والأناجيل السّينوبتيّة في معرفة يسوع إلّا أنّها لم تعط أجوبة شافية بشأن هوية يسوع، وعلى الرّغم من أنّها أظهرته إنساناً عادياً إلّا أنّ المفارقات حول هويته كانت بارزة.

● من أدلة لونوار على بشرية يسوع تصويره لميلاد يسوع خالٍ من المعجزات، وكون يسوع له إخوة ومهنته كحرفي، ولتأكيد بشرية يسوع وجسده الإنساني ركّز الكاتب على المصادر القديمة التي تصف عمق بشريته ويظهر ذلك حين صلبه أثناء تضرّعه لله قبل صلبه والقلق الذي انتابه وطلبه الخلاص التي رآها كلّها صفات إنسانية.

● لقد اعتبر لونوار يسوع المسيح نبياً مُصلحاً خرج من رحم اليهود غايته تجديد دينهم، وأكد أنّ أقدم الألقاب التي أطلقت على يسوع هي لقب النّبي وابن الإنسان، واعتبر رسالته رسالة عالمية لجميع البشر.

● أكّد لونوار في مؤلّفه أنّ يسوع ليس مؤسس دين جديد بل يهودي يؤمن بإله أحدٍ ويرتدي ملابسهم، ويتخيّر أكله وفق الشّروط اليهودية، ويؤمن بقيامة الأموات ولم يدع إلى تأسيس دين جديد بل إصلاح إيمان إسرائيل.

## خاتمة البحث.

- مضمون رسالة المسيح في نظر لئونار محبة الرب والقريب والجميع وحتى المنبوذين والأعداء.
- لقد أقرّ لئونار بأنّ يسوع مرسل من عند الربّ ورسالته كرسالة باقي الأنبياء الذين سبقوه والمذكورين في العهد القديم، ولكن الاختلاف حسب رأيه يتمثل في أنّ يسوع هو طريق الخلاص الوحيد واعتبره الوسيط الوحيد بين الله والبشر، والإيمان به هو الطريق الوحيد لتحقيق ذلك.
- يسوع فريدريك لئونار يهوديٌّ ولكنّه لا ينتمي إلى أي فرقة يهودية، هو رجل ثوري وثورته تتجلى في إعطاء نفسه الحق والحرية في تفسير التوراة، وكسر بعض المقدّسات اليهودية مثل تقديس السّبت وقداسة الهيكل.
- اعتبر لئونار أنّ الطّقوس والممارسات اليهودية لا معنى لها إلّا إذا ارتبطت بجمال الباطن.
- اعتبر لئونار رسالة يسوع رسالة أخلاقية أعادت اليهودية إلى مبادئها الأصلية والإنسانية، بعيدًا عن التّعقيدات التي فرضها اليهود على أنفسهم من طقوس وممارسة قاهرة.
- تركيز لئونار على جمالية رسالة المسيح في مضمونها وما تحويه من تعاليم بيّنت موقفه من ألوهية يسوع التي يراها غير منطقية، رغم إقراره بأنّ يسوع ليس رجلًا عاديًا ولكن ليس إلى درجة أن يكون إلهًا.
- حديث لئونار عن معجزات المسيح ليس نقدًا لها كما هو متعارف عند أغلب نقّاد الغرب المسيحي، بل رأى أنّ سلطة ممارستها والقيام بها مستمدّة من الله وبالتالي كانت سببًا في كونه الوسيط الوحيد بين الله والبشر.
- يرى لئونار أنّ يسوع مختار الربّ وبرهان اختياره هو انفتاح السّماوات له عند تعميده على يد يوحنا المعمدان وحادثة التجلي التي تدلّ أيضًا على اختيار الربّ لأنبيائه من بينهم يسوع.
- يسوع لئونار هو المسيح والمسيّا المنتظر من طرف اليهود الذي جاء ليقم لهم مملكة أرضية.
- يسوع لئونار مات وقُبر وفي اليوم الثالث قام وبقي يظهر لتلاميذه وأتباعه والمؤمنين به إلى يومنا الحالي وهو السّبب الذي جعل المؤمنين به متمسكين بإيمانهم في كل العصور رغم الاضطهادات التي تعرّضوا لها وهو ما أطلق عليه الحضور الفعلي لیسوع في نفوس المؤمنين، وأكّد بأنّ التلاميذ شهدوا يسوع في اختبار روحي، واعتبر انجيل يوحنا هو الإنجيل الذي يُشعر الفرد بالحضور الفعلي لیسوع.

## خاتمة البحث.

- لقد اعتبر لونوار حدث القيامة محطة انطلاق الرّسل لفهم شخص يسوع والكشف عن هويته، ويظهر ذلك في مسارعتهم للتبشير بقيامته.
- ثلاثة أمور اعتبرها لونوار أساس معرفة هوية يسوع: المعمودية التجلي والقيامة واعتبرها إعلان الاختيار.
- لقد ذكر لونوار أنّ هوية يسوع في الأناجيل كانت غامضة والشاهد على ذلك تلاميذه الذين صعب عليهم معرفته في بعض الأحيان، بل حتّى الآباء وجدوا صعوبات في تصوّر شخصية يسوع خاصّة بعد صلبه وقيامته حسب تصوّر المسيحي، فالأناجيل تحتوي على العديد من الألقاب البشرية والإلهية التي أطلقت على يسوع، ورغم أنّ تلاميذه لم يجرؤوا على استعمال الألقاب الإلهية إلا أنّ معالم معلّمهم بدأت تأخذ بعدًا آخر أدّى إلى ظهور أسئلة كثيرة أهمها علاقة الناسوت باللاهوت.
- ذكر الكاتب أنّ نشر دعوة المسيح خارج مجتمع اليهود أدّى إلى انفصال المسيحية عن اليهودية، وهذه الخطوة في نظره هي التي غيرت الكثير من الأفكار والمفاهيم أهمّها تأليه المسيح.
- أكّد لونوار بأنّ فكرة تأليه المسيح لم تأخذ صفتها الشرعية إلا بعد انعقاد مجمع نيقية الذي كان ثمرة صراع كبير من أجل جمع أتباعه تحت عقيدة واحدة بعد تدخل الإمبراطور، وبهذا تمّ طمس عقيدة التلاميذ الأوائل والأتباع قبل مجمع نيقية.
- رغم تدخل الأباطرة للفصل في عقيدة تأليه المسيح ركّز لونوار في مؤلّفه على ذكر عدم استسلام المؤمنين ببشرية يسوع والدّفاع عن معتقداتهم لمُدّة طويلة حتى بعد مجمع نيقية.
- رأى لونوار في عقيدة التثليث أنّها مستمدّة من الثّقافة الوثنية؛
- رغم ميول لونوار إلى التوحيد وإقراره ببشرية يسوع وبنوّته إلا أنّه من الصّوري الإشارة إلى إنّه: لا بدّ من النّظر في مصداقية وموضوعية شهادة الأناجيل وقيمتها التّاريخية.
- يستحيل دراسة شخصية يسوع دراسة حيادية وموضوعية وإثبات هويته ومعالم شخصه بشكل واضح من خلال الأناجيل وحدها نظرًا لتناقضها وتضاربها في رواياتها، بالتالي لا يمكن لأيّ مؤرّخ أن يصل إلى حقيقة كاملة بشأن هويته.

## خاتمة البحث.

- القول بوقوع القيامة يعارضه تضارب الأناجيل حول الحادثة واختلافها حول رواية تفاصيلها، بالإضافة الى عدم رؤية تلاميذه له لحظة قيامته، ما يُحيلنا إلى عدم ثبوت قيامته بأدلة قاطعة، كما أنّ أغلب الدّراسات الغربية أكّدت بعد دراسات دقيقة أنّ القيامة لم تعد مقبولة.
  - أمّا عن موقف القرآن الكريم من جميع ما ذكره لئونوار عن يسوع رغم اعترافه ببشريته مرفوض، فالحضور الفعلي وظهوره المستمر لأتباعه وقيامته وغيرها من الأمور المذكورة سابقاً غير مقبولة في الاعتقادات الإسلامية.
  - المسيح في القرآن الكريم ما هو إلاّ نبيّ وامتداد لتعاليم الرّسل الذين سبقوه، وواحد من الأنبياء الذين أرسلهم الله لهداية البشر.
- وأخيراً وليس آخراً يبقى يسوع الشخصية الأكثر جدلاً في الغرب المسيحي ويظلُّ في نظرنا نحن المسلمين نبياً من أولي العزم أكرمه الله بمعجزات وكرامات لم يحظ بها غيره من البشر.
- وختاماً أحمد الله عزّ وجل على توفيقه ومنّه وكرمه أن منحني القوّة والصبر على إنهاء هذه الرّسالة، وأعتذر عن كل خطأ أو سهو أو تقصير صدر مني عمداً أو سهواً.
- وأخر دعوانا أنّ الحمد لله ربّ العالمين.

## توصيات.

### توصيات البحث:

- إنّ دراسة هوية يسوع المسيح في مختلف ثقافات الباحثين الغربيين بشكل خاصّ والإحاطة بدورهم ومساهماتهم في الدّراسات والأبحاث الدّينية بشكل عام أصبح واجباً معرفياً لا بدّ منه بالنّسبة للباحثين العرب والمسلمين، وذلك من أجل الاطلاع على كلّ جديد تُخَطُّه الدّراسات الغربية الحديثة باعتبار أنّ الغرب حالياً هو المتحكّم في أدواتها المعرفية، وعليه أقترح وأوصي غيري من الطّلبة الباحثين بما يلي:
- وجب على الباحثين تكثيف جهودهم واهتماماتهم ببحوث مقارنة الأديان بصفة عامة والدّراسات المسيحية بصفة خاصة، مع ضرورة التّوعية بأهميتها باستمرار في تصحيح بعض المفاهيم المغلوطة.
  - وجب أيضاً على المخلصين في علمهم وأبحاثهم العمل بجدّ وإخلاصٍ من أجل إنتاج دراسات علمية دقيقة موزونة ذات فائدة علمية وإنسانية، مع الاعتماد على مناهج علمية حديثة معاصرة والاطّلاع على البحوث المستجدة، وكذلك محاولة المشاركة فيها والاستفادة منها.
  - محاولة ابتكار طرق جديدة ووسائل حديثة تؤثر في علمية البحث العلمي وتحقّق الباحثين على العمل والإنتاج أكثر، وذلك بإنشاء فرق وورشات عمل جادّة وكذا تنظيم لقاءات دورية وخرجات ميدانية نحو مختلف المناطق الأثرية ودور العبادات الخاصّة بمختلف الأديان لمعرفة تاريخها ومعتقداتها.
  - ضرورة التّعاطي مع الدّراسات الأجنبية، وتخصيص وقت لتعلّم اللّغات المختلفة، بحُكم أنّ مجال مقارنة الأديان لا معنى له من دون إتقانها.
  - إنجاز بحوث مماثلة لهذا البحث تتناول تحليل ونقد موقف الغرب من شخص يسوع المسيح والسّعي إلى مقارنتها بالدّراسات الإسلامية، وذلك بالعمل على تقريب وجهات النّظر وفتح باب الحوار للتّواصل مع المخالفين دينياً وفكرياً دون تساهل مفرط أو تشدّد منبوذ يؤدّي إلى العنف.
- وفي ختام هذا البحث أجدّد التّية وأذكّر بأنّ هذا العمل كان خالصاً لوجه الله تعالى، حيث أنّ الغاية منه هي المساهمة في إثراء المكتبة العربية وإفادة طلبة مقارنة الأديان بجديد الدّراسات الغربية التي تتطرّق الى شخص يسوع المسيح، خاصة وأنّ صاحب الدّراسة من الشّخصيات المؤثّرة والنّشطة في مواقع التّواصل الاجتماعي، فأردت التّعريف بكتابه وبنظريته إلى شخص يسوع المسيح.
- وآخر دعوانا أنّ الحمد لله رب العالمين، والسلام عليكم ورحمة الله.





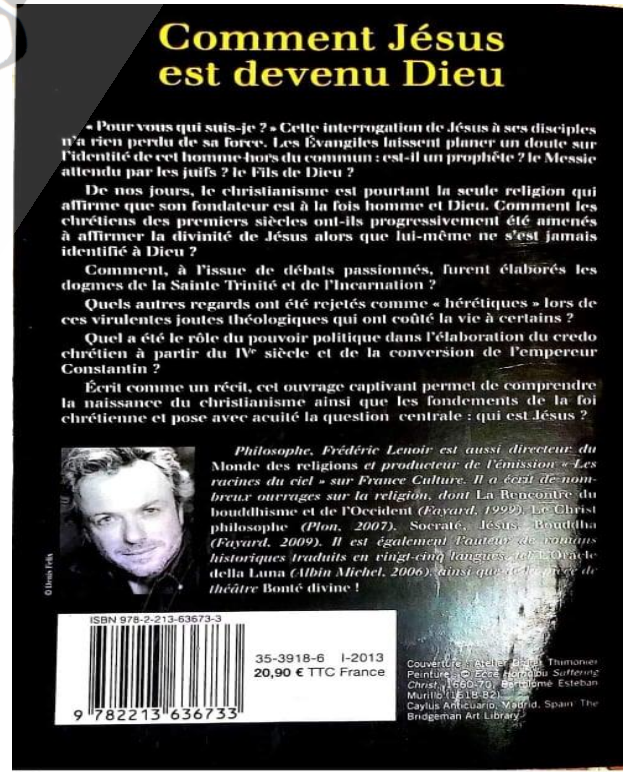
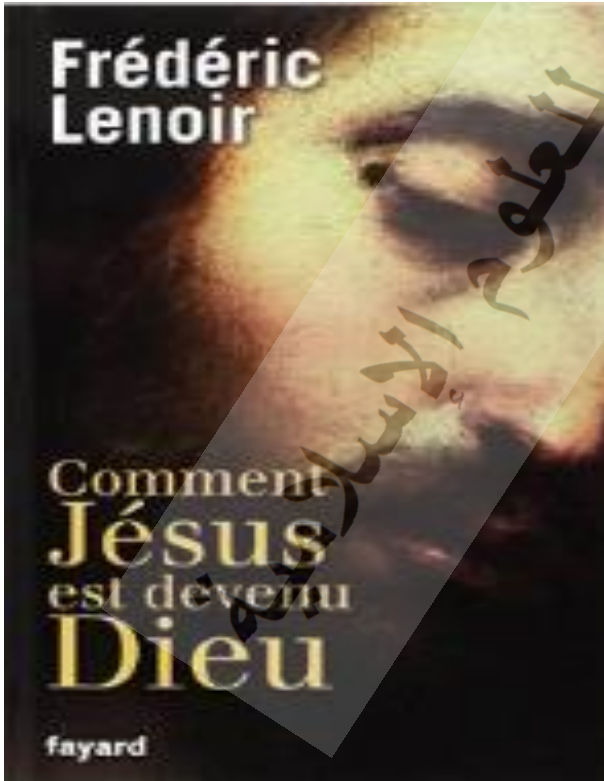
# الإسلام

- صورة الكاتب والغلاف الخارجي للكتاب.
- ترجمة لمقدمة كتاب فريدريك لونوار.
- ترجمة لخاتمة كتاب فريدريك لونوار.





صورة للفيلسوف فريديريك لونوار



صورة غلاف كتاب: "كيف أصبح يسوع إلهاً" لفريديريك لونوار

مقدمة كتاب فريدريك لونوار:

[فَقَالَ يَسُوعُ لَهُمْ: وَأَنْتُمْ، مَنْ تَقُولُونَ إِنِّي أَنَا؟]<sup>(1)</sup>.

حوالي ما يقارب ألفي سنة من موت يسوع المسيح، لم يفقد سؤاله الموجه إلى تلاميذه قوته، بل على العكس من ذلك، فقد ساهمت الأجوبة العديدة التي تراكمت على مرّ العصور في تضخيم الضبابية التي تحيط بهوية هذا الرجل.

من يسوع؟ هل هو نبي؟ رجلٌ مستنير؟ معلّمٌ روحيّ حكيمٌ؟ مصلحٌ اجتماعي؟ المسيح المنتظر من طرف اليهود؟ مظهرٌ من مظاهر القدرة الإلهية؟ إله متجسّد؟ أم مجنونٌ توهم بأنه بُعث من طرف الإله؟ سواءً تأثرنا ب حياة ورسالة يسوع أم قاذنا مجردُ فضولٍ باتجاه أثر غير عاديّ إلى رجل مات مصلوبًا وسنّه لم يتجاوز 36 عامًا، تبقى قضية -من هو يسوع- قضيةً رئيسيةً وهامةً في تاريخ البشرية.

مؤرّخو الأديان يدعمون أيضًا هذه القضية لسبب محدد، والذي يتمثل في كون يسوع المؤسس الوحيد لديانةٍ-الديانة المسيحية بحكم أنه شخصية أساسية فيها-، وأعظم حكيم في التاريخ الروحي ترك خلفه غموضًا محاطًا بهويته الحقيقية.

موسى، كونفوشيوس، بوذا، سقراط ومحمد كل هؤلاء يعدّون بشرًا فانين<sup>(2)</sup>، سواءً اعتبروا أنفسهم من الحكماء أم من الأنبياء في النهاية هم بشرٌ، إذ لم تصدر منهم شخصيًا أو من طرف أتباعهم أيّ عبارةٍ تركت غموضًا بشأن طبيعتهم، لهذا تبقى حالة يسوع حالة استثنائية لسببين:

● **أولاً:** الشهادات الأولى المكتوبة عنه (الأنجيل الإزائية ورسائل بولس) تُظهره دائمًا في صورة إنسان وأكثر من إنسان في الوقت نفسه، وله أيضًا صلة فريدة بالإله تربطه به وتجعل منه في الواقع كائنًا استثنائيًا في تاريخ البشرية.

● **ثانيًا:** النصوص نفسها أيضًا تؤكد بالإجماع أنّ تلاميذه رأوا معلّمهم يسوع قد قام من بين الأموات، رغم أنّ هذا الحدث يبقى غير معقول ولا يمكن تصديقه مع ذلك فقد ثبت وعزز إيمانهم بعد النهاية المساوية التي نالها يسوع.

مثل هذه الشهادة سواءً كانت حقيقية أم وهمية تعدّ فريدة من نوعها في تاريخ الأديان، فلم يسبق أنّ قيل عن مؤسس أيّة ديانةٍ أو معلّمها الروحي أنّه قام من بين الأموات وظلّ يظهر لأتباعه مدّة

(1) مرقس 8: 29.

(2) Frédéric Lenoir, Comment Jésus est devenu Dieu, Fayard, France, 2010, p09.

## الملاحق.

أربعين يومًا بهيئته الجسديّة أحيانًا (يمكنه الأكل معهم ولمسه)<sup>(1)</sup> وبهيئة نورانية أحيانًا أخرى، إلى جانب قدرته في اختراق الأبواب المغلقة<sup>(2)</sup>.

كما سنرى لاحقًا، يتهرّب يسوع - من خلال الأقوال المنسوبة إليه - من الكشف عن هويته الحقيقية، حيث رفض الإجابة بوضوح عن سؤال رئيس كهنة أورشليم لما سأله قائلاً: [أَنْتَ الْمَسِيحُ ابْنُ الْمُبَارَكِ؟]<sup>(3)</sup>، ونفس الشيء كان مع سؤال الحاكم الروماني بيلاطس البنطي حين سأله: [أَنْتَ مَلِكُ الْيَهُودِ؟]<sup>(4)</sup> فأجابه يسوع قائلاً: [أَنْتَ تَقُولُ]<sup>(5)</sup>، وهي الإجابة التي أدت إلى إدانته.

عندما يتحدّث يسوع عن نفسه يستحضر ألقابًا مطلقة التّأويل، حيث يطلق على نفسه: (ابن الله) و(ابن الإنسان) وبذلك يعطي لنفسه مقامًا خاصًا، كما أنّه ينادي الإله بـ: "أبي" ممّا يستدعي فهم وجود علاقة خاصّة بين يسوع والإله<sup>(6)</sup>.

يسوع رغم أنّه لا يتساوى مع الإله لكنّه جاء منه، ميلاده قدّم كمعجزة، وكذلك قيامته من بين الأموات، والشّهادات المكتوبة عنه في العقود الأولى التي تلت موته لم تتحدّث بشكل واضح وصریح عن ألوهيّته، فالحديث عن تأليه المسيح لم يظهر إلّا مع بداية القرن الميلادي الثّاني وتدوين إنجيل يوحنا الذي يصف يسوع بالإله المتجسّد، بالتالي: لم يعد هذا الأخير مجرد "ابن الله الحبيب"<sup>(7)</sup> أو رسول الله<sup>(8)</sup> أو المسيح<sup>(9)</sup>، بل أصبح هو الله نفسه بعد أن أخلى ذاته آخذًا صورة بشرٍ، فيوحنا يقول في فاتحة إنجيله: [فِي الْبَدْءِ كَانَ الْكَلِمَةُ، وَالْكَلِمَةُ كَانَتْ عِنْدَ اللَّهِ، وَكَانَ الْكَلِمَةُ اللَّهُ<sup>(10)</sup>... وَالْكَلِمَةُ

(1) لوقا 24:39 [أَنْظُرُوا يَدَيَّ وَرِجْلَيَّ: إِنِّي أَنَا هُوَ! جُثُونِي وَأَنْظُرُوا، فَإِنَّ الرُّوحَ لَيْسَ لَهُ لَحْمٌ وَعِظَامٌ كَمَا تَرَوْنَ لِي]، 40 وَحِينَ قَالَ هَذَا أَرَاهُمْ يَدَيْهِ وَرِجْلَيْهِ، 41 وَبَيْنَمَا هُمْ غَيْرُ مُصَدِّقِينَ مِنَ الْفَرَحِ، وَتَتَعَجَّبُونَ، قَالَ لَهُمْ: «عِنْدَكُمْ هَهُنَا طَعَامٌ؟» 42 فَتَنَاوَلُوهُ جُزْءًا مِنْ سَمَكٍ مَشْوِيٍّ، وَشَيْئًا مِنْ شَهْدِ عَسَلٍ، 43 فَأَخَذَ وَأَكَلَ قُدَّامَهُمْ].

(2) يوحنا 20:19 : [وَلَمَّا كَانَتْ عَشِيَّةُ ذَلِكَ الْيَوْمِ، وَهُوَ أَوَّلُ الْأَسْبُوعِ، وَكَانَتْ الْأَبْوَابُ مُغْلَقَةً حَيْثُ كَانَ التَّلَامِيذُ مُجْتَمِعِينَ لِسَبَبِ الْخَوْفِ مِنَ الْيَهُودِ، جَاءَ يَسُوعُ وَوَقَفَ فِي الْوَسْطِ، وَقَالَ لَهُمْ: «سَلَامٌ لَكُمْ!»].

(3) مرقس: 14: 61.

(4) مرقس: 15: 02 .

(5) مرقس 15: 02 وفي متى 11:27: [فَوَقَفَ يَسُوعُ أَمَامَ الْوَالِي. فَسَأَلَهُ الْوَالِي قَائِلًا: «أَنْتَ مَلِكُ الْيَهُودِ؟» فَقَالَ لَهُ يَسُوعُ: «أَنْتَ تَقُولُ»].

(6) Ibid : p10.

(7) متى 17:3: [وَصَوَّتْ مِنَ السَّمَاوَاتِ قَائِلًا: «هَذَا هُوَ ابْنِي الْحَبِيبُ الَّذِي بِهِ سُرَرْتُ»].

(8) يوحنا 20:13: [الْحَقُّ الْحَقُّ أَقُولُ لَكُمْ: الَّذِي يَقْبَلُ مِنْ أَرْسَلُهُ يَقْبَلُنِي وَالَّذِي يَقْبَلُنِي يَقْبَلُ الَّذِي أَرْسَلَنِي].

(9) متى 08:23: [وَأَمَّا أَنْتُمْ فَلَا تَدْعُوا سَيِّدِي، لِأَنَّ مُعَلِّمَكُمْ وَاحِدَ الْمَسِيحِ، وَأَنْتُمْ جَمِيعًا إِخْوَةٌ].

(10) يوحنا 1: 1.

صَارَ جَسَدًا وَحَلَّ بَيْنَنَا، وَرَأَيْنَا مَجْدَهُ، مَجْدًا كَمَا لَوْحِيدٍ مِنَ الْآبِ، مَمْلُوءًا نِعْمَةً وَحَقًّا»<sup>(1)</sup>، وبهذا وبهذا وُلِدَتْ نظرية الآلهة البشرية<sup>(2)</sup>.

مثل هذا التأكيد الذي يتناقض بشدة مع العقيدة اليهودية ويتعارض مع العقل أدى إلى نشأة العديد من الجدالات داخل رحم المسيحية الأولى: كيف يمكن للإله أن يتجسد دون أن يفقد شيئاً من صفاته المطلقة؟ هل يمكن للإله أن يتعدّب ويموت؟ كيف يمكن التوفيق بين الجانبين اللاهوتي والتأسوتي في شخص يسوع المسيح؟ إذا كان يسوع هو الإله فلماذا يتحدث عن أبيه الذي أرسله<sup>(3)</sup>؟ هل هناك العديد من الآلهة؟ إذا كانت الإجابة نعم، كيف يمكن الحديث عن وحدانية الله التي تعدّ من أسس التوحيد<sup>(4)</sup>.

المفكّرون المسيحيون حسب فيلون الإسكندري قاموا بتوظيف العديد من مفاهيم وتصوّرات الفلسفة الإغريقيّة في محاولة منهم لصرف التناقضات المحيطة بشخص يسوع وإعطاء صورة أوضح وصياغة أفضل لفهم هويّة المسيح.

لهذا نشأ علم اللاهوت خلال القرنين الثاني والثالث، وبزغت العديد من مدارس الفكر المسيحي من بينها مدرسة الإسكندريّة، أنطاكية، القسطنطينيّة، وروما، حيث حاولت كلّ مدرسة فكّ الشيفرات المحيطة بهويّة المسيح<sup>(5)</sup>، أين اندلعت نيران الفتنة وأخذت النزاعات تتفاقم بين نفمي ولعني... وطالما يعيش المسيحيون أقلّيّة مضطهدة في ظلّ الحكم الرّوماني الذي يدين بالوثنيّة وتعدّد الآلهة، كانت هذه الشجارات اللاهوتية في بداية أمرها تقتصر فقط على التعبير عن الإيمان، وبقيت على هذا الحال إلى غاية ظهور حدث تاريخي غير متوقّع ومفاجئ، وذلك حين قرّر الإمبراطور قسطنطين في القرن الثالث للميلاد إيقاف الاضطهادات الموجهة ضدّ المسيحيين، ولم يكتفِ بإصدار ذلك القرار فقط، بل زاد عليه بأن قام بتوحيد الإمبراطورية الرومانية تحت راية هذه الديانة التي اعتقد أنّها صالحة وقادرة على محاربة الانحلال والفساد داخل المجتمع الرّوماني<sup>(6)</sup>.

(1) يوحنا 1: 14.

(2) Ibid. p11.

(3) يوحنا 5: 30: «أنا لا أفدّرُ أن أفعلَ مِنْ نَفْسِي شَيْئًا. كَمَا أَسْمَعُ أَدِينُ، وَدَيْنُونَتِي عَادِلَةٌ، لِأَنِّي لَا أَطْلُبُ مَشِيئَتِي بَلْ مَشِيئَةَ الْآبِ الَّذِي أَرْسَلَنِي».

(4) Ibid, p11.

(5) Ibid, p11.

(6) Ibid, p12



## الملاحق.

لكن سرعان ما تفتنّ هذا الإمبراطور إلى أنّ انقسامات المسيحيين بشأن طبيعة المسيح ستدمر مشروعه ومن الضروريّ أن يتفق تلاميذ يسوع فيما بينهم على هذه المسألة المهمّة، ولأسباب سياسيّة بارزة دعا إلى عقد مجمع في نيقيا سنة 325م يجمع من خلاله كلّ الطوائف المسيحيّة المنتشرة داخل إمبراطوريته الشاسعة وحتى خارجها، وناشدهم أن يتفقوا على النقطة المهمّة التي ظلت تفرّقهم طيلة القرنين الماضيين: من هو يسوع؟ الرّجل المختار الذي رُفِعَ إلى مقام الإله من طرف الآب، أم هو الإله المتجسّد؟، ولحسم هذه القضيّة احتاجت تلك الطوائف إلى قرن آخر من الجدالات والمناظرات الحادّة، تجسّدت في ثلاثة مجمّعات مسكونية أخرى تميّزت كواليسها بصلافة وعناد الأباطرة الذين أتوا بعد الامبراطور قُسطنطين، وذلك لإجبار اللاهوتيين المسيحيين على التوافق للوصول إلى إجماع الأغليبيّة من أجل تقرير أسس العقيدة المسيحية التي تُرضي الجميع:

- "الثالوث اللاهوتي": الإله واحد وثالوث في نفس الوقت: الآب، الابن، والرّوح القدس.
- الابن (الكلمة) يحمل طبيعتين، طبيعة إلهيّة وأخرى بشرية، حيث يسوع كان التجسد البشري للكلمة الإلهيّة (logos)، إذًا يسوع إله حق وإنسان حق، مولود غير مخلوق، مساوٍ للآب في الجوهر<sup>(1)</sup>.

أصبحت هذه الصياغة اللاهوتيّة المعقّدة ركيزة أساسية يقوم عليها الإيمان المسيحيّ ومازالت كذلك بغضّ النظر عن اتجاه الكنيسة: كاثوليكي، أرثوذكسي أو بروتستانتي، ومع ذلك لم تختفِ كل الآراء اللاهوتيّة الأخرى، بل أدّت إلى ظهور الكنائس المنشقّة والتي ما تزال موجودة في أرمينيا، الهند، إثيوبيا، العراق، سوريا، وفي مصر، حيث تُعتبر هذه الأقليات المسيحية شهادة حيّة تُؤرّخ لتصورات المسيحيّة الأولى المهمّشة والتي تركت علامة استفهام كبيرة وغموض عميق حول هويّة المسيح... مع احتمال بقاء المسيحية جماعاتٍ متعدّدة متعايشة بسلام رغم اختلافها حول طبيعة يسوع، لو لم يتدخل أباطرة الرّومان.

(1) قانون الإيمان المسيحي: "نؤمن بإله واحد (1) الله الآب ضابط الكل (2) خالق السماء والأرض، ما يرى وما لا يرى (3) نؤمن برب واحد يسوع المسيح (4) ابن الله الوحيد (5) المولود من الآب قبل كل الدهور (6) نور من نور إله حق من إله حق مولود غير مخلوق (7) مساوٍ للآب في الجوهر (8) الذي به كان كل شيء (9) هذا الذي من أجلنا نحن البشر ومن أجل خلاصنا (10) نزل من السماء (11) وتجسّد من الروح القدس (12) ومن مريم العذراء (13) تأتس وصب على عهد بيلاطس البنطي، تأمّ وقبر (14) وقام من الأموات في اليوم الثالث كما في الكتب (15) وصعد إلى السماوات وجلس عن يمينه أبيه (16) وأيضاً يأتي مجده ليدين الأحياء والأموات (17) الذي ليس للملكة انقضاء (18)". أنظر: كيرلس الأنطوني: عصر المجامع، دراسات تاريخية معمقة، (ط1، دار الكتب، مكتبة المحبة، 2002م)، ص، 106-107.



هناك سؤال يطرح نفسه: هل قام قسطنطين وحلفاؤه بإسداء خدمة للمسيحية يجعلها الدين الرسمي للإمبراطورية؟ طبعًا يصعب الإجابة على هذا التساؤل... من جانب آخر أُجبرَ المسيحيون على الاتفاق على أسس إيمانهم الذي أدى إلى تعزيز سلطتهم الدينية ونفوذهم السياسي داخل المجتمع وفي الوقت نفسه قام بزرع بذور التعصب داخل الكنيسة بدفعهم إلى قبول مفهوم واحد للإيمان وسلطة الحكم -مجتمع يسيره الدين-، ما أدى إلى ظهور عواقب جدُّ مأساوية منها اضطهاد اليهود الوثنيين، والمهرطقة فيما بعد، وكشاهد على قمع الكنيسة: محاكم التفتيش في القرون الوسطى التي تدين وتحرق المعارضين للحفاظ على اتحاد المجتمع تحت عناية ورعاية الكنيسة<sup>(1)</sup>.

هذه الممارسات تتعارض بشدّة مع رسالة المسيح التي تدعو إلى الفصل بين السلطة السياسية والسلطة الدينية<sup>(2)</sup> وعدم ممارسة العنف وأيضًا تحثُّ على حبِّ القريب<sup>(3)</sup>.

سؤال آخر: هل يجب حين نتحدّث عن قسطنطين أن نعتبره التلميذ الثالث عشر كما دعاه الكثير من آباء الكنيسة نظرًا للدور الكبير الذي قام به في انتشار المسيحية، أم ننظر إليه على أنه يهودا الجديد الذي ضحّى بحياته من أجل نشأة المسيحية؟<sup>(4)</sup>.

السؤال عن هوية المسيح هو الخطّ الأحمر الذي من خلاله يمكن فهم تطوّر المسيحية إبان القرون الأولى من تاريخ ظهورها، فهو لا يقود الباحثين إلى فهم الإيمان المسيحيّ فقط رغم كلّ التعقيدات التي تحاوطه، بل يأخذهم تصاعديًا إلى معرفة التحديات الفكرية والسياسية لميلاد المسيحية كديانة عالمية. حقًا هي قصّة مذهلة أبطالها فئة قليلة من المؤمنين ينتقلون في غضون عقودٍ قليلةٍ من مرحلة الاضطهاد والاحتقار والقمع من طرف أغلبية النخب الفكرية إلى مرحلةٍ تصبح فيها المسيحية الدين الرئيسي والرسمي للإمبراطورية بعد إعادة صياغة كلّ الموروث الفكري للعصور القديمة وتعلن عن ميلاد حضارة جديدة تقوم على الإيمان بشخص يسوع<sup>(5)</sup>.

هذه الأحداث تتلخّص في ثلاث أعمال تشكّل الأجزاء الرئيسية لهذا الكتاب:

### ❖ الجزء الأول: القرن الأوّل للميلاد:

(1) Ibid. p13.

(2) لوقا 20: 25: [ فَقَالَ لَهُمْ: أَعْطُوا إِذَا مَا لَقَبَصَرَ لَقَبَصَرَ وَمَا لِلَّهِ ].

(3) متى 19: 19: [ أَكْرِمُ أَبَاكَ وَأُمَّكَ، وَأَحِبُّ قَرِيْبَكَ كَنَفْسِكَ ].

(4) Ibid, p14.

(5) Ibid, p15.

## الملاحق.

- حياة وموت يسوع.
- ميلاد الكنيسة الأولى التي كانت تضمّ اليهود فقط، والتحاق المرتدّين عن الوثنية بعد اعتناقهم المسيحية.
- يسوع بشر أرسله الله لخلاص البشرية.
- ❖ الجزء الثاني: القرنان الثاني والثالث للميلاد:
  - دمار هيكل أورشليم.
  - الانفصال الفعليّ بين اليهود والمسيحيين.
  - انتشار المسيحية في كل أنحاء الإمبراطورية الرومانية.
  - ظهور أسئلة لاهوتية عميقة عن هوية يسوع: هل هو بشر أم إله؟
  - تعرّض المسيحيين للاضطهاد.
- ❖ الجزء الثالث: القرن الثالث والنصف الأول من القرن الرابع للميلاد:
  - سعي المسيحية -الدين الرسمي للإمبراطورية الرومانية- تحت ضغط الأباطرة إلى إيجاد وحدتها العقديّة.
  - انعقاد العديد من المجمع المسكونية الكبرى التي أكّدت العقيدة القويمة وحاربت البدع والمهرطقات.
  - تشكّل الصيغة النهائية للثالوث المسيحيّ بعد مرور أربعة قرون، بدايتها كانت مع أوّل مجمع جمع تلاميذ المسيح في أورشليم حوالي 50م لمناقشة علاقة الإيمان المسيحي بالشريعة اليهودية، ختامها كان في مجمع خلقيدونية سنة 451م
  - أربعة قرون من النقاشات الحادة والنزاعات التأويلية، فضلاً على أنّها تجربة حقيقة عن نمو ونضج المسيحية.
  - أربعة قرون قامت بتشكيل المسيحية وأعطتها كلّ صفات: التواضع، التسامح، والخيرية، ثمّ خلقت لها ما يناقضها من تعصّب للرأي واضطهاد للمخالفين الذي سنجدّه لاحقاً في تاريخها الطويل.
  - أربعة قرون مصير الحضارة المسيحية الغربية التي غيرت وجه العالم<sup>(1)</sup>.

(1)Ibid, p15.

## الملاحق.

بعد عرض هذا السرد التاريخي في ثلاثة أجزاء أعود بصفتي الشخصية في خاتمة هذا الكتاب إلى السؤال الرئيسي المطروح: من هو يسوع؟

سوف نرى أنّ هذا السؤال يثير نقاشات ساخنة ولم يفقد شيئاً من قوّته، بل بقي يُطرح بشكل دائم في نفوس المعاصرين، مسيحيين كانوا أم غير مسيحيين.

لقد سبق وأن نشرتُ كتاباً سنة 2007م، حول يسوع والذين كان عنوانه: *Le Christ philosophe* (المسيح الفيلسوف)، حيث كان هدفي مركزاً على توضيح الرسالة الأخلاقية في الأناجيل: الدعوة إلى المساواة، حفظ كرامة الإنسان، المشاركة الجماعية، اللاعنف، تحرير الفرد من التقيّد بالجماعة والمرأة من الرّجل، فصل الدين عن السياسة، الأخوة الإنسانية، وقد أثر كثيراً على الإنسانية المعاصرة رغم أنّ الهيئة الكنسية انحرفت كثيراً عن هذه المبادئ، حيث كان تركيزي على البعد الفلسفي والأخلاقي للأناجيل، وتركت عمداً للمشروع الثاني مسألة هوية يسوع وعلاقته الخاصة بالإله.

وقد كتب إليّ العديد من القراء لتذكيري بهذا الموضوع الذي يُعدّ ركيزة الإيمان المسيحيّ، كما أنّ هذه المسألة هي أيضاً سؤالي منذ 25 سنة وأتمنّى أن أتحّدث عنه بشكل مفصّل في مؤلّف جديد<sup>(1)</sup>.

خاتمة الكاتب:

لقد أدّى التّاريخ المضطرب للقرون الخمسة الأولى من تاريخ المسيحية إلى ظهور كنيسة قويّة تحت قيادة البابا والإمبراطور، وذلك حين نجح قسطنطين بفضل سلطته ونفوذه في توحيد الإمبراطورية الرومانية تحت راية المسيحية، وفي المجمع المسكوني الرابع (خلقيدونية) منذ سنة 451م اتفق غالبيّة المسيحيين على قانون إيمان مشترك بشأن هوية يسوع: شخص واحد ذو طبيعة إلهية وإنسانية في الوقت نفسه<sup>(2)</sup>، ولكنّ الحقيقة تقول إنّ المسيحية ليست موحّدة تماماً، والشّاهد على ذلك كما رأينا سابقاً أنّه في كلّ مجمع تُثار حركات انشقاقية لا يزال بعضها قائماً إلى اليوم، وما قام به الإمبراطور هو إيجاد إيمان مشترك للكنيسة العظمى التي استطاعت هي الأخرى أن تفرض عقيدتها بدعم من الأباطرة<sup>(3)</sup>.

كما أنّ سقوط الإمبراطورية الرومانية وغزوات البرابرة لم تغيّر شيئاً في العمق، لأنّ الأباطرة أدركوا أنّ لديهم مصلحة في اعتناق العقيدة المسيحية من أجل تثبيت وتعزيز سلطتهم طوال الفترة التي نسمّيها

(1) Ibid. p 16.

(2) Ibid. p297.

(3) Ibid. p297.

## الملاحق.

"العالم المسيحي" والتي تُقدَّر بحوالي ألف سنة والتي تمتدّ من نهاية العصور القديمة إلى بداية عصر النهضة<sup>(1)</sup>.

كان المجتمع على اختلاف طبقاته الاجتماعية يؤمنون بالعقيدة الموروثة من المجمع المسكونية خلال القرنين الرابع والخامس، والتسامح مع أقلية يهودية صغيرة يختلف اضطهادها حسب الزمان والمكان، ولكن بالمقابل يكرهون ويحاربون الإيمان الإسلامي الذي كان في توسع دائم على حساب حدود العالم المسيحي، والذي كان ينتقد بشدة عقيدة التثليث ويقدم نفسه على أنه عودة إلى التوحيد الصّارم واستئصال الهرطقات التي تشكك في أسس العقيدة المشتركة التي قننت بصعوبة<sup>(2)</sup>. هذان الأخيران في الواقع لا يكمن خطرهما في هدم العقيدة وسلطة الكنيسة الكاثوليكية وحسب وإنما في الوحدة السياسية للمجتمع المسيحي كذلك<sup>(3)</sup>.

عاش الكاثار تجربة مؤلمة حينما عانوا من قمع دمويّ ضخم بدأ عام 1209م عندما قام البابا بإطلاق العنان للحملة الصليبية ضدّ الألبجنتيين والتي تعدّ الأولى من نوعها على الأرض المسيحية، وقويت شوكتها في 1226م عندما خلف لويس الثامن Louis VIII (1187-1226م) فيليب أوغسطس Philippe Auguste (1165-1223م) على عرش فرنسا الذي قرّر بدوره إشراك القوّات الملكيّة في الحملة الصليبية<sup>(4)</sup>.

بينما كان الجميع متمسكاً بمبدأ التثليث، كانت الكاثارية (وريشة تنوية غنوصية) تعتبر أن المادّة من عمل الإله الشّرير (إله العهد القديم)، في حين أنّ الإله الخير (إله العهد الجديد) خالق التّروح المقدّسة موجود فوق عنصرين آخرين من التّالوث: الروح، وكبير الملائكة، الذين يعترفون بدور الوسيط والابن الذي أعلن عن ملكوت الله حاملاً رسالة خلاص للناس ولكن ليس إلهاً، ومن أجل دحض التّصور

(1) Ibid, p297.

(2) Ibid, p298.

(3) Ibid, p298.

(4) Ibid, p298.

الثالوثي للكاثار والألبجنسيين<sup>(1)</sup> انعقد مجمع لاتران الرابع -المجمع المسكويّ الثاني عشر- في نوفمبر 1215م.

في القرن الحادي عشر شهدت الكنيسة العظمى انشقاق خطير، قسّم المسيحية إلى قسمين: الغرب الرّوماني النّاطق باللّغة اللّاتينية والشرق الأرثوذكسي النّاطق باللّغة اليونانية، لكنّ هذا الانشقاق لم يكن نتيجةً للاختلاف حول الإيمان العقائديّ -الخلاف الثالوثيّ المشهور (انبثاق الروح القدس)-، بل كان ذريعةً من أجل إهاء مشكل قديم بين مسيحيّ شرقيّ غيورّ على استقلاله ومسيحيّ غربيّ خاضع لسلطة البابا، وعليه فخلفيّة الصّراع سياسيّة أكثر ممّا هي لاهوتيّة كما أنّ هناك أسباب أخرى تتعلّق بمسائل الليتورجيا وتنظيم رجال الدّين، رغم أنّ هذا الانفصال لا يؤثّر بأيّ شكل من الأشكال على وحدة الإيمان المسيحيّ في مسألة الكرسولوجيا التي يتمّ فيها تبجيل يسوع في كلّ مكان كتجسدّ للأفنوم الثاني من الثالوث المقدّس.

الأمر نفسه حدث في عصر التّهضة مع الانشقاق الكبير الجديد الذي قسّم المسيحيّة الغربيّة وانشقت منها حركة الإصلاح البروتستانتيّ.

كان لوثر (1483 - 1546 Luther) وكالفين (1509 - 1564 Calvin) منيويان إصلاح الكنيسة وتحرير أنفسهم من قبضة ووصاية روما، فقد أدانوا بيع صكوك الغفران وفساد رجال الدّين، ودافعوا عن قراءة الكتاب المقدّس من قِبَل جميع المؤمنين وزواج القساوسة وكذلك اختلفوا مع روما في بعض القضايا اللاهوتيّة مثل دور الأعمال والإيمان في الخلاص، ولم يشكّكوا أبدًا في أسس اللاهوت الثالوثيّ المقنّن خلال المجمع المسكويّة الأربعة الأولى - إنّ هويّة يسوع هي نفسها بالنسبة للبروتستانت وكذلك للكاثوليك والأرثوذكس -<sup>(2)</sup>.

لقد أدّى هذا الإصلاح إلى تسريع عملية إحلال الديمقراطية وعلمنة المجتمع الغربي وفرض التعدديّة الدّينيّة، لقد اندفع مفكّرو عصر التّنوير إلى الخرق الذي فتحه الإصلاحيون وبعض الإنسانيّين الكاثوليك مثل: مونتين (1533 - 1892 Montaigne) وإيراسموس (1466 - 1536 Erasme) اللّذين

(1) Ibid, p298.

(2) Ibid. p299.

## الملاحق.

يدعون إلى التسامح الديني الحقيقي وظهور دولة القانون والديمقراطية والعلمانية التي تعدّ مفتاح المجتمعات الحديثة، والتي أسست لمستقبل قائم على النزعة الإنسانية والدفاع عن حقوق الإنسان. من المسلم به أن هذه النزعة الإنسانية مستوحاة بعمق من رسالة الإنجيل لكنّها تتكل على العقل لا على الإيمان وتحرّرت تمامًا من السلطة الدينية، وبهذا فقدت الكنيسة الكاثوليكية قبضتها على المجتمع التي كانت وعلى مدى قرونٍ عدّة تعارض كلّ القيم التأسيسية للحدّثة: كالعلمانية والديمقراطية وحرية الرأى وحقوق الإنسان<sup>(1)</sup>، فهي لم تبدأ في التصالح مع "عالم عصرها" إلا مع المجمع الفاتيكاني الثاني (1962-1965م)، من خلال التخلي عن الموقف الدفاعي ضد "الأفكار الحديثة" التي ظهرت منذ القرن السادس عشر مع صدمة الإصلاح، وهذا يعني نهاية الاحتكار الذي مارسه على الإيمان في الغرب منذ عصر ثيودوسيوس، لهذا السبب يؤكّد بعض اللاهوتيين الكاثوليك أن المجمع الفاتيكاني الثاني يعتبر "نهاية حقبة عصر القسطنطينية" وقبول الكنيسة الرومانية لنهاية سيادتها على المجتمع التي كانت تمارسها لفترة طويلة، والعودة إلى رسالة الإنجيل التي تجلّد الفقر وألوية المحبة والفصل بين السلطة الزمنية والروحية.

لقد فهم التقليديون ذلك - بدءًا من رئيس الأساقفة ليفبفر (Mgr Lefebvre 1905 - 1991م) - ورفضوا قرارات المجمع الفاتيكاني الثاني بشأن الحرية الدينية، بحكم أنّهم لم يهضموا طريقة انتخاب بندكتس السادس عشر (Benoît XVI)، والتي تمّت بحساسة شديدة وتحقّظ تامّ والطريقة التي حاول بها في عام 2009 أن يعيد إلى حظيرة الكنيسة أكثر المتطرفين التقليديين - المستمرّين في إنكار شرعية المجمع الفاتيكاني الثاني - القلقين والمنزعجين بسبب قرارات المجمع وتطوّراته فيما يتعلق بالحوار مع العالم الحديث والأديان الأخرى<sup>(2)</sup>، لكنّ انقسام الأصوليين لا يرتبط بمفهوم الإيمان بل بتصوّر الكنيسة والدور الذي يجب أن تقوم به في المجتمع، وتجدر الإشارة إلى أن التوترات الحادّة التي كانت تهرّ هذه الأخيرة منذ حوالي خمسين عامًا، تتعلّق بمسائل الانضباط الكنسي، السياسة، المجتمع والأخلاق، لا بالعقيدة بتاتًا.

(1) Ibid. p300.

(2) Ibid. p300 - 301.



فالمسيحيون الذين يتحدّون الكنيسة أو يتركونها يفعلون ذلك بسبب الخلافات حول مواضيع مثل: الجنس، عزوبية الكهنة، لاهوت التّحرير، مكانة المرأة، الديمقراطيّة الداخليّة... إلخ، خاصّة بعد نشر الرّسالة البابويّة من طرف البابا بولس السادس (1897 Paul VI - 1987 م) في سنة 1968م، والذي أدان حبوب منع الحمل ممّا أدى إلى استياء العديد من المؤمنين، وقد قال الكاردينال إتشيجاراي (Etchegaray ولد 1922م) عبارته واصفًا الوضع بدقّة: "نحن نشهد انقسام صامت" (1).

لقد تمّ في الحقيقة إخماد الخلافات حول طبيعة المسيح منذ نهاية القرن الخامس - أو تمّ إخمادها بالقوّة -، ففي الوقت الحاضر لم تعد هذه القضية موضوع الجّماع أو التّزاعات اللاهوتيّة في السّاحة العامّة كما كان الحال في العصور القديمة، فجميع المسيحيين أيّما كانت طائفتهم يشتركون في عقيدة ألوهيّة المسيح، لكنّ عقيدة التّثليث لم تكن مفهومة إلى حدّ كبير ولا مُتّبعة من طرف المؤمنين على الرّغم من هذا الإجماع الظّاهر على الإيمان المسيحيّ.

كم عدد المسيحيين الذين يعرفون ويفهمون اللاهوت الثالوثي؟

كم عدد المؤمنين المسيحيين الذين يؤمنون بألوهيّة يسوع؟

تكشف الدّراسات السّوسيوولوجيّة واستطلاعات الرّأي التي أُجريت في البلدان الغربيّة عن الحياة الفرديّة ونموّ التّفكير التقدي -أجهاان رئيسيان للحدائفة- اللّذين أدّيا إلى تغيير عميق في إيمان المؤمنين، فأصبح التّعبير عن إيمان واحد يتوافق وجميع نقاط العقيدة مستحيلًا، حيث أنّنا من الممكن أن نقول إنّ كلّ مسيحيّ لديه قانون إيمانٍ خاصّ به، ووفقًا لبيانات أُجريت في أوساط ثقافيّة مختلفة أظهرت أنّ الأميركيين أكثر النّاس إيمانًا بعقيدة التّثليث والتجسّد من الأوروبيين (2).

أمّا بخصوص سؤال "من يكون يسوع بالنّسبة لكم؟" فقد اختلفت إجابات الأوروبيين اختلافًا كبيرًا حتى بين المؤمنين الممارسين، والمثير أيضًا أنّنا نجد في الصّيّغات الحاليّة عددًا من "البدع" التي تعود إلى بدع القرون الأولى المتمثّلة في: (إنسان مختار أم متبّع؟) (التّبنيّة)، ابن الإله لكنّه أدنى من الأب (الآريوسية) إله حق وإنسان حقّ: لكن الطبيعة البشريّة وحدها عانت من آلام التجسّد - التّسطورية - إلخ... (3).

(1) Ibid. p301.

(2) Ibid. p301 - 302.

## الملاحق.

أما بالنسبة للمؤمنين المسيحيين الأوروبيين فإنّ يسوع ليس الله المتجسّد، بل يُنظر إليه على أنّه "ابن الله" مع فهم ذلك بالمعنى الرّمزي فقط، كذلك مسألة قيامته تثير الكثير من الشكوك مثل تحدّاه بالإله، وأنا هنا لا أتحدّث عن غير المؤمنين وغير الممارسين الذين ما زالوا مرتبطين بالثقافة المسيحيّة ولا يعتبرون يسوع سوى رجل عادي<sup>(1)</sup>، وعليه نقوم بإثارة سؤالٍ مهمّ: ماذا تبقى من الإيمان المسيحي؟ أو بعبارة أخرى: ماذا يمكن أن نعتبره القاعدة الأساسيّة للإيمان المسيحي وما هي ركيزته؟<sup>(2)</sup>.

تتفق معظم الكنائس المسيحيّة على الإيمان بعقيدة التّثليث والتجسّد، لكنّ الكنيسة الأرمنيّة والكنائس القبطيّة الشرقيّة تعترف فقط بقانون الإيمان المقتنّ خلال المجامع الثلاثة الأولى، أمّا الكنيسة النسطورية فهي لا تعترف سوى بالمجمعين الأولين فقط، بينما يعترف الإصلاحيون بشكل كامل بسلطة المجامع الأربعة الأولى، وتعترف الكنائس الأرثوذكسية بسبعة منها (آخرها في القرن الثامن الذي كان عن حكم الاعتراف بعبادة الأيقونات)، كذلك تعترف الكنيسة الكاثوليكيّة الرومانيّة بواحد وعشرين مجمع وبالإيمان الأصيل (الحقيقي) الذي يتضمّن عقيدة كاملة منذ مجمع نيقية إلى غاية آخر البيانات البابويّة الصادرة عن الكاتدرائيّة - الكاثوليكيّة - وهي العقائد الثلاثة الأخيرة: عقيدة الحبل بلا دنس (التي تم إقرارها عام 1854 بواسطة بيوس التاسع Pie IX / 1792 - 1878م)، العصمة البابويّة (التي حدّدها المجمع الفاتيكانيّ في عام 1870م) وعيد صعود العذراء مريم (التي أقرّها بيوس الثاني عشر Pie XII "1876 - 1956م" في عام 1950)<sup>(3)</sup>.

إذن فالكنائس المسيحيّة تتبنيّ قانون إيمان نيقية والقسطنطينيّة كما ذكرنا سابقًا في عقيدتيّ التّثليث والتّجسّد، ولكن رأينا أيضًا أنّ عقيدة التّثليث مرفوضة من طرف العديد من التيارات المسيحيّة في القرون الثلاثة الأولى أمثال: الآريوسيين، والتّبنويين، والدّوساتيين، وهم فئة قليلة جدًّا في يومنا هذا، فهل هذا يعني أنّهم ليس لديهم إيمان مسيحيّ أصيل؟ وأنّ إيمانهم باطل أو غير كامل؟ إذا كان الجواب بنعم، فإنّ

(1) Ibid, p302.

(2) Ibid, p303.

(3) Ibid, p303.

## الملاحق.

ذلك يعني أنّ ركيزة الإيمان المسيحيّ تمّ تحديدها تدريجيًّا خلال المجامع بعد ثلاثة أو أربعة قرون من المحاولات المتعثّرة<sup>(1)</sup>.

ماذا إذن عن إيمان الرّسل والشّهود الأوائل لحياة يسوع الذين «آمنوا» به قبل ظهور الفكر اللاهوتيّ الثالثويّ، وحتىّ التّجسد؟ يبدو من العبث القول بأنّ بطرس ومريم المجدلية ومرقس أو بولس لم يكن لديهم إيمان حقيقيّ أو القول بأنّ إيمانهم غير كاملٍ بحكم أنّهم ما زالوا لا يعرفون أيّة فكرة عن إله في ثلاثة أقانيم ومسيحٍ ذي طبيعتين.

ما هو أساس الإيمان المشترك بين الشّهود الأوائل؟

الإجابة عن هذا السّؤال يمكن تلخيصها في نقطتين أساسيتين تتعلقان بشكل مباشر بشخص يسوع ورسالته، وهي كالآتي:

1- يسوع رجل له علاقة خاصة مع الإله وله دور خلاصيّ باعتباره الوسيط الوحيد بين الله والبشر.

2- يسوع مات ثم قام من بين الأموات ويستمرّ في الحضور للبشر بطريقة غير مرئية<sup>(2)</sup>.

يُعتبر هذان التصريحان حجرَ أساس الإيمان المسيحيّ، فيسوع بالنّسبة لتلاميذه لم يكن في نظرهم سوى إنسان ولم يُنظر إليه أبدًا كإله أخذ شكل بشرٍ ولا هو تجسّدٌ لإله إبراهيم وموسى، فهو -يسوع- يجوز على علاقة خاصّة وفريدة مع الله لا تجعله "المسيّا" المنتظر من طرف اليهود فقط، بل أكثر من ذلك أيّ أنّه يمثّل "ابن الآب" الذي اختاره الله ليكشف عن نفسه للعالم ولخلاص البشريّة، وبالتالي هذه المكانة تجعل منه فوق كل المخلوقات حتىّ من الملائكة<sup>(3)</sup>، حيث أنّ هذه العلاقة الخاصّة بين يسوع والآب وهذا الاختيار الإلهي يجعل من يسوع (رجلاً مختلفاً) يتجلّى بوضوح في ثلاثة مواقف رئيسيّة وردت في الأناجيل: معمودية يسوع، تجلّيه وقيامته..

(1) Ibid, p303.

(2) Ibid, p304.

(3) Ibid, p304.

فأثناء المعمودية خاطب الصوت الإلهي يسوع وكشف له عن الحبّ الفريد الذي خصّه به: [وَكَانَ صَوْتُ مِنَ السَّمَاوَاتِ: «أَنْتَ ابْنِي الْحَبِيبُ الَّذِي بِهِ سُرِرْتُ»]<sup>(1)</sup>، وخلال الصعود إلى الجبل رفقة بطرس ويعقوب ويوحنا، تغيّرت هيئته قدامهم وصارت ثيابه تلمع بيضاء متحدثاً مع النبيين إيليا وموسى، وصوت إلهي يؤكد للرسل الثلاثة: [«هَذَا هُوَ ابْنِي الْحَبِيبُ، لَهُ اسْمَعُوا»]<sup>(2)</sup> حيث طلب منهم يسوع ألا يحدثوا أحداً بما سمعوا إلا عندما يقوم ابن الانسان من بين الأموات وهو الإعلان عن المظهر الثالث لاختياره، ويضيف الإنجيل<sup>(3)</sup>: [فَحَفِظُوا الْكَلِمَةَ لَأَنْفُسِهِمْ يَتَسَاءَلُونَ: «مَا هُوَ الْقِيَامُ مِنَ الْأَمْوَاتِ؟»]<sup>(4)</sup>.

من الواضح أن حدث القيامة هو العلامة الأكثر تأثيراً في نفوس التلاميذ، الحدث الذي يؤكّد إيمانهم بيسوع كرجل فريد اختاره الله لإتمام مهمّة عالميّة، ولكنّ الحدث رُوي بطريقة غريبة نوعاً ما تجعل القارئ يشعر عند قراءتها للمرّة الأولى "بالحيرة والغموض"! فيسوع عاد إلى الحياة بينما كان ميتاً فعلاً، بالإضافة إلى أنّ الجسد الذي ظهر به ليس الجسد الذي كان عليه من قبل، إنّهُ يسوع بجسد حقيقيّ وليس روحاً، فقد كان بإمكانه أكل السمك المشويّ وإظهار جروحه لتلاميذه وكان بإمكانهم ملامسته، حيث كان جسده عجيباً وغريباً يُمكنه من اختراق الأبواب المغلقة وله القدرة أيضاً على الظهور والاختفاء بطريقة مفاجئة، إذ كان بهيئة لا يتعرّف عليها للوهلة الأولى أحد من المقرّبين منه (التلاميذ)، ومثال ذلك مريم المجدليّة<sup>(5)</sup> أو حديث المسافرين إلى عمواس عن أحداث آلامه<sup>(6)</sup>، وكأنّ الإنجيليين من خلال هذه التناقضات أرادوا إيصال فكرة غير مقبولة عقلاً، حيث لم يتمّ إحياء جثة يسوع ومع ذلك يسوع كان يحضر بينهم بجسد جديد، جسد حقيقيّ يحمل علامات حياته الماضية وفي الوقت نفسه يحيا بهيئة جديدة، فإذا لم يتمّ إحياء جسد يسوع كما فعل ذات مرة حين أحيا جثث العديد من الموتى وفقاً

(1) مرقس 1: 11.

(2) مرقس 9: 7.

(3) Ibid. p305.

(4) مرقس 9: 10.

(5) أنظر يوحنا 20: 1-10.

(6) أنظر لوقا 24: 13-35.

للأنجيل - بدءًا بصديقه العازر<sup>(1)</sup> - فهذا يعني أن الحدث المسمّى "القيامة" أمر مختلف تمامًا عن إحياء الجثة، فلقد تحولت جثته جذريًا إلى هيئة جديدة بفعل القوّة الإلهية.

فهو حاضر الآن بطريقة مختلفة لتلاميذه ولجميع الذين يؤمنون به، لكنّ هذا الحضور يتطلّب من تلاميذه أن يحزنوا بشأن حضور غير معقول اعتادوا عليه، لهذا قال يسوع لمريم المجدلية عندما كانت تبحث عن جثته عبثًا قبل أن تتعرّف وتجتثو عند قدميه<sup>(2)</sup>: «لَا تَلْمِسِينِي لِأَنِّي لَمْ أَصْعَدُ بَعْدُ إِلَى أَبِي، وَلَكِنْ اذْهَبِي إِلَى إِخْوَتِي وَقُولِي لَهُمْ: إِنِّي أَصْعَدُ إِلَى أَبِي وَأَبِيكُمْ وَإِلَيْهِمْ»<sup>(3)</sup>.

إذن منذ ذلك الحين، يصبح غياب يسوع شرطًا من شروط حضوره في قلب كلّ مؤمن به بعد أن أعاد إحياء إيمان تلاميذه من خلال ظهوراته، فالأنجيل تخبرنا بأنّه اختفى من أمام أعينهم نهائيًا بصعوده إلى السّماء ولكنّه بقيامته أعلن عن "القيامة" للجميع، بحُكم أنّه تغلّب على الموت وفتح الأبواب لعالم آخر، فذلك الإعلان هو عبارة عن "خبر سار" وهو ذاته الإنجيل الذي أسّس لإيمان التلاميذ كما قال بولس: «وَأِنْ لَمْ يَكُنِ الْمَسِيحُ قَدْ قَامَ، فَباطِلَةٌ كِرَازَتُنَا وَباطِلٌ أَيْضًا إِيْمَانُكُمْ»<sup>(4)</sup>.

يجدر بنا القول هنا أنّ الاعتقاد بأنّ يسوع له علاقة خاصّة بالإله وفريدة من نوعها، وأنّه قام من بين الأموات تأويلات لا ترتقي لأن تكون أدلّة تُثبت ألوهيته، ومثلما تمعنا في نظرية التجسّد التي ظهرت بعد أكثر من سبعين سنة بعد موته، نجد أنّ اللاهوت الثالوثي أخذ بالتّموّ خلال القرن الثّاني للميلاد، لكنّ هذا لا يعني أن هذا اللاهوت وكلّ عقيدة حدّدها الكنيسة فيما بعد غير ضروريّة، فاستنادًا إلى بعض أقوال يسوع فإنّ الرّوح القدس يساعد الكنيسة في تعريف الإيمان.

يُشكّك بعض المؤمنين في مصداقيّة قرارات الجامع بسبب تأثيرات المصالح الشخصية والأحداث السياسيّة، ولكن البعض الآخر يرى أنّ الله يكتب بطريقة مستقيمة عبر خطوط منحنية وأنّه استعمل الحالات الشّخصيّة والأحداث السياسيّة لمساعدة الكنيسة على فهم هويّة المسيح بشكل أفضل، وهذا

(1) أنظر يوحنا 11: 28-44.

(2) Ibid, p306.

(3) يوحنا 20: 17.

(4) 1 كورنثوس 15: 14.

## الملاحق.

ما يُحيلنا إلى قضية الإيمان بعصمة "السلطة العقائدية"، هذه الأخيرة التي يُختلف في طريقة النظر إليها وفقاً لخلفية المؤمن العقائدية (أرميني أو بروتستانتى أو كاثوليكي أو أرثوذكسي<sup>(1)</sup>).

ولكنّ بغض النظر عن الفضل الممنوح للكنائس والتقليد المسيحيّ من أجل تأكيد الشّهادات الإنجيليّة، إلّا أنّ ما يبدو مهمّاً جدّاً بالنسبة لي هو التأكيد على أنّ أساس الإيمان الذي كان واضحاً تماماً في شهادة الرّسل الذين يعتبرون يسوع إنساناً فريداً وليس إلهاً. ويذهلني اللاهوت الثالوثي كمحاولة مثيرة ورائعة للتفسير العقلائي لسر المسيح، التفسير الذي غدّى إيمان وتأمّل العديد من القديسين والمتصوّفين<sup>(2)</sup>.

إنّ القول بأنّ يسوع له علاقة فريدة بالإله يمكن أن يُعبّر عنه بعبارات أخرى غير تلك التي استخدمها اللاهوت الثالوثي الكلاسيكيّ، وعليه يمكن القول بأنّه إذا كان الله موجوداً فهو بالضرورة "لا يوصف" و"واحد" في "جوهره" حسب اصطلاح علماء اللاهوت في العصور الوسطى، ولكنّ أن يكون "ثلاثة" في بُعد «تجلي الله للإنسان»، فهذا يعني أنّه يتجلّى للإنسان من خلال ثلاثة أبعاد: البعد الخلاق للآب، والإدراك في الكلمة (الابن) والمعزّي (الروح القدس)<sup>(3)</sup>.

يسوع هو تجسّد للكلمة الإلهيّة، لأنّه من خلال حياته ورسالته يجسّد الله، حيث يدرك تماماً الجانب الإلهي في الإنسان، ويسوع ليس تجسّد الإله في جوهره الذي لا يزال غامض الفهم وغير مقبول بالنسبة للعقل البشري، وهو ما أدركه اللاهوتي والفيلسوف الكاثوليكيّ توما الإكويني Thomas d'Aquin نفسه بعد أن كتب أكثر من ألفي صفحة عن الإله وأراد إحراقها بعد ذلك، حيث قام بتعريف الكثير من الكلمات والتعاريف عن السرّ الإلهي ولم يتردّد في التأكيد على أنّ: "هذا الإله لا يمكننا أن نعرف ما هو، ولكن فقط ما ليس هو"، يمكن القول بأنّ الله "واحد" في جوهره ولكن "ثلاثة" في تجلّيه (مظهره)، هي صياغة هرطوقيّة ولكنّها تسمح بالحفاظ على سرّ الله ووحدانيتها مع مراعاة وجود الشّخصيات الثلاثة المذكورة في الأناجيل: الآب، الابن، والروح القدس.

(1) Ibid, p307.

(2) Ibid, p307.

(3) Ibid, p308.



## الملاحق.

لهذا السبب فإنّ التعبير الذي أراه الأقوى والأنسب من أجل تخلص الإيمان المسيحيّ -الإيمان الذي من شأنه تأكيد العلاقة الفريدة ليسوع والحفاظ على السرّ الإلهيّ- هو ما قاله بولس في رسالته إلى كولويسي<sup>(1)</sup>: [الَّذِي هُوَ صُورَةُ اللَّهِ غَيْرِ الْمَنْظُورِ]<sup>(2)</sup>.

لقد طرّد الفيلسوف باروخ سبينوزا (Baruch Spinoza 1632-1677م) من المعبد سنة 1656م، بسبب قراءته العقلانيّة والنقدية للكتاب المقدّس -والذي اتّهم بالإلحاد ظلماً-، حيث أنّه قدّم تصوّراً عن المسيح يعبرّ بشكل رائع عن وجهة النّظر التي أعرضها هنا، ففي الفصل الأوّل من مؤلّفه اللاهوت والسياسة يُصرّح شارحاً بأنّه تمّ الكشف عن يسوع المسيح على الفور، من دون كلام ولا رؤى، فهذه هي مراسيم الله التي تقود الإنسان إلى الخلاص وهكذا كشف الله عن نفسه للتلاميذ من خلال روح يسوع المسيح، كما فعل مع موسى عندما سمع الصّوت في البرية، لهذا يمكن تسميّة صوت يسوع صوت الله كالصّوت الذي سمعه موسى، كما يمكن القول أيضاً في نفس المعنى بأنّ حكمة الله حكمةٌ تفوق حكمة الإنسان، وأنها تجسّدت في يسوع المسيح لهذا أصبح هذا الأخير طريقاً للخلاص<sup>(3)</sup>. في الواقع، محاولات الصّيغة اللاهوتية للسرّ الإلهي الموحى تبدو لي مهمّة للتذكير بأنّ الإيمان المسيحي هو الاعتقاد بأنّ الإيمان بشخص يسوع يضمن الارتباط -الجسر- بين الإنسان غير الكامل والإله القدّوس الكامل الذي يفوق الوصف، وعليه فالمسيحية ليست ديانة كتاب بل دين الشّخص، فبالنسبة للمسلمين القرآن هو كلام الله أمّا بالنسبة لليهود فإنّ التاموس (التوراة) مقدّس لأنّها تجلّي -في بعض الأحيان يستخدم مصطلح التجسد- للكلمة الإلهية، أمّا بالنسبة للمسيحيين لا يتجلّى الله من خلال نصّ، ولكن من خلال شخص "يسوع" وأيضاً من خلال حياته وكلامه وحضوره الدائم، ولهذا يُعتبر كلمة إلهية.

علينا أن نفهم بأنّ دين الشّخص الذي يولي أهمية للإنسان أكثر من الشريعة، حيث يعكس هذا الأمر معنّى الحادثة الشهيرة ليسوع عند دفاعه عن المرأة الزانية<sup>(4)</sup> حينما أحضروا إليه امرأة أمسكت وهي

(1) Ibid, p309.

(2) كولويسي 1: 15.

(3) Ibid, p309- 310.

(4) أنظر يوحنا 8: 2- 11.

## الملاحق.

تزني ووفقاً لناموس موسى يتوجّب رجها، وفي تلك الأثناء يُلقى يسوع على من أتهموها هذه العبارة الرائعة: [«مَنْ كَانَ مِنْكُمْ بِلاَ خَطِيئَةٍ فَلْيَرْمِهَا أَوَّلًا بِحَجَرٍ!»]<sup>(1)</sup>، على الرغم من أنه يهودي إلا أنه رفض تطبيق الشريعة بحرفيتها، لأنه نظر أولاً إلى الشخص الذي أمامه<sup>(1)</sup>، فعند التأمل في الإنجيل نجد أنّ القانون ومجموع الشرائع التي قررتها (أضافتها) الكنيسة على مدى قرون كقانون جديد وإلهام إلهي ينبغي تطبيقه على الجميع هو مجرد تحريف.

في سنة 2009م، تمّ حرمان أمّ طفلة برازيلية وطبيبها عندما قررا القيام بعملية إجهاض طفلتها البالغة من العمر تسع سنوات بعد أن اغتصبها زوج أمها، فذلك الحرمان الذي أعلنه المطران ريسيفي Recife وتمّ تأكيده من قبل روما بموجب القانون الكنسي الذي ينصّ على أنّ أيّ شخص يمارس الإجهاض يتم حرمانه تلقائياً، صدم العديد من المؤمنين المسيحيين وحتى الأساقفة، فمثل هذا القرار يتعارض مع أسس إيمانهم، لأن نظرة يسوع نظرة إنسان ومحبة مارسها مع كل محاوريه، وبهذا فهم سيئون فهم رسالته التي من المفترض أن يكون إيصالها وتمثيل حاملها -يسوع- مهمتهم الرئيسية وليس مجرد إدارة بيروقراطية لا تراعي ظروف الناس، وقد صدقت حكمة القرون الوسطى التي تقول: "إن فساد الأفضل يولد الأسوأ"<sup>(2)</sup>.

إلى جانب أنّه دين الشخص فهو أيضاً دين الحضور (حضور المسيح في قلوب المؤمنين)، فالمسيحية لديها بُعد مؤثر للغاية، إنّه الإحساس بالآخر، فهذا الأخير يُعزّز بالتواصل والشركة. المسيحية دين الحبّ بامتياز وهذا ما نلاحظه من خلال تاريخها الطويل، فرغم كل الصراعات من أجل الوصول إلى السلطة قامت بتطوير العديد من الجمعيات والأعمال الخيرية وكونت جماعات دينية مكرسة للضعفاء والمعوقين والأيتام والمرضى والسجناء والبالغيا وجميع المنبوذين في المجتمع، لأنّها تدرك أنّه في كل إنسان شخص المسيح وفقاً للمقولة الشهيرة ليسوع بشأن الدينونة الأخيرة<sup>(3)</sup>: [تَعَالَوْا يَا مُبَارِكِي أَبِي، رُتُّوا الْمَلَكُوتَ الْمُعَدَّ لَكُمْ مِنْذُ تَأْسِيسِ الْعَالَمِ لِأَنِّي جُعْتُ فَأَطْعَمْتُكُمْ. عَطِشْتُ فَسَقَيْتُكُمْ. كُنْتُ

(1) يوحنا 8: 7.

(2) Ibid, p311.

(3) Ibid, p311.

## الملاحق.

غَرِيبًا فَأَوْثُمُونِي غُرْبَانًا فَكَسُوثُمُونِي. مَرِيضًا فَرُزُّثُمُونِي. مَحْبُوسًا فَأَتَيْتُمْ إِلَيَّ<sup>(1)</sup>، الحب في العهد الجديد ضروري ولا بد منه، بل يفوق الإيمان، حيث يقول بولس: [وَأِنْ كَانَتْ لِي نُبُوءَةٌ، وَأَعْلَمُ جَمِيعَ الْأَسْرَارِ وَكُلَّ عِلْمٍ، وَإِنْ كَانَ لِي كُلُّ الْإِيمَانِ حَتَّى أَنْقُلَ الْجِبَالَ، وَلَكِنْ لَيْسَ لِي مَحَبَّةٌ، فَلَسْتُ شَيْئًا]<sup>(2)</sup>.

ففي العمق يقود تعليم يسوع إلى التأكيد على أنّ الإيمان والعبادة العلنيين ليسا ضروريين لتكون روح الإنسان على اتصال بالله، إذ يقول يسوع: [الرَّيْحُ تَهْبُ حَيْثُ تَشَاءُ، وَتَسْمَعُ صَوْتَهَا، لَكِنَّكَ لَا تَعْلَمُ مِنْ أَيْنَ تَأْتِي وَلَا إِلَى أَيْنَ تَذْهَبُ. هَكَذَا كُلُّ مَنْ وُلِدَ مِنَ الرُّوحِ]<sup>(3)</sup>، وما هو يسوع يعطي جوابًا مذهلاً ومبهراً للمرأة السامرية التي طرحت عليه سؤالها المتمثل في (أين يجب أن يُعبد الإله على جبل السامرة أم في هيكل أورشليم؟)، فقال لها<sup>(4)</sup>: [يَا امْرَأَةً، صَدَّقِينِي أَنَّهُ تَأْتِي سَاعَةٌ، لَا فِي هَذَا الْجَبَلِ، وَلَا فِي أُورُشَلِيمَ تَسْجُدُونَ لِلآبِ أَنْتُمْ تَسْجُدُونَ لِمَا لَسْتُمْ تَعْلَمُونَ، أَمَّا نَحْنُ فَنَسْجُدُ لِمَا نَعْلَمُ. لِأَنَّ الْخَلَاصَ هُوَ مِنَ الْيَهُودِ. وَلَكِنْ تَأْتِي سَاعَةٌ، وَهِيَ الْآنَ، حِينَ السَّاجِدُونَ الْحَقِيقِيُّونَ يَسْجُدُونَ لِلآبِ بِالرُّوحِ وَالْحَقِّ، لِأَنَّ الْآبَ طَالِبٌ مِثْلَ هَؤُلَاءِ السَّاجِدِينَ لَهُ]<sup>(5)</sup>، إنّ يسوع يعمل على إنقاذ العالم من التدنيس لصالح تقديس الحياة الروحية، إنّه يدعو الإنسان إلى تجاوز مظاهر التعبّد الخارجية خاصّة العبادات الجماعية والتنافسية لمزجها بحياة روحية فريدة من نوعها وعالمية، فبعيداً عن تنوع الثقافات الدينية ما يهمّ حقيقةً هو العلاقة الحميمة مع الإله وبالتالي فإنّه يقوِّض خطاب الشرعنة لأيّ تقليد ديني، بادّعائه أنّه المرکز وطريق الخلاص<sup>(6)</sup>

يوحنا كتب عبارتين بالنسبة لي تلخص تفرد الإيمان المسيحيّ هما: [اللَّهُ لَمْ يَرَهُ أَحَدٌ قَطُّ. الْإِبْنُ الْوَحِيدُ الَّذِي هُوَ فِي حِضْنِ الْآبِ هُوَ خَبَّرَ]<sup>(7)</sup> وفي رسالته الأولى قال: [اللَّهُ لَمْ يَنْظُرْهُ أَحَدٌ قَطُّ. إِنْ

(1) متى 25: 34-36.

(2) الرسالة الأولى إلى كورنتس 13: 2.

(3) يوحنا 3: 8.

(4) Ibid, p312.

(5) يوحنا 4: 21-23.

(6) Ibid. p312.

(7) يوحنا 1: 17.

## الملاحق.

أَحَبَّ بَعْضُنَا بَعْضًا، فَاللَّهُ يَثْبُتُ فِيْنَا، وَمَحَبَّتُهُ قَدْ تَكَمَّلَتْ فِيْنَا<sup>(1)</sup>، هذا هو جوهر الإيمان المسيحيّ  
سرّ الله الغامض، ومهما كانت طبيعته إلا أنّ يسوع يكشف: [أَنَّ اللَّهَ مَحَبَّةٌ]<sup>(2)</sup>، [وَلَأَنَّ الْمَحَبَّةَ هِيَ  
مِنَ اللَّهِ، وَكُلُّ مَنْ يُحِبُّ فَقَدْ وُلِدَ مِنَ اللَّهِ وَيَعْرِفُ اللَّهَ]<sup>(3)</sup>.

جمعية الأمير عبد القادر للعطوم الإسلامية

---

(6) يوحنا 12:4

(2) يوحنا 8:4

(3) يوحنا 7:4



# الفهارس

- فهرس الآيات القرآنية.
- فهرس الأحاديث النبوية.
- فهرس فقرات الكتاب المقدس.
- فهرس الموضوعات.



## فهرس الآيات القرآنية

صفحة	الآية	رقم الآية	السورة
297	﴿ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى..... وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا ﴾	.157.	النساء
297	﴿ قَالَ تَعَالَى: ﴿ إِذْ قَالَ اللَّهُ يٰعِيسَى ابْنِي..... كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴾ ﴾	.55.	آل عمران
298	﴿ مَرْفُوعَةً مُّطَهَّرَةً..... ﴾	.14.	سبأ
306	﴿ إِذْ هَمَّتْ طَّائِفَتَانِ..... فَلَيْتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴾	.122.	آل عمران
306	﴿ قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ..... إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴾	.01.	المجادلة
307	﴿ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ..... ﴾	.91.	النحل
307	﴿ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي قُلُوبِكُمْ..... ﴾	.51.	الأحزاب
307	﴿ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا..... ﴾	.12.	الطلاق
307	﴿ إِنِّي مَعَكُمْ أَسْمَعُ وَأَرَى..... ﴾	.46.	طه
307	﴿ اللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ..... ﴾	.46.	يونس
307	﴿ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ..... ﴾	.215.	البقرة
307	﴿ الَّذِي يَرِنَكَ حِينَ تَقُومُ..... ﴾	.218.	الشعراء
311	﴿ قَالَ تَعَالَى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ رَبِّي..... صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴾ ﴾	.51.	آل عمران
311	﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ..... إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴾	.25.	الأنبياء
311	﴿ قَالَ تَعَالَى: ﴿ يٰأَيُّهَا الرُّسُلُ..... وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ ﴾ ﴾	51 - 52	المؤمنين
312	﴿ قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَمُصَدِّقًا لِّمَا..... فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ﴾ ﴾	.50.	آل عمران
312	﴿ وَلَا جُلَّ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي حُرِّرَ عَلَيْكُمْ..... ﴾	.50.	آل عمران
312	﴿ قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا..... كَذَّبْتُمْ وَفِرَيقًا تَقْتُلُونَ ﴾ ﴾	.87.	البقرة
312	﴿ ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرًا..... ﴾	.44.	المؤمنين
312	﴿ قَالَ تَعَالَى: ﴿ فِطْرٍ مِنَ الَّذِينَ..... سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيرًا ﴾ ﴾	.160.	النساء
314	﴿ قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا..... وَإِنَّا لَصَادِقُونَ ﴾ ﴾	.146.	الأنعام
314	﴿ وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ..... بِعَايَةِ مِّن رَّبِّكُمْ ﴾	48 - 49	آل عمران



## فهرس الآيات القرآنية

314	﴿ وَإِذْ قَالَ عِيسَىٰ.....هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴾	.06.	الصف
315	﴿ مَا قُلْتُ لَهُمْ .....وَأَنْتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾	.117.	المائدة
317	﴿ قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ .....لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾	- 151 152	الأنعام
318	﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا أَنصَارَ اللَّهِ.....عَدُوَّهُمْ فَاصْبِرُوا لَهُمْ ﴾	.14.	الصف
323	﴿ وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَاتٍ مِّن رَّبِّكُمْ..... ﴾	.49.	آل عمران
324	﴿ قَالَ تَمَالَىٰ: ﴿ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ ..... وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِّنْ أَنصَارٍ ﴾	.72.	المائدة
332	﴿ قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ ءَاتَانِي الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا..... ﴾	.30.	مريم
332	﴿ أَنْ يَسْتَكْفِفَ.....إِلَيْهِ جَمِيعًا ﴾	.172.	النساء
333	﴿ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ.....وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴾	- 84 85	الأنعام
333	﴿ قُلْ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ.....مِّنْهُم وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴾	.84.	آل عمران
334	﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ.....وَأَعَدَّ للكافرين عَذَابًا أَلِيمًا ﴾	.8- 7.	الأحزاب
334	﴿ شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ.....وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ ﴾	.13.	الشورى
334	﴿ كَذَلِكَ يُوحَىٰ إِلَيْكَ.....قَبْلِكَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾	.03.	الشورى
335	﴿ وَأَنَّ أَحْكَمَ بَيْنَهُم ..... كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ ﴾	.46.	المائدة
335	﴿ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ ..... النَّبِيِّينَ عَلَىٰ بَعْضٍ وَعَاتَيْنَا دَاوُدَ زُورًا ﴾	.55.	الإسراء
336	﴿ تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا .....وَلَكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴾	.253.	البقرة
336	﴿ وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا..... ﴾	.57.	مريم
336	﴿ وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ..... ﴾	.32.	الزخرف
337	﴿ قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ .....وَأُتِيَ الْمُسْلِمِينَ ﴾	.102.	النحل
337	﴿ قُولُوا ءَامَنَّا بِاللَّهِ .....وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴾	.132.	البقرة
340	﴿ وَجَعَلْنَاهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ..... ﴾	.91.	الأنبياء
341	﴿ وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً..... ﴾	.50.	المؤمنون

## فهرس الآيات القرآنية

341	﴿ كَهَيْعَصَ ..... أَمْرًا مَّقْضِيًّا ﴾	21- 1	مريم
342	﴿ قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ ..... وَقَدْ وَأَمْرًا قَدْرًا ﴾	.40.	آل عمران
342	﴿ قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمَسِّنِي بَشَرٌ ..... ﴾	.47.	آل عمران
342	﴿ قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ ..... بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا ﴾	- 19 20	مريم
343	﴿ فَحَمَلَتْهُ فَانْتَبَذَتْ ..... عَلَيْكَ رُطْبًا جَنِيًّا ﴾	- 22 24	مريم
343	﴿ قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ ..... أُبْعَثُ حَيًّا ﴾	- 30 33	مريم
344	﴿ إِنَّمَا الْمَسِيحُ ..... بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ﴾	.171.	النساء
345	﴿ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ ..... ﴾	.171.	النساء
345	﴿ لَقَدْ كَفَرَ ..... أَنْظِرْ أَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴾	- 73 75	المائدة
345	﴿ إِنْ مَثَلَ عِيسَى ..... قُلْ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾	.59.	آل عمران
346	﴿ يَتَأَهَّلَ الْكِتَابِ ..... الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴾	.171.	النساء
346	﴿ ذَلِكَ عِيسَى ..... الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴾	.34.	مريم

## فهرس الأحاديث النبوية

صفحة	الحديث
<b>308</b>	[فَجَاءَ رَجُلٌ شَدِيدُ بَيَاضِ الشَّيَابِ، ..... فَأَنَّكَ إِنْ لَا تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ]
<b>311</b>	[أَنَا أَوْلَى النَّاسِ بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَالْأَنْبِيَاءِ إِخْوَةٌ لِعَلَّاتٍ.....]
<b>315</b>	[يَا نَبِيَّ اللَّهِ، مَا كَانَ أَوَّلُ بَدْءِ أَمْرِكَ؟ قَالَ: دَعْوَةُ أَبِي إِبْرَاهِيمَ وَبُشْرَى عِيسَى.....]
<b>337</b>	[لَا تُخَيِّرُوا بَيْنَ الْأَنْبِيَاءِ.....]
<b>337</b>	[لَا تُفَضِّلُوا بَيْنَ أَنْبِيَاءِ اللَّهِ.....]

## فهرس فقرات الكتاب المقدس

التص	الإصحاح	الفقرة	صفحة
الفصل الأول			
متى	33 : 14	[وَالَّذِينَ فِي السَّفِينَةِ ..... بِالْحَقِيقَةِ أَنْتَ ابْنُ اللَّهِ]	37
متى	54 : 27	[وَأَمَّا قَائِدُ الْمِئَةِ وَالَّذِينَ مَعَهُ ..... حَقًّا كَانَ هَذَا ابْنُ اللَّهِ]	37
يوحنا	14-1 : 1	[فِي الْبَدْءِ كَانَ الْكَلِمَةُ، ..... مَمْلُوءًا نِعْمَةً وَحَقًّا]	37
يوحنا	58 : 8	[الْحَقُّ الْحَقُّ أَقُولُ ..... إِبْرَاهِيمُ أَنَا كَائِنٌ]	37
1 كورنتس	20-15 : 19	[إِنْ كَانَ لَنَا فِي ..... وَصَارَ بَاكُورَةَ الرَّاقِدِينَ]	41
أع/الرسل	2 : 36	[فَلْيَعْلَمَ يَقِينًا ..... رَبًّا وَمَسِيحًا]	42
متى	64-63 : 26	[وَأَمَّا يَسُوعُ فَكَانَ ..... قَالَ لَهُ يَسُوعُ: «أَنْتَ قُلْتَ]	51
متى	11 : 28	[فَسَأَلَهُ الْوَالِي قَائِلًا ..... يَسُوعُ: «أَنْتَ تَقُولُ]	51
مزامير	1-110	[قَالَ الرَّبُّ لِرَبِّي: ..... مَوْطِنًا لِقَدَمَيْكَ]	56
الفصل الثاني:			
أع/الرسل	4 : 9	[سَقَطَ عَلَى الْأَرْضِ ..... لِمَاذَا تَضَطَّهْدُنِي]	62
يوحنا	52 : 7	[«أَلَعَلَّكَ أَنْتَ ..... لَمْ يَقُمْ نَبِيٌّ مِنَ الْجَلِيلِ»]	68
لوقا	42 : 22	[«يَا أَبَتَاهُ، إِنْ شِئْتَ ..... لَا إِرَادَتِي بَلْ إِرَادَتُكَ»]	70
متى	47 : 26	[صَرَخَ يَسُوعُ ..... لِمَاذَا تَرَكْتَنِي؟]	71
تكوين	-10 : 17 12	[هَذَا هُوَ عَهْدِي ..... لَيْسَ مِنْ نَسْلِكَ]	71
لوقا	21 : 2	[وَلَمَّا تَمَّتْ ثَمَانِيَةُ أَيَّامٍ ..... أَنْ حُبِلَ بِهِ فِي الْبَطْنِ]	71
متى	6-5 : 10	[هُؤُلَاءِ الْاِثْنَا عَشَرَ ..... بَيْتِ إِسْرَائِيلِ الضَّالَّةِ]	72
لوقا	13-7 : 9	[وَدَعَا تَلَامِيذَهُ ..... فِي كُلِّ مَوْضِعٍ]	72
عدد	-37 : 15 40	[وَكَلَّمَ الرَّبُّ مُوسَى قَائِلًا ..... أَنَا الرَّبُّ إِلَهُكُمْ]	72
متى	17 : 5	[«لَا تَنْظُنُوا أَنِّي جِئْتُ ..... لِأَنْقُضَ بَلْ لِأُكْمِّلَ]	73
متى	17 : 4	[«تُوبُوا لِأَنَّهُ قَدْ اقْتَرَبَ ..... مَلَكُوتُ السَّمَاوَاتِ»]	74
متى	4 : 3	[كَانَ لِبَاسُهُ مِنْ وَبَرِ الْإِبِلِ، ..... جَرَادًا وَعَسَلًا بَرِيًّا]	76

## فهرس فخرات الكتاب المقدس

76	[أَعْطُوا مَا لِقَيْصَرَ..... وَمَا لِلَّهِ لِلَّهِ، فَتَعَجَّبُوا مِنْهُ]	.17 :12	مرقس
76	[أَجَابَ يَسُوعُ:..... مَمْلَكَتِي مِنْ هُنَا]	.36 :18	يوحنا
70	[لَا تَظُنُّوا أَنِّي جِئْتُ..... لِأَنْقُضَ بَلَّ لَأُكْمَلَ]	.17 :5	متى
76	[فَقَالَ لَهُ الرَّبُّ..... صَنَعَ الدَّاحِلَ أَيضًا؟]	.40 :39	لوقا
77	[أَذْكَرُ يَوْمَ السَّبْتِ لِتَقْدَسَهُ..... يَوْمَ السَّبْتِ وَقَدَسَهُ]	11-8 :20	خروج
77	[السَّبْتُ إِنَّمَا جُعِلَ..... لِأَجْلِ السَّبْتِ]	.27 :2	مرقس
77	[«أَلَيْسَ مَكْتُوبًا..... مَعَارَةَ لُصُوصِ]	.17 :11	مرقس
77	[وَأَخْرَجَ جَمِيعَ..... وَكَرَاسِيِّ بَاعَةِ الْحَمَامِ]	12 :21	متى
77	[وَفِيمَا هُوَ خَارِجٌ..... عَلَى حَجَرٍ لَا يُنْقَضُ]	2-1 :13	مرقس
78	[وَتَانِيَةً مِثْلَهَا هِيَ..... الْمُحْرِقَاتِ وَالذَّبَائِحِ]	-31 :12 33	مرقس
78	[إِنْ أَحْبَبْتُمْ الَّذِينَ..... أَيضًا يَفْعَلُونَ ذَلِكَ؟]	.46 :5	متى
78	[فَكُونُوا رَحَمَاءَ..... يُكَالُ لَكُمْ]	-36 :6 38	لوقا
78	[لَا تَظُنُّوا أَنِّي جِئْتُ..... لِأَلْفِي سَلَامًا بَلَّ سَيْفًا]	.34 :10	متى
78	[أَتَظُنُّونَ أَنِّي جِئْتُ..... لَكُمْ: بَلَّ انْقِسَامًا]	.51 :12	لوقا
79	[إِنْ كَانَ أَحَدٌ يَأْتِي..... أَنْ يَكُونَ لِي تَلْمِيزًا]	.26 :14	لوقا
79	[ثُمَّ قَالَ لَهُمْ:..... تَعْرِفُونَ جَمِيعَ الْأَمْثَالِ؟]	.13 :4	مرقس
80	[فَلَمَّا أَكْمَلَ يَسُوعُ..... مِنْ تَعْلِيمِهِ]	.28 :7	متى
80	[«أَلَيْسَ هَذَا هُوَ..... فَكَانُوا يَعْثُرُونَ بِهِ]	.3 :6	مرقس
80	[«مَا هَذَا؟..... حَتَّى الْأَرْوَاحِ النَّجِسَةِ فَتَطِيعُهُ!]	.27 :1	مرقس
80	[وَرَفَعَ عَيْنَيْهِ إِلَى تَلَامِيذِهِ..... لِأَنَّكُمْ سَتَضْحَكُونَ]	21-20 :6	لوقا
81	[وَحَيْثُمَا دَخَلَ إِلَى قَرْيٍ..... مَنْ لَمَسَهُ شُفِي]	.56 :6	مرقس
82	[لَمْ يَصْنَعْ هُنَاكَ قَوَاتٍ..... لِعَدَمِ إِيْمَانِهِمْ]	.58 :13	متى
82	[لَيْسَ نَبِيٌّ بِلا كَرَامَةٍ..... وَبَيْنَ أَقْرَبَائِهِ وَفِي بَيْتِهِ]	.9 :6	مرقس
82	[وَلَكِنْ كُنْتُ بِأَصْبِعِ..... اللَّهُ أَخْرَجَ الشَّيَاطِينَ]	.20 :11	لوقا

## فهرس فخرات الكتاب المقدس

82	[سَمِعْتُمْ أَنَّهُ قِيلَ: ..... إِيكُمْ وَيَطْرُدُونَكُمْ]	5: 43-44	متى
82	[إِذَا ابْنُ الْإِنْسَانِ هُوَ رَبُّ ..... السَّبْتِ أَيْضًا]	2: 28.	مرقس
83	[فَلَمَّا رَأَى يَسُوعُ ..... إِلَّا اللَّهَ وَحْدَهُ؟]	2: 5-7.	مرقس
83	[كُلُّ شَيْءٍ قَدْ دُفِعَ ..... أَنْ يُعْلَنَ لَهُ]	11: 27.	متى
83	[فَامْتَلَأُوا حُمَقًا ..... مَاذَا يَفْعَلُونَ بِيَسُوعَ]	6: 11.	لوقا
83	[لَأَنَّهُمْ قَالُوا: ..... «إِنَّ مَعَهُ رُوحًا نَجِسًا»]	3: 30.	مرقس
84	[وَأَمَّا الْكُتْبَةُ ..... يُخْرِجُ الشَّيَاطِينَ]	3: 22.	مرقس
84	[وَلَمَّا سَمِعَ أَقْرِبَاؤُهُ ..... لَأَنَّهُمْ قَالُوا: «إِنَّهُ مُخْتَلٌ»]	3: 21.	مرقس
85	[فَإِنَّ ابْنَ الْإِنْسَانِ ..... الْمَلَائِكَةِ الْفِدِّيِّينَ]	8: 38.	مرقس
86	[أَذَا مَلَاكُ الرَّبِّ ..... شَعْبَهُ مِنْ خَطَايَاهُمْ]	1: 20-21.	متى
86	[فَقَالَ لَهَا الْمَلَاكُ ..... وَابْنِ الْعَلِيِّ يَدْعَى]	1: 31-32.	لوقا
87	[وَكَانَ فِي تِلْكَ الْكُورَةِ رِعَاةٌ ..... مُضْجَعًا فِي مِدْوَدٍ]	2: 8-12.	لوقا
87	[... قَائِلِينَ: «أَيْنَ هُوَ ..... وَأَتَيْنَا لِنَسْجُدَ لَهُ»]	2: 2.	متى
88	[وَلَكِنْ يُوحَنَّا مَنَعَهُ ..... وَأَنْتَ تَأْتِي إِلَيَّ!]	3: 14.	متى
88	[فَلَمَّا اعْتَمَدَ ..... الَّذِي بِهِ سُرِّتُ]	3: 16-17.	متى
89	[أَنَّ السَّمَاوَاتِ انْفَتَحَتْ، ..... فَرَأَيْتُ رُؤْيَ اللَّهِ]	1: 1.	حزقيال
89	[وَفِيمَا هُوَ يُصَلِّي ..... يَكْمَلُهُ فِي أُورُشَلِيمَ]	9: 29-31.	لوقا
89	[«هَذَا هُوَ ابْنِي الْحَبِيبُ، ..... لَهُ اسْمَعُوا»]	9: 35.	لوقا
89	[وَسَكَنُوا وَلَمْ يُخْبِرُوا ..... مِمَّا أَبْصَرُوهُ]	9: 36.	لوقا
90	[لَمَّا رَأَوْهُ مَاشِيًا عَلَى الْبَحْرِ ..... ظَنُّوهُ خَيَالًا، فَصَرَخُوا]	6: 49.	مرقس
91	[أَأَنْتَ الْمَسِيحُ ابْنُ الْمُبَارَكِ؟ .....]	14: 61.	مرقس
91	[أَنَا هُوَ وَسَوْفَ ..... فِي سَحَابِ السَّمَاءِ]	14: 62.	مرقس



## فهرس فقرات الكتاب المقدس

91	[صَرَخُوا قائلين لبيلاطس: «اصْلِبْهُ!».....]	13 : 15 .	مرقس
91	[وَنَادَى يَسُوعُ ..... وَلَمَّا قَالَ هَذَا أَسْلَمَ الرُّوحَ]	46 : 23 .	لوقا
92	[وَوَحْنُ كُنَّا نَرْجُو أَنَّهُ هُوَ الْمُرْمَعُ أَنْ يَفْدِيَ إِسْرَائِيلَ.....]	21 : 24 .	لوقا
92	[أَنْظُرُوا يَدَيَّ وَرِجْلَيَّ ..... وَعِظَامٌ كَمَا تَرَوْنَ لِي«]	39 : 24 .	لوقا
92	[أَنَّ اللَّهَ أَقَامَهُ مِنَ الْأَمْوَاتِ، خَلَصَتْ.....]	9 : 10 .	رومية
93	[ثُمَّ إِنَّ الرَّبَّ بَعْدَمَا ..... وَجَلَسَ عَنِ يَمِينِ اللَّهِ]	19 : 16 .	مرقس
93	[فَقَالَتِ الْجُمُوعُ..... الْجَلِيلِ«]	11 : 21 .	متى
94	[«قَدْ قَامَ فِيْنَا نَبِيٌّ عَظِيمٌ، ..... وَافْتَقَدَ اللَّهُ شَعْبَهُ«]	16 : 7 .	لوقا
94	[«لَوْ كَانَ هَذَا نَبِيًّا ..... وَمَا هِيَ! إِنَّهَا خَاطِئَةٌ«]	39 : 7 .	لوقا
94	[هَكَذَا قَالَ الرَّبُّ.....]	3 : 1 .	عاموس
95	[«لَيْسَ نَبِيٌّ بِأَكْرَامَةٍ ..... أَقْرَبَائِهِ وَفِي بَيْتِهِ«]	4 : 6 .	مرقس
95	[يَنْبَغِي أَنْ أُسِيرَ ..... عَنْ أُورُشَلِيمَ]	33 : 13 .	لوقا
95	[إِحْتَرِزُوا مِنَ الْأَنْبِيَاءِ ..... ذِئَابُ خَاطِئَةٌ]	15 : 7 .	متى
96	[كَانَ إِنْسَانًا نَبِيًّا ..... اللَّهُ وَجَمِيعِ الشَّعْبِ]	19 : 24 .	لوقا
96	[أَقِيمُ لَهُمْ نَبِيًّا مِنْ وَسْطِ ..... بِكُلِّ مَا أُوصِيَهُ بِهِ]	18 : 18 .	تشية
96	[لَأَنَّ قَوْمًا كَانُوا يَقُولُونَ..... إِنَّ نَبِيًّا مِنَ الْقَدَمَاءِ قَامَ«]	8-7 : 9 .	لوقا
96	[وَلَمَّا صَارَ الْمَسَاءُ ..... وَحَمَلَ أَمْرَاضَنَا«]	16 : 8 - 17 .	متى
97	[لِأَنَّهُ كَمَا كَانَ يُونَانُ ..... ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ثَلَاثَ لَيَالٍ]	40 : 12 .	متى
97	[أَمَّا الرَّبُّ فَسَرَّ ..... الرَّبُّ بِيَدِهِ تَنْجَحُ]	10 : 53 .	إشعيا
98	[بَعْدَ هَذَا قَامَ يَهُوذَا ..... انْقَادُوا إِلَيْهِ تَشَتُّوْا]	37 : 5 .	أع/الرسل
99	[فَقَالَ لَهُمْ: «وَأَنْتُمْ..... لِأَحَدٍ عَنْهُ]	30-29 : 8 .	مرقس
99	[وَكَانَتْ شَيَاطِينُ ..... عَرَفُوهُ أَنَّهُ الْمَسِيحُ]	41 : 4 .	لوقا
100	[«أَوْصِنَا..... مُبَارَكُ الْآتِي بِاسْمِ الرَّبِّ!»]	9 : 11 .	مرقس
100	[فَصَعِدَ يُوسُفُ ..... مِنْ بَيْتِ دَاوُدَ وَعَشِيرَتِهِ]	4 : 2 .	لوقا

## فهرس فقرات الكتاب المقدس

100	[ أَنَّهُ وُلِدَ لَكُمْ الْيَوْمَ ..... الرَّبُّ ]	.11 :2	لوقا
101	[ «أَمَا أَنْتِ يَا بَيْتَ ..... عَلَى إِسْرَائِيلَ ]	.2 :5	ميخا
101	[ وَبَارَكْهُمَا سَمْعَانُ ..... كَثِيرِينَ فِي إِسْرَائِيلَ ]	.34 :2	لوقا
101	[ فِي تِلْكَ السَّاعَةِ ..... فِدَاءً فِي أُورُشَلِيمَ ]	.38 :2	لوقا
101	[ فَسْتَلِدُ ابْنًا ..... شَعْبَهُ مِنْ خَطَايَاهُمْ ]	.21 :1	متى
101	[ أَمَا هُمْ الْمُجْتَمِعُونَ ..... الْمَلِكِ إِلَى إِسْرَائِيلَ؟ ]	.6 :1	أع/الرسل
101	[ لِأَنَّ لَيْسَ مَلَكَوْتُ اللَّهِ ..... فِي الرُّوحِ الْقُدُسِ ]	.17 :14	رومية
102	[ «رُدِّ سَيْفَكَ ..... يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ؟» ]	-52 :26 .54	متى
102	[ وَقَالَ لَهُمْ ..... وَالْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرَامِيرِ ]	.44 :24	لوقا
102	[ «كُنْتُ أَرَى فِي رُؤْيٍ ..... مَا لَا يَنْقَرِضُ» ]	-13 :7 .14	دانيال
103	[ وَلَكِنْ لِكَيْ تَعَلَّمُوا ..... أَنْ يَغْفِرَ الْخَطَايَا ]	.9 :6	متى
103	[ إِذَا ابْنُ الْإِنْسَانِ هُوَ رَبُّ السَّبْتِ أَيْضًا ..... ]	.28 :2	مرقس
103	[ هَا مَلَكَوْتُ اللَّهِ دَاخِلَكُمْ ..... ]	.21 :17	لوقا
103	[ وَأَقُولُ لَكُمْ ..... قُدَّامَ مَلَائِكَةِ اللَّهِ ]	.9-8 :12	لوقا
104	[ بِخِرَافِ بَيْتِ إِسْرَائِيلَ لِصَالَّةٍ ..... ]	.24 :15	متى
104	[ أَنَا أَعْمَدُكُمْ بِمَاءٍ ..... الْقُدُسِ وَنَارٍ ]	.16 :3	لوقا
105	[ أَعْظَمَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ ..... اسْمًا أَفْضَلَ مِنْهُمْ ]	.4 :1	عبرانيين
105	[ «هَذَا هُوَ ابْنِي الْحَبِيبُ، لَهُ اسْمَعُوا» ..... ]	.7 :9	مرقس
106	[ هَكَذَا يَقُولُ الرَّبُّ: إِسْرَائِيلُ ابْنِي الْبِكْرِ ..... ]	.22 :4	خروج
106	[ «بِالْحَقِيقَةِ أَنْتَ ابْنُ اللَّهِ!» ..... ]	.33 :14	متى
106	[ الْإِبْنُ نَفْسُهُ أَيْضًا سَيَخْضَعُ لِلَّذِي أَخْضَعَ لَهُ الْكُلَّ ..... ]	.28 :15	1 كورنتوس
106	[ كُلُّ شَيْءٍ قَدْ دُفِعَ إِلَيَّ مِنْ أَبِي ..... ]	.22 :10	لوقا
106	[ قَدْ جَدَّفَ! ..... سَمِعْتُمْ تَجْدِيفَهُ! ]	.65 :26	متى
106	[ وَأَمَّا قَائِدُ الْمِئَةِ ..... هَذَا ابْنُ اللَّهِ! ]	.54 :27	متى

## فهرس فقرات الكتاب المقدس

107	[فَتَكُونُونَ قَدِيسِينَ لِأَنِّي أَنَا قُدُّوسٌ.....]	.45 :11	لاويين
107	[الْمُقَدَّسِينَ فِي الْمَسِيحِ ..... فِي كُلِّ مَكَانٍ]	.2 :1	1 كورنثوس
107	[فَقَالَ لَهُمْ يَسُوعُ..... فَحِينَئِذٍ يَصُومُونَ]	.14 :9	متى
107	[لَأَنَّ بَعْلَكَ هُوَ ..... قَالَ إِلَهِي]	-5 :54 .6	إشعيا
107	[فَلْيَعْلَمَ يَقِينًا جَمِيعٌ ..... أَنْتُمْ، رَبَّنَا وَمَسِيحًا]	.36 :2	أع/الرسل
108	[«إِنَّ الرَّبَّ قَامَ بِالْحَقِيقَةِ وَظَهَرَ لِسَمْعَانَ!».....]	.34 :14	لوقا
108	[فَلَسْتُمْ إِذَا بَعُدُ ..... مَسْكِنًا لِلَّهِ فِي الرُّوحِ]	-19 :2 22	أفسس
109	[وَيَعْتَرِفَ كُلُّ لِسَانٍ ..... لِمَجْدِ اللَّهِ الْآبِ]	.12 :11	فيلبي
109	[شُهُودًا فِي ..... وَإِلَى أَقْصَى الْأَرْضِ]	.8 :1	أع/الرسل
110	[ظَهَرَتْ لَهُمْ أَلْسِنَةٌ ..... الرُّوحِ أَنْ يَنْطِقُوا]	.4 -3 :2	أع/الرسل
110	[«وَهَذِهِ الْآيَاتُ ..... عَلَى الْمَرَضَى فَيَبْرَأُونَ»]	-17 :16 .18	مرقس
110	[الَّذِي أَقَامَهُ اللَّهُ.....]	.24 :2	أع/الرسل
112	[فَقَابَلَهُ قَوْمٌ مِنَ الْفَلَّاسِفَةِ ..... بِيَسُوعَ وَالْقِيَامَةِ]	.18 :17	أع/الرسل
112	[وَلَمَّا سَمِعُوا ..... عَنْ هَذَا أَيْضًا!]	.32 :17	أع/الرسل
113	[فَلَمَّا رَأَى الْيَهُودُ ..... إِلَى أَقْصَى الْأَرْضِ«]	-45 :13 47	أع/الرسل
114	[لَيْسَ يَهُودِيٌّ ..... فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ]	.28 :3	غلاطية
114	[«إِنْ لَمْ تَخْتَسِنُوا ..... أَنْ تَخْلُصُوا»]	.1 :15	أع/الرسل
114	[لَكِنْ لَمَّا رَأَيْتُ ..... الْأُمَّمَ أَنْ يَتَهَوَّدُوا؟«]	.14 :2	غلاطية
115	[فَالآنَ لِمَاذَا تُجْرَبُونَ..... نَحْنُ أَنْ نَحْمِلَهُ؟]	.10 :15	أع/الرسل
115	[لِذَلِكَ أَنَا أَرَى أَنْ ..... وَالْمَخْنُوقِ، وَالِدَّمِ]	-19 :15 .20	أع/الرسل
115	[لَأَنَّ قَلْبَ هَذَا الشَّعْبِ قَدْ غُلِظَ.....]	.27 :28	أع/الرسل
118	[لَا يَكُنْ لَكَ إِلَهَةٌ أُخْرَى أَمَامِي.....]	.3 :20	خروج

## فهرس فخرات الكتاب المقدس

119	[ اِسْمَعْ يَا إِسْرَائِيلُ: الرَّبُّ إِلَهُنَا رَبُّ وَاحِدٌ..... ]	4 : 6	تشية
120	[ وَكَانَ لِحُمْهُورٍ ..... وَاحِدٌ وَنَفْسٌ وَاحِدَةٌ ]	32 : 4	أع/الرسل
120	[ وَكَانَ الْجَمِيعُ بِنَفْسٍ وَاحِدَةٍ..... ]	12 : 5	أع/الرسل
121	[ فَلْيَعْلَمَ يَقِينًا جَمِيعٌ..... أَنْتُمْ، رَبَّنَا وَمَسِيحًا ]	36 : 2	أع/الرسل
121	[ عَنِ ابْنِهِ الَّذِي صَارَ..... يَسُوعَ الْمَسِيحِ رَبَّنَا ]	4 - 3 : 1	رومية
121	[ الَّذِي هُوَ..... صُورَةُ اللَّهِ غَيْرِ الْمَنْظُورِ ]	15 : 1	كولوسي
122	[ فَإِنَّهُ فِيهِ يَحِلُّ كُلُّ مِلءِ اللَّاهُوتِ جَسَدِيًّا..... ]	9 : 2	كولوسي
122	[ الَّذِي إِذْ كَانَ ..... اسْمًا فَوْقَ كُلِّ اسْمٍ ]	8-6 : 2	فيلبي
الفصل الثالث			
132	[ وَمِنْ هُنَاكَ لَمَّا سَمِعَ ..... شَكَرَ اللَّهُ وَتَشَجَّعَ ]	15 : 28	أ/الرسل
140	[ لِأَنَّهُ يُوجَدُ خَصِيَانٌ ..... أَنْ يَقْبَلَ فَلْيَقْبَلْ ]	12 : 19	متى
145	[ فَادْهَبُوا وَتَلْمَذُوا ..... وَالابْنِ وَالرُّوحِ الْقُدُسِ ]	19 : 28	متى
150	[ فِي الْبَدْءِ كَانَ الْكَلِمَةُ..... وَالظُّلْمَةُ لَمْ تُدْرِكْهُ ]	5-1 : 1	يوحنا
150	[ وَالْكَلِمَةُ صَارَ جَسَدًا..... مَمْلُوءًا نِعْمَةً وَحَقًّا ]	14 : 1	يوحنا
150	[ اللَّهُ لَمْ يَرَهُ أَحَدٌ ..... الْآبِ هُوَ خَبْرٌ ]	18 : 1	يوحنا
151	[ يَا إِلَهَ الْآبَاءِ..... الَّتِي كَوْنَتْهَا ]	2 - 1 : 9	الحكمة
151	[ يُوحَنَّا شَهِدَ لَهُ ..... لِأَنَّهُ كَانَ قَبْلِي ]	15 : 1	يوحنا
151	[ قَالَ لَهُمْ يَسُوعُ..... إِبْرَاهِيمُ أَنَا كَائِنٌ ]	58 : 8	يوحنا
152	[ أَبُوهَا الْآبُ أُرِيدُ ..... إِنِشَاءَ الْعَالَمِ ]	24 : 17	يوحنا
152	[ أَجَابَ ثُومًا وَقَالَ لَهُ: «رَبِّي وَإِلَهِي!»..... ]	28 : 20	يوحنا
152	[ بِيَرِّ إِلَهُنَا وَالْمُخَلَّصِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ..... ]	1 : 1	بطرس 2
153	[ عَنِ ابْنِهِ الَّذِي صَارَ م..... يَسُوعَ الْمَسِيحِ رَبَّنَا ]	4-3 : 1	رومية
153	[ بَدَاءَةُ خَلِيقَةِ اللَّهِ..... ]	14 : 3	رؤ/يوحنا
153	[ أَنَا الْأَلْفُ وَالْيَاءُ، الْبَدَائِيَّةُ وَالنَّهَائِيَّةُ، الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ..... ]	13 : 22	رؤ/يوحنا
154	[ أَمَّا وِلَادَةُ يَسُوعَ ..... الرُّوحِ الْقُدُسِ ]	18 : 1	متى

## فهرس فخرات الكتاب المقدس

154	[وَلَمَّا حَضَرَ يَوْمٌ.....الرُّوحُ أَنْ يَنْطِقُوا]	.4 -1 :2	أع/الرسل
155	[وَجَبَلَ الرَّبُّ ..... آدَمَ نَفْسًا حَيَّةً]	.7 :2	تكوين
155	[رُوحُ الرَّبِّ تَكَلَّمَ بِي وَكَلِمَتُهُ عَلَى لِسَانِي.....]	.2 :23	صموئيل2
155	[رُوحُ الْحَقِّ، الَّذِي مِنْ عِنْدِ الْآبِ.....]	.26 :15	يوحنا
155	[وَأَمَّا مَتَّى جَاءَ ..... وَيُخْبِرُكُمْ بِأُمُورِ آتِيَةٍ]	.13 :16	يوحنا
155	[وَمَتَّى جَاءَ الْمُعْزِي ..... مَعِيَ مِنَ الْإِبْتِدَاءِ]	-26 :15 27	يوحنا
155	[لَكِنِّي أَقُولُ ..... إِنَّ ذَهَبْتُ أُرْسِلُهُ إِلَيْكُمْ]	.7 :16	يوحنا
157	[فَحِينَئِذٍ أَسْلَمَهُ ..... بِالْعِرَانِيَّةِ «جُلِجَثَةُ»]	-16 :19 .17	يوحنا
158	[لَأَنَّهُ قَدْ دَخَلَ ..... وَالصَّدُّ لِلْمَسِيحِ]	.7 :1	2يوحنا
158	[فَقَامُوا وَأَخْرَجُوهُ ..... وَسَطِهُمُ وَمَضَى]	-29 :4 .30	لوقا
158	[وَرَأَاهُمْ مُعَذِّبِينَ ..... خِيَالًا، فَصَرَخُوا]	-48 :6 .49	مرقس
161	[فَلْيَعْلَمْ يَقِينًا ..... رَبًّا وَمَسِيحًا]	.36 :2	أع/الرسل
161	[هُوَ يَبْنِي بَيْتًا ..... وَهُوَ يَكُونُ لِي ابْنًا]	-13 :7 .14	صموئيل2
164	[فِي الْبَدْءِ كَانَ ..... الْكَلِمَةُ اللَّهُ]	.1 :1	يوحنا
169	[«لَا تَطْنُوا أَنِّي جِئْتُ ..... مَلَكَوتِ السَّمَاوَاتِ]	-17 :5 .19	متى
174	[وَلَيْسَ أَحَدٌ يَجْعَلُ ..... فِي زِقَاقِ جَدِيدَةٍ]	-37 :5 .38	لوقا
175	[وَخَالِقُ الشَّرِّ.....]	.7 :45	إشعيا
176	[وَكَذَلِكَ الْكَاسَ ..... يُسْفِكُ عَنْكُمْ]	.20 :22	لوقا
177	[فَكُلُّ الَّذِينَ ..... وَعَلَى إِسْرَائِيلَ اللَّهُ]	.16 :6	غلاطية
182	[وَكَانَ قَبْلًا فِي الْمَدِينَةِ.....مَوْهَبَةَ اللَّهِ بِدَرَاهِمِ!...]	-9 :8 .25	أع/الرسل

## فهرس فخرات الكتاب المقدس

182	[وَأَمَّا مِنْ جِهَةٍ ..... مَعْرُوفٌ عِنْدَهُ]	.1 : 3-8	كورنثوس 1
183	[يَا تِيموثَاوُسُ، ..... النَّعْمَةُ مَعَكَ .. آمِينَ.]	-20 : 6 .21	تيموثاوس 1
193	[وَأَمَّا الْمُعْزِي، ..... بِكُلِّ مَا قُلْتُهُ لَكُمْ]	.26 : 14	يوحنا
195	[لَأَنَّهُ لَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ ..... ظَاهِرِينَ بَيْنَكُمْ]	.19 : 11	كورنثوس 1
196	[وَقَالَ اللَّهُ: نَعْمَلُ الْإِنْسَانَ عَلَى صُورَتِنَا كَشَبَهِنَا.....]	.26 : 1	تكوين
200	[وَمَتَى جَاءَ الْمُعْزِي ..... فَهُوَ يَشْهَدُ لِي]	.26 : 15	يوحنا
الفصل الرابع			
220	[«الرَّبُّ قَنَانِي ..... دَائِمًا قُدَّامَهُ]	-22 : 8 .30	أمثال
220	[وَالكَلِمَةُ صَارَ جَسَدًا.....]	.14 : 1	يوحنا
الفصل الخامس:			
291	[لَأَنَّ مَحَبَّةَ الْمَسِيحِ تَحْضُرُنَا ..... مَاتَ لِأَجْلِهِمْ وَقَامَ]	.15-14	2 كورنثوس
291	[لَأَنَّهُ كَانَ يُعَلِّمُ تَلَامِيذَهُ ..... الْيَوْمَ الثَّلَاثِ]	.31 : 9	مرقس
291	[أُبَارِكُ الرَّبَّ الَّذِي ..... نَعِمَ إِلَى الْأَبَدِ]	-16:8 .11	مزمور
292	[لَأَنَّ دَاوُدَ يَقُولُ فِيهِ ..... سُرُورًا مَعَ وَجْهِكَ]	-25 : 2 .27	أع/الرسل
292	[فَإِنِّي سَلَّمْتُ إِلَيْكُمْ ..... ثُمَّ لِثَلَاثِي عَشَرَ]	.5-3 : 15	1 كورنثوس
292	[وَابْتَدَأَ يُعَلِّمُهُمْ ..... وَبَعْدَ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ يَقُومُ]	.31 : 8	مرقس
293	[لَأَنَّهُ كَمَا كَانَ يُونَانَ ..... وَثَلَاثَ لَيَالٍ]	.40 : 12	متى
293	[وَقَالَا: «هَذَا قَالَ: ..... وَفِي ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ أُبْنِيهِ»]	.61 : 26	متى
293	[أَخِيرًا ظَهَرَ لِلْأَحَدِ عَشَرَ ..... الَّذِينَ نَظَرُوهُ قَدْ قَامَ]	.14 : 16	مرقس
294	[وَأَنَا كَأَخَوَتِي أَبْدُلُ جَسَدِي ..... عَلَى أُمَّتِنَا عَدْلًا]	-37 : 7 .38	2 مكابيين
296	[أَخْذُوا السَّيِّدَ مِنَ الْقَبْرِ، ..... وَلَسْنَا نَعْلَمُ أَيْنَ وَضَعُوهُ. !]	.2 : 20	يوحنا
296	[أَذْكُرُنْ كَيْفَ كَلَّمَكُنَّ ..... وَهُوَ بَعْدُ فِي الْجَلِيلِ]	.06 : 24	لوقا



## فهرس فخرات الكتاب المقدس

296	[وَأَنَّهُ ظَهَرَ لَصَفَا ثُمَّ لِلاثْنِي عَشَرَ.....ظَهَرَ لِي أَنَا]	5 :15- .8	1 كورنثوس
299	[وَفِيمَا هُمْ يَأْكُلُونَ أَخَذَ.....لِمَغْفِرَةِ الْخَطَايَا]	26 :26- .28	متى
300	[فَاذْهَبُوا وَتَلْمِذُوا جَمِيعَ .....إِلَى انْقِضَاءِ الدَّهْرِ « آمِينَ ]	19 :28- 20	متى
303	[وَكَانُوا كُلَّ يَوْمٍ يُوَاظِبُونَ .....الَّذِينَ يَخْلُصُونَ]	46 :2- 47	أع/الرسل
305	[فَنَهَضَ شَاوُلٌ عَنِ الْأَرْضِ،.....فَلَمْ يَأْكُلْ وَلَمْ يَشْرَبْ]	8 :9-9	أع/الرسل
306	[وَلَمَّا حَضَرَ يَوْمَ الْخَمْسِينَ .....أَعْطَاهُم الرُّوحَ أَنْ يَنْطِقُوا]	4 :1-2	أع/الرسل
309	[لَا تَطْنُوا أَنِّي جِئْتُ ..... مَا جِئْتُ لِنُقْضِ بَلْ لِأَكْمَلِ]	17 :5	متى
309	[وَلَكِنَّ زَوَالَ السَّمَاءِ.....وَاحِدَةً مِنَ النَّامُوسِ]	17 :16	لوقا
309	[«يَا مُعَلِّمُ، أَيُّهُ وَصِيَّةٌ.....تُحِبُّ قَرِيبَكَ كَنَفْسِكَ]	36 :22- 39	متى
309	[بِهَاتَيْنِ الْوَصِيَّتَيْنِ يَتَعَلَّقُ .....النَّامُوسُ كُلُّهُ وَالْأَنْبِيَاءُ]	40 :22	متى
310	[بَارِكُوا لِأَعْيُنِكُمْ، وَصَلُّوا .....لِأَجْلِ الَّذِينَ يُسَيِّئُونَ إِلَيْكُمْ]	80 :6	لوقا
310	[«أَفَأَنْتُمْ أَيْضًا هَكَذَا ..... وَتُنَجِّسُ الْإِنْسَانَ»]	17 :7- 23	مرقس
310	[الْحَقُّ أَقُولُ لَكُمْ: .....إِلَى مَلَكُوتِ اللَّهِ]	31 :21	متى
315	[وَأَمَّا مَتَّى جَاءَ ذَاكَ ..... مِمَّا لِي وَيُخْبِرُكُمْ]	13 :16- 14	يوحنا
317	[وَإِذَا وَاحِدٌ تَقَدَّمَ ..... وَتَعَالَ اتَّبِعْنِي«]	16 :19- 21	متى
317	[احْفَظُوا وَصَايَا .....الَّتِي أَوْصَاكُمْ بِهَا]	17 :6	تثنية
317	[لَا يَكُنْ لَكَ آلِهَةٌ .....وَلَا شَيْئًا مِمَّا لِقَرِيبِكَ]	17-20:3	خروج
318	[ثُمَّ يَقُولُ الْمَلِكُ لِلَّذِينَ .....فَبِي فَعَلْتُمْ]	40-34	متى 25
318	[وَأَمَّا يَسُوعُ فَقَالَ .....فِي وَطَنِهِ وَفِي بَيْتِهِ]	57 :13	متى
318	[يَا أُورُشَلِيمُ، يَا أُورُشَلِيمُ!.....جَنَّاحَيْهَا، وَلَمْ تُرِيدُوا!]	34 :13	لوقا
318	[وَأَرْسَلَ إِلَيْهِمْ ..... عَلَيْهِمْ فَلَمْ يُصْعِقُوا]	19 :24	أ-أيام 2
320	[ مَتَّى كَمَلْتُ أَيَّامَكَ ..... ثَابِتًا إِلَى الْأَبَدِ ]	16-12 :7	صموئيل 2

## فهرس فخرات الكتاب المقدس

320	[فَائِي أُقِيمُ كُرْسِيَّ ..... كُرْسِيَّ إِسْرَائِيلَ]	5 : 9	ملوك 1
321	[إِذَا مَجُوسٌ مِنَ الْمَشْرِقِ ..... وَأَتَيْنَا لِنَسْجُدَ لَهُ]]	2 : 1 - 2	متى
321	[فَوَقَّفَ يَسُوعُ ..... «أَأَنْتَ مَلِكُ الْيَهُودِ؟»]	11 : 27	متى
321	[وَجَعَلُوا فَوْقَ ..... يَسُوعُ مَلِكُ الْيَهُودِ]]	37 : 27	متى
321	[وَأَنْتِ يَا بَيْتَ لَحْمٍ ..... يَرْعَى شَعْبِي إِسْرَائِيلَ]]	6 : 2	متى
321	[وَلَمَّا كَمَلْتَ هَذِهِ ..... وَذَفَنِي وَجَلَسْتُ مُتَحِيرًا]	4 : 1 - 9	عزرا
322	[وَإِذَا امْرَأَةٌ كَنَعَانِيَّةٌ ..... وَيُطْرَحُ لِلْكِلَابِ]]	15 : 22 - 26	متى
322	[فَقَالَتْ لَهُ الْمَرْأَةُ السَّامِرِيَّةُ ..... لَا يُعَامِلُونَ السَّامِرِيِّينَ]	9 : 4	يوحنا
322	[أَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ..... أَجْنَبِيٍّ أَوْ يَأْتِي إِلَيْهِ]	10 : 28	أع/رسل
323	[فَأَجَابَهُ يَسُوعُ: ..... إِلَهُنَا رَبُّ وَاحِدٍ]	12 : 29	مرقس
323	[قَائِلًا: «عَلَى كُرْسِيِّ مُوسَى ..... يَقُولُونَ وَلَا يَفْعَلُونَ]	3 : 2 - 23	متى
323	[إِلَى خَاصَّتِهِ جَاءَ، وَخَاصَّتُهُ لَمْ تَقْبَلَهُ.....]	11 : 1	يوحنا
324	[فَسَتَلِدُ ابْنًا ..... شَعْبُهُ مِنْ خَطَايَاهُمْ]	1 : 21	متى
323	[أَنْتُمْ تَسْجُدُونَ..... الْخَلَاصَ هُوَ مِنَ الْيَهُودِ]	4 : 22	يوحنا
324	[وَهَا أَنْتِ سَتَحْبِلِينَ ..... لِمَلِكِهِ نَهَائَةً]	1 : 30 - 31	لوقا
324	[وَأَمَّا مُوسَى فَصَعِدَ ..... وَتُخْبِرُ بَنِي إِسْرَائِيلَ]	3 : 19	الخروج
325	[إِسْمَعُوا كَلِمَةَ ..... عَشَائِرِ بَيْتِ إِسْرَائِيلَ]	4 : 2	إرميا
325	[هُؤُلَاءِ الْاِثْنَا عَشَرَ..... بَيْتِ إِسْرَائِيلِ الصَّالَّةِ]	6 : 5 - 10	متى
326	[وَأَقُولُ لَكُمْ..... فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ]	11 : 8	متى
326	[وَقَالَ لَهُمْ..... بِالْإِنْجِيلِ لِلْخَلِيقَةِ كُلِّهَا]	15 : 16	متى
326	[فَاذْهَبُوا وَتَلْمِذُوا..... وَالرُّوحِ الْقُدُسِ]	19 : 28	متى
329	[وَكَانَ يُصَلِّي قَائِلًا..... عَنِيبِهِ الْكَأْسِ]	39 : 29	متى
329	[فَقَالَ لَهُمْ: «نَفْسِي ..... السَّاعَةَ إِنْ أَمَكْنَ]	14 : 34 - 35	مرقس

## فهرس ففرفف الكفاب المفءس

329	[وَكَانَ صَوْتُ مِنْ .....الَّذِي بِهِسُرْتُ]	.11 :1	مرفس
329	[أَقُولُ لِلشَّمَالِ ..... وَبِنَاتِي مِنْ أَقْصَى الْأَرْضِ]	.6 :43	إشعفا
329	[إِنِّي أَخْبِرُ مِنْ جِهَةٍ ..... أَنَا الْيَوْمَ وَلَدْتُكَ]	.7 :2	مزمور
329	[إِسْمَعِي أَيُّهَا ..... أَمَا هُمْ فَعَصَوْا عَلَيَّ]	.2 :1	إشعفا
329	[أَنَا قُلْتُ: إِنَّكُمْ آلَهُةٌ وَبَنُو الْعَلِيِّ كُلُّكُمْ.....]	.6 :82	مزمور
330	[حِينَئِذٍ كَلَّمَ يَشُوعُ الرَّبَّ ..... حَارَبَ عَنْ إِسْرَائِيلَ]	-12 :10 14	يشوع
330	[وَدَخَلَ الْيَشَعُ ..... ثُمَّ فَتَحَ الصَّيِّ عَيْنِيهِ]	-34 :4 36	ملوك/2
331	[...وَبَيْنَمَا أَنَا أَنْبَأُ .....جَيْشٌ عَظِيمٌ جِدًّا جِدًّا]	.9-7 :37	حزقيال
331	[..وَصَرَخَ إِلَى الرَّبِّ .....نَفْسُ الْوَلَدِ إِلَى جَوْفِهِ فَعَاشَ]	.23 :17	ملوك/1
331	[فَقَالَتْ: «حَيٌّ هُوَ ..... تَكَلَّمَ بِهِ عَنْ يَدِ إِبِلِيَّا]	-12 :17 13	ملوك/1
332	[يَا لَيْتَ سَيِّدِي أَمَامَ .....صَبِيٍّ صَغِيرٍ وَطَهْرًا]	14-3 :5	ملوك/2

• الكتب المقدّسة:

1. برنامج القرآن الكريم (مصحف المدينة برواية حفص).
2. برنامج الكتاب المقدّس بعهديه القديم والجديد (النسخة البروتستانتية).

• تفاسير ونسوحات القرآن الكريم:

1. أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي: الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تح: صفوان عدنان داوودي، دار القلم، الدار الشامية - دمشق، بيروت، ط1، 1415 هـ.
2. أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي: تفسير القرآن العظيم تح: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط2، 1420 هـ-1999 م.
3. أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزخشري جار الله: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، دار الكتاب العربي، بيروت، ط3، 1407 هـ.
4. أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي، بحر العلوم، تح: علي محمد وعلي أحمد عبد الموجود، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط1، 1413 هـ-1993 م.
5. أبو حفص سراج الدين عمر بن علي بن عادل الحنبلي الدمشقي النعماني اللباب في علوم تح: عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان ط1، 1419 هـ-1998 م.
6. أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي: الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي)، تح: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط2، 1384 هـ-1964 م.
7. أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي: معالم التنزيل في تفسير القرآن، تح: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1، 1420 هـ.
8. أبو منصور الماتريدي: تفسير الماتريدي (تأويلات أهل السنة) تح: مجدي باسلوم، دار الكتب العلمية - بيروت، لبنان، ط1، 1426 هـ-2005 م.
9. أحمد بن مصطفى المراغي: تفسير المراغي، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، ط1، 1365 هـ-1946 م.
10. جلال الدين محمد بن أحمد الحلبي وجمال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي: تفسير الجلالين دار الحديث، القاهرة، ط1.

11. صلاح عبد الفتاح الخالدي: القرآن ونقض مطاعن الرهبان، دار القلم - دمشق، ط1، 1428هـ - 2007م.
12. عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، تح: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، ط1، 2000م.
13. عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، تح: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، ط1، 1420هـ-2000م
14. عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري: لطائف الإشارات (تفسير القشيري) تح: إبراهيم البسيوني، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، ط3.
15. عبد الكريم يونس الخطيب: التفسير القرآني للقرآن، دار الفكر العربي، القاهرة، دط.
16. فخر الدين الرازي: مفاتيح الغيب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط3، 1420هـ.
17. محمد الأمين بن عبد الله الأرمي العلوي المرري الشافعي: تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن، مر: الدكتور هاشم محمد علي بن حسين مهدي، دار طوق النجاة، بيروت-لبنان، ط1، 2001م.
18. محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي: التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»، الدار التونسية للنشر، تونس، دط، 1984م.
19. محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الأملي، أبو جعفر الطبري: جامع البيان في تأويل القرآن، تح: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط1، 1420هـ-2000م.
20. محمد بن عبد الله دراز: دستور الأخلاق في القرآن، مؤسسة الرسالة، ط10، 1418هـ / 1998م.
21. محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني: فتح القدير، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب، دمشق - بيروت، ط1، 1414هـ..
22. محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي: محاسن التأويل تح: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1418هـ.
23. محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بهاء الدين بن منلا علي خليفة القلموني الحسيني: تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، دط، 1990م.
24. مصطفى مسلم: مباحث في إعجاز القرآن، دار القلم - دمشق، 1426هـ-2005م

## قائمة المصادر والمراجع

25. ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي: أنوار التنزيل وأسرار التأويل، تح: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1، 1418هـ.
26. نخبة من أساتذة التفسير: التفسير الميسر، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، السعودية ط2، 1430هـ-2009م
27. نعمة الله بن محمود النخجواني: الفواتح الإلهية والمفاتيح الغيبية الموضحة للكلم القرآنية والحكم الفرقانية، دار ركابي للنشر، مصر، ط1، 1419هـ-1999م.
28. وهبة بن مصطفى الزحيلي: التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، دار الفكر المعاصر، دمشق، ط2، 1418هـ.

### تفسير الكتاب المقدس:

1. شركة ماستر ميديا: التفسير التطبيقي للكتاب المقدس، ط4، مصر 2002م.

### كتب الحديث

1. ابن ماجة - وماجة اسم أبيه يزيد - أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني: سنن ابن ماجة ت الأرنبوط، تح: شعيب الأرنبوط-عادل مرشد - محمد كامل قره بللي - عبد اللطيف حرز الله، دار الرسالة العالمية، ط1، 1430هـ-2009م.
2. أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل: مسند الإمام أحمد بن حنبل، تح: شعيب الأرنبوط-عادل مرشد وآخرون، مؤسسة الرسالة، ط1، 1421هـ.
3. أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الحُسْرُوْجْردي الخراساني، أبو بكر البيهقي: شعب الإيمان، تح: الدكتور عبد العلي عبد الحميد حامد ومختار أحمد الندوي، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع، الرياض، ط1، 1423هـ-2003م.
4. الحافظ عبد العظيم بن عبد القوي المنذري: مختصر سنن أبي داود، تح: محمد صبحي بن حسن حلاق، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض - المملكة العربية السعودية، ط1، 1431هـ-2010م.
5. محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي: صحيح البخاري (الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه)، تح: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، ط1، 1422هـ.



• معاجم اللغة العربية:

1. أحمد ابن فارس: معجم مقاييس اللغة، دار الفكر، مصر، ط1، 1979م.
2. أحمد رضا: معجم متن اللغة، دار مكتبة الحياة، بيروت، 1960م.
3. أحمد مختار عبد الحميد عمر: معجم اللغة العربية المعاصرة، عالم الكتب، ط1، 2008م.
4. محمد ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط3، 1993م.

• المصادر والمراجع باللغة العربية:

1. الآباء الدومنيكيين: تقديس السنّة المسيحية بقراءة سيرة القديسين اليومية، (ط2)، دير الآباء الدومنيكيين، الموصل، 1891، ج2).
2. إبراهيم عوض: مع الجاحظ في رسالة الرد على النصارى، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، دط، دس.
3. أبو البقاء صالح بن الحسين الجعفري: الرد على النصارى، تح: محمد محمد حساين، دار التوفيق التّمودجية، القاهرة، ط1، 1988م.
4. أبو التراب سيد بن حسين بن عبد الله العفاني: أعلام وأقزام في ميزان الإسلام، دار ماجد عسيري للنشر والتوزيع، جدة - السعودية، ط1، 1424هـ-2004م.
5. أبو بكر عبد الرزاق: آية الله في خلق السيّد المسيح من روحه، دار الإعتصام، القاهرة، 1890م.
6. أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني: الرد على الجهمية والزنادقة، تح: صبري بن سلامة شاهين، دار الثبات، ط1، دس.
7. أبي محمد علي بن حزم بن أحمد المعروف بابن حزم الظاهري: الفصل في الملل والأهواء والنحل، تح: محمد ابراهيم نصر، (دط، دار الجيل، بيروت، دس، ج1).
8. أيجدور شنتان: ذلك الرّجل (يسوع المسيح في المصادر اليهودية)، تر: عمرو زكريا خليل، (ط2، إمدكو للطبع والنشر، القاهرة، 2018م)،
9. أيجدور شنتان: ذلك الرّجل (يسوع المسيح في المصادر اليهودية)، تر: عمرو زكريا خليل، إمدكو للطبع والنشر، القاهرة، ط2، 2018م.
10. أثناسيوس الرسولي: المقالات الثلاثة ضد الأريوسيين، تر: صموئيل كامل عبد السيّد، (ط1، المركز الأرثوذكسي للدراسات الآبائية، القاهرة، 2015م).
11. أحمد حجازي السقا: الأدلة الكتابية على فساد النّصرانية، دار الفضيلة، القاهرة، دط، 1991م.
12. أحمد عبد الوهاب: اختلافات في تراجم الكتاب المقدّس (تطوّرات هامة في المسيحية)، دار التوفيق التّمودجية، مصر، ط1.

## فائمة المصادر والمراجع

13. أحمد عبد الوهاب: حقيقة التبشير بين الماضي والحاضر، (ط2، مكتبة وهبة، القاهرة، 2010م).
14. أحمد عبد الوهاب، المسيح في مصادر العقائد المسيحية (خلاصة أبحاث علماء المسيحية في الغرب)، مكتبة وهبة، مصر ط2، 1988م.
15. أحمد علي عجيبية: البابوية وسيطرتها على الفكر الأوروبي في العصور الوسطى، (ط1، مكتبة المهتدين الإسلامية، طنطا 1991م).
16. أحمد علي عجيبية: الخلاص المسيحي ونظرة الإسلام إليه، (ط1، دار الآفاق العربية، مصر، 2006، ج11).
17. أحمد عمران: الحقيقة الصعبة في الميزان، مؤسسة الأعلمي، بيروت، ط2، 1995م.
18. أحمد غانم حافظ: الإمبراطورية الرومانية من النشأة إلى الانهيار، تق: حسين أحمد شيخ، دار المعرفة الجامعية، مصر، دط، 2008م.
19. أحمد محمد زين المناوي: شهادة المسيح (قراءة رقمية قرآنية معاصرة)، موقع طريق القرآن (www.quranway.com)، ط1، 2017م.
20. أسد رستم: الروم في سياستهم وحضارتهم ودينهم وثقافتهم وصلاتهم بالعرب، (ط1، هنداي سي آي سي، المملكة المتحدة، 2018).
21. أسد رستم: كنيسة مدينة الله أنطاكية العظمى 43-634م، (ط2، مؤسسة هنداي، المملكة المتحدة، 2021م، ج1).
22. إغناطيوس الأنطاكي: الآباء الرسوليون (رسائل إغناطيوس الأنطاكي)، ت: جرجس كامل يوسف، دار النشر الأسقفية 30 ش شبرا، القاهرة مصر، ط1، 2012م.
23. إغناطيوس الأنطاكي: الآباء الرسوليون (رسائل إغناطيوس الأنطاكي)، ت: جرجس كامل يوسف.
24. ألكسندر شميمن: الأفخريستيا سر الملكوت، تر: سامر عبّود، مطبعة النور، باريس، ط1، 1993م.
25. الإمام الألوسي: الجواب الفسيح لما لفته عبد المسيح، تح: أحمد حجازي السّقا، دار البيان العربي بالقاهرة، ط1، 1978م.
26. إنوك باول: تطوّر الإنجيل، تر: أحمد إيش، (ط1، دار ابن قتيبة، دمشق، سوريا، 2003م).
27. إنوك باول: تطوّر الإنجيل، تر: أحمد إيش، دار ابن قتيبة، دمشق، سوريا، ط1، 2003م.
28. أنيس منصور: الخالدون مائة أعظمهم محمد صلى الله عليه وسلّم، (جدران المعرفة للنشر الإلكتروني، Theknowledge\_walls@yahoo.com).

## فائمة المصادر والمراجع

29. إيف برولي: تاريخ الكتلكة، تر: جورج زيناقي، (ط1، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، 2008م).
30. بترسن سميث: حياة يسوع (سيرة المسيح الشعبية)، تر: حبيب سعيد، (دط، جمعية نشر المعارف المسيحية، مصر، 2000م).
31. -برونو فورتى، الفكر المسيحي المعاصر، تر: عز الدين عناية، دار الصفحات، سوريا، ط1، 2014م
32. برونو فورتى، جون.س. كسلمان، رونالد.د. ويثروب، ت: عزالدين عناية، الفكر المسيحي المعاصر، دار صفحات، دمشق، سوريا، ط1، 2014م.
33. بسطامي محمد سعيد: مفهوم تجديد الدين، مركز التأصيل للدراسات، المملكة العربية السعودية، ط3، 2015م
34. بطرس البستاني: كتاب دائرة المعارف، (دط، دار المعارف، بيروت، 1880)، ج4.
35. بطرس البستاني: كتاب دائرة المعارف، (دط، مطبعة المعارف، بيروت، 1877)، ج2.
36. بنيامين مرجان باسيلي: الأفخريستيا، دار الكتب والوثائق القومية، مصر، ط1، 2008م.
37. بهاء النحال: تأملات في الأناجيل والعقيدة، (ط2، دار الكتاب الجامعي الزقازيق، مصر، 1994م).
38. بولس باسيم: تاريخ الكنيسة المفصل، تر: أنطوان الغزال-صبحي حمودي اليسوعي، (ط2، دار المشرق-بيروت، 2009م، ج1).
39. بولس باسيم: معجم اللاهوت الكتابي، (ط5، دار المشرق، بيروت-لبنان، 2004)،
40. تع: مرقس داود: العلامة أوريجانوس والرّد على كلّس (ط1، مكتبة المحبة، مصر، 1983).
41. جاك شلوسر: يسوع التاريخ، تر: الخوري نعمة الله الخوري، (دراسات بيبليّة-يسوع التاريخ-) محاضرات ومقالات نسّقها وقدمها أيوب شهوان، الرابطة الكتابية، عمشيت، لبنان، ط2، 2010، يوم الاثنين 24/01/2005م
42. جورج برنارد شو: المسيح ليس مسيحياً، تر: جورج فتّاح، دار الطليعة، بيروت، ط2، 1979م.
43. جون لومير: تاريخ الكنيسة، (Ktab INC، 1992، ج3).
44. جون لومير، تاريخ الكنيسة: عصر الآباء: من القرن الأوّل وحتى السادس، (ط1، دار الثقافة، القاهرة، 2013م).

## فائمة المصادر والمراجع

45. جونيه: مختصر التعليم المسيحي للكنيسة الكاثوليكية، تر: مجلس البطاركة والأساقفة الكاثوليك، المكتبة البولسية، لبنان، ط1، 2007م.
46. جوهانس كواستن، علم الآبائيات (بارتولوجي) تر: جرجس كامل يوسف، (ط1، مركز باناريون للتراث الآبائي، مصر الجديدة، 2015م، ج1).
47. جي إد كومزوسكي، أيعيدون شخصية اختراع يسوع، تر: سامي رشدي مرجان، مركز مورغان، مصر، ط1، 2010م.
48. جيرالد أوكلنزاليسوعي: يسوع ملامح من شخصيته، دار المشرق، بيروت-لبنان- ط1، 2010م.
49. حسن عزالدین الجمل: إنَّ مثل عيسى عند الله كمثل آدم، دار الكتاب العربي، بيروت، ط1، 1984م.
50. حسنى يوسف الأطير: سر المسيح في دور التكوين هل كان إنسيًا؟، دار طيبة، الجيزة، ط1، 2013م.
51. حنا الخضري: تاريخ الفكر المسيحي (يسوع المسيح عبر الأجيال)، دار الثقافة، القاهرة، ط1، 2015.
52. حنا جرجس الخضري: تاريخ الفكر المسيحي (المسيح عبر الأجيال)، (ط1، دار الثقافة، القاهرة، 1981).
53. حنا جرجس الخضري، تاريخ الفكر المسيحي "يسوع عبر الأجيال"، دار الثقافة، القاهرة، ط1، 1981م.
54. الخوري بولس الفغالي: الحركة الغنوصية في أفكارها ووثائقها، (ط1، دكاش برينتغ هاوس، لبنان، 2009).
55. دافدجي. روبرتسون: الغنوصية وتاريخ الأديان، تر محمد عبد الله، (دط، دار بلومزبري، لندن، 2021).
56. داود علي الفاضلي: أصول المسيحية كما يصورها القرآن، مكتبة المعارف، الرباط، دط، 1973م.
57. دنتسنغر-هونرمان: الكنيسة الكاثوليكية في وثائقها: تر: يوحنا منصور-حنا الفاخوري، (ط1، المكتبة البولسية، لبنان، 2001، ج1).
58. ديفيد هيوم: مبحث في الفاهمة البشرية، تر: موسى وهبة، دار الفرابي، بيروت لبنان، ط1، 2008م.

## فائمة المصادر والمراجع

59. رضا هلال: المسيح اليهودي ونهاية العالم (المسيحية السياسية والأصولية في أمريكا)، مكتبة الشرق، ط1، 2000م.
60. رضا هلال: المسيح اليهودي ونهاية العالم (المسيحية السياسية والأصولية في أمريكا)، مكتبة الشرق، ط1، 2000م.
61. رفاعي سرور: المسيح وحقائق الحكمة الإلهية، ط1، دار هادف، 1429هـ.
62. رهبان دير القديس أنبا مقار: شهيد السراييب (قصة عن روما القديمة وشهادتها للمسيحيين) (ط3)، دار مجلّة مرقس، القاهرة، 2010م).
63. روبيرت فان فورست: يسوع المسيح خارج العهد الجديد (مدخل إلى الأدلة القديمة) تر: وسيم حسن عبده، (ط1، صفحات للدراسة والنشر، سورية، ط1، 2012م).
64. روبيرت فان فورست: يسوع المسيح خارج العهد الجديد (مدخل إلى الأدلة القديمة)، تر: وسيم حسن عبده، صفحات للدراسة والنشر، سورية، ط1، 2012م.
65. روبيرت فان فورست، يسوع خارج العهد الجديد، ت: وسيم حسن عبده، دار صفحات للدراسات والنشر، سوريا، دمشق، ط1، 2012م.
66. رومانو كوارديني: قيامة المسيح، ترجمة: جرجس المارديني، دار المشرق، بيروت-لبنان، 1988م.
67. رؤوف شليبي: أضواء على المسيحية (دراسات في أصول المسيحية)، المكتبة العصرية، بيروت، دط، 1985م.
68. رياض فارس: مجمع أورشليم وتأثيره على الكنيسة الأولى، مر: مارتيروس، (دط تاتش برس، مصر، 2016م).
69. زيادة بن يحيى النصب الراسي: البحث الصريح في ألما هو الدين الصحيح، تح: سعود بن عبد العزيز الخلف، (ط1، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية، 2003م).
70. سعود بن عبد العزيز الخلف: دراسات في الأديان اليهودية والنصرانية، مكتبة أضواء السلف، الرياض، ط4، 2004م.
71. سعيد عبد الفتاح عاشور: تاريخ أوروبا في العصور الوسطى، (ط2)، دار النهضة العربية، بيروت-لبنان، 1914).
72. سليم جبرائيل الخوري وسليم ميخائيل شحادة: آثار الأدهار، (ط1، المطبعة السورية، بيروت، 1877).

73. سيركيس أبو زيد: المسيحية في إيران - تاريخها وواقعها الراهن-، (ط1)، الديوان للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 2007).
74. شمس الدين أبو المظفر يوسف «سبط ابن الجوزي»: مرآة الزمان في تواريخ الأعيان: تح: عمار ربحاوي، دار الرسالة العالمية، دمشق-سوريا، ط1، 1434هـ-2013م.
75. صابر طعيمة، قراءة في الكتاب المقدس "تأملات في كتب الأناجيل"، دار الزمان، المملكة العربية السعودية، المدينة المنورة، ط1، 2006م.
76. صادق عبد علي الركابي: الانتحار الجماعي (أكبر عمليات الانتحار الجماعي في التاريخ)، (ط1)، مكتبة مدبولي، مصر، 2013).
77. صالح بن الحسين الجعفري أبو البقاء الهاشمي: تحجيل من حرف التوراة والإنجيل، تح: محمود عبد الرحمن قدح (ط1)، مكتبة العبيكان، الرياض، المملكة العربية السعودية، 1998، ج1).
78. صلاح عبد الفتاح الخالدي: القرآن ونقض مطاعن الرهبان، دار القلم - دمشق، ط1، 1428هـ-2007 م.
79. صموئيل م زويمر: عيسى أم يسوع، شراع مناه نمرة 37، ط1، 1914م.
80. صموئيل يوسف خليل: الفكر اللاهوتي المسيحي في العهد القديم، دار الثقافة، القاهرة، ط1، 2011م.
81. عبد الرزاق رحيم صلال: العبادات في الأديان السماوية، تد: إسماعيل الكردي، الأوائل للنشر والتوزيع، دمشق، ط1، 2001مص216.
82. عبد السلام أحمد الراغب: وظيفة الصورة الفنية في القرآن، فصلت للدراسات والترجمة والنشر، حلب، ط1، 1422 هـ - 2001 م.
83. عبد السلام أحمد الراغب: وظيفة الصورة الفنية في القرآن، فصلت للدراسات والترجمة والنشر - حلب، ط1، 2001 م.
84. عبد الله عبد الفادي: مجمع خلقيدونية 451م-المجمع المسكوني الرابع-، (دط، Ktab INC، دس).
85. عبد الله محمد المعتاز: عيسى ابن مريم، مكتبة دار السلام الرياض، دط، 1434هـ.
86. عبد المسيح بسيط أبو الخير: موت المسيح وقيامته (حقيقة أم خدعة أم أسطورة)، المصريين، مصر، ط1، 2009م.
87. عبد المنعم جبيري: الرد على الإلهيين والماديين: (ط1، دار النهضة العربية، بيروت-لبنان، 2011).



88. عبد المنعم جبيري، المسيح عند اليهود والنصارى والمسلمين، دار صفحات، دمشق سوريا، ط3، 2014م.
89. عبد المنعم حنفي، موسوعة الفلسفة والفلاسفة، مكتبة مدبولي 1999م، ط2.
90. عبد المنعم فؤاد: المسيحية بين التوحيد والتثليث وموقف الإسلام منها، (دط، مكتبة العبيكان، الرياض، 2001).
91. عدد من المختصين بإشراف الشيخ/ صالح بن عبد الله بن حميد إمام وخطيب الحرم المكي: نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم -صلى الله عليه وسلم-، دار الوسيلة للنشر والتوزيع، جدة، ط4.
92. علي عبد اللطيف أبو سمعان: الماسونية واليهود في بناء الهيكل الموعود، (ط1، دار الكتاب الثقافي، 2010).
93. عمرو زكريا خليل: الأعياد اليهودية، المؤسسة المصرية، إمدكو، مصر، ط2، 2017م.
94. فاطمة فوزي: أسرار اصطفاء السيدة العذراء، دار الكتاب الحديث، القاهرة، ط1، 2016.
95. فالتر كاسبر: يسوع المسيح، تر: يوحنا منصور، المكتبة البولسية، بيروت، لبنان، ط1، 2000م.
96. فراح السواح: ألباز الإنجيل، (ط1، دار التكوين، دمشق-سوريا، 2012).
97. فراس السواح: الرحمان والشيطان-الثنوية الكونية ولاهوت التاريخ في الديانات الشرقية-، (دط، مؤسسة هنداوي، المملكة المتحدة، 2022).
98. فراس السواح: الوجه الآخر للمسيح-موقف يسوع من اليهودية مقدّمة في الغنوصية-، (دط، مؤسسة هنداوي، المملكة المتحدة، 2022).
99. فرانسيسكوس مريا: مضمون مجمع خلقيدونية المقدس الأرثوذكسي في علّة هرطقة أوطيخا المنافق، (دط، Komarek، ولاية بافاريا، 2010).
100. فرج الله عبد الباري: نقض دعوى عالمية النصرانية، دار الآفاق العربية، القاهرة، ط1، 2004م.
101. فريدريك لونوار، موجز تاريخ الأديان، ت: محمد الحداد، دار سيناترا، تونس، ط1، 2012م.
102. فريز صموئيل: دعوة المسيح هل كانت عنصرية؟، مطبعة أوتوبرنت، دط، 2002م.
103. القديس يوستينوس الفيلسوف والشهيد: الدفاعان والحوار مع تريفون ونصوص أخرى(التصوص المسيحية في العصور الأولى)، تر: آمال فؤاد، مر: إيريني ثابت جورجو مريم سعد مينا، دار باناريون، مصر الجديدة، ط1، 2012م.
104. كارل ياسبرس: فلاسفة إنسانيون، د عادل العوا، عويدات، بيروت-لبنان، دط، 2016م.

## فائمة المصادر والمراجع

105. كامل سعفان: مسيحية بلا مسيح، دار الفضيلة، القاهرة، دط، 1994م.
106. كيم إسكيف: المسيح والتبوءات: دار المشرق، بيروت، لبنان، ط1، 1998م.
107. ليف أساقفة فرنسا: الإيمان المسيحي، تر: أنطون موصللي العازاري، دار باريس، ط1، 2007م.
108. ليف أساقفة فرنسا: الإيمان المسيحي، تر: أنطون موصللي العازار، (ط1، دار باريس، 2007).
109. مايكل بيحيت ريتشارد لي: خديعة مخطوطات البحر الميت، تر: وسيم عبده، (ط2، دار صفحات، دمشق، 2014م).
110. مايكل بيحيت ريتشارد لي: خديعة مخطوطات البحر الميت، تر: وسيم عبده، دار صفحات، دمشق، ط2، 2014م.
111. مجدي صادق راغب: تاريخ بطاركة الكنيسة القبطية الأرثوذكسية، (ط1، Magdy sadek، المكتبة الإلكترونية للباحث مجدي صادق، 2022م).
112. محمد أحمد الحاج: النصرانية من التوحيد إلى التثليث، دار القلم، دمشق، ط1، 1992.
113. محمد أحمد محمد عبد القادر خليل ملكاوي: بشرية المسيح ونبوة محمد عليه الصلاة والسلام، مطابع الفرزدق التجارية، الرياض، ط1، 1993م.
114. محمد بنتاجة: استكشاف المسيحية الأولى (بحث عن اللاهوت السري المضطهد للطوائف المسيحية الأولى حتى مجمع نيقية)، (دط، دار دروب، مصر).
115. محمد توفيق صدقي: نظرة في كتب العهد الجديد والعقائد النصرانية، تحقيق: خالد محمد عبده، دط، مكتبة النافذة، دس.
116. محمد سيّد أحمد المسير: المسيح ورسالته في القرآن، مكتبة الصفا، القاهرة، ط1، 1999م.
117. محمد عبد الرّمان عوض: الخلاص من الخطيئة في مفهوم اليهودية والمسيحية والإسلام، دار البشير، القاهرة، دط، دس.
118. محمد عزت الطهطاوي: النصرانية والإسلام، مكتبة النور، القاهرة، ط2، 1986م.
119. محمد علي البار: دراسات معاصرة في العهد الجديد والعقائد النصرانية، دار القلم، دمشق، دط، دس.
120. محمد مجدي مرجان: المسيح إنسان أم إله، مكتبة النافذة، الجيزة، ط1، 1972م.
121. محمود علي الخولي: حقيقة عيسى المسيح، دار الفلاح للنشر والتوزيع، الأردن، ط1، 1990م.

122. مرسيا إلياد: المقدّس والعادي، تر: عادل العوا، دار التنوير، بيروت، 2009م.
123. منقذ بن محمود السقار: الله جلّ جلاله واحد أم ثلاثة؟، دار الإسلام للنشر والتوزيع، ط1، 2007م.
124. منير البعلكي: معجم أعلام المورد - موسوعة تراجم لأشهر الأعلام العرب والأجانب القدامى والمحدثين، إغ: رمزي البعلكي، (ط1، دار العلم للملايين، بيروت، 1992).
125. منير غبور، أحمد عثمان: حضارة مصر القبطية-الذاكرة المفقودة، (ط1، مكتبة مدبولي، القاهرة، 2011).
126. موريس بوكاي: القرآن الكريم والتّوراة والإنجيل والعلم (دراسة الكتب المقدّسة في ضوء المعارف الحديثة)، دار المعارف، القاهرة، ط6، 1978م.
127. مينا فؤاد توفيق: الآباء الرّسوليون: (الرّسالة إلى ديوجنيتس - شذرة كودراتوس - شذرات بابياس - تقليد الشّيوخ) تر: جرجس كامل يوسف - عماد عاطف، (ط3، 2009م)،
128. ناصر المنشاوي: الجوانب الخفية من رسالة المسيح، الفيوم، فيدمين، دط، 2003م.
129. نزار صميده: النّصوص الرّؤية الكتابية مجالاتها وتداعياتها على الفكر الدّيني الكتابي قديماً وحديثاً، (دط، دار الكتاب العلمية، بيروت-لبنان، 2016م).
130. نهي بُخّار: الدّيانة المسيحية، (ط1، دار الفكر اللبناني، بيروت، 1995م)
131. نهي بُخّار: الدّيانة المسيحية، دار الفكر اللبناني، بيروت، ط1، 1995م.
132. هادي ف. عيد: يسوع ذلك المجهول، (ط1، المكتبة البولسية، لبنان، 2009).
133. هشام صالح: معارك التّنويريين والأصوليين في أوروبا، دار الساقى بالاشتراك مع رابطة العقلايين العرب، بيروت-لبنان، ط1، 2010م.
134. هوستن سميث: أديان العالم (دراسة روحية تحليلية لأديان العالم الكبرى) تر: سعد رستم، دار الجسور الثقافيّة، حلب.
135. هوستن سميث: أديان العالم (دراسة روحية تحليلية لأديان العالم الكبرى) تر: سعد رستم، دار الجسور الثقافيّة، حلب، 2007م.
136. وكيم إسكيف: المسيح والتّبوءات، دار المشرق، بيروت، ط1، 1998م.
137. وليد نور: المختصر القويم في دلائل نبوة الرّسول الكريم (صلى الله عليه وسلّم)، (دط، دار الكتب العلمية، بيروت، 1971).
138. وليم باركلي، تفسير العهد الجديد، (K-tab. net ج1).

139. وهبة بن مصطفى الزحيلي: التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، دار الفكر المعاصر - دمشق ط2، 1418 هـ.
140. الياس صالح اللاذقي: آثار الحقب في لاذقية العرب، تح: الياس جريح، (ط1، دار الفرابي، بيروت لبنان، 2013).
141. ياسر جبر: البيان الصحيح لدين المسيح، تق: عمر بن عبد العزيز القرشي و وديع أحمد فتحي، دار الخلفاء الراشدين، الإسكندرية، ط1، 2007م
142. ياسين صلاواقي، الموسوعة العربية الميسرة والموسعة، مؤسسة التاريخ العربي 2001م.
143. يوحنا فم الذهبي، غريغوريوس النيسي وآخرون: عظات آباءية على قيامة المسيح، تر: سعيد حكيم يعقوب، (مؤسسة القديس أنطونيوس - المركز الأورثوذكسي للدراسات الآبائية، القاهرة، 2001).
144. يوسايبوس القيصري: تاريخ الكنيسة، تع: مرقس داود، مكتبة المحبة، القاهرة، ط3، 1998م.
145. يوسايبوس القيصري: حياة قسطنطين العظيم، تع: مرقس داود، (دط، مكتبة المحبة، القاهرة، دط، 1975م).
146. يوسف زيدان: اللاهوت العربي وأصول العنف الديني، (دط، دار الشروق، القاهرة، 2009).

### • الكتب باللغة الأجنبية:

1. Bernard Sesboué, christe seigneur et fils de dieu (libre réponse à Frédéric Lenoir) Lethielleux, 2010 ; paris .
2. Claude Ozankom & Jean-Pierre Sieme Lasoul : Une vie au service des jeunes (Editions Baobab, Congo, 2016).
3. David Frédéric Strauss: vie de Jésus, t: E.Littré, (Edition3 .librairie de l'adorange qait des augustinns-19- paris,1964, tome2).
4. Dictionnaire de la langue française, édition83, Italie,1994, p1237.
5. E. Jerry Vardaman, Chronological , Nativity , and Religious Studies in Memory of Ray Summers, (Mercer University Press , Macon , Georgia 31210-3960, 1998).
6. Edmond Unal, Doctrine Christologique De Saint Paul D'après Toutes Ses Épîtres, (Edition1, Strasbourg, 1860), P3.

7. Églises réformées de France et de suisse, confessions de foi,( Montpellier, France 1927).
8. Ernest Rochat : ESSAI SUR MANI ET SA DOCTRINE, (librairie fischbacher, Paris, 1897).
9. F. Vigouroux , Manuel Biblique Ou Cours D'écriture Sainte A L'usage Des Séminaires, (Sixième Edition, Maison Jouby Et Roger, 1888, Paris Tome 1) P319.
- 10.Flavius Josephus : the New Complete Works of Josephus, t :William Whiston, (Kregel Publications, Grand Rapids, USA.
- 11.François Bousquet : LA TRINITÉ, (Editions Ouvrières, Paris, France, 2000)P61-62.
- 12.Franz-J. LEENHARDT : L'ÉGLISE -Questions aux protestants et aux catholiques-, (Editions Labor et Fides, Paris, France, 1978).
- 13.Frédéric Lenoir, Comment Jésus est devenu Dieu, Fayard, paris 2010.
- 14.Guy-Raymond Sarkis : Un islam réconcilié avec les chrétiens arabes, (Walter de Gruyter GmbH, Berlin/Boston, 2022).
- 15.Jean Comby, Pour Lire L'histoire De L'église, éditions de cherf, Paris, 1984, tome2).
- 16.Jean Comby, Pour Lire L'histoire De L'église, éditions de cherf, Paris, 1984, tome).
- 17.Jean-Pierre Lémonon, Ponce Pilate ; Éditions Ouvrières, Paris, france, 2007).
- 18.LE PETIT ROBERT dictionnaire de culture générale, Paris, France..
- 19.LE ROBERT, ADAGP, Paris, 1997 .
- 20.M. DCC L I I, Dictionnaire Universel François Et Latin, nouvelle édition corrigée et considérablement augmentée la compagnie des libraires associes a Paris, tome).
- 21.Nathalie Dupleumortier : GLOSSOLALIE Discours de la croyance dans un culte pentecôtiste, L'Harmattan, PARIS-France.

22. Paul HERVIEU, DIOGENE le Chien, BoD - Books on Demand, Christophe NOËL In de Tarpen 42 , Norderstedt ( Allemagne ) , 2022).
23. Paul Thiry Baron D'holbach : Histoire critique de jésus christ ou Analyse raisonnée des evangiles, Librairie Droz S.A, Massot, Genève, 1997.
24. Pierre Bonnard, L'évangile selon saint Matthieu, éditions fides, Genève 2002).
25. Raksha M. Patel, Stuti Mahajan, Hematohidrosis: A rare clinical entity, Indian Dermatology Online Journal - December 2010 - Volume 1 - Issue 1).
26. Randall B. Smith: Reading the sermons of thomas aquinas a beginner's guide, ( Steubenville, America, 2016).
27. Rowan Williams : ARIUS Heresy and Tradition,(2ed edition, William B. Eerdmans Publishing Company, Cambridge, U.K. 2002).
28. Roy Hanu Hart, Reading the Bible in the 21st Century, First Edition, Victoria, Canada 2018).
29. Veciana Bernard Morisseau : Le Triumphed de la foi, (1<sup>er</sup> edition, Holy Fire Publishing, United States of America and the United Kingdom, 2015).
30. William P. Anderson: A journey through christian theology with texts from the first to the twenty-first century, (Fortress Press, MINNEAPOLIS , 2000).

### • المواقع الإلكترونية:

1. <https://sttakla.org/Bibles/BibleSearch/showChapter.php?book=49&chapter=7>
2. <https://www.ncronline.org/news/theology/do-catholics-actually-believe-real-presence> Heidi Schlumpf national catholic reporter .
3. <https://www.ncronline.org/news/theology/do-catholics-actually-believe-real-presence> Heidi Schlumpf
4. <https://www.pewresearch.org/fact-tank/2019/08/05/transubstantiation-eucharist-u-s-catholics/>
5. <https://fr.bibliobs.org/> /Fr%C3%A9d%C3%A9ric\_Lenoir
6. <http://bibliobs.nouvelobs.com>



7. <https://www.babelio.com/auteur/Rene-Lenoir>.
8. [https://fr.bibliobs.org/Ren%C3%A9\\_Lenoir\\_](https://fr.bibliobs.org/Ren%C3%A9_Lenoir_).
9. <https://www.fredericlenoir.com/bio-longue>.
10. <https://ar.wikipedia.org>.
11. <https://www.amazon.fr/François-printemps-l'Evangile-Frédéric-Lenoir>.
12. [https://fr.bibliobs.org/Fr%C3%A9d%C3%A9ric\\_Lenoir](https://fr.bibliobs.org/Fr%C3%A9d%C3%A9ric_Lenoir).
13. <http://www.livraddict.com/biblio/book.php?>
14. <https://www.youtube.com/watch?>
15. <http://www.renepoujol.fr/a-propos>.
16. <https://www.babelio.com/auteur/Bernard-Sesboue>.
17. <http://www.renepoujol.fr/comment-jesus-est-devenu-dieu>.

### • الرسائل الجامعية:

1. آسيا شكيرب: المسيانية وأثرها في المسيحية والحركات الدينية المعاصرة، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية (رسالة دكتوراه منشورة)، 2011-2012م.
2. سميرة عطية: إنجيل المسيح في الدراسات المسيحية الحديثة، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية (رسالة ماجستير غير منشورة)، 2011-2012م.
3. العايب يوسف، العقائد المسيحية في فكر الآباء الرسوليين المسيحيين (من نهاية القرن الأول إلى منتصف القرن الثاني عقيدة الألوهية أنموذجًا-دراسة تحليلية نقدية-) جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، (رسالة دكتوراه غير منشورة) 2014-2015م.
4. عبد الحفيظ لعمش: تطوّر الديانة المسيحية حتى القرن السابع الميلادي-العقيدة نموذجًا-جامعة الأمير عبد القادر (رسالة دكتوراه غير منشورة) 2015-2016م.
5. محمد بودبان: إشكالية العلاقة بين النصوص الدينية وتقرير العقائد-الإسلام والنصرانية نموذجًا-جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، 2011-2012م، رسالة دكتوراه غير منشورة.

### • المجلات:

1. ياسين اليحياوي: المسار التاريخي لتأليه المسيح (قراءة في كتاب بارت إيرمان كيف أصبح يسوع إلهًا)-مجلة الدراسات الدينية (مجلة إلكترونية)، العدد الأول، 2014.

## فهرس الموضوعات.

الصفحة	الموضوع
03	الإهداء.....
04	الشكر والتقدير.....
<b>مقدمه البحث</b>	
06	تمهيد.....
07	أهمية البحث.....
08	إشكالية البحث.....
09	أهداف الدراسة.....
09	منهجية الدراسة.....
11	الدراسات السابقة.....
14	صعوبات البحث.....
14	دوافع اختيار الموضوع.....
16	خطة الدراسة.....
<b>الفصل الأول</b>	
19	تمهيد.....
20	المبحث الأول: التعريف بالكاتب والكتاب.....
20	المطلب الأول: التعريف بشخصية فريدريك لونوار.....
20	مولده ونشأته.....
21	أهم مراحل حياة فريدريك لونوار.....
23	الحياة المهنية لفريدريك لونوار.....
28	المطلب الثاني: التعريف بالكتاب.....
30	مصادر ومراجع الكاتب.....
32	دواعي تأليف الكتاب.....
34	المبحث الثاني: دراسة نقدية لكتاب فريدريك لونوار من حيث المنهج والمحتوى.....
34	أسلوب الكاتب.....

## فهرس الموضوعات.

34	▪ منهج الكاتب والمعلومات المعرفية.....
36	▪ المطلب الأول: دراسة نقدية لرونيه بوجول حول مؤلف فريدريك لونوار.....
39	▪ المطلب الثاني: دراسة نقدية لبرنارد سسبويه حول كتاب فريدريك لونوار.....
45	▪ المبحث الثالث: يسوع في ميزان النقد الغربي.....
45	▪ المطلب الأول: لمحة عامة عن موقف النقاد الغربيين من المسيح.....
50	▪ المطلب الثاني: موقف كارل ياسبرس وبارت إيرمان من المسيح.....
<b>الفصل الثاني</b>	
60	▪ تمهيد.....
60	▪ المبحث الأول: صورة المسيح في نظر معاصريه من اليهود.....
60	▪ المطلب الأول: أدلة إثبات وجود المسيح تاريخيًا.....
60	▪ المسيح في الكتابات غير المسيحية.....
62	▪ المسيح في الكتابات المسيحية.....
67	▪ المطلب الثاني: التناقض في تصوير شخصية المسيح.....
67	▪ يسوع رجل عادي.....
69	▪ إخوة المسيح.....
75	▪ المطلب الثالث: من هو المسيح؟.....
78	▪ محتوى رسالة المسيح.....
79	▪ هل كان يسوع معلم الحكمة؟.....
81	▪ هل كان يسوع صانع المعجزات؟.....
83	▪ موقف المحيطين بالمسيح من شخصه.....
84	▪ شخصيات مشاهمة ليسوع.....
86	▪ المبحث الثاني: شخصية المسيح.....
86	▪ المطلب الأول: موجز حياة يسوع كما ترويها الأناجيل.....
86	▪ أحداث الميلاد.....
88	▪ المسيح مختار الرب.....

## فهرس الموضوعات.

90	▪ حادثة القيامة في اليوم الثالث.....
93	▪ المطلب الثاني: ألقاب المسيح عند اليهود.....
97	▪ المطلب الثالث: يسوع الميسيا-المسيح.....
98	▪ مملكة المسيح وأبعادها الدينية.....
100	▪ نسب المسيح.....
101	▪ مكان ميلاد المسيح.....
104	▪ المبحث الثالث: صورة المسيح في نظر غير اليهود.....
104	▪ المطلب الأول: ألقاب المسيح عند غير اليهود.....
106	▪ ألقاب إلهية أطلقت على المسيح.....
109	▪ المطلب الثاني: التبشير بالمسيح بين الوثنيين.....
110	▪ التبشير بقيامة المسيح.....
112	▪ دور بولس في التبشير المسيحي.....
112	▪ مشكلة الانفتاح على الوثنيين.....
116	▪ المطلب الثالث: الانفصال عن اليهودية.....
117	▪ دمار الهيكل.....
118	▪ باكورة جدل قادم: يسوع إنسان أم إله.....
118	▪ مشكلة التوحيد.....
119	▪ بوادر ظهور الكرستولوجيا.....
<b>الفصل الثالث</b>	
124	▪ تمهيد.....
125	▪ المبحث الأول: انتشار المسيحية بين الوثنيين واضطهاد الأباطرة للمسيحيين.....
125	▪ المطلب الأول: انتشار المسيحية بين الوثنيين.....
127	▪ امتدادات المسيحية خلال القرنين الثاني والثالث.....
134	▪ المطلب الثاني: تراجع انتشار المسيحية واضطهاد المسيحيين.....
134	▪ موقف الرومان من الدين الجديد.....

## فهرس الموضوعات.

135	اضطهادات متفرقة.....
136	موقف الإمبراطور سيفيروس سيثيموس من المسيحية.....
138	محاولة تجاوز الاضطهادات.....
139	الأخلاق المثالية.....
142	المطلب الثاني: نشأة المباني الكنسية وتنظيم شؤونها.....
143	مهام رجال الدين داخل الكنيسة.....
144	مكانة المرأة في الكنيسة.....
144	التعميد.....
145	التقويم المسيحي.....
145	المباني الكنسية.....
147	المبحث الثاني: إنجيل يوحنا وأصل التثليث.....
147	المطلب الأول: إنجيل يوحنا في فكر فريدريك لونوار.....
148	من هو يوحنا في نظر لونوار.....
150	رأي لونوار في أصل الكلمة.....
154	المطلب الثاني: أصل التثليث.....
154	الروح القدس في فكر فريدريك لونوار.....
155	نجاح كرستولوجيا الكلمة.....
157	الدوسيتية.....
158	إنجيل بطرس.....
159	صعود إشعيا.....
160	المطلب الثالث: جدل حول علاقة الآب بالابن.....
160	مذهب التبنوية L'adoptianisme.....
161	انتشار أفكار مذهب التبنوية.....
162	الميلاد العذراوي ودوره في إثبات تجسد يسوع.....
163	الموناركية (الملكية) والمودالية (الشكلية).....

## فهرس الموضوعات.

164	تفنيذ عقيدة براكسيس.....
165	باترياسيان (الأبوية-صالبوا الأب).....
163	التبعية Le subordinatianisme .....
166	مصير الاختلافات حول هوية يسوع.....
168	المبحث الثالث: الخلافات بين المسيحيين-اليهود.....
168	المطلب الأول: انقسام اليهود-المسيحيين بين الكنيسة والمعبد وظهور عدّة فرق.
169	التاصريون (يسوع إنسان وإله) Les nazaréens.....
170	انتشار الطائفة.....
170	الأبيونيون Les ébionites.....
171	انتشار الأبيونية.....
172	يسوع الملاك: الكسائية (إلكساية) Les elkasaites: l'ange Jésus.....
173	انتشار الطائفة الكسائية.....
174	مارقيون ورفض الأصول اليهودية ليسوع.....
174	تعليم مارقيون.....
175	كتابات مارقيون.....
176	موقف مارقيون من المسيح.....
177	انتشار كنيسة مارقيون.....
178	المطلب الثاني: الغنوصية Le gnosticisme.....
179	التفكير التخبيوي عند الغنوص.....
180	تعليم الغنوص.....
181	موقف اللاهوتيين من الغنوصية.....
182	مؤسس الغنوصية.....
183	جذور الغنوصية.....
184	المطلب الثالث: شخصيات وأفكار الغنوصيين.....
184	سانورينوس.....



## فهرس الموضوعات.

184	▪ كرينثوس.....
184	▪ بازليد.....
185	▪ كاربوقراطيس.....
185	▪ فالونتينوس.....
186	▪ الغنوص والتساء.....
187	▪ موقف آباء الكنيسة من دور النساء في الغنوصية.....
187	▪ المسيح في نظر الغنوصيين.....
189	▪ رواية صلب المسيح في الفكر الغنوصي.....
190	▪ صورة المسيح إنجيل يهوذا.....
191	▪ انتشار الغنوصية.....
192	▪ المبحث الرابع: محاولة إرساء قانون إرثوذكسي وعودة الاضطهادات.....
192	▪ المطلب الأول: إيمان أرثوذكسي.....
192	▪ ماني والمناوية: Mani et le manichéisme.....
194	▪ المسيح في فكر ماني.....
194	▪ محاربة الهرطقات وإقامة عقيدة أرثوذكسية.....
195	▪ التعايش بين التيارات المختلفة قبل مجمع نيقية.....
196	▪ عقيدة التيار الغالب قبل مجمع نيقية.....
197	▪ المطلب الثاني: بدايات تكوين الكتاب المقدس المسيحي.....
199	▪ المعايير الأربعة المستخدمة لاختيار الكتب القانونية.....
200	▪ الاختلافات حول قانونية كتابات يوحنا.....
200	▪ المونتانية.....
201	▪ انتشار المونتانية.....
202	▪ الكتابات الأبوكريفية.....
203	▪ بداية عقد المجامع المسيحية.....
204	▪ المطلب الثالث: عودة الاضطهادات.....

## فهرس الموضوعات.

205	■ اضطهاد ديكيوس.....
205	■ اضطهاد فاليريانوس.....
206	■ عودة السّلام في المجتمع المسيحي.....
207	■ مسألة المرتدّين.....
207	■ اضطهاد دقلديانوس العظيم.....
208	■ عودة السّلام.....
<b>الفصل الرابع</b>	
211	■ تمهيد.....
212	■ المبحث الأوّل: أسباب انعقاد مجمع نيقية .....
212	■ المطلب الأوّل: المسيح والمسيحية في نظر الإمبراطور قسطنطين.....
213	■ دين قسطنطين.....
214	■ اهتمام قسطنطين بالمسيحيين.....
215	■ وحدة الإمبراطورية والكنيسة.....
216	■ حقيقة قسطنطين.....
217	■ سبب تفضيل قسطنطين للمسيحية.....
217	■ أريوس الإسكندري.....
218	■ عقيدة أريوس.....
219	■ مصدر عقيدة أريوس.....
219	■ المسيح في فكر أريوس.....
221	■ المطلب الثاني: عقد مجمع لتفنيد عقيدة أريوس.....
221	■ مجمع الإسكندرية.....
223	■ كتابات أريوس.....
224	■ أوّل مجمع مسكوني (نيقية) ظروف وأسباب انعقاده.....
225	■ قسطنطين يحاول الصّلح بين أريوس وألكسندروس.....
227	■ عقد مجمع نيقية.....

## فهرس الموضوعات.

227	■ لماذا نيقية؟.....
228	■ وصول المدعوين إلى نيقية.....
229	■ افتتاح مجمع نيقية.....
229	■ أعمال المجمع.....
230	■ المشاركون في مجمع نيقية.....
231	■ المطلب الثالث: ميلاد أرثوذكسية عالمية.....
231	■ قانون إيمان قيسارية.....
231	■ قانون نيقية.....
233	■ مصير آريوس.....
233	■ قانون الإيمان قبل مجمع نيقية.....
233	■ بوادر ظهور سلطة البابا.....
234	■ التصديق على قانون نيقية.....
234	■ ختام مجمع نيقية.....
236	■ مصير عقيدة آريوس.....
237	■ رد الاعتبار لآريوس وأصحابه.....
237	■ انتقام يوسايوس من التيقاوين.....
238	■ عودة آريوس من منفاه.....
239	■ انتصار آريوس.....
241	■ المبحث الثاني: أسباب عقد مجمع القسطنطينية وقراراته.....
241	■ المطلب الأول: طبيعة المسيح تفرق المسيحيين.....
241	■ ماذا حدث بعد وفاة آريوس وقسطنطين.....
242	■ المجمع التدشيني بأنطاكيا.....
242	■ مجمع سرديكيا.....
243	■ أوليفيلاس ودوره في نشر المسيحية الأريوسية.....
244	■ البحث عن صيغة توفيقية.....

## فهرس الموضوعات.

244	■ مجمع سيرميوم (يوغوسلافيا).....
245	■ مجمع أنطاكيا(358م):.....
245	■ الصيغة التوفيقية حول طبيعة المسيح.....
246	■ مضمون الصيغة.....
246	■ مجمع سلوقية ورعيني.....
247	■ المسيحية في عهد يوليانوس.....
248	■ وفاة يوليانوس.....
248	■ أبوليناريوس والمسيح الإله.....
249	■ المطلب الثاني: القسطنطينية انتصار كاثوليكي.....
250	■ المسيحية في ظل حكم ثيودوسيوس الأول.....
250	■ معمودية الإمبراطور ثيودوسيوس.....
251	■ مجمع القسطنطينية 381م (مجمع شرقي).....
252	■ أعمال مجمع القسطنطينية.....
253	■ مسألة الروح القدس.....
254	■ دين الدولة.....
255	■ عندما يبدأ التاجر الحديث عن اللاهوت.....
255	■ جوهر الابن.....
256	■ الإمبراطور الأكثر مسيحية.....
257	■ المطلب الثالث: نسطوريوس Nestorius و (أم الإله).....
258	■ مدرسة أنطاكية والإسكندرية.....
259	■ طبيعة المسيح.....
260	■ معركة كرسولوجيا أم أسبقية؟.....
298	■ كيرلس يواجه نسطور.....
261	■ دوافع كيرلس لمواجهة نسطور.....
265	■ المبحث الثالث: عقد مجمع أفسس وخلقيدونية وقراراتها.....

## فهرس الموضوعات.

265	المطلب الأول: مجمع أفسس.....
266	طبيعتا المسيح في اعتقاد نسطور.....
267	معركة أفسس.....
267	المجامع الثلاثة.....
268	مجمع 22 يونيو بأفسس.....
269	مجمع 26 من يونيو بأفسس.....
269	مجمع 10 يوليو بأفسس.....
270	بركات كيرلس.....
271	إعادة الوفاق بين الإسكندرئين والأنطاكيين 433.....
272	مصير التسطورية:.....
274	المطلب الثاني: مجمع خلقيدونية.....
274	قانون ثيودوسيوس.....
274	المسيحية في قانون ثيودوسيوس.....
276	الأوطيخية والتطرف في مدرسة الإسكندرية.....
277	إعادة الاعتبار لأوطيخا:.....
278	المعركة الثانية في أفسس:.....
280	المطلب الثالث: ديوسقوروس في قفص الاتهام:.....
280	دور بوركاريا في تاريخ المسيحية.....
281	مجمع خلقيدونية.....
282	أعمال مجمع خلقيدونية.....
283	تمزق أتباع الطبيعة الواحدة.....
286	خاتمة الفصل.....
<b>الفصل الخامس</b>	
289	تمهيد.....
290	المبحث الأول: نقد القيامة والحضور الفعلي ليسوع.....

## فهرس الموضوعات.

290	المطلب الأول: نقد القيامة .....
290	أهمية القيامة في المسيحية.....
294	الصَّلب.....
297	موقف القرآن الكريم من عقيدة القيامة.....
298	المطلب الثاني: نقد الحضور الفعلي ليسوع.....
299	الأفخرستيا وحضور يسوع فيها حسب المفهوم الكاثوليكي:.....
304	بولس والحضور الفعلي ليسوع.....
305	الرَّوح القدس والحضور الفعلي ليسوع:.....
306	حضور الله في المفهوم القرآني.....
308	المبحث الثاني: مضمون رسالة المسيح ونطاقها.....
309	المطلب الأول: مضمون رسالة المسيح.....
309	شريعة المسيح في الكتاب المقدَّس.....
310	شريعة في نصوص القرآن.....
314	البشارة بمجيء محمد عليه الصَّلَاة والسَّلَام:.....
316	الخلاص في رسالة المسيح:.....
318	موقف اليهود من رسالة المسيح:.....
319	المطلب الثاني: نطاق رسالة المسيح.....
320	نبوءات عن نسل المسيح القادم.....
320	نطاق رسالة المسيح في نصوص الأناجيل.....
322	رفض المسيح التعامل مع غير اليهود.....
323	أسلوب خطاب المسيح مع قومه.....
323	نطاق رسالة المسيح في نصوص القرآن.....
324	من سيخلصهم المسيح؟.....
324	ملك يسوع.....
325	نقد دعوى عالمية رسالة المسيح.....



## فهرس الموضوعات.

328	المبحث الثالث: علاقة المسيح بالله وهويته.....
328	علاقة المسيح بالله.....
329	لفظة ابن في العهد القديم.....
330	لفظ مختار الرب.....
331	معجزات يسوع ومعجزات أنبياء العهد القديم.....
332	علاقة المسيح بالله في نصوص القرآن الكريم.....
333	مكانة عيسى عليه السلام في القرآن الكريم مقارنة بالأنبياء الآخرين.....
334	ميثاق وعهد واحد لجميع الأنبياء.....
334	وحدة الدين.....
335	المسيح واحد من أولي العزم من الرسل.....
335	تفضيل الله لبعض أنبيائه ورسله.....
338	المطلب الثاني: هوية المسيح في القرآن الكريم.....
338	عيسى أم يسوع.....
340	هوية المسيح في نصوص القرآن الكريم.....
340	اصطفاء مريم عليها السلام ونسب المسيح.....
341	البشارة بميلاد المسيح.....
343	مولد عيسى عليه السلام وكلامه في المهد.....
343	كلام عيسى عليه السلام في المهد.....
344	عيسى مخلوق بكلمة الله.....
345	المسيح رسول الله.....
346	تحذير القرآن من الغلو في عيسى عليه السلام.....
<b>خاتمة</b>	
349	خاتمة البحث.....
349	نتائج متعلقة بكتاب فريديريك لونوار.....
351	نتائج عن نظرة لونوار إلى يسوع.....

## فهرس الموضوعات.

355	توصيات.....
<b>الفهارس</b>	
356	الملاحق.....
357	صورة الكاتب والغلاف الخارجي للكتاب.....
358	ترجمة لمقدمة كتاب فريدريك لوناوار.....
364	ترجمة لخاتمة كتاب فريدريك لوناوار.....
379	فهرس الآيات القرآنية.....
382	فهرس الأحاديث النبوية.....
383	فهرس فقرات الكتاب المقدس.....
395	قائمة المصادر والمراجع.....
411	فهرس الموضوعات.....
424	الملخص باللغة العربية.....
425	الملخص باللغة الفرنسية.....
426	الملخص باللغة الإنجليزية.....

### ملخص الدراسة:

في العالم الغربي وعلى مدى قرونٍ طويلةٍ، ظلَّ السؤالُ الذي حَيَّرَ عَقُولَ الخاصَّةِ والعامَّةِ "من هو يسوع المسيح؟" محورَ الكثيرِ مِنَ الأبحاثِ والدراساتِ، فالبعضُ يَعْتَقِدُ أَنَّ يسوعَ هو الله الذي تظهر في جسدِ إنسانٍ أو هو ابنُ الإلهِ، والبعضُ الآخَرُ يرى أَنَّهُ نَبِيٌّ من الأنبياءِ أو أحدُ المصلحين الاجتماعيين الذين جَاؤُوا بتعاليمٍ ساميةٍ، ومن بين أولئك الذين خاضوا بعُمقٍ في هذا الأمرِ المثير للجدل بحثًا عن إجابةٍ شافيةٍ وافيةٍ لذلك السؤالِ المحيِّرِ: الفيلسوفُ الفرنسيُّ فريدريك لُونوار.

تتحصَّرُ الفكرةُ التي تتمحور حولها هذه الدراسة في التعريفِ بمعالمِ يسوع التي رسمها فريدريك لُونوار في كتابه المعنون بـ: (Comment Jésus est devenu Dieu)، الكتابُ الذي بيعَ منه ما يفوقُ الخمسةَ آلافِ نُسخةٍ بعدَ أسبوعٍ واحدٍ فقط من تاريخِ صدوره، وذلك بسببِ الضجةِ التي أثارها في العالمِ الغربي، وهو الأمرُ الذي دفعَ الكنيسةَ الكاثوليكيةَ للردِّ عليه وتفنيدِ أطروحاته.

مؤلَّفُ فريدريك لُونوار رغمَ إمكانيةِ تصنيفه ضمنَ الكتبِ النقديةِ الموجهةِ ضدَّ العقائدِ المسيحيةِ، إلا أَنَّهُ جاءَ بأسلوبٍ مميِّزٍ يختلفُ عن الأساليبِ المعتمدةِ من طرفِ أشهرِ نُقادِ الكتابِ المقدسِ، بحيثُ يجيبُ على الكثيرِ من الأسئلةِ التي عادةً ما يطرحها المؤمنُ المسيحيُّ والمتعلِّقَةُ بشخصِ يسوع ورسالتهِ وكذا الخاصةِ بالقرنِ الخمسةِ الأولى من تاريخِ المسيحيةِ.

لُونوار يعترفُ بوجودِ يسوع تاريخيًا ويؤمنُ به كوسيطٍ وحيدٍ بين الله والبشرِ إلا أَنَّهُ لا يعترفُ به كإلهٍ أو كأقنومٍ من أقانيمِ الثالوثِ المسيحيِ مثلما تتفقُ عليه أغلبُ الكنائسِ المسيحيةِ، ولا كرسولٍ وفقِ المنظورِ الإسلاميِّ. لقد ركَّزَ لُونوار في بحثه على إيمانٍ وشهادةِ التلاميذِ الأوائلِ معتمدًا على العهدِ الجديدِ كمصدرٍ أوَّلٍ وأساسيٍّ للإجابةِ على سؤالِ بحثه.

في هذه الدراسة سوفَ يتعرَّفُ القارئُ على معالمِ يسوع المذكورةِ في كتابِ لُونوار ويستقصي أهمَّ الأحداثِ والمحطاتِ التاريخيةِ التي ركَّزَ عليها من جانبٍ، ونقدَ تلكَ المعالمِ استنادًا إلى دراساتٍ عَرَبِيَّةٍ وإسلاميةٍ من جانبٍ آخر.

**Résumé:**

Dans le monde occidental et pendant des siècles, tout le monde partageait la même question : "**Qui est Jésus Chris ?** ", objet de nombreuses études et recherches.

Certains pensent que Jésus est le Dieu personnalisé dans le corps d'un humain ou que c'est le fils de Dieu tandis que d'autres croient que c'est un prophète ou un réformateur social qui est venu avec de nouveaux enseignements et préceptes.

Le philosophe français **Frédéric Lenoir** est l'un des penseurs qui se sont penchés sur cette question épineuse et controversée en quête d'une réponse satisfaisante.

Cette étude met en lumière les balisages de Jésus cités dans le livre de **Frédéric Lenoir** intitulé : "**Comment Jésus est devenu Dieu**" et qui est vendu à plus de cinq mille exemplaires après une semaine seulement de sa publication, ce qui provoqua un grand tollé tout le monde occidental et a poussé l'église catholique à répliquer et infirmer toutes ses thèses.

Bien que l'œuvre de **Frédéric Lenoir** soit classée parmi les œuvres critiques dirigée contre les croyances chrétiennes, elle s'est distinguée par le style de critique en essayant de répondre aux questions que se posent la majorité des croyants sur la personne de Jésus, de son message et des cinq premiers siècles de l'histoire de la chrétienté.

Lenoir reconnaît l'existence historique de Jésus et croit en lui comme seul intermédiaire entre Dieu et l'humanité mais refuse de lui attribuer une quelconque divinité ou l'un des personnes de la trinité chrétienne conviction que partagent toutes les églises ou même le titre de messager selon la conception des musulmans.

Lenoir a axé ses recherches sur la foi et le témoignage des premiers disciples, s'appuyant sur le nouveau testament comme source principale pour répondre aux questions de sa recherche.

Dans cette étude, le lecteur découvrira les contours et caractéristiques de Jésus mentionnés dans le livre de Lenoir et verra en détail les événements les plus importants et les jalons historiques sur lesquels il s'est basé dans son livre. D'un autre côté, le lecteur trouvera nos critiques vis-à-vis de ces points sur la base d'études occidentales et de notre connaissance de l'islam.

## Abstract

"Who is Jesus?" This is a question that confused the intellect of the ordinary and elite people in the West for several centuries. It was the focal interest of a plethora of researches and studies. Some believed that Jesus is God or the son of God who embodied himself in the body human beings. Others have faith that Jesus is a prophet, or social reformer who carries virtuous teachings. In the light of this, Frédéric Lenoir is one of the philosophers who conducted in-depth studies to find a clear-cut answer about the nature of Jesus.

This dissertation lays emphasis on introducing the idiosyncrasies of Jesus as described in Lenoir's "**How Jesus became God**"-A masterpiece that reached more than five thousand purchases in the first week of publication in virtue of the high hype it caused in the West. This fact thrust the Catholic Church to impugn this book.

Lenoir's book can be arrayed amongst the critical writings against the Christian beliefs. However, the style of this book was different to many works that intended to criticize the Bible. It is considered unique, since it responded to a variety of questions that had been raised by the Cristian believer, namely those related to Jesus' personality, Jesus' messages, and the first five centuries in the history of Christianity.

Lenoir admits the existence of Jesus and sees him as a mediator between the Creator and human beings. Notwithstanding, he does neither consider him God nor part of the Trinity, as most of the Christian Churches agree upon. Lenoir does not even think of him as a Messenger, so he opposes the Islamic perspective too. To proffer an answer to his research question, Lenoir focused his research on the faith and testimony of the early students, relying on the New Testament as foremost and fundamental reference.

Without further ado, this doctoral study is expected to apprise readers about the features of Jesus as mentioned in Lenoir's book. On the one hand, it enables the reader to probe the most significant events and historical stages the author reveals, and on the other hand it caters for the criticism of the major ideas stated by Lenoir based on some Western and Islamic studies.

**People's Democratic Republic Of Alreria**  
**Ministry of higher Education and Scientific Research**



Emir Abdelkader University of islamic Sciences.

-Constantine-

Departement: Doctrine and Comparative Religions.

Faculty of Comparative Religions.

Serial Number:.....

Registration Number:.....

**Jesus christ in Frédéric Lenoir's: "How Jesus  
became God"  
-An analytical and critical study-**

Thesis introduction to get Doctorate L.M.D diploma

Specialty:Comparative Religions.

Prepared by:

Sonia Ouotmani

Supervised by:

Chahnes soumia ben mouffok

**Members of the discussion committee**

<b>Member's name</b>	<b>University</b>	<b>Academic Garde</b>	<b>Position</b>
Assia Chekireb	Emir abdelkader	Professor	<b>President</b>
Chahnes Soumia Ben mouffok	Emir abdelkader	Professor	<b>supervisor</b>
Youcef Laieb	Emir abdelkader	Professor	<b>Member</b>
Bachir Boussaha	Hama Lkhdar	Professor	<b>Member</b>
Abd El'hafid Lamech	El'bachir El' Ibrahimi	Professor	<b>Member</b>

**Academic year : 2022/2023 - 1443-1444.**